وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
قسم الدعوة والاحتساب

فتح مكة

دراسة دعوية

هند بنت مصطفى محمد الطيب شريفي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إشراف: د. مصطفى بن مصطفى صيام

عضو هيئة التدريس بقسم الدعوة والاحتساب

١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أكمل لنا دينه وأتَّم علينا نعمته، وجعل لنا الإسلام دينا، وجعل أمتنا بفضله وكرمه، خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، بعثه تعالى فينا، يتلو علينا آياته، ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، فأدَّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح لهذه الأمة، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد... وبعد،

فإن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من أهم مجالات الدراسة التي عني بها المسلمون في القديم و الحديث، فاعتنوا بتسجيل أحداثها، ونقل دقائقها، والبحث في فوائدها، ثم تنوعت وتعددت مناهج الدراسات لهذه السيرة الكريمة: فمنها ما يعمل في تحقيق أحداثها، ومنها ما يعمل على اختصارها، وكذلك منها ما يعنى بتوثيقها، ودراسة مروياتها، أو ما يستنبط أحكامها التشريعية، أو دروسها التربوية والدعوية ... إلى غير ذلك من المجالات.

ولسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم مكانة عظيمة في علم الدعوة، فهي الترجمة العملية للقرآن الكريم، وهي النور الذي يضيء للدعاة إلى الله دربهم، قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾[1]، فمنها يستلهمون العبر والعظات والحكم التي تثبتهم في الدفاع عن الدين الحق، وتشحذ هممهم لاقتفاء خطى النبي صلى الله عليه وسلم إمام الدعاة وخاتم الأنبياء والمرسلين.

وتظهر أهمية دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم للدعاة إلى الله فيما يلي:

---

[1] سورة الأحزاب الآيتان ٤٥-٤٦.

١- أن الله تعالى بعث نبيه محمداً صلى الله عليه و سلم، هادياً للحق، ومبينا لشرع الله، وهو بذلك إمام الدعاة، وبه يصح الإقتداء، قال تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [1]، ولمعرفة هذا السبيل لا بد من دراسة سيرته عليه الصلاة والسلام، فهي زاخرة بالأحداث، وغنية بالدلائل والعظات، حيث يتعرف من خلالها الدعاة على مراحل الدعوة الإسلامية، وما تعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لإعلاء كلمة الله، ويتعرفون على منهجه في الدعوة في شتى الظروف والمواقف، وكذلك يقفون على ما اتخذه من وسائل وأساليب لنشر هذا الدين.

٢- أن الأمة الإسلامية تعيش اليوم حالة ضعف وتراجع واستسلام لغيرها من الأمم، ولن يصلح حالها ويعيدها إلى عزها، إلا الرجوع إلى منابعها الأصلية: القرآن الكريم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرته جزء من سنته عليه الصلاة والسلام، فهي مناهل لا تنضب مهما كثر عليها الواردون، وهي السبيل بإذن الله إلى النهوض بها من كبوتها.

ولتحقيق الفائدة المرجوة من دراسة السيرة، لا بد من التمعن والتأمل في أحداثها واستخراج الأحكام والعظات، وهذا من أهم واجبات الدعاة إلى الله.

وتشكل مغازيه صلى الله عليه وسلم جزأً عظيماً من سيرته، وقد أثر عن السلف اهتمامهم بتعلمها، يقول علي بن الحسين رحمه الله: (كنا نُعلم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نُعلم السورة من القرآن)[2]، وقد أفردها العلماء قديماً و حديثاً بالكتابة والتأليف.

ومما دفعني لدراسة فتح مكة دراسة دعوية، ما يلي:

١- أن هذا الفتح له مكانة خاصة، فهو من أعظم غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، ومما يبرز أهميته أنه من أعظمها أثراً على الإسلام والمسلمين، ذلك أن قريشاً كانت عقبة كؤوداً أمام انتشار الدعوة الإسلامية، لما لها من مكانة عند العرب ،ومكة هي المركز الديني لهم، وحول البيت الحرام أصنامهم التي عبدت من دون الله، فكان فتح مكة

---

[1] سورة يوسف آية ١٠٨.

[2] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: الخطيب البغدادي ٢/٢٥٢.

واستسلام قريش، ثم إسلامهم، وتطهير بيت الله الحرام من الأوثان -كان ذلك فتحا ونصراً عظيما، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [1]، وقد كان الفتح سببا -بفضل الله- في ظهور جذور الإسلام وانتشاره في جزيرة العرب واجتثاث جذور الشرك وقطع دابر الوثنية إلى غير رجعة.

٢- أن دعوة الإسلام التي نادى بها النبي صلى الله عليه وسلم في بطن مكة، قد كلفت الكثير من التضحيات والآلام، ولو شاء الله تعالى لنصر رسوله صلى الله عليه وسلم في مكة ابتداءً، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾﴾ [2]، فاقتضت مشيئته تعالى أن يمتحن عباده المؤمنين وتتم الهجرة ثم يفرض الجهاد ويقع القتال بين حزب الله وبين حزب الشيطان ،وتكون المعركة الأخيرة مع قريش، ويعود رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فاتحا منتصراً، ويتحقق وعد الله في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [3].

فكان من الضروري الوقوف على الأسباب المؤدية، إلى هذا النصر، وهذا الظهور على الأعداء، ومعرفتها للقيام بها، سيما أن المسلمين يتطلعون إلى يوم مجيد، كيوم الفتح يعيد إليهم مجدهم وعزهم، وهي كذلك تبصر الدعاة إلى الإسلام بمسئوليتهم في نصرة هذا الدين، والعمل على إظهاره على الدين كله.

٣- من فتح مكة يستلهم الدعاة الكثير من العبر المتنوعة، والدروس المتعددة، نظراً لسعة الموضوع وتنوع أحداثه وتشعبها، ففيه تظهر بعض السنن الإلهية التي يعتبر بها الدعاة، ومنه يستنبط الدعاة أحكام الشريعة وأخلاقيات الإسلام، وأسس إعداد الدعاة وتربيتهم، وطرق التعامل مع المدعوين، وأمثل الوسائل والسبل لتبليغ الدعوة، كما تظهر من خلالها

---

[1] سورة النصر كاملة.

[2] سورة محمد جزء من آية ٤.

[3] سورة الصف آية ٩.

حنكة الرسول صلى الله عليه وسلم العسكرية، وحسن تخطيطه ، وبعد نظره، في تدابيره الدفاعية والهجومية في الغزوة ...إلى غير ذلك

٤-أني بعد الإطلاع على الدراسات السابقة[١] التي كتبت في فتح مكة، ظهر لي أن هذه الغزوة لم تبحث في رسالة جامعية منفردة من منظور دعوي، أو تدرس دراسة دعوية متكاملة، تجمع شتاتها في مصنف واحد، يسهل للسائرين في طريق الدعوة تناوله والوقوف على حكمه وفوائده الدعوية، لذلك، وبعد استخارة الله تعالى، ثم استشارة الأساتذة الفضلاء، عقدت العزم على دراسة وتحليل فتح مكة، وعرض أحداثها من منظور دعوي، لاستخلاص الدروس الدعوية واستنباط ما فيها من فقه الدعوة، والإسهام بذلك في سبيل الدعوة إلى الله، واسأله تعالى القبول والتوفيق وتسهيل الأمر وتيسيره.

حدود الدراسة:

تتناول هذه الدراسة -بإذن الله- أهم الأحداث التي وقعت قبل فتح مكة، ابتداء من السبب المباشر لهذه الغزوة، وهو نقض قريش وحلفائها لعهدهم المبرم مع النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، ومرورا بمسيره إلى مكة بجيش المسلمين، ثم فتحه لها ،وما تبع ذلك من أحداث: كإرساله البعوث وقضائه على جيوب الوثنية المنتشرة حولها، والوقوف على النتائج التي ترتبت على الفتح: كدخول بعض القبائل في الإسلام ومحاربة البعض الآخر له، حتى ظهور دين الله وعلو كلمة التوحيد، وتحطم كبرياء المشركين الذين كانوا سداً منيعا في وجوه الراغبين في الإسلام .

منهج البحث

---

[١] كتبت رسالة جامعية بعنوان :حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم: أبو بدر محمد بن بكر عابد، تناول فيما تناول فيها فتح مكة، ورسالة بعنوان: مرويات غزوة فتح مكة، جمع دراسة وتحقيق: محسن أحمد الدوم، ورسالة بعنوان: الآثار التشريعية في فتح مكة: محمد بن ناصر بن عبد الرحمن الجعوان.

دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، تعد دراسة تاريخية تحليلية استنباطية، فكان من المناسب استخدام المنهج الاستردادي التاريخي، لجمع المعلومات والحقائق، ثم استنباط الدروس عن طريق التحليل والاستدلال[1]،وفيما يأتي بيان للمنهج الذي سرت عليه:

١- الحرص على تأصيل المادة العلمية بالأدلة الشرعية من النصوص الثابتة، في الكتاب والسنة، وبالنسبة للنصوص القرآنية التزمت بالرسم العثماني حسب الإمكان، والحروف التي لم يمكن طباعتها، كتبتها يدويا.

٢- قمت بجمع أحداث الغزوة من مختلف مصادر السنة والسيرة النبوية، و لم أتقيد في ذلك بكتب معينة، فقد رجعت إلى كتب الصحاح، والسنن، والمسانيد، إضافة إلى كتب المغازي والتاريخ والخصائص والدلائل، وكتب التراجم والسير، وذلك لمحاولة الإحاطة والإلمام بكافة ما يتعلق بالغزو أو الشخصيات التي وردت فيها، وركزت بشكل خاص على ما يمكن استنباط الدروس الدعوية منه.

٣- نظرا لأهمية غزوة الفتح وتشعب أحداثها، فقد كُتب وأُلف فيه الكثير قديما وحديثا، وقد حصلت الاستعانة بالمؤلفات القيمة التي كتبت في هذا الحدث العظيم، وبُذل الجهد لجمع شتات المادة الدعوية من بين صفحاتها، ثم صياغتها بأسلوب علمي يتفق وعلم الدعوة.

٤- حرصت على تخريج الأحاديث ومرويات الغزوة قدر الاستطاعة، دون الإطالة أو الاستيعاب للمراجع، لأن هذه الغزوة قد أفردت بدراسة جامعية خاصة لمروياتها، يرجع إليها من يطلب الاستزادة.

٥- حرصت على الاستشهاد بالأحاديث المروية في الصحيحين، أو أحدهما، وما لم أجده فيهما، رجعت فيه إلى ما رواه غيرهما من كتب السنن والمسانيد، كما حرصت على نقل أقوال العلماء في بيان درجة الحديث، إلا إذا تعذر ذلك، لصعوبة الحكم على مرويات كتب السير والتاريخ.

---

[1] انظر مناهج البحث العلمي: عبد الرحمن بدوي ص ١٩، وأسس البحث العلمي: د. فاخر عقل ص ١٠١، والمدخل إلى البحث في العلوم السلوكية: د. صالح بن حمد العساف ص ٢٩٤.

٦- إذا ذكرت الرواية لأول مرة ، فإني أخرجها في الهامش- سواء كانت رواية حديثية أم تاريخية- وأحيل إلى المراجع التي روتها، ثم إذا أعدتها في مبحث آخر، فإني أحيل إلى الصفحة التي تقدمت، ولا أعيد التخريج إلا إذا اقتضت الحاجة، كأن تكون الرواية الأخرى تختلف اختلافا واضحا عن الرواية الأولى، فإني أخرجها من مرجعها، إضافة إلى الإحالة على ما سبق.

٧ - اعتمدت الترجمة لكل الشخصيات التي ذكرت في البحث- باستثناء الأنبياء والمعاصرين- وذلك عند ورود العلم لأول مرة.

٨- بعد جمع المعلومات، ذكرت الأحداث مترابطة حسب التسلسل التاريخي للغزوة، ثم ذكرت ما ترتب على ذلك من آثار، ثم قسمت الدراسة الدعوية لهذه الغزوة مرتكزة على أركان الدعوة الأربعة، وهي: موضوع الدعوة، يليها الداعي، ثم المدعو، ثم مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها، وذلك أدعى لتنظيم الدروس والأفكار وأسهل لتناول علم الدعوة الواسع.

وقد أدى هذا التقسيم إلى ظهور ما قد يُظن أنه تكرار لبعض الدروس، وحقيقة الأمر، أنه ليس كذلك، ذلك أن علم الدعوة علم مترابط، لا يمكن الفصل بين جزئياته، فقد يرد مثلا: درس دعوي في الفصل المتعلق بالدعاة، ثم يعاد ذكره من حيث تعلقه بالمدعو، وثمرة هذا البحث هو استفادة الداعية من هذه الدروس الدعوية سواء فيما يتعلق بذاته، أم بتعامله مع المدعوين، وكيفية تبليغهم الدعوة.

٩- قمت بشرح الكلمات الغامضة التي تحتاج إلى شرح من المعاجم اللغوية، وشروح السنة النبوية.

الإحالات للكتب التي رجعت إليها:

١- بالنسبة لمراجع الحديث النبوي، أحيل إلى اسم الكتاب، والباب والجزء والصفحة، وأما الإحالة إلى شروح السنة، فأحيل إلى الجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد.

٢- الإحالة إلى كتب التراجم والسير، أحيل إلى الجزء والصفحة، وذلك بعد التصرف في المنقول والتنبيه على ذلك.

٣- الإحالة إلى كتب المعاجم اللغوية، إلى الجزء والصفحة، مع الحرص على الاختصار دون التصرف، ويذكر المرجع فقط.

٤- الإحالة إلى غير ذلك من المراجع، إذا كانت نصوصا قرآنية، فهي تأتي بين قوسين خاصين﴿ ﴾ ، وإذا كان حديثا نبويا، فهو يأتي بين قوسين مزدوجين(( ))، وإذا كان نقلا كاملا دون اختصار أو تصرف، أضعه بين قوسين مفردين( )، وإذا كان نقلا مع الاختصار أضعه بين نفس القوسين، مع التعويض بنقاط ثلاث مكان الكلام المحذوف، وأشير في الهامش باختصار، وإذا كان النقل بتصرف، أشير إلى ذلك في الهامش، وإذا وقفت على عدة مراجع تحدثت عن موضوع واحد، أشير إلى ذلك بكلمة انظر.

٥- أذكر المعلومات الطباعية المتعلقة بكل مرجع، عند ذكره أول مرة، ثم أكتفي بذكر اسم الكتاب فقط عند تكراره، وأذكر اسم المؤلف فقط عند خوف الاشتباه مع غيره.

تقسيم البحث:

انتظمت هذه الرسالة في مقدمة وفصل تمهيدي، وخمسة فصول، وخاتمة وأخيرا الفهارس.

أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وحدود الدراسة، ثم منهج البحث، وكيفية الإحالة إلى المراجع، وتقسيم البحث، وختمت ذلك بكلمة شكر وتقدير.

الفصل التمهيدي: عرضت فيه أهم الأحداث البارزة في مكة والمدينة قبل الفتح، واخترت الأحداث التي قرب زمنها من غزوة الفتح، وكان لها أثر واضح فيها، وقد حوى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين.

المبحث الثاني: صلح الحديبية وأثره في انتشار الدعوة الإسلامية .

المبحث الثالث: غزوة خيبر ومعركة مؤتة وأثرهما على المسلمين.

الفصل الأول: تناولت فيه أحداث فتح مكة و آثاره، وتضمن مبحثين:

المبحث الأول: أسباب فتح مكة وأحداثه .

المبحث الثاني: آثار فتح مكة.

ثم الدراسة الدعوية لغزوة فتح مكة، وبدأتها بما يلي:

الفصل الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة، وتضمن مبحثين:

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بالعقيدة .

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بالتشريع والأخلاق .

الفصل الثالث: الدروس الدعوية المتعلقة بالدعاة، وتضمن مبحثين:

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بإعداد الدعاة .

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بصفات الدعاة.

الفصل الرابع: الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعوين، وتضمن مبحثين:

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بأسباب الصدود عن الحق.

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بمراعاة أحوال المدعوين .

الفصل الخامس: الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل وأساليب الدعوة، وتضمن مبحثين:

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة .

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة .

ثم الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج و التوصيات .

تلى ذلك **الفهارس**: وتضمنت فهرس الآيات القرآنية ، وفهرس للأحاديث النبوية، ثم فهرس الأعلام، وفهرس الأمكنة، ثم فهرس المصادر والمراجع، وأخيرا فهرس محتويات الرسالة.

كلمة شكر وتقدير:

أشكر الله تعالى الذي وفقني لهذا العمل، وأسأله تعالى القبول والإخلاص، ثم أشكر بعده جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ممثلة بمدير الجامعة وعميد كلية الدعوة لإتاحة فرصة إتمام دراستي فيها، وتيسير الأسباب المناسبة لذلك.

كما أتوجه بخالص شكري وتقديري إلى أستاذي وشيخي: فضيلة الدكتور: مصطفى صيام حفظه الله، المشرف على هذه الرسالة، والذي كنت أجد عنده صدرا رحبا لأخطائي، وقد تفضل عليَّ بتوجيهاته وإرشاداته القيمة، التي استفدت منها كثيرا أثناء كتابتي لهذه الرسالة.

ولا يفوتني أن أنوه بفضل د. زيد الزيد، الذي كانت له اليد الطولى في سبب اختياري لهذا الموضوع فجزى الله الجميع خير الجزاء.

وأشكر الأستاذين الفاضلين، على تكرمهما وموافقتهما على مناقشة هذه الرسالة، وبذلهما الجهد في خدمة العلم، ولا شك في أني سأستفيد من توجيهاتهما النيرة.

ولا يفوتني في هذا المقام، شكر والديَّ، اللذان لم يألوا جهدا في سبيل تشجيعي على طلب العلم، ومعاونتي ما أمكن لهما ذلك، حتى هذه اللحظة، أسأل الله تعالى أن يبارك في عمرهما، وأن يمده في طاعته تعالى.

وأخص بخالص الشكر زوجي ورفيق دربي: د. عبد الله صندقجي، الذي كان لي نعم المعين، والمشجع رغم تزاحم المشاغل عليه، وعظم المسئوليات المناطة به.

كما أشكر كل من ساهم في توجيهي، أو أجاب على استفساراتي، من الأساتذة الفضلاء في كلية الدعوة، سواء أكان في كلية الدعوة بالرياض أم بالمدينة المنورة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

وأسأل الله العظيم، أن يوفق ويحفظ كل من ساهم في نشر كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما أسأله تعالى أن يديم على هذه البلاد المباركة نعمة الأمن والإيمان والعلم، وأن يوفق ولاة أمورها لما فيه عز الإسلام والمسلمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل التمهيدي: الأحداث البارزة في مكة والمدينة قبل الفتح.

ويحتوي على المباحث التالية:

المبحث الأول: موقف قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين.

المبحث الثاني: صلح الحديبية وأثره في انتشار الدعوة الإسلامية.

المبحث الثالث: غزوة خيبر ومعركة مؤتة وأثرهما على المسلمين.

المبحث الأول: موقف قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين.

توطئة:

قامت دعوة الإسلام على توحيد الله وتنحية من عداه من الأرباب الزائفة التي كانت تشيع في ذلك العصر، وعلى إخلاص الدين له وإفراده سبحانه بالربوبية والألوهية، فكانت لذلك مخالفة لمعتقدات الجاهلية السائدة في مكة وغيرها مخالفة كاملة، فقد بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل، وفي جاهلية جهلاء، لا تعرف من الحق شيئاً، بل كانت تنتحل ما وجدت عليه آباءها، من الآراء المنحرفة والنحل المخترعة، وحين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم بشيرا ونذيرا، سرعان ما عارضوه، ونسبوا إليه كل محال، ورموه بأنواع البهتان[1].

وكان الملأ من قريش يعرفون طبيعة هذه الدعوة، وكانوا يرون أن الذين يشهدون شهادة التوحيد يخرجون من سلطان قريش وقيادتها وحاكميتها، وينضمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويخضعون لقيادته وسلطانه، وينتزعون ولاءهم للأسرة والقبيلة والقيادة الجاهلية، ويتوجهون به كله للقيادة الجديدة والعصبة المسلمة، وهذا الذي كان يزعجهم ويؤرق مضجعهم، وهو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكان هذا واقعاً يشهده الملأ من قريش، ويحسون خطره على كيانهم وعلى أوضاعهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعقدية[2].

وقد اتخذوا من المسلمين موقفا عدائيا، وسعوا للتنكيل بهم، وكان لذلك أثر بارز في سير الدعوة الإسلامية، يتضح ذلك ضمن المطلبين التاليين:

المطلب الأول: وسائل قريش في محاربة الدعوة الإسلامية.

المطلب الثاني: أثر موقف قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين على الدعوة الإسلامية.

---

[1] بتصرف، الاعتصام: الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي ١٩/١، تعريف: الشيخ محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت لبنان ط: بدون.

[2] بتصرف، في ظلال القرآن: سيد قطب ١٥٠٢/٣، دار الشروق بيروت والقاهرة ط: بدون، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

المطلب الأول: وسائل قريش في محاربة الدعوة الإسلامية:

مرت الدعوة الإسلامية في عهد النبي .بمراحل مختلفة تنوعت معها عداوة قريش ونكايتها وكيدها للمسلمين، وكان لمشركي مكَّة فيها النصيب الأوفى، حيث كانت مركزا للدعوة في أول أمرها، وكانت الجهود مركَّزة لوأدها قبل استفحال أمرها، وبذلت لذلك المحاولات العديدة للتأثير على الرسول صلى الله عليه وسلم،حتى يكُّف عن دعوته ترغيباً وترهيباً، لكنه تمسَّك بأمانة التبليغ وتَبِعَته ومضى في أمر الدعوة، لا يولي على شيء، فتسلَّط المشركون على أتباعه يفتنونهم عن دينهم بالبطش تارةً وبالإرهاب تارةً أخرى.

وزاد عداء قريش على الدعوة وصاحبها، ولجأت إلى الصدام المسلح، لما ظفر المسلمون بحريتهم، حيث هاجروا إلى الحبشة أولاً ثم إلى المدينة، ونجوا من الاضطهاد والفتنة، وكوَّنوا مع الأنصار جماعةً قويةً متماسكةً، تهدِّد وجود قريش وسلطتها، خاصَّة بعد أن شُرع الجهاد في سبيل الله، لرفع الظلم والاضطِّهاد عن المسلمين أولاً، وليكون وسيلةً مهمة لنشر الدعوة ثانياً.

وقد اتَّخذ مشركو قريش في محاربتها للدعوة الإسلامية وللمسلمين وسائلَ متنوعة منها:

١- إنكار نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ثَمَّ إنكار دعوة الإسلام:

عندما جهر النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة، امتثالاً لأمر ربه لإقامة الحجَّة على الناس، في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [1]وقوله: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [2]، لم تتأثر العلاقات الاجتماعية بينه وبين القرشيين، ما دام لم يذكر آلهتهم بسوء، أو يخدش كبرياءهم المزعوم، وكان من الطبيعي – وقد فشَت الوثنية بمكة– أن يعيب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآلهة التي يخرون للأذقان سجّداً لها، وهي لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً، ولا تملك لهم حياةً ولا نشوراً، فلمَّا فعل ذلك وعابهم وسفَّه عقولهم، انقلب حالهم، وبدا ما كان مستتراً في قلوبهم، شديد الوضوح على أقوالهم ، وما

---

[1] سورة الحجر آية ٩٤.

[2] سورة الشعراء آية ٢١٤.

تبع ذلك من أفعالهم، قال ابن اسحق[1]رحمه الله: فلمَّا(بادى قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله، فلم يبعد منه قومه و لم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته)[2]وأعلنوا إنكارهم لدعوته وتكذيبهم لنبوته : ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ ﴾[3] .

وألصقوا به صلى الله عليه وسلم تهماً باطلة لصدِّ الناس عنه ،فاتَّهموه بالسحر والكذب: ﴿ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾[4] وقابلوا دعوته بالاستهزاء ورمَوه بالجنون : ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾[5].

وقد بين القرآن الكريم كثيراً من لجاجتهم وعنادهم، وطلبهم المعجزات والخوارق التي تفوق طاقة النبي صلى الله عليه وسلم، كقوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [6]، وافترائهم على القرآن بأنَّه قصص الأولين، وأنَّ بمقدورهم تأليف مثله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا

---

[1] هو محمد بن إسحاق بن يسار العلامة الحافظ، أبو بكر وقيل أبو عبد الله القرشي المُطَّلبي مولاهم المدني، ولد سنة ٨٠ هـــ ورأى أنس بن مالك رضي الله عنه بالمدينة وسعيد بن المسيب، قال عنه الإمام الزُّهري: لا يزال بالمدينة علم جمّ ما دام فيهم ابن اسحق، أخذ عنه كثير من العلماء وأمسك عن الاحتجاج برواياته غير واحد من العلماء لاتهامه بالتشيع والتدليس، قال عنه ابن سعد: هو أول من جمع مغازي الرسول، توفي رحمه الله سنة ١٥٠ هـــ وقيل غير ذلك. بتصرف، سير أعلام النبلاء: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧/ ٣٣، مؤسسة الرسالة بيروت ط: ٩، ١٤١٣ هـــ- ١٩٩٣ م. و تهذيب التهذيب: الحافظ أحمد بن علي بن حجر، ٩/ ٣٨، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، ط: ١، ١٣٢٦ هـــ.

[2] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: أبو محمد عبد الملك بن هشام ١/ ٢٧٦، راجع أصولها الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض، ط: بدون. وانظر مجموعة التوحيد، الرسالة السابعة: شرح ستة مواضع من السيرة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٢، نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض، ط: بدون.

[3] سورة ق آية ٢.

[4] سورة ص جزء من آية ٤.

[5] سورة الحجر آية ٦.

[6] سورة الفرقان آية ٧.

نُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [1]، وهذا الافتراء والجدال يحاولون به ردَّ الحق بالباطل وصدَّ الناس عن الحق، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [2].

٢- إثارة الشبهات حول الدعوة الإسلامية:

ظلَّ تنفير الناس من الدخول في دين الحق، هو دأب قريش ومن شايعها، وقد كان لزعامة قريش ومكانتها الدينية في الجزيرة العربية، وسدانتها للبيت الحرام، أثرٌ كبيٌر في صدِّ الناس عن الاستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما كانوا يثيرونه ضده صلى الله عليه وسلم وهو يعرض الإسلام على القبائل، ويبلغهم رسالة ربه، فقد رُوي أن أبا لهب[3] كان يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدعو الناس بعكاظ[4]، وهو يقول: يا أيها الناس إن هذا قد غوى فلا يغوينكم عن آلهة آبائكم. [5]

كما كان القرشيون يتلقَّون الناس في المواسم ويحذِّرونهم من سماع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، لينفِّروهم من الإسلام، إلا أن هذا الموقف كان سبباً في دخول

---

[1] سورة الأنفال آية ٣١.

[2] سورة الصف آية ٨.

[3] هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم من قريش، عم الرسول صلى الله عليه وسلم وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية، كان غنياً عتياً ، من أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين ، كان شديد الأذى والتحريض على المسلمين، وفيه نزلت﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾.. تتمة السورة مات بعد وقعة بدر بأيام و لم يشهدها، بتصرف، الأعلام: خير الدين الزِركلي ٤/ ١٢، دار العلم للملايين ط: ٥، ١٩٨٠ م.

[4] اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع في عكاظ في كل سنة، يتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوه من الشعر، ثم يتفرقون، ويقع شمال شرقي مدينة الطائف على قرابة خمسة وثلاثين كيلا، في أسفل وادي شَرِب. بتصرف، معجم البلدان: الشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ١٤٢/٤، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ط: بدون، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م. ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: المقدم: عاتق بن غيث البلادي ص ٢١٥، دار مكة للنشر والتوزيع مكة المكرمة، ط:١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

[5] مسند الإمام أحمد ٤٩٢/٣ عن ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه، المكتب الإسلامي، فهرس الشيخ الألباني، ط:٤، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م. وانظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٢/٢.

بعضهم فيه، كما في قصة إسلام الطُفَيْل بن عَمْرو الدَّوْسِي رضي الله عنه[1]، وكذلك ما روي أيضا في إسلام ضماد رضي الله عنه.[2]

و لم تترك قريش فرصة تثير فيها شكاً أو تبعث فيها بريبةٍ إلا وانتهزتها، وذلك مثل ما حدث بشأن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وقد كان لله في ذلك حكم عظيمة، ومحنة امتحن الله بها عباده ليرى من يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ممن ينقلب على عقبيه، فأما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا ، وهم الذين هدى الله فلم تكن كبيرة عليهم[3]، وأما المشركون فقالوا:(تحيَّر على محمد دينه، فتوجه بقبلتكم إليكم، وعلم أنكم كنتم أهدى منه سبيلاً، ويوشك أن يدخل في دينكم)[4]، فكانوا يتحججون بهذه الحجة الداحضة، ليشككوا الناس في صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ

---

[1] هو الطفيل بن عمرو الدوسي من قبيلة دوس ، كان سيداً مطاعاً من أشراف العرب، وكان يلقب(ذو النور) أسلم قبل الهجرة بمكة، ورجع إلى بلاده يدعو قومه، وبعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم قدم عليه وهو بخيبر مع من تبعه من قومه، فلم يزل مقيماً معه حتى قبض صلى الله عليه وسلم ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممه فأحرقه بالنار، قيل استشهد يوم اليمامة، وقد روى ابن اسحق قصة إسلامه ذلك أنه قدم مكة ، فحذرته قريش من لقاء النبي صلى الله عليه وسلم، ونهوه عن السماع له، وقالوا له إنه ساحر، حتى سد أذنيه بالقطن، وأبى الله تعالى إلا أن يسمعه القرآن فلما سمعه استحسنه، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام فعرضه عليه فأسلم رضي الله عنه ، ثم جعل الله له آية نوراً على رأس سوطه، فكان يلقب بذي النور. انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤٠٧/١. وانظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر النمري القرطبي ٢٣٠/٢ وهو بهامش كتاب الإصابة: الحافظ ابن حجر. وسير أعلام النبلاء ٣٤٤/١، والإصابة في تمييز الصحابة: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٢٢٥/٢، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ط:١، ١٣٢٨ هـ.

[2] هو ضماد بن ثعلبة الأزدي من أزد شنوءة ، قدم مكة بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وكان يرقي، فسمع سفهاء مكة يقولون إن محمداً لمجنون، فلقي النبي صلى الله عليه وسلم وعرض عليه أن يرقيه لعل الله يشفيه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :((إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له،.. الحديث)) فشرح الله صدره للإسلام فأسلم وبايع النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه، انظر قصة إسلامه في صحيح مسلم: الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة ٢/ ٥٩٣ ح ٤٦، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية ولإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠ م. وانظر الإصابة ٢١٠/٢.

[3] بتصرف، زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية، ٣/ ٦٧، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية الكويت، ط: ١، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.

[4] عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ابن سيد الناس ٢٨٣/١، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط: ١، ١٩٧٧ م.

لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾[1].

وكذلك ما حدث بشأن السرية التي أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رجب[2]، بقيادة عبد الله بن جحش رضي الله عنه[3]، وقاتل فيها المسلمون المشركين في الشهر الحرام، حيث وجد المشركون فيما حدث فرصةً لاتهام المسلمين بأنهم استحلُّوا ما حرَّم الله، وذلك يتواءم مع ما في نفوسهم المريضة، ونشروا أراجيفهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فلما كثر في ذلك الكلام، نزل الوحي حاسماً لهذه الأقاويل، ومبينا أن ما يفعله المشركون من الكفر بالله، وصدِّ الناس عن الإيمان به تعالى، بأصناف الأذى والتنكيل، وصدَّهم عن البيت الحرام، أكبرُ عند الله، وأعظم إثما من القتل في الشهر الحرام[4]، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ

---

[1] سورة البقرة آية ١٥٠. وانظر سبب نزول الآية في جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ٣٣/٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ٣، ١٣٨٨ هـ- ١٩٦٨ م.

[2] وكانت قبل غزوة بدر، وفيها بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش الأسدي مع رهط من المهاجرين وأمره أن يترصد قريشاً ويعلم أخبارهم، فمضوا حتى نزلوا بنخلة- موقع بين مكة والطائف- كما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم فمرت بهم عير لقريش تحمل شيئاً من تجارة قريش، فتردد الصحابة في قتالهم في الشهر الحرام وخشوا أن يدخلوا الحرم فيفوتوهم بذلك، ثم أجمعوا أمرهم وهاجموهم وقتلوا رجلاً منهم وأسروا اثنين وغنموا العير وقدموا المدينة، وهناك توقف الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر العير والأسيرين و لم يأخذ منه شيئاً، لأنه لم يأمرهم بقتال في الشهر الحرام ، وسُقط في أيدي القوم وظنوا أنهم هلكوا وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وتكلمت قريش في ذلك ، فلما أكثر الناس، أنزل الله تعالى الآيتين ٢١٧-٢١٨ من سورة البقرة، فقبض الرسول صلى الله عليه وسلم الغنيمة -وكانت أول غنيمة يغنمها المسلمون -وقبِل فداء الأسيرين. انظر القصة كاملة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٣٨/٢.

[3] هو عبد الله بن جحش بن رياب الأسدي حليف بني عبد شمس، أحد السابقين هاجر إلى الحبشة مع أخويه أبو أحمد وعبيد الله، فتنصر هناك عبيد الله، أخته زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدراً واستشهد يوم أحد، يعرف بـــ(المجدع في الله) لأنه مثل به يوم أحد وقطع أنفه، كان أول أمير في الإسلام وأول من سن الخمس من الغنيمة للرسول صلى الله عليه وسلم ، كان عمره نيف وأربعين لما قتل ودفن هو وحمزة بن عبد المطلب في قبر واحد رضي الله عنهما. بتصرف، الاستيعاب ٢٧٢/٢، والإصابة ٢٨٦/٢.

[4] بتصرف، صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم: الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري ٣/ ٣٤٢ مكتبة دار الأرقم الكويت، ط: ١، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢ م.

ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [1].

٣- الاعتداء على المسلمين وخروجهم من مكة:

على الرغم مما بذله كفار قريش لصدّ الناس عن دين الحق، فإن ذلك لم يفُتّ في عضد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، بل صبروا على إيذاء قومهم ، وازدادوا تمسكاً بدينهم، فلجأت قريش إلى الاعتداء والإيذاء الجسدي، وامتدت أيديهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشتى أنواع الأذى، خاصة بعد وفاة عمه أبي طالب[٢]، الذي كان يدافع عنه ويحوطه، فنالت قريش منه ما لم تكن تطمع به في حياة عمه [٣]، وزاد الأذى حينما أظهر شعائر الإسلام وصلى عند الكعبة، ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري[٤] رحمه الله: أن (عقبة بن أبي معيط[٥] جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو

---

[١] سورة البقرة آية ٢١٧، وانظر سبب نزول الآية في تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير ٢/ ٣٦٨، كتاب الشعب مصر ، تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، ط: بدون ١٣٩٠هـ ١٩٧١م.

[٢] عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي صلى الله عليه وسلم وكافله ومربيه، كان من رؤساء بني هاشم ومن الخطباء العقلاء، سافر معه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام في صباه، ولما دعاه النبي صلى الله عليه وسلم امتنع خوفاً من أن تعيره العرب بترك دين آبائه، توفي وعمره بضع وثمانين سنة. بتصرف، الطبقات الكبرى: ابن سعد، ١١٩/١، دار صادر بيروت ط: بدون، والأعلام: الزركلي ١٦٦/٤.

[٣] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٦/٢.

[٤] هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الحافظ أبو عبد الله، ولد سنة ١٩٤ هـ في بخارى ونشأ يتيماً ، قام برحلة طويلة في طلب الحديث عام ٢١٠ هـ وسمع من نحو ألف شيخ، جلس للتعليم وعمره حوالي سبع عشرة سنة كان صاحب فضل وعبادة وورع وصلاح، أقام في بخارى فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم فأخرج إلى سمرقند فمات فيها سنة ٢٥٦ وعمره ٦٢ سنة رحمه الله. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٣٩١/١٢، وتاريخ بغداد أو مدينة السلام: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤/٢، دار الكتاب العربي بيروت ط: بدون، والأعلام: الزركلي ٣٤/٦.

[٥] هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس، من مقدمي قريش في الجاهلية، كنيته أبو الوليد، كان شديد الأذى للمسلمين ، أسر يوم بدر وقتل، انظر قصته في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٨٧/٢، وانظر الأعلام :الزركلي ٢٤٠/٤.

يصلي، فوضع رداءه في عنقه، فخنقه به خنقا شديداً، فجاء أبو بكر[1] رضي الله عنه حتى دفعه عنه صلى الله عليه وسلم. فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم).[2] وكذلك وضعهم سلا الجزور على ظهره وهو يصلي[3] .

وتوجه المشركون إلى المؤمنين به صلى الله عليه وسلم، فعدت كل قبيلة على من أسلم منهم وتابَعَ الرسولَ صلى الله عليه وسلم، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب وبالجوع وبالعطش، ليفتنوهم عن دينهم فمنهم من افتتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من صلُب لهم وعصمه الله منهم[4].

قال ابن مسعود[5] رضي الله عنه : (كان أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمار[6] ، وأمه

---

[1] عبد الله بن عثمان بن عمرو التيمي القرشي، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر، سبق إلى الإسلام وأقام مع النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، ورافقه في الهجرة والغار وفي المشاهد كلها إلى أن مات، وكانت معه الراية يوم تبوك وحج بالناس في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ٩ هـ، كان رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش، وكان تاجراً ذا خلق ومعروف أسلم على يده عدد من الصحابة، وكان سباقاً للخير، توفي سنة ١٣ هـ وعمره ٦٣ سنة رضي الله عنه، بتصرف الإصابة ٣٤٤/٢، وتهذيب التهذيب ٥/ ٣١٦.

[2] صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر ١٩٧/٤، المكتبة الإسلامية استانبول تركيا، ط: بدون، ١٩٧٩ م .

[3] وذلك حين (كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في ظل الكعبة، فقال أبو جهل وناس من قريش، ونحرت جزور بناحية مكة، فأرسلوا فجاؤا من سلاها وطرحوه عليه، فجاءت فاطمة فألقته عنه، فقال: اللهم عليك بقريش...) صحيح البخاري، كتاب الجهاد باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ٢٣٤/٣.

[4] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٣٩/١.

[5] هو عبد الله بن مسعود الهذلي، حليف بني زهرة كان من السابقين الأولين ومن النجباء العالمين، هاجر الهجرتين وشهد بدراً ، أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد)). كان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم في هديه ودلِّه وسمْته، مات بالمدينة ودفن بالبقيع سنة ٣٢ هـ رضي الله عنه. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٤٦١/١، والإصابة ٣٦٨/٢.

[6] هو عمار بن ياسر بن مالك من بني ثعلبة بن عوف، كان من السابقين الأولين وكان يعذب في الله عذاباً شديداً ونزل فيه قوله تعالى﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ ﴾. اختلف في هجرته إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها، وشهد اليمامة، استعمله عمر رضي الله عنه على الكوفة وقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن عمار مليء إيماناً إلى مشاشه)) تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن عماراً تقتله الفئة الباغية فقتل وهو مع علي رضي

سمية[1] ، وصهيب[2] ، وبلال[3] ، والمقداد[4] . فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب. وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه. وأما سائرهم، فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس. فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا[5]، إلا بلالا، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحدٌ، أحدٌ)[6].

الله عنهما بصفين سنة ٣٦هـ وعمره ٩٣ سنة. بتصرف سير أعلام النبلاء ٤٠٦/٢، والإصابة ٥١٢/٢.

[1] سمية بنت خياط مولاة أبي حذيفة بن المغيرة، والدة عمار بن ياسر كانت سابعة سبعة في الإسلام، عذبها أبو جهل حتى قتلها، فكانت رضي الله عنها أول شهيدة في الإسلام ، روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:((اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار)). بتصرف، الإصابة ٣٣٤/٤، وانظر الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام :أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي ٧٨/٢، علق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة بمصر طبعة جديدة ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م.

[2] أبو يحيى صهيب بن سنان، ويعرف بالرومي لأنه أقام في الروم مدة، ثم جلب إلى مكة فاشتراه عبد الله بن جُدعان القرشي، ويقال بل هرب إلى مكة وحالف ابن جدعان، من السابقين البدريين ، أسلم هو وعمار في دار الأرقم، عذب في الله، ثم هاجر مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتنازل عن ماله لقريش لتخلي سبيله لما أراد الهجرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا أبا يحيى ربح البيع)). شهد بدراً والمشاهد كلها مات سنة ٣٨ وعمره ٧٠ سنة رضي الله عنه. بتصرف، سير أعلام النبلاء ١٧/٢، والإصابة ١٩٥/٢.

[3] بلال بن رباح الحبشي، مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم كان من المستضعفين بمكة وكان أمية بن خلف يعذبه عذاباً شديداً ، فمر به أبو بكر بن الصديق فاشتراه واعتقه، فلزم النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معه جميع المشاهد، آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه، شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، خرج مجاهداً إلى أن مات بالشام في زمن عمر رضي الله عن الصحابة أجمعين. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٣٤٧/١، والإصابة ١٦٥/١، وتهذيب التهذيب ٥٠٢/١.

[4] هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة القضاعي الكندي، ويقال له المقداد بن الأسود، من السابقين للإسلام شهد بدراً والمشاهد كلها، مات سنة ٣٣ هـ، وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عن الصحابة أجمعين . بتصرف، سير أعلام النبلاء ٣٨٥/١، والإصابة ٤٥٤/٣.

[5] قال مجاهد رحمه الله:(فأما الرسول صلى الله عليه وسلم فمنعه عمه وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأخذ آخرون فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ، فأعطوهم ما سألوا -يعني : التلفظ بالكفر- فجاء كلَّ رجل قومُه بأنطاع فيها الماء فألقوهم فيها، إلا بلالاً) سير أعلام النبلاء ٢١/٢. وأما سمية فقد ماتت شهيدة، ولعلهم كانوا يعطونهم بلسانهم قولا يفتدون به من العذاب حينئذ، ولكن قلوبهم مطمئنة بالإيمان.

[6] سنن ابن ماجه: الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ٥٣/١ ح ١٥٠، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط:

وهذه هي ملامح المعركة بين الحق والباطل، فالطواغيت يتوجهون أولا إلى الداعية ليكف عن دعوته، فإذا استعصم بإيمانه وثقته بربه، واستمسك بأمانة التبليغ وتبعته، تحولوا إلى الذين اتبعوه يفتنونهم عن دينهم، بالوعيد والتهديد ثم بالبطش والعذاب[1].

وخرج المسلمون من مكة، وهاجروا إلى الحبشة ثم هاجروا إلى المدينة، مضحين بأموالهم وأهليهم، وذلك لما اشتد عليهم الأذى والبلاء، وخافوا الفتنة. وفي هذا تقول أم المؤمنين عائشة[2] رضي الله عنها، لما سُئلت عن الهجرة: كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى، وإلى رسوله، مخافة أن يفتن عليه...)[3]

وقد كان إقدام المسلمين على الهجرة ، وخوض غمار المخاطر في سبيل الله ،- وقد تخلوا عن أموالهم وأوطانهم وأهليهم ، مع استمرارهم في عداوة وقطيعة شديدتين مع قومهم - كان ذلك عملاً عظيماً منهم ، أثنى عليهم الله تعالى بقوله: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[4].

٤- محاولتهم قتل النبي صلى الله عليه وسلم :

كانت هناك محاولات فردية وجماعية من المشركين لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم، سواء في العهدين المكي أو المدني.

بدون، وقال عنه الشيخ الألباني: حديث صحيح، انظر صحيح سنن ابن ماجه: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ٣٠/١ ح ١٢٢، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط: ٣، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م. وروي نحوه في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: الحافظ أبي بكر بن أبي شيبة ٤٨/١٣ ح ١٥٧١٦، الدار السلفية بومباي الهند، حققه وصححه: الأستاذ عامر العامري الأعظمي ط: ٢، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

[1] بتصرف، في ظلال القرآن ١٣٢٢/٣.

[2] أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت سبع سنين، وبنى بها وعمرها تسع سنين، وقبض عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة ، قال عنها هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة. نزلت براءتها من فوق سبع سموات، في حادثة الإفك، توفيت سنة ٥٨ هـ، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها. بتصرف، سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢، والإصابة ٣٥٩/٤.

[3] صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ٢٥٢/٤.

[4] سورة الحشر آية ٨.

ففي مكة اشتد موقف قريش المعاند المكابر، وبلغ حقدهم على النبي صلى الله عليه وسلم مبلغاً جعلهم يأتمرون فيما بينهم في القضاء عليه والحيلولة بينه وبين استمراره في الدعوة، فقال أبو جهل[1]:يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترَون من عيب ديننا وشتم آبائنا وإني أعاهد الله لأجلسنَّ له غداً بحجرٍ ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فدَخت به رأسه. فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره، وقد غدت قريش في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد الرسول صلى الله عليه وسلم، احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه، رجع منهزماً منتقعاً لونه مرعوباً، قد يبست يداه على الحجر، وقال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه، عرض لي دونه فحل من الإبل، والله ما رأيت مثل هامته ولا أنيابه لفحل قط، فهم بي أن يأكلني.[2]

ثم كانت هناك محاولة جماعية من قريش للمكر بالنبي صلى الله عليه وسلم، رواها موسى بن عقبة[3]، عن الإمام الزهري[4] رحمهما الله، قال:(وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا الرسول صلى الله عليه وسلم علانية، فلما رأى أبو طالب عمل القوم، جمع بني عبد المطلب، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله في شِعبهم، وأمرهم أن يمنعوه ممن أراد قتله،

---

[1] هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام، وأحد زعماء قريش وساداتها في الجاهلية، كان يقال له أبا الحكم فدعاه المسلمون أبا جهل، شهد بدر مع المشركين فكان من قتلاهم. بتصرف، الأعلام: الزركلي ٨٧/٥.

[2] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣١٨/١.

[3] هو موسى بن عقبة بن عياش الإمام الثقة الكبير، أبو محمد القرشي مولاهم الأسدي كان بصيراً بالمغازي النبوية وألف فيها فكان أول من صنف في ذلك، كان الإمام مالك يقول: عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة، فإنها أصح المغازي. توفي سنة ١٤١ هـ رحمه الله. بتصرف، سير أعلام النبلاء ١١٤/٦، وتهذيب التهذيب ٣٦٠/١٠، والأعلام: الزركلي ٣٢٥/٧.

[4] محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، حافظ زمانه أبو بكر القرشي الزهري، ولد سنة ٥٠ أو ٥١هـ تابعي من أكابر الحفاظ الفقهاء، من أهل المدينة ونزل بالشام واستقر بها، أول من دون الحديث، قال عنه عمر بن عبد العزيز: ما ساق الحديث أحد مثل الزهري، مات سنة ١٢٣ أو ١٢٤ هـ وعمره ٧٢ سنة رحمه الله تعالى. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٣٢٦/٥، وتهذيب التهذيب ٤٤٥/٩، والأعلام: الزركلي ٩٧/٧.

فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حميَّة ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً)[1]، وكانت النتيجة مقاطعة المؤمنين ومحاصرتهم في الشِّعب.

ثم نجَّى الله رسوله والمؤمنين، وأذن لهم بالهجرة، وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها)). فهاجروا إلى المدينة أرسالاً[2]، وفشا الإسلام فيها.

ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون، ويتآمرون على الرسول صلى الله عليه وسلم، وبين الله تعالى كيدهم في قوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.[3]

ثم اجتمعوا على رأي أبي جهل: أن يأخذوا من كل قبيلة شابا جلداً، ثم يُعطى سيفا صارما، فيضربون به رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربة رجل واحد فيقتلوه، ويتفرق دمه في القبائل، فترضى بنو عبد مناف بدفع ديته فيدفعونها لهم[4].

فأنجاه الله تعالى منهم، ونصره عليهم ، وخرج هو وأبو بكر رضي الله عنه مستخفيين من مكة، وكبر على زعماء قريش إفلاته من أيديهم، وكانوا قد أدركوا الخطر العظيم الذي يحدق بهم في حالة وصوله إلى المدينة، فأرسلوا خلفه من يتعقبه ويقبض عليه[5]، ويعيده إلى مكة، فنصره الله عليهم كما سجل ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:

---

[1] البداية والنهاية: الحافظ ابن كثير ٨٤/٣، دار الفكر بيروت ط: بدون، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢ م.

[2] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٧٦/٢.

[3] سورة الأنفال آية ٣٠.

[4] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢/ ٩٤-٩٥.

[5] انظر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صور مقتبسة من القرآن الكريم: الأستاذ محمد عزت دروزة ٢٩٣/١ المكتبة العصرية بيروت، ط: بدون ١٤٠٠ هـ. وممن لحقهم سراقة بن مالك بن جعشم، وقد رأى من الآيات ما علم منه أن النبي صلى الله عليه وسلم ممنوع وكتب له النبي كتاباً، انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٠٢/٢.

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.[1]

ثم كانت غزوة بدر التي انتصر فيها المسلمون، ومُني فيها المشركون بالهزيمة، وقُتل من أشرافهم من قُتل فيها، فبيّت بعضهم اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم عمير بن وهب[2]–وذلك قبل إسلامه رضي الله عنه– المدينة لذلك، وتظاهر أن قدومه لفداء ابنه من الأسر، فلما حضر بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، أظهر له الرسول صلى الله عليه وسلم سبب قدومه، فكان سببا في إسلامه وباءت المحاولة بالفشل[3].

وقد حرص المسلمون على حراسة النبي صلى الله عليه وسلم تحسباً لمكائد قريش، وفي هذا تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة، فقال: ((ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة)). فقالت: فبينما نحن كذلك، سمعنا خشخشة سلاح فقال :من هذا؟ قال: سعد بن أبي وقاص[4].فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :ما جاء بك؟ قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه .فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام)[5].

---

[1] سورة التوبة آية ٤٠.

[2] هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب القرشي الجمحي، يكنى أبا أمية أسلم بعد غزوة بدر وعاد إلى مكة فأشهر إسلامه ثم هاجر إلى المدينة، وشهد أحد وما بعدها، عاش إلى خلافة عمر، رضي الله عنه . بتصرف، الإصابة ٣٦/٣، والأعلام: الزركلي ٨٩/٥.

[3]وقد كان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فتآمر مع صفوان ابن أمية على قتل النبي صلى الله عليه وسلم عند الكعبة و لم يشهد حديثهما أحد، و قدم المدينة لذلك وتظاهر أنه قدم لفداء ابنه، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ما كان من اتفاقه مع صفوان، فشرح الله صدره للإسلام وأسلم، ثم رجع إلى مكة داعياً إلى الله رضي الله عنه، فأسلم على يديه ناس كثير. انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢/ ٣٠٦-٣٠٩.

[4] هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري بن أبي وقاص، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وآخرهم موتاً أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو أحد الستة أهل الشورى، اشتهر بأنه كان مجاب الدعوة، واعتزل الفتنة لما قتل عثمان رضي الله عنه مات سنة ٥٨ هـ بالعقيق، وحمل إلى المدينة. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٩٢/١، والإصابة ٣٣/٢.

[5]صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ٢٢٢/٣. وصحيح مسلم: الإمام أبي

وظل المسلمون حريصين على حراسة النبي صلى الله عليه وسلم محبة له وخوفاً عليه حتى تولى الله تعالى حفظ نبيه وحمايته، وفي هذا تقول أم المؤمنين رضي الله عنها: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحرس، حتى نزلت هذه الآية:﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [1] فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة، فقال لهم :((يا أيها الناس انصرفوا، فقد عصمني الله)).[2] ومن هذا يظهر أن محاولات المشركين قتل النبي صلى الله عليه وسلم، تبرهن على مكنون حقدهم على الدعوة الإسلامية، كما تبين بجلاء حرص أعداء الدين على وأد الدعوة والقضاء على الدعاة، وبخاصة حينما تعجز عن ثنيهم عن المضي في الدعوة إلى الله، وإعادتهم إلى حظيرة الشرك.

٥- ملاحقة المسلمين خارج مكة:

لم يقتصر أذى قريش للمسلمين على وجودهم في مكة، بل جاوزه إلى خارجها، فقد أزعج المشركين أن يجد المهاجرون مأمنا لأنفسهم ولدينهم في الحبشة، عندما جاوروا النجاشي[3] ،فاختاروا رجلين جلدين لبيبين منهم، هما عمرو بن العاص[4] وعبد الله بن أبي ربيعة[5]، وأرسلوا معهما هدايا للنجاشي وبطارقته، فذهبا إليهم بالهدايا وطلبوا من

الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص ح ٢٤١٠ واللفظ له، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠ م.

[1] سورة المائدة جزء من آية ٦٧.

[2] الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة المائدة ٢٥١/٥ ح ٣٠٤٦، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط:٢، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م. وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي :الشيخ ناصر الدين الألباني ٤٦/٣ ح ٢٤٤٠، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط: ١، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.

[3] إسمه أصحمه ملك الحبشة، كان ممن حسن إسلامه و لم يهاجر وليست له رؤية، فهو تابعي من وجه وصحابي من وجه آخر ، توفي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم :((إن أخاً لكم قد مات بأرض الحبشة،)) وصف أصحابه وصلى عليه. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٤٢٨/١.

[4] هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي أمير مصر، أسلم قبل الفتح، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته، ولاه غزاة ذات السلاسل وأيده بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة، ثم استعمله على عمان، اشتهر بالدهاء، وتوفي سنة ٤٣ هـ وعمره ٩٠سنة رضي الله عنه وقيل غير ذلك.بتصرف، سير أعلام النبلاء ٥٤/٣، والإصابة ٢/٣، والطبقات ٤٩٣/٧.

[5] هو عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة ، يكنى أبا عبد الرحمن، كان إسمه بحير فغيره النبي صلى الله عليه وسلم ، قيل

النجاشي أن يسلم إليهما المسلمين، وقالا له: أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منَّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا في دينك ،وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم، لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.. فكان من تمام الخبر أن أبطل الله مسعاهم ومكث المسلمون في الحبشة آمنين، وكانوا عند النجاشي في خير منزل.[1]

ولما هاجر المسلمون للمدينة واستقروا بها، حاولت قريش ردّ من تستطيع ردّه من المؤمنين إلى مكة لتفتنه عن دينه، كما حدث مع عيَّاش بن أبي ربيعة[2] ، رضي الله عنه حين رده المشركون إلى مكة وفتنوه فافتتن، ثم نجاه الله منهم وهاجر مرة أخرى[3].

وما كانت قريش لتدع هذا المجتمع المسلم آمناً في موطنه الجديد، بل كتبت إلى عبد

هو من مسلمة الفتح، ولي الجند لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستمر إلى أن جاء لينصر عثمان فسقط عن راحلته بقرب مكة فمات رضي الله عنه .بتصرف، الإصابة ٣٠٥/٢.

[1] القصة بتمامها رواها الإمام أحمد في المسند عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، انظر الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني: الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي ٢٢٦/٢٠- ٢٢٩، دار إحياء التراث العربي بيروت ط: بدون، وقال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح، انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ٢٧/٦، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط: ٢، ١٩٦٧ م، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٥٦/١ – ٣٦٢، وعيون الأثر ٢٥٥/١، وفيها أن النجاشي لم يسلمهم لهما بل دعا المسلمين وسألهم عن دينهم، فأجابه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وبين له دعوة الإسلام بأحسن بيان، ثم قرأ عليه صدراً من سورة مريم فبكى النجاشي وأساقفته لما علموا من الحق، ورفض تسليمهم، و لم يعجز ذلك عمرو وصاحبه بل اتهموهم بأنهم يقولون في عيسى عليه السلام قولاً عظيما ، فلما سألهم النجاشي عن قولهم فيه ، أجابه جعفر رضي الله عنه: أنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم البتول. فصدقهم النجاشي وأمنهم في أرضه ، وأبطل مكيدة قريش.

[2] هو عياش بن أبي ربيعة –واسمه عمرو ويلقب ذا الرمحين–ابن المغيرة بن عبد الله القرشي المخزومي، أبن عم خالد بن الوليد رضي الله عنه ، كان من السابقين الأولين ، هاجر الهجرتين ثم خدعه أبو جهل إلى أن أرجعوه من المدينة إلى مكة ، فحبسوه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت حتى فرج الله عنه، ولحق بالمسلمين في المدينة، مات سنة ١٥ هـــ في خلافة عمر رضي الله عنه وقيل استشهد باليمامة، وقيل اليرموك. بتصرف، الإصابة ٣/ ٤٧.

[3] القصة بتمامها في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢/ ٨٤- ٨٧.

الله بن أُبَي[1]-وذلك قبل إظهاره الإسلام، وقبل غزوة بدر-: إنكم آويتم صاحبنا، وإنا لنقسم بالله لتقاتلنَّه أو لتخرجنَّه، أو لنسيرنَّ إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم. فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن معه من عبدة الأوثان، اجتمعوا لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لقيهم فقال: ((لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيد لكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم))، فلما سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم تفرقوا)[2].

أما بعد غزوة بدر فقد كتبت إلى يهود المدينة، تحثهم على قتال المسلمين وتهددهم، وتقول لهم:(إنكم أهل الحِلق والحصون، وإنكم لتقاتلنَّ صاحبنا أو لنفعلنَّ كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء..)[3]

٦- الصد عن سبيل الله :

إن من سنن لله تعالى الماضية في خلقه، أن ينتدب من كل قرية أكابر مجرميها، يعادون دين الله والدعاة إليه،(فأهل الباطل لا يكفيهم البقاء على باطلهم، وإنما يسعون إلى محق الحق وأهله، وإزالة هذا الحق بالقوة، وصد الناس عنه ببذل المال وبالقتال، وبكل ما يرون فيه من قوة وقدرة لتحقيق ما يريدون)[4]،كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾[5]

---

[1] هو عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي أبو الحباب، مشهور بابن سلول وهي جدته لأبيه، رأس المنافقين في الإسلام وكان سيد الخزرج ثم أظهر الإسلام بعد بدر، كان عملاقاً يركب الفرس فتخطُّ إهاماه في الأرض، له أخبار كثيرة في الكيد للمسلمين، لما مات تقدم النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ثم نزل القرآن بالنهي عن الصلاة على المنافقين. بتصرف، الأعلام: الزركلي ٦٥/٤.

[2] سنن أبي داود كتاب الخراج والفيء والإمارة باب في خبر بني النضير ١٥٦/٣ ح ٣٠٠٤، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان مراجعة وضبط: محمد محيي الدين عبد الحميد ط: بدون.

[3] المرجع السابق نفس الصفحة.

[4] السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية: د.عبد الكريم زيدان، ص ٤٦، مؤسسة الرسالة بيروت ط:٢، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.

[5] سورة البقرة جزء من آية ٢١٧.

وقد دأبت قريش على إقامة العقبات أمام انتشار الإسلام منذ أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته، وتنوعت وسائلها في الصد عن سبيل الله، ومن ذلك منعهم للناس من نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ومعاداة من قام بذلك.

وقد اشتد حنق قريش على الأنصار لإيوائهم المهاجرين، ونصرتهم النبي صلى الله عليه وسلم، وأضمروا لهم العداوة، التي ظهرت جلية فيما رواه الإمام البخاري رحمه الله من قصة سعد بن معاذ رضي الله عنه[1]،لما جاء مكة معتمرا، وأخذه مضيفه أمية بن خلف[2] ليطوف بالبيت في نصف النهار، حين غفل الناس،(فرآه أبو جهل وقال له: تطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه، قال: نعم. فتلاحيا بينهما...ثم قال سعد رضي الله عنه: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت، لأقطعن متجرك بالشام..)[3]

وكانت قريش تمنع الناس من الذهاب للمدينة، إلا بعد أخذ العهد عليهم أن لا ينصروا النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم[4] رحمه الله في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[5] قال: (ما منعني أن أشهد بدرا، إلا

---

[1] هو سعد بن النعمان بن امريء القيس بن زيد بن عبد الأشهل سيد الأوس البدري الذي اهتز لموته العرش، مناقبه مشهورة، أسلم على يد مصعب بن عمير رضي الله عنه وأسلم بعده قومه، رُمي يوم الخندق بسهم فعاش شهراً ثم انتقض جرحه ومات رضي الله عنه . بتصرف، سير أعلام النبلاء ٢٧٩/١، والإصابة ٣٧/٢.

[2] هو أمية بن خلف بن وهب من نبي لؤي، أحد جبابرة قريش في الجاهلية ومن ساداتهم، كان مع المشركين في غزوة بدر فأُسر ، ورآه بلال وصاح بالناس يحرضهم على قتله فقتلوه. انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٧١/٢، والأعلام :الزركلي ٢٢/١.

[3] صحيح البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ١٨٤/٤، وتلاحيا:من قوله: لاحيته ملاحاة: إذا نازعته. النهاية في غريب الحديث ٢٤٣/٤.

[4] الإمام الكبير الحافظ المجوِّد أبو الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، من أئمة المحدثين ولد بنيسابور سنة ٢٠٤ هـــ ، وارتحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، جمع في صحيحه اثني عشرة ألف حديث توفي سنة ٢٦١ بنيسابور رحمه الله تعالى. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٥٥٧/١٢، وتهذيب التهذيب ١٢٦/١٠، والأعلام: الزركلي ٢٢١/٧.

[5] هو حذيفة بن اليمان العبسي من كبار الصحابة، كان أبوه حسيل قد أصاب دماً فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل، شهد أحدا مع المسلمين وله في الخندق ذكر حسن، وهو صاحب السر، أسر له الرسول صلى الله عليه وسلم بأسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة، شهد فتوح العراق، استعمله عمر رضي الله عنه على المدائن فلم يزل بها حتى مات سنة ٣٦ هـــ . بتصرف، سير أعلام النبلاء ٣٦١/٢، والإصابة ٣١٧/١.

أني خرجت أنا وأبي: حُسَيْل[1]. قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدا، قلنا: ما نريده ما نريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر، فقال: ((انصرفا، نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم))[2]. قال الإمام النووي[3]رحمه الله:(وقد كان الكفار استحلفوهما لا يقاتلان مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة بدر، فأمرهما صلى الله عليه وسلم بالوفاء).[4]

(وقد أخبر الله تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن إتباع الحق، فسيفعلون ذلك ثم تذهب أموالهم عليهم حسرة وندامة، حيث لم تجُدِ شيئا، لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون)[5]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.[6]

٧- إعلان الحرب على الرسول صلى الله عليه وسلم، والتحالف مع كل من له مصلحة في القضاء على المسلمين:

لم ترض قريش عن هجرة المسلمين إلى المدينة، وأزعجها استقرارهم وأمنهم بها، وبذلت كافة المحاولات المتاحة لمنع الرسول صلى الله عليه وسلم من اللحاق بهم، لأنهم يعلمون أن قيام الدولة المسلمة في المدينة فيه تهديد لكيان قريش، وفيه قضاء على دينهم

---

[1] هو حُسَيْل بن جابر بن ربيعة المعروف باليمان العبسي ،والد حذيفة بن اليمان، هاجر إلى المدينة وقتل رضي الله عنه يوم أحد ،قتله أحد المسلمين وهو يظنه من المشركين، فقال ابنه حذيفة رضي الله عنه :يغفر الله لكم، فوداه الرسول صلى الله عليه وسلم .بتصرف، الإصابة ٣٣١/١.

[2] صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير باب الوفاء بالعهد ١٤١٤/٣ ح ١٧٨٧.

[3] هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحوراني النووي الشافعي أبو زكريا، علامة بالفقه والحديث، ولد بنوا – بسورية– سنة ٦٣١ هـ ، وتعلم في دمشق وأقام بها زمنا طويلاً توفي رحمه الله بنوا سنة ٦٧٦ هـ. بتصرف، الأعلام: الزركلي ١٤٩/٨.

[4] صحيح مسلم بشرح النووي، ١٢/ ١٤٤، المطبعة المصرية ومكتبتها ط: بدون.

[5] تفسير القرآن العظيم ٥٩٤/٣.

[6] سورة الأنفال آية ٣٦.

وآلهتهم، وباءت محاولاتهم بالفشل، وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ونظم المجتمع المسلم فيها، فآخى بين المهاجرين والأنصار، وكتب مع اليهود في المدينة معاهدات أمن، بين فيها قواعد مجتمع المدينة في السلم والحرب، ثم بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في إرسال السرايا والبعوث لمعاهدة من حول المدينة من القبائل تأميناً لحدودها، واستطلاعاً لأخبار قريش وتحركاتها.

ولَّما رأت قريش ما حصل من التمكين للمسلمين، أخذت تُعد عدتها وتتحين الفرصة للقضاء على الإسلام والمسلمين، خاصة بعد أن حاصرها المسلمون اقتصادياً وأغلقوا عليها طريق تجارتها، فأعلنت الحرب عليهم، ولم تألُ جهداً في الاستعانة والتحالف مع من يضمر العداوة والحقد للمسلمين، فوجدت بغيتها في اليهود، الذين شرقوا ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم وكرهوا هجرته إلى المدينة. وقد أرسل لهم القرشيون يهددونهم بالحرب إن لم يقاتلوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاستجاب بنو النضير لتهديدهم، (وأجمعوا الغدر، فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حبراً، حتى نلتقي بمكان المنصف[1]، فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك، آمنا بك)[2]، وكان أن علم الرسول صلى الله عليه وسلم بغدرهم، فأعد الكتائب لغزوهم وحاصرهم، وأسفر الحصار عن إجلائهم عن المدينة نهائياً.

وكانت غزوة بدر هي أول عدوان مسلح يقوم به المشركون على المسلمين، وفي هذه الغزوة نصر الله رسوله والمؤمنين على قلة عددهم وعدتهم.

وأما غزوة أحد فقد كان هدف قريش منها، الانتقام لقتلاهم في بدر، واستخلصت قريش النصر في هذه الغزوة بعد الخطأ الذي وقع فيه جيش المسلمين ، ولولا مخالفة بعض المسلمين لأوامر النبي صلى الله عليه وسلم ما ظفرت قريش بهذه الغرَّة[3].

---

[1] أي الموضع الوسط. عون المعبود شرح سنن أبي داود: العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ٢٣٦/٨، ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، نشر محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط:٢، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

[2] سنن أبي داود كتاب الخراج والفيء والإمارة باب في خبر بني النضير ، ١٥٦/٣ ح ٣٠٠٤.

[3] بتصرف، فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي ص ٣٠٥ دار الكتب الحديثة مصر، ط: ٧، ١٩٧٦ م.

ومن أوجه استعانة قريش باليهود، أنهم كانوا يستدلون على عورات المسلمين من اليهود المقيمين بالمدينة، مثل ما فعل سلام بن مشكم[1] مع أبي سفيان[2] في غزوة السويق[3].

وأرادت قريش حسم الصراع مع المسلمين واستئصالهم، فحشدت أكبر قوة ممكنة، ولجأت إلى التحالف مع اليهود، ووجدت أكبر ضالة لها في يهود بني النضير الذين أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن المدينة، ووجد اليهود ضالتهم كذلك في قريش، فقد التقت أهداف الفريقين في القضاء على المسلمين[4]، قال ابن اسحق رحمه الله: إن نفرا من اليهود خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لهم: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله.

فنشطت قريش لما دعوهم من حرب الرسول صلى الله عليه وسلم، وخرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان، فدعوهم كذلك إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكروا لهم اتفاقهم مع قريش، فاجتمعوا معهم فيه.

وسارت الأحزاب إلى المدينة، وفوجئوا هنالك بالخندق يحول بينهم وبين المسلمين، فحاصروهم، ووصفهم الله تعالى في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ

---

[1] هو حبر من أحبار اليهود من بني النضير، الذين كانوا يناصبون النبي صلى الله عليه وسلم العداء ويتعنتونه بالأسئلة للتشكيك في الإسلام، انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٣٦/٢.

[2] هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، اشتهر بكنيته ويكنى أيضاً أبا حنظلة، كان أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين، وكان رأس المشركين في يوم أحد والأحزاب، أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً والطائف وقلعت عينه يومئذ ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك، كان من المؤلفة وهو والد أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها، مات سنة ٣٤ وقيل غير ذلك وعمره حوالي ٩٠ سنة رضي الله عنه .بتصرف، سير أعلام النبلاء ١٠٥/٢، والإصابة ١٧٨/٢.

[3] وكانت بعد غزوة بدر في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة، وسببها أن أبا سفيان نذر بعد معركة بدر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو المسلمين، فخرج في مائتي راكب واتجه للمدينة، ونزل على سلاّم بن مشكم، فقراه وبطن له من خبر الناس ، ثم خرج برجاله وبعث منهم رجالا حرقوا بعض النخل ثم هربوا، فنذر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وخرج في طلبهم، فطرحوا بعض أزوادهم كي يتخففوا منها للنجاء وكان من أغلبها السويق، فسميت غزوة السويق. بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢ /٤٢٢.

[4] بتصرف، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية: د. مهدي رزق الله ص ٤٤٤، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ط:١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ ﴾ [1]

وانتهت المعركة بنصر الله لعباده المؤمنين، واندحار الأحزاب، وعودتهم لبلادهم خائبين[2].وقال صلى الله عليه وسلم:((لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده)) [3].

وتغيرّ الموقف بعد غزوة الأحزاب، فقد كان آخر هجوم تشنُّه قريش على المسلمين، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم(حين أجلى الأحزاب عنه:((الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم)).[4]

وقد حثَّ القرآن الكريم على قتالهم، وبيَّن عداوتهم وبدأهم بالقتال، في قوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [5].[6]

ومن العدل في توضيح موقف قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين، القول بأن القرشيين كانوا على درجات متباينة، فقد كان بعضهم يضمر أشد العداء والحقد: كأبي جهل وأمية بن خلف وأبي لهب وأبي سفيان، وغيرهم ممن كانوا حربا على المسلمين، و لم يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة، سواء في العهد المكي أو المدني.

---

[1] سورة الأحزاب الآيات ٩-١١.

[2] انظر غزوة الخندق في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام، ٢/٢٢٩- ٢٥٢.

[3] صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الخندق ٥/ ٤٩.

[4] المرجع السابق ٥/ ٤٨.

[5] سورة التوبة آية ١٣.

[6] للاستزادة في هذا الموضوع، انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد، من ص ١٦٦- ١٩٤، وقراءة جديدة للسيرة النبوية: د. محمد رواس قلعه جي، من ص ٥٧- ٩٢، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع ط:٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤ م. المعوقون للدعوة الإسلامية: د. سميرة محمد جمجوم، من ص ١٥٩- ١٩٢ دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م. فقه السيرة النبوية: منير محمد غضبان، من ص ١٤٩- ١٨٦ جامعة أم القرى ط:٤، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م. الآثار التشريعية في فتح مكة: محمد بن ناصر الجعوان، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية ، لم تطبع بعد ١/١٨١- ١٨٨ .

ومنهم من دفعته الرحمة والرأفة بحال المؤمنين، إلى أن يقف في صفهم وهو على شركه، كالرهط الذين سعوا في نقض صحيفة المقاطعة الظالمة[1].

ومنهم من كان يمنع النبي صلى الله عليه وسلم ويدافع عنه، حميّة وعصبية، كما كان الحال من بني هاشم، وقد خرج بعضهم مكرها في حرب قريش للمسلمين[2].

بل إن بعض القرشيين كان عونا للمسلمين في أول أمر الدعوة، من ذلك ما حدث من مرافقة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه[3] -وهو مشرك-للرسول صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الكبرى، ليستوثق له من الأمر[4].

---

[1] وذلك لما اجتمع القرشيون ، وكتبوا كتاباً تعاقدوا فيه على بني هاشم وبني المطلب: أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة. فسعى لنقضها رجال من قريش هم : هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحرث وكان واصلاً لبني هاشم وكان يتردد عليهم بالطعام سراً وهم محاصرين في الشعب وقد أسلم عام الفتح وهو من المؤلفة رضي الله عنه. (انظر الإصابة ٦٠٥/٣)، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن مخزوم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، والمطعم بن عدي -ستأتي ترجمته لاحقاً- وأبو البختري بن هشام واسمه العاص بن هشام، وكان يكف الناس عن إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمر الدعوة. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله في غزوة بدر، لكنه قُتل.(انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢/ ٢٧٠، والأعلام: الزركلي ٢٤٧/٣). وزمعة بن الأسود بن المطلب، فنقضوا الصحيفة وفك الحصار عن المسلمين. انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٧١/٢ و٣٩٧.

[2] روى ابن اسحق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر:((إني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي أبا البَخْتَري بن هشام بن الحرث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب -عم رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلا يقتله ، فإنما أخرج مستكرهاً)) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢ /٢٦٩. وعيون الأثر ٣٠٢/١. والطبقات الكبرى ١٠/٤.

[3] عم رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين، ضاع وهو صغير فنذرت أمه إن وجدته أن تكسو الكعبة حريراً فوجدته فكست البيت الحرير فهي أول من كساه ذلك، كان طويلاً جميلاً أبيضاً ، شريفاً عاقلاً يبذل ماله ويعين في النوائب، كان له السقاية والعمارة في الجاهلية، اختلف في إسلامه فقيل أنه أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه ، خرج مع قومه إلى بدر مكرهاً فأسر وافتدى نفسه، هاجر قبل فتح مكة وشهد الفتح وثبت يوم حنين، توفي سنة ٣٢، وعمره ٨٦ سنة رضي الله عنه. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٧٨/٢، والإصابة ٢٧١/٢.

[4] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢/ ٤٩.

وكإجارة المُطْعِم بن عَدِيّ [1] النبي صلى الله عليه وسلم عند عودته من الطائف [2].

وإجارة ابن الدُّغُنَّة [3] لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لما أراد الهجرة للحبشة[4].

وكذلك أجار الوليد بن المغيرة [5] عثمان بن مظعون رضي الله عنه [6].

وقد فرق الله تعالى في التعامل مع الفريقين في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.[7]

---

[1] المُطْعِم بن عَدِيّ بن نوفل بن عبد مناف من قريش، رئيس بني نوفل في الجاهلية وقائدهم في حرب الفِجَار، عمي في كبره ومات قبل غزوة بدر، روى الإمام البخاري (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى- يعني أسارى بدر- لتركتهم له))صحيح البخاري كتاب المغازي باب ١٣ (لم يترجم له) الخ ٢٠/٥، وانظر عيون الأثر ١٦٨/١، والأعلام: الزركلي ٢٥٢/٧.

[2] انظر عيون الأثر ١٦٩/١.

[3] واسمه مالك أخو بني الحرث بن بكر بن عبد مناة، وكان يومئذ سيد الأحابيش ويقال ابن الدغينة. انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٩٥/١، والروض الأنف ١٢٧/٢.

[4] ثم رد عليه جواره فيما بعد، انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٩٥/١.

[5] هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو عبد شمس، من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعمائهم، وكانت قريش تكسو البيت جميعها وكان الوليد يكسوه وحده، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، هو الذي جمع قريش على اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالسحر، مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه. بتصرف الأعلام: الزركلي ١٢٢/٨.

[6] هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب، أبو السائب، كان ممن حرم الخمر في الجاهلية، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، هاجر مع ابنه السائب إلى الحبشة، ثم رجع لما بلغه إسلام قريش ودخل في جوار الوليد ود عليه جواره بعد ذلك ورضي بما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفي بعد شهوده بدراً وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم رضي الله عنه . بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٩١/١، وسير أعلام النبلاء ١٥٣/١، والإصابة ٤٦٤/٢.

[7] سورة الممتحنة الآيتان ٨-٩.

المطلب الثاني: أثر موقف قريش من النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين على الدعوة الإسلامية:

ارتكزت عداوة قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين على أساس عقائدي محض، وحربها لهم لم تقم لحماية كيان أو أسرة أو قبيلة، لكنها قامت للقضاء على العقيدة التي وقفت لهدم الجاهلية بكل صورها وأشكالها، وإقامة الإسلام بدلا عنها[1]. قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[2].

وقد كان لموقفهم آثار ملموسة على الدعوة الإسلامية، بعضها سلبي وبعضها إيجابي، ويوضح ذلك الآتي:

<u>الآثار السلبية:</u>

أولاً: إعراض القبائل العربية عن الإسلام، وتأخر دخولها فيه:

كان لصدود قريش عن الدخول في الإسلام وتضييقها على المسلمين ، وامتحانهم بشتى أصناف الأذى والمحن، وتشويشها على غيرها من العرب فيما يتعلق بالدعوة الإسلامية، أثر في تأخر إسلام غيرها من القبائل، وذلك لما كان لها من مكانة عظيمة بين القبائل العربية ، التي دانت لها بالسيادة الدينية، والتي كانت تنتظر بإسلامها إسلام قريش[3]، فلما أراد الله تعالى الخير لأهل مكة فتحها لنبيه صلى الله عليه وسلم -كما سيأتي - وتبع ذلك دخول العرب في دين الله أفواجاً.

ثانياً: امتناع بعض الناس من الدخول في الإسلام خوفاً من ألسنة قريش:

تمسكت قريش بآلهتها ودينها بشدة، وسفَّهت من فارق دين آبائه وأجداده، وتأثَّر من الناس من تأثَّر برأيهم، و لم يُسْلم، كما حدث مع أبي طالب في مرض وفاته، حين قال

---

[1] بتصرف، مرويات غزوة بدر: أحمد محمد العليمي باوزير ص ٢٥٩، مكتبة طيبة ط: ١ ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠ م.

[2] سورة الصف آية ٨.

[3] بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١٤٠.

مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم- وقد طمع في إسلامه-: يا ابن أخي والله لولا مخافة السَّبَّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي ، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعا من الموت، لقلتها.[1]

ثالثاً: افتتان بعض المسلمين عن دينه تحت ضغوط المحنة والأذى:

اشتدت وطأة قريش على المسلمين ، تضطهدهم وتتفنن في أساليب تعذيبهم ، وتكويهم بنار الفتنة طوال العهد المكي ، وظل بعضهم تحت فتنة العذاب حتى تمكن من الإفلات بعد صلح الحديبية الميمون، وقد أدى ذلك إلى أن يتَضَعْضع بعض المسلمين أمام المحنة، و لم يطيقوا تحمل الأذى والاضطهاد ففتنوا عن دينهم وارتدوا ، ثم أنها سنحت لهم الفرصة للهجرة فهاجروا وعادوا إلى الإسلام والتحقوا بزمرة المجاهدين في سبيل الله[2]، وفيهم قال تعالى:﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ﴾[3].

ومنهم من كفر بلسانه ووافق المشركين مكرهاً، لما ناله من الأذى وقلبه مطمئن بالإيمان بالله ورسوله، ومنهم من شرح صدره بالكفر واطمأن به واستحب الحياة الدنيا على الآخرة[4]، وفي الصنفين قال تعالى:﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾[5].

---

[1] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢/٢٧.

[2] بتصرف، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، صور مقتبسة من القرآن الكريم ١/٢٧٥، وقد أفرد المؤلف مبحثاً بعنوان: (محنة الأذى والفتنة ونتائجها) ١/٢٥٨- ٣٠٥.

[3] سورة النحل آية ١١٠. ومما ذكر في سبب نزول هذه الآية: أن عدداً من الصحابة كان يعذب حتى لا يدري ما يقول منهم: صهيب الرومي وعمار بن ياسر وأبو فكيهة وعامر ابن فهيرة وبلال رضي الله عنهم أجمعين، وفيهم نزلت هذه الآية، انظر لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي ص ١٣٥، دار إحياء العلوم بيروت ط:٤، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

[4] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٤/٥٢٤.

[5] سورة النحل آية ١٠٦ .وقال الإمام الطبري: (أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر وقوم كانوا أسلموا، ففتنهم المشركون عن دينهم فثبت على الإسلام بعضهم، وافتتن بعض). جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري ١٤/١٨١. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ٣، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م.

الآثار الإيجابية:

أولاً: ظهور دين الحق على الرغم من معارضة قريش ومحاربتها له:

إن سنة الله تعالى في نصر المؤمنين لا تتخلف أبداً، لأنها إخبار من الله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ [1]، وهذا النصر لا يأتي عادة دون جهد عظيم يبذلونه، وتضحية يقدمونها في مدافعتهم لأهل الباطل، وأذى شديد يلحقهم، وبعض غلبة هؤلاء المبطلين عليهم، وهذا لا يتعارض مع سنة الله تعالى في نصر المؤمنين، لأن الأمور بخواتيمها وعاقبتها.

ولكن قد يتأخر النصر أحياناً ، لأن الله تعالى يريد لهم النصر الأكبر والأعظم والأدوم والأكثر تأثيراً في واقع الحياة، فنصر الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ولمن معه من المؤمنين، لم يحصل في يوم وليلة، ولا في سنة واحدة، وإنما تأخر- لحكمة يعلمها تعالى -فلم يحصل إلا بعد مضي أكثر مدة نبوته صلى الله عليه وسلم، وقد حصل هذا النصر بالغلبة والانتصار على قريش، وبفتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، ودخول الناس بسبب هذا النصر في دين الله أفواجاً[2].

ومن هذا النصر أن تجد أشد الناس عداوة للدعوة وللمسلمين، وقد أراد الله لهم الخير وهداهم للإسلام، تراهم قد انقلبت عداوتهم للإسلام جهاداً في سبيله والدعوة إليه، فتلقي مكة بأفلاذ كبدها -بعد صلح الحديبية- مسلمين ، فيسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد[3] وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم، ويدخل زعماء قريش في الإسلام بعد الفتح، وينضمون إلى ركب المجاهدين في سبيل الله، ويساهمون في ظهور دين الإسلام

---

[1] سورة غافر آية ٥١.

[2] بتصرف، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ص ٤٨- ٥١.

[3] هو سيف الله خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله القرشي المخزومي أبو سليمان، أحد أشراف قريش وكان إليه أعنة الخيل في الجاهلية، شهد مع كفار قريش حربهم ضد المسلمين في صلح الحديبية، ثم أسلم في مدة الصلح، شهد مؤتة وفيها سماه الرسول صلى الله عليه وسلم بسيف الله، شهد فتح مكة وأبلى فيه وشهد حنين والطائف ، وأبلى في قتال أهل الردة بلاءً عظيماً، ثم تولى حرب فارس والروم في عهد الصديق رضي الله عنه واستخدمه على الشام، ثم عزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، مات رضي الله عنه بمدينة حمص سنة ٢١ هـ . بتصرف، الاستيعاب ٤٠٥/١، وسير أعلام النبلاء ٣٦٦/١، والإصابة ٤١٣/١.

(ومن سنَّة الله أنَّه إذا أراد إظهار دينه، أقام من يعارضه، فيُحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)[1]، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2].

ثانياً: اكتساب الدعوة لمدافعين ومناصرين من المشركين:

مكة بيئة قبلية تتميز بالحميَّة، وبالنخوة العربية، التي تثور للمظلوم الذي يحتمل الأذى ولا يتراجع، وبخاصة إذا كان الأذى واقعا على كرام الناس منهم[3]،وقد تأثر بعض المشركين لما يلقاه المسلمون من اضطهاد ومعاناة، وناصروا المسلمين، وذلك مثل معارضة ابن الدُغُنَّة هجرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الحبشة وعرض جواره وحمايته عليه، وكان ذلك منه لفضل أبي بكر رضي الله عنه وكرم أخلاقه.

كما كان غضب حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه[4] إظهاراً لمكنون إيمانه، وحمية لابن أخيه، حين مرّ أبو جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم عند الصفا، فآذاه وشتمه، وبلغ ذلك حمزة رضي الله عنه، فاحتمله الغضب ،وخرج يسعى إلى أبي جهل وشجَّه في رأسه شجَّةً منكرة، ثم قال: أتشتمه؟ فأنا على دينه أقول ما يقول، فرُد ذلك عليَّ إن استطعت[5].

---

[1] فتاوى شيخ الإسلام: أحمد ابن تيمية ٥٧/٢٨، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، ط: ١، ١٣٩٨ هـ.

[2] سورة الصف آية ٩.

[3] بتصرف، في ظلال القرآن ٧١٤/٢.

[4] سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أسد الله أبو عمارة، عم الرسول صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة، أسلم في السنة الثانية من البعثة، ونصر الرسول صلى الله عليه وسلم ومنعه من قريش، آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة رضي الله عنه ثم أرسله في أول سرية وعقد له أول لواء في الإسلام، قتل شهيداً في غزوة أحد ومُثِّل به رضي الله عنه. بتصرف، الاستيعاب ٢٧١/١، وسير أعلام النبلاء ١٧١/١، والإصابة ٣٥٣/١.

[5] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١/ ٣١٢.

بل أن بعضهم قد يكون عونا للمسلمين في بلوغهم مطلبهم، كما فعل عثمان ابن طلحة رضي الله عنه [1] في مرافقته لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها[2] في هجرتها إلى المدينة – وكان آنذاك مشركا–حتى أوصلها إلى مشارف المدينة[3].

ولما صدت قريش المسلمين عن الحرم في غزوة الحديبية، وأرسلت قريش الحُلَيْس بن عَلْقَمة[4] سيد الأحَابِيش[5]، استعظم ذلك، وقال لهم: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيُصد عن بيت الله من جاء معظماً له، والذي نفس الحُليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا له: مه، كف عنا يا حُليس حتى نأخذ لنفسنا ما نرضى به [6].

---

[1] هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة القرشي العبدري، حاجب البيت الحرام، قتل أبوه وعمه يوم أحد كافرين، أسلم في هدنة الحديبية وهاجر مع خالد بن الوليد رضي الله عنه، شهد الفتح مع النبي صلى الله عليه وسلم وسلمه مفاتيح الكعبة، توفي سنة ٤٢ هـ رضي الله عنه. بتصرف، الاستيعاب ٩٢/٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/٣، والإصابة ٤٦٠/٢.

[2] هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومية القرشية، كان أبوها يلقب بزاد الركب لكرمه في السفر، كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم عند أخيه من الرضاعة أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وهاجرت معه الهجرتين، ماتت سنة ٦١ هـ وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن. بتصرف، الاستيعاب ٤٢١/٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠١/٢، والإصابة ٤٢٣/٤.

[3] وكان زوجها قد تهيأ للهجرة بها وبابنه سلمة رضي الله عنهم، فقام إليه قومها فمنعوه من السفر بها، وغضب قومه لذلك فنزعوا منها صغيرها، وهاجر زوجها ففُرق بينها وبين زوجها وبين ابنها، فمكثت سنة تخرج كل يوم تبكي، حتى رق لها بعض قومها وسمحوا لها باللحاق بزوجها فخرجت تريد السفر وهي وحيدة ، فلقيها عثمان بن طلحة –وهو مشرك– فرافقها في سفرها حتى أوصلها المدينة، فكانت تقول رضي الله عنها: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحبا قط أكرم من عثمان بن طلحة. بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢/ ٧٧.

[4]الحليس بن علقمة الحارثي سيد الأحابيش ورئيسهم يوم أحد، لم يذكر أنه أسلم، كان أعرابيا، وهو الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديبية:((هذا من قوم يعظمون البدن)). بتصرف، الأعلام: الزركلي ٢٧٠/٢.

[5] الأحابيش هم أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً، والتحبيش: التجميع، وقيل: تحالفت قريش وبنو الحرث ابن عبد مناف بن كنانة وعضل والقارة على بني ليث بن بكر، فسموا يومئذ الأحابيش، وكان بنو عبد المطلب هم الذين عقدوا حلف الأحابيش. بتصرف، تفسير غريب الحديث للحافظ ابن حجر ص ٩، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ط: بدون. وقال ابن هشام: تحالفوا جميعاً فسموا الأحابيش لأنهم تحالفوا بواد يقال له: الأحابيش، أسفل مكة. انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ٣٩٥/١.

[6] سيأتي مبحث خاص بصلح الحديبية انظر ص ٣٧.

وهناك كثير من النفوس تبدو في ظاهر الأمر من أعمدة الحكم الجاهلي، قد تَملِك في أعماقها رفضاً لهذا الظلم والبغي، وتستغل الفرصة السانحة لمواجهته، وواجب الدعوة إلى الله، أن ترصد هذه النوعيات، وتنفذ إلى أعماقها، وتفضح الحقد الذي يحرك خصومها، فقد تستطيع من خلالها أن تهيئ للدعاة إلى الله وللدعوة أمناً وحرية وقوة[1].

ثالثاً: ظهور التخلخل في صفوف المشركين:

لقد واجه المسلمون المشركين بصفوف متراصة قوية، فقد كانوا على قلب رجل واحد، بينما كانت صفوف المشركين متخلخلة ضعيفة، وتباينت مواقفهم من الدعوة الإسلامية، وذلك لتفاوت دوافعهم في حرب الرسول صلى الله عليه وسلم، وحصل شيء من الخلاف بين قادة المشركين وأفرادهم، في بعض معاركهم مع المسلمين، مما أوهن عزائمهم وأضعف قوتهم، وقَوّى الشك في نفوسهم ضد الأهداف والدوافع التي يقاتلون من أجلها.

وقد ظهر ذلك جلياً في غزوة بدر [2]، لما رجع الأخنس بن شريق ببني زهرة جميعا ، فلم يشهدوا المعركة ، وذلك لعدم اقتناعهم بسبب القتال[3] . وكان في جيش قريش طالب بن أبي طالب ، فجرى بينه وبين بعض قريش محاورة، فقالوا له: والله لقد علمنا يا بني هاشم، وإن خرجتم معنا، أن هواكم لمع محمد، فرجع طالب مكة مع من رجع.[4]

هنا وفي الغزوة ذاتها، حاول حكيم بن حزام [5] و عتبة بن ربيعة [1]، أن يثنيا الجيش عن القتال، ويعودوا به إلى مكة، وقام عتبة خطيبا فقال: يا

---

[1] بتصرف، فقه السيرة النبوية: منير غضبان ص ١٨٥.

[2] انظر التاريخ الإسلامي، قبل البعثة والسيرة: محمود شاكر ٢٠١/١، المكتب الإسلامي، ط:٤، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

[3] لأن العير التي خرجوا لاستنقاذها قد نجت ، وقد كان الأخنس حليفا لهم فقال: يا بني زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ولا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة، فرجعوا ولم يشهد بدر زهري واحد، بتصرف، عيون الأثر ٣٠١/١.

[4] انظر عيون الأثر ٣٠٢/١.

[5] حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن أخي خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، أبو خالد ، حكي أنه ولد في جوف الكعبة، من سادات قريش وكان صديقاً للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، تأخر إسلامه إلى يوم الفتح، كان من المؤلفة وحسن إسلامه، شهد بدرا فنجاه الله تعالى فكان إذا اجتهد في اليمين، قال:

معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله، أو رجلا من عشيرته، فارجعوا وخلّوا بين محمد وسائر العرب، فان أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم و لم تعرّضوا له ما تريدون.[٢]إلا أن أبا جهل أثار الحمية في نفوس المشركين، فصمموا على القتال .

وإن من المعلوم (أن من عوامل الانتصار لأي فريق أن يدب الخلاف في صفوف الفريق المقابل، فتتزعزع جبهته الداخلية، وتتفرق كلمته، فيصبح خائر القوى، يمكن تحقيق النصر على حسابه، وهذا الذي كان وهو من فضل الله على المسلمين في بدر).[٣]

وقد حذر الله تعالى المؤمنين من التنازع وتفرق الكلمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[٤].

رابعاً: إعداد قادة ودعاة مؤهلين لحمل الدعوة الإسلامية، يبذلون في سبيلها النفس والنفيس:

أنتجت عداوة قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ولدعوة الإسلام جيلاً قوياً من الصحابة، يتولى الله ورسوله والمؤمنين، ويبذل النفس والنفيس لنصرة دين الله، يحارب الكفار ويعاديهم، ويلتمس الفرص لجهادهم ، بسبب صدهم عن الحق، وأذاهم للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، ويرفع لواء الموالاة لله ولرسوله وللمؤمنين، والبغض والمعاداة للكافرين، يوضح ذلك دعاء سعد بن معاذ رضي الله عنه: (اللهم إنك تعلم أنه

والذي نجاني يوم بدر، مات رضي الله عنه سنة ٥٠ هـ وقيل غير ذلك، وعمره ١٢٠ سنة شطرها في الجاهلية وشطرها في الإسلام. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٤٤/٣، والإصابة ٣٤٩/١.

[١] هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أبو الوليد ، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية، كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل خطيباً نافذ القول، توسط بين الفريقين في حرب الفجار وانقضت الحرب على يده، قاتل مع المشركين يوم بدر قتالاً شديداً وقتل فيها. بتصرف، الأعلام: الزركلي ٢٠٠/٤.

[٢] بتصرف، المصنف: ابن أبي شيبة ٣٦١/١٤ ح ١٨٥٢٥، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٦٣/٢.

[٣] مرويات غزوة بدر ص ١٥٠.

[٤] سورة الأنفال آية ٤٦.

ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم كذّبوا رسولك وأخرجوه، اللهم فإني أظنّ أنك وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء، فأبقني له حتى أجاهدهم فيك..)[1]

ولما أسلم ثمامة ابن أثال[2] رضي الله عنه، وقدم إلى مكة معتمرا، (قال له قائل: أصبوت؟ قال: لا ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله! لا يأتيكم من اليمامة حبّة حنطة، حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم)[3].

ولقد تحمل المسلمون من المشركين أشد أنواع الأذى والابتلاء المادي والمعنوي، وقد كان لتحملهم وصبرهم وكفاحهم أعظم الآثار في انتشار الإسلام، ونجاح الدعوة، بعد أن علَّمهم إيمانهم القوي وعقيدتهم الثابتة، اقتضاء حكمة الله تعالى امتحان النفوس وابتلاءها، ليظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ولتقوية تلك النفوس على القيام بأمر الدعوة وواجباتها، فكان ما أصابهم من الأذى والمشقة تمحيصاً لإيمانهم ودافعاً لهم إلى التضحية والجهاد في سبيل الدعوة ونشرها[4].

---

[1] صحيح البخاري كتاب المغازي باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ٥/٥١، وتتمه الحديث(..وإن كنت وضعت الحرب فافجرها، واجعل موتي فيها، فانفجرت من لبَّته ، فلم يرُعهم–وفي المسجد خيمة من بني غفار– إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟، فإذا سعد يغذو جرحه دماً فمات منه رضي الله عنه)، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير باب جواز قتال من نقض العهد ٣/١٣٩٠ ح ١٧٦٩. ولبَّته: هي موضع القلادة من الصدر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الإمام الحافظ لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧/٤١٢ ح ٤١٢٢، تصحيح وتحقيق وإشراف ومقابلة: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط: بدون.

[2] هو ثمامة بن أثال بن النعمان سيد أهل اليمامة، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث خيلاً قبل نجد فأسروه وربط بسارية من سواري المسجد، ثم أطلقه النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق فاغتسل ثم دخل المسجد وأسلم، ثبت على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه، فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي وقاتل معه المرتدين من أهل البحرين ، فلما ظفر اشترى حُلّة كانت لكبيرهم فرآها عليه ناس من بني قيس فظنوا أنه هو الذي قتله وسلبه، فقتلوه رضي الله عنه. بتصرف، الاستيعاب ١/٢٠٣، والإصابة ١/٢٠٣.

[3] صحيح البخاري كتاب المغازي باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة ابن أثال ٥/ ١١٧، وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه ح ١٧٦٤.

[4] بتصرف، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد المدني: عبد الله محمد آل موسى ص ٣٣٨ ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع الرياض ط: ١، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.

وكانت هذه الروح المعنوية العالية عند المؤمنين، تهوّن عليهم الشدائد، وتمدهم بالصبر والثبات في الأزمات، وبهذا الولاء للمسلمين وحبهم والبراء من المشركين وبغضهم، فتح الصحابة البلاد، ونشروا دين الله في أنحاء الأرض.

خامساً: إيجاد قواعد للدعوة خارج مكة:

على الرغم من موقف قريش العدواني من الدعوة الإسلامية، فإنها لم تتوقف أبداً، ولم يستطع موقفهم العدائي أن يحول دون تبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم لرسالة ربه، ولم يثن الصحابة عن دينهم أو عن نصرة رسولهم والجهاد معه، بل أنّ تكذيب قريش وصدّهم عن سبيل الله، كان سببا لعرض الرسول نفسه على القبائل، بحثا عمن يحميه وينصره ليبلغ الدعوة.

ولما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه، سخّر له رهط الخزرج، الذين صدقوه وآمنوا بدعوته، وحملوها إلى قومهم، فدخلوا في الإسلام[1]، وكسبت الدعوة الكثير من المؤمنين والمدافعين عنها، وكانت المدينة هي القاعدة التي آوى إليها النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون، ومنها انطلق الدعاة حاملين دعوة الإسلام، وفيها عقدت ألوية الجيوش الإسلامية.

وقبل ذلك كان أذى قريش دافعاً لهجرة المسلمين إلى الحبشة، وسببا في تمكين المسلمين من تبليغ رسالة الإسلام خارج جزيرة العرب، فهذا جعفر بن أبي طالب[2] رضي الله عنه يقف في بلاط النجاشي، ويشرح أصول الإسلام للنجاشي وبطارقته، وذلك لما حاولت قريش إعادة المهاجرين إلى مكة.[3]

---

[1] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٨/٢.

[2] هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وأحد السابقين للإسلام، أسلم بعد ٢٥ رجلاً، آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاذ بن جبل رضي الله عنه ، كان يحب المساكين ويجلس إليهم يخدمهم ويخدمونه، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((اشبهت خَلقي وخُلقي)) هاجر إلى الحبشة وأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه، استشهد في معركة مؤتة وعمره ٤٠ سنة رضي الله عنه .بتصرف، سير أعلام النبلاء ٢٠٦/١، والإصابة ٢٣٧/١.

[3] سبق ذكر ذلك ص ١٦.

وقد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، عشرون رجلا من نصارى الحبشة لما بلغهم خبره، فكلموه وسألوه، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه، ويقال: إنه نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.[1]

سادساً: تنوع أساليب الدعوة ووسائلها تبعاً لمراحل الدعوة:

لما اصطفى الله تعالى نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم، (وأنزل عليه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾.[2]،شمّر عليه الصلاة والسلام عن ساق الجد لحمل أمانة الدعوة، وقام في ذات الله أتم قيام، ودعا إلى الله ليلا ونهارا، وسرا وجهارا، ولما نزل عليه قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ ﴾[3] صدع بأمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم)[4] .

وخاض النبي صلى الله عليه وسلم مع صحابته معارك قاسية لتبليغ الرسالة، استمرّت سنين طويلة، ولم يكن جهادهم مع قريش كله جهاد حرب وقتال، بل كان ابتداء جهاد دعوة ومجاهدة وقد تميزت الدعوة في العهد المكي بالحكمة وضبط النفس والصبر على الأذى، والكف عن القتال، مع الصدع بكلمة الحق، والجهر بالدعوة بالحجة والبيان.

وبعد هجرة المسلمين لتكوين نواة الدولة الإسلامية الأولى في المدينة، شُرع الجهاد بالسيف لإعلاء كلمة الله، فتميزت الدعوة في العهد المدني –وإن كانت مبنية على بعض الأسس السابقة– بانطلاق جيوش المسلمين يجاهدون في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، وبإرسال الرسل، لنشر دعوة الإسلام داخل جزيرة العرب وخارجها.

---

[1] سورة القصص من آية ٥٢ إلى آية ٥٥، وانظر سبب نزول الآيات في تفسير القرآن العظيم ٦/٢٥٥.

[2] سورة المدثر الآيات ١– ٧.

[3] سورة الحجر آية ٩٤.

[4] زاد المعاد ٣/١٢.

المبحث الثاني: صلح الحديبية وأثره في انتشار الدعوة الإسلامية.

توطئة:

بعد أن أنزل الله نصره على المؤمنين في غزوة الخندق، وهزم الأحزاب وعادوا وهم يجرون أذيال الخيبة، قال النبي صلى الله عليه وسلم :((الآن نغزوهم ولا يغزونا))[1] مقرراً بذلك بداية مرحلة جديدة، أخذ المسلمون فيها زمام المبادرة من قريش، وتحولوا من الدفاع إلى الهجوم، ومن مركز القوة، قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم التوجه إلى مكة المكرمة لأداء العمرة مع أصحابه، مبيِّنا للقرشيين أن مكة والبيت الحرام ليست حكراً للوثنية، تسيطر عليها، فتسمح بدخولها لمن تشاء وتمنع من تشاء، بل إن المسلمين أحق وأجدر بالدخول للحرم الآمن، والقيام بشعائرهم المبنية على التوحيد الخالص لله[2].

ونتج عن ذلك معاهدة بين المسلمين والمشركين، سميت (صلح الحديبية)، وينتظم هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: أحداث صلح الحديبية.

المطلب الثاني: أثر صلح الحديبية على الدعوة الإسلامية وانتشارها.

---

[1] صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الخندق ٤٩/٥.

[2] بتصرف، دراسة في السيرة: د. عماد الدين خليل ص ٢٢٣، مؤسسة الرسالة بيروت، ط:٦، ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ م.

المطلب الأول: أحداث صلح الحديبية.

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى في المنام أنه دخل مكة مع المسلمين[1] محرماً معتمراً، فبشَّر بها أصحابه وفرحوا بها فرحاً شديداً، وقد اشتاقت نفوسهم إلى زيارة البيت العتيق والطواف به، وتطلعوا إلى الرجوع لمكة بعد هجرتهم منها لأكثر من ست سنوات مضت.[2]

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم قاصداً مكة في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، [3]واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا أن يعرضوا له بحرب أو يصدُّوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب[4]، وتخاذلوا عنه وتعلَّلوا بشتَّى الأعذار الكاذبة وهابوا قريشاً (وقالوا: أنذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم، وتعلَّلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم)[5].

وأحرم النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة، ليعلم الناس أنه خرج إلى مكة زائراً للبيت ومعظماً له، وساق معه الهَدْي سبعين بدنة، ومضى إلى مكة ومعه ألف وأربعمائة

---

[1] ذكر الشيخ حافظ بن محمد عبد الله الحكمي في رسالته(مرويات غزوة الحديبية) ما يثبت حصول هذه الرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم، انظر ص ٢٢. مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: بدون.

[2] انظر فقه السيرة: محمد الغزالي ص ٢٤٨. وفقه السيرة: منير الغضبان ص ٥٠٦. ودراسة في السيرة ص ٢٢٣، وصلح الحديبية وأثره في نشر الدعوة الإسلامية: الأستاذ سِلْمِي بن سلمان الحسيني وهو بحث ماجستير مقدم للمعهد العالي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة، عام ١٤٠٥ هـ-١٤٠٥، غير مطبوع.

[3] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٥٣٣، وزاد المعاد ٢٨٦/٣.

[4] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام ٢٥٦/٣.

[5] السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، إنسان العيون: علي بن برهان الدين الحلبي ٦٨٩/٢، بيروت لبنان، ط: بدون، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠ م. ففضحهم الله تعالى فيما بعد وأنزل فيهم قوله تعالى:﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ سورة الفتح الآيتان ١١-١٢.

أو أكثر من أصحابه[1]،وهم يشعرون بالعزة والقوة ،و إنه لمن عظيم الثقة بالله أن يذهب الرسول صلى الله عليه وسلم ويواجه قريشاً في عقر دارها بهذا العدد القليل، والحرب لا زالت قائمة بين الفريقين، وقريش لم تنس بعد غزوها للمدينة بعشرة آلاف من الأحزاب[2]،علاوة على عدم تهيؤ المسلمين للقتال وعدم أخذهم للسلاح، فقد خرجوا لا يحملون معهم منه إلا السيوف في القرب[3].

موقف قريش من المسلمين:

شاع بين العرب نبأ خروج النبي صلى الله عليه وسلم للعمرة، وعلمت به قريش وفزعت من ذلك، ورأت أنَّ في ذلك تحدياً سافراً لها، ومسَّاً لمكانتها بين القبائل، حين يدخل من تحاربه إلى بلدها ويتمتع بحمايتها له في الحرم، فعزمت على صدّ الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه عن البيت، وعاهدت الله أن لا يدخلها عليهم أبدا، وخرجت عن بكرة أبيها واستنفرت حلفاءها من الأحابيش، وقدمت خيلها بقيادة خالد بن الوليد إلى كراع الغميم[4]لمنع الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين من دخول مكة بقوة السلاح[5].

وقد روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أحرم بالعمرة(بعث عينا له من خزاعة[6]، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان

---

[1] كما رجح ذلك الإمام النووي، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢/١٣، وتابعه الحافظ ابن حجر، انظر فتح الباري ٤٤٠/٧ ح ٤١٤٧. وقد بسط المسألة الشيخ حافظ الحكمي في مرويات غزوة الحديبية من ص ٣٩- ٥٣.

[2] وقد كانت غزوة الخندق في شوال من سنة خمس للهجرة، كما جاء في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٢٩/٣.

[3] انظر السيرة الحلبية ٦٨٩/٢.

[4] موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة، وهو واد أمام عُسْفان بثمانية أميال، وهذا الكراع جبل أسود في طرف الحرة يمتد إليه. بتصرف، معجم البلدان ٤٤٣/٤.

[5] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٥٦/٣.

[6] خزاعة قبيلة غلبت على مكة، وحكمت فيها، ثم أخرجت منها فصارت في ظاهرها، وكان بينهم وبين بني بكر عداوة في الجاهلية، وكانوا حلفاء بني هاشم بن عبد مناف إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان بنو بكر حلفاء قريش. بتصرف، فتح الباري ١٠٦/١٢ ح ٦٨٨٠.

بغدير الأشطاط[1]،أتاه عينه وقال: أن قريشا جمعوا لك جموعاً، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك)[2].

فأبدى الرسول صلى الله عليه وسلم استعداده للمواجهة أمام تعنت قريش ، وأراد أن يشد من عزيمة أصحابه، ويثير الحمية الدينية في نفوسهم، ليتجاوز بهم مرحلة الخوف والضعف، فاستشارهم في مهاجمة ومقاتلة من صدهم عن البيت، كما روى الإمام البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((أشيروا أيها الناس علي، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا من المشركين، وإلا تركناهم محروبين)). قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد، ولا حرب أحد، فتوجه له فمن صدّنا عنه قاتلناه. قال :((امضوا على اسم الله))[3].

بذلك يتبين عزم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين على المضي نحو غايتهم، وهي زيارة البيت العتيق، وأنهم مستعدون للصدام إذا ما ألجأهم قريش إلى ذلك بإصرارها على منعهم من دخول الحرم[4].

وأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يثبت لقريش أنه لم يقدم لحربهم، فعدل عن طريق مواجهتهم، ليعرفوا حقيقة قصده في الموادعة وتأمين الناس، وحقناً للدماء أن تسال، فسلك طريقاً وعراً بين الشِّعاب، أفضى بجيش المسلمين إلى الحديبية[5]، ورأى هنالك خالد بن الوليد رضي الله عنه –ولم يسلم بعد– غبار الجيش فانطلق لينذر قريشاً اقتراب المسلمين من مكة. روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: (أن المسلمين لما كانوا

---

[1] موضع قريب من عُسْفان. معجم البلدان ١٩٨/١.

[2] كتاب المغازي، باب صلح الحديبية ٦٧/٥.

[3] المرجع السابق ، الصفحة ذاتها.

[4] بتصرف، صلح الحديبية: محمد أحمد باشميل ص ١٤٦ دار الفكر ط: ٣، ١٣٩٣ هـ-١٩٧٣ م.

[5] هي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها، وقيل سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع، وهي على ٢٢ كيلا غرب مكة على طريق جدة، وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم. انظر معجم البلدان ٢٢٩/٢، والروض الأنف ٣٣/٤. ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: المقدم عاتق بن غيث البلادي ص ٩٤، دار مكة للنشر والتوزيع، ط: ١ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

ببعض الطريق، قال النبي صلى الله عليه وسلم إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة[١]، فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقَتَرة[٢] الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت به راحلته، فقال الناس: حَلْ حلْ ، فألَّحت[٣]، قالوا: خلأت القصواء[٤] ،خلأت القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:((ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، لكن حبسها حابس الفيل[٥]))[٦] .

وهنا ظهر حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعظيم حرمات الله ،وترك القتال في الحرم ،وحقن الدماء أن تسفك في الشهر الحرام، فأعلن استعداده للتفاوض مع قريش ، والموافقة في سبيل ذلك إلى أبعد الحدود، فقال صلى الله عليه وسلم :((والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها))[٧]، ونزل المسلمون بعسكرهم في الحديبية، منتظرين ما تؤول إليه الأمور.

وبينما هم كذلك، جاءهم بُدَيْل بن وَرْقاء الخزاعي[٨] رضي الله عنه –وذلك قبل إسلامه–،فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن تصميم قريش على صدهم عن البيت

---

[١] الطليعة: جمعها طلائع: هم القوم الذين يبعثون ليطلعوا طِلْع العدو كالجواسيس. وهي مقدمة الجيش، النهاية في غريب الحديث ١٣٣/٣، وفتح الباري ٣٣٥/٥ ح ٢٧٣١.

[٢] القترة : الغبار الأسود، فتح الباري ٣٣٥/٥.

[٣] حل حل: زجر للناقة إذا حثثتها على السير. النهاية ٤٣٣/١. وألحت: أي لزمت مكانها وتمادت على عدم القيام. النهاية في غريب الحديث ٢٣٦/٤، وفتح الباري ٣٣٥/٥.

[٤] خلأت: الخلاء للنوق كالإحاح للجمال .النهاية ٥٨/٢، والقصواء: اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم. فتح الباري ٣٣٥/٥.

[٥] أي حبسها الله عن دخول مكة، كما حبس الفيل عن دخولها ، لأنهم لو دخلوها على تلك الهيئة وصدهم قريش عن ذلك، لوقع بينهم ما يفضي إلى سفك الدماء، ونهب الأموال، ولكن سبق في علم الله أنه يدخل في الإسلام منهم جمع عظيم. بتصرف، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا ٩٦/٢١، دار الحديث القاهرة ط: بدون تاريخ.

[٦] كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط ١٧٨/٣.

[٧] المرجع السابق ، نفس الصفحة.

[٨] بديل بن ورقاء بن عمرو بن عبد العزى الخزاعي، وكان إسلامه قبل الفتح ، وقيل يوم الفتح، ولجأت خزاعة إلى داره، قيل: إنه رضي الله عنه قتل بصفين وقيل: مات قبل النبي صلى الله عليه وسلم .بتصرف، الاستيعاب

ومقاتلتهم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:((إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نَهَكتْهم[1] الحرب ، وأضرَّت بهم، فإن شاؤا مادَدْتهم[2] مدَّة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جمُّوا[3]، وإن هم أبَوا فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنَّهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي[4]،ولينفذنَّ الله أمره)). [5]

وكان هذا بياناً من الرسول صلى الله عليه وسلم عن سبب قدومه وتصريحا منه برغبته في السلم، وقد كان في بيانه هذا في قمة الإنصاف والعدل، فقد كان يود لو أن قريشاً خلت بينه وبين الناس، ليبلغ دعوة الإسلام، وأن يبتعدوا عن طريقها ليوصلها إلى القبائل التي صدتهم قريش عن السماع والاستجابة لها، بما لها من مكانة عظيمة في نفوس العرب، حتى يقضي الله ما يشاء، فيستريحوا من مشقة قتاله، ولا يلحقهم من ذلك ضرر.

ثم يصرح باستعداده لقتال من وقف واعترض طريق دعوة الإسلام، وأن رغبته التي يعرضها في سبيل الصلح ليست عن خور أو جبن وضعف، بل هو ماض في تبليغ رسالة ربه حتى يتم الله أمره .

المفاوضات بين المسلمين والمشركين:

رجع بُديل ومن معه إلى قريش وأبلغوها مقالة النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنه إنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمته، فازدادت قريش صلفاً وعناداً واتهموا بُديل وصحبه بالتحيز للمسلمين، وخاطبوهم بما يكرهون، وأصرُّوا على تعنتهم قائلين:(وإن كان جاء لا يريد قتالا، فوالله لا يدخلوا علينا عنوة أبدا، ولا تحدث بذلك عنا العرب)[6].

وحقيقة الأمر أن قريشا كانت أمام خيارات ثلاث:

١٦٥/١، والإصابة ١٤١/١.

[1] أي أبلغت فيهم حتى أضعفتهم. فتح الباري ٣٣٨/٥ ح ٢٧٣١.

[2] أي جعلت بيني وبينهم مدة يترك الحرب بيننا وبينهم فيها. المرجع السابق الصفحة نفسها.

[3] أي استراحوا وكثروا. النهاية في غريب الحديث ٣٠١/١.

[4] السالفة: هي صفحة العنق وهي كناية عن الموت النهاية في غريب الحديث ٣٩٠/٢، وفتح الباري٣٣٨/٥.

[5] صحيح البخاري، كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط ١٧٩/٣.

[6] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٣٦١.

الأول : أن تصد المسلمين عن دخول مكة، وتمنعهم من أداء العمرة، وفي هذا حطٌ من شرفها، إذ كيف تصدُّ من جاء معظماً للبيت الحرام، وهذا سيثير حفيظة العرب ضدها.

الثاني :أن تسمح للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بدخول مكة، وفي هذا أيضا حطٌ من كبريائها وكرامتها، إذ كيف يدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في حالة حرب معه، وبينهم ما بينهم من الدماء، بل ويتمتع بحمايتهم له في الحرم.

الثالث : أن تعرض على الرسول صلى الله عليه وسلم الرجوع، دون أن يدخل مكة، وتبعث لذلك رجالاً يستطلعون خبره، ويثنون من عزمه[1]، خاصة بعد أن تأكد لديها أن قدومه لم يكن لحربها بل لأداء العمرة، وبعد أن حمل لهم بُديل بن ورقاء عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبلغهم إياه.

وارتأت قريش الأمر الأخير وبدأت في إرسال مبعوثيها واحدا تلو الآخر[2]، فأرسلوا عروة بن مسعود الثقفي[3] رضي الله عنه –ولم يسلم بعد–، وذهب إلى معسكر المسلمين، وحاول تخذيل النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:(أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت أحدا من العرب اجتاح أهله قبلك، وإن تكن الأخرى فإني والله لا أرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك)[4] .وهناك رأى عروة إجلال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعظيمهم وطاعتهم له في كل ما يأمر به، فرجع إلى قريش ونقل لهم هذه الصورة بتعجب فقال لهم:(أي قوم والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه

---

[1] بتصرف، دراسة في السيرة: عماد الدين خليل ص ٢٢٥ ،وصلح الحديبية: سلمي بن سلمان الحسيني ص ٣٨، وقراءة جديدة للسيرة النبوية: الدكتور محمد رواس قلعه جي ص ٢٩٧، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع الكويت، ط: ٢ ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م.

[2] اختلف ترتيب رسل قريش للمسلمين، تبعا لتعدد الروايات، والتزمت بالترتيب الوارد في رواية الإمام البخاري.

[3] هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن عمرو الثقفي، عم والد المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، كان أحد أكابر قومه وقيل هو المراد بقوله تعالى:﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ أسهم في تقرير صلح الحديبية، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة الطائف فأسلم واستأذنه أن يرجع إلى قومه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أخاف أن يقتلوك، فرجع ودعاهم للإسلام فرماه أحدهم بسهم فقتله فرأى أن دمه كرامة أكرمه الله بها وشهادة سيقت إليه رضي الله عنه. بتصرف، الإصابة ٤٧٧/٢، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٩٤/٤.

[4] صحيح البخاري كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط ١٧٩/٣.

أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا ... وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها)[1]، فلم يشف قوله صدور قريش، وأزعجها أن ترسل رسولها ليخذل عنها الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا به يرجع إليها وقد امتلأت نفسه هيبة وإعجابا به وبأصحابه، ثم يشير عليهم بما يكرهون ويخذلهم هم أنفسهم.

ثم بعثت قريش بعده الحُلَيْس بن علقمة، سيد الأحابيش(فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له، واستقبله الناس يلبون)[2]،وهذا يدل على حكمته صلى الله عليه وسلم، فقد أدى هذا التصرف منه إلى عودة الرجل قبل أن يصل إلى المسلمين، وإعلانه تأييد النبي صلى الله عليه وسلم، بل ونصرته إذا منعته قريش وصدته عن الحرم، فقال –وقد تبين له ظلم قريش وعدوانها–مغضباً:(يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيُصد عن بيت الله من جاء معظماً له، والذي نفس الحُليس بيده، لتخلنَّ بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرنَّ بالأحابيش نفرة رجل واحد[3]).

وكذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم سفراء له إلى قريش ليبلغوهم مقصد النبي صلى الله عليه وسلم من القدوم، فبعث أولاً خِرَاش بن أمية الخزاعي[4] رضي الله عنه، وحمله على جملٍ له فلما دخل مكة عقرت به قريش، و أرادوا قتله فمنعهم الأحابيش من ذلك حتى أتى الرسول صلى الله عليه وسلم[5] .

وأراد أن يرسل عمر بن الخطاب[6] رضي الله عنه، ثم عدل عنه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما تبين شدة عمر وعداوته لقريش، وأن بني عدي لا يحمونه فأرسل

---

[1] المرجع السابق ٣/١٨٠.

[2] المرجع السابق نفس الصفحة.

[3] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/٣٦١.

[4] هو خراش بن أمية بن ربيعة بن الفضل الخزاعي ثم الكلبي، أبو نضلة ، شهد المريسيع والحديبية وحلق رأس النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وفي العمرة التي تليها، توفي في آخر خلافة معاوية. بتصرف، الاستيعاب ١/٤٢٧، والإصابة ١/٤٢١.

[5] انظر الحديث الطويل الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما ٤/٣٢٣. وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/٣٦٣.

[6] هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين، قيل ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وكانت إليه السفارة في الجاهلية، كان عند المبعث شديداً على المسلمين، ثم أسلم فكان إسلامه

النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان[1] رضي الله عنه إلى مكة، وقد علم علو مكانته في قريش ،فانطلق حتى أتى أبا سفيان و عظماء قريش فبلغهم رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمحوا له بالطواف بالبيت فأبى حتى يطوف الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم احتبست قريش عثمان رضي الله عنه عندها، فشاع بين المسلمين أنهم قتلوه، وقد ذكر ابن إسحاق أن الرسول صلى الله عليه وسلم – حين بلغه أن عثمان قتل – قال: ((لا نبرح حتى نناجز القوم)). فدعى الرسول صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة[2]، وهي البيعة التي أعلمه الله رضاه عن أصحابها، وأثنى عليهم في قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[3].

وتتابع الصحابة يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم على الثبات وعدم الفرار وأثنى عليهم صلى الله عليه وسلم بقوله: ((أنتم خير أهل الأرض))[4].

لقد بذل النبي صلى الله عليه وسلم ما في وسعه لمنع نشوب الحرب بينه وبين قريش، و عرض خطة السلام للوسطاء الذين بعثتهم قريش ،ثم بعثها مع رسله إلى زعمائهم، و لم يقرر شنَّ الحرب على قريش، ومناجزة المشركين، إلا حين شاع خبر مقتل عثمان رضي الله عنه.

وشعر القرشيون بالحرج الشديد من موقفهم، وخافوا من زحف النبي صلى الله عليه وسلم على مكة، فأرسلوا من يصالح المسلمين، واشترطوا أول بند في الصلح ، أن يرجع

فتحا عليهم، قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم :((اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام)). وكان أحبهما إلى الله عمر، من أوائل المهاجرين إلى المدينة وشهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتوفي وهو عنه راض ، وفي عهده فتحت الشام والعراق ومصر، قتله أبو لؤلؤة المجوسي سنة ٢٣ هـ رضي الله عنه . بتصرف، الاستيعاب ٤٥٨/٢، والإصابة ٥١٨/٢.

[1] عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، ذي النورين، ثالث الخلفاء الراشدين ، ولد بعد الفيل بست سنين، أسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أول من هاجر إلى الحبشة مع زوجه رقية رضي الله عنها، كان كثير الإنفاق في سبيل الله ، تولى الخلافة سنة ٢٤ هـ وقتل سنة ٣٥ هـ وعمره ٨٢ سنة وانفتح بموته باب الفتنة رضي الله عنه . بتصرف، الإصابة ٤٦٢/٣.

[2] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٦٤/٣.

[3] سورة الفتح آية ١٨.

[4] صحيح الإمام البخاري كتاب المغازي باب غزوة الحديبية ٦٣/٥.

الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون، فلا يدخلوا مكة هذا العام، واختاروا لذلك سهيل بن عمرو[1]وقالوا له:(ائت محمدا فصالحه، ولا يكون في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدا)[2].

وجاء سهيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وتفاوض معه، ثم اتفقا على الصلح.

شروط الصلح:

كانت شروطه كالآتي:

١- أن يرجع المسلمون ذلك العام بغير عمرة، ويقضون عمرتهم من العام المقبل، فقد روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: (فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة[3]، ولكن ذلك من العام المقبل)[4].

وأن يقضي المسلمون بمكة ثلاثة أيام، ولا يدخلوها إلا بسلاح المسافر، كما روى الإمام مسلم في صحيحه: (وكان فيما اشترطوا أن يدخلوا مكة فيقيموا بها ثلاثاً، ولا يدخلها بسلاح إلا جُلُبَّان السلاح[5])[6].

٢- أن من جاء من قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن وليه يرده عليهم، ومن جاء قريشاً من المسلمين لا ترده، روى الإمام البخاري رحمه الله: (قال سهيل: على أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا)[7].

---

[1] هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، العامري القرشي أبو زيد كان خطيب قريش ومن أشرافهم، تأخر إسلامه إلى يوم الفتح ثم حسن إسلامه، قام بمكة خطيبا عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فسكّن الناس وعظّم الإسلام، استشهد يوم اليرموك، وقيل في طاعون عمواس رضي الله عنه .بتصرف، سير أعلام النبلاء ١٩٤/١، والإصابة ٩٣/٢.

[2] مسند الإمام أحمد ٣٢٥/٤ ،و سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٦٥/٣.

[3] يقال: ضغطه يضغطه ضغطا: إذا عصره وضيق عليه وقهره. النهاية في غريب الحديث ٩٠/٣.

[4] كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ١٨١/٣.

[5] هو جراب من الإدم يوضع فيه السيف مغمدا، ويطرح فيه الراكب سوطه وأداته ويعلقه في الرحل، قال العلماء: إنما شرطوا هذا لوجهين، أحدهما: أن لا يظهر منه دخول الغالبين القاهرين، والثاني: أنه إن عرض فتنة أو نحوها يكون في الاستعداد بالسلاح صعوبة. بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٣٦.

[6] كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية ٣/ ١٤١٠، ح ٩٠.

[7] كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد ٣/ ١٨١.

وقد اغتم المسلمون لهذا الشرط المجحف وكرهوه، فطمأنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعند الإمام مسلم: أنهم (اشترطوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال: ((نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً و مخرجاً))[1].

٣- أن توضع الحرب بينهم عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض[2].

٤ - أن يكون بينهم موادعة ومكافَّة، وصدوراً نقيةً من الغل، كما جاء في مسند الإمام أحمد[3] رحمه الله: (وأن بيننا عيبة مكفوفة [4]، وأنه لا إسلال ولا إغلال [5])[6].

٥- أن من أراد من قبائل العرب أن يدخل في عقد أحد الفريقين وعهده، دخل فيه، قال ابن إسحاق رحمه الله: (وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده، دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم، دخل فيه)[7].

---

[1] كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية ٣/ ١٤١١ ح ٩٣.

[2] مسند الإمام أحمد ٤/٣٢٥ ، وانظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٣٦٦.

[3] هو شيخ الإسلام أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة ١٦٤ هـ وتربى يتيما، طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، كان إماما في الزهد والورع، امتحن في فتنة خلق القرآن وصبر، حدث عنه خلق كثير وفي مقدمتهم الشيخان، قال عنه الإمام الشافعي: خرجت من بغداد، فما خلفت بها رجلا أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل. مات سنة ٢٤١هـ وعمره ٧٧ عاما رحمه الله. بتصرف، سير أعلام النبلاء ١١/١٧٧، والبداية والنهاية ١٠/٣٢٥، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصفهاني ٩/١٦١، دار الفكر بيروت، ط: بدون.

[4] أي مشرجة على ما فيها مقفلة، وأنها نقية من الغل والغش، فيما اتفقوا عليه من الصلح والهدنة. النهاية في غريب الحديث ٤/١٩٠، وانظر الفتح الرباني ٢١/ ١٠٣.

[5] الإغلال: الخيانة أو السرقة الخفية، والإسلال: من سل البعير وغيره في جوف الليل: إذا انتزعه من بين الأبل. النهاية في غريب الحديث ٣/٣٨٠، والفتح الرباني ٢١/ ٣٦٦.

[6] المسند ٤/ ٣٢٥.

[7] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ٣/ ٣٦٦.

موقف الصحابة رضوان الله عليهم من الصلح وشروطه:

إن هذه لشروط تبدو مجحفة في الظاهر، ويتضح فيها ظلم قريش للمسلمين، وصدها عن البيت العتيق من أراد تعظيمه، وقد ظنت قريش أنها انتصرت على المسلمين في هذا الصلح، لكن توالي الأحداث أثبت غير ذلك -كما سيأتي- وظن بعض المسلمين بأنهم الطرف الخاسر في القضية، وكانوا قد خرجوا وهم لا يشكّون في دخول المسجد الحرام للرؤيا التي رآها الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه، دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، وهم وغم حتى كادوا يهلكوا[1]، وتذمروا من هذا الصلح، وضاقوا به، خاصة عندما ظهرت حمية المشركين الجاهلية، ولم يقروا أثناء كتابة الصلح، بسم الله الرحمن الرحيم وأنه-أي النبي- رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية الإمام البخاري رحمه الله: (فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((اكتب بسم الله الرحمن الرحيم)). قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :((اكتب باسمك اللهم))[2] .

ومما رواه الإمام مسلم رحمه الله: أمره صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب[3] رضي الله عنه أن يكتب (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقال له المشركون: لو نعلم أنك رسول الله تابعناك، لكن أكتب محمد بن عبد الله. فأمر عليا أن يمحاها، فقال

---

[1] انظر المرجع السابق ٣/٣٦٧.

[2] كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ٣/١٨١.

[3] هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن ، من أوائل الناس إسلاماً، ولد قبل البعثة بعشر سنين، وربي في حجر الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه، شهد المشاهد كلها إلا غزوة تبوك، وكان اللواء بيده في أكثرها، لما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه قال له: أنت أخي، مناقبه كثيرة جدا حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي، كان متصديا للعلم والفتوى وقد بويع له بالخلافة سنة ٣٥ هـ ثم قتل على يد عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ رضي الله عنه. بتصرف، الاستيعاب ٣/٢٦، والإصابة ٤/٣٤.

علي: لا، والله لا أمحاها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أرني مكانها))، فأراه مكانها فمحاها، وكتب ابن عبد الله)[1].

ومن هذا الموقف تتجلى حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وحنكته وعظيم سياسته للأمور، حين يتنازل لأعدائه وخصومه هذا التنازل، إضافة إلى بصره النافذ وعلمه ببواطن الأمور، حتى كـــأنه يعرف ما ستؤول إليه الأمور في المستقبل القريب، من الفتح ودخول قريش في دين الله أفواجاً، ويظهر كذلك حرصه عليه الصلاة والسلام على تعظيم حرمات الله وعلى مصلحة الدعوة، وقد كان أخذ على نفسه ألا يرد على قريش خطة تهدف وتؤدي إلى ذلك، بل نجده يوافق على ما يملونه من شروط، ويلين عند تصلبهم وتعنتهم، تنفيذاً لذلك العهد.

ويشاء الله أن يبتلي المسلمين، ويظهر غضبهم لله، وحميتهم لدينه، ويمتحنهم في وفائهم بعهدهم، فبينما هم يعقدون الصلح يهرب إليهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو[2] وهو مقيد، وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم من أبيه أن يجيزه له فرفض .

أمام هذا التحدي لمشاعر المسلمين، لم يملك النبي صلى الله عليه وسلم إلا الثبات على الوفاء بالعهد، وتبشير أبي جندل رضي الله عنه بالفرج من الله، فقال له:((يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله عز وجل جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحا، فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه، وإنا لن نغدر بهم)).[3]

لقد أثار هذا الموقف حفيظة المسلمين لأخيهم في الله، وامتحنوا فيه أعظم امتحان، ولكن سيطر عليه ضبط النفس والتعقل والوفاء بالعهد[4].

---

[1] كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية، ١٤١٠/٣ ح ٩٢.

[2] هو العاص بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس العامري القرشي، كان من السابقين للإسلام ، وممن عذب عذابا شديدا، استشهد باليمامة، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وقيل توفي شهيدا في طاعون عمواس. بتصرف، سير أعلام النبلاء ١٩٢/١، والإصابة ٤/ ٣٤.

[3] مسند الإمام أحمد ٣٢٥/٤.

[4] بتصرف، صلح الحديبية وأثره في نشر الدعوة الإسلامية ص ٦٨.

وقد كتم الصحابة رضوان الله عليهم ما اعتلج في صدورهم من الغيظ، وما آلمهم، وتكلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأفصح عما في نفسه، لما هو معروف عنه من الصلابة في الحق، وحب المراجعة فيما لم يستبن له فيه وجه الحق والصواب،[1] فقام يحتج ويراجع النبي صلى الله عليه وسلم ويقول له:(ألست نبي الله حقا؟ قال:((بلى)). قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال:((بلى)) . قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا؟ قال: ((إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري)). قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: ((بلى ، فأخبرتك أنَّا نأتيه العام؟))قال: قلت: لا. قال: ((فإنك آتيه ومطوف به))[2].

وظل عمر رضي الله عنه في حالة من الكرب، لا تهدأ نفسه حتى ذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه، وسأله كما سأل النبي صلى الله عليه وسلم، فأجابه كما أجابه، روى ذلك الإمام مسلم رحمه الله، قال:(فانطلق عمر، فلم يصبر متغيظاً، فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر ، ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى . قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يابن الخطاب، إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا)[3].

وبقى في نفس عمر رضي الله عنه بعض الحرج، حتى (نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح، فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله ، أو فتح هو؟ قال: نعم. فطابت نفسه ورجع)[4] .

وندم عمر رضي الله عنه على ما بدر منه من مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم، واعتراضه عليه، فيقول:(ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق، من الذي صنعت، مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ، حتى رجوت أن يكون خيراً)[5].

---

[1] بتصرف، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: د. محمد بن محمد أبو شهبة ٣٣٤/٢، دار القلم دمشق ط:٢، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.

[2] صحيح البخاري، كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ١٨٢/٣.

[3] صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية ١٤١٢/٣ ح ٩٤.

[4] المرجع السابق الحديث ذاته.

[5] مسند الإمام أحمد ٣٢٥/٤ . وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٦٦/٣. وللاستفادة انظر مقارنة

ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتحلل من إحرامهم، اعتراهم الوجوم والذهول، ولم يبادروا إلى تنفيذ ما أمرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم كعادتهم، وقد أملوا أن يذبحوا هديهم ويحلقوا رؤوسهم في رحاب الحرم، وقد روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه حالهم، فقال: (لما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات[1])، فكأنهم رضي الله عنهم كانوا يأملون العودة عن الصلح، وإتمام نسكهم[2]، فلما رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم قام، وذبح بدنه، وحلق رأسه-بعد مشورة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها-قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غماً.[3]

وقد كان موقف الصحابة وغضبة عمر رضي الله عنه ، حميةً لدين الله، ولِما رأوا في شروط الصلح من ظلم ظاهر لهم، وإجحاف بحقوقهم، ولكنهم آمنوا بالله ،وصدقوا وعده، وأطاعوا نبيه صلى الله عليه وسلم وأُمضي الصلح، وكان في ذلك الخير والفلاح للإسلام والمسلمين.

وأنزل الله على نبيه سورة الفتح، في طريق عودته للمدينة المنورة، والمسلمون في هم وغم، وقد حيل بينهم وبين نسكهم، فانقلبت كآبتهم فرحا وسرورا، وأدركوا أن التسليم لأمر الله ورسوله فيه كل الخير لهم ولدعوة الإسلام[4].

ويقول أنس بن مالك[1] رضي الله عنه واصفاً حالهم مع النبي صلى الله عليه وسلم:(مرجعه من الحديبية، وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نَحَر الهدي بالحديبية، فقال:((لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً))[2] .

ابن تيمية رحمه الله بين موقف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، الفتاوى ١٥/١٨٤- ١٨٥.

[1] كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ٣/١٨٢.

[2]انظر السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية: د. أكرم ضياء العمري ٢/ ٤٤٦. مكتبة العبيكان الرياض ط: ١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥ م.

[3] انظر الحديث في صحيح الإمام البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد ٣/١٨٢، ومسند الإمام أحمد ٤/٣٢٦.

[4] بتصرف، السيرة النبوية الصحيحة ٢/٤٤٩.

وفرج الله بهذه السورة غم المسلمين، وأسعد قلوبهم بما حوت من البشارة بالفتح المبين وبالنصر، والثناء والرضا على المؤمنين، حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنها:((لقد أنزلت علي الليلة سورة، لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس))، ثم قرأ: إنا فتحنا لك فتحا مبينا)[٣].

---

[١] هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم ، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلميذه وآخر أصحابه موتاً، قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وعمره عشر سنين ومات وعمره عشرون سنة، مناقبه وفضائله كثيرة وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة فكان أكثر الأنصار مالاً، وكان له من صلبه ١٢٩ من الولد، مات سنة ٩١ هـ وقيل غير ذلك، وعمره نيف وتسعين سنة رضي الله عنه . بتصرف، الاستيعاب ٧١/١، وسير أعلام النبلاء ٣٩٥/٣، والإصابة ٧١/١.

[٢] صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية ١٤١٣/٣ ح ١٧٨٦.

[٣] صحيح الإمام البخاري كتاب التفسير باب سورة الفتح ٤٤/٦.

المطلب الثاني: أثر الصلح على الدعوة الإسلامية وانتشارها

كان صلح الحديبية فتحاً عظيماً ونصراً مؤزراً للإسلام، وقد كانت شروطه في الصورة الظاهرة ضيماً وهضماً للمسلمين، وفي الباطن عزاً وفتحاً ونصراً.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المشركين كل ما سألوه من الشروط التي لم يحتملها أكثر أصحابه ورؤوسهم، وهو صلى الله عليه وسلم يعلم ما في ضمن هذا المكروه من محبوب[1]،وقد ظهر ما فيه من مكاسب للدعوة الإسلامية، (فإنه بسببه حصل خير جزيل، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع والإيمان)[2].

وقد فتح الله بهذا الصلح آفاقاً واسعة، وهيأ للدعوة مجالات جديدة ، فانطلقت في شتى الميادين لتزيل الغشاوة عن أعين الناس، وقد كان لذلك أفضل الأثر في رفع شأن الدولة الإسلامية، وتعزيز كيانها، فكان الصلح بحق فتحا عظيما على الإسلام والمسلمين، حتى قال البراء بن عازب[3] رضي الله عنه:(تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان ، يوم الحديبية)[4].

ومن آثار الصلح الميمونة على الدعوة الإسلامية وانتشارها:

١ـ تعزيز كيان الدعوة الإسلامية، واعتراف المشركين بها:

كانت قريش تعتبر المسلمين عصاة شقوا عليها عصا الطاعة، وشرذمة متمردة لا كيان لها، وقد حاولت القضاء عليهم مرات عديدة، فباءت جميع محاولاتها بالفشل.

---

[1] بتصرف، زاد المعاد ٣/٣١٠.

[2] تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣١٠.

[3] هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي أبو عمارة وقيل أبو عمرو، له ولأبيه صحبة، رُد يوم بدر لصغر سنه وشهد ما بعدها من المشاهد، افتتح الري سنة ٢٤ هـ، وشهد مع علي رضي الله عنه الجمل وصفين، نزل الكوفة ومات رضي الله عنه سنة ٧٢ هـ. بتصرف، الاستيعاب ١/١٣٩، وسير أعلام النبلاء ٣/١٩٤، والإصابة ١/١٤٢.

[4] صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الحديبية ٥/٦٢.

وقد كان في سعي قريش للصلح، وتفاوضهم مع المسلمين، وبعث مندوبها سهيل بن عمرو لذلك، اعترافا منها بكيان دولة الإسلام[1]، وبأن المسلمين أصبحوا قوة تضاهي قوة قريش، وأن لهم الحق في زيارة البيت الحرام، كغيرهم من العرب، وفي ذلك دعاية للإسلام، وتعزيز لجانبه، ولهذا أثر قوي في نفوس القبائل التي تأثرت بموقف قريش الجحودي، الرافض للإسلام، حيث كانوا يرون أنها الإمام والقدوة، فتنازلها كان تمهيدا لاتساع نفوذ الإسلام وسطوته.

ولما حل ميعاد عمرة القضاء أذن مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم في المسلمين أن يتجهزوا للعمرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد(قاضاهم على أن يعتمر العام المقبل، ولا يحمل سلاحا عليهم إلا سيوفاً، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا، فاعتمر من العام المقبل، فدخلها كما كان صالحهم، فلما أن أقام بها ثلاثاً، أمروه أن يخرج فخرج)[2].

وكذلك كان في قدوم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة بعد استدارة العام، آمناً مطمئنا، يطوف بالبيت العتيق ويسعى بين الصفا والمروة-كان في ذلك إثباتاً لحقهم في البيت الحرام، وتصديقاً للرؤيا التي أراها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾[3].

٢- تفرغ المسلمين لنشر الدعوة الإسلامية:

هيَّأ صلح الحديبية للمسلمين أن يستريحوا من القتال والحرب، وينصرفوا إلى تبليغ دعوة الإسلام، مما أدى إلى دخول الكثير من القبائل فيه.

---

[1] انظر صلح الحديبية: محمد أحمد باشميل ص ٣٣١، ومرويات غزوة الحديبية للشيخ حافظ الحكمي ص ٢٦٨، وقراءة جديدة للسيرة النبوية د.محمد قلعه جي ص ٣٠٧، وصلح الحديبية: سلمي الحسيني ص ٩٣، و السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: د. محمد أبو شهبة ٢/ ٣٤٠، والرسول القائد: اللواء الركن محمود شيت خطاب ص ٢٧٨، دار الفكر، ط: ٥، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م.

[2] صحيح البخاري كتاب المغازي باب عمرة القضاء ٨٥/٥، و انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤٢٤/٣.

[3] سورة الفتح آية ٢٧.

قال الإمام الزهري رحمه الله :(فما فتح في الإسلام فتح كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئا، إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر).

ويعقب عليه ابن هشام رحمه الله فيقول:(والدليل على قول الزهري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية، في ألف وأربعمائة.. ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف)[1].

٣- كسب الدعوة الإسلامية أنصارا جددا للدعوة:

كان من ضمن شروط المصالحة، إتاحة الفرصة للقبائل العربية في الانضمام إلى عهد المسلمين ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين أو إلى عهد المشركين ولهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وما أن كتبت الوثيقة، حتى كسب المسلمون إلى صفهم قبيلة عظيمة، انضمت إلى عهدهم وهي قبيلة خزاعة، فقد روى الإمام أحمد رحمه الله:(فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم)[2].

ومبادرة خزاعة-مسلمهم ومشركهم- للتحالف مع المسلمين علنا، دون هيبة قريش، كسب عظيم للمسلمين، وذلك لمكانتها وقربها من الحرم، ولقوة العلاقة بينها وبين الرسول صلى الله عليه وسلم [3]، وقد كان هذا العقد في صالح المسلمين، إذ توالت الأحداث بعد ذلك، وكان نقض العهد قبل أوانه ، بسبب هذه القبيلة، حيث نقضته قبيلة بنو بكر مع حليفتها قريش، فكان ذلك سببا في فتح مكة-كما سيأتي إن شاء الله.

٤- تأثر المشركين بواقع الإسلام والمسلمين:

تأثر بعض المشركين بما رأوا من المسلمين- أثناء عقد الصلح- من انضباط وتضحية، وتلاحم في صفوفهم، فهذا عروة بن مسعود الذي بعثته قريش ليخذل رسول

---

[1] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٣٧٢.

[2] المسند ٤/ ٣٢٥.

[3] فقد روى الإمام البخاري في صحيحه أن خزاعة(كانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة) كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ١٧٩/٣.

الله صلى الله عليه وسلم عنها، يعود وهو داعية للرسول صلى الله عليه وسلم ، لما رأى من صلابة الصف المسلم، الذي أبدى من ضروب الطاعة والنظام ما أذهل عروة[1]،فيرجع إلى قريش وهو يقول:(أي قوم والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا....وأنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها)[2].

وكذلك أتاح الصلح الفرصة للمسلمين وللمشركين، أن يختلط بعضهم ببعض، فتأثر كثير من عقلاء المشركين بعظمة الإسلام وتعرفوا على حقيقته (وذلك أنهم قبل الصلح، لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولا تتظاهر عندهم أمور النبي صلى الله عليه وسلم كما هي، ولا يحلُّون بمن يعلمهم بها مفصلة، فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين، وجاؤا إلى المدينة وذهب المسلمون إلى مكة، وحلُّوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه، وسمعوا منهم أحوال النبي صلى الله عليه وسلم مفصلة بجزئياتها ومعجزاته الظاهرة.. وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بأنفسهم كثيرا من ذلك ، فمالت نفوسهم إلى الإيمان، حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة، فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة، وازداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم)[3]،وكان من الزعماء والقادة الذين تأثروا بالإسلام ، واستجابوا له في تلك الفترة، خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم أجمعين[4] .

٥-انشقاق معسكر الشرك وتوهنه:

من الآثار التي صاحبت الصلح، الانشقاق الذي حدث داخل معسكر الشرك، بين قريش وحلفائها، وذلك لما رأوا ظلم قريش وتعديها، وصدها عن بيت الله، حتى أن زعيم الأحابيش يهددها بإلغاء الحلف الذي بينها وبينه، وينسحب برجاله إذا لم تصغ قريش

---

[1] بتصرف، المنهج الحركي للسيرة النبوية: منير محمد غضبان ١٩/٣ ،مكتبة المنار الأردن ط: ٧ ،١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م.

[2] صحيح البخاري كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ١٨٠/٣.

[3] باختصار، صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٠/١٢.

[4] انظر قصة إسلامهم في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣١٧/٣، والبداية والنهاية ٢٣٨/٤.

لصوت الحق ، وتخلي بين المسلمين وبين البيت ليطوفوا به، فهذا الانشقاق كان عامل ضعف في جانب القرشيين، بقدر ما كان عامل تقوية وتدعيم لمركز المسلمين[1].

كما تسبب الصلح في انفراط عقد الكفار في الجزيرة، فإن قريشا كانت تعتبر رأس الكفر، وحاملة لواء التمرد والتحدي للدين الجديد، وعندما شاع نبأ تعاهدها مع المسلمين، خمدت فتن المنافقين الذين يعملون لها[2].

وقد نزل القرآن بتبكيتهم وتهديدهم بالعذاب، بما فتح الله لرسوله من نصره على مشركي قريش[3]، قال تعالى﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[4] .

وعلم أعداء الدين أن الغلبة للإسلام فأصابهم الوهن، وتشتت جهودهم في محاربة للمسلمين، فلم يعد هناك تحالفات وتحزبات كبيرة ضدهم.

٦- الاتجاه بالدعوة إلى ميادين جديدة :

انطلقت الدعوة الإسلامية في فترة الهدنة تطرق أبواباً وميادين لم يسبق للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن طرقوها من قبل، فقد اغتنم النبي صلى الله عليه وسلم فترة الصلح والأمان، فأرسل رسله إلى أماكن مختلفة، داخل الجزيرة العربية وخارجها، مثبتاً بذلك أن دعوة الإسلام دعوة عالمية، لا يقف دونها جنس أو لون، بل هي للناس كافة، حيث أرسل إلى الملوك والأمراء في كل الأرض يدعوهم إلى الإسلام ويحملهم إثم أتباعهم إن لم يبلغوهم[5].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه:(إن نبي الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي ، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى)[6]، وقد اختلف

---

[1] بتصرف، صلح الحديبية: محمد الباشميل ص ٣٣٤.

[2] بتصرف، فقه السيرة: محمد الغزالي ص ٣٦٣.

[3] بتصرف، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٦/ ٧٣.

[4] سورة الفتح آية ٦.

[5] انظر الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها: د. أحمد أحمد غلوش ص ٢٢٢، دار الكتاب المصري القاهرة، ط:٢ ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

[6] صحيح الإمام مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى

تأثر واستجابة الملوك والأمراء مع هؤلاء الرسل[1]، ورغم إعراض بعضهم، فقد كان وصول خبر الدعوة الإسلامية تمهيدا لنشرها في تلك البقاع، وتوطئة للفتوح الإسلامية.

٧ـ القضاء على أعداء الدولة الإسلامية:

اغتنم النبي صلى الله عليه وسلم فترة الهدنة مع قريش للمبادرة والمسارعة إلى الخروج إلى خيبر[2] ، حيث يتمركز اليهود ألدّ أعداء المسلمين في الجهة الشمالية، والذين طالما كانوا حرباً على المسلمين وخططوا للكيد للدعوة، وحرَّضوا قريشاً ضد المسلمين، وكان الله تعالى قد بشر المسلمين في طريق عودتهم من الحديبية بالفتح وبالغنائم، فقال تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ .. الآية ﴾[3] قال مجاهد[4] رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾: يعني فتح خيبر [5].

الله عز وجل ٣/ ١٣٩٧ ح ١٧٧٤. قال الإمام النووي: كسرى لقب من ملك من ملوك الفرس، وقيصر من ملك الروم، والنجاشي من ملك الحبشة. بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١١٣.

[1] ومن الذين بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم: دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم، و عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس، وعمرو بن أمية الضُمْري إلى النجاشي ملك الحبشة، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقُوقس ، وعمرو بن العاص إلى جَيْفر وعيَاذ ابني الُجُلندي ملكي عمان، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوَى العبدي ملك البحرين، وشجاع بن وهْب الأسدي إلى الحرث بن أبي شمر الغساني، وغيرهم رضي الله عن الصحابة أجمعين. انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ٢٧٩، و فتح الباري ٨/ ١٢٨ ح ٤٤٢٤، والسيرة النبوية الصحيحة ص ٤٥٤.

[2] بلد يبعد عن المدينة ١٦٥ كيلا شمالا، على طريق الشام، ، وهي أرض موصوفة بالحمى، وكانت تسمى ريف الحجاز لكثرة مائها وزرعها وأكثر محصولاتها التمر، وكان تشتمل على سبعة حصون، وخيبر بلسان اليهود الحصن، وتسمى خيابر، . بتصرف، معجم البلدان ٤٠٩/٢، والروض الأنف ٥٩/٤، ومعجم المعالم الجغرافية ص ١١٨.

[3] سورة الفتح جزء من آية ٢٠.

[4] هو مجاهد بن جبر الإمام شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي وقيل غيره، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه سنة ٢١هـ، وأخذ عن ابن عباس رضي الله عنه القرآن والتفسير والفقه، وعن غيره من الصحابة، قيل: مات رحمه الله بمكة وهو ساجد عام ١٠٢هـ وقيل غير ذلك. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤، وتهذيب التهذيب ٤٢/١٠.

[5] بتصرف، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨٩/٢٦، وتفسير القرآن العظيم ٣٢٢/٧.

فصادفت هذه البشارة الوقت المناسب لتحقيق الهدف الذي طالما تاقت نفوس المسلمين إليه، وهو القضاء على اليهود في ذلك البلد[1]،وتحقق موعود الله وفتحت خيبر- كما سيأتي- وبالقضاء على يهود خيبر استراح المسلمون من أخبث عدو كان يقف في وجه الدعوة الإسلامية ، منذ هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

٨ـحفظ المسلمين بمكة والتفريج عن المستضعفين منهم:

بعد أن بايع المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان، وثارت نفوسهم وحميت لقتال المشركين، منع الله وقوع القتال، وكف أيدي الناس بعضهم عن بعض، لحكمةٍ بينها تعالى في قوله: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾[2] .

قال الحافظ ابن كثير[3] رحمه الله: وقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات: أي بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه، ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم، لكنَّا سلطناكم عليهم، فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم، لكن يشاء الله أن يؤخر عقوبتهم ليتخلص من بين أظهرهم المؤمنون، وليرجع كثير منهم إلى الإسلام[4] .

ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم نسوةٌ مؤمنات، انتهزن فرصة الصلح وفرَرْن من مكة إلى المدينة، فلحق بهنَّ المشركون ليرجعوهن، تنفيذاً للشرط الذي بينهم وبين المسلمين، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ

---

[1] بتصرف، صلح الحديبية: سلمي الحسيني ص ٩٥.

[2] سورة الفتح جزء من آية ٢٥.

[3] هو اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، ورحل في طلب العلم، وتوفي رحمه الله بدمشق سنة ٧٧٤هـ. بتصرف، الأعلام : الزركلي ٣٢٠/١.

[4] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٢٥، وانظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٦/ ١٠٢، وزاد المعاد ٣/ ٣١٤.

ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ .. الآية ﴾[1]، فلم يردهن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

ويعد هذا مكسباً عظيماً للمؤمنات ، إذ استثناهن الله تعالى من هذا الشرط، فلا يرجعن إلى الكفار ليفتنوهنَّ في دينهنَّ وقد علم الله تعالى حالهنَّ وضعفهنَّ، بل يعشنَ في كنف الدولة الإسلامية في المدينة.

أما الرجال فقد ردهم النبي صلى الله عليه وسلم، كما روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: أنه جاءه أبو جندل رضي الله عنه، (فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأته أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة، وإن كان مسلما)[3]، وعلى الرغم مما يبدو من شدة وقسوة في هذا الشرط، إلا أنه كان من ورائه فرج ومخرج للمسلمين، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد حدث أن جاء أبو بصير[4] رضي الله عنه، فارا بدينه من المشركين إلى المدينة، وأرسلت قريش تطلبه، فأرجعه النبي صلى الله عليه وسلم وفاء بالعهد الذي بينه وبين المشركين، فتمكن من الخلاص وكوَّن جماعة مؤمنة مجاهدة، تهاجم قوافل المشركين وتجارتهم.

فشعرت قريش بحراجة الموقف، ولم تعد تنعم بالأمن والاستقرار، وأرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله أن يُؤوي إليه أبا بصير وأصحابه[5]، متنازلة بمحض إرادتها للمسلمين عن شرط الهدنة[6].

٩-التوطئة والتمهيد للفتح الأعظم ، فتح مكة:

---

[1] سورة الممتحنة جزء من آية ١٠.

[2] انظر الحديث في صحيح البخاري كتاب الشروط باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة ١٧٢/٣.

[3] كتاب المغازي باب غزوة الحديبية ٦٨/٥.

[4] هو عتبة بن أسيد بن جارية بن أسيد الثقفي حليف بني زهرة، وتمام قصته أن النبي كتب إليه أن يقدم إليه مع صحبه، فجاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يموت، فمات وكتاب لنبي صلى الله عليه وسلم في يده، فدفنه أبو جندل رضي الله عنه مكانه وصلى عليه رضي الله عنه .بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٧٢/٣، والاستيعاب ٢٠/٤، والإصابة ٤٥٢/٣.

[5] انظر الحديث في صحيح الإمام البخاري كتاب الشروط باب صلح الحديبية ٣/ ١٨٣.

[6] انظر الرسول القائد ص ٢٩٢، وقراءة جديدة للسيرة النبوية ص ٣٠٨.

كان صلح الحديبية سبباً في فتح مكة، والقضاء على الوثنية فيها، وتطهير البيت الحرام من الأصنام، وانتقال السيادة فيها من أيدي المشركين إلى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين.

وقد أشار الإمام ابن القيم رحمه الله إلى ذلك فقال :(إنها كانت مقدمة بين يدي الفتح الأعظم، الذي أعز الله به رسوله وجنده، ودخل الناس به في دين الله أفواجا، فكانت هذه الهدنة باباً له ومفتاحاً، ومؤذناً بين يديه، وهذه عادة الله تعالى سبحانه في الأمور العظام، التي يقضيها قدراً وشرعاً، أن يوطئ لها بين يديها مقدمات وتوطئات تؤذن بها وتدل عليها).[1]

[1] زاد المعاد ٣/ ٣٠٩.

المبحث الثالث: غزوة خيبر، و معركة مؤتة، وأثرهما على المسلمين.

توطئة:

تميزت الدعوة الإسلامية بعالميتها وعمومها لكل البشر، فلم تقتصر على جنس دون جنس، بل شملت الناس كافة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1].

وقد باشر النبي صلى الله عليه وسلم دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى دين الإسلام- الدين الخاتم الذي نزل مصدقاً لما بين يديه من الديانات السابقة- سواء في العهد المكي[2] أو في العهد المدني[3]، وقد أدى ذلك إلى استجابة بعضهم ودخوله في الإسلام عن إيمان ويقين[4]،وكذلك أدى إلى صدود أغلبهم-وبخاصة اليهود-ورفعهم لواء عداوة الإسلام ومحاربته.

وفي القرآن صور عدّة لدسائس اليهود بين المسلمين وكيدهم لهم وللدعوة الإسلامية، وتآمرهم عليهم مع المنافقين من جهة، ومع المشركين من جهة أخرى، تدل على بعد مدى ما كان من سوء نيات اليهود ضد المسلمين، وشدة نكايتهم فيهم، وتوسلهم بكل وسيلة لمحاربة الإسلام وتقويض أركانه[5].

وقد كانت العاقبة للمسلمين عليهم، وذلك حين نقض بنو قينقاع عهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأصبح وضعهم منذراً بخطر الغدر، فأجلاهم من المدينة، وذهبوا إلى الشام[6].

---

[1] سورة سبأ آية ٢٨.

[2] مثلا لما قدم وفد من نصارى الحبشة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، فدعاهم للإسلام فآمنوا، ويقال أنه نزل فيهم الآيات الكريمة من ٥٢ إلى آية ٥٥ من سورة القصص، انظر تفسير القرآن العظيم ٦/٢٥٥.

[3] وذلك كدعوته لمختلف طوائف اليهود في المدينة.

[4] كما جاء في قوله تعالى ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ..الآية ﴾ النساء جزء من آية ١٦٢، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنزلت في عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسد وزيد بن سعية، وأسد بن عبيد، الذين دخلوا في الإسلام وصدقوا بما أرسل الله به محمداً صلى الله عليه وسلم. انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٤٢٠. وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢/١٨٥. وعيون الأثر ٢/٩٨.

[5] وقد امتلأت نفوس اليهود حقداً على المسلمين ودأبوا على الكيد لهم ومن ذلك تعنتهم في أسئلتهم للنبي صلى الله

[6] وذلك بعد غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة، انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢/ ٤٢٦.

وأجلى كذلك بني النضير لمَّا ثبت غدرهم وتآمرهم لاغتيال النبي صلى الله عليه وسلم فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام[1].

ونقض بنو قريظة العهد في أشد الأزمات وأرادوا طعن المسلمين في ظهورهم، بينما هم منهمكون في صد الأحزاب المحاصرين للمدينة، فنكَّل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل رجالهم وقسم أموالهم وسبى ذراريهم ونساءهم[2]،وبقيت خيبر مركزاً لليهود ووكراً لتآمرهم على المسلمين، خاصة بعد انضمام بني النضير إليهم.

أما النصارى فعلى الرغم من وصف الله تعالى لهم بأنهم أقلُّ عداوة للمسلمين من اليهود في قوله تعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ .. **الآية** ﴾ [3] .

إلا أن الدعوة الإسلامية لم تسلم من عداوتهم ومحاولتهم الاعتداء على المسلمين، مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقابلهم بالمثل، ومن ذلك:

خروجه صلى الله عليه وسلم إلى دُومَة الجَنْدَل[4] لَّما ذُكر له أن بها جمعاً كبيراً ، وأنهم يظلمون من مرَّ بهم، ولكن لم يحدث بين الفريقين قتال[5].

ثم إرساله سرية بقيادة زيد بن حارثة[6] رضي الله عنه إلى حِسمِي[1] لأن جماعة من بني جذام أغاروا على دِحْية الكلبي[2] مبعوث رسول الله إلى قيصر، وأخذوا منه ما كان يحمله من أموال[3].

---

[1] وكان إجلاؤهم في السنة الرابعة ، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٩١/٣.

[2] وكان ذلك في السنة الخامسة ، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٥٢/٣.

[3] سورة المائدة جزء من آية ٨٢.

[4] دومة الجندل قرية في الجوف شمال تيماء على قرابة ٤٥٠ كيلا، وهي منطقة زراعية، وقيل دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء كانت به بنو كنانة من كلب، ودومة من القريات، والقريات هي: دومة وسكاكة وذو القارة. بتصرف، معجم البلدان ٤٨٧/٢، ومعجم المعالم الجغرافية ص ١٢٧.

[5] وذلك في أوائل السنة الخامسة، انظر البداية والنهاية ٤/ ٩٢.وقد ردها بعض المؤرخين(د. عبد العزيز العمري)

[6] هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي، الأمير الشهيد سيد الموالي وأسبقهم إلى الإسلام، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو حبه، لم يسم الله تعالى صحابياً باسمه في القرآن إلا هو، كان مملوكا لخديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، فلما تزوجت الرسول صلى الله عليه وسلم وهبته إياه، فأعتقه وتبناه وكان يسمى زيد بن محمد حتى نزل قوله تعالى﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾(الأحزاب: ٥). قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ما بعث رسول الله

وكذلك أرسل صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة عبد الرحمن بن عوف[٤] رضي الله عنه إلى دُومة الجندل انتهت بإسلام من فيها[٥]، إلى غير ذلك من البعوث والسرايا.

وكان صلح الحديبية فتحاً مبيناً مباركاً على المسلمين، أمن فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه جانب قريش، وتفرغوا لغيرهم من أعداء الدعوة الإسلامية، مما أسفر عن أحداث عدَّة، منها غزوه صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر، ثم إرساله جيشاً بقيادة زيد بن حارثة رضي الله عنه لملاقاة الروم في مؤتة.

وهذا المبحث يحتوي مطلبين:

المطلب الأول: غزوة خيبر، وأثرها على المسلمين.

المطلب الثاني: معركة مؤتة، وأثرها على المسلمين.

صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في سرية إلا أمَّره عليهم، ولو بقي لاستخلفه. استشهد في معركة مؤتة رضي الله عنه وعمره ٥٥ سنة وقيل غير ذلك. بتصرف، الاستيعاب ٥٤٤/١، وسير أعلام النبلاء ٢٢٠/١ ، والإصابة ٥٦٣/١.

[١] أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان، وأهل تبوك يرون جبل حسمي في غربيهم، وفي شرقيهم شرَوْرَى، وبين وادي القرى والمدينة ست ليال. بتصرف، معجم البلدان ٢٥٨/٢.

[٢] هو دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ، صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق وقيل أحد، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته وكان رجلا جميلاً، شهد اليرموك وعاش إلى خلافة معاوية رضي الله عنه. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٥٥٠/٢، والإصابة ٤٧٣/١.

[٣] في السنة السادسة، انظر الكامل في التاريخ: العلامة أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الأثير ٢/ ١٤١، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط:٤، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. وانظر كتاب المغازي للواقدي ٥٥٥/٢، تحقيق د. ماردسن جونس عالم الكتب لبنان، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

[٤] هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث القرشي الزهري أبو محمد، ولد قبل الفيل بعشر سنين، من السابقين للإسلام، هاجر الهجرتين وشهد بدرا وسائر المشاهد، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، كان تاجرا منفقا في سبيل الله، توفي سنة ٣٢ هـ ودفن بالبقيع، وعمره ٧٥ سنة رضي الله عنه .بتصرف، سير أعلام النبلاء ٦٨/١، والإصابة ٤١٦/٢.

[٥] انظر الكامل في التاريخ ٢/ ١٤٢ وذلك في السنة السادسة.

المطلب الأول: غزوة خيبر وأثرها على المسلمين

كانت خيبر وكراً للتآمر والدس، ومركزا للاستفزازات العسكرية والتحرشات بالمسلمين[1]، خاصة حين أجلى النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير فنزحوا إليها وأنفسهم تفيض حقداً على المسلمين.

وغير بعيد ما قام به زعماؤهم من تأليب العرب على المسلمين وتحزيب الأحزاب في غزوة الخندق، ثم حثهم بني قريظة على الغدر بالمسلمين ونقض العهود التي كانت بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم [2]، مما اضطر المسلمين إلى الفتك ببعض زعمائهم مثل اليُسَيْر بن رزام الذي كان يجمع غطفان لغزو الرسول صلى الله عليه وسلم[3] وأبي رافع سَلاّم بن أبي الحُقَيْق.[4]

ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية، اغتنم فرصة مهادنته لقريش، وعزم على التوجه لليهود القابعين في خيبر وإنهاء وجودهم، وقد أمن هجوم القرشيين على المسلمين في ذلك الوقت، أو مساندتهم لليهود وتحالفهم معهم، فأقام بالمدينة شهر ذي الحجة وبعض محرم ثم تجهز للمسير إلى خيبر في بقية محرم[5].

خروج المسلمين إلى خيبر:

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بروح إيمانية عالية، مخلصين لله موقنين بالنصر، مستبشرين بالغنيمة التي وعدهم الله إياها وهم في طريق عودتهم من

---

[1] بتصرف، الرحيق المختوم: الشيخ صفي الرحمن المباركفوري ص ٣٦٤، مكتبة دار السلام الرياض ط: بدون ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.

[2] وذلك في السنة الخامسة انظر غزوة الخندق في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٢٩/٣.

[3] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٩٢/٤، ويقال أُسير بن رزام، انظر عيون الأثر ١٤٥/٢.

[4] انظر القصة في صحيح الإمام البخاري، كتاب المغازي باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ويقال سلاّم بن أبي الحقيق ٣/ ٢٦. وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٣١٣، وعيون الأثر ١٠٩/٢، وهو من يهود بني النضير الذين خرجوا إلى خيبر حيث فتك به المسلمون.

[5] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٣٧٨.

الحديبية، في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ ..الآية ﴾ [1].

ولم يسمح النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين وضعفاء الإيمان الذين تخلفوا في الحديبية بالخروج معه، فلم يخرج معه إلا أصحاب الشجرة، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا [2] نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ [3] قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ [4] فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ [5].

قال الإمام القرطبي[6] رحمه الله في تفسير هذه الآية: (يعني مغانم خيبر لأن الله عز وجل وعد أهل الحديبية فتح خيبر وأنها لهم خاصة، من غاب منهم ومن حضر)[7].

وثارت الحمية في قلوب المسلمين لقتال عدوهم، لم يفتّ في عضد المسلمين كثرتهم وقوتهم[8]، ولم يثن من عزمهم مَنعة حصونهم، بل تحركوا إلى خيبر تملؤهم الثقة بالله، والاطمئنان إلى وعده بالنصر، وتدفعهم عقيدتهم الصافية وإخلاصهم لإعلاء كلمة الله[9]،

---

[1] سورة الفتح جزء من آية ٢٠.

[2] وذلك حين ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى خيبر ليفتحوها فسألهم المخلفون أن يخرجوا معهم إلى المغنم. المرجع السابق ٧/ ٣١٩.

[3] قال مجاهد وغيره: وهو الوعد الذي وعد الله به أهل الحديبية، المرجع السابق ٣٢٠/٧.

[4] قال الحافظ ابن كثير : (أي وعد الله أهل الحديبية قبل سؤالكم الخروج معهم). المرجع السابق ٣٢٠/٧.

[5] سورة الفتح آية ١٥.

[6] هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، من كبار المفسرين صالح متعبد ورع، من أهل قرطبة ورحل إلى الشرق واستقر بمُنية بمصر وتوفي فيها عام ٦٧١ هـ رحمه الله. بتصرف، الأعلام: الزركلي ٣٢٢/٥.

[7] الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ١٦/ ٣٧٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط: ٢، ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م.

[8] قال الواقدي: وكانت يهود خيبر لا يظنون أن رسول الله يغزوهم لمنعتهم وحصونهم وسلاحهم وعددهم، كانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ثم يقولون: محمد يغزونا؟ هيهات، هيهات. ٢/ ٦٣٧.

[9] بتصرف، غزوة خيبر: محمد أحمد باشميل ص ١٢٥، دار الفكر ط:٤، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م. وانظر كذلك التاريخ الإسلامي ٢/ ٣١٥.

فانطلقوا مهللين مكبرين رافعين أصواتهم بذلك، حتى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفقوا بأنفسهم، وقال لهم: ((إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم))[1].

وسار الجيش في طريقه إلى خيبر ونزل عامر ابن الأكوع[2] رضي الله عنه (يحدو بالقوم يقول:

اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتدَيْنا ولا تصدقنا ولا صلَّيْنا

فاغفِرْ فِداءً لـــكَ ما أبقينـــا وأَلقِيَن سكينةً عليْنـــــا

وثبتِ الأَقْـــدامَ إنْ لاَقَيْنـــــا إنَّـــا إذا صِيحَ بنا أَبَيْنـــا

وبالصِّياحِ عَوَّلوُا علَينا)[3]

ونزل الجيش بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم بواد يُقال له الرجيع[4]، وكان بين اليهود وبين غطفان، وذلك ليحولوا بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وقد سمعوا بخروج النبي صلى الله عليه وسلم لخيبر، فجمعوا جموعهم، وخرجوا ليظاهروا اليهود، فلما ساروا مسافة ، سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حساً، فظنوا أن المسلمين قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم، وأقاموا في أهليهم وأموالهم، وخلوا بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين خيبر[5]،وكفى الله المؤمنين مؤونة قتالهم.

---

[1] صحيح الإمام البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر ٥/ ٧٥، وشك الراوي هل كان ذلك في ذهابه أو إيابه، ورجح الحافظ ابن حجر أنه كان في طريق عودته من الغزوة. انظر فتح الباري ٤٧٠/٧ ح ٤٢٠٥.

[2] هو عامر بن سنان بن عبد الله الأسلمي عم سلمة بن الأكوع رضي الله عنهما، خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر وبارز مرحبا اليهودي فارتد عليه سيفه فقتله رضي الله عنه، فقالوا حبط عمله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :((كذب من قاله، إن له لأجران-وجمع بين إصبعيه- إنه لجاهد مجاهد قلَّ عربي مشى بها مثله)). صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة خيبر ١٤٢٩/٣ ح ١٨٠٢، وانظر الاستيعاب ٩/٣، والإصابة ٢٥٠/٢.

[3] صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر ٥/ ٧٢. صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة خيبر ١٤٢٧/٣ ح ١٢٣.

[4] هو واد قبل الصهباء، لا يعرف اليوم، ومن المحتمل أن يكون في وادي اللِّحن، أو التمة، وهما واد واحد. وهناك رجيع آخر، وهو الذي ذكر في يوم الرجيع وهو شمال مكة. بتصرف، معجم المعالم الجغرافية ص ٢١٠، ١٣٨.

[5] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٣٨١. وتاريخ الطبري ١٠/٣.

ولما أشرف الجيش الإسلامي على خيبر ، وقف النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويستنصره فقال:((اللهم رب السماوات السبع وما أظلَلْن، ورب الأرَضين السبع وما أقلَلْن، ورب الرياح وما ذرين، ورب الشياطين وما أضللن، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها))[1].

وقدم المسلمون خيبر، وروحهم المعنوية كأفضل ما يكون، سمواً وبذلاً وتضحيةً في سبيل الله وكان قدومهم ليلاً، (وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى قوماً بليل، لم يُغِر[2] بهم حتى يصبح[3]، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتِلِهم[4]، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس[5]. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((خرِبَت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح المنذَرين[6]))[7].

وقد حقق النبي صلى الله عليه وسلم بذلك عنصر مفاجأة اليهود، حين رأوا جحافل الجيش الإسلامي مرابطة أمام مدينتهم فأوقع ذلك الاضطراب بينهم ، وارتدوا إلى حصونهم هاربين فزعين.

بدء المعركة وفتح خيبر:

حاصر المسلمون حصون خيبر[8] متأهبين لقتال اليهود، وقد أخذوا أسلحتهم وأعدُّوا عدتهم لذلك، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستثير همم أصحابه لمواجهة

---

[1] أورده الحافظ الهيثمي دون تحديد زمنه في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٥٩٠ ح ٢٣٧٧، وأورده كذلك في مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٤، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وذكره في فتح خيبركتاب السير، انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٣٧٩، وعيون الأثر ١٦٩/٢، والبداية والنهاية ١٨٣/٤.

[2] من الإغارة، انظر فتح الباري ٧/ ٤٦٨ ح ٤١٩٧.

[3] قال ابن إسحاق: فإن سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار، ٣/ ٣٧٩.

[4] المساحي: جمع مسحاة: وهي المجرفة من الحديد. النهاية في غريب الحديث ٣٢٨/٤، والمكاتل: جمع مِكتل: وهو الزّبيل الكبير. النهاية في غريب الحديث ١٥٠/٤، وانظر فتح الباري ٧/ ٤٦٨ ح ٤١٩٧.

[5] يعني الجيش، سمي به لأنه مقسوم خمسة أقسام: المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب. النهاية في غريب الحديث ٧٩/٢، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٦٤.

[6] قال الحافظ ابن حجر: يؤخذ من هذا الحديث التفاؤل، لأنه صلى الله عليه وسلم لما رأى آلات الهدم أخذ منه أن مدينتهم ستخرب. بتصرف، فتح الباري ٧/ ٤٦٨ ح ٤١٩٧.

[7] صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر ٥/ ٧٣. وفي رواية أخرى زاد: الله أكبر خربت خيبر.

[8] قال د. محمد أبو شهبة: كانت حصون خيبر ثلاثة مجاميع ، وكل مجموعة ثلاث حصون تمتد من الجنوب إلى

أعدائهم، وأن يحفز في نفوسهم البذل وحب الله ورسوله، فقال:((لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله))[1].

وعند ابن اسحق رحمه الله:((يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار))[2].

فبيّن النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته شرطين رئيسين للحصول على النصر بإذن الله وهما: حب الله تعالى ورسوله، والثبات في المعركة وعدم التولي في الزحف.

وتطلع الصحابة رضوان الله عليهم إلى نيل هذا الشرف، وتمناه كل واحد منهم، فقد روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه:(فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: ((أين علي بن أبي طالب؟)) فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: ((فأرسلوا إليه)). فأُتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ).

ثم سلَّمه الراية، وأوصاه بدعوة اليهود إلى الإسلام قبل مداهمتهم وقتالهم، فالدعوة إلى الله ليست في حال السلم فقط، بل قد تكون والمسلم في قلب المعركة، فالمسلم داع إلى الله تعالى قبل أن يكون مقاتلاً ، والدعوة إلى الله هي الأصل، والهداية خير من القتل[3] فقال له صلى الله عليه وسلم:((انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النعم[4]))[5].

وهذه الوصية تظهر مدى حرصه صلى الله عليه وسلم على هداية الناس ودخولهم في الإسلام حتى لو كان ذلك سبباً في تفويت الغنائم على المسلمين.

الشمال، يتخللها النخيل والزروع والمنازل المتفرقة، وهذه المجاميع هي: النَطَاة والشِّق والكَتِيبة، أما النطاة فكانت ثلاث حصون: ناعم والصَّعب وقُلة، وكانت الشِّق حصنين: أُبَي والبَريء ، وأما الكَتِيبة فكانت ثلاث حصون: القُمُوص والوَطِيح والسُلاَلِم. بتصرف، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ٤١٦/٢.

[1] صحيح الإمام البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر ٥/ ٧٦.

[2] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٣٨٦.وأورد نحوها الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥١/٦.

[3] بتصرف، المنهج الحركي للسيرة النبوية ٨٢/٣.

[4] حمر النعم: هو من ألوان الإبل المحمودة، والمراد أن تكون لك فتتصدق بها أو تملكها. فتح الباري ٧/ ٤٧٨ ح ٤٢١٠.

[5] صحيح البخاري، كتاب المغازي باب غزوة خيبر ٥/ ٧٧، وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي رضي الله عنه ٤/ ١٨٧٢، ح ٢٤٠٦.

والتقى الجمعان وأبدى المسلمون من ضروب الشجاعة والتضحية في سبيل الله ما أذهل اليهود، وجعلهم يستميتون في الدفاع عن أنفسهم وعن حصونهم.

وفتح الله على رسوله أول الحصون حصن ناعم، ثم فتح بعده حصن القَموص، ثم جعل النبي صلى الله عليه وسلم يفتح حصون خيبر واحداً تلو الآخر، وكلما فتح حصناً يهرب شراذم اليهود إلى الحصن الذي يليه، حتى انتهى إلى آخر حصونهم: الوَطِيح والسُلاَلم، فحاصرهم حصاراً شديداً، حتى إذا أيقنوا بالهلكة ورأوا أن الدائرة عليهم، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم وأن يسيِّرهم ففعل.

ثم سألوه أن يبقيهم على زراعة أرض خيبر مقابل نصف ما يخرج من ثمارها فأعطاهم ذلك[1]، على أن يخرجهم متى شاء،[2] وكان النبي قد حاز الأموال كلها: الشِّق ونَطَاة والكَتِيبة وجميع حصونهم[3].

وقد جرت أثناء القتال مبارزات عديدة[4]، أظهر فيها المسلمون شجاعةً وإقداماً عظيمين، وكان النصر فيها حليف المسلمين، ورأى اليهود منهم ما زلزلهم وقذف الوهن في قلوبهم.

وسمع من وراء خيبر من اليهود كأهل فدك[5] بما حدث لإخوانهم في خيبر، فبعثوا للرسول صلى الله عليه وسلم يسألونه الصلح، فصالحهم وحقن دماءهم وعاملهم في أموالهم وأراضيهم كأهل خيبر ، أن يقوموا بها ولهم نصف الثمر.

---

[1] ومما رواه الإمام البخاري في صحيحه: (أعطى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر اليهود أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها)، كتاب المغازي باب معاملة النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر ٥/ ٨٤.

[2] وقد أخرجهم بعد ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما روي في صحيح الإمام البخاري كتاب الشروط باب إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك. وصحيح الإمام مسلم كتاب المساقاة باب المساقاة والمعاملة بجزء من التمر والزروع ٣/ ١١٨٧، ح ١٥٥١. وانظر تاريخ الطبري ٣/ ١٧٦.

[3] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٣٨١- ٣٨٩.

[4] منها مبارزة مرحب اليهودي لعامر بن الأكوع رضي الله عنه ثم مبارزته لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه، وكذلك لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومنها مبارزة أخيه ياسر للزبير بن العوام رضي الله عنه ، انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام من ص ٣٨٣- ٣٨٥.

[5] قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يوميان وقيل ثلاثة وهي شرقي خيبر تعرف اليوم بالحائط. انظر معجم البلدان ٤/٢٣٨، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٢٣٥.

وتم الصلح بينهم على ذلك، وكانت فدك خالصةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب، وكانت خيبر فيئاً بين المسلمين[1].

وسُر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون بنصر الله تعالى، وطابت نفوسهم برضاه تعالى عنهم، وبما رزقهم من الغنائم، وكانوا قد حازوا كثيرا من المغانم وأصابوا كثيراً من السبي.

وكان من جملة السبي صفية بنت حيي بنت أخطب[2] فأسلمت رضي الله عنها، واصطفاها النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه وتزوجها، وقد روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه: (أنه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها)[3].

ورافق فتح خيبر قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المهاجرين من أرض الحبشة، فوافوا الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فتحه لخيبر وانتصاره على اليهود، فسُرِّ الرسول صلى الله عليه وسلم بقدومهم، وظهر عليه شعور من الفرح الغامر، فتلقاه وقبل جبهته وقال: ((ما أدري بأيهما أنا أفرح، بفتح خيبر أو بقدوم جعفر؟))[4]، وأشركهم في الغنائم مع المسلمين.

---

[1] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٣٨٩، و فتح خيبر موضع خلاف: هل فتحت صلحا أم عنوة، للاستفادة انظر زاد المعاد ٣/٣٢٨- ٣٣٢.

[2] هي أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية من سبط اللاوي بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما الصلاة والسلام، كانت تحت سلام بن مشكم ثم تزوجها كنانة بن أبي الحقيق فقتل يوم خيبر وسبيت وصارت في سهم دحية الكلبي، ثم استعادها النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقها وتزوجها، توفيت رضي الله عنها سنة ٥٠ هـ رضي الله عنها .بتصرف، سير أعلام النبلاء ٢/٢٣١، والإصابة ٤/٣٤٦

[3] كتاب النكاح باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها ٢/ ١٠٤٥، ح ١٣٦٥.

[4] المستدرك على الصحيحين: الإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري كتاب معرفة الصحابة باب مناقب جعفر بن أبي طالب ٣/٢١١، وقال: هذا حديث صحيح إنما ظهر بمثل هذا الإسناد الصحيح مرسلا، ووافقه الذهبي في التلخيص وهو بحاشية المستدرك، دار الكتاب العربي بيروت، ط: بدون. وقد حسن الحديث الشيخ الألباني أنظر فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي، وانظر الطبقات الكبرى ٢/ ١٠٨.

قال أبو موسى الأشعري[1] رضي الله عنه- وكان قد هاجر من اليمن فألقته وأصحابه السفينة في الحبشة، فبقوا هناك مع جعفر رضي الله عنه والمهاجرين-:(فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر، فأسهم لنا أو قال: فأعطانا منها)[2].

[1] هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضَّار الأشعري، أسلم بمكة ورجع لقومه ثم هاجر معهم، فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي، ثم هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد افتتحت خيبر، فقال لهم :((لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إلي)).كان حسن الصوت بالقرآن فقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم :((أنه أعطي مزمارا من مزامير آل داود)). شهد الفتوح واستعمله عمر رضي الله عنه على البصرة، ففقه أهلها وأقرأهم، توفي سنة ٤٢ وقيل غير ذلك، وعمره نيف وستين سنة رضي الله عنه. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٠، والإصابة ٢/٣٥٩.

[2] صحيح الإمام البخاري كتاب فرض الخمس، باب ١٥ (لم يترجم له) ٤/ ٥٥.

أثر فتح خيبر على المسلمين:

كان هذا الفتح المبين عقابا من الله تعالى لليهود على مكرهم وشرورهم وعدوانهم، وإذلالاً لهم، وثواباً منه تعالى للمؤمنين الصادقين المجاهدين في سبيله بأموالهم وأنفسهم، ونصراً لهم على عدوهم الذي ما فتئ يدس لهم ويكيد عليهم، وتصديقاً لقوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [1] .

ومن الآثار الميمونة لهذا النصر:

١ـ خضْدُ شوكة اليهود في الحجاز، وتَصفيةِ الموقف معهم، وأمْنُ جانبهم نهائياً[2]:

كانت خيبر آخر معاقل اليهود في الحجاز، وكانت مصدراً للشرور والفتن، ووكراً لتدبير المكائد للمسلمين، ولما تم فتح خيبر وانتصر المسلمون بفضل الله، ودان اليهود لسلطان المسلمين، انتهت قوة اليهود ونفوذهم بشكل نهائي ، وبقوا في خيبر منزوعي السلاح، أُجَراء عند المسلمين يعملون في أراضيهم، وقد أمن المسلمون بذلك الجهة الشمالية للمدينة، حيث لم يقم لليهود قائمة بعد ذلك في جزيرة العرب.

ومما يدل على سماحة الإسلام، وعلى عظمة النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه عامل اليهود بعد هزيمتهم بصفتهم بشراً غير مقاتلين-ولو كانوا أعداءً له ولرسوله-، فبعد تأمينهم على أرواحهم، لم يستنزف طاقتهم كالعبيد، بل أمكن إيجاد جو من التعايش معهم، بحيث يشتغلون بأرض المسلمين ولهم نصف الثمر[3]، لمعرفتهم بالزراعة، ولسلب القوة من تحت أيديهم، كونهم أجراء يجليهم المسلمون متى شاءوا.

وقد أتاح القضاء على الكيان اليهودي وشروره، للمسلمين التفرغ لقريش، وإعداد العدة لمجابهتها، إذا ما أرادت نقض عهدها مع المسلمين، والمسلمون موقنون، أنه لا بد أن يأتي اليوم الذي

---

[1] سورة الصافات الآيات ١٧١-١٧٣.

[2] انظر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، صور مقتبسة من القرآن الكريم ٢/٢٠٥.

[3] بتصرف، المنهج الحركي للسيرة النبوية ٣/٧٩.

يطهرون فيه البيت الحرام من الأوثان، ويقيمون دولة الإسلام التي ترفع لواء التوحيد وتنشر العدل والسلام.

٢-حصول المسلمين على الغنائم وتوسع أحوالهم المادية:

بعد فتح خيبر واستسلام حصونها، وزّع النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم على المسلمين ، وكانت شيئاً عظيماً لم يغنم الجيش الإسلامي مثله في أي غزوة من قبل[١]، فقد كان اليهود أصحاب تجارة وذهب وأموال، حتى قيل إن أعيان مكة في أعراسهم يرسلون فيستعيرون منهم الحلي، ولما عثر النبي صلى الله عليه وسلم على كنزهم، قُوم فكان بعشرة آلاف دينار لما وجد فيه من الذهب والجواهر[٢].

كما كانت خيبر منطقة زراعية مشهورة بزراعة التمور، ولما غنم الصحابة رضوان الله عليهم تلك المزارع، أبقوا اليهود فيها كي يقوموا بزراعتها ويقتسموا مع المسلمين خيراتها، وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:(لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر)[٣].

٣-حصول المسلمين على الكثير من العتاد والأسلحة:

احتوت حصون خيبر على مخازن للعتاد والأسلحة، وتطوع أحد اليهود بإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن أمرها، بعد أن أصابهم الرعب وتزلزلت صفوفهم ، وذلك لما حاصر النبي صلى الله عليه وسلم حصن الصَّعب – وهو من حصون النَطَاة المنيعة– فقال له: إن في هذا الحصن تحت الأرض منجنيقاً ودبابات[٤] ودروعاً وسيوفاً. ثم أوقفه عليها لما فتح الحصن[٥] وغنمها المسلمون مع الغنائم.

٤- زيادة إيمان المسلمين وقوتهم:

فهم قد آمنوا بالله وصدقوا بموعوده لهم، لَّما نزلت البشرى بالفوز والنصر، ولم يهابوا كثرة أعدائهم، لأنهم خرجوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى، صابرين محتسبين، وهذا شأنهم دائماً، فكان لثقتهم بنصر الله وتأييده لهم، دور فعال في بث الحماسة في نفوسهم

---

[١] انظر غزوة خيبر: محمد باشميل ص ٢٧٠.

[٢] بتصرف، السيرة الحلبية ٢/ ٧٤٦.

[٣] صحيح الإمام البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر ٨٣/٥.

[٤] جمع دبابة وهي: آلة تتخذ من جلود وخشب، يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه، وتقيهم ما يرمون به من فوقهم. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٩٦.

[٥] انظر السيرة الحلبية ٧٣٣/٢ و ص ٧٤٢.

والشجاعة في قلوبهم، وتثبيت أقدامهم، ويصدق فيهم قوله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[1].

٥ـ تفرغ المسلمين لنشر الإسلام وعدم انشغالهم بالزرع، واستفادتهم من خبرة اليهود الزراعية:

تجلَّت حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في قبوله سؤال اليهود له أن يبقيهم في أرضهم يزرعونها ويقومون بها، وذلك رغبةً عن قيام الصحابة بزراعة هذه الأراضي والانشغال بها عن الجهاد في سبيل الله، فالدعوة الإسلامية في ذلك الحين تحتاج إلى كل فرد من أفرادها، ليجاهد في سبيل نشرها ولإعلاء كلمة الله، وتحوّل المسلمين للقيام بالأرض وزراعتها سيضطرهم إلى سكناها، وهذا بدوره سيحول دون تفرغهم للجهاد لنشر دين الإسلام، وقد كان الجهاد من أهم وسائل الدعوة إلى الله في تلك الفترة من تاريخ الإسلام [2].

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين من الانشغال بالزرع عن الجهاد في سبيل الله، فقال صلى الله عليه وسلم :((إذا تبايعتم بالعِينَة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم))[3].

وقال صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه لما رأى شِعباً فيه عيينة من ماء فأعجبته، وفكر في اعتزال الناس والإقامة في هذا الشعب:((لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة، أغزو في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة))[4].

---

[1] سورة البقرة جزء من آية ٢٤٩.

[2] بتصرف، دراسة في السيرة ص ٣٥٤.

[3] سنن أبي داود كتاب الإجارة باب في النهي عن العينة ٣/٢٧٤ ح ٣٤٦٢ واللفظ له، ولم يحدد زمن الحديث،ومسند الإمام أحمد ٢/٨٤ عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه محقق جامع الأصول ١١/٧٦٥. والعينة: هو(أن يبيع شيئا بثمن مؤجل، ويسلمه إلى المشتري، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقد أقل من ذلك القدر). عون المعبود ٩/٣٣٦.

[4] سنن الترمذي كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله ٤/١٨١ ح ١٦٥٠ وقال: حديث حسن.

كما روي أن أبا أمامة الباهلي[1] رضي الله عنه رأى سكَّة[2] وشيئاً من آلات الحرث، فقال:(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل))[3].

قال الحافظ ابن حجر[4]رحمه الله: ومحل ذلك إذا اشتغل به فضيع بسببه ما أمر بحفظه، أو أنه يتجاوز الحد فيه. وقيل: إن هذا لمن يقرب من العدو، فإنه إذا اشتغل بالحرث لا يشتغل بالفروسية، فيتأسد عليه العدو، فحثهم أن يشتغلوا بالفروسية، وعلى غيرهم إمدادهم بما يحتاجون إليه[5].

ووعى أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا الدرس جيداً، فأعلن سيره على هدي النبوة من أول يوم في خلافته، وأكد أهمية الجهاد، لما خطب في المسلمين وقال:(لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله، إلا خذلهم الله بالذل)[6].

كما تنبه الصحابة رضوان الله عليهم لذلك، فجندوا كل طاقاتهم لنشر الإسلام، جهاداً ودعوة وتعليماً، حتى بلغت دعوة الإسلام مشارق الأرض ومغاربها.

واستمر المسلمون على إبقاء اليهود بخيبر ليقوموا بزراعة الأرض، حتى كان عهد الفاروق رضي الله عنه، فرأى أن المصلحة في إجلائهم عن خيبر، وذلك لما أصبحوا مصدراً للإفساد والغدر[7] وسبباً لقلق الدولة الإسلامية.

---

[1] هو صُدَي بن عجلان بن الحارث اشتهر بكنيته، بايع تحت الشجرة، سكن الشام وكان مع علي رضي الله عنه بصفين، قال للنبي صلى الله عليه وسلم :مرني بعمل. فقال له:((عليك بالصوم فإنه لا مثل له)) فكان أبو أمامة وامرأته وخادمه لا يلفون إلا صياماً. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٣/٣٥٩، والإصابة ٢/١٨٢.

[2] هي الحديدة التي تحرث بها الأرض، انظر فتح الباري ٥/٥ ح ٢٣٢١.

[3] صحيح الإمام البخاري كتاب الحرث والمزارعة، باب ما يحذر من الاشتغال بآلة الزرع، أو مجاوزة الحد الذي أمر به ٣/ ٦٦.

[4] هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ولد بالقاهرة سنة ٧٧٣ هـ وتوفي فيها سنة ٨٥٢ هـ، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث ورحل لليمن والحجاز ليسمع من شيوخها، وانتشرت مصنفاته في حياته وعلت شهرته فقصده الناس للأخذ منه، وأصبح حافظ الإسلام في عصره رحمه الله تعالى. بتصرف، الأعلام: الزركلي ١/١٧٨.

[5] بتصرف، فتح الباري ٥/٥ ح ٢٣٢١.

[6] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٣٤١، والبداية والنهاية ٦/٣٠١.

[7] انظر الحديث في صحيح البخاري كتاب الشروط باب إذا اشترط في المزارعة(إذا شئت أخرجتك) ٣/١٧٧،

وقد ثبت عند عمر رضي الله عنه، وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بإخراجهم[1] في قوله: ((لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع إلا مسلماً))[2] .

إضافة إلى اتساع الفتوحات الإسلامية ، وكثرة الخدم في أيدي المسلمين، وقدرتهم على العمل في الأرض وزراعتها[3]،كل ذلك كان سبباً في أن يجمع عمر رضي الله عنه أمره على إخراجهم ، فأجلاهم عن خيبر[4].

أثر الخبر على أهل مكة:

علَّقت القبائل العربية المعادية للرسول صلى الله عليه وسلم، آمالاً كبيرة على يهود خيبر في القضاء على المسلمين، لأنها تعرف قوة يهود خيبر الحربية، وما كانوا يتمتعون به من موفور السلاح وقوة الحصون والآطام ، ووجود القادة المحنكين والأبطال، لذلك كان وقع انتصار المسلمين الرائع كبيراً في قلوبهم[5]، وأصابتهم الحسرة وخيبة الأمل لذلك.

أما في مكة فقد بات الناس فيها على ترقب وانتظار، يتسمعون ويستخبرون عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، لمّا بلغهم أنه سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومَنعة ورجالاً، فهم يتحسسون الأخبار ويسألون الركبان[6].

ثم أن أحد الصحابة المشاركين في فتح خيبر، وهو الحجَّاج بن عِلاط السُلمي[1] رضي الله عنه أجمع المسير إلى مكة لجمع أمواله هناك، فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم

وقد اعتدى اليهود على ابن عمر رضي الله عنهما، فخلعوا يديه ورجليه، كما عدوا على عبد الله بن سهل الأنصاري وقتلوه. انظر قصته في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤٠٩/٣.

[1] وقد روى الإمام مالك قول ابن شهاب الزهري: (ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب، حتى أتاه الثلج واليقين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((لا يجتمع دينان في جزيرة العرب))، فأجلى أهل خيبر) موطأ الإمام مالك باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة- مع شرحه- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٨٨/٣،، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون.

[2] صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ١٣٨٨/٣ ح ١٧٦٧. وسنن الترمذي كتاب السير باب ما جاء في إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ١٥٦/٤ ح ١٦٠٧ .

[3] بتصرف، فتح الباري ٥/ ٣٢٨، ح ٢٧٣٠.

[4] بتصرف، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ص ٤٢١-٤٢٢.

[5]انظر السيرة النبوية: أبو الحسن الندوي ص ٣١٨، دار الشروق جدة، ط: ٨، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩ م.

[6] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٩٩/٣.

في أن يقول ما شاء حتى يتسنى له جمع ماله، فأذن له صلى الله عليه وسلم ، فسار حتى إذا وصل ثنية البيضاء[٢]، وجد رجالاً من قريش يتسمعون أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، -ولم يكونوا قد علموا بإسلامه- فأخبرهم بما يسرهم من هزيمة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وأخبرهم أنه جاء لجمع أمواله ليشتري مما غنمه اليهود من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وانتشر الخبر في مكة، فحزن المسلمون هناك أشد الحزن، وأظهر المشركون الفرح والسرور، وبلغ الخبر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فجعل لا يستطيع أن يقوم من الغم، فأتاه الحجاج رضي الله عنه، وأخبره بحقيقة الأمر، وبالنصر المبين الذي أحرزه المسلمون على اليهود، واستكتمه الخبر ثلاثة أيام حتى يرحل من مكة، ثم يعلنها بين أظهر قريش.

ولما مضت الأيام الثلاثة، خرج العباس إلى الكعبة، وطاف بها ثم أخبر قريشاً بنصر الله لرسوله وللمسلمين على يهود خيبر، فرد الله تعالى الحزن والكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين.

وخرج المسلمون وهم مكتئبون، حتى أتوا العباس رضي الله عنه فأخبرهم الخبر فسُّروا به وفرحوا [٣]، (فكان كذب الحجاج سبباً في تحصيل مصلحته، من غير إضرارٍ بالمسلمين، وأما ما نال من بمكة من المسلمين من الأذى والحزن، فمفسدة يسيرة إلى جنب المصلحة التي حصلت بالكذب، ولا سيما تكميل الفرح والسرور، وزيادة الإيمان

---

[١] هو الحجاج بن علاط بن خالد بن نويرة بن هلال السلمي الفهري، يكنى أبا كلاب وقيل أبا محمد وأبا عبد الله، قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر فأسلم وسكن المدينة، مات في خلافة عمر رضي الله عنهما. بتصرف، الاستيعاب ٣٤٤/١، والإصابة ٣١٣/١.

[٢] عقبة قرب مكة والمقبل من المدينة تهبطه إلى أسفل مكة من قبل ذي طوى. وعلى قرارها اليوم مسجد عائشة ومنه يعتمر الناس ويسمى المكان العمرة. بتصرف، معجم البلدان ٨٥/٢، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٥٥.

[٣] انظر الحديث في مسند الإمام أحمد ٣/ ١٣٨ عن أنس رضي الله عنه. والمصنف: الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ٤٦٦/٥ ح ٩٧٧١، تحقيق وتخريج وتعليق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، نشر المجلس العلمي جنوب أفريقيا وباكستان والهند، ط: ١ ١٣٩٠هـ ١٩٧٠ م. وانظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٣٩٨.

الذي حصل بالخبر الصادق بعد هذا الكذب)[1]،وعلمت قريش أنها قد خسرت حلفاءها السابقين اليهود، وأن خصومهم المسلمين أصبحوا كيانا قويا لا يستهان به.

[1] زاد المعاد ٣/٣٥٠.

المطلب الثاني: معركة مؤتة [1] وأثرها على المسلمين:

سبب المعركة:

أتاح القضاء على الكيان اليهودي في خيبر ، التوسع في الجهة الشمالية من جزيرة العرب، وامتداد الدعوة الإسلامية إلى بلاد الشام، وذلك بعد مكاتبة الملوك، وبعث الرسل إليهم حاملين معهم رسالة الإسلام ، ليخرجوهم وشعوبهم من ضيق الأديان إلى سعة الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

قرر النبي صلى الله عليه وسلم اتخاذ موقفٍ حاسمٍ إزاء القبائل العربية النصرانية الموالية للروم، بعد المواقف الغادرة التي اتخذها أمراؤهم ضد دعاة الإسلام ورسلهم إلى الشام[2]، وذلك حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة كعب بن عمير الغفاري[3] رضي الله عنه إلى ذات أطلاح[4]بالبلقاء[5]، لدعوة أهلها إلى الإسلام، فالتقوا بجموع منهم وعرضوا عليهم الإسلام، فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبال حتى قتلوهم، و لم ينج منهم إلا رجل واحد أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم.[6]

---

[1] قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، بها كانت تطبع السيوف وإليها تنسب المشرفية من السيوف، وهي بلدة أردنية تقع جنوب الكرك على يسار المتجه من معان إلى عمَّان، قربها مكان يدعى المزار، وهو قبر جعفر الطيار رضي الله عنه. بتصرف، معجم البلدان ٢١٩/٥، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٣٠٤.

[2] بتصرف، دراسة في السيرة ص ٢٩٤.

[3] كعب بن عمير الغفاري من كبار الصحابة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعثه المرة بعد المرة أميراً على السرايا، ثم بعثه إلى ذات أطلاح في السنة الثامنة فقُتل أصحابه جميعا، وتحامل هو حتى بلغ المدينة، وقيل أنه قتل وأن الذي نجا هو عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين. بتصرف، الاستيعاب ٢٩٢/٣، والإصابة ٣٠١/٣.

[4] موضع من وراء ذات القرى إلى المدينة، و لم يقف المؤلف على من يعرفها اليوم. بتصرف، معجم البلدان ٢١٨/١. ومعجم المعالم الجغرافية ص ٣١.

[5] إقليم من أرض الشام، في الأردن، تتوسطه مدينة عمَّان، ومنطقته جبلية عالية، فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة. بتصرف، معجم البلدان ٤٨٩/١، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٤٩.

[6] وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثمان للهجرة، انظر المغازي: الواقدي ٧٥٢/٢، والطبقات الكبرى ١٢٧/٢، وعيون الأثر ١٩٧/٢.

تلى ذلك حادثة مقتل الحارث بن عُمير الأزدي[1] رضي الله عنه ،مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك بُصرى[2] على يد شُرَحْبيل بن عمرو الغساني[3][4]، واشتداد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما في ذلك من استهانة بالمسلمين، وكان من المعروف أن الرسل لا تقتل[5]، فقرر النبي صلى الله عليه وسلم تأديب هذه القبائل وإعلامها بقوة المسلمين.

---

[1] هو الحارث بن عمير الأزدي اللِهْبي، بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك بصرى بكتابه، فلما نزل مؤتة، عرض له شُرَحبيل بن عمرو الغساني، فلما عرف أنه من رسل محمد صلى الله عليه وسلم أوثقه رباطاً وضرب عنقهً رضي الله عنه، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره، بتصرف، المغازي: الواقدي ٧٥٥/٢، الإصابة ٢٨٦/١.

[2] هو الحارث (أو الحرث) بن أبي شمر الغساني، ملك عربي متنصر يحكم بأمر الرومان منطقة الجولان وبصرى والمناطق الممتدة جنوبا حتى حدود جزيرة العرب، وقد ذكره ابن اسحق ضمن الملوك الذين أرسل لهم رسول الله صلى الله عليه وسل وقال عنه الحرث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام. انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٧٩/٤، والأعلام: الزركلي ١٥٥/٢، وغزوة مؤتة: محمد أحمد باشميل ص ٢٥١ دار الفكر ط:٢ ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م. وبصرى كانت مدينة في حوران ، وهي اليوم آثار قرب مدينة درعة، وحوران إقليم من بلاد الشام يشمل المنطقة الواقعة بين عمان ودمشق. انظر معجم البلدان ٤٤١/١، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٤٣.

[3] هو أحد الأمراء العاملين على البلقاء، وهو تابع للملك الحارث بن أبي شمر الغساني. انظر الرحيق المختوم ص ٣٨٧، وانظر غزوة مؤتة: محمد الباشميل ص ٢٥٢.

[4] انظر المغازي: الواقدي ٧٥٥/٢، وزاد المعاد ٣٨١/٣، والطبقات الكبرى ٢/ ١٢٨، وعيون الأثر ٢/ ١٩٨، والسيرة الحلبية ٢/ ٧٨٦. وغير ذلك من كتب السيرة إلا ابن اسحق في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر فيها سببا مباشراً لمعركة مؤتة. وهذا ما رجحه د. أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة ٤٦٧/٢، حيث ذكر انفراد الواقدي بذكر السبب المباشر لهذه الغزوة، وهذا يضعف الخبر، وكذلك بين أن غزو القبائل العربية في أطراف الشام وإخضاعها وتوسيع الرقعة الإسلامية من مستلزمات تشريع الجهاد بصرف النظر عن الأسباب المباشرة. وأقول –والله أعلم– لعل تكرار اعتداء النصارى العرب على المسلمين كان دافعا للرسول صلى الله عليه وسلم بتعجيل هذه الخطوة، التي كان من الممكن تأجيلها حتى تستتب الأمور في الجزيرة العربية، ويتم فيها القضاء على الوثنية قضاءً تاماً.

[5] انظر خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم: الشيخ محمد أبو زهرة ١١٣٩/٢، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، ط: بدون ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

السير إلى المعركة، وأحداثها:

ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس للجهاد، وذلك في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة، وجهز جيشاً كبيراً قوامه ثلاثة آلاف مسلم[١]، وهو أكبر جيش إسلامي يبعثه النبي صلى الله عليه وسلم خارج المدينة، واختار قادة للجيش من خيرة أصحابه، لهم في الإسلام سبق وفضل، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:(أمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة[٢]))[٣].

و مما يدل على حنكة الرسول صلى الله عليه وسلم الحربية وبعد نظره، أن يولي عدة أمراء للجيش بالترتيب، تحسبا للطوارئ ، وذلك منعاً للفوضى واضطراب الجيش و تشتته وهو في أرض بعيدة، وفي مواجهة أعداء مجهولي العدد والقوة،(وهذه هي المرة الأولى التي يتخذ فيها النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا الاحتياط)[٤].

ووقف المسلمون يودعون الجيش، وأوصاهم النبي صلى الله عليه وسلم بأن يأتوا مقتل الحارث بن عمير رضي الله عنه ، وأن يدعو من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا بالله وقاتلوهم[٥]،وقال لهم:((اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً..))[٦].

---

[١] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤٢٧/٣.

[٢] هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكنى أبا محمد وليس له عقب، من كتاب الأنصار ومن السابقين الأولين للإسلام، وأحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدراً وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة ، مناقبه كثيرة رضي الله عنه .بتصرف، سير أعلام النبلاء ٢٣٠/١، والإصابة ٣٠٦/٢.

[٣] صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة مؤتة من أرض الشام ٨٧/٥.

[٤] السيرة النبوية الصحيحة ٤٦٧/٢.

[٥] الطبقات الكبرى ١٢٨/٢، ومختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٨٦، دار العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط: بدون ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م.

[٦] روى الإمام مسلم هذه الوصية في كتاب الجهاد والسير باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو، ولم يثبت فيها غزوة بعينها، وذكرها هنا الواقدي في المغازي ٧٥٧/٢، والمباركفوري في الرحيق المختوم ص ٣٨٨.

ومشى المسلمون يشيعون الجيش ويودعونه، تتعالى أصواتهم بالدعاء لهم:(صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين)[1].

ومضى المجاهدون وقلوبهم معلقة بالجنة والشهادة، مستعينين بالله فهم مقدمون على حرب مع عدو شرس، لم يسبق لهم مواجهته بمثل هذا الجمع، وقد خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فقال ابن رواحة رضي الله عنه :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فَرْغ تقذف الزَّبدا[2]

وبلغت أنباء جيش المسلمين الروم، فجهزوا جيشاً بلغ مائة ألف مقاتل، ونزلوا بالبلقاء، وانضم إليهم من القبائل العربية المتنصرة هناك مائة ألف أخرى، ونزل المسلمون في معان[3]،وفوجئوا هناك بما لم يكن في الحسبان، جيش كثيف عرمرم، وبينهم وبين المدينة مسافة طويلة، فتشاوروا فيما بينهم ، فاقترح بعضهم أن يكتبوا للرسول صلى الله عليه وسلم بعدد عدوهم، فيمدهم بمدد أو يأمرهم بما شاء.

ثم حسم الموقف عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين ذكرهم بسبب خروجهم، ورغبهم في نيل الشهادة في سبيل الله، واستثار الإيمان الكامن في قلوبهم، فقال:(يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون، الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة)[4].

واستجاب الجيش لابن رواحة رضي الله عنه ،ورغم الفرق الكبير بين الجيشين، لم يعترض عليه أحد من المسلمين، و لم يحدث انقسام في الجيش، بل ألهب خطابه حماسهم، وحفزهم لقتال الكفار، تدفعهم عقيدتهم الصادقة ويقينهم بأن ما عند الله خير وأبقى.

---

[1] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤٢٨/٤ ، وعيون الأثر ١٩٩/٢.

[2]ذات فرغ: يعني واسعة، والزبد: أصله ما يعلو الماء إذا غلا، و أراد ههنا ما يعلو الدم الذي ينفجر من الطعنة. حاشية سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤٢٨/٣.

[3] مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز وهي في الأردن وتبعد عن عمان ٢١٢ كيلا جنوبا. بتصرف، معجم البلدان ١٥٣/٥، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٣٠٠.

[4]سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤٣٠/٣، وانظر المغازي: الواقدي ٧٦٠/٢، وعيون الأثر ٢/ ١٩٩، والكامل في التاريخ ١٥٩/٢، و التاريخ الإسلامي ٢٣٤/٢.

ثم تحرك الجيش الإسلامي حتى وصل إلى مؤتة، ورصَّ قائدهم الصفوف، وأخذوا أسلحتهم، والتحمت صفوف المسلمين بالكفار، وقاتل المسلمون ببسالة، مضحِّين بأرواحهم، مقبلين غير مدبرين، وقاتل زيد بن حارثة رضي الله عنه وهو يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اخترقت جسده رماح الأعداء، فسقط شهيدا.

فتناول منه الراية جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقاتل بها حتى إذا اشتدت ضراوة القتال، نزل عن فرسه فعقرها، ثم قاتل القوم مترجلا وهو يحمل الراية بيمينه فقطعت يمينه، فأخذها بشماله فقطعت، فاحتضنها بعضديه خوفا من أن تقع -لأن وقوع الراية دليل هزيمة الجيش، وبوقوعها تنهار معنويات المقاتلين-[1]،حتى أثخنته الجراح، ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين، فوقع شهيدا رضي الله عنه، وبه أكثر من تسعين ضربة[2].

واستلم الراية بعده الأمير الثالث، عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، فأخذ يستحث نفسه وتردد قليلا، وهو يقول:

أقسمت يا نفسُ لتَنزِلنَّه لتنْزِلنَّ أو لتكْرَهنَّه

إن أجْلبَ الناسُ[3] وشدُّوا الرَّنَّة مالي أراك تكرهين الجنة

قد طالما قد كنتِ مطمئنَّة هل أنت إلا نُطْفة في شَنَّه[4]

وقاتل براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد كصاحبيه[5].

ووقع في الجيش اضطراب شديد بعد فقده لقادته الثلاثة، وتراجع المسلمون[1]، حتى أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني عجلان[2] رضي الله عنه ، وصاح بالمسلمين كي

---

[1] بتصرف، التاريخ الإسلامي ٣٣٦/٢.

[2] روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:(فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية) كتاب المغازي باب غزوة مؤتة ٥/ ٨٧.

[3] أجلب عليه: إذا صاح به واستحثه. النهاية في غريب الحديث ٢٨٢/١.

[4] يقال للماء الكثير والقليل: نطفة وهو بالقليل أخص. النهاية في غريب الحديث ٧٤/٥. والشنة: جمعها شنان: وهي الأسقية الخلقة.المرجع السابق ٥٠٦/٢.

[5] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٤٣٥، وتاريخ الطبري ٤٠/٣.

يجتمعوا ويختاروا لهم أميرا، فاختاروه فأبى، ثم اصطلحوا على خالد بن الوليد رضي الله عنه وسلمه الراية،(وثابت رضي الله عنه أبى القيادة لا نكوصا عن الموت، بل شعورا بوجود الأكفأِ منه في الجماعة، وحملانه الراية خشية أن تسقط من آيات الجرأة في هذا الموقف العصيب)[٣]،وهذه هي أول معركة يشترك فيها خالد بن الوليد بعد إسلامه[٤]، كما أنها المرة الأولى التي وُضع فيها في اختبار كهذا،بأن يكون قائدا للجيش المسلم.

وفي المدينة تعلقت قلوب المسلمين بالأحداث الجارية في ساحة المعركة، والنبي صلى الله عليه وسلم يحدثهم بخبر الجيش، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:(إن النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس، قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال:((أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب- وعيناه تذرفان- حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم))[٥]، فبشرهم بالفتح على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه ، الذي ظهرت عبقريته الحربية وخبرته القتالية في هذه المعركة، فاستحق بجدارة هذا الوسام الشريف الذي سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد أبلى خالد رضي الله عنه في القتال بلاء عظيما، يصف ذلك ويقول:(لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية)[٦]، وقد تجلت حكمته، ومعرفته بسياسة الحروب، عندما أدرك خطورة موقف المسلمين ، فصار هدفه إنقاذ الجيش من الهلاك والإبادة الشاملة التي قد يتعرض لها ، إذا استمر القتال، وإخراج الجيش من دائرة القتال بنظام وحكمة ، لأن الانهزام بالجيش سيعرضه لملاحقة

---

[١] روى ابن سعد في الطبقات حال المسلمين فقال:(ثم انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط، حتى لم أر اثنين جميعا) ٢/١٣٠، وانظر المغازي: الواقدي ٢/ ٧٦٣.

[٢] هو ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي حليف الأنصار، من البدريين، قتل سنة ١١ هـ في حروب الردة، قتله طلحة بن خويلد الأسدي هو وعكاشة بن محصن، ثم أسلم بعد رضي الله عن الصحابة أجمعين. بتصرف، الاستيعاب ١/١٩١، والإصابة ١/١٩٠.

[٣] فقه السيرة: محمد الغزالي ص ٣٩٨.

[٤] وقد كان إسلامه في صفر سنة ثمان، انظر سير أعلام النبلاء ١/ ٣٦٦.

[٥] صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة مؤته ٥/ ٨٧.

[٦] المرجع السابق ٥/ ٨٧.

الأعداء وبالتالي سقوط كثير من القتلى، فانتهج خطة حكيمة، إذ غيَّر مواقع فرق الجيش، فأبدل الساقة مع المقدمة، وأبدل الميمنة مع الميسرة، ليوهم الأعداء بأن هناك مددا للمسلمين، وقد أفلحت الخطة، وانكشف الروم منهزمين[1]، وتم الفتح على يدي خالد بن الوليد، وتمكن من الانسحاب بالجيش دون أن يتكبد المسلمون خسائر تذكر على الرغم من أن حركة الانسحاب من أصعب الحركات العسكرية، لاحتمال انقلاب الانسحاب إلى هزيمة وخسائر فادحة،[2]وذلك إذا فكر الروم في مطاردة المنهزمين وتطويقهم.

نتيجة المعركة:

تضاربت الروايات في نتيجة هذه المعركة[3]: فرأى البعض: أن النصر كان للمسلمين، ورأى البعض الآخر: أنه كان للروم، والفريق الثالث رأى: أن كل فئة انحازت عن الأخرى.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن الاختلاف في المراد بقوله صلى الله عليه وسلم عن خالد رضي الله عنه: ((حتى فتح الله عليه)) هل كان هناك قتال فيه هزيمة للمشركين، أو المراد بالفتح انحياز خالد بالمسلمين حتى رجعوا سالمين. ثم قال: يمكن الجمع بأن خالدا لما حاز بالمسلمين بات، ثم أصبح وقد غير هيئة العسكر، وتوهم العدو أنهم قد جاء لهم مدد، حمل عليهم خالد حينئذ، فولوا فلم يتبعهم، ورأى الرجوع بالمسلمين هي الغنيمة الكبرى[4]، ولعل هذا الرأي هو الصحيح، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((حتى فتح الله عليه))، فقد كان ظفرا ونصرا، أن يرجع بقية أفراد الجيش سالمين، وبخسائر طفيفة

---

[1] انظر المغازي: الواقدي ٢/ ٧٦٤، والسيرة الحلبية ٢/٧٨٨، وغزوة مؤتة: محمد باشميل ص ٣٢١.

[2] بتصرف، الرسول القائد ص ٣٠٨.

[3] روى الإمام البخاري أن الهزيمة كانت على الروم وحكى ابن اسحق ٣/ ٤٣٥، وابن الأثير في الكامل ٢/ ١٦٠، وابن سيد الناس في عيون الأثر ٢/ ٢٠١، أن كل فئة انحازت عن الأخرى واختار ذلك ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٣٨٣، وروى الواقدي في المغازي ٢/ ٧٦٣ وابن سعد في الطبقات ٢/ ١٢٩ أن الهزيمة على المسلمين، ثم روى ابن سعد انتصارهم ص ١٣٠. وقد ذكر الحافظ ابن كثير تفصيل الأقوال ورجح بينها في البداية والنهاية، وجمع بين الأقوال بأن خالدا لما أخذ الراية حاش بالقوم المسلمين حتى خلصهم من أيدي الكافرين، فلما أصبح وحول الجيش ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة كما ذكره الواقدي- توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين، فلما حمل عليهم خالد هزموهم بإذن الله، ٤/٢٤٦-٢٥٠ .

[4] انظر فتح الباري ٧/ ٥١٤.

بعد تلك التجربة العصيبة، مع الإثخان في الروم وإصابتهم بقتلى وجرحى، غير أنه ظفر الجولة ونصر الحملة الصادقة، لا ظفر الميدان أو نصر الموقعة الحاسمة[1].

ولما اقترب الجيش من المدينة ، بعد أن فتح الله عليهم ، تلقاهم المسلمون ومعهم الصبيان يشتدُّون، والرسول صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة فقال:((خذوا الصبيان فاحملوهم، وأعطوني ابن جعفر)) فأُتي بعبد الله فأخذه وحمله بين يديه.

وبدا للناس في ظاهر الأمر أن انسحاب الجيش من أرض المعركة كان عن هزيمة ، فصاحوا بالجيش وجعلوا يحثون التراب في وجوههم ويقولون: يا فرّار فررتم في سبيل الله. فبرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه التهمة وأثنى عليهم وقال:((ليسوا بالفرّار، ولكنهم الكرّار إن شاء الله تعالى)).[2]

---

[1] بتصرف، خالد بن الوليد: صادق إبراهيم عرجون ص ٧١، الدار السعودية، ط:٣، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

[2] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٤٣٨. وقد اعترض الحافظ ابن كثير على هذه الرواية، وذكر أن هذا الاستقبال كان للذين فروا حين التقى الجمعان، أما بقية الجيش فلم يفروا، بل نصروا كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء تلقاهم المسلمون إكراما وإعظاما، انظر البداية والنهاية ٤/٢٤٨.

أثر معركة مؤته على المسلمين:

١ـ ارتفاع معنويات المسلمين واستبشارهم بالفتح والنصر:

وذلك حين بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح الذي تم على يد سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وحين عاينوا بأنفسهم الجيش الإسلامي يعود سالماً بعد قتال مرير، مع عدو يفوقه عددا وعدة، ولم يفقد من جنوده إلا اثني عشر شهيدا،[١] ويعود وقد نكل بالروم وأثخن فيهم بالقتل،(ولا شك أن استبسال المسلمين في القتال، وشجاعتهم النادرة، وحرصهم على الشهادة، بالإضافة إلى عبقرية خالد رضي الله عنه العسكرية)[٢] ، هو الذي مكنهم من هذا النصر، وقبل ذلك وبعده توفيق الله تعالى لهم، وفضله عليهم ونصره لهم، قال تعالى:﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ .. الآية ﴾[٣] .

٢ـ ازدياد الإسلام عزة وقوة ومنعة، واحترام وهيبة القبائل العربية للمسلمين:

فصمود جيش تعداده ثلاثة آلاف مسلم، في وجه جيش تعداده مائتي ألف ومن أعتى الجيوش في ذلك الوقت، ثم خسارته لأعداد قليلة من أفراده، ثم انسحابه بشكل منظم وبأقل عدد من الخسائر، بعد إيقاع نوع من الهزيمة بالأعداء، كل ذلك بلا شك أكسب المسلمين هيبةً وعزاً ، وأذل كبرياء الكفار أمام صمودهم، وأشعرهم بقوة المسلمين، وقد كان هذا اللقاء بينهم توطئة وتمهيدا لفتح بلاد الروم، ودخولها في حوزة الإسلام.

أما القبائل العربية فقد كان لهذه المعركة أثر كبير في نفوس أفرادها، الذين كانوا يرون في الروم عدواً لا يقهر، وكانوا يدينون لهم بالخضوع، وبعد رؤيتهم لجيش المسلمين وهو يجابه جيش الروم، ويفتح الله عليهم، ويبدد أسطورة الجيش الذي لا يقهر، أخذوا ينضمون تحت لواء المسلمين، فنرى الجيش الإسلامي يخرج في شهر رمضان في السنة ذاتها، ويتوجه إلى مكة، بعدد

---

[١] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٤٤٧.

[٢] السيرة النبوية الصحيحة ٢/٤٦٩.

[٣] سورة آل عمران جزء من آية ١٦٠.

يزيد على العشرة آلاف مسلم، ويضم تحت لوائه العديد من القبائل العربية كمزينة وسليم وغيرها.

٣-اكتساب المسلمين خبرات قتالية جديدة:

هذه المعركة هي أول منازلة بين المسلمين و الجيش الرومي مع القبائل المتنصرة العربية، وبهذه الأعداد الضخمة، والروم أصحاب خبرة قتالية، وتاريخ طويل في المعارك، وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾[1].

ومما لا ريب فيه أن المسلمين أفادوا دروساً عظيمةً في لقائهم الأول مع الروم في مستقبل حركاتهم الجهادية معهم، حيث تعرفوا على قوتهم وعددهم وأساليب قتالهم وخططهم وطبيعة أرضهم التي يقاتلون عليها[2]، وكان ذلك تدريباً للمسلمين على حرب الروم، وتعريفاً لهم -أي المسلمين-بخصائصهم القتالية، وقدراتهم وطاقاتهم، وخصائص أعدائهم كذلك.

وكان في لقاء الجيش المسلم مع الروم دعما قويا له في معاركه معهم، في الفتوحات الإسلامية فيما بعد، لأنه تجاوز بالمسلمين مرحلة الخوف من العدو القوي المجهول.

٤- تفرغ المسلمين للقبائل العربية المعادية في جزيرة العرب:

نجح الجيش الإسلامي في إيقاف الروم -جزئيا-عند حدهم بعد المعركة، فأمن المسلمون بذلك الحدود الشمالية، وانصرفوا لتأديب القبائل العربية التي كانت تهيئ نفسها للانقضاض على المدينة في غفلة من المسلمين، فجهز النبي صلى الله عليه وسلم عدة سرايا لذلك، منها سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى ذات السَّلاسِل[3] ، التي أرسلها لما بلغه أن جمعا من قضاعة تجمعوا يريدون الدُنوّ من أطراف المدينة، فحمل عليهم المسلمون، فهربوا في البلاد وتفرقوا[4].

---

[1] سورة الروم الآيات ١-٣.

[2] انظر السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٤٧٠.

[3] بلفظ جمع السلسلة، ماء بأرض جذام، وقيل اسم الماء سَلْسل، وتسمى اليوم المنطقة التي تقع فيها وادي العلا، شمال خيبر. بتصرف، معجم البلدان ٢٣٣/٣، ومعجم المعالم الجغرافية ص ١٥٩.

[4] وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة ثمان، انظر عيون الأثر ٢/ ٢٠٤.

ومنها سرية أبي عبيدة بن الجراح[1] رضي الله عنه إلى جهينة وذلك في رجب سنة ثمان[2]، وسرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري[3] رضي الله عنه إلى غطفان[4].

وغيرها من السرايا التي أدخلت الهيبة في قلوب من تحدثهم أنفسهم بشن الغارات على المدينة، وكان لذلك أثر عظيم لما أراد الله تعالى فتح مكة شرفها الله، إذ كانت قوة المسلمين موفورة، وقد أمنوا من حولهم من القبائل، وتفرغوا لتطهير بيت الله الحرام من الأوثان.

٥- إثبات عالمية الرسالة:

فمعركة مؤتة تعتبر استراتيجية حربية تهدف إلى إحداث نقلة بعيدة في سير الدعوة الإسلامية، وذلك بالخروج بها إلى خارج الجزيرة العربية، إيذانا بعالميتها، وعدم اختصاصها بالعرب، وإلغاء لفكرة العنصرية من الدين الإسلامي، فرسالة الإسلام عامة للناس جميعهم عربا وعجما، وهذا الأثر في أصله هدف من أهداف الدعوة الإسلامية.

٦- انتصار العقيدة في نفوس المسلمين، وازدياد الإيمان في قلوبهم:

إن صمود الجيش الإسلامي ، واستبسال المسلمين في جهادهم ضد جيش يزيد عليهم أكثر من ستين ضعفا، ويتفوق عليهم من الناحية العسكرية-ناحية الإعداد والتسليح- يثبت أن قلوب الصحابة حوت عقيدة سليمة قوية، رسخت في نفوسهم، وحرَّكتهم لخوض المعركة ضد الرومان، وقد كانوا يستميتون في القتال دفاعا عن هذه العقيدة.

---

[1] هو عامر بن عبد الله الجراح القرشي الفهري، أحد السابقين للإسلام، هاجر الهجرتين وشهد المشاهد، شهد بدرا وَقتل أباه يومئذ، وأبلى يوم أحد بلاء حسنا وهو الذي انتزع الحلقتين من وجه الرسول صلى الله عليه وسلم يومها فسقطت ثنيتاه، شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وسماه أمين هذه الأمة، ومناقبه كثيرة وشهيرة، أرسله النبي صلى الله عليه وسلم لأهل اليمن ليعلمهم الإسلام، وأشار أبو بكر بتوليته الخلافة يوم السقيفة، وسَّيره إلى الشام أميرا، فكان فتح أكثرها على يده، مات رضي الله عنه في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٥/١، والإصابة ٢٥٢/٢.

[2] انظر عيون الأثر ٢/ ٢٠٦.

[3] هو الحارث بن ربعي وقيل: اسمه عمرو وقيل النعمان، فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهد أحدا وما بعدها، قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: ((خير فرساننا أبو قتادة))،مات رضي الله عنه بالمدينة سنة ٥٤ هـ. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٢، والإصابة ١٥٨/٤.

[4] انظر عيون الأثر ٢/ ٢٠٩.

وعلى الرغم من أهمية الإعداد المادي، من رجال وخيل وسلاح لخوض المعارك كما حثّ القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ .. الآية ﴾[1]، فقد أثبت المسلمون في هذه الغزوة أن القوة المادية ليست هي كل شيء في كسب النصر، أو الحيلولة دون التعرض للهزيمة الساحقة، إنما الشرط الأساسي للثبات والنصر هو: توفر العقيدة السليمة الصادقة في قلب المسلم[2]،التي تؤتي ثمارها فتدفعه لطلب الشهادة في سبيل الله، لأنه قد باع روحه لله، كما قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[3]، فالمؤمن الحق لا يخشى قوات العدو الضاربة، فما انتصر المسلمون أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وفي أيام الفتح الإسلامي العظيم في زمن الخلفاء الراشدين بعُدة أو عدد، بل كان انتصارهم بالإسلام وبعقيدة لا إله إلا الله، محمد رسول الله[4].

٧- تفاني المسلمين في نصرة دينهم، وبذلهم أرواحهم رخيصة لإعلاء كلمة الله:

ظهرت البطولات الخارقة من المسلمين في هذه المعركة، وقد وضعوا نصب أعينهم هدفاً عظيماً بذلوا فيه مُهَجهم، واسترخصوا له أرواحهم، وهو إعلاء كلمة الله، ونشر دينه، وسيطر عليهم حب الشهادة والرغبة في الجنة.

---

[1] سورة الأنفال جزء من آية ٦٠.

[2] انظر غزوة مؤتة: محمد أحمد باشميل ص ٣٩٢- ٣٩٩.

[3] سورة التوبة آية ١١١.

[4] انظر بين العقيدة والقيادة: اللواء محمود شيت خطاب ص ١١٠، دار الفكر بيروت، ط: ١ ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م..

وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين في المدينة بمكانة الشهداء في هذه الغزوة وقال:((ما يسرّنا أنهم عندنا-أ و قال- ما يسرّهم أنهم عندنا))[1]،وذلك لما لهم من الأجر والكرامة عند الله تعالى.

كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة أن الله تعالى أثاب جعفراً رضي الله عنه بقطع يديه في المعركة، جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء[2]،(وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا حيَّا ابن جعفر رضي الله عنهما قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين)[3].

وفكرة الشهادة والفوز برضوان الله ، من أقوى الدوافع لمواجهة الأعداء والموت في سبيل الله، لأن ما عند الله خير وأبقى. وقد بين عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ذلك للمسلمين، حين لمس ترددهم في منازلة الأعداء فقال:(والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون) .

وقد وعى الصحابة هذا الأمر، فسطروا لمن بعدهم صحائف من نور تشع بالتضحية والفداء، ووهبوا أرواحهم ودماءهم وأموالهم للإسلام، وبذلوا الغالي والرخيص في سبيل هذه الدعوة، فضحوا بالنفس ، وجادوا بالمال، وأرخصوا الأهل والولد وكل شيء في سبيل هدف واحد وغاية واحدة، هي جعل كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وقد كان لجهادهم وتضحياتهم أكبر الآثار في إنجاح حركة الدعوة الإسلامية، وثباتها وحمايتها، وسرعة انتشارها.[4]

---

[1] صحيح الإمام البخاري كتاب الجهاد والسير باب تمني الشهادة ٣/ ٢٠٣.

[2] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/ ٤٣٤.

[3] صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة مؤتة ٣/٨٧.

[4] بتصرف، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، عبد الله بن محمد آل موسى ص ٣٣٤-٣٤٤ ، دار عالم الكتب الرياض ، ط:١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

هذه بعض الأحداث التي كانت تجري في مكة والمدينة قبل الفتح، والتي كان لها أثر واضح في تهيئة نفوس المسلمين للفتح، وكان تأثيرها يسير في اتجاهين متباينين:

الاتجاه الأول: مع فريق المشركين، قريش ومن شايعها وناصرها ضد المسلمين، فإن موقفهم العدواني من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين، وصدهم عن سبيل الله، وملاحقتهم للمسلمين، وإشعال الحرب معهم، كان كفيلا لأن يعتبرهم المسلمون أعداء مدى الحياة، أو يقضي الله أمرا كان مفعولا، فلا ولاء ولا محبة مع أعداء الله، وإنما هو التزام صادق بمعاهدة الحديبية، ولا شك أن قريشاً كانت تشعر بأن الخناق حولها يضيق تدريجيا، ومع كل انتصار وتقدم يحرزه المسلمون، وقد ضعضعها ذلك، وأرجعها عن موقف القوة، ومن ذلك إسلام بعض كبرائها، وانضمامهم لفريق المسلمين، وخسارتهم لحلفائهم السابقين (اليهود)، وملاحظتها أن قوة المسلمين تزداد وتعظم.

الاتجاه الثاني: وهو ما يتعلق بالمسلمين، فقد علمت قريش أن قوة المسلمين في تطور وتنام، وأنهم – أي المسلمين– لم يعودوا خصما يستهان به، خاصة بعد تأكيد وتعزيز كيانهم ، باعتراف قريش بهم اعتراف الند للند، وتفرغهم لنشر الدعوة الإسلامية، حتى اخترقت صفوفهم، وبعد القضاء على الغدر اليهودي ، وإنهاء وجوده في جزيرة العرب، اتجاههم بالدعوة إلى خارج الجزيرة العربية، سواء عن طريق الرسل، أو عن طريق الاحتكاك المباشر مع الروم ونصارى العرب، وإيقافهم عند حدهم.

إن ما سبق الفتح من أحداث، كان له أطيب الأثر في نفوس المؤمنين، فقد أخرج قادة ودعاة مؤهلين لحمل الدعوة ونشرها بين الناس، وبذل النفس والنفيس من أجل ذلك، حتى لو اضطرهم الأمر إلى تجديد الصدام مع قريش ومهاجمتها في عقر دارها، ولكن هناك صلح ومدة معقودة بينهم وبين القوم، وهم ينتظرون ما تؤول إليه الأحداث، وهم على أتم الاستعداد للمسير إلى مكة، لإزالة هذه العقبة الكؤود، وهذا ما سوف أفصِّله بعون الله تعالى في الفصول القادمة.

الفصل الأول: فتح مكة وآثاره.

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: أسباب فتح مكة وأحداثه.

المبحث الثاني: آثار فتح مكة.

المبحث الأول: أسباب فتح مكة وأحداثه.

توطئة:

مضت على صلح الحديبية سنتان تقريباً، لمس فيها المسلمون آثاره المباركة، حيث مكَّن لهم ذلك الصلح القضاء على القوة العسكرية لليهود-حلفاء قريش ضد المسلمين- كما أتاح لهم فرصة تحييد ومصالحة القبائل المحيطة بالمدينة، والتي كانت تقف موقفا معاديا للإسلام، مما أدَّى إلى انتشار الإسلام بينها، وهيَّأ لإبلاغ الدعوة الإسلامية إلى الآفاق، وأصبح المسلمون قوة عظيمة يُحسب لها ألف حساب.

وتطلَّع المسلمون نحو مكة ، ونفوسهم متشوِّقة إلى تطهير البيت الحرام من الرِّجس والأوثان، واجتثاث الشرك من قلوب أهلها، ولكن قريشاً تشكل العقبة الأولى في طريق تحقيق هذه الغاية، فبينهم وبين القوم عقود وعهود التزموا بها، وبرهنوا أنهم أوفى الناس بها، وقد مر بهم امتحان صعب[1]، فأعطوا الدليل على وفائهم والتزامهم بمواثيقهم.

ولَّما أراد الله تعالى تطهير بيته من الشرك والكفر ليعود البيت طاهراً للطائفين والعاكفين والساجدين، وليكون مثابةً للناس وأمناً، هيَّأ سبحانه أسباباً أدَّت إلى فتح مكة، ودخول المسلمين فاتحين منتصرين، وذلك بعد طغيان قريش وحلفائها وظلمهم وعدوانهم ونقضهم للعهد الذي بينهم وبين المسلمين.

وأوضح ما سبق ضمن المطلبين التاليين:

المطلب الأول: أسباب الفتح.

المطلب الثاني: أحداث الفتح.

---

[1] وذلك لما جاءهم أبو جندل رضي الله عنه فارًّا بدينه من عذاب المشركين، فسلَّمه النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه، ثم جاءهم أبو بصير رضي الله عنه مهاجرا فردَّه النبي صلى الله عليه وسلم كذلك، ولم يسمح له بالإقامة في المدينة، حتى كانت قريش هي المتخليَّة عن هذا الشرط. راجع ص ٦١ من الفصل السابق.

المطلب الأول: أسباب الفتح

كان من ضمن شروط صلح الحديبية ،إعطاء الحرية لمن شاء من قبائل العرب في الانضمام لأحد الفريقين، فتدخل في حلفه وعهده(فتواثبت خزاعة وقالوا: نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده، وتواثبت بنو بكر[1] فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم)[2] ، فكان لكل قبيلة ما لحلفائها من الحقوق، وعليها ما عليهم من الواجبات كالنصرة لحلفائها، والالتزام بالعهد وعدم البغي والاعتداء على الأطراف المسالمة لها.

وقد كان بين بني بكر وخزاعة ثأر قديم، يعود إلى ما قبل الإسلام[3]، فلما كانت الهدنة، اغتنم بنو بكر الفرصة وغدروا بخزاعة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :(وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ما ذكره محمد بن اسحق ...: كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة وقالوا نحن ندخل في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له الوتير[4] وهو

---

[1] بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، أخرجهم قصي من مكة مع من أخرج من خزاعة، فضغنوا عليهم، ثم حجز بينهم تشاغلهم بالإسلام، ثم دخلوا في حلفهم بعد صلح الحديبية. انظر الكامل في التاريخ ٣٥٨/١.

[2] سبق تخريجه ص ٥٤.

[3] وسببه أن رجلاً حليفا لبني بكر خرج تاجراً، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة على بني الأسود الديلي- وهم من أشراف بني بكر وكانوا يودون في الجاهلية ديتين لفضلهم في بني بكر- فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم، فبينما هم على ذلك ظهرت دعوة الإسلام وتشاغل الناس بها. انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣/٤، والمغازي: الواقدي ٧٨١/٢، وعيون الأثر ٢١٢/٢.

[4] اسم ماء بأسفل مكة، في الجنوب الغربي، على حدود الحرم، يبعد عن مكة ١٦ كيلا، وهو من ديار خزاعة قديما وحاليا، وقد أطلق اليوم على حيز منه اسم الكعكية، نسبة إلى الكعكي الذي تملك هذا الحيز منه. بتصرف، معجم البلدان ٣٦٠/٥، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٣٣١.

قريب من مكة، وقالت قريش: ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا أحد، فأعانوهم عليهم بالكُراع[1] والسلاح وقاتلوا معهم للضَّغن على رسول الله صلى الله عليه وسلم) [2].

وكان قائد بني بكر هو نَوْفل بن معاوية الدَّيْلي[3] ، فقاتلوا خزاعة حتى حازوا إلى الحرم، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر : يا نَوْفل إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك. فقال كلمة عظيمة، لا إله له اليوم، يا بني خزاعة، أصيبوا ثأركم فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه.

ولجأت خزاعة إلى دار بُدَيْل بن وَرْقَاء ودار مولى لهم يقال له رافع[4].[5].

قدوم وفد خزاعة على النبي صلى الله عليه وسلم واستنجادهم به:

عقب حدوث هذا العدوان قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم الخزاعي[6] حليف رسول الله ومعه وفد من خزاعة، وبلَّغه ما تعرض له قومه من الغدر والقتل على يد بني بكر وحلفائهم القرشيين، وهم آمنون غافلون وأنشده فقال

---

[1] اسم لجميع الخيل. النهاية في غريب الحديث والأثر: الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير ١٦٥/٤، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، ط: بدون ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م.

[2] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٤، والبداية والنهاية ٢٧٨/٤، ورواها عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما وهذا حديث طويل إسناده حسن، كما قال محسن أحمد الدوم في رسالته(مرويات غزوة فتح مكة) جمع ودراسة وتحقيق ص ٣٠، وهي رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية قسم الدراسات العليا شعبة السنة عام ١٤٠٠هـ. وهي غير مطبوعة .

[3] هو نوفل بن معاوية بن صخر بن كنانة الديلي، أسلم في الفتح ، وحج مع أبي بكر سنة ٩ هـ، وحج مع النبي صلى الله عليه وسلم، عاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة، نزل المدينة ومات بها في خلافة يزيد بن معاوية رضي الله عنه الله عنهم أجمعين. بتصرف، الإصابة ٥٧٨/٣.

[4] ترجم له الحافظ ابن حجر في الإصابة بقوله: رافع الخزاعي مولاهم ٥٠١/١.

[5] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٤، و المغازي: الواقدي ٧٨٣/٢، وذكر من قريش ممن أعان بني بكر صفوان بن أمية ومكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى.. وذكر أن عدد القتلى عشرون رجلا. انظر الطبقات الكبرى ١٣٤/٢، وعيون الأثر ٢١٣/٢، وتاريخ الطبري ٤٤/٣.

[6] هو عمرو بن سالم بن حصين بن سالم الخزاعي، كان رضي الله عنه يحمل ألوية خزاعة يوم فتح مكة. بتصرف، الإصابة ٥٣٦/٢.

:

يا ربِّ إنِّي نـاشـــــدٌ محـمـــــدَا حِـــــلفَ أبيـــــهِ وأبيـــنـــاَ الأَتْلدَا[1]

قدْ كنتمُ وُلْـــداً وكنـــــًّا والـــــداً ثُمتَ أَسلَمناَ فلمْ ننـــزِعْ يَدَا

فانصرْ رسول الله نصراً أبدَا وادعُ عبادَ الله يأتُوا مددَا[2]

فيهمْ رسولُ الله قدْ تـــجـــردَا إن سيمَ خسفاً وجْهُهُ تَربَّدَا[3]

في فيْلَقٍ كالبحرِ يجري مُزبِدا إن قريشاً أخلفُوك الموعِـــدا

ونقـــضوا ميثـــــاقَـــك المؤكَـــدا وجعلوا لي في كَداء رَصدا

وزعموا أن لستُ أدعو أحدا فهـــــم أذلُّ وأقـــــــلُّ عـــــــددا

هم بيتـــونا بالوتـــيـــرِ هُـــجَّـــدا وقتـــلونـــــــا رُكـــعـــــــاً وسُـــجـــدا

فلما انتهى قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((نصرت يا عمرو بن سالم)). فما برح حتى مرت بهم سحابة في السماء فقال:((إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب))[4].

ثم قدم وفد آخر بقيادة بديل بن ورقاء-وذلك قبل إسلامه- على النبي صـــلى الله عليه وسلم وأخبروه بعدوان بني بكر وبمظاهرة قريش لهم وانصرفوا راجعين إلى مكة[5].

وكان تواطؤ قريش مع بني بكر نقضا صريحاً لمعاهدة الحديبية، وعدوانا ظـــاهراً على حلفاء المسلمين، الذين تلزمهم نصرتهم، فبعث النبي صلى الله عليه وســـلم إلى

---

[1] ناشد : طالب و مذكر، والأتلد : القديم، حاشية سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٠/٤.

[2] المدد : العون. بتصرف، المرجع السابق، نفس الصفحة.

[3] تجرد: أي شمر وتهيأ لحربهم، والخسف: الذل، وتربد: تغير. بتصرف، المرجع السابق.

[4] بتصرف، دلائل النبوة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٧/٥، تخريج وتحقيق : د. عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط:١، ١٤٠٥هـــ ١٩٨٥م. سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١١/٤، والبداية والنهاية ٢٧٨/٤، وقال محسن الدوم في مرويات غزوة فتح مكة: الحديث حسن لذاته، وانظر المغازي: الواقدي ٧٨٩/٢، وعيون الأثر ٢١٤/٢. وعند المصنف: ابن عبد الرزاق قال صلى الله عليه وسلم :((والذي نفسي بيده، لأمنعهم مما أمنع منه نفسي وأهل بيتي)) ٣٧٤/٥ ح ٩٧٣٩، وإسناده حسن ، انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٥٥٧.

[5] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٢/٤، وعيون الأثر ٢١٤/٢، والكامل في التاريخ ١٦٢/٢.

قريش ليستوثق الخبر ويخيرهم دفع دية قتلى خزاعة، أو البراءة من حلف بني بكر الذين غدروا بخزاعة، أو بقطع الهدنة وإعلان الحرب فاختاروا القتال[1]، وبذلك برئت ذمة المسلمين أقيمت الحجة على قريش[2]، ثم إنهم تراجعوا وندموا لعلمهم بتعاظم قوة المسلمين وازدياد عددهم ، فأرسلوا أبا سفيان مبعوثاً للنبي صلى الله عليه وسلم ليجدد العهد معه وليزيد في المدة.

إرسال قريش أبا سفيان للمدينة:

أدركت قريش خطورة الموقف فبالرغم من أن بعضهم ظاهر بني بكر، إلا أن أكثرهم لم يكن راغبا في نقض الصلح، وإنهاء حالة السلم بينهم وبين المسلمين، أو إشعال فتيل الحرب مرة أخرى معهم، وقد حدس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، وأخبر أصحابه بتوقعه إيفاد قريش من يصلح الأمر، فقال:((كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة))[3].

وذلك ما كان بالفعل، فقد أرسلت قريش أبا سفيان لتجديد العهد، فلقي بديلاً وأصحابه في طريق عودتهم، فأخفوا عنه خبر قدومهم على النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه علم يقينا من آثار دوابهم أنهم قدموا المدينة ولقوا النبي صلى الله عليه وسلم[4] .

فمضى حتى وصل المدينة ووقف بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد اشدد العقد وزدنا في المدة. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :((ولذلك قدمت، هل كان

---

[1] رواه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٢٤٣/٤ وقال: هذا مرسل صحيح الإسناد، تحقيق: الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي، طبعته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ط: بدون، وله رواية أخرى في فتح الباري من رواية محمد بن عائذ، وقال بعدها: إن الواقدي أنكر ذلك وزعم أن أبا سفيان توجه مبادراً قبل أن يبلغ المسلمين الخبر ٦/٨ ح ٤٢٨٠. ولم يرو هذا من أصحاب السير إلا الواقدي ٧٨٦/٢ بإسناد ضعيف، أنكره هو نفسه، انظر شرح المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني: الإمام الشيخ محمد ابن عبد الباقي الزرقاني ٣٤٩/٢، ط: بدون، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٥٥٨

[2] بتصرف، السيرة النبوية: أبو الحسن الندوي ص ٣٣١.

[3] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٢/٤، وتاريخ الطبري ٤٥/٣، وعيون الأثر ٢١٥/٢. وقال محسن الدوم في مرويات غزوة فتح مكة: الحديث منقطع ص ٣٧.

[4] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٢/٤، والمغازي: الواقدي ٧٩١/٢، وتاريخ الأمم والملوك ٤٦/٣، والكامل في التاريخ ١٦٢/٢.

من حدث قبلكم؟)) قال: معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية، لا نغير ولا نبدل.

وخرج من عنده وهو يعلم أنه لم يحرز شيئاً، فدخل على ابنته أم حبيبة[1] أم المؤمنين رضي الله عنها، وهو يظن أنها قد تكون شفيعا له عند زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنها بادرته بما ألقى في نفسه اليأس من ذلك[2]، ذلك أنه لما ذهب ليجلس على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم طوته، فقال: يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ فقالت: هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشه. فقال: يا بنية والله لقد أصابك بعدي شر[3].

ثم ذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه، وسأله أن يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكلَّمه فقال : أأنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذَر لجاهدتكم به.

ثم دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنده فاطمة رضي الله عنها[4] وحسن[5] غلام يدب بين يديهما، فكلَّم علياً فقال له: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد

---

[1] هي رملة بنت أبي سفيان بن صخر بن حرب، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش، الذي اعتنق النصرانية ومات بالحبشة، فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم، فزوجه النجاشي وأصدقها أربعمائة دينار، ثم جهزها و بعثها إلى المدينة، ولما بلغ أباها أمر زواجها منه قال: ذاك الفحل لا يجدع أنفه -أي أنه كفء كريم-ماتت رضي الله عنها بالمدينة سنة ٤٤هـ.بتصرف، الاستيعاب ٣٠٣/٤، وسير أعلام النبلاء ٢١٨/٢، والإصابة ٣٠٥/٤.

[2] بتصرف، خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ١١٨٧/٢.

[3] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢/٤، و المغازي: الواقدي ٧٩٢/٢، ورواية موسى بن عقبة في البداية والنهاية ٢٨١/٤، والرواية حسنة، انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٥٥٩.

[4] هي فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمية القرشية صلى الله على أبيها ورضي عنها، سيدة نساء هذه الأمة، كانت أصغر بناته صلى الله عليه وسلم وأحبهن إليه، انقطع نسله عليه الصلاة والسلام إلا منها، تزوجها علي رضي الله عنه وعمرها ١٨ سنة، أول آل البيت لحوقا بالنبي صلى الله عليه وسلم توفيت رضي الله عنها بعده بخمسة أشهر تقريبا. بتصرف، سير أعلام النبلاء ١١٨/٢ الإصابة ٣٧٨/٤.

[5] هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبطه وهو وأخوه سيدا شباب أهل الجنة، أبو محمد ، ولد سنة ٣ هـ وسماه النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحبه حبا شديدا، وكان شبيها به، وقد قال عنه :((إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)) بويع له بالخلافة بعد أبيه فتولاها قريبا من سبعة أشهر، ثم سلم الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، حقنا لدماء المسلمين، قيل أنه قتل مسموما رضي الله عنه سنة ٥٠ هـ وعمره ٤٧ سنة .بتصرف، سير

عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه. فالتفت إلى فاطمة وسألها أن تأمر ابنها فيجير بين الناس، فلم تستجب له، ثم استنصح علياً فقال له: والله ما أعلم لك شيئاً يغني عنك شيئاً، ولكنك سيد بني كَنانة فقم فأجِر بين الناس ثم الحَق بأرضك. ففعل ذلك وهو يعلم أنه لن يغني عنه شيئاً[1].

ورجع إلى مكة وقد أخفقت مساعيه في الحصول على تجديد العهد من الرسول صلى الله عليه وسلم، أو على جوار أحد من الصحابة، وأخبر قريشاً بما حدث وهو عجب من طاعة المسلمين لرسولهم وعدم افتياتهم وتقدمهم عليه، فقال وهو يحكي لقريش ما لقي من المسلمين: والله لقد أبَى عليّ، وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له[2].

مما سبق تتضح الأسباب التي أدت إلى فتح مكة، فقد نقض بنو بكر (أحلاف قريش) معاهدة الصلح، واعتدوا على خزاعة(أحلاف المسلمين)،(وحكم حلفاء كل فريق، من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قريش، في الصلح، كحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكم قريش... فصاروا بذلك حربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، ثم أمدت قريش حلفاءها هؤلاء بما قووهم به على قتال خزاعة، حتى قتل منهم من قتل)[3]، وقد أعانهم القرشيون على ذلك بدافع الكره والبغض للرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين، وظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لن يعلم بما أقدموا عليه، فكانوا بذلك ناكثين للعهد ،وأعطوا الفرصة للنبي صلى الله عليه وسلم لغزوهم متى شاء، لكنه صلى الله عليه وسلم لم يبادر إلى ذلك،

أعلام النبلاء ٢٤٥/٣، والإصابة ٣٢٨/١.

[1] رواها باختلاف يسير مختصرة في المصنف: ابن عبد الرزاق ٣٧٥/٥ ح ٩٧٣٩، و دلائل النبوة ٧/٥، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٣/٤،واللفظ له و المغازي: الواقدي ٧٩٢/٢، وتاريخ الأمم والملوك ٤٦/٣، وعيون الأثر ٢١٥/٢. وقال مهدي رزق الله :إسناد الرواية حسن انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٥٥٨، وقد ضعفها الشيخ الألباني في تخريجه لفقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي ص ٤٠٥.

[2] من رواية موسى بن عقبة في البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٥٥٨/٤، وزاد في روايته أن أبا سفيان اتبع أشراف قريش يكلمهم فكلهم يقول: عقدنا في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[3] باختصار، شرح معاني الآثار: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي ٣١٧/٣، تحقيق وتعليق: محمد سيد جاد الحق ط: بدون.

بل أعذر إليهم وبعث إليهم من يخيرهم بين إمضاء المعاهدة والتكفير عما جنت أيديهم بدفع الدية، أو التبرؤ من حلف بني بكر ، أو نبذ معاهدة الصلح والمواجهة مع المسلمين، فاختاروا الأخير ثم ندموا على ذلك وبعثوا قائدهم أبا سفيان لتجديد العهد–أو أنهم بادروا ببعثه قبل أن يبعث لهم النبي صلى الله عليه وسلم –لكنه لم يفز بذلك، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عزم على نصرة خزاعة، والذهاب إلى قريش في عقر دارهم لتصفية الأمور معهم، وعبر عن ذلك بقوله: ((لا نصرت إن لم أنصر بني كعب مما أنصر منه نفسي))[1].

[1]أورد نحوه الحافظ الهيثمي وقال :(رواه أبو يعلى عن حزام بن هشام بن حبيش عن أبيه وقد وثقهما أبو حيان ،وبقية رجاله رجال الصحيح). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٦٢/٣، وانظر الطبقات الكبرى ١٣٤/٢ واللفظ عنده، وإمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والحفدة والمتاع: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ٣٥٨/١ تصحيح وشرح: محمود محمد شاكر .

المطلب الثاني: أحداث فتح مكة

بعد الانتهاء من الحديث عن الأسباب والدوافع التي جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يعزم على غزو قريش في عقر دارهم، ويخطط لفتح مكة، سوف أتناول الأحداث التي جرت في هذا الفتح، ووضعتها تحت عنوانين:

أولا: أحداث ما قبل الفتح:

١- الاستعداد للغزو واستنفار المسلمين لذلك:

أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتجهز للغزو ، وأمر أهله بتجهيزه، و لم يعلمهم بالجهة التي يقصدها، حرصا منه صلى الله عليه وسلم على كتمان الأمر، حتى تنقطع الأخبار عن قريش، فلا تأخذ أهبتها للقتال، وتعجز عن مقاومة الجيش الإسلامي، فتستسلم له دون إراقة دماء أو حدوث قتال، قال ابن اسحق رحمه الله:(وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر رضي الله عنه على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقال: أي بنية، أأمركم رسول الله أن تجهزوه؟ قالت : نعم، فتجهز. قال: فأين تُرَينه يريد؟ قالت: والله ما أدري[١]. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ، وقال:((اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش، حتى نبغتها في بلادها))[٢].

وأخفى النبي صلى الله عليه وسلم أمره وأخذ بالأنقاب[٣]، واستنفر القبائل الموجودة حول المدينة، وأكثرهم أسلم وغفار ومُزينة وجهينة وأشجع وسُليم، فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق إلى مكة، وتجهز المهاجرون والأنصار فلم

---

[١] وفي بعض الروايات أنه أخبرها بالأمر واستكتمها إياه، انظر المصنف: ابن أبي شيبة ٤٧٤/١٤ ح ١٨٧٤٦، ورواية موسى بن عقبة في البداية والنهاية ٢٨٢/٤، وإمتاع الأسماع ٣٦١/١، وقال محسن الدوم في مرويات غزوة فتح مكة : الحديث مرسل ص ٤٠.

[٢] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٤/٤، المغازي: الواقدي ٧٩٣/٢، وتاريخ الأمم والملوك ٤٧/٣، والبداية والنهاية ٢٨٣/٤، وصحح مهدي رزق الله الرواية في السيرة النبوية على ضوء المصادر الأصلية ص ٥٥٩.

[٣] أنقاب المدينة: أي مداخل أبوابها وفوهات طرقها، تفسير غريب الحديث: الحافظ ابن حجر ص ٢٤٤.

يتخلف منهم أحد[1].

٢-إرسال سرية تمويهية للإخفاء والتعمية:

أراد النبي صلى الله عليه وسلم التمويه على قريش وحلفائها ، وتحويل انتباههم عن نيته لغزوهم، فأرسل سرية بقيادة أبي قتادة بن ربعي رضي الله عنه إلى بطن أِضَم[2]، ليظن من يراها أن النبي صلى الله عليه وسلم متوجه إلى تلك الناحية، وتذهب الأخبار بذلك إلى مكة، فيتحول انتباه قريش وحلفائها عن خطته لغزوها، ويأمنوا جانبه، ويتمكن للمسلمين السيطرة عليهم دون تهيؤ منهم أو مقاومة.

ولما وصلت السرية إلى حيث أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بلغهم خبر مسير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة فسارت إليه ولحقته وهو بالسُقْيا[3][4].

---

[1] انظر دلائل النبوة ٥/٢٥- ٢٦، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/١٨، والطبقات الكبرى ٢/١٣٤، ومختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم: محمد بن عبد الوهاب ص ٢٩٤.

[2] أِضَم واد بجبال تهامة وهو وادي المدينة إذا اجتمعت أوديتها الثلاثة -بطحان وقناة والعقيق- بين أحد والشرثاء، -ويسمى الوادي اليوم الخُليل- إلى أن يتجاوز كتانة فيسمى وادي الحمض، إلى أن يصب في البحر. بتصرف، معجم البلدان ١/٢١٤، معجم المعالم الجغرافية ص ٢٩.

[3] قرية جامعة من عمل الفُرع بينهما مما يلي الجحفة تسعة عشر ميلا، بتصرف، معجم البلدان ٣/٢٢٨.

[4] ذكر خبر هذه السرية الواقدي في المغازي ٢/ ٧٩٦، وذلك أثناء سياقه لغزوة الفتح، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/١٣٣، أما ابن اسحق فقد أفرد لها فصلا خاصا بها ضمن جملة السرايا والبعوث، وذكر فقط إنها كانت قبل الفتح،انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٣٠٢، وهذه السرية لقت عامر بن الأضبط فسلم عليهم بتحية الإسلام، فقتله مُحَلِّم بن جثامة الليثي رضي الله عنه لشيء كان بينهما، ونزل فيه قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ..الآية ﴾ (سورة النساءجزء من آية ٩٤)، وجاءوا بمحلَّم ليستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :((اللهم لا تغفر لمحلم)) ثلاثا، وقيل أنه مات في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ودفن فلفظته الأرض مرة بعد مرة. انظر ترجمته في الإصابة ٣/٣٦٩. وانظر خبر هذه السرية في كتاب السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، دراسة نقدية تحليلية: بريك محمد العمري ص ٢٦٩- ٢٧٤،وقد ضعف خبر لفظ الأرض له. دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٣- محاولة تسريب خبر الغزو لقريش:

حاول حاطب بن أبي بلتعة[١] رضي الله عنه - وهو من البدريين ومن السابقين الأولين في الإسلام - أن ينقل إلى قريش خبر عزم النبي صلى الله عليه وسلم على غزوهم، وأرسله مع إحدى نساء المشركين، وقد فعل ذلك رضي الله عنه ليتخذ عند قريش يداً تدفعهم إلى حفظ وحماية أهله وولده المقيمين بينهم، و لم يكن له بمكة عشيرة تحميهم، فأعلم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما صنع ،فبعث صلى الله عليه وسلم في طلب المرأة وأخذ الكتاب منها.

وقد روى الحادثة الإمام البخاري رحمه الله فقال:(قال علي رضي الله عنه :بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير[٢] والمقداد، فقال:((انطلقوا حتى تأتوا رَوْضة خاخ[٣] فإن بها ظعينة[٤] معها كتاب، فخذوه منها)). قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتُخرجِنّ الكتاب أو لنلقِيَنَّ الثياب، قال: فأخرجته من عُقاصِها[٥]، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس

---

[١] هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي من ولد لخم بن عدي ، حليف قريش ،وقيل هو رجل من أهل اليمن وكان حليفا للزبير بن العوام رضي الله عنه ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك مصر ، مات سنة ٣٠ هـ وصلى عليه عثمان رضي الله عنه وعمره ٦٥ سنة رضي الله عنه . بتصرف، الاستيعاب ٣٤٨/١، والإصابة ٣٠٠/١.

[٢] هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، أبو عبد الله، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته، من المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأول من سلّ سيفه في سبيل الله، أسلم وعمره ١٢ سنة، وأوذي في سبيل الله، هاجر الهجرتين ، تقابل مع علي رضي الله عنه في موقعة الجمل فذكره علي فانصرف عن القتال، فلقيه ابن جرموز فقتله وذلك سنة ٣٦ هـ وعمره ٦٦ سنة رضي الله عنه .بتصرف، الاستيعاب ٥٨٠/١، وسير أعلام النبلاء ٤١/١ ، والإصابة ٥٤٥/١.

[٣] هو موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة على اثني عشر ميلا من المدينة. بتصرف، معجم البلدان ٣٣٥/٢، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أبو عباس شهاب الدين أحمد القسطلاني ٥٣٢/٦ ح ٣٠٠٧، دار الفكر بيروت لبنان، ط: ١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

[٤] الظعينة : المرأة في الهودج، واسمها سارة على المشهور، وكانت مولاة عمرو بن هشام بن عبد المطلب، وقيل اسمها كنود وتكنى أم سارة. بتصرف، إرشاد الساري ٥٣٢/٦ ح ٣٠٠٧.

[٥] ضفائرها، جمع عقيصة، وقيل:هو الخيط الذي تعقص به أطراف الذوائب.النهاية في غريب الحديث ٢٧٦/٣.

بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا حاطب ما هذا؟)) قال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرأً ملصقاً في قريش-يقول كنت حليفا و لم أكن من أنفسها- وكان من معك من المهاجرين، لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، و لم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنه قد صدقكم))، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: ((إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطَّلع على من شهد بدراً، قال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم))[1].

وقد عفا الله تعالى عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم لمكانته في الإسلام وفضله، وصدق محبته لله ورسوله، وعذره النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه و لم يعنفه، وأنزل الله في شأنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2].

واستمر المسلمون في الجهاز متكتمين على ذلك، حتى أتمُّوا استعدادهم وتأهبوا للمسير.

٤- خروج الجيش من المدينة:

بعد أن أكمل النبي صلى الله عليه وسلم جميع التجهيزات واجتمع شمل الجيش الإسلامي الذي بلغ تعداده عشرة آلاف [3]مقاتل، خرج صلى الله عليه وسلم بهذا

---

[1] صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي صلى الله عليه وسلم لهم ٨٩/٥، وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة ١٩٤١/٤ ح ٢٤٩٤ ، و قيل: كان في الكتاب أن(النبي صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم، فإنه منجز له وعده) الروض الأنف ٩٧/٤.

[2] سورة الممتحنة آية ١، وانظر لباب النقول في أسباب النزول ص ٢١٠، والجامع لأحكام القرآن ٥٠/١٨.

[3]كما روى البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب غزوة الفتح في رمضان ٩٠/٥، وقال الحافظ ابن

الجيش الكثيف من المدينة لإقامة فريضة الجهاد وللاقتصاص من أعداء الله النـــاكثين للعهد، وكان ذلك في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة، وقـــد روى الإمـــام البخاري رحمه الله عن ابن عباس[1] رضي الله عنهما: (أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في رمضان من المدينة، ومعه عشرة آلاف ، وذلك علـــى رأس ثمـــان ســـنين ونصف من مقدمه المدينة، فسار هو ومن معه مـــن المســـلمين إلى مكـــة، يصـــوم ويصومون، حتى بلغ الكَدِيد[2]-وهو مـــاء بـــين عُسْـــفان[3] و قُدَيـــد[4]- أفطـــر وأفطروا)[5].

وأمرهم صلى الله عليه وسلم بالفطر ليتقووا على مواجهة عدوهم، فقـــد روى الإمام مسلم رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:(سافر رسول الله صـــلى الله عليه وسلم في رمضان فصام حتى بلغ عُسْفان، ثم دعا بإناء فيه شراب فشربه نهارا

كثير:(وقال عروة بن الزبير: كان معه اثنا عشر ألفا وكذا قال الزهري وموسى بن عقبـــة)، البدايـــة والنهايـــة ٢٨٥/٤، وجمع بينهما الحافظ ابن حجر: بأن العشرة آلاف خرج بها من المدينة، ثم تلاحق ألفان. انظر فتح الباري ٨/ ٤ ح ٤٢٧٥.

[1] هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، ترجمان القرآن وحبر هذه الأمة، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وُلد وبنو هاشم بالشعب، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم الله بأن يعلمه الفقه والحكمة شارك في فتوح أفريقية، ولاه علي رضي الله عنه على البصرة وقاتل معه على الميسرة يوم صفين، مات بالطائف سنة ٦٨ هـــ وعمره ٧١ سنة رضي الله عنه .بتصرف، سير أعلام النبلاء ٣٣١/٣، والإصابة ٣٣٠/٢.

[2] موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة، وهو بين عُسْفان وأَمَج-وأمج تسمى اليوم الخُلَيْص-ويعرف اليـــوم باسم الحَمْض على ٩٠ كيلا من مكة، وهي أرض تسقى من وادي غُرَان. بتصرف، معجـــم البلـــدان ٤٤٢/٤ ومعجم المعالم الجغرافية ص ٢٦٣.

[3] بلدة بين الحرمين، وهي من مكة على مرحلتين على طريق المدينة، والجحفة على ثلاث مراحل، وتقع على ٨٠ كيلا من مكة شمالا. بتصرف، معجم البلدان ١٢١/٤، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٢٠٨.

[4] اسم موضع قرب مكة، وهو واد من أودية الحجاز التهامية، يقطعه الطريق من مكة إلى المدينة على نحـــو ١٢٠ كيلا ثم يصب في البحر عند القضيمة وفيه عيون وقرى كثيرة لحرب وبني سليم. بتصـــرف، معجـــم البلـــدان ٣١٣/٤، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٢٤٩.

[5] كتاب المغازي باب غزوة الفتح في رمضان ٩٠/٥، وقال الحافظ ابن حجر: والصواب على رأس سبع سنين ونصـــف، وإنما وقع الوهم من كون الغزوة كانت في سنة ثمان، ومن أثناء ربيع الأول إلى رمضان نصف سنة، والتحرير أنها سبع سنين ونصف، وتوجه الرواية بأنه بناء على التاريخ بأول السنة من محرم، فإذا دخل من السنة الثانية شهر أو شهران أطلق عليهـــا سنة مجازا، .. الخ بتصرف: فتح الباري ٤/٨ ح ٤٢٧٦.

حتى يراه الناس ، ثم أفطر حتى دخل مكة)[1].

وكان خروجه الذي اتفق عليه أهل السير في العاشر من رمضان، ودخوله مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه[2]، واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين الغفاري[3] رضي الله عنه [4].

٥- السير نحو مكة:

أعطت خطة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتمان ثمارها، فقد مضى الجيش الإسلامي نحو مكة، والمشركون غير عالمين به، لكنهم كانوا مترقبين وجلين وقد خافوا عاقبة غدرهم بالمسلمين وتوقعوا زحفهم عليهم.

وانضم للجيش من كان قد تأخر من القبائل[5]، وانتظم عقد الجيش، وقام النبي صلى الله عليه وسلم بعقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل[6].

وقد كان من بني سليم سبعمائة وقيل ألف، ومن بني غفار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد[7].

---

[1] صحيح مسلم كتاب الصيام باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية.. الخ ٢/٧٨٥ ح ١١١٣.

[2] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم :ابن هشام ٤/١٧، وفتح الباري ٤/١٨١ وصحيح مسلم بشرح النووي ٧/٢٣٤، وقد وقع اختلاف في تاريخ الفتح فقيل في يوم ١٦ من شهر رمضان وقيل ١٨ وقيل ١٢ وقيل ١٧ وقيل ١٩، لكن اتفقوا أنه في شهر رمضان،انظر الأحاديث في صحيح مسلم كتاب الصيام باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية...الخ ٢/٧٨٤، الأحاديث من ١١١٣ حتى حديث ١١١٦.

[3] هو كلثوم بن حصين بن خالد الغفاري مشهور بكنيته واسمه، كان ممن بايع تحت الشجرة وحضر غزوة تبوك، قيل أنه أسلم بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقاتل يوم أحد فرمي بسهم في نحره فبصق فيه النبي صلى الله عليه وسلم فبرئ. بتصرف، الاستيعاب ٤/٦٩، والإصابة ٤/٧٠.

[4] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم :ابن هشام ٤/١٧، وعيون الأثر ٢/٣١٧، وتاريخ الطبري ٣/٥٠، وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى: إنه خلف عبد الله بن أم مكتوم ٢/١٣٥.

[5] ذكر الواقدي في المغازي أن بني سليم لقوهم بالقديد، وأما سائر العرب فخرجوا من المدينة ٢/٧٩٩، وذكر كذلك موافاة بنو كعب له بالقديد ٢/٨٠٠.

[6] انظر المواهب اللدنية ٢/٣٦١.

[7] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٤٢، وانظر تفصيل ذلك عند الواقدي ٢/٨٠٠.

٦- قدوم العباس رضي الله عنه :

قدم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم بالجُحْفة[١] مهاجراً بعياله، وكان قد أسلم قبل فتح خيبر وكتم إسلامه، وأقام في مكة على سقاية البيت والرسول صلى الله عليه وسلم عنه راض[٢]، (لعلمه بإسلامه باطنا، وأن إقامته بها لخوفه على ماله وعياله، وكان ينفع المستضعفين بمكة، وبه يثقون)[٣]،فكان بقاؤه في مكة لمصلحة الدعوة ، فلما أراد الله له الخير وفضيلة الهجرة، غادرها إلى المدينة مهاجرا قبل فتحها[٤].

٧-إسلام بعض زعماء قريش:

أثناء سير الجيش إلى مكة قدم بعض زعماء قريش ممن كانوا حربا شعواء على الإسلام، ومن ألد خصومه وأشدهم عداوة له لمدة عشرين عاماً، فأعلنوا إسلامهم، ففي ثنية العقاب[٥] قدم ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه[٦]، وعبد الله بن أمية بن المغيرة[١]-أخو أم سلمة أم

---

[١] كانت قرية كبيرة عامرة ومحطة من محطات الحجيج على طريق المدينة، وهي ميقات أهل مصر والشام، وبينها وبين المدينة ست مراحل، وتوجد آثارها شرق مدينة رابغ بحوالي ٢٢ كيلا. بتصرف، معجم البلدان ١١١/٢، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٧٩.

[٢] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ١٨.

[٣] شرح المواهب اللدنية ٣٥٩/٢، وانظر الطبقات الكبرى ٣١/٤.

[٤] وقد اختلف في إسلامه رضي الله عنه، فقيل: إنه أسلم قبل بدر(سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٨٩/٢)، وقيل: قبل الهجرة إلى المدينة(وضعف الإمام الذهبي ذلك في سير أعلام النبلاء ٨٠/٢)،وقال الحافظ ابن حجر:(وكان إسلامه على المشهور قبل فتح مكة وقيل قبل ذلك، وليس ببعيد فإن في حديث أنس في قصة الحجاج بن علاط ما يؤيد ذلك) فتح الباري ٧٧/٧، سبق تخريج قصة الحجاج ص ٨٠ من هذا البحث، وقد جزم ابن عبد البر بإسلامه قبل خيبر، الاستيعاب ٩٥/٣، وقد رجح ذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى ١٨/٤، ومحسن الدوم في مرويات غزوة فتح مكة ص ٩٨، ومهدي رزق الله في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٥٦٣ ولعل هذا هو الصحيح والله أعلم.

[٥] وعند ابن هشام نِيق العقاب انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ١٨/٤، وهو موضع بين مكة والمدينة قرب الجُحفة، وقال البلادي: لا يعرف هذا الموضع اليوم وخاصة على الجادة ،بتصرف، معجم البلدان ٣٣٣/٥، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٣٢٠.

[٦] هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة، كان شبيها بالنبي

المؤمنين رضي الله عنهما-فالتمسا الدخول عليه، وكلمته أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في ذلك، وشفعت لهما عنده فقال:((لا حاجة لي فيهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، أما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال))[٢].

وكان أبو سفيان ممن اشتد هجاؤه وأذاه على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين، وأما عبد الله بن أمية فقد كان شديدا على المسلمين مخالفا مبغضا، وفيه وفي غيره من المشركين نزل قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[٣].

فلما علما بإعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عنهما قال أبو سفيان-ومعه ابن له: والله ليأذنن رسول الله أو لآخذ بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً أو جوعاً. فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رقَّ لهما فدخلا عليه.

وقيل إن علياً رضي الله عنه قال لأبي سفيان: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه، فقل له ما قاله إخوة يوسف ليوسف ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ

صلى الله عليه وسلم ،شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة، وقال: أرجو أن يكون خلفا من حمزة، قيل أنه حج، فحلقه الحلاق، فقطع ثؤلولا في رأسه فمرض منه ومات، قيل أنه مات سنة ١٥ هـ وقيل ٢٠ هـ رضي الله عنه .بتصرف، الاستيعاب ٨٣/٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠٢/١، والإصابة ٩٠/٤.

[١] هو عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي، أمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يقال لأبيه: زاد الركب، كان شديدا على المسلمين وهو الذي قال لأبي طالب عند موته: أترغب عن ملة عبد المطلب. شهد الفتح وحنين والطائف واستشهد فيها رضي الله عنه. بتصرف، الاستيعاب ٢٦٢/٢، والإصابة ٢٧٧/٢.

[٢] المستدرك على الصحيحين كتاب المغازي ٤٣/٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وانظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٨/٤.

[٣] سورة الإسراء الآيات ٩٠- ٩٣، وانظر سبب نزول الآيات في تفسير القرآن العظيم ١١٧/٥.

ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾[1]، فإنه لا يرضى أن يكون أحدٌ أحسن قولاً منه.

ففعل ذلك أبو سفيان فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم :﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[2]، وقبل منهما إسلامهما.

فأنشد أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مضى منه، فقال:

لَعمْرُكَ إني يومَ أحملُ رايـــةً ... لتغلبَ خيلُ اللاتِ خيلَ محمدِ[3]

لَكالمدلجِ الحَيرانِ أظـلمَ ليـلُه ... فهذا أوانُ الحقِ أُهدى وأهتدِي[4]

أفرُ سريعاً جاهداً عن محـمدٍ ... وأُدعى ولو لم انتسب لمحمـــدِ[5]

هم عُصبة من لم يقل بهواهُمُ ... وإن كـــان ذا رأيٍ يُلَـــم ويُـفـنَدِ[6]

هداني هاد غيرُ نفسي ونالني ... مـع اللهِ مـن طَـرَّدتُ كلَّ مُطَرَّدِ

فلما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم(إلى الله من طردت كل مطرد) ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال: ((أنت طردتني كل مطرد))[7].

وقد حسن إسلامهما رضي الله عنهما، وانضما لجنود الإسلام وشهدا فتح مكة.

وكان أبو سفيان رضي الله عنه ممن ثبته الله مع نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين، وكان لا يرفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياءً منه، وكذلك حسن إسلام عبد الله، وشهد حنين والطائف، ورُمي يومها بسهم فقتله.

---

[1] سورة يوسف جزء من آية ٩١.

[2] سورة يوسف جزء من آية ٩٢.

[3] يعني شهود الحرب ودعوته إليها، واللات صنم من أصنام العرب وأراد بخيل اللات: جيش الكفر والشرك، بتصرف حاشية سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٨/٤.

[4] يقال: أدْلج: إذا سار أول الليل، وأدِّلج: إذا سار من آخره النهاية في غريب الحديث١٢٨/٢.

[5] يقصد أنه يبعد بنفسه عن الدخول في الدين. حاشية سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٨/٤.

[6] ينسب إلى الفند، وهو: الكذب. النهاية في غريب الحديث ٤٧٤/٣.

[7] انظر الرواية في المستدرك على الصحيحين كتاب المغازي ٤٤/٣، وقال: صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وتابعه الذهبي، ودلائل النبوة ٢٧/٥- ٢٨، و سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٩/٤.

٨-إسلام أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه، وأخذه الأمان لأهل مكة:

عسكر المسلمون في مرِّ الظهران[١]، وأراد النبي صلى الله عليه وسلم إظهار قوة الجيش الإسلامي وكثرته فأمرهم بأن يوقد كل واحد منهم ناراً[٢]، وقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أن يصيب قلوب قريش بالرعب وتتزلزل نفوسهم، حين يرون هذه النيران العظيمة تضيء ظلام الصحراء، ويعلمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتاهم بجيش لا قبل لهم به، فتنهار معنوياتهم ويستسلموا للمسلمين دون أن تُراق الدماء.

وكان القلق قد أقضَّ مضجع قريش، وتزايد شعورها بأن هناك خطرا عظيماً وشيك الوقوع، فأرسلت أبا سفيان وحَكيم بن حزام وبُديل بن الورقاء - رضي الله عنهم ولَّما يسلموا بعد- ليتحسَّسوا لها الأخبار، ففوجئوا بنيران المعسكر، واحتاروا في أمرها ،فقال أبو سفيان: ما رأيت كالليلة قط نيراناً ولا عسكراً، فقال بُديل: هذه والله خُزاعة حمشتها الحرب، قال أبو سفيان: خُزاعة أقل وأذل أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

فلقيهما العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان مشفقاً على قومه أن يدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عُنوة، فيكون في ذلك هلاكهم وذلّهم، فخرج باحثاً عن بعض الحطابة أو صاحب حاجة يأتي أهل مكة، فيخبرهم بمكان الرسول صلى الله عليه وسلم، لعلهم يخرجون إليه ويستأمنوه قبل أن يدخل عليهم، وبينما هو كذلك إذ سمع حوار أبي سفيان مع بُديل، فنادى أبا سفيان فعرفه، فقال له: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله في الناس، واصباح قريش والله، قال: فما الحيلة فداك أبي وأمي؟ قال: والله لئن ظفر بك ليضربنَّ عنقك. ثم أردفه خلفه وذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذ له أمانا.

وفي طريقه إلى النبي صلى الله عليه وسلم لقيهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعرف أبا سفيان فقال: أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك من غير عقد ولا عهد.

---

[١] موضع قرب مكة، وقيل: مَر القرية والظهران هو الوادي، به عيون كثيرة ونخل وهو واد فحل من أودية الحجاز، يمر شمال مكة على ٢٢ كيلا، ويصب في البحر جنوب جدة. بتصرف، معجم البلدان ١٠٤/٥، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٢٨٨.

[٢] انظر الطبقات الكبرى ١٣٥/٢، وعيون الأثر ٢١٩/٢.

وحاول أن يسبقهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيأخذ الإذن بقتله قبل أن يجار، ولكن العباس رضي الله عنه تمكن من أخذ الأمان لأبي سفيان من النبي صلى الله عليه وسلم وبيَّته تلك الليلة في رحله، فلما أصبح غدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم رضي الله عنه بعد تردد، وشهد شهادة الحق.

ونظر العباس إلى نفسية أبي سفيان، ومركزه في قومه، وهو يعلم حبه للفخر، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل له شيئا يعلي منزلته عند قومه، ويجبر انكساره بين يديه، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك، وقال :((من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)) ثم أعطي الأمان لسائر أهل مكة بشرط أن يستسلموا و يكفوا أيديهم عن القتال.

وبإسلام أبي سفيان رضي الله عنه يسقط أقوى قائد للمشركين بمكة، ثم أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحسم التردد في نفس أبي سفيان، وأن يقطع أي أمل قد يراوده بالوقوف في وجه المسلمين ومقاومتهم، فأمر العباس رضي الله عنه أن يحبسه عند مضيق الجبل، حيث تمر به كتائب الجيش الإسلامي، وكان الهدف من ذلك، أن يرى جنود الله وهم في أوج قوتهم وعلى أتم استعداد لقتالهم، لينقل هذا الوصف إلى قومه فيثبط محاولتهم للمقاومة والصمود أمام المسلمين.

وبذلك يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد اطمأن إلى تدهور معنوياتهم، وتخلخل نفسياتهم، وفقدان القدرة على المقاومة والرغبة في القتال، ويستسلموا للرسول صلى الله عليه وسلم دون قتال[1].

ونفذ العباس رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسار الجيش وعرضت القبائل ترفرف عليها راياتها، الواحدة تلو الأخرى والعباس يخبر أبا سفيان عنها، حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار، وهي من أعظم الكتائب ، فراع منظرها أبا سفيان وتعجب وقال: ما لأحد بهؤلاء قِبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة

---

[1] بتصرف، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم: محمد فرج ص ٥٦٩، دار الفكر العربي ط: ٣، ١٩٧٧م.

عظيما. فقال العباس رضي الله عنه: يا أبا سفيان إنها النبوة. فقال: فنعم إذاً. فقال له: النجاء إلى قومك. فانطلق أبو سفيان رضي الله عنه إلى مكة[1].

وقد روى الإمام البخاري رحمه الله بعض هذه الأحداث:(لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشا[2]، خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة[3]، فقال أبو سفيان: ما هذه لكأنها نيران عرفة؟ فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو[4]. فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك. فرآهم ناس من حرس رسول الله فأدركوهم فأخذوهم[5]، فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم أبو سفيان، فلما سار قال للعباس: ((احبس أبا سفيان عند خَطْم الجبل[6] حتى ينظر إلى المسلمين)).

فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة كتيبة، قال: يا عباس من هذه؟ قال: هذه غفار. قال: مالي ولغفار. ثم مرت جهينة قال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك، ومرت سليم فقال مثل ذلك، حتى مرت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن

---

[1] شرح معاني الآثار ٣٢٢/٣، وقال الإمام الطحاوي: هذا حديث متصل الإسناد صحيح، وانظر المطالب العالية ٢٤٤/٤،، والسنن الكبرى: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي كتاب السير باب فتح مكة ١١٩/٩- ١٢٠، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط:١، ١٣٥٦، ودار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان. وقد رويت قصة إسلام أبي سفيان رضي الله عنه باختلاف يسير في كتب السير،انظر المغازي: الواقدي ٨١٧/٢، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٠/٤، وتاريخ الأمم والملوك ٥٢/٢، عيون الأثر ١٦٨/٢

[2] قال الحافظ ابن حجر: ظاهره أنهم بلغهم مسيره قبل خروج أبي سفيان وحكيم بن حزام، لما في رواية ابن اسحق أن الجيش نزل بمر الظهران و لم تعلم بهم قريش، أو يحتمل أنه غلب على ظنهم ذلك لا أنه بلغهم مبلغا حقيقة. بتصرف، فتح الباري ٦/٨ ح ٤٢٨٠.

[3] إشارة إلى ما جرت به عادتهم من إيقاد النيران الكثيرة ليلة عرفة. المرجع السابق ٧/٨.

[4] يعني خزاعة، ويقصد عمرو بن لحي الخزاعي. المرجع السابق.

[5] وعند ابن اسحق أن العباس لقيهم فأخذ أبا سفيان ليستأمن له، ويجمع بين القولين أن الحرس أخذوهم فلما رأوا أبا سفيان مع العباس تركوه معه، بتصرف، فتح الباري ٨/٨.

[6] أي أنف الجبل، وإنما حبسه هناك لكونه مضيقا ليرى الجميع، ولا يفوته رؤية أحد منهم. المرجع السابق.

عبادة [1]معه الراية، فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة[2]، اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس حبَّذا يوم الذِمار[3]. ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب[4] فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير بن العوام فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة، قال ما قال، قال كذا وكذا ، فقال : ((كذب سعد[5] ولكن هذا يوم يُعظم الله فيه الكعبة ويوم تُكسَى فيه الكعبة))[6].

وعند ابن اسحق رحمه الله أن سعداً رضي الله عنه لما قال مقالته تلك، سمعها رجل من المهاجرين- قال ابن هشام رحمه الله: هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه – فقال: يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة، ما نأمن أن تكون له في قريش صولة. فقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه :((أدركه فخذ الراية منه، فكن أنت الذي تدخل بها))[7].

---

[1] هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري سيد الخزرج، أحد النقباء ليلة العقبة واختلف في شهوده بدرا، كان كاتبا ويحسن العوم والرمي فكان يقال له الكامل، من أهل الجود والكرم فكانت جفنته تدور مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيوت أزواجه، وكان يطعم الثمانين من أهل الصُفة، وكان حامل راية الأنصار إذا خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم، وله مواقف مشهورة في كتب السيرة، سكن دمشق مات رضي الله عنه بحوران سنة ١٤ هـ. بتصرف، الاستيعاب ٣٦/٢، وسير أعلام النبلاء ٢٧٠/١، والإصابة ٣٠/٢.

[2] أي يوم حرب لا يوجد منه مخلص أي يوم قتل، بتصرف، فتح الباري ٨/٨.

[3] مراد سعد: يوم المقتلة العظمى، ومراد أبي سفيان بقوله يوم الذمار: أي الهلاك، وقيل يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم، وتمنى أبو سفيان أن يكون له يد فيحمي قومه ويدفع عنهم. المرجع السابق ٨/٨.

[4] أي أقلها عددا وفي رواية عند الحميدي (أجلّ الكتائب)، وهي أظهر لأن عدد المهاجرين كان أقل من عدد غيرهم من القبائل. بتصرف، فتح الباري ٩/٨، وعند ابن اسحق أنها من أعظم الكتائب عدة وعددا، ولعل ذلك باعتبار اجتماع المهاجرين والأنصار فيها.

[5]أطلق الكذب على الإخبار بغير ما سيقع، ولو كان قائله بناه على غلبة الظن وقوة القرينة. فتح الباري ٩/٨.

[6] صحيح البخاري كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ٩١/٥.

[7] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٦/٤، وعيون الأثر ٢٢٣/٢ وفيه قال سعد: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((يا أبا سفيان اليوم يوم الرحمة ، اليوم أعز الله فيه قريشا)).

وقيل إنه صلى الله عليه وسلم لما أخذ الراية من سعد أعطاها لابنه قيس[1] رضي الله عنهما، ورأى أن اللواء لم يخرج عن سعد إذ صار إلى ابنه[2]، وقيل: إنه أعطاه للزبير بن العوام رضي الله عنه فدخل مكة بلوائين[3].

وجمع الحافظ ابن حجر رحمه الله بين هذه الأقوال: بأن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل علياً بأخذها لينزعها ويدخل بها، ثم خشي تغير خاطر سعد، فأمر بدفعها إلى ابنه قيس، ثم إن سعدا خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي صلى الله عليه وسلم، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه، فحينئذ أخذها الزبير[4].

٩-استقبال أهل مكة لخبر غزو الرسول صلى الله عليه وسلم :

مضى أبو سفيان رضي الله عنه إلى مكة مسرعا، فأخبر قريشاً عن قوة المسلمين، وحذرهم من المقاومة والقتال، وأبلغهم بأمان الرسول صلى الله عليه وسلم لهم شرط ألا يقاتلوا، وقال لهم: هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، وأمرهم باللجوء إلى داره أو إلى المسجد أو إلى بيوتهم، فتفرق الناس إلى بيوتهم[5].

١٠-الزحف إلى مكة:

---

[1] هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي، كان حسنا ضخما طويلا إذا ركب الحمار خطت رجلاه الأرض، كان سخيا كريما ومن دهاة العرب من أهل الرأي والمكيدة في الحرب وكان من النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ،ولاه علي إمرة مصر ثم شهد معه صفين ،مات في آخر خلافة معاوية رضي الله عنهما بالمدينة. بتصرف، سير أعلام النبلاء ١٠٢/٣، الإصابة ٢٤٩/٣.

[2] انظر المصنف: ابن أبي شيبة ٤٧٦/١٤ ح ١٨٧٤٦، والمغازي: الواقدي ٨٢٢/٢، والطبقات الكبرى ١٣٥/٢، وعيون الأثر ٢٢٤/٢، وزاد المعاد ٤٠٤/٣.

[3] رواه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٢٤١/٤ وقال فيه ضعف جدا. وقال في فتح الباري : ولكن جزم موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري أنه دفعها إلى الزبير بن العوام ٩/٨.

[4] بتصرف، فتح الباري ٩/٨ وذكر حديثا أخرجه البزار بإسناد على شرط البخاري ولفظه: (كان قيس على مقدمة النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة، فكلم سعد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصرفه عن الموضع الذي فيه، مخافة أن يقدم على شيء، فصرفه عن ذلك) ، وقد رجح ذلك محسن الدوم في مرويات غزوة فتح مكة ص ١١٦، ومهدي رزق الله في السنة النبوية على ضوء المصادر الأصلية ص ٥٦٤، ود. أكرم العمري ص ١٧٦، وهو الراجح عندي، وذلك لحرص النبي صلى الله عليه وسلم على مشاعر صحابته، وإكرامه لهم، ولفضل سعد بن عبادة رضي الله عنه في الإسلام، ولعلمه صلى الله عليه وسلم بطاعة الصحابة رضوان الله عليهم ووقوفهم عند أمره.

[5] بتصرف، السنن الكبرى كتاب السير باب فتح مكة ١٢١/٩، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٢١/٤.

قرر النبي صلى الله عليه وسلم الزحف إلى مكة، فقسم الجيش الإسلامي، وقام بتوزيع القادة، وقد قسم الجيش إلى ميمنة وجعل عليها خالد بن الوليد رضي الله عنه وأمره أن يدخل من اللِّيط[1] أسفل مكة، وكان معه من القبائل العربية أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة، وأمره أن يغرز رايته عند أدنى البيوت.

والقسم الثاني الميسرة وكان عليها الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وأمره أن يدخل من كَدَاء[2] من أعلى مكة، وأن يغرز رايته بالحجون، ولا يبرح حتى يأتيه، وجعل أبا عبيدة على الرجَّالة، وأمره أن ينصبَّ لمكة في بطن الوادي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من كداء التي بأعلى مكة[3]، ونُصب له هنالك قبة، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم خطته لتطويق مكة من جهاتها الأربع، لتحقيق هدفين في غاية الأهمية:

الهدف الأول: ضمان القضاء على أي مقاومة في أي جهة من مكة.

الهدف الثاني: تشتيت قوات قريش وتقسيمها إلى عدة أقسام لمقاومة كل جناح من أجنحة

---

[1] هو السهل الذي ينتهي إليه سيل وادي طوى، وهو حي من أحياء مكة يسمى اليوم: التنضباوي أوالطنبداوي، ويمتد هذا السهل حتى يجتمع بوادي إبراهيم في المسفلة عند قوز المكاسة. بتصرف، معجم المعالم الجغرافية ص ٢٧٤.

[2] جبل بأعلى مكة، عند المحصَّب، وهو ما يعرف اليوم بريع الحجون، يدخل طريقه بين مقبرتي المعلاه، ويفضي من الجهة الأخرى إلى حي العتيبة وجرول. بتصرف، معجم البلدان ٤٣٩/٤، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٢٦١. ويخلط بين كَداء وكُداً وكُديَّ، وهي ثلاثة مواضع مختلفة وردت في السيرة، فكداً: بضم الكاف وتنوين الدال جبل بأسفل مكة عند ذي طوى وهو ما يعرف اليوم بريع الرسَّام، بين حارة الباب وجرول. أما كديّ بالتصغير: فهو لمن خرج من مكة إلى اليمن، وهو ريع ما زال يعرف بهذا الاسم يخرج فيه من مسفلة مكة إلى جبل ثور. بتصرف، معجم البلدان ٤٤١/٤، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٢٦٢.

[3] كما روى البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب دخول النبي صلى الله عليه وسلم من أعلى مكة ٩٣/٥. وقيل: الحكمة من دخوله من تلك الناحية، أنها لجهة العلو عند الدخول، لما فيه من تعظيم المكان، وعكسه الإشارة إلى فراقه، وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام لما دخل مكة دخل منها، وقيل: لأنه صلى الله عليه وسلم خرج منها متخفيا في الهجرة، فأراد أن يدخلها ظاهرا، وقيل: لأن من جاء من تلك الجهة كان مستقبلا البيت.. الخ. بتصرف، فتح الباري ٤٣٨/٣ ح ١٨٧٥.

الجيش الإسلامي على انفراد، مما يحرم قريش من تركيز قواتها وحشدها في جبهة واحدة[١].

وقد سأل أسامة بن زيد رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم عن رغبته في النزول بداره بمكة، فقال:(أين تنزل. في دارك بمكة؟ فقال:((وهل ترك عقيل[٢] من رباع أو دور؟))[٣]، ثم اختار موضعاً يذكره بنعمة الله عليه ونصره ومنَّته عليه بهذا الفتح العظيم، فقال: ((منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله الخَيْف[٤]، حيث تقاسموا على الكفر))[٥] ، وقد كان لواؤه يوم الفتح أبيض، ورايته[٦] سوداء[٧].

---

[١] بتصرف، مقال بعنوان :الفن الحربي الإسلامي في فتح مكة: محمد جمال الدين محفوظ، في مجلة الدارة، العدد الثالث السنة الثامنة، ص ٣١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

[٢] هو عقيل بن أبي طالب بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أخو علي وجعفر، وهو أكبر إخوانهم وآخرهم موتا، أبو يزيد، تأخر إسلامه إلى عام الفتح، وقيل أسلم بعد الحديبية وهاجر وحضر مؤتة، أسر يوم بدر ففداه عمه العباس، كان عالما بأنساب قريش ومآثرها وكان الناس يأخذون عنه ذلك بمسجد المدينة، مات رضي الله عنه في خلافة معاوية، وقيل في أول خلافة يزيد. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٢١٨/١، والإصابة ٤٩٤/٢.

[٣] صحيح البخاري كتاب الحج باب توريث دور مكة وبيعها وشرائها.. الخ ١٥٧/٢، وكتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم رايته يوم الفتح ٩٢/٥، وتتمة الحديث: ((لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن)). وكان عقيل قد ورث أبا طالب، لأنه كان مشركا مثله، وباع تلك الدور، ولم يرث علي ولا جعفر شيئا. بتصرف، فتح الباري ١٥/٨.

[٤] الخَيف هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، وخيف بني كنانة هو المحصَّب وهو بمنى مبتدأ الأبطح. بتصرف، معجم البلدان ٤١٢/٢، ومعجم المعالم الجغرافية ص ١١٩.

[٥] صحيح البخاري كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم رايته يوم الفتح ٩٢/٥، والخيف هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، وقصد المكان الذي تحالفت فيه قريش ألا يبايعوا بني هاشم ولا يناكحوهم وحصروهم في الشعب. بتصرف، فتح الباري ١٥/٨.

[٦] اللواء والراية مترادفان، قال ابن الأثير: اللواء: الراية ولا يمسكها إلا صاحب الجيش، وموضوع اللواء: شهرة مكان الرئيس. بتصرف، النهاية في غريب الحديث ٣٧٩/٤. وقيل: اللواء هو العلم الصغير، والراية الكبير، وقيل العكس، وقيل: الراية: يتولاها صاحب الحرب ويقاتل عليها، واللواء: علامة الجند حول الأمير تدور معه حيث دار. بتصرف، عون المعبود ٢٥٤/٧ وحاشية صحيح ابن ماجة ١٣٢/٢.

[٧] رواه ابن ماجه في سننه كتاب الجهاد باب الرايات والألوية، ٩٤١/٢ ح ٢٨١٨، وقال الشيخ الألباني: حديث حسن، صحيح سنن ابن ماجة ١٣٣/٢ ح ٢٢٧٤، وروى نحوه في سنن أبي داود كتاب الجهاد باب في الرايات والألوية ٣٢/٣ ح ٢٥٩٢، و السنن الكبرى كتاب قسم الفيء والغنيمة باب ما جاء في عقد الألوية والرايات ٣٦٢/٦.

خريطة فتح مكة[1].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى المسلمين عن القتال، وأمرهم بأن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم، غير أن قريشاً لم ترضخ للأمر وتستسلم كلها، فقد جمع بعضهم جموعاً وأتباعاً وتعرضوا لكتيبة خالد بن الوليد رضي الله عنه بمكان يسمى :

[1] من كتاب الرسول القائد ص ٣٤٢.

الخندمة[1] ، وكان فيهم: صفوان بن أمية، [2] وعكرمة بن أبي جهل،[3] وسهيل بن عمرو، فناوشوهم شيئا من القتال فقتل من المسلمين: كُرْز بن جابر الفهري،[4] وخُنَيس بن خالد[5] رضي الله عنهما[6] ، شذا عن طريق خالد رضي الله عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا، وقتل من المشركين اثنا عشر رجلا ثم انهزم المشركون.

ووصف أحدهم وهو -حماس بن قيس[7] أخو بني بكر بعد فراره إلى بيته- المعركة بأبيات شعرية [8] .

---

[1] جبل بمكة وأهل مكة يقولون الخنادم، وهي جبال مكة الشرقية تبدأ من أبي قبيس شرقا وشمالا ثم تمتد حتى تفيء على حي العزيزية. بتصرف، معجم البلدان ٣٩٢/٢، ومعجم المعالم الجغرافية ص ١١٤.

[2] هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب القرشي الجمحي، من كبراء قريش وسيد بني جمح وقيل: إليه كانت الأزلام في الجاهلية، قتل أبوه مع أبي جهل في بدر، هرب يوم الفتح وأسلمت امرأته، واستعار منه النبي أداة وسلاحا لما خرج إلى حنين، ثم أسلم بعد غزوة الطائف وحسن إسلامه، شهد اليرموك أميراً، توفي رضي الله عنه سنة ٤١ هـ. بتصرف، الاستيعاب ١٨٣/٢، وسير أعلام النبلاء ٥٦٢/٢، والإصابة ١٨٧/٢.

[3] هو عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، كان وأبوه من أشد الناس على الرسول صلى الله عليه وسلم .أسلم يوم الفتح وخرج إلى المدينة، وجهه أبو بكر الصديق لقتال أهل الردة، استشهد في موقعة أجنادين وقيل: في اليرموك سنة ١٥ هـ رضي الله عنه وقيل غير ذلك. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٣٢٣/١، والإصابة ٤٩٦/٢.

[4] هو كُرْز بن جابر بن حسل بن لاحب القرشي الفهري، كان من رؤساء المشركين، أغار مرة على سرح المدينة، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في طلبه ولكنه فاته(وهي بدر الأولى). أسلم بعد غزوة بدر وهو الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم وراء العرنيين لما عدوا على سرحه. بتصرف، الاستيعاب ٢٩٠/٣، والإصابة ٢٩٠/٣.

[5] هو خنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم الخزاعي حليف بني منقذ، وقيل: هو حبيش الأشعر، يكنى أبا صخر وهو أخو أم معبد التي مرَّ بها النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر من مكة، استشهد في غزوة الفتح. بتصرف، الإصابة ٣١٠/١.

[6] وفي صحيح البخاري حبيش ابن الأشعر انظر، كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ٩٢/٥.

[7] هو حماس بن قيس بن مالك الدئلي، ويقال: خالد بن قيس. بتصرف، الإصابة ٣٥٢/١.

[8] قال: إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمة
وأبو يزيد قائم كالمؤتمة واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة ضربا فلا يسمع إلا غمغمة

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخالد بن الوليد:((لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال؟)) ، فقال: هم بدءونا بالقتال ووضعوا فينا السلاح ، وأشعرونا بالنبل، وقد كففت يدي ما استطعت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((قضاء الله عز وجل خير))[1].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عقد لهم الأمان في حالة كفهم عن القتال واستسلامهم، أما وقد تعرضوا لجيش المسلمين بالقتال فقد أباحوا للمسلمين قتالهم، وزال الأمان وحلت دماؤهم[2].

وقد روى الإمام مسلم وقوع القتال بين أهل مكة والمسلمين، فروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله:(أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم مكة، فبعث الزبير على إحدى المُجنِّبَتَين[3]، وبعث خالدا على المجنِّبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحُسَّر[4]، فأخذوا بطن الوادي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبة، قال: فنظر فرآني، فقال:((أبو هريرة)). قلت: لبيك يا رسول الله. فقال:((لا يأتيني إلا أنصاري))... قال فأطافوا به، ووبَّشت قريش أوباشا لها وأتباعاً[5]، فقالوا: نقدم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أُصيبوا أعطينا الذي سُئلنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم))، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى ثم قال:((حتى توافوني بالصفا)). قال: فانطلقنا، فما شاء أحد منا أن يقتل أحدا إلا قتله، وما أحد منهم يوجه إلينا شيئا. قال: فجاء أبو سفيان

لهم نهيت خلفنا وهمهمة لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٧/٤.

[1] السنن الكبرى كتاب السير باب فتح مكة ١٢١/٩، وانظر مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم : عروة بن الزبير برواية أبي الأسود عنه ص ٢١٢. جمع وتحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي من منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

[2] بتصرف، عون المعبود ٢٦٤/٨.

[3] مجنبة الجيش: هي التي تكون في الميمنة والميسرة، وهما مجنِبتان ، وقيل: هي الكتيبة التي تأخذ إحدى ناحيتي الطريق، والأول أصح. النهاية في غريب الحديث ٣٠٣/١.وانظر، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٦/١٢.

[4] جمع حاسر: وهو الذي لا درع عليه ولا مغفر. النهاية في غريب الحديث ٣٨٣/١.

[5] أي جمعت جموعا من قبائل شتى. المرجع السابق ١٤٦/٥.

فقال: يا رسول الله ، أبيحت خضراء قريش[1]، لا قريش بعد اليوم ثم قال:((من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)).

ولما رأى الأنصار رأفة النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مكة، وإشفاقه عليهم، خشوا أن يرجع إلى سكنى مكة -موطنه الأول-ويقيم فيها، ويترك المدينة، فشقَّ ذلك عليهم وقالوا:(أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته) .

فجاءه الوحي بما قالوا فناداهم وسألهم عن قولهم، فأقروا بما تكلموا به، (فقال: ((كلا إني عبد الله ورسوله[2]، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم، والممات مماتكم)) فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضِّن[3] بالله وبرسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم))[4].

---

[1] أي استؤصلت بالقتل وأفنيت، وخضراؤهم بمعنى جماعتهم، ويعبر عن الجماعة بالسواد والخضرة، ومنه السواد الأعظم. بتصرف المرجع السابق نفس الصفحة.

[2] يحتمل وجهين: ١- أني رسول الله حقا، فيأتيني الوحي وأخبر بالمغيبات، فثقوا بما أقول لكم وأخبركم به.
٢- لا تفتنوا بإخباري إياكم بالمغيبات، وتطروني كما أطرت النصارى عيسى عليه السلام، فإني عبد الله ورسوله. المرجع السابق ١٢٨/١٢.

[3] أي شحا بك أن تفارقنا ويختص بك غيرنا، وكان بكاؤهم فرحا مما قاله لهم، وحياء مما خافوا أن يكون بلغه عنهم مما يستحى منه. المرجع السابق ١٢٩/١٢.

[4] صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب فتح مكة ١٤٠٥/٣ ح ١٧٨٠.

ثانياً: مرحلة ما بعد الفتح:

١- صفة دخوله صلى الله عليه وسلم مكة:

كان فتح مكة في العشرين من رمضان[١]، الموافق العاشر من شهر يناير عام ٦٣٠م[٢]، وفي هذا اليوم الذي أعز الله فيه الإسلام والمسلمين، ونصر جنده المؤمنين، دخل صلى الله عليه وسلم خاشعا لله شاكرا لأنعمه، ولم يدخلها دخول الجبابرة العتاة الظالمين، بل كان صلى الله عليه وسلم خافضا رأسه إجلالا لله تعالى وشكرا له حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن لحيته لتكاد تمس راحلته من شدة تواضعه[٣]،وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح وهو على ناقته، ويرجِّع في قراءتها[٤].

وقد لبس المِغْفَر على رأسه [٥]، وفي رواية: إنه (صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء)[٦].

---

[١] ذكر الإمام النووي والحافظ ابن حجر اختلاف العلماء في ضبط ذلك، فقيل: أنه صبح أهل مكة لثلاث عشرة خلت من رمضان، وقيل: لست عشرة مضت، وفي رواية لثمان عشرة، وفي رواية لسبع عشرة أو لتسع عشرة. والمشهور والمتفق عليه عند أهل السير أن خروجه في العاشر من رمضان، ودخوله مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢٣٤/٧، وفتح الباري ١٨١/٤ ح ١٩٤٤.

[٢] السيرة النبوية: أبو الحسن الندوي ص ٣٢٩

[٣] المستدرك على الصحيحين كتاب المغازي ٤٧/٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وتابعه الذهبي، وانظر دلائل النبوة ٦٨/٥، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٤/٤.

[٤] كما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال:(رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح على ناقته، وهو يقرأ سورة الفتح يرجِّع). كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ٩٢/٥. والترجيع: (ترديد القارئ الحرف في الحلق). فتح الباري ١٤/٨ ح ٤٢٨١.

[٥] رواه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه:(أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر) كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم رايته يوم الفتح ٩٢/٥.

[٦] سنن ابن ماجه كتاب الجهاد باب لبس العمائم في الحرب ٩٤٢/٢ ح ٢٨٢٢، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١٣٣/٢ ح ٢٢٧٧. ويجمع بين القولين: بأن يكون أول دخوله كان على رأسه المغفر، ثم أزاله ولبس العمامة بعد ذلك، أو أن العمامة السوداء كانت ملفوفة فوق المغفر، أو تحت المغفر وقاية لرأسه من صدأ الحديد، أو أريد بذكر المغفر: كونه دخل متهيئا للحرب، وأريد بذكر العمامة: كونه دخل غير محرم.

٢-تطهير البيت الحرام من الأوثان:

دعا النبي صلى الله عليه وسلم -قبل عشرين سنة تقريبا قبل الفتح -إلى نبذ الأوثان وإخلاص العبادة لله وحده، ويوم الفتح قام بما أراد القيام به في ذلك الوقت، فقد أمر بتحطيم الأصنام الموجودة حول الكعبة، وشارك بيده عليه الصلاة والسلام في إزالتها، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه قال:(دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نُصُباً، فجعل يطعنها بعود كان بيده، ويقول:﴿ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾[١]﴿ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[٢])[٣].

ثم أراد دخول الكعبة، لكنه(أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل-عليهما السلام- في أيديهما من الأزلام[٤]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:((قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط)). ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت)[٥].

وطاف النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وهو على راحلته، وكان يستلم الركن بمحجن في يده[٦] ، تعليما لأمته وتيسيرا عليهم.

بتصرف، فتح الباري ٦١/٤ ح ١٨٤٦.

[١] سورة الإسراء جزء من آية ٨١.

[٢] سورة سبأ جزء من آية ٤٩.

[٣] كتاب الجهاد والسير باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ١٤٠٨/٣ ح ١٧٨١ واللفظ له، وصحيح البخاري في كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ٩٢/٥.

[٤] الأزلام جمع زلم، وهي: السهام التي كانوا يستقسمون بها الخير والشر، وتسمى القداح، مكتوب عليها: الأمر والنهي، افعل ولا تفعل، كان الرجل منهم يضعها في وعاء له، وإذا أراد سفرا أو زواجا أو أمرا مهما؛ أدخل يده، فأخرج منها زلما، فإن خرج الأمر مضى لشأنه، وإن خرج النهي كف عنه و لم يفعله. بتصرف، عمدة القاري شرح صحيح البخاري: الشيخ العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ٢٨٣/١٧. دار الفكر ط: بدون.

[٥]صحيح البخاري كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم رايته يوم الفتح ٩٢/٥.

[٦]بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣١/٤. والمحجن هو: العصا المعوجة، وهو عصا مُعَقَّفة الرأس كالصولجان. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري حرف النون فصل الحاء ١٣/ ١٠٨ دار صادر ط: بدون.

٣-العفو عن قريش:

أصاب القرشيين رهبةٌ شديدة وخوف عظيم مما سيؤول إليه أمرهم بعد أن نصر الله نبيه نصرا مؤزرا، وتذكروا ما مضى منهم من الأذى له وللمسلمين، وإخراجه وأصحابه من مكة، واضطرارهم إلى مفارقة أهليهم وأوطانهم ، وتوجسوا خيفة أن يجرد عليهم سيف الانتقام فيقتلهم وقد تملك رقابهم، وطمعوا بعفوه وصفحه عنهم، وقد عهدوه دوما عفوا حليما.

وكان الصحابة رضي الله عنهم قد عزموا على الثأر لقتلاهم في أحد، -لمَّا قُتل من الأنصار أربعة وستون رجلا، ومن المهاجرين ستة رجال، ومُثِّل بهم، وفيهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، فقال الأنصار: لئن أصبناهم يوما مثل هذا لنُرْبِيَنَّ[١] عليهم، فلما كان يوم الفتح أنزل الله عز وجل: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [٢]، فقال رجل: لا قريش بعد اليوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كفوا عن القوم غير أربعة))[٣]، وفي رواية قال: ((نصبر ولا نعاقب))[٤].

وأعلن النبي صلى الله عليه وسلم عفوه عن أهل مكة، والملأ ملتفون حوله- رغم قدرته على إبادتهم، ورغم ما ألحقوه بالمسلمين من الأذى والاضطهاد-عند الكعبة، فقال لهم: ((يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟)) قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال:((اذهبوا فأنتم الطلقاء)). فأعتق رقابهم بعد أن أمكنه الله منها، فبذلك يسمى أهل مكة الطلقاء[٥]، ودانت قريش واستسلم الطغاة

---

[١]أي لنزيدن ولنضاعفن . النهاية في غريب الحديث ١٩٢/٢.

[٢] سورة النحل آية ١٢٦.

[٣] المستدرك على الصحيحين كتاب التفسير باب تفسير سورة النحل ٣٥٩/٢، وقال: هذا حديث صحيح و لم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي.

[٤]مسند الإمام أحمد عن أبي بن كعب ١٣٥/٥.وانظر سبب نزول الآية في تفسير القرآن العظيم ٥٣٤/٤. وقيل أن الآية نزلت يوم أحد، ويجمع بأنها نزلت أولا بمكة، ثم ثانيا بأحد، ثم ثالثا يوم الفتح، تذكيرا من الله لعباده. انظر لباب النقول في أسباب النزول ص ١٣٤.

[٥] انظر الحديث في السنن الكبرى كتاب السير باب فتح مكة ١١٨/٩، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن

ودخلت مكة في حوزة الإسلام وخضع أهلها لحكمه وسلطانه.

٤- الذين أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمهم يوم الفتح:

أصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا إلى قواد جيش المسلمين، ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، وأعطى الأمان لسائر أهل مكة، واستثنى منهم نفرا اشتد أذاهم على المسلمين، وأمر بقتلهم ولو وُجدوا تحت أستار الكعبة.

وقد اختلفت الروايات في تعيينهم[١]،وجمع الحافظ ابن حجر أسماءهم من مفرقات الأخبار وهم كالتالي:

عبد العزى بن خَطَل[٢] ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح[٣] ، وعِكرمة بن أبي جهل ، والحويرث بن نُقيذ[٤] ، ومُقيس بن صَبابة[٥]، وهبَّار بن الأسود[٦]، وقينتان كانتا لابن خَطَل، وسارة مولاة بني المطلب[١]،

هشام ٣٢/٤، وتاريخ الطبري ٦١/٣، وعيون الأثر ٢٣٠/٢.

[١]انظر الأحاديث المروية في سنن النسائي كتاب تحريم الدم باب الحكم في المرتد ١٠٥/٧ ح ٤٠٦٧، ترقيم وفهرسة: د. عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ودار البشائر الإسلامية بيروت لبنان ط:١ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م. وسنن أبي داود كتاب الجهاد باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام ٥٩/٣ ح ٢٦٨٣، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٢٤١/٤-٢٤٣.

[٢] هو رجل من بني تيم بن غالب، وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدِّقا، وبعث معه رجلاً من الأنصار وكان معه مولى يخدمه، فنزل منزلا وأمر المولى أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما، فنام واستيقظ و لم يفعل شيئا، فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا. بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٩/٤.

[٣] هو عبد الله بن أبي سرح بن الحارث القرشي العامري ، شهد فتح مصر وله مواقف محمودة، أمره عثمان رضي الله عنه على مصر ،اعتزل الفتنة ومات بعسقلان سنة ٣٦ هـ وقيل ٥٩ هـ وقيل كانت وفاته بعد تسليمه من صلاة الصبح. بتصرف، الإصابة ٣١٦/٢.

[٤] الحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي، كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فلما كان يوم الفتح هرب من بيته ، فلقيه علي بن أبي طالب فقتله. بتصرف، الكامل في التاريخ ١٦٩/٢، والبداية والنهاية ٢٩٨/٤.

[٥] مقيس بن صبابة، أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه لجرمه، ولما انهزم الناس يوم الفتح، اختفى بمكان هو وجماعة، وشربوا الخمر فعلم بهم نُميلة بن عبد الله الكلبي رضي الله عنه فأتاه فقتله. الكامل في التاريخ ١٦٩/٢، والبداية والنهاية ٤/ ١٦٩.

[٦] هو هبار بن الأسود بن المطلب القرشي الأسدي، بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية وأمرهم إن وجدوا

والحارث بن طُلاطل الخزاعي[٢] ، وكعب بن زهير[٣]، ووحشي بن حرب[٤]، وهند بنت عتبة[٥]، وأَرْنب مولاة ابن خطل، وأم سعد، ويحتمل أن تكون أرنب وأم سعد هما القينتان[٦]، اختلف في اسمهما باعتبار الكنية واللقب[٧].

أما ابن خَطَل فقد قُتل وجاء خبر قتله في صحيح البخاري:(جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال:((اقتله))[٨].

وأما عبد الله بن أبي سرح رضي الله عنه فقد كان مسلما، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي، فارتد مشركاً، ففرَّ يوم الفتح إلى عثمان بن عفان

هبارا أن يحرقوه بالنار ثم عاد ونهاهم عن التحريق، أسلم بعد الفتح منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة وحسن إسلامه، قدم المدينة واستشهد بأجنادين رضي الله عنه. بتصرف، الاستيعاب ٦٠٩/٤، والإصابة ٥٩٧/٤، وسير أعلام النبلاء ٣١٥/١.

[١] هي سارة مولاة عمرو بن هشام بن المطلب، قيل هي التي كان معها كتاب حاطب رضي الله عنه لأهل مكة، وقد بقيت إلى زمن عمر رضي الله عنه، فأوطأها رجل من الناس فرسا بالأبطح فقتلها. بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٠/٤، والإصابة ٣٢٣/٤.

[٢] هو الحارث- أو الحرث- بن طلاطل بن عمرو بن الحرث بن عبد عمروا الخزاعي، كان من ذوي الشرف في قومه، وكان ممن يستهزئ بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة. بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام، ٢/ ١٦.

[٣] هو كعب بن زهير بن أبي سُلمى المزني الشاعر المشهور ،وقصيدته مشهورة مطلعها بانت سعاد ..توفي سنة ٢٦ هـ. بتصرف، الاستيعاب ٢٩٧/٣، والإصابة ٢٩٥/٣، والأعلام: الزركلي ٢٢٦/٥.

[٤] هو وحشي بن حرب مولى بني نوفل ،أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يغيب وجهه عنه بعد إسلامه لصنيعه بحمزة رضي الله عنه، شارك في قتل مسيلمة وشهد اليرموك، سكن حمص ومات فيها في خلافة عثمان رضي الله عنه. بتصرف، قصته في صحيح البخاري كتاب المغازي باب قتل حمزة ٣٦/٥، والاستيعاب ٦٤٤/٣، والإصابة ٦٣١/٣.

[٥] هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشية العبشمية، كانت تؤلب على المسلمين ثم أسلمت بعد الفتح، ماتت رضي الله عنها في خلافة عمر وقيل في خلافة عثمان. بتصرف، الاستيعاب ٤٢٤/٤، والإصابة ٤٢٥/٤.

[٦] وقد ذكر ابن اسحق اسم قينتي ابن خطل: فَرْتنى وقُرينة. بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٠/٤، وترجم الحافظ ابن حجر في الإصابة لفرتنى: أنها كانت هي وصاحبتها قينتان لابن خطل يعلمهما الغناء بهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأسلمت هذه وقتلت الأخرى ٣٨٥/٤.

[٧] بتصرف، فتح الباري ١١/٨.

[٨] كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ٩٢/٥.

رضي الله عنه –وكان أخاه من الرضاعة– ، فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن أهل مكة، فاستأمن له، فصمت النبي صلى الله عليه وسلم طويلا ليقوم إليه أحد المسلمين فيقتله، فلم يقم أحد، فأمَّنه ثم أسلم[1].

وأما عِكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فهرب إلى اليمن ،وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث رضي الله عنها[2]،فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت في طلبه حتى أتت به الرسول فأسلم[3].

أما الحُويرث بن نُقَيذ فقد كان ممن يؤذيه بمكة، وآذى ابنتيه فاطمة وأم كلثوم[4] رضي الله عنهما وهما مهاجرتان إلى المدينة، وقد قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه[5].

وأما مِقْيَس بن صُبَابة فقد أمر بقتله؛ لقتل الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ ثم ارتداده مشركا إلى قريش، وقد قُتل[6].

وأما هبَّار بن الأسود رضي الله عنه فكان شديد الأذى للمسلمين، وعرض

---

[1] انظر قصة تأمين الرسول صلى الله عليه وسلم له وإسلامه في المستدرك على الصحيحين كتاب المغازي ٣/٤٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وسنن أبي داود كتاب الجهاد باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام ٣/٥٩ ح ٢٦٨٣، وسنن النسائي كتاب تحريم الدم باب الحكم في المرتد ٧/١٠٦ ح ٤٠٦٧. وفيه أنه صلى الله عليه وسلم أبى أن يبايعه ثم بايعه بعد ثلاث، ثم أقبل النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقال:((أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته، فيقتله))فقالوا : ما ندري يا رسول الله ما في نفسك ألا أومأت إلينا. فقال صلى الله عليه وسلم ((أنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين)).

[2] هي أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومية، حضرت أحد وهي كافرة وأسلمت في الفتح، ثم أسلم زوجها عكرمة، وخرجت معه لغزو الروم فاستشهد في أجنادين، فتزوجت بعده خالد بن سعيد بن العاص وحضرت معه موقعة مرج الصف فاستشهد وقاتلت هي حتى قتلت يومئذ سبعة من الروم ثم قتلت رضي الله عنها. بتصرف، الاستيعاب ٤/٤٤٣، والإصابة ٤/٤٤٣.

[3] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٣٠.

[4] هي أم كلثوم بنت سيد البشر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها، أختلف أهي أصغر أم فاطمة والأرجح أنها فاطمة رضي الله عنهما، تزوجها عتبة بن لهب فلم يدخل عليها، حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أبوه بفراقها، ثم تزوجها عثمان رضي الله عنه بعد موت أختها رقية سنة ٣ هـ، وتوفيت رضي الله عنها عنده سنة ٩ هـ و لم تلد له. بتصرف، الاستيعاب ٤/٤٨٦، وسير أعلام النبلاء ٢/٢٥٢، والإصابة ٤/٤٨٩.

[5] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٢٩. وفتح الباري ٨/١١.

[6] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٢٩، وقصة أخيه مع الأنصاري، انظر نفس المرجع ٣/ ٣٣٧.

لزينب رضي الله عنها[1] بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وهي مهاجرة، فـــنخس بها، فسقطت وأسقطت حملها، وقد عفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم[2].

وأما الحارث بن طُلاطل فقد قتل[3].

وأما قينتا ابن خطل فقد كانتا تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فقتلـــت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها فأمنّها الرسول صلى الله عليه وسلم[4].

وأما سارة رضي الله عنها فكانت ممن يؤذيه بمكة، وقد استؤمن لها فأمنها الـــنبي صلى الله عليه وسلم[5].

وأما كعب بن زهير رضي الله عنه فقد كان شاعرا مشهورا، وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم، ويشبب بنساء المسلمين، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه فهرب، ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه من الطائف مستأمنا، فعفا عنه فأسلم[6].

وأما وحشي بن حرب رضي الله عنه، فقد هرب ثم وفد مع أهل الطائف وأسلم.

أما هند بنت عتبة فقد كانت تؤلب على المسلمين، وقد مثَّلت بحمزة رضي الله عنه يوم أحد، وأكلت من كبده[7]،وقد أسلمت وبايعت رضي الله عنها.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أباح لخزاعة أن يثأروا لقتلاهم الذين غُـــدر بهم في الوتير، ثم أمرهم بالكفّ عن القتل ورفع السيف، ثم لقي رهط منهم رجلاً من

---

[1] هي زينب بنت سيد ولد آدم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمية القرشية، وهي أكبر بناته وأول من تزوج منهن، ولدت قبل البعثة بعشر سنين، وتزوجها ابن خالتها هالة أبو العاص بن الربيع، أسلمت قبله وأسر هـــو في غزوة بدر فأطلقه النبي صلى الله عليه وسلم واشترط عليه أن يخلي سبيلها فهاجرت إلى المدينة، أسرته إحدى سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم فأجارته زينب، ثم أسلم بعدها وذلك في السنة السابعة، توفيت رضي الله عنها أول سنة ثمان، وولدت له عليا وقد ناهز الاحتلام، وأمامة وعاشت حتى تزوجها علي بعد فاطمة رضي الله عنـــهما. بتصرف، الاستيعاب ٣١١/٤، وسير أعلام النبلاء ٣٣٤/١، والإصابة ٣١٢/٤.

[2] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم :ابن هشام ٢٩٩/٢، و فتح الباري ١١/٨ ح ٤٢٨٠.

[3] انظر فتح الباري ١١/٨.

[4] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٠/٤، وفتح الباري ١١/٨.

[5] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٠/٤. وفتح الباري ١١/٨.

[6] بتصرف، الأعلام: الزركلي ٢٢٦/٥.

[7] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤١/٣.

هذيل قد وترهم في الجاهلية فقتلوه، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم خطب في الناس وبين حرمة مكة، وودى القتيل[1].

كما أظهر عليه الصلاة والسلام للناس علماً من أعلام النبوة فقال:((لا يُقتل قرشي صبراً[2] بعد هذا اليوم، إلى يوم القيامة))[3].

كما بين حرمة مكة وأنها تبقى دار إسلام أبد الدهر، فقال:((لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة))[4].

٥-تسليم مفتاح الكعبة:

بعد أن تم تطهير البيت العتيق من الأوثان ، أراد النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة داخل الكعبة، فأمر عثمان بن طلحة رضي الله عنه أن يأتي بمفتاح البيت، (فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أسامة بن زيد[5] وبلال وعثمان بن

---

[1] انظر الحديث في مسند الإمام أحمد عن ابن شريح الخزاعي رضي الله عنه ٤/٣١ و ٣٢، والحديث حسن لذاته، انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٥٦٨، وذكر ابن هشام القصة بالتفصيل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ٤/٩٤. وقد روى الإمام البخاري جزءا من الخطبة في صحيحه في كتاب المغازي باب منزل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ٥/٩٤ وستأتي لاحقا.

[2] القتل صبرا: هو أن يمسك شيء من ذوات الروح حيا، ثم يرمى بشيء حتى يموت، ومنه الحديث: اقتلوا القاتل واصبروا الصابر: أي احبسوا الذي حبسه للموت، حتى يموت كفعله به، وكل من قتل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ فإنه مقتول صبرا. النهاية في غريب الحديث ٣/٨.

[3] صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب لا يقتل قرشي صبرا بعد الفتح ٣/١٤٠٩ ح ١٧٨٢، ومسند الإمام أحمد ٣/٤٢١، وقال الإمام النووي: قال العلماء معناه: الإعلام بأن قريشا يسلمون كلهم، ولا يرتد أحد منهم كما ارتد غيرهم بعده ممن حورب وقتل صبرا، وليس المراد أنهم لا يقتلون ظلما صبرا، فقد جرى على قريش بعد ذلك ما هو معلوم. بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١٣٤، وانظر شرح معاني الآثار ٣/٣٢٦.

[4] سنن الترمذي كتاب السير باب ما قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: أن هذه لا تغزى بعد اليوم ٤/١٥٩ ح ١٦١١، وقال: حديث حسن صحيح، ومسند الإمام أحمد ٣/٤١٢، عن مطيع بن الأسود رضي الله عنه، بإسناد حسن لذاته، انظر السيرة النبوية الصحيحة ص ٤٨٢.

[5] هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه ومولاه، أبو محمد وقيل أبو يزيد، أمه هي أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم، كان شديد السواد شجاعا، رباه النبي صلى الله عليه وسلم وأحبه كثيرا، فضائله كثيرة، واستعمله على جيش لغزو الشام، ثم توفي صلى الله عليه وسلم فبعثه أبو بكر رضي الله عنه ،توفي رضي الله عنه سنة ٥٤ هـ. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٢/٤٩٦، والإصابة ١/٣٦.

طلحة، فمكث به نهارا طويلا ثم خرج، فاستبق الناس فكان عبد الله بن عمر[1] أول من دخل، فوجد بلالا وراء الباب قائما، فسأله أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه)[2].

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب في جموع الناس ، ثم قام إليه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك.

فقال صلى الله عليه وسلم :((أين عثمان بن طلحة؟))فدُعي له فقال:((هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برٍّ ووفاء))[3]،وأبقاه على سدانة البيت رغم الذي كان بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه، وقال له:((خذوها يا بني أبي طلحة ، خذوا ما أعطاكم الله ورسوله تالدة خالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم))[4].

٦- مبايعة أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم :

بادر أهل مكة رجالاً ونساءً يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام والسمع والطاعة لله ولرسوله، وانقادت أعنَّتهم للحق بعد أن حاربوه طويلاً، وكانوا مثلاً للبغي والظلم، وعلموا أن الإسلام هو الدين الحق الذي يجب اعتناقه، والانضواء تحت لوائه، وها هو ذا (النبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس يوم الفتح ..وجلس

---

[1] هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، ولد سنة ثلاث من المبعث وهاجر وعمره عشر سنين ، رُد في بدر وأحد لصغره، وأجيز في الخندق وعمره ١٥ سنة، من فضائله قول النبي صلى الله عليه وسلم عنه: ((نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل))، فكان بعد لا ينام من الليل إلا القليل. اعتزل الفتنة، وكان حريصا على تتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم ، مات سنة ٧٢ أو ٧٣ وعمره رضي الله عنه ٨٧ سنة. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٢٠٣/٣، الإصابة ٣٤٧/٢.

[2] صحيح البخاري كتاب المغازي باب دخول النبي صلى الله عليه وسلم من أعلى مكة ٩٣/٥.

[3] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣١/٤، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٨/٨ ح ٤٢٨٩. وروى الحافظ عبد الرزاق في المصنف: أنه لما دفع النبي صلى الله عليه وسلم المفتاح إلى عثمان، قال: ((غيبوه)). ٨٤/٥ ح ٩٠٧٣.

[4] وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يدخل الكعبة مع الناس- قبل الهجرة- فغلظ عليه عثمان في الكلام ونال منه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :((يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت)). المغازي :الواقدي ٨٣٧/٢، وأخبار مكة ٢٦٥/١، وعيون الأثر ٢٣١/٢، وهذه الأحاديث مرسلة ومنقطعة وتتقوى بمجموعها ،انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٥٧١.

عند قرن مسفلة[1] فبايع الناس على الإسلام والشهادة)[2]-أي شهادة أن لا إلـــه إلا الله وأن محمدا رسول الله-، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه يأخذ علـــى الناس فبايعوه على السمع والطاعة ما استطاعوا.

ولما فرغ منهم بايع النساء ، واجتمع إليه نساء من نساء قريش فيهن هند بنت عتبة رضي الله عنها ، وهي متنقبة متنكرة لما كان من صنيعها بحمزة رضي الله عنه - وقد عفا عنها الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بعد- فبايعهن على ألا يشركن بالله شيئا، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفترينـــه بـــين أيديهن وأرجلهن، وألا يعصين الرسول صلى الله عليه وسلم في معروف، فبـــايعهن الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك واستغفر الله لهن[3].

وأراد بعض أهل مكة أن يبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الهجرة، فلم يبايعه عليها، وأخبر بانقطاعها، يقول مجاشع السُلمي رضي الله عنه [4]:(أتيت النبي صـــلى الله عليه وسلم بأخي[5] بعد الفتح، فقلت : يا رسول الله، جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة، قال: ((ذهب أهل الهجرة بما فيها)). فقلت: على أي شيء تبايعه؟ قـــال:((أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد))[6].

---

[1] هو قرن-أي جبل صغير-قد بقيت منه بقية بأعلى مكة عند موقف الغنم، ومسفلة رجل كـــان يســـكنه في الجاهلية. بتصرف، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقـــي ٢/٢٧٠، تحقيق: رشدي الصالح مَلحَس دار الثقافة مكة المكرمة، ط:٥، ١٤٠٨هـــ ١٩٨٨م.

[2] باختصار، مسند الإمام أحمد ٣/٤١٥ عن الأسود بن خلف رضي الله عنه .

[3] انظر الحديث في مسند الإمام أحمد عن عائشة بنت قدامة بن مظعون ٦/٣٦٥، وقال الشيخ الساعاتي: ســـنده حسن، انظر الفتح الرباني ٢١/١٦٥، وانظر دلائل النبوة ٥/٩٤، وتاريخ الأمم والملوك ٣/٦١، وفيه أن البيعـــة كانت في الصفا، والكامل في التاريخ ٢/١٧١.

[4] هو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب السلمي قيل أنه غزا كابل من بلد الهند، قتل يوم الجمل وقيـــل غـــير ذلك. بتصرف، الاستيعاب ٣/٥٢٠، والإصابة ٣/٣٦٢، وتهذيب التهذيب ١٠/٣٨.

[5] وهو مجالد بن مسعود السلمي يكنى أبو معبد، أخو مجاشع وأكبر منه، روى الإمام البخاري أنه قتل هو وأخوه مجاشع يوم الجمل وقيل بعد ذلك. انظر التاريخ الصغير ١/ ٧٧، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الـــوعي بحلـــب ودار التراث القاهرة ط :١، ١٣٩٧هـــ ١٩٧٧م. والإصابة ٣/٣٦٣، وتهذيب التهذيب ١٠/٤١.

[6] صحيح البخاري كتاب المغازي باب ٥٣ (لم يترجم له) ٥/٩٧، وصحيح مسلم كتاب الإمارة باب المبايعـــة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير ٣/١٤٨٥ ح ١٨٦٣.

٧–من مواقف النبي صلى الله عليه وسلم مع مسلمة الفتح:

أ– موقف قريش من أذان بلال رضي الله عنه على الكعبة:

حان وقت صلاة الظهر، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالاً رضي الله عنه أن يؤذن بالصلاة ، فعلا على ظهر الكعبة فأذَّن عليها ، وانسابت كلمات التوحيد خالصة لله، وبعض زعماء قريش جلوس بفناء الكعبة، فغاظهم ارتقاء بلال رضي الله عنه فوق ظهر الكعبة ، وانطلاق أذان الإسلام منها ، فتكلم بعضهم ، فقال عَتَّاب بن أُسَيد[١]: لقد أكرم الله أُسيدا أن لا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه. وقال الحارث بن هشام[٢]: أما والله لو أعلم أنه محقٌ لاتبعته. وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرته هذه الحصاة.

فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لقد علمت الذي قلتم، ثم ذكره لهم، فقالوا: نشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك[٣].

ب_ إسلام فَضَالة بن عمير[٤] رضي الله عنه :

---

[١] هو عتَّاب بن أُسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموي ، أبو عبد الرحمن، أسلم يوم الفتح وأستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مكة، وحج بالناس سنة الفتح، أقره أبو بكر رضي الله عنه على مكة إلى أن مات، واستعمله عمر رضي الله عنه، كان شديدا على المريب لينا على المؤمنين، قيل أنه توفي يوم مات أبو بكر وقيل سنة ٢٢ هـ. بتصرف، الإصابة ٤٥١/٢، وتهذيب التهذيب ٨٩/٧.

[٢] هو الحارث–وقيل الحرث–بن هشام بن المغيرة المخزومي أخو أبي جهل وابن عم خالد بن الوليد رضي الله عنه، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان خيِّرا شريفا، أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة من الإبل ،خرج إلى الشام رغبة في الجهاد والأجر فأصيب شهيدا رضي الله عنه، وقيل مات في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ. بتصرف، الاستيعاب ٣٠٧/١، وسير أعلام النبلاء ٤١٩/٤، والإصابة ٢٩٣/١.

[٣] روي خبر أذان بلال ببعض الاختلاف في كتب السنن والسيرة، انظر: المصنف: ابن أبي شيبة ٤٧٨/١٤ ح ١٨٧٤٦، والمطالب العالية ٢٤٩/٤، و سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٣/٤، والمغازي: الواقدي ٢/ ٨٤٦، ودلائل النبوة ٧٨/٥، وأخبار مكة ٢٧٤/١، وعيون الأثر ٢٣١/٢، وحسنه مهدي رزق الله في السيرة النبوية على ضوء المصادر الأصلية ص ٥٧١ بمجموع رواياته.

[٤] هو فضالة بن عمير بن الملوح الليثي، أسلم يوم الفتح ، وقال شعرا منه:

قالت: هلم إلى الحديث، فقلت: لا يأبى الله عليك والإسلام

لو ما رأيت محمدا وقبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام

بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٧/٤، و الاستيعاب ١٩٨/٣، والإصابة ٢٠٧/٣.

وسع حلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمته أهل مكة، فهذا فضالة بن عمير -وقد فاض صدره حقدا على النبي صلى الله عليه وسلم - يدبر لقتله وهو يطوف بالبيت، فلما دنا منه قال: ((أفضالة؟)) قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال:((ماذا كنت تحدث به نفسك؟)) قال: لا شيء كنت أذكر الله، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال:((استغفر الله)) ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه[1].

ج- حديث أبي سفيان رضي الله عنه نفسه بمعاودة قتال النبي صلى الله عليه وسلم :

لم يكن إسلام أبي سفيان يقيناً وخالصاً بعد، فلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم وقد فتح مكة قال في نفسه: لو جمعت لمحمد جمعاً. فإنه ليحدث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كتفيه وقال:((إذاً يخزيك الله))، فرفع رأسه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على رأسه، فقال: ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة. وفي رواية أخرى قال: أتوب إلى الله واستغفر الله مما تفوهت به[2].

د- تأمينه صلى الله عليه وسلم لصفوان بن أمية رضي الله عنه :

خرج صفوان بن أمية هارباً من الرسول صلى الله عليه وسلم يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فأخذ عمير بن وهب رضي الله عنه أماناً له، وأخذ آية على ذلك عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها مكة، فأدركه وهو يريد أن يركب البحر، فناداه، وأبلغه بأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم له، وقال له: أي صفوان فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس، ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك. قال: إني أخافه على نفسي. قال: هو أحلم من ذلك وأكرم.

فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يجعله بالخيار شهرين ليرى رأيه في الإسلام، فقال:((أنت بالخيار فيه أربعة أشهر)).ولم يُكرهه على الإسلام ثم خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حُنين وهو على شركه، وهناك

---

[1] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٧/٤، وعيون الأثر ٢٣٣/٢، وقال محسن الدوم في مرويات غزوة فتح مكة هذه رواية ضعيفة. وانظر خبره في الإصابة ٢٠٧/٣.

[2] دلائل النبوة ١٠٢/٥، والبداية والنهاية ٣٠٤/٤، والروايتان إحداهما منقطعة والأخرى مرسلة، انظر مرويات غزوة فتح مكة ص ٢٧٥.

أجزل له النبي صلى الله عليه وسلم العطاء من المغانم فأسلم بعدها[1].

هـ –قبوله صلى الله عليه وسلم لجوار أم هانئ[2] رضي الله عنها:

فرَّ بعض المشركين إلى أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها، ولحقهم أخوها علي رضي الله عنه ليقتلهم، وسألوها أن تجيرهم ففعلت، وصمم علي رضي الله عنه على قتلهم، فذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم لتشكوه ،تروي ذلك فتقول:(فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره، قالت: فسلمت عليه، فقال: ((من هذه؟)) فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب. فقال: ((مرحبا بأم هانئ)). فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا في ثوب واحد، فلما انصرف، قلت: يا رسول الله زعم ابن أمي أنه قاتل رجلا قد أجرته، فلان بن هبيرة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ))[3].

وفي رواية أخرى أنهما رجلان من أحمائها، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم:((قد أجرنا من أجرت، وأمَّنا من أمَّنت فلا يقتلنَّهما))[4].

و– إسلام أبي قحافة[5]–والد أبي بكر الصديق– رضي الله عنهما:

كان أبو قحافة على شركه عند ما زحف الجيش الإسلامي على مكة، وكان قد

---

[1] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٨/٤، والمغازي :الواقدي ٨٥٣/٢، وتاريخ الطبري ٦٣/٣، و الإصابة ١٨٧/٢.

[2] هي أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب القرشية الهاشمية بنت عم الرسول صلى الله عليه وسلم، اسمها فاختة وقيل: فاطمة، كانت زوج هبيرة بن عمرو المخزومي، فلما فتحت مكة أسلمت هي وهرب زوجها إلى نجران وفرق بينهما الإسلام ، وقيل خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذرت بسبب صبيانها، عاشت رضي الله عنها إلى بعد سنة خمسين. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٣١١/٢، والإصابة ٥٠٣/٤.

[3] صحيح البخاري كتاب الصلاة باب الصلاة في ثوب واحد ملتحفا ٩٤/١، والمصنف: عبد الرزاق الصنعاني ٢٢٣/٥ ح ٩٤٣٨.

[4] رواه الإمام أحمد في المسند ٣٤١/٦ -٣٤٣ عن أم هانئ رضي الله عنها، وانظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٠/٤ بإسناد حسن لذاته، انظر مرويات غزوة فتح مكة ص ٣١٠.

[5] هو عثمان بن عامر القرشي التيمي ،تأخر إسلامه حتى فتحت مكة، جاء يبايع النبي صلى الله عليه وسلم ورأسه ولحيته كأنه ثغامة–شجرة– بياضا، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :((غيروا هذا بشيء وجنبوه السواد)) وقيل أنه أول مخضوب في الإسلام، عاش إلى خلافة عمر رضي الله عنه، مات سنة ١٤ هـ وهو ابن سبع وتسعين سنة. بتصرف، الاستيعاب ٩٣/٣، والإصابة ٤٦٠/٢.

صعد على جبل أبي قبيس[1] ومعه أصغر بناته-وقد كُف بصره- فقال: أي بنية ماذا ترين؟ فأخبرته عن سواد مجتمع، وعن رجل يسعى مقبلاً ومدبراً بين يدَي ذلك السواد، ثم أعلمته بانتشار ذلك السواد فعلم أن الخيل قد دفعت ودخلت مكة، فأمرها، فأسرعت به إلى البيت، فتلقته الخيل قبل أن يصل إلى بيته، وفي عنق ابنته طوق من ورِق، فتلقاها رجل فقطعه من عنقها.

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مع المسلمين، ودخل المسجد، فأتى أبو بكر رضي الله عنه بأبيه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه قال:((هلاَّ تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه))، قال أبو بكر رضي الله عنه : هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت.

ثم أجلسه بين يديه فمسح صدره وقال له:((أسلم)) فأسلم رضي الله عنه، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بتغيير شيب رأسه.

ثم أخذ أبو بكر رضي الله عنه بيد أخته وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي. فلم يجبه أحد، فقال: أي أخية احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل[2].

---

[1] من أشهر جبال مكة وليس من أكبرها، يشرف على الكعبة من مطلع الشمس وهو أحد الأخشبين. بتصرف، معجم البلدان ١/٨٠، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٢٤٩.

[2]انظر الحديث في المستدرك على الصحيحين كتاب المغازي قصة إسلام أبي قحافة ٣/ ٤٦ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وتابعه الذهبي، والمطالب العالية ٤/٢٤٩، ورواه الإمام مسلم مختصرا في صحيحه كتاب اللباس والزينة باب استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة وتحريمه بالسواد ٣/١٦٦٣ ح ٢١٠٢، ومسند الإمام أحمد ٣/١٦٠، والطبقات الكبرى ٥/٤٥١، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٢٤ بإسناد حسن لذاته. انظر مرويات غزوة فتح مكة ص ٣٥٩.

٨-خُطب النبي صلى الله عليه وسلم أثناء إقامته بمكة:

أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة تسعة عشر يوما بعد الفتح، وورد أنه خطب يوم الفتح ، كما جاء أنه خطب الغد من الفتح، وبعضهم يذكر أنه في فتح مكة دون تحديد اليوم[١]، وقد بين صلى الله عليه وسلم في خطبه بعض أحكام الإسلام، وهي كالآتي:

الخطبة الأولى:

وكانت في أول يوم للفتح، عند باب الكعبة، وفيها ألغى النبي صلى الله عليه وسلم مآثر الجاهلية وفخرها وثاراتها، كما بين فيها دية الخطأ شبه العمد ، وفيها أعلن العفو عن قريش، فقال صلى الله عليه وسلم :((لا إله إلا الله وحده نصر عبده وهزم الأحزاب وحده...ألا إن كل مأثرة[٢] في الجاهلية تعد وتدعى، وكل دم أو دعوى موضوعة تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج[٣]، ألا وإن قتيل خطأ العمد ..بالسوط والعصا والحجر دية مغلظة مائة من الإبل منها أربعون في بطونها أولادها...))[٤].

وعند ابن اسحق رحمه الله:((يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب، ثم قرأ قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم

---

[١] بتصرف خطبة الفتح الأعظم فتح مكة المكرمة: د. فاروق حمادة ص ١٧. دار الثقافة الدار البيضاء المغرب، ط: ١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م. وبعض الأحداث التي سبق ذكرها مثل تأمين صفوان رضي الله عنه وقبول جوار أم هانئ رضي الله عنها قد تتزامن مع هذه الخطب أو تتأخر عنها، ولكني آثرت جمع هذه الخطب تحت عنوان واحد للفائدة.

[٢] مآثر العرب: مكارمها ومفاخرها التي تؤثر عنها وتذكر. النهاية في غريب الحديث ٢٢/١.وانظر عون المعبود ١٢/ ٢٩٢.

[٣] سيأتي لاحقا المقصود بالسدانة والسقاية انظر ص ١٦٩.

[٤] مسند الإمام أحمد ٣/ ٤١٠، عن عثمان بن طلحة، واللفظ له بإسناد حسن، انظر مرويات غزوة فتح مكة ص ٢٢٣، وسنن الدار قطني : الإمام علي بن عمر الدار قطني كتاب الحدود والديات وغيره، ح ٧٨، وسنن النسائي كتاب القسامة باب من قتل بحجر أو سوط ٤١/٨ ح ٤٧٩٩، وسنن أبو داود كتاب الديات باب في دية الخطأ شبه العمد ١٨٥/٤ ح ٤٥٤٧، وسنن ابن ماجه كتاب الديات باب دية شبه العمد مغلظة ٨٧٨/٢ ح ٢٦٢٨، والمسند: الإمام الحافظ أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي عن ابن عمر ٣٠٧/٢ ح ٧٠٢، تحقيق وتعليق: الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية بيروت ط: بدون ١٣٨١هـ.

مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1]، ثم قال: يا معشر قريش، ما ترَون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيرا...)[2].

وروى الإمام الترمذي[3] رحمه الله في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال: ((يأيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ[4] الجاهلية وتعاظمها بآبائها، والناس رجلان برٌّ تقيٌّ كريم على الله، وفاجر شقيٌّ هين على الله، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قال الله﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ .... ﴾))[5].

الخطبة الثانية:

وفيها أعلن النبي صلى الله عليه وسلم إبطال أحلاف الجاهلية، إلا ما كان على طاعة الله والنصرة في الدين، والتعاون على البر والتقوى، ذلك(أن الإسلام لا يُحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، فإن في التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه)[6].

---

[1] سورة الحجرات آية ١٣.

[2] السنن الكبرى كتاب السير باب فتح مكة ١١٨/٩، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ٣٢، وذكر محسن الدوم أن في الإسناد جهالة . انظر مرويات غزوة فتح مكة ص ٢٢٤.

[3] هو محمد بن عيسى بن سورة الترمذي أبو عيسى، من أئمة علماء الحديث وحفاظه، ولد سنة ٢٠٩ هـ في ترمذ وتتلمذ للبخاري وشاركه في بعض شيوخه، قام برحلة إلى خراسان والعراق وكان يضرب به المثل في الحفظ مات رحمه الله بترمذ سنة ٢٧٩ هـ. بتصرف، تذكرة الحفاظ: الإمام الذهبي ٦٣٣/٢، تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط: بدون، ١٣٧٤هـ، سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٣، والأعلام ٣٢٢/٦.

[4] يعني: الكبر . النهاية في غريب الحديث ١٦٩/٣، وانظر تحفة الأحوذي ١٥٥/٩.

[5] كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الحجرات ٣٨٩/٥، وذكر أن الحديث فيه راو ضعيف، والمصنف: ابن أبي شيبة ٤٩٣/١٤ ح ١٨٧٦٥، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، انظر موارد الظمآن إلى زوائد أبي حبان: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، كتاب المغازي والسير باب ما جاء في غزوة الفتح ص ٤١٦ ح ١٧٠٣، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون. ورواه الإمام البغوي في شرح السنة كتاب الاستئذان باب الافتخار بالنسب ١٢٣/١٣ ح ٣٥٤٤، تحقيق شعيب الأرناؤوط المكتب الإسلامي بيروت دمشق، ط:١، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، وقال د. فاروق حمادة: إسناده صحيح، انظر خطبة الفتح الأعظم ص ٣٣.

[6] تفسير القرآن العظيم ٥١٧/٤.

فقال صلى الله عليه وسلم: ((يا أيها الناس كل حلف[1] في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة، ولا حلف في الإسلام[2]، ولا هجرة بعد الفتح، يد المسلمين واحدة على من سواهم، تتكافأ دماؤهم[3]، ولا يقتل مؤمن بكافر، ودية الكافر كنصف دية المسلم، ألا ولا شغار في الإسلام، ولا جنب ولا جلب[4]، وتؤخذ صدقاتهم في ديارهم، يجير على المسلمين أدناهم[5]، ويرد على المسلمين أقصاهم[6]))[7].

---

[1] أصل الحلف: المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق، فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات، فذلك الذي ورد النهي عنه بقوله:((لا حلف في الإسلام))، وما كان منه في الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام كحلف المطيَّبين وما جرى مجراه، فذلك الذي قال قصده صلى الله عليه وسلم بقوله:((وأيما حلف كان في الجاهلية، لم يزده الإسلام إلا شدة))، يريد المعاقدة على الخير وبذلك يجتمع الحديثان. بتصرف النهاية في غريب الحديث ٤٢/١، وانظر الفتح الرباني ٩/٢١

[2] وكانوا يتوارثون بالحلف فنسخه القرآن بقوله تعالى﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ... ﴾ الأنفال جزء من آية ٧٥ .قال الإمام النووي: وأما المؤاخاة في الإسلام، والمحالفة على طاعة الله، والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق، فهذا باق لم ينسخ. وأما قوله: ((لا حلف في الإسلام)) :فالمراد به حلف التوارث والحلف على ما منع الشرع منه والله أعلم . بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ٨٢/١٦.

[3] أي تتساوى في القصاص والديات، والكفء: هو النظير والمساوي، والمراد أنه لا فرق بين شريف ووضيع في الدم ، بخلاف ما كان عليه أهل الجاهلية من المفاضلة وعدم المساواة. بتصرف، الفتح الرباني ١١٥/١٤.

[4] سيأتي لاحقا معنى الكلمتين جلب وجنب ص ٢٧١، ومعنى الشغار انظر ص ٢٦٦.

[5] قال الإمام البغوي رحمه الله: يسعى بذمتهم أدناهم: أي أن واحدا من المسلمين إذا آمن كافرا، حرم دمه على عامة المسلمين، وإن كان المجير أدناهم، مثل أن يكون عبدا أو امرأة أو عسيفا أو تابعا، أو نحو ذلك فإنه لا تخفر ذمته. بتصرف، شرح السنة ١٧٤/١٠.

[6] أقصاهم: أي أبعدهم، وذلك في الغزو، إذا دخل العسكر أرض الحرب، فوجه الإمام منهم السرايا فما غنمت من شيء، أخذت منه ما سمي لها، ورد ما بقي على العسكر، أنهم وإن لم يشهدوا الغنيمة ردء للسرايا وظهر يرجعون إليه. بتصرف الفتح الرباني ١٦١/٢١.قال الإمام البغوي : (ويجير عليهم أقصاهم) معناه: أن بعض المسلمين وإن كان قاصي الدار عن بلاد الكفر، ثم عقد أمانا لكافر، لم يكن لأحد منهم نقضه، وإن كان أقرب دارا من المعقود له. بتصرف، شرح السنة١٠/١٧٤.

[7] مسند الإمام أحمد ٢١٥/٢، وقال الشيخ الساعاتي: حديث صحيح صححه الترمذي وغيره وله شواهد كثيرة تعضده، بتصرف، الفتح الرباني ١٦١/٢١، ولصدر الحديث رواية في صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ١٩٦١/٤ ح ٢٥٣٠. وروى الترمذي نحوه في كتاب السير باب ما جاء في الحلف ١٤٦/٤ ح ١٥٨٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح. كما روى جزء منه في المصنف: عبد الرزاق الصنعاني ٢٢٦/٥ ح ٩٤٤٥، وروى أبو داود في سننه جزءا منه في كتاب الديات باب إيقاد المسلم من

الخطبة الثالثة:

وفيها بين النبي صلى الله عليه وسلم (حكم مكة قبل دخوله إياها، وحكمها وقت دخوله إياها، وحكمها بعد ذلك)[1]، فبين تحريمها، وتحريم صيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، وتحريم القتال فيها[2]، كما بين فيها أن من قتل له قتيل فهو بخيْر النظرين: إما القصاص أو الدية، فقال صلى الله عليه وسلم بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه:((إن مكة حرمها الله و لم يحرمها الناس، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرا، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله فيها، فقولوا له: إن الله أذن لرسوله و لم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب))[3].

وعند الإمام مسلم رحمه الله:((إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة))[4].

وفي صحيح البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن خُزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام فتح مكة، بقتيل منهم قتلوه، فأُخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فركب راحلته فخطب فقال:((إن الله حبس عن مكة القتل-أو الفيل ..- وسُلِّط عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، ألا وإنها أُحلت لي ساعة من

الكافر ١٨٠/٤ ح ٤٥٣٠، وروي نحوه في شرح السنة كتاب القصاص باب لا يقتل مؤمن بكافر ١٧٢/١٠ ح ٢٥٣١، وقال المحقق سنده صحيح، و ح ٢٥٣٢ وقال سنده ضعيف ، ثم ذكر عدة شواهد له .

[1] شرح معاني الآثار ٣٢٦/٣.

[2] وقد أخرج الإمام الثوري عن ابن مسعود موقوفا، قوله: من همَّ بخطيئة و لم يعملها، لم تكتب عليه حتى يعملها، ولو أن رجلا همَّ وهو يقدر أن يقتل رجلا عند البيت، لأذاقه الله عذابا أليما. ثم قرأ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة الحج جزء من آية ٢٥). بتصرف، تفسير سفيان الثوري: الإمام أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ص ٢٠٩، مراجعة وضبط: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط:١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. وقال الحافظ ابن حجر: هذا سند صحيح، فتح الباري ٢١٠/١٢ ح ٦٨٨٢، وروى نحوه في المستدرك على الصحيحين كتاب التفسير ٣٨٨/٢، وقال: صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.

[3] صحيح البخاري كتاب المغازي باب ٥١ (لم يترجم له) ٩٤/٥.

[4] كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد، على الدوام ٩٨٦/٢ ح ١٣٥٣.

نهار، ألا وإنها ساعتي هذه حرام، لا يُختلى شوكها، ولا يعضد شجرها،[1] ولا تُلتقط ساقطتها إلا لمُنشد[2]، فمن قُتل له قتيل فهو بخير النظرين، إما أن يُعقل وإما أن يُقاد أهل القتيل)).

فجاء رجل من أهل اليمن فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال: ((اكتبوا لأبي فلان)). فقال رجل من قريش: إلا الأِذخِر[3] يا رسول الله، فإنا نجعله في بيوتنا وقبورنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:((إلا الإِذخِر))[4].

والخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أذن لخزاعة بقتال بني بكر، حتى صلاة العصر، ثم أمرهم أن يكفُّوا، ويرفعوا السيف، فلقي رجل من بني خزاعة رجلاً من بني بكر-كان قد وترهم في الجاهلية، وكانوا يطلبونه- بمزدلفة[5] في اليوم التالي فقتله.

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام وخطب فقال:((يا معشر خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر أن يقع، لقد قتلتم قتيلا لأديَّنه...))[6].

---

[1] وفي رواية:((لا يعضد شوكه، ولا يختلى خلاها)) والعضد: القطع، والخلا: هو الرطب من الكلأ، ومعنى يختلى: يؤخذ ويقطع، ومعنى يخبط: يضرب بالعصا ونحوها ليسقط ورقه. بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٤/٩.

[2] وفي رواية: ((ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها))، المنشد: هو المعرف بها، والمعنى: (لا تحل لقطتها لمن يريد أن يعرفها سنة ثم يتملكها، كما في باقي البلاد، بل لا تحل إلا لمن يعرفها أبدا ولا يتملكها). المرجع السابق ١٢٦/٩.

[3] هو (نبت عريض الأوراق طيب الرائحة، يسقف به البيوت فوق الخشب). عون المعبود ٤٩٩/٥ ح ٢٠٠١.

[4] صحيح البخاري كتاب العلم باب كتابة العلم ٣٦/١، وكتاب اللقطة باب كيف تعرف لقطة أهل مكة ٩٤/٣، وصرح فيه باسم الرجل من أهل اليمن هو: أبو شاه رضي الله عنه ، والرجل من قريش هو: العباس رضي الله عنه، وصحيح مسلم كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام ٩٨٦/٢ ح ١٣٥٣ و ١٣٥٤ و ١٣٥٥، وسنن أبي داود كتاب المناسك باب تحريم حرم مكة ٢١٢/٢ ح ٢٠١٧.

[5] هو مكان بين بطن محسر والمأزمين وهي المشعر الحرام ومصلى الحجاج يصلون فيه المغرب والعشاء والفجر. بتصرف، معجم البلدان ١٢٠/٥.

[6] مسند الإمام أحمد ٣١/٤ و ٣٢ عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه، بإسناد حسن لذاته، انظر مرويات غزوة فتح مكة ص ٢٤٩، وروى ابن أبي شيبة في المصنف أنه قال:((إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم، ومن قتل غير قاتله، ومن قتل بذحول الجاهلية)). ٤٨٧/١٤ ح ١٨٧٥٠، وانظر تفصيل قصة الرجل المقتول في سيرة

وذلك لأنه كان ممن لحقه الأمان من النبي صلى الله عليه وسلم، بقوله : ((من وضع سلاحه فهو آمن))، وكان قتل قاتله من خزاعة بعد أمر النبي صلى الله عليه وسلم إياهم برفع السلاح- بعد أن أذن لهم بوضعه فيهم- فأوجب ديته لأهله[1].

النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٣/٤.

[1] بتصرف، تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار: أبو جعفر الطبري مسند ابن عباس ٤٣/١، قرأه وخرج أحاديثه: محمود محمد شاكر مطبعة المدني مصر ط: بدون.

٩-بعث البعوث لهدم الأوثان الموجودة خارج مكة:

لما تمَّ للرسول صلى الله عليه وسلم تطهير البيت الحرام من الأصنام، بعث عدة سرايا لهدم ما تبقى من الأصنام الموجودة خارج مكة، وقد ذكر الله تعالى أسماء بعض هذه الأصنام في قوله:﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾[١]، وتوالت أحداث هدمها كما يأتي:

أ-هدم العُزى[٢]:

بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه في ثلاثين فارسا لخمس ليال بقين من رمضان، لهدم العزى، وكانت بنخلة[٣]،-وكانت قريش وجميع بني كنانة يعظمونها، وكانت من أعظم أصنامهم بزعمهم الفاسد-، فانتهوا إليها فهدمها، ثم رجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فأخبره فقال: ((هل رأيت شيئا؟)). قال: لا، قال: ((فإنك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها)).

فرجع خالد فجرد سيفه، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس[٤]، فجعل السادن يصيح بها، فضربها فجزلها باثنين.

ورجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فأخبره، فقال:((نعم تلك العزى وقد

---

[١] سورة النجم الآيتين ١٩،٢٠.

[٢] هي سَمُرَة كانت لقريش وكنانة وغطفان يعبدونها، وكانوا قد بنوا عليها بيتا وأقاموا لها سدنة من بني شيبان، وموقعها اليوم في فرعة سُقام أحد روافد حَراض(من روافد نخلة الشامية). بتصرف، معجم البلدان ١١٦/٤، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٢٠٦.

[٣] هما نخلتان الشامية واليمانية، وهما واديان لهذيل على ليلتين من مكة يجتمعان ببطن مر الظهران .بتصرف، معجم البلدان للحموي ٢٧٧/٥، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٣١٧.

[٤] قال الكلبي: وكانت اللات والعزى ومناة، في كل واحدة منهن شيطانة تكلمهم وترايا للسدنة-وهم الحجبة- وذلك من صنيع إبليس وأوامره. بتصرف، أخبار مكة ١٢٧/١.

وقال الزرقاني في شرح المواهب اللدنيه: وفيه علم من أعلام النبوة، حيث أعلمه أنه لم يهدمها أولا ، ولم يزل الداعي إلى تجديدها، ولعل تلك الشيطانة كانت تكلمهم أو تظهر لهم، فربما أمرتهم بتجديدها. وفي خروجها ثانية لخالد، آية أخرى لأنها لم تكن مشاهدة. بتصرف ٤١٦/٢.

يئست أن تعبد ببلادكم أبدا))[1].

ب- هدم سُواع[2]:

ثم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضي الله عنه في شهر رمضان، إلى سُواع وهو صنم هُذَيل ليهدمه، فانتهى إليه وعنده السادن فقال: ما تريد؟ قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه. قال: لا تقدر على ذلك. قال: ولم؟ قال: تمنع. قال: حتى الآن أنت في الباطل ، ويحك هل يسمع أو يبصر ؟ ثم دنا منه فكسره، وهدم بيت خزانته فلم يجد شيئا، ثم قال للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله[3].

ج- هدم مناة[4]:

وبعث صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة سعد بن زيد الأشهلي[5] رضي الله عنه إلى مناة لهدمها، لستٍّ بقين من رمضان، وكانت بالمشلَّل[6]، فلما انتهى إليها قال له السادن: ما تريد؟ قال: هدم مناة. قال: أنت وذاك، فأقبل إليها، فخرجت إليه امرأة

---

[1] بتصرف، الطبقات الكبرى ١٤٦/٢، وانظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ٦٤، وأخبار مكة ١٢٦/١، وتاريخ الأمم والملوك ٦٥/٣، وقد ضعف محسن الدوم هذه الروايات وغيرها وبعضها يتقوى بمثله، انظر مرويات غزوة فتح مكة ص ١٩٦.

[2] صنم لهذيل وسدنته من بني لحيان، كان بأرض يقال لها رُهَاط وهو وادي يمر شمال عُسفان، ورهاط تبعد عن مكة ١٥٠ كيلا ، واستبعد البلادي أن يكون سواع برهاط. بتصرف، معجم البلدان ٢٧٧/٥، ومعجم المعالم الجغرافية ص ١٤٣.

[3] بتصرف، المغازي :الواقدي ٢/ ٨٧٠، وأخبار مكة ٨٧٠/١، والطبقات الكبرى ١٤٦/٢، وتاريخ الأمم والملوك ٦٦/٣، وعيون الأثر ٢٣٨/٢، والمواهب اللدنية ٤١٦/٢.

[4] هي صخرة نُصبت على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، وكانت للأوس والخزرج وغسان من الأزد ومن دان بدينهم من أهل الشام ويثرب، ولم يعد لها أثر اليوم. بتصرف، أخبار مكة ١٢٤/١، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٣٠٢.

[5] هو سعد بن زيد بن مالك بن عبد كعب الأنصاري الأشهلي، قيل أنه شهد العقبة، آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عمرو بن سراقة رضي الله عنه ،شهد بدرا وما بعدها، هو الذي بعثه الرسول ببعض سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع بها خيلا وسلاحا. بتصرف، الاستيعاب ٤٦/٢، والإصابة ٢٨/٢.

[6] جبل يعرف باسم السلل، أسفل قُديد ،على ساحل البحر الأحمر، شمال مدينة جدة ب ١٧٠ كيلا . بتصرف، معجم البلدان ١٣٦/٥، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٢٩٨، والتاريخ الإسلامي: محمود شاكر ٣٤٦/٢.

عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل والثبور، وتضرب صدرها، فقال السادن: مناة دونك بعض عصاتك، فضربها سعد وقتلها، وهدم الصنم و لم يجد في خزانته شيئا ورجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم [1].

١٠- مبعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جذيمة:

بعد زوال العقبة الكؤود من طريق دعوة الإسلام(أهل مكة)، عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على نشر دين الإسلام في المناطق المجاورة لمكة، وكان ممن بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعيا للإسلام، و لم يبعثه مقاتلا[2]، فوصل إلى ديار بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، بل قالوا: صبأنا، صبأنا، فأخذ خالد فيهم قتلا وأسرا.

وأنكر عليه بعض أصحابه ذلك، ثم أخبروا الرسول صلى الله عليه وسلم، فغضب وتبرأ مما فعله خالد، والظن بمثل خالد رضي الله عنه أنه إنما أراد نصرة الإسلام، وأنه اجتهد في أمر وتأول فأخطأ، وفهم من كلامهم أنهم يتبرءون من الإسلام، ولعل هذا هو السبب في أن النبي صلى الله عليه وسلم عذره و لم يعزله- وإن تبرأ من فعله[3].

وأكتفي بإيراد أصح الروايات في هذه القصة وهي ما رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال:(بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا. فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم، أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرناه له، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يده فقال:((اللهم، إني أبرأ إليك مما صنع خالد)) مرتين)[4].

---

[1] بتصرف، المغازي :الواقدي ٨٧٠/٢، أخبار مكة ١٣١/١، وتاريخ الأمم والملوك ٦٦/٣، وعيون الأثر ٢٣٨/٢.

[2] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : ابن هشام ٥٣/٤.

[3] بتصرف، السيرة النبوية: د. محمد أبو شهبة ص ٤٦٥.

[4] كتاب المغازي باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ١٠٧/٥.

ونادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بمكة: من كان يؤمن بالله ورسوله فلا يدعنَّ في بيته صنما إلا كسره، فأخذ المسلمون يكسرون تلك الأصنام.

وجعلت هند بنت عتبة رضي الله عنها تضرب صنما لها في بيتها بالقدوم فلذة فلذة، وهي تقول: كنا منك في غرور[1].

ثم أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة تسعة عشر يوما، نظم فيها أمورها، ووطد لدين الإسلام فيها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:(أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة تسعة عشر يوما يصلي ركعتين) [2].

ثم خلف فيها عتاب بن أسيد رضي الله عنه أميرا عليها[3]، ومضى يريد لقاء هوازن[4].

---

[1] بتصرف، المغازي: الواقدي ٢/٨٧٠.

[2] صحيح البخاري كتاب المغازي باب مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة زمن الفتح ٥/٩٥. وفي رواية عن أنس رضي الله عنه قال:(أقمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عشرا نقصر الصلاة)، المرجع السابق نفس الصفحة. وعند ابن اسحق خمسة عشر يوما انظر، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٦٤.

[3] الحديث رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ذكر عتاب بن أسيد ٣/٥٩٥، وسكت عنه، وقد حسنه الشيخ الألباني، انظر حاشية فقه السيرة: الشيخ الغزالي ص ٤٣٣. قال د. إبراهيم قريبي: الآثار الواردة في تعيين عتابا رضي الله عنه لا تخلو من مقال، لكنها تدل على أن للقصة أصلا. بتصرف، مرويات غزوة حنين وحصار الطائف: د. إبراهيم بن إبراهيم قريبي ١/١٠٩، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط: بدون.

[4] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٦٩.

وهكذا كانت عودة النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة مظفرا منتصرا، بعد أن أخرج منها خائفا مترقباً، فتحا عظيما ونصرا مبينا من الله، وقد دانت قريش واستسلم الطغاة، ودخلت مكة في حوزة الإسلام، وطُهرت من الرجس والأوثان، وخضع أهلها لحكم الإسلام وسلطانه بعد عداوة مديدة، وقد كان لذلك أعظم الآثار وأكثرها بركة على الإسلام والمسلمين، كما سيتضح من المبحث التالي.

المبحث الثاني: آثار فتح مكة.

تمهيد:

كان فتح مكة نصرا عظيما لعقيدة الإسلام على عقيدة الشرك ، ونصرت فيه كلمة الحق على كلمة الباطل، وأعزّ الله به رسوله وجنده المؤمنين، و لم يكن انتصارا لذات أحد بعينه أو ثأرا لشخص ما، بل كان فتحا مبينا فتح الله به حصون الشرك، كما فتح قلوب أهل مكة لكلمة التوحيد.

وفي فتح مكة جمع الله تعالى لرسوله بين الفتح والنصر، ففي غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم السابقة للفتح نجد أن القرآن تحدث عن النصر في بدر، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ..الآية ﴾[1]، وفي غزوة أحد صدق الله وعده المؤمنين في أول المعركة، فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ..الآية ﴾[2]، أما في غزوة الأحزاب فقد سمى القرآن انتصار المؤمنين نعمة، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا .. الآية ﴾[3]، وفي غزوة حنين قال تعالى:﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ..الآية ﴾[4].

أما في غزوة فتح مكة فقد قرن الله تعالى النصر مع الفتح[5]، فقال: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى

---

[1] سورة آل عمران جزء من آية ١٢٣.

[2] سورة آل عمران جزء من آية ١٥٢.

[3] سورة الأحزاب جزء من آية ٩.

[4] سورة التوبة جزء من آية ٢٥.

[5] بتصرف، حديث القرآن عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم: محمد بكر آل عابد ٢/ ٥٧٩، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط: ١ ١٤١٣هـ ١٩٩٣م. وقال الإمام الرازي: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجد النصر دون الفتح كبدر، والفتح دون النصر كإجلاء بني النضير، فإنه فتح البلد لكنه لم يأخذ القوم ، أما يوم فتح مكة فقد اجتمع له الأمران النصر والفتح، وصار الخلق له كالأرقاء حتى أعتقهم. بتصرف، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين عمر ١٥٥/١٦، دار الفكر بيروت ط: ١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م. وانظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ٢٧ /٢٠٦ تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾[1].

والنصر هو : الإعانة على تحصيل المطلوب ، والفتح هو : المطلوب ، فقدم النصر على الفتح[2].

وقيل النصر: الإغاثة والإظهار على العدو، والفتح فتح البلاد، والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب أو على قريش وفتح مكة[3].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي[4] رحمه الله: وسورة النصر تحمل بين آياتها بشارة وأمرا للرسول صلى الله عليه وسلم ، أما البشارة فهي إخباره بنصر الله تعالى له، وفتحه مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجا، بحيث يكون الكثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا أعداءه، وقد وقع هذا المبشر به.

ط: بدون.

[1] سورة النصر كاملة. وقد اختلف في وقت نزول هذه السورة ، فقيل: نزلت منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من خيبر ، وقيل: نزلت بعد الفتح، وقيل نزلت بعد حنين، وقيل: إنها نزلت أواسط أيام التشريق أيام حجة الوداع- وقد ضعف الحافظ ابن حجر القول الأخير، انظر فتح الباري ٧٣٦/٨ ح ٤٩٦٩، وانظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٣٥/٣، وتفسير القرآن العظيم ٥٢٩/٨، وتفسير التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ٥٨٨/٣٠، الدار التونسية للنشر، ط: بدون، ولباب النقول في أسباب النزول ص ٢٣٧، وأسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ص ٣٠٨ دار الكتب العلمية بيروت ط: بدون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

[2] انظر تفسير الفخر الرازي ١٥١/١٦، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٠٦/٢٧.

[3] انظر تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤/ ٢٩٤، دار المعرفة بيروت لبنان ط: بدون. وتفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: الإمام أبو السعود محمد بن محمد العمادي ٩/ ٢٠٨، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط: بدون.

[4] هو عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي النجدي، مفسر محدث فقيه أصولي، ولد في عنيزة سنة ١٣٠٧هـ، حفظ القرآن وطلب العلم على علماء نجد، توفي رحمه الله في عنيزة سنة ١٣٧٦هـ. بتصرف، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة ٣٩٦/١٣. مكتبة المثنى بيروت ودار إحياء التراث العربي بيروت ط: بدون، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

أما الأمر بعد حصول وتحقق النصر والفتح واجتماع الناس على دينه، بالتوجه إلى ربه بالشكر والتسبيح بحمده تعالى والاستغفار[1].

كما تحققت بفتح مكة البشارات الإلهية المُتَضَمنة في بعض الآيات الكريمة، كتبشير الله للمؤمنين بالغلبة والغنم، كقوله تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾[2]، فهذه وإن اختلفت الروايات في تحديدها، فأقرب ما يناسب السياق أن تكون فتح مكة ، التي استعصت عليهم من قبل وهاجمتهم في عقر دارهم ثم أحاط الله بها، وسلمها لهم بلا قتال[3].

وكذلك ما بعثه الله في نفوس المؤمنين من الرجاء بإسلام أهلهم وأقربائهم، فتتحول النفرة بينهم إلى مودة، والبغض إلى محبة وتتآلف القلوب بعد العداوة والقساوة[4]، كما قال تعالى: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[5].

ومنها الآيات التي تأمر بالقتال وتبشر بأن النصر والغلبة سيكون للمسلمين، وأنه لا بد آت يوم تضع الحرب فيه أوزارها، كما في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ ..الآية ﴾[6]، وذلك حين يبين الله تعالى أنه سيكون هناك وقت تضع الحرب

---

[1] بتصرف، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ٧/ ٢٨٦، حققه وضبطه: محمد زهري النجار المؤسسة السعيدية بالرياض ط: بدون. وانظر في ظلال القرآن ٦/٣٩٩٤.

[2] سورة الفتح الآيتان ٢٠- ٢١.

[3] بتصرف، في ظلال القرآن ٦/٣٣٢٧.

[4] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٨/١١٤.

[5] سورة الممتحنة آية ٧.

[6] سورة محمد جزء من آية ٤.

فيه أوزارها ، أي تضع الحرب أثقال أهلها المشركين، بأن يتوبوا إلى الله من شركهم فيؤمنوا به وبرسوله ولا يبقى هناك شرك[1].

وكقوله تعالى: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ..الآية ﴾ [2]،وفي هذه الآيات يأمر الله المسلمين بإخراج المشركين من حيث أخرجوهم أي من مكة، فأخرجهم المسلمون يوم الفتح[3].

وقد ترتب على الفتح آثار عظيمة مباركة على الدعوة الإسلامية – لازلنا نتفيأ ظلالها حتى الآن–منها:

١–القضاء على الوثنية، وتطهير قبلة المسلمين من معالم الشرك:

كانت مكة مركزا للوثنية والشرك،و قد دُنس مقام إبراهيم عليه السلام بالأصنام التي أُقيمت جانبيه وحول بيت الله، وكان أول من أحدث الأصنام عند العرب هو عمرو بن لحي الخزاعي[4]، حين قدم بهبل إلى مكة، ثم نصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه والذبح له، ثم اتخذت الأصنام الأخرى كإساف ونائلة، وجعل أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه، كما اتخذ العرب مع الكعبة أوثانا وبيوتا تعظم: كمناة بقُدَيد: وهي للأوس والخزرج، والعُزى: لقريش وبني كنانة ،وذي الخَلَصة: لدوس وخثعم .. وغيرها[5].

---

[1]بتصرف، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٢/٢٦، وتفسير القرآن العظيم ٢٩١/٧.

[2] سورة البقرة جزء من آية ١٩١.

[3]بتصرف، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: العلامة محمد جمال الدين القاسمي ١٣٥/٣، رقمه وخرج نصوصه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت ط: ٢، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م. وإخراج المسلمين المشركين من مكة، لم يكن بإبعادهم وطردهم منها كما فعل بهم المشركون سابقا، بل كان بإخراجهم من ربقة الشرك والكفر وإرضاخهم لحكم الله تعالى ، فالمسلمون لم يكونوا يوما من الأيام متعطشين للثأر أو الانتقام ممن آذاهم بمكة، بل كان إسلامهم وإزالة الشرك من الحرم هو هدفهم.

[4] هو عمرو بن لحي بن حارثة الأزدي، من قحطان، أول من غير دين إسماعيل، تولى حجابة البيت الحرام، وزار بلاد الشام، وأعجب بأصنامهم فحمل منها عددا ونصبها بمكة، وهو الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم :((رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قُصْبه في النار))، صحيح البخاري كتاب المناقب باب قصة خزاعة ١٦٠/٤، وذلك لما أحدث من تغيير في ملة إبراهيم عليه السلام من عبادة للأصنام، بتصرف، الأعلام: الزركلي ٥/ ٨٤.

[5]بتصرف، أخبار مكة ١١٧/١، وانظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٨١/١، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ٢٠٧/٢، تحقيق وتعليق محمد

ولما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة التوحيد والإسلام، تركزت دعوته على إخلاص العبادة لله وحده، ونبذ هذه الأوثان جميعها، فاعترض المشركون وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[1].

ثم كان فتح مكة ونصر الله نبيه على المشركين، وخلص المسلمون قبلتهم من أيدي أعدائهم، فبدأ أول ما بدأ بتحطيم رموز الشرك وإزالة مظاهر الوثنية داخل الكعبة وخارجها، فحطم الأصنام بيده صلى الله عليه وسلم ومحى الصور وكسر الأزلام، ورفع راية التوحيد، وتم تطهير البيت العتيق من مظاهر الوثنية وأوضار الجاهلية، ولا شك أن تطهير البيت من الأصنام، كان أكبر ضربة للوثنية في أرجاء الجزيرة العربية حيث كانت الكعبة أعظم مراكزها[2].

ثم امتدت حركة التطهير، وبث النبي صلى الله عليه وسلم سراياه التي قامت بتحطيم الأوثان خارج مكة، وبذلك تم اجتثاث الشرك من أصوله، وقطع دابر الوثنية إلى غير رجعة، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فقال: ((إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب))[3].

وبهذا الفتح تحرر البلد الأمين من رق التعبد للأصنام والأوثان، وعاد البيت طاهرا كما أمر الله تعالى خليله إبراهيم أول مرة حين أرشده لمكان البيت وعهد إليه ببنائه، ورجع إلى القاعدة التي أقيم عليها، وهي قاعدة التوحيد، وإلى الغرض من إقامته وهو عبادة الله وحده، وتخصيصه للطائفين به والقائمين لله فيه[4]، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا

حامد الفقي دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ط: بدون.

[1] سورة ص آية ٥ .

[2] بتصرف، السيرة النبوية الصحيحة ٢/٤٨٤.

[3] تتمة الحديث((.. ولكن في التحريش بينهم)) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب تحريش الشيطان ٤/٢١٦٦ ح ٢٨١٢.

[4] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٥/٤٠٩، وانظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ٥/٦٣، لم يذكر دار النشر ط:٢، ١٤٠٠هـ ١٩٧٩م، وفي ظلال القرآن ٤/٢٤١٨.

لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[1].

وتوج تطهير البيت الحرام بإعلان البراءة من المشركين وتحريم دخولهم المسجد الحرام، وذلك يوم الحج الأكبر في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2]، فكانت هذه المقاطعة والحظر للمشركين بعد أن طهر البيت الحرام من مظاهر الشرك، وأصبحت شعائر الحج مثل ذلك، وصارت مكة تحت السلطان الإسلامي، فلم يسمح للمشركين بعد ذلك بممارسة تقاليدهم وشعائرهم فيها[3].

٢- تثبيت وإرساء قواعد الحكم الإسلامي بمكة:

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا أن يصعد فوق الكعبة ،ويرفع صوته بالأذان، معلنا به سيادة الدولة الإسلامية الحاكمة بأمر الله[4]، وزوال دولة الشرك والكفر، ودانت قريش للرسول صلى الله عليه وسلم واستسلم الطغاة من غير حرب، ودخلت مكة في حوزة الإسلام، ومضى النبي صلى الله عليه وسلم يؤسس ويرسخ قواعد الإسلام وشرائعه في مكة، فنشر دين الإسلام وتبليغ دعوة الحق هو الهدف الذي ينشده، والغاية التي يقصدها، ولم تكن يوما غايته من جهاده استعباد الناس ، أو فرض سيادته وتسلطه عليهم، ولم تكن غايته جمع الغنائم أو حيازة الأموال، بل كما قال عنه تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[5].

فأعلن صلى الله عليه وسلم من خلال خطبه بمكة مبادئ الإسلام، ومما أعلنه وحدانية الله تعالى وقدرته على نصر جنده المؤمنين وإعزازهم، وإسقاط نخوة الجاهلية

---

[1] سورة الحج آية ٢٦.

[2] سورة التوبة آية ٢٨.

[3] بتصرف، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صور مقتبسة من القرآن الكريم ٢/ ٣٧١.

[4] بتصرف، قراءة جديدة للسيرة النبوية ٣٥١.

[5] سورة الأحزاب الآيتين ٤٥-٤٦.

وتعاظمها بآبائها، وبين أن الناس سواسية في الإسلام وأن أكرمهم عند الله أتقاهم له، وأن دماءهم متكافئة، لا فرق بين شريف ووضيع، وأن رابطتهم هي الإسلام وبه يكونون يدا واحدة على من سواهم.

كما ألغى ما كان سائدا في الجاهلية من التحالفات والأحزاب المخالفة للشريعة فلا تعاون ولا تناصر إلا على البر والتقوى.

وكذلك أعاد بناء المجتمع الجديد في مكة على أساس عقيدة التوحيد، وأقام الشرائع والأحكام فيها على شريعة الله، وتنفيذ حدود الله، وذلك من لوازم إقامة الدين[1]، فذكر في خطبه بعض الأحكام التشريعية[2]، فحدد دية القتلى وحرم الخمر، كما تم تنفيذ بعض الأحكام الشرعية أثناء وجوده صلى الله عليه وسلم بمكة، فودى قتيلا ثم بين أن أهل القتيل بالخيار بين دم قتيلهم أو ديته.

وأقام حد القطع لامرأة مخزومية[3] سرقت، وشدد في الإنكار على الشفاعة في الحدود بعد بلوغها الإمام، وبين أن سنة الله تعالى في قيام الأمم واستقرار المجتمعات، منوط بإقرار العدالة، وترك المجاملة في إقامة حدود الله على من وجبت عليه، ولو كان قويا أو عظيما[4]، وقد قال صلى الله عليه وسلم :((أقيموا حدود الله في القريب والبعيد. لا تأخذكم في الله لومة لائم))[5].

روى الإمام البخاري رحمه الله (أن امرأة سرقت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، .. فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال:((أتكلمني في حد من حدود

---

[1] انظر الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ص ٨٩ ، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ط:٢، ١٤٠٩هـ.

[2] ستأتي لاحقا بإذن الله في مبحث الدروس المتعلقة بالشريعة.

[3] ذكر الحافظ ابن حجر أن اسمها على الصحيح: فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد بن مخزوم بنت أخي أبي سلمة رضي الله عنه(الذي كان زوج أم سلمة قبل الرسول صلى الله عليه وسلم)، قتل أبوها كافرا يوم بدر قتله حمزة رضي الله عنه. بتصرف، الاستيعاب ٣٨٦/٤، وفتح الباري ١٢/ ٨٨ ح ٦٧٨٨.

[4] بتصرف، السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات ص ١٢٣.

[5] سنن ابن ماجه كتاب الحدود باب إقامة الحدود ح ٢٥٤٠ ٨٤٩/٢، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٧٨/٢ ح ٢٠٥٨.

الله؟))، قال أسامة: فاستغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال:((أما بعد فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ،وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت؛ لقطعت يدها))، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة، فقُطعت يدها)[1].

وتمت نعمة الله على أهل مكة، وأعزهم الله تعالى بالفتح، فبعد أن كانت مكة مجتمعا تتنازعه عوامل السيطرة، وحب الذات، وجبروت الحكم، وكان مجتمعا يعيش في ظلام الوثنية والشرك، ويعيش بعضهم تحت قهر العبودية والذل، انتشر فيه الإسلام واستتب الأمن، ورفعت فيه ألوية العدل والإنصاف، وثبتت الحقوق لأربابها، وبعد أن كانوا أشتاتا متفرقين أصبحوا بنعمة الله إخوانا، وقُضي على نعرات الجاهلية فلا فساد ولا طغيان[2]، وصارت مكة منطلقا لدعوة الإسلام، بما تحمل في طبيعتها من قوة ووضوح وصفاء، واستمر الإسلام فيها مرفوع الراية عزيزا، وبقيت مكة دارا للإسلام، وستبقى حتى قيام الساعة إن شاء الله تعالى، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة:((لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة))[3].

---

[1] وتتمة الحديث(..فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت ، قالت عائشة: فكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) كتاب المغازي باب ٥٣ (لم يترجم له) ٩٦/٥ واللفظ له، وصحيح مسلم كتاب الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود ١٣١٥/٣ ح ١٦٨٨، وفي رواية: فعاذت بأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والله لو كانت فاطمة.....الخ

[2] بتصرف، مقال بعنوان: الفتح المبين: الأستاذ عبد الغفار الباز محمد ص ٦٤٥، مجلة الأزهر ج١ سنة ٤٥ ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

[3] سبق تخريجه ص ١٣٣، و(لا)في الحديث إما نافية أو ناهية ، فأما إذا كانت نافية فمعنى الحديث:(أي لا تعود دار كفر يغزي عليه، أو لا يغزوها الكفار أبدا. إذ المسلمون غزوها مرات غزوها زمن يزيد بن معاوية بعد موقعة الحرة، وزمن عبد الملك بن مروان مع الحجاج وبعده، على أن من غزاها من المسلمين لم يقصدوها ولا البيت، وإنما قصدوا ابن الزبير مع تعظيم أمر مكة). ولو رويت بلا الناهية؛ فلا تحتاج إلى تأويل. بتصرف، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: الإمام الحافظ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ٥/ ٢٣٦، الناشر محمد عبد المحسن الكتبي ط: بدون.

٣-إسلام أهل مكة:

كان من الآثار الميمونة لصلح الحديبية في نفوس المكيين، تمكينه لهم من التعرف على ما احتواه الإسلام من مزايا خلقية واجتماعية رفيعة وأسس إصلاحية متينة لحياتهم، وإتاحة الفرصة لهم لإدراك ما يتحلى به المسلمون من إيمان وسماحة وقوة، مما أسفر عن مبادرة بعض رجالاتهم العقلاء إلى الدخول في الإسلام، ممن كانوا من أشد قريش وطأة على المسلمين، وكذلك ازدياد ميل الآخرين إليه ، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم، وقد تهيأت نفوسهم ومالت للدين الحق[١] .

وقد تجلت حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم الحربية في هذه الغزوة، والتي كانت من أهم العوامل المؤدية إلى إسلام أهل مكة، فقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على حقن الدماء، والمحافظة على أرواح الناس رغبة في إسلامهم، فقامت خطته لغزو مكة بشكل أساسي على مباغتة أهل مكة، وأخذهم على حين غرة، فلا يستطيعون مقاومة ولا دفاعا، ليذعنوا إلى الاستسلام، دون الدخول في حرب مع المسلمين، ودون إراقة للدماء[٢].

وتطبيقا لهذه الخطة-كسب المعركة بالسلام لا بالحرب- أحاط النبي صلى الله عليه وسلم أمر غزوه لمكة بسياج من السرية، وتكتم على تجهيز الجيش، حتى وصل مكة والتقى بأبي سفيان زعيم قريش رضي الله عنه، وتمكن من تجريده من روح المقاومة وإرادة القتال، وذلك لما أراه ما هاله حين عرض الجيش الإسلامي عليه، ثم إعطائه الأمان لأهل مكة شرط استسلامهم وعدم المقاومة، حتى كان هو في طليعة المحذرين لقومه من قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي مقدمة الداخلين في دين الله، وهو الذي لم تخرج مكة لحرب المسلمين إلا بإشرافه وتوجيهه[٣].

---

[١] بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٤٠، وانظر مجلة المنهل شهر محرم وصفر ١٣٧٤ مقال بعنوان: فتح مكة: الأستاذ عبد الوهاب آشي.

[٢] انظر دراسة في السيرة ص ٢٤٢.

[٣] بتصرف، فقه السيرة: د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٣٦٩، دار الفكر للطباعة والنشر ط:٨، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

ثم كان تقسيمه الجيش لأربع فرق تحيط بمكة من جميع جوانبها تشتيتا لأهلها، ومنعا لهم من التحشد في مكان واحد لقتال المسلمين والدفاع عن أنفسهم، كذلك أمره لهذه الفرق ألا تقاتل من سالمها، إلا إذا أكرهت على ذلك، ولضمان تطبيق هذا الأمر تحرى اختيار قادة الفرق الأربع ليكون مطمئنا لنتائج الفتح السلمي، ومن ثَمَّ لما بلغه أن سعد بن عبادة رضي الله عنه جاهر بمقولته: اليوم يوم الملحمة، سارع إلى تنحيته عن منصبه وأقام مكانه ابنه قيسا رضي الله عنه[1].

هذه الخطة المحكمة عمّت الأمر على قريش حتى بوغتوا في عقر دارهم، وامتلأت نفوسهم هيبة للمسلمين ورهبة منهم، فنزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم دون أي محاولة دفاعية–جادة– منهم، و لم يجدوا مناصا من الاستسلام[2].

ولعل من أقوى الأسباب التي دفعتهم للإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة، كان رحيما بهم و لم يعاملهم معاملة الغزاة الطاغين الذين يبطشون بأعدائهم، فلم يأسرهم أو يقتلهم بل رأى أن جمهورهم (كفّ عن قتاله، وعرف أنهم مسلمون، فأطلقهم و لم يغنم أموالهم ولا حريمهم، و لم يضرب عليهم الرق لا عليهم ولا على أولادهم، بل سماهم الطلقاء من قريش)[3].

وفعل ذلك صلى الله عليه وسلم ليستل من نفوسهم بواعث الحقد والضغينة، وليقضي على عوامل الشحناء والغل في قلوبهم، ليطهرهم من شرور الجاهلية وآثامها، فحقن دماء أهل مكة، لتسلم له قلوب أهلها، وتكون مستعدة بسبب المعاملة الحسنة

---

[1] بتصرف، مقال بعنوان: الفن الحربي الإسلامي في فتح مكة: الأستاذ محمد جمال الدين محفوظ ص ٢٠، مجلة الدارة العدد الثالث السنة الثامنة ١٤٠٣ هـ . وانظر مقال بعنوان مبادئ الأمن والسلام في فتح مكة د. محمد الصادق العفيفي ص ٤١، مجلة التضامن الإسلامي السنة الثامنة والأربعون الجزء الثالث رمضان ١٤١٣ هـ.

[2] انظر فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي ص ٤١٩، خرج أحاديثها الشيخ ناصر الدين الألباني دار الكتب الحديثة مصر، ط:٧، ١٩٧٦م، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صور مقتبسة من اقرآن الكريم ٢/ ٣٦٦.

[3] الفتاوى: ابن تيمية ١٧/ ٤٩٢.

الكريمة أن تنضم للإسلام[1]، إذ ليس من السهل أن ترضى قريش بمصيرها وتقبل على الإسلام طائعة، وتحمل رايات الجهاد، لو لم تعامل هذه المعاملة السلمية[2].

كما حرص عليه الصلاة والسلام أشد الحرص على إزالة الأصنام الموجودة عند البيت الحرام، لينزع من نفوس عابديها قدسيتها حين يرون بأعينهم كيف تتهاوى وتتحطم بأيدي المؤمنين دون أن تملك لنفسها نفعا ولا ضرا، والنبي صلى الله عليه وسلم حين يفعل كل ما فعل لا يريد استعلاء في الأرض، أو نصرا تسفك فيه دماء الأعداء، بل إن استجابتهم لدعوة الحق ودخولهم في الإسلام هي أسمى أهدافه وأنبل غاياته.

وانقاد أهل مكة للحق رجالا ونساء، ولانت قلوبهم للإسلام وبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام والجهاد والطاعة، وأعلن كبراؤهم إسلامهم وانضواءهم تحت لواء الإسلام، ليصدق فيهم قول النبي صلى الله عليه وسلم :((عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل))[3].

وتحول أهل مكة من أشد الناس عداوة للإسلام إلى أحرص الناس على الالتزام به وتطبيقه، وصار همهم الدعوة إلى الله ورفع راية الجهاد في سبيله، وأصبحوا قوة يعز بها الإسلام ويأخذ طريقه في الانتشار في بقاع الأرض.

وأعلن النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة خاصة لقريش فأخبر بدوام بقاء الإسلام في مكة، وثبات أهلها على دين الحق فقال:((لا يقتل قرشي صبرا بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة))[4].

٤- مبادرة القبائل العربية إلى الإسلام وانضواء العرب تحت راية الإسلام:

يُعد فتح المسلمين لمكة من أقوى عوامل انتشار الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية، فقد كانت العرب تتربص إسلام قريش، وما ينتهي إليه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم

---

[1] بتصرف، المنهج الحركي لسيرة النبوية ٣/١٢١.

[2] بتصرف، الرسول القائد: ص ٣٥٤.

[3] صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب الأسارى في السلاسل ٤/ ٢٠، وقد ذكر الحافظ ابن حجر أقوال العلماء في شرح الحديث، ومنها: انه لا يحمل على حقيقة التقييد، بل المعنى يقادون إلى الإسلام مكرهين فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة، انظر فتح الباري ٦/١٤٥ ح ٣٠١٠.

[4] سبق تخريجه ص ١٣٣.

على يديها، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت والحرم ومن سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وعندهم بيت الله الذي يحجون إليه، و قد دافع الله عنهم في حادث الفيل، مما جعل العرب يعظمون البيت وأهله ولا يجرءون على حربهم، بل هم قادة العرب.

كما أن قريشا هي التي تصدت وجندت رجالها لحرب الرسول صلى الله عليه وسلم وخلافه، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش وخضعت للإسلام ، عرفت العرب أن لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته[1] ، وقد صار سيدا للجزيرة العربية بعد انتصاره على مناوئيه المشركين وتحطم قواهم، وإزالة أصنامهم التي كانوا يعبدونها في عمى وضلال، فعلموا أنهم كانوا على غير الهدى، وأن الإسلام هو دين الحق، وشرعوا يفدون إلى المدينة أفواجا[2]، ليدخلوا في دين الله، ويقدموا ولائهم وطاعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وقد كانوا قبلا يدخلون فرادى، فصاروا يضربون إليه من كل وجه من مختلف مناطق الجزيرة وأنحائها.

قال الإمام القرطبي رحمه الله:(لما فتحت مكة قالت العرب: أما إذا ظفر محمد بأهل الحرم- وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل- فليس لكم به يدان-أي طاقة- فكانوا يسلمون أفواجا: أي أمة أُمة)[3].

وقال عمرو بن سلمة رضي الله عنه:(وكانت العرب تَلوَّم[4] بإسلامهم الفتح فيقولون : اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي صلى الله عليه وسلم حقا..)[5].

وجمع الإسلام بعد الفتح شتات العرب المتفرقين، فأصبحوا بنعمة الله عليهم إخوانا متآلفين، وقضى على نعرات الجاهلية، وهداهم إلى الرابطة التي تربط بين أفراد المجتمع المسلم،

---

[1] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ٢٢٢.

[2] وذلك بعد غزوة حنين والطائف فقد كانتا بعد الفتح مباشرة.

[3] الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٣٠.

[4] أي تنتظر، فتح الباري ٨/ ٢٣ ح ٤٣٠٢.

[5] صحيح البخاري كتاب المغازي باب ٥٣ (لم يترجم له) ٥/ ٩٥.

وهو الإسلام، فهو الرابطة التي تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية[1]، فتوحدت صفوفهم وتطهرت نفوسهم، وجعل الفرد يعمل لمصلحة الأمة لا لمصلحة قبيلته أو شخصه، وأصبحوا أهلا لحمل أمانة الدعوة والانطلاق بها في أنحاء الجزيرة العربية وخارجها.

ومما يدل على سرعة انتشار الإسلام بعد الفتح أن الجيش الذي انطلق لفتح مكة كان تعداده عشرة آلاف مقاتل، وخرج الجيش ذاته إلى حنين باثني عشر ألفا من المسلمين، ثم في السنة التي تليها تجهز لغزوة تبوك ثلاثون ألف مسلم[2].

أما في حجة الوداع فقد زاد عدد المسلمين على مائة ألف مسلم[3]،حجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأُتُّموا به في هديه.

و لم يلحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى حتى أقر الله عينه بالفتح وانتشار الإسلام في الجزيرة العربية[4]، وحتى بدأت تسير الكتائب من هذه الأفواج المسلمة لحمل دعوة الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها.

٥- تنظيم الأمور الإدارية بمكة:

ومن الآثار المترتبة على فتح مكة ، إلغاء بعض مظاهر الجاهلية وتشريعاتها، والإبقاء على البعض الآخر ، ومن ذلك ما يتعلق بتحريم مكة وحدودها، وتوزيع بعض المناصب التشريفية بين أهلها، ومما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الشأن :

أ- تجديد أنصاب[5] الحرم (أعلام حدود الحرم):

---

[1] بتصرف، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/ ٤٠٢.

[2] كما رجح ذلك عبد القادر حبيب الله السندي في كتاب الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، ص ١٨١، مكتبة المعلا الكويت ط: بدون ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، وانظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٦٢٣، وقيل أكثر من ذلك.

[3] يصف جابر بن عبد الله رضي الله عنه كثرة المسلمين يومها فيقول:(نظرت إلى مد بصري بين يديه-أي النبي صلى الله عليه وسلم - من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك) صحيح مسلم كتاب الحج باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ٢/ ٨٨٧ ح ١٢١٨.

[4] انظر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، صور مقتبسة من القرآن الكريم ٢/ ٣٦٦. وفقه السيرة: منير الغضبان ص ٥٦٨، والرحيق المختوم ص ٤٤٤، وللاستفادة انظر بين العقيدة والقيادة: محمود شيت خطاب من ص ٨٥- ٩٣.

[5] وجمعها نُصب، ولها عدة معاني، منها ما رواه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُب..) والمقصود: ما ينصب للعبادة من دون الله، وتطلق الأنصاب على

خص الله تعالى قريشا وأهل مكة دون سائر الناس بنعمة الأمن، وجعل بلدهم حرماً، وحرم على الناس أن يدخلوه بغارة أو قتل أو سبي ، والأعراب حولهم ينهب بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضا[1]، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾[2].

وبعد الفتح أكد النبي صلى الله عليه وسلم حرمة القتال بمكة، وبين أن هذا التحريم هو من عند الله تعالى وأنه سابق لشريعة الإسلام، فقال صلى الله عليه وسلم:((إن مكة حرمها الله و لم يحرمها الناس، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما))[3] ،كما حرم صلى الله عليه وسلم قطع أشجارها ونباتها، وتنفير صيدها وحرم لقط لقطتها إلا لمعرف[4]،وقد كان لمكة حدود معروفة، توضع عندها الأنصاب لتمييزها عن غيرها من الأرض، ولما تم فتح مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم تميم بن أسيد الخزاعي [5]رضي الله عنه فجدد هذه الأنصاب[1]، فكانت حدود الحرم في ست جهات كالآتي:

الحجارة التي كانوا يذبحون قرابينهم عندها، كما في آية ٩٠ من سورة المائدة﴿ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ انظر تفسير القرآن العظيم ١٧٠/٣. وتطلق الأنصاب على أعلام الطريق، وهو المراد هنا. انظر فتح الباري ٨/ ١٧ ح ٣٢٨٧، وأنصاب الحرم(ترد كثيرا في السيرة، وهي أنصاب مبنية من الحجارة المجصصة، على جوانب الطرق الخارجة من مكة، فما وراءها حل، وما دونها حرم، وهي حدود موروثة من عن قريش، ثم أقرها رسول اله صلى الله عليه وسلم، وحافظ عليها المسلمون على مرِّ السنين) معجم المعالم الجغرافية ص ٣٣.

[1] انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١/ ١٤، وتفسير القرآن العظيم ٦/ ٣٠٢، والجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٣٦٤.

[2] سورة العنكبوت آية ٦٧.

[3] صحيح البخاري كتاب المغازي باب ٥١(لم يترجم له) ٩٤/٥، ولا معارضة بين قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث، وبين ما رواه الإمام مسلم: ((إن إبراهيم حرم مكة))(كتاب الحج باب فضل المدينة ٩٩٢/٢ ح ١٣٦٢)، فالمعنى: أن إبراهيم حرم مكة بأمر الله لا باجتهاده، أو أن الله قضى أن إبراهيم يحرم مكة، أو أنه أول من أظهر تحريمها. بتصرف، فتح الباري ٤٣/٤.

[4] انظر الحديث في صحيح البخاري كتاب العلم باب كتابة العلم ١/ ٣٦، وللاستفادة انظر الأحكام السلطانية والولايات الدينية: أبو الحسن علي بن محمد بن حبب البصري البغدادي الماوردي من ص ٢٠٧-٢١١، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون. والأحكام السلطانية: القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي من ص ١٩١- ١٩٥، تحقيق محمد حامد الفقي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. والآثار التشريعية في فتح مكة: محمد الجعوان ٥٥٩/٢- ٦٠٢.

[5] هو تميم بن أسيد بن عبد العزى الخزاعي، أسلم وصحب قبل الفتح. بتصرف، الإصابة ١٨٣/١، والطبقات

- من طريق المدينة في التَنعيم[٢] عند بيوت غِفار[٣]، ثلاثة أميال.
- ومن طريق اليمن من طرف إضاءة لِبن[٤]، سبعة أميال.
-ومن طريق جدة مُنقطع الأعْشَاش[٥]، عشرة أميال.
- ومن طريق الطائف من بطن نَمِرة[٦] عند طرف عُرَنة، أحد عشر ميلا.

الكبرى ٤/٢٩٥.

[١]انظر الحديث في المصنف: عبد الرزاق الصنعاني ٥/٢٥ ح ٨٨٦٤، والمطالب العالية ١/٣٣٤، وقال المحقق: إسناده حسن، وأخبار مكة ٢/ ١٢٧، وعيون الأثر ٢/ ٢٣٣، وقال محسن الدوم بعد ذكر عدد من الروايات أنها تتقوى ببعضها انظر مرويات غزوة فتح مكة ص ٤١١. وقال ابن عباس: (أول من نصب أنصاب الحرم إبراهيم عليه السلام، يريه ذلك جبريل عليه السلام، فلما كان يوم فتح مكة، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم بن أسد الخزاعي، فجدد ما رثَّ منها). أخبار مكة ٢/١٢٧.

[٢] هو واد خارج الحرم من الشمال، ينحدر من الثنية البيضاء فيتجه شمالا محاذيا الطريق العام المتجه إلى المدينة، على قرابة ٢٠ كيلا. بتصرف، معجم المعالم الجغرافية ص ٦٥.

[٣] وتسمى إضاءة بني غفار، والإضاءة الماء المستنقع من سيل وغيره، وغفار قبيلة من كنانة، وهو موضع قرب مكة. بتصرف، معجم البلدان ١/٢١٤.

[٤] الإضاءة هي الأرض ولِبن هو الجبل وهو حد من حدود الحرم. بتصرف معجم البلدان ١/٢١٤، وحاشية أخبار مكة ٢/١٣١.

[٥] الأعشاش واقعة على يمين الذاهب إلى جدة، وهو مكان أنصاب الحرم في الحديبية. بتصرف، حاشية أخبار مكة ٢/١٣١.

[٦] الجبل الذي عليه أنصاب الحرم عن يمين الخارج من المأزمين، المتجه إلى الموقف. معجم البلدان ٥/٣٠٤.

خريطة المواقيت وأعلام حدود الحرم[1].

[1] نقلا من كتاب مرآة الحرمين ص ٢٢٦.

- ومن طريق العراق على ثنية خَلّ الصِفاح بالمقطع[1]، سبعة أميال..

- ومن طريق الجِعْرانة[2] على في شعب عبد الله بن خالد، تسعة أميال.[3]

ب- إلغاء مآثر الجاهلية عدا السدانة[4] والسقاية[5]:

وقد ألغاها صلى الله عليه وسلم في خطبته من أول يوم حيث قال:((ألا إن كل مأثرة في الجاهلية تُعد وتُدعى، وكل دم أو دعوى ، موضوعة تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج))[6].

وكان قصي بن كلاب[7] قد وزع بعض المناصب التشريفية في الجاهلية، وكان ابنه عبد مناف[1] قد شرف وساد في حياته وكان ابنه البكر عبد الدار[2] ، فأحب أن يلحقه

---

[1] ثنية في طريق نجد والعراق، والمقطع جبل، والأنصاب على رأس ثنية الخل. بتصرف، حاشية أخبار مكة ٣٠٩/٢ و ١٣١.

[2] الجعرانة في رأس وادي سرف، في الشمال الشرقي من مكة يعتمر منها المكيون. بتصرف، معجم المعالم الجغرافية ص ٨٣.

[3]بتصرف، أخبار مكة ٢/ ١٣٠، وانظر الأحكام السلطانية : الفراء ص ١٩١، وانظر مرآة الحرمين، أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية: اللواء إبراهيم رفعت باشا ص ٢٢٥، دار المعرفة بيروت لبنان ط: بدون. والحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ص ٥٢ ط: بدون ١٤١٥هـ ١٩٩٥م. وقد ذكر المؤلف اختلاف المؤرخين في تحديد قدر المسافات التي بين الكعبة وبين حدود الحرم الواقعة على مداخله، من الجهات المذكورة، وأرجع هذا الاختلاف إلى اختلاف الابتداء من المسجد الحرام إلى تلك الحدود. انظر ص ٥٢.

[4] سدانة الكعبة: خدمتها والقيام بجميع أمورها من فتحها وإغلاقها وتنظيفها وغسلها وكسوتها وإصلاح هذه الكسوة إذا تمزقت، واستقبال زوارها، وكل ما يتعلق بذلك، وهي الحجابة. بتصرف، تحقيق المرام في تاريخ البيت الحرام: طلحة حسن الشيبي ص ٩٩ ط:١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م. وانظر شرح المواهب اللدنية ٤٠٥/٢.

[5] سقاية الحاج من ماء زمزم دون مقابل، وكانت أحواضا من أدم، يوضع فيها الماء العذب لسقاية الحجيج، وقد يطرح فيه التمر والزبيب، وممن فعل ذلك عبد المطلب لما حفر زمزم، بتصرف، شرح المواهب اللدنية ٤٠٥/٢، وتحقيق المرام في تاريخ البيت الحرام ص ٩٩.

[6] سبق تخريجه ص ١٤١.

[7] هو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، سيد قريش في عصره، هو أول من كان له ملك بني كنانه، وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي، هدم الكعبة وجدد بناءها، وحاربته القبائل، فجمع قومه من الشعاب والأودية وأسكنهم مكة، كانت قريش تتيمن برأيه، وكان له الشرف والرياسة ولبنيه من بعده. بتصرف، أخبار

بأخيه ويشرفه، فأوصى له بما يليه من مصالح قريش، فأعطاه دار الندوة والحجابة واللواء والسقاية والرفادة، ثم هلك قصي، وأقام بنوه على أمره فلما هلك عبد مناف نافس أبناؤه بني عمهم في هذه المناصب، فصارت السقاية والرفادة[٣] إلى عبد مناف، وبقيت دار الندوة[٤] واللواء[٥] والحجابة في بني عبد الدار[٦]، فلم يزالوا كذلك حتى فتح الله لرسوله صلى الله عليه وسلم مكة، فأعلن إلغاء هذه المناصب، ولم يبق إلا السدانة والسقاية .

وكانت السدانة في يد بني عبد الدار، فأبقاها بأيديهم وسلم مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة العبدري[٧] رضي الله عنه وقال له:((خذوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة[٨]، لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا منه بالمعروف))[٩].

وسدنة الكعبة المشرفة في عصرنا هذا هم الشيبيون، وينتهي نسبهم إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة[١٠]، ولا تزال عائلة الشيبي هي القائمة بسدانة الكعبة حتى يومنا هذا،

مكة ١٠٩/٢، والأعلام ١٩٨/٥.

[١] عبد مناف بن قصي بن كلاب، من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، قيل اسمه المغيرة وعبد مناف لقبه، كان يسمى :(قمر البطحاء)، وكان له أمر قريش بعد موت أبيه. بتصرف، الأعلام ١٦٦/٤.

[٢] عبد الدار بن قصي بن كلاب، جد جاهلي كان يعد من حمقى المنجبين، لما اختصمت قريش على الحجابة والندوة والسقاية نحر بنوه جزورا وغمسوا أيديهم في دمه، متعاهدين، ثم لعقوا ذلك الدم، فسموا:(لعقة الدم)، النسبة إليه عبدي أو عبدري. بتصرف الأعلام ٢٩٢/٣.

[٣] وهي إطعام الحجاج، باعتبارهم ضيوف الحرم. بتصرف تحقيق المرام في تاريخ البيت الحرام ص ٩٩

[٤] وهي دار الشورى التي كانت تعقد برئاسة قصي بن كلاب، وهي مساكنه أيضا. بتصرف، المرجع السابق ص ٩٩.

[٥] وهو الإشراف على شئون الحرب، كما تفعل وزارات الدفاع اليوم. المرجع السابق ص ١٠٠.

[٦] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ١٤١، والرحيق المختوم ص ٣١.

[٧] ويسمى عثمان بن طلحة الحجبي، نسبة إلى الحجابة، انظر شرح المواهب اللدنية ٤٠٥/٢.

[٨] تالدة : من التالد، وهو المال القديم، أي هي لكم من أول الأمر وآخره، وإتباعها بخالدة بمعناها. بتصرف، شرح المواهب اللدنية ٢/ ٤٠٤.

[٩] إمتاع الأسماع ٣٨٨/١.

[١٠] هو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى القرشي العبدري، الحجَبي، قتل أبوه يوم أحد كافرا، كان مشاركا لابن عمه عثمان في السدانة، خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين مشركا، ثم أسلم وحسن إسلامه، وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يومها، وقال ابن عبد البر: شيبة هذا هو جد بني شيبة حجبة الكعبة إلى اليوم، توفي سنة ٥٩ وقيل ٥٨ رضي الله عنه. بتصرف الاستيعاب ١٥٨/٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/٣.

ووجودهم من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، التي أخبر بها أنها لهم خالدة تالدة، فصرّح ببقاء نسل أبي طلحة إلى يوم القيامة[1].

و أبقى السقاية بيد بني هاشم وكانت بيد العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وكان له عنب بالطائف، وكان يحمل زبيبه فينبذه كله ويسقيه الحاج أيام الموسم حتى ينقضي[2]، وذلك في الجاهلية والإسلام، وكانت في يده حتى توفي رضي الله عنه ، فوليها بعده ابنه العباس، فكان يفعل فيها كفعله دون بني المطلب.

وقد رُوي أنه جاءه رجل فقال له:(ما بال أهل هذا البيت يسقون النبيذ، وبنو عمهم يسقون اللبن والعسل والسويق، أبخل أم بهم حاجة؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بنا من بخل وما بنا من حاجة، ولكن دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته، وخلفه أسامة بن زيد، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب، فأتي بنبيذ فشرب منه، ودفع فضله إلى أسامة فشرب منه، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أحسنتم وأجملتم، كذلك فافعلوا))، فنحن هكذا، لا نريد أن نغير ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم)[3]. وبقيت بيده، حتى توفي فكانت بيد ولده[4].

ج-تأمير عتاب بن أسيد على أهل مكة:

بقي الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة خمسة عشر يوما أو يزيد ، ثم غادرها إلى حنين، واستخلف عليها عتابا رضي الله عنه أميرا على الرغم من صغر سنه، فقد كان

---

[1] بتصرف، تحقيق المرام في تاريخ البيت الحرام ص ١٠٢- ١٠٣، وانظر تاريخ الكعبة المعظمة: عمارتها وكسوتها وسدانتها: حسين عبد الله با سلامة ص ٣٣٤- ٣٣٥، تهامة للنشر جدة ط: ٢ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

[2] وهذا النبيذ بزبيب أو تمر أو غيره، بحيث يطيب طعم الماء، ولا يكون مسكرا، فأما إذا طال زمنه وصار مسكرا، فهو حرام. بتصرف، عون المعبود ٣٠٥/٥ ح ٢٠٠٥.

[3] سنن أبي داود كتاب المناسك باب في نبيذ السقاية ٢١٣/٢ ح ٢٠٢١، واللفظ له، وروى نحوه الإمام أحمد في المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما انظر المسند فهرسة وشرح: أحمد شاكر ٣٣٩/٤، ح ٢٩٤٦، وقال المحقق: إسناده ضعيف. دار المعارف بمصر ط: ٤، ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.

[4] بتصرف، تاريخ الكعبة المعظمة: حسين با سلامة ص ٣١٧. ولما تولى بنو العباس الخلافة حالت أعمالهم دون القيام بالسقاية، فكانوا يعهدون إلى آل الزبير- المتولين التوقيت في الحرم- بأعمال السقاية بالنيابة، ثم أثبتوا عليها، واشترك معهم آخرون لكثرة الحجاج، ولا تزال رئاستها بيدهم إلى اليوم وآل الزبير يعرفون اليوم ب(بيت الريس). بتصرف، حاشية أخبار مكة ١٠٦/٢.

عمره حين استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم نيفا وعشرين سنة، وقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم، إذا أراد إرسال سرية أو فتح بلد، أو عزم على الخروج للغزو، أن يؤمر أميرا يقوم مقامه مدة غيابه، يقوم بحوائج الناس ويتفقد أحوالهم، وكان صلى الله عليه وسلم يوصي بطاعته فيقول: ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني))[1].[2]

د- تعيين معاذ بن جبل رضي الله عنه معلما لأهل مكة:

روى الإمام الحاكم رحمه الله: أن الرسول صلى الله عليه وسلم (استخلف معاذ بن جبل رضي الله عنه على أهل مكة حين خرج إلى حنين، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلم الناس القرآن، وأن يفقههم في الدين، ثم صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا إلى المدينة، وخلف معاذ بن جبل على أهل مكة)[3].

وهذا يدل على اهتمامه صلى الله عليه وسلم بتعليم المسلمين الجدد، شرائع الدين والقرآن ليثبتوا على الحق، ولئلا يكون جهلهم سببا لارتدادهم عن الطريق المستقيم، وضعف عقيدتهم.

٦- تفاضل بعض أعمال البر قبل الفتح وبعده:

اختلفت موازين بعض الأعمال الصالحة بعد فتح مكة، الذي يعدّ مرحلة جديدة في سير الدعوة الإسلامية، وهذه الأعمال هي:

أ-الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

تغيرت أحوال المجتمع المكي بعد الفتح، فقد كانت قريش من أشد الناس مقاومة ومعاداة للدعوة الإسلامية، وآذت الرسول صلى الله عليه وسلم واضطهدت أصحابه، وطاردتهم بكل السبل، ومنعتهم من إقامة شعائر دينهم، حتى أذن الله تعالى بالهجرة، فهاجر المسلمون أولا إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وبدأ تأسيس الدولة الإسلامية فيها، ثم

---

[1] صحيح البخاري كتاب الأحكام باب قوله تعالى﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾٨/ ١٠٤، وصحيح مسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ٣/ ١٤٦٦ ح ١٨٣٥.

[2] بتصرف، مرويات غزوة حنين وحصار الطائف ١/١٠٥.

[3] المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ٣/٢٧٠، وسكت عنه، وتابعه الذهبي، وانظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ١٤٨، ومغازي رسول الله: عروة بن الزبير ص ٢١٣.

هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم، فوجبت الهجرة على من أسلم بعد ذلك –بعد انتقال الرسول للمدينة– وأمروا بالانتقال إلى حضرته ليكونوا معه ويتظاهروا إذا حزبهم أمر، وليتعلموا منه أمور دينهم[1]، وكذلك كان فرضها في أول الإسلام لقلة المسلمين بالمدينة، وحاجتهم إلى الاجتماع، وسبب آخر في وجوبها على من أسلم؛ ليسلم من أذى ذويه من الكفار، فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم حتى يرجع عن دينه [2][3].

وقد بينت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ذلك لما سُئلت عن الهجرة، فقالت:(لا هجرة اليوم، كان المؤمن يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، واليوم يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهاد ونية)[4].

وكان أهل مكة من أعدى أعداء المسلمين، فتبدل حالهم بعد الفتح وتحول مجتمع مكة الجاهلي إلى مجتمع مسلم موحد، وعز المسلمون بعد انكسار شوكة قريش، فأعلن النبي صلى الله عليه وسلم ارتفاع وجوب الهجرة إليه وانقطاع الهجرة، فقال:((لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم[5] فانفروا))[6]، وذلك بعد أن أنعم على رسوله وعلى المؤمنين بفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجا، فلم يفرض عليهم مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان والانتقال إلى المدينة، ولكن بقيت المفارقة بسبب الجهاد، والمفارقة بسبب النية الصالحة، كالفرار من دار الكفر، والخروج في طلب العلم،

---

[1] بتصرف، عون المعبود ٧/ ١٥٦ ح ٢٤٦٢.

[2] وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ سورة النساء آية ٩٧.

[3] بتصرف، فتح الباري ٦/ ٣٨ ح ٢٨٢٥، وانظر الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار: أبو بكر محمد بن موسى الهمذاني من ص ٢٠٦– ٢٠٩، نشره وعلق عليه: راتب حاكمي مطبعة الأندلس حمص ط:١، ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

[4] صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ٤/ ٢٥٣.

[5] الاستنفار: الاستنجاد والاستنصار، أي إذا طُلب منكم النصرة، فأجيبوا وانفروا خارجين إلى الإعانة. النهاية في غريب الحديث ٥/٩٢.

[6] صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب فضل الجهاد والسير ٣/ ٢٠٠ واللفظ له، وصحيح مسلم كتاب الإمارة باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير ٣/ ١٤٨٧ ح ١٣٥٣.

والفرار بالدين من الفتن، والحديث قد يشتمل على ما هو أعم من ذلك، فحكم الهجرة من مكة بعد فتحها، يشمل غيرها من البلاد فلا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون[1].

أما أجر الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها فقد مضى لأصحابه الذين هاجروا معه، ولم يبايع بعد الفتح أحدا على الهجرة، لأن(الهجرة الممدوحة الفاضلة، التي لأصحابها المزية الظاهرة، إنما كانت قبل الفتح)[2] ،فقد جاء مجاشع رضي الله عنه بأخيه للنبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه على الهجرة، فقال صلى الله عليه وسلم :((ذهب أهل الهجرة بما فيها)) فقلت-أي مجاشع- :على أي شيء تبايعه؟ قال:((على الإسلام والإيمان والجهاد))[3].

كما روي يعلى بن أمية[4] رضي الله عنه قال:(جئت بأبي يوم فتح مكة، فقلت: يا رسول الله، هذا يبايعك على الهجرة. فقال:((لا هجرة بعد الفتحُ ولكن جهاد ونية))[5].

وقد حرص صلى الله عليه وسلم على عدم انقطاع هجرة المهاجرين، لما في ذلك من فوات الأجر العظيم، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو لأصحابه فيقول:((اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم))[6].

وكما أعلن النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح انقطاع الهجرة الفاضلة، فقد بين أن الهجرة بشكل عام لا تنقطع إلى يوم القيامة، بل هي مفروضة وباقية-ولا تعارض بين الأمرين- ، لأن الهجرة التي انقطعت بالفتح فهي القصد للنبي صلى الله عليه وسلم حيث

---

[1] بتصرف، فتح الباري ٦/ ١٩٠ ح ٣٠٧٧.

[2] صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/ ٨.

[3] صحيح البخاري كتاب المغازي باب ٥٣ (لم يترجم له) ٥/ ٩٧، وصحيح مسلم كتاب الإمارة باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير ٣/ ١٤٨٧ ح ١٨٦٣، وفيه:((قد مضت الهجرة بأهلها)).

[4] هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي ، شهد حنين والطائف وتبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم واستعمله أبو بكر وعمر على نجران، شهد صفين مع علي، وقيل قتل فيها، والأرجح أنه قتل سنة ٤٧هـ رضي الله عنه .بتصرف، الطبقات الكبرى ٥/٤٥٦، والإصابة ٣/٦٦٨.

[5] المصنف: ابن أبي شيبة ١٤/٤٩٩ ح ١٨٧٧٧؛ وانظر الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص ٢٠٩.

[6] صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ومرثيته لمن مات بمكة ٤/ ٢٦٧.

كان[1]، وذلك للتلازم الحاصل بين الإيمان والجهاد والهجرة، ذلك أنه (لا يتم الجهاد إلا بالهجرة، ولا الهجرة والجهاد إلا بالإيمان)[2]، فقال صلى الله عليه وسلم:((لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها))[3].

فمن أسلم في دار الحرب وجب عليه الخروج لدار الإسلام فإن بقي فقد عصى[4]، وقد أوجب العلماء الهجرة على كل من لم يقدر على إظهار دينه في بلد يغلب عليها الكفر أو البدع المضلة، فلا يجوز للمؤمن أن يقيم ببلاد يُفتن فيها عن دينه، أو يُفتن أولاده، بأن يؤذى إذا صرح باعتقاده أو عمل بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنهم إن وجدوا بلدا غيرها ، يتمكنون فيه من إقامة شعائر دينهم وجبت عليهم الهجرة إليه[5].

٢ـ التفاضل في الجهاد الإنفاق قبل الفتح وبعده:

---

[1]بتصرف، أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ١/ ٤٨٤ ، تحقيق: علي محمد البجاوي دار المعرفة بيروت لبنان ط:٣، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

[2] زاد المعاد ١١/٣.

[3] رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٩٩، وأبو داود في السنن كتاب الجهاد باب في الهجرة هل انقطعت ٣/٣ ح ٢٤٧٩، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ١٨٦/٦ ح ٧٣٤٦ منشورات المكتب الإسلامي ط:١، ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م.

[4] انظر أحكام القرآن: ابن العربي ١/ ٤٨٤، وتفسير الفخر الرازي ١٥/ ٢٢٠، وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن أقسام المسلمين المقيمين في بلد الكفر:

١- القادر على الهجرة منها ولا يمكنه إظهار دينه ولا أداء واجباته فالهجرة منه واجبة.

٢- القادر الذي يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته، فهجرته مستحبة لتكثير المسلمين بها ومعونتهم، وجهاد الكفار والأمن من غدرهم والراحة من رؤية المنكر بينهم.

٣- العاجز الذي يعجز من أسر أو مرض أو غيره فتجوز له الإقامة، فإن حمل على نفسه وتكلف الخروج منها أُجر، بتصرف، فتح الباري ٦/ ١٩٠ ح ٣٠٧٧.

[5]بتصرف، صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم: الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري ٣٥٠/٣ دار الأرقم الكويت ط:١ ١٤٠١هـ ١٩٨١م. قال الإمام الشافعي: أن فرض الهجرة على من قدر عليها إذا كان ممن يفتن عن دينه ولا يُمنع، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أذن لقوم يمكن أن يقيموا بها ، منهم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ،وكان يأمر جيوشه أن يقولوا لمن أسلم: إن هاجرتم فلكم ما للمهاجرين، وإن أقمتم فأنتم كأعراب المسلمين، وليس يخيرهم إلا فيما يحل لهم. بتصرف، أحكام القرآن: الإمام محمد بن إدريس الشافعي ٢/ ١٦ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م. وللاستفادة انظر الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني تحت عنوان الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ص ٢٨٠- ٢٨٨، دار طيبة الرياض ط:١ ١٤٠٢هـ.

بعد أن عز الإسلام بفتح مكة، وذل الكفر وأهله، أصبح هناك تفاوت بين منزلة من أنفق في سبيل الله وجاهد مع رسوله صلى الله عليه وسلم قبل الفتح ، وبين من أنفق وجاهد بعد أن قويت شوكة الإسلام وظهر ظهورا عظيما ودخل الناس في دين الله أفواجا، فقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1].

فقد بذل السابقون من المهاجرين والأنصار ما وسعهم بذله من النفس والمال ساعة العسرة قبل الفتح[2]، لما كان الإسلام غريبا محاصرا من كل جانب قليل الأنصار والأعوان، وكان هذا البذل خالصا لا تشوبه شائبة طمع أو رياء، بل كان خالصا لله وحمية لدينه، وربما كان ما بذلوه من ناحية الكم قليلا بالقياس إلى ما أصبح الذين جاؤا بعد الفتح يملكون أن يبذلوه، فنزل القرآن ليزن بميزان الحق بذل هؤلاء وبذل أولئك، وليقرر أن الذي ينفق ويقاتل والعقيدة مطاردة، والأنصار قلة، وليس في الأفق ظل منفعة ولا سلطان ولا رخاء، غير الذي ينفق ويقاتل والعقيدة آمنة، والأنصار كثر، والغلبة والفوز قريب المنال[3].

ومما يدل على فضل السابقين للإسلام ورضى الله تعالى عنهم، قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[4]، كما بين عظم أجرهم وفضل ما بذلوا لنصرة الإسلام قوله صلى الله عليه وسلم :((لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدا لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه))[5].

---

[1] سورة الحديد جزء من آية ١٠.

[2] قال الحافظ ابن كثير: الجمهور على أن المراد بالفتح ها هنا فتح مكة، وعند الشعبي وغيره أنه صلح الحديبية. بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٨/ ٣٧.

[3] بتصرف، في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٨٤، وانظر السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ص ١٧٧.

[4] سورة التوبة آية ١٠٠.

[5] صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة ٤/ ١٩٦٧ ح ٢٥٤١.

وقد وعد الله كلا الفريقين الحسنى ثواب ما عملوا، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء، وإنما ينبه لهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الثاني، فيتوهم متوهم ذمه، فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه.

وختمت الآية الكريمة بقوله﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ أي: فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن فعل ذلك بعد ذلك، وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول، وإخلاصه التام، وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق.[1]

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:((المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض، والطلقاء من قريش، والعتقاء من ثقيف، بعضهم أولياء بعض، إلى يوم القيامة))[2]، فبين أن الطلقاء –وهم الذين عفا عنهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، و لم يقتلهم، وقال لهم : أذهبوا فأنتم الطلقاء–، والعتقاء –وهم الذين أعتقهم بإسلامهم– فهؤلاء درجتهم واحدة، بعضهم أولياء بعض: أي كل واحد منهما أحق بالآخر، لأنهم لم يحصلوا المهاجرين والأنصار في الفضل، وشتان بين هؤلاء وهؤلاء[3].

وهذا التمايز والتفاضل في أعمال البر، يدل على أن لفتح مكة أثرا مهما في ميزان تقويم أعمال المسلمين ، مما دفع من تأخر إسلامه إلى زيادة البذل والإنفاق في سبيل الله، وإلى التضحية بأرواحهم رخيصة في سبيل نصرة دينه والدعوة إليه ، تعويضا لما فاتهم من الخير والأجر، عسى أن يلحقوا بركب الأوائل الذين جاهدوا وأنفقوا قبل الفتح[4].

---

[1] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٨/ ٣٩.

[2] مسند الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله ٣٦٣/٤، وقال الشيخ الساعاتي: روى أحمد هذا الحديث من ثلاث طرق، فالطريق الأولى والثانية سندهما جيد ورجالهما ثقات. بتصرف، الفتح الرباني ١٧٩/٢٢، وهي الرواية المذكورة.

[3] بتصرف، الفتح الرباني ١٧٩/٢.

[4] كما سيأتي من شأن مسلمة الفتح، انظر مبحث الدروس الدعوية المتعلقة بمراعاة أحوال المدعوين.

٧- تحول ثقل معسكر الشرك وقيادة المشركين في حرب الإسلام إلى قبيلتي هوازن وثقيف[١]،والصدام مع المسلمين في غزوة حنين:

ترتب على النصر العظيم الذي أحرزه المسلمون في مكة، ردود فعل متباينة بين القبائل العربية المجاورة لها، فقد انقسمت إلى فريقين:

أولاهما: القبائل التي رضخت للأمر، وقررت سلوك طريق السلامة، بعد أن رأت إذعان قريش لسلطان المسلمين، فأسلمت وأعطت ولاءها للرسول صلى الله عليه وسلم.

والثانية: ثارت حفيظتها وظلت على شركها، معتزة بجاهليتها وأصنامها، وامتنعت عن الاستسلام للرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين، وفي مقدمة هذه القبائل هوازن وثقيف ومن حولهما من قبائل العرب كنصر وجُشَم وسعد بن بكر وغيرهم.

فبعد كسر شوكة المشركين بمكة وتطهير الحرم وإرسال السرايا للإجهاز على الأوثان المحيطة بمكة، خشيت هذه القبائل أن يدركها ما أدرك قريشا[٢]، فاجتمع قادتها وتدارسوا الأمر، وأجمعوا على رفع راية الحرب ضد المسلمين، ووقف مد الإسلام، قبل أن يستفحل خطره عليهم، ومبادرتهم بالهجوم والقتال،[٣] فحشدوا قواهم واستنفروا من حولهم لتوجيه ضربة قاصمة للمسلمين، وخرجوا عن بكرة أبيهم بنسائهم وذراريهم وأنعامهم، لتكون خلفهم، فيندفعوا مستميتين في القتال دفاعا عن أعراضهم وأموالهم، ومضوا حتى نزلوا حنينا، وقائدهم يومئذ مالك بن عوف النصري[٤][٥].

---

[١] انظر السيرة النبوية الصحيحة ٢/٤٨٨، وحديث القرآن عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ٢/ ٥٦٤.

[٢] ذكر الطبري في تاريخ الأمم والملوك أنهم كانوا قد جمعوا قبل فتح مكة، وذلك حين سمعوا بخروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة، وهم يظنون أنه إنما يريدهم ٣/٧٠.

[٣] انظر دراسة في السيرة ص ٢٥٠.

[٤] هو مالك بن عوف بن سعد بن يربوع النصري، أسلم بعد حنين، فكان يقاتل ثقيفا ويغير عليهم، وكان من المؤلفة، له صحبة، وشهد القادسية وفتح دمشق رضي الله عنه. بتصرف، الإصابة ٣/٣٥٢.

[٥] انظر المستدرك على الصحيحين كتاب المغازي ٣/ ٤٨ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ٦٥، وتاريخ الطبري ٣/ ٧٠، وعيون الأثر ٢/ ٢٤٢، والطبقات الكبرى ٢/ ١٤٩ وقال: إن مالك بن عوف يومئذ ابن ثلاثين سنة.

وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم[1]، فسارع بالخروج إليهم قبل أن يدهموا المسلمين بمكة، فخرج إليهم في عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه لفتح مكة، وخرج معه ألفان من أهل مكة-الطلقاء- فيهم من أسلم ومنهم من هو على شركه[2]، فكانوا اثني عشر ألفا[3].

وقد كان لوجود الطلقاء في الجيش آثار سلبية، فقد كانوا حديثي عهد بالإسلام ،و لم يتخلصوا من كل الرواسب الجاهلية المستقرة في أعماقهم وحياتهم، فلما رأوا أثناء طريقهم إلى حنين شجرة تعرف بذات أنْوَاط[4]، يُعلق عليها المشركون أسلحتهم ويتبركون بها، قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال :((سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن[5] سنة من قبلكم))[6].

---

[1] بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا حدرد الأسلمي رضي الله عنه وأمره أن يدخل في الناس ويقيم فيهم حتى يعلم خبرهم فيأتي به ففعل، انظر المستدرك على الصحيحين كتاب المغازي ٤٩/٣، وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ٦٨.

[2]جاء في السيرة الحلبية: خرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم ثمانون من المشركين، وخرجوا وهم يرجون الغنائم. ٣/ ٦٤.

[3] وقد روى الإمام البخاري أنه (لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف والطلقاء..)كتاب المغازي باب غزوة الطائف ١٠٥/٥، وروى الحاكم: (أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتى هوازن في اثني عشر ألفا..) المستدرك على الصحيحين كتاب الجهاد ١٢١/٢ وقال: حديث صحيح و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

[4] ذات أنواط: هو اسم لشجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها أسلحتهم، أي يعلقونها بها، ويعكفون حولها، وأنواط جمع نَوْط. النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٢٨.

[5] لتركبن: أي لتتبعن، والسنة: الطريقة حسنة كانت أم سيئة، والمراد هنا: طريقة أهل الأهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم، من تغيير دينهم وتحريف كتابهم كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل. بتصرف، تحفة الأحوذي ٦/ ٤٠٨.

[6] رواه الترمذي في سننه كتاب القدر باب ما جاء لتركبن سنة من كان قبلكم ٤/ ٤٧٥، ح ٢١٨ وقال حديث حسن صحيح، ورواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢١٨ عن أبي واقد الليثي، وعنه رواه الحميدي في مسنده ٣٧٥/٢ ح ٨٤٨، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ٧١، وللاستفادة انظر مرويات غزوة حنين وحصار الطائف ١٣٣/١-١٣٤.

كما كانت تلك الكثرة في العدد والعدة، مثار افتخار لبعض المسلمين، وباعثا على البشر والإعجاب، فقيل:(لن نغلب اليوم من قلة)[1]، فعاتبهم الله بعد ذلك على إعجابهم بكثرتهم، وعدم اتكالهم الخالص على الله، فقال تعالى:﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[2]، ولكن إزالة رواسب الجاهلية وتربية الجموع لا تتم بين عشية وضحاها، و لم يعاقبهم النبي صلى الله عليه وسلم أو يعنفهم لعلمه بحداثة إسلامهم[3].

ولما انتهى الجيش الإسلامي إلى حنين، هاجمهم المشركون في عماية الصبح، فبوغت المسلمون بمكامن عدوهم وترصدهم لهم، وأمطرهم المشركون بالنبال، فدب الذعر في نفوس بعض المسلمين، من هول المفاجأة، وتفرقت صفوف الجيش الإسلامي، وولى من ولى من المسلمين وخاصة الأعراب والطلقاء.

وكان بعضهم لم يصلب إيمانه بعد فتكلم بخبيئة نفسه، فقال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر. وقال جَبَلة بن الحنْبل[4] لما رأى انهزام المسلمين: ألا بطل السحر اليوم. وقال سهيل بن عمرو: لا يجتبرها محمد وأصحابه. فقال له عكرمة: هذا ليس بقول، وإنما الأمر بيد الله وليس إلى محمد من الأمر شيء، إن أُديل عليه اليوم فإن له العاقبة غدا.

كما حاول شيبة بن عثمان بن أبي طلحة قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلم يتمكن من ذلك وعلم أنه ممنوع، ثم وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على صدره ودعا له فذهب عنه الشيطان، وقاتل بين يديه[5].

---

[1] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام ٤/ ٧٣، وقال د. إبراهيم القريبي: إن الآثار الواردة في تعيين القائل كلها ضعيفة، ولكنها تتفق في شيء واحد، هو حصول هذا القول من أحد أفراد الجيش الإسلامي، ويزيدها قوة قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ.. الآية ﴾. انظر مرويات غزوة حنين والطائف ١/ ١٣٩.

[2] سورة التوبة جزء من آية ٢٥.

[3] بتصرف، السيرة النبوية الصحيحة: ٢/٤٩٨.

[4] وقيل: كَلَدة بن حنبل، وقال في الإصابة: كَلَدة بن حسَل، حليف بني جُمح، وهو أخو صفوان بن أمية لأمه، خرج مع النبي مشركا إلى حنين، ثم أسلم بعدها وأقام بمكة. بتصرف الإصابة ٣/٥٤.

[5] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ٧٢، والمغازي: الواقدي ٣/٩١٠، وعيون الأثر ٢/٢٥٤،

وكان موقفا عصيبا ثبت فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وحوله قلة من المهاجرين والأنصار[1]، ضاربين بذلك أعظم مثل في الفداء والشجاعة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي المسلمين وهم يمرون أمامه:((أين أيها الناس))، ثم أمر بتخصيص النداء للأنصار، فثارت حميتهم وهم يسمعون الهتاف باسمهم، وتجمعوا حول الرسول صلى الله عليه وسلم، فقاتلوا بين يديه حتى لاحت بشائر النصر، وانهزمت جموع المشركين هزيمة منكرة، وطارد المسلمون فلولهم وتعقبوهم، إلى أن ألحقوا بهم الهزيمة في أوطاس، ونصر الله تعالى جيش الإيمان على جيش الكفر، وكانت هذه الغزوة هي المحاولة الأخيرة من العرب للوقوف أمام المسلمين ومحاربة الدعوة الإسلامية.

وتأثر من حضر الغزوة من المشركين من أهل مكة بهذا النصر العظيم الذي منَّ الله به على رسوله والمؤمنين فدخل في الإسلام يومئذ ناس كثير حين رأوا نصر الله رسوله[2].

وحاز المسلمون الغنائم الوفيرة التي أحضرها المشركون خلفهم، وسبوا نساءهم وأبناءهم[3]، والتجأ فلولهم إلى الطائف ، فتوجه الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم وحاصرهم في حصونها مدة طويلة، ثم أذن بالعودة ودعا لهم فقال:((اللهم أهد ثقيفا وائت بهم))[4].

وكانت هذه المعركة هي آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مع بقايا المشركين من العرب، فلم يقم بعدها للشرك قائمة في جزيرة العرب.

وزاد المعاد ٣/ ٤٦٩، والبداية والنهاية ٤/ ٣٢٧. وقد رجح د. إبراهيم القريبي ضعف هذه الروايات وقال: وإنما على ضعفها تدل على وجود الحقد وكان قولهم بمثابة التشفي من المسلمين، والرغبة في اندحار الحق، وهذا يمثل ضيق نفوس هؤلاء بالإسلام وحبهم للعهد الجاهلي وبقائه، ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره وينصر نبيه . بتصرف، مرويات غزوة حنين والطائف ١/ ١٦٩.

[1] وكان ممن لازم الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يفارقه عمه العباس وابن عمه أبو سفيان بن الحارث رضي الله عنهما، انظر الحديث في صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب في غزوة حنين ٣/ ١٣٩٨ ح ١٧٧٥.

[2] بتصرف، البداية والنهاية ٤/ ٣٣٠.

[3] وكانوا ستة آلاف نفس من النساء والأطفال، وكانت الإبل أربعة وعشرين ألفا، والغنم أربعين ألف شاة، كما ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٤٨ ح ٤٣٣٠.

[4] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٦٥ و ١٢٢، والمغازي: الواقدي ٣/ ٨٨٥ و ٩٢٢، و تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٧٠ و ٨٢، والبداية والنهاية ٤/ ٣٢٢ و ٣٤٥، وزاد المعاد ٣/ ٤٨٤ .

وظهرت حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في توزيعه غنائم هوازن وثقيف ،وذلك حين أعطى زعماء قريش ووجهاء العرب ممن حضر الغزوة عطاء كثيرا منها، تأليفا له وليكسبهم إلى جانب الإسلام ،ويستجلب بها قلوب أقوامهم، وترك الأنصار فلم يعطهم منها بل وكلهم إلى إسلامهم، وقال صلى الله عليه وسلم معللا توزيعه الغنائم على مسلمة الفتح ومنعها الأنصار- لما وجدوا في أنفسهم:- ((إن قريشا حديث عهد بجاهلية ومصيبة، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم))[1].

وقد آتت مواقف البذل والعطاء ثمارها، فألانت هذه الأعطيات قلوب هؤلاء الزعماء وأتباعهم، واستمالتهم إلى الإسلام فرضوا به، ودخلوا فيه طائعين، يقول صفوان بن أمية رضي الله عنه لما أعطاه النبي مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة- :(والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي)[2]، فأسلموا ثم حسن إسلامهم وصار من مسلمة الفتح والمؤلفة قلوبهم الدعاة لدين الله، والمجاهدون في سبيله، وأبلوا في الجهاد لنشر الإسلام بلاء حسنا.

٨- تفرغ الرسول صلى الله عليه وسلم لجهاد النصارى:

تميزت الدعوة الإسلامية بأنها دعوة عالمية شاملة للناس كافة عربهم وعجمهم، وقد أسفر فتح مكة عن دخول القبائل العربية في الإسلام، فتوجه الرسول صلى الله عليه وسلم لنشر الإسلام في البلاد المجاورة لجزيرة العرب، ولتبليغ دعوة الحق إلى أهلها .

وقد كان تشريع الجهاد لنشر الدعوة الإسلامية تدريجيا ، من أول بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن اشتد ساعد الدولة الإسلامية بعد فتح مكة[3]، وكان فتح مكة منعطفا قويا في سياسة المسلمين الجهادية، فقد أصبح لدى المسلمين القدرة على مواجهة الباطل وأهله في كل مكان، وذلك بعد دخول الناس في الإسلام أفواجا، وتحولهم إلى

---

[1] صحيح البخاري كتاب المغازي والسير باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان ٥/ ١٠٥، وفي رواية أخرى قال:((إني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم)) ٥/ ١٠٤.

[2] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا، وكثرة عطائه ٤/ ١٨٠٦ ح ٢٣١٣.

[3] للاستفادة انظر تدرج مراحل القتال في زاد المعاد ٣/١٥٨- ١٦١، وانظر الجهاد ميادينه وأساليبه: د. محمد نعيم ياسين من ص ٦٤- ٧٩، مكتبة الأقصى عمان الأردن، ط:١ ، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

جنود تسير ضمن كتائب الإسلام وتسيح في الأرض لنشر دعوة الإسلام، وبنزول سورة التوبة وضعت الأحكام النهائية للعلاقات بين الدولة الإسلامية ودول الكفار[1] ، واستقر حكم الجهاد على إعلان البراءة والحرب على من بقي منهم على شركه، ووجوب قتال من لم يقبل دعوة الإسلام سواء اعتدى أم لم يعتدي، ولم يستثن من هذه المرحلة من القتال سوى المعاهدين[2].

وكذلك أهل الكتاب، نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾[3].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:(هذه الآية الكريمة نزلت أول الأمر بقتال أهل الكتاب بعدما تمهدت أمور المشركين، ودخل الناس في دين الله أفواجا، فلما استقامت جزيرة العرب أمر الله رسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى)[4][5].

---

[1] انظر الجهاد ميادينه وأساليبه ص ٧٦، وللاستفادة انظر المرجع نفسه من ص ٦٤- ٧٩، وزاد المعاد ٣/٧٠.

[2] انظر الآيات ١-٥ من سورة التوبة، وانظر أحكام القرآن: ابن العربي ٢/ ٩٠١.

[3] سورة التوبة آية ٢٩.

[4] تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧٤.

[5] عقد الحافظ ابن القيم رحمه الله فصلا بين فيه أنه لما نزلت آية الجزية، أخذها رسول الله من ثلاث طوائف: من المجوس ومن اليهود ومن النصارى، ولم يأخذها من عباد الأصنام. فقيل: لا يجوز أخذها من كافر غير هذه الأصناف، وقيل: بل تؤخذ من أهل الكتاب وغيرهم من الكفار، كعبدة الأصنام من العجم دون العرب، وإنما لم يأخذها من مشركي العرب، لأنها إنما نزل فرضها بعد أن أسلمت دارة العرب، فإنها نزلت بعد فتح مكة، ودخول العرب في دين الله أفواجا، فلم يبق بأرض العرب مشرك، ورجح رحمه الله القول الثاني، أن الجزية لم تؤخذ منهم، لعدم من يؤخذ منه، لا لأنهم ليسوا من أهلها، وقد أخذها من مجوس هجر وليسوا بأهل كتاب، ولا فرق بين عباد النار وعباد الأصنام. ولم يفرق صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه في الجزية بين العرب والعجم، بل أخذها من نصارى العرب كأهل نجران، ومن مجوس هجر وكانوا عربا. بتصرف، زاد المعاد ٣/١٥٣- ١٥٨، وإلى ذلك ذهب النووي رحمه الله في المجموع شرح المهذب ١٩/٣٨٩- ٣٩١ نقلا عن الإمام الخطابي.
وقد حقق هذه المسألة د. وهبة الزحيلي في كتابه: آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، من ص ٩٨- ١٠٦، ورجح القول بأن الجزية تقبل حتى من مشركي العرب وكل كافر ولو كان وثنيا، وعرض أدلة القول الآخر وناقشها، دار الفكر ط:٣ ، ١٤٠١هـ ١٩٨١م. وانظر حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية: عبد الله ناصح علوان من ص ٦٦- ٧٤، دار السلام للطباعة والنشر ط:١، ١٤٠٠- ١٩٨٠م.

فعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة إلى الحق، لقربهم من الإسلام وأهله، وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ..الآية ﴾[1][2]، ففي هذه الآية أمر الله تعالى المؤمنين بأن يقاتلوا الكفار الأول فالأول، والأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن، وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا، شرع في قتال أهل الكتاب[3].

واختار صلى الله عليه وسلم البداءة بقتال الروم لخمسة أوجه:

١- أنهم أهل الكتاب فالحجة عليهم أكثر وآكد.

٢- أنهم إلى المدينة أقرب من غيرهم(كأهل العراق مثلا).

٣- أن بلاد الأنبياء في بلادهم أكثر، فاستنقاذها منهم أوجب [4].

٤-إن استجابتهم لرسل نبي الله صلى الله عليه وسلم كانت أحسن من استجابة غيرهم (كالفرس مثلا)، مما يطمع في إسلامهم.

٥- لأن اللقاء قد سبق معهم في مؤته، والمسلمون قد تعرفوا على خصومهم، فالبدء بهم أولى من فتح جبهات للقتال مع غيرهم.

فجهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة في السنة التاسعة، ومضى به إلى تبوك- على مشارف الشام-، ونزل بها وأقام فيها قريبا من عشرين يوما، لم يقع فيها قتال، بل صالح

---

[1] سورة التوبة آية ١٢٣.

[2] بتصرف، البداية والنهاية ٢/٥.

[3]بتصرف، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١/ ٧١، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ١٧٤.

[4]بتصرف، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١/ ٧١، وأحكام القرآن: ابن العربي ٢/ ١٠٣٢، والجامع لأحكام القرآن ٨/ ٢٩٨.

بعض الحكام النصارى، ثم رجع إلى المدينة[1]،وقد تكشفت له من هذه الغزوة إمكانية دفع الإسلام إلى الآفاق البعيدة، وتوطيد هيبة الإسلام وتمهيد السبيل لحرية الدعوة إليه[2].

ثم جهز النبي صلى الله عليه وسلم بعد حجة الوداع جيشا وعقد لواءه لأسامة بن زيد رضي الله عنهما ، بقصد تسييره إلى أبواب الشام- البلقاء- وقد كان في الجيش كثير من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، ولكن لم يمهله الأجل فلحق -صلوات الله وسلامه عليه- بالرفيق الأعلى، فأنفذ الجيش خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه[3].

وهكذا يتبين من الآثار المترتبة على فتح مكة، أنه كان إزاحة لأكبر عائق في طريق الدعوة، قريش ومن معها من أعداء الدعوة الإسلامية، وبهذا الفتح بدأت تتحقق البشرى بإظهار الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[4]، وذلك بعد الحديبية لما بشر الله تعالى رسوله والمؤمنين بنصرهم على عدوهم، وعلى سائر أهل الأرض من عرب وعجم ومليِّين ومشركين[5]، وبإعلاء دينه تعالى دين الحق على الأديان كلها بالحجة والبرهان وبالنصر والتأييد، وإظهار أهله القائمين عليه بالسيف والتمكين.

وقد تم وعد الله، وإظهار دين الحق لا في الجزيرة العربية وحدها، بل ظهر في المعمور من الأرض كلها، قبل مضي نصف قرن من الزمان، وما يزال ظاهرا على الدين كله- حتى بعد انحساره السياسي عن جزء كبير من الأرض التي فتحها، وانحسار قوة أهله في الأرض بالقياس إلى القوى التي ظهرت في الشرق والغرب في هذا الزمان، لكن الدين

---

[1] انظر غزوة تبوك في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ١٦٩، والمغازي: الواقدي ٣/ ٩٨٩، وتاريخ الأمم والملوك ٣/ ١٠٠، وعيون الأثر ٢/ ٣٥٥.

[2] سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، صور مقتبسة من القرآن الكريم ٢/ ٣٦٦.

[3] انظر تجهيز جيش أسامة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ٢٧٨، والمغازي: الواقدي ١١١٧/٣، وعيون الأثر ٢/ ٢٧٥.

[4] سورة الفتح آية ٢٨.

[5] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٣٤١/٧.

لا يزال ظاهرا، لأن هذا الوصف ملازم له في كل وقت، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم، إلا غلبه فصار له الظهور والقهر ،وذلك لما فيه من المزايا العظيمة[1].

وقد حوت سورة النصر بين آياتها إشارة على استمرار نصر الدين، فلم يزل نصر الله مستمرا، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه من لم يدخل في غيره، وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم[2].

وهذا النصر لا يكون إلا إذا قام المنتسبون للإسلام بدينهم واستناروا بنوره واهتدوا بهديه في مصالح دينهم ودنياهم، أما إذا خالفوا أمر الله وضيعوا الدين واكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه، لم ينفعهم ذلك وسُلط أعداؤهم عليهم[3]، وجاء الله بغيرهم ممن ينصر دينه ويعلي كلمته كما قال تعالى:﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾[4].

وكذلك كان فتح مكة إشارة وإيذانا بقرب أجل النبي صلى الله عليه وسلم[5]، لذلك أمره الله بالاجتهاد في العبادة، والتوجه إليه بالاستغفار والتوبة.

وقد روى الإمام البخاري رحمه الله: أن عمر رضي الله عنه أحب أن يُري علم ابن عباس رضي الله عنهما للصحابة، فدعاهم ذات يوم وسألهم (فقال: ما تقولون إذا جاء

---

[1] بتصرف، تيسير الكريم الرحمن في تيسير كلام المنان ٣٧١/٧، وفي ظلال القرآن ٣٣٣٠/٦.

[2] بتصرف، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٧/ ٦٨٣.

[3] المرجع السابق ٧/ ٣٧١. وروى الإمام أحمد في المسند: أن جارا لجابر بن عبد الله رضي الله عنه حدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا، فجعل جابر يبكي ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا، وسيخرجون منه أفواجا)) ٣/ ٣٤٣، وقال الشيخ الساعاتي في الفتح الرباني :أورده السيوطي في الجامع الكبير ورمز له بالحسن، وقال الهيثمي: وجار جابر لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح، انظر الفتح الرباني ٢٤/ ٧، كما روى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) فقال:((ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا)) المستدرك على الصحيحين كتاب الفتن والملاحم ٤/ ٤٩٦، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

[4] سورة محمد جزء من آية ٣٨.

[5] ذكر الإمام النيسابوري اتفاق أكثر الصحابة في دلالة سورة النصر على نعي الرسول صلى الله عليه وسلم، انظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٧/ ٢٠٦، وذكر ذلك معظم العلماء في كتب التفسير.

نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، ولم يقل بعضهم شيئا. فقال لي: يا ابن عباس أكذاك تقول؟ قلت :لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له، إذا جاء نصر الله والفتح، فتح مكة، فذاك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا. قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم)[1]،وفي رواية أنه قال:(أجل أو مثل ضُرب لمحمد صلى الله عليه وسلم، نعيت له نفسه)[2].

واستجاب النبي صلى الله عليه وسلم لأمر ربه، فكان مجتهدا في عبادته آخر عمره، ملازما للتسبيح والاستغفار، تقول عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:(ما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه(إذا جاء نصر الله والفتح)؛ إلا يقول فيها: ((سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي))[3].

---

[1] صحيح البخاري كتاب المغازي باب ٥١ (لم يترجم له) ٥/ ٩٤.

[2] صحيح البخاري كتاب التفسير باب سورة إذا جاء نصر الله ٤/ ٩٤.

[3] المرجع السابق ٤/٩٣.

إن المطالع لأحداث الفتح العظيم، لا يملك إلا أن يشعر بعزة الإسلام وقوته وهيمنته، وهو يرى تحقق وعد الله تعالى، بإظهار دينه، ويرى قطع دابر الوثنية وتطهير المسجد الحرام من الأوثان.

كما أن القارئ لسورة النصر يكاد يلم بما حواه هذا الفصل من الأحداث والآثار ، وذلك بما توحي به السورة الكريمة، فهذه السورة اشتملت على أهم عنصر في أحداث الفتح ، وهو توفيق الله تعالى للمسلمين بمجيء نصره وفتحه لهم، وذلك بمفاجأة أهل مكة، واستسلامهم للمسلمين دون أن تسفك الدماء في سبيل ذلك، فهو فتح للبلاد وللقلوب.

كما اشتملت على أهم عنصر في آثار الفتح، وهو دخول أهل مكة وغيرهم من الناس في دين الله أفواجا عن رغبة أو رهبة، لا يحول دون إسلامهم شيء، وما استتبع ذلك من إرساء لقواعد الحكم الإسلامي بمكة، مما أدى إلى تغير مسار الدعوة، وتباين موازين الأعمال بعد النصر عما كان قبل ذلك.

وإمام الدعاة صلى الله عليه وسلم وقدوتهم، يعلم أن هذا الفتح هو علامة اقتراب أجله، فيستزيد من الطاعات ويتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، استجابة لأمر ربه، والمقتدي به من الدعاة، يعلم أنه صلى الله عليه وسلم ترك طريقا واضحة، لمن أراد أن يقتفي أثره، كي يستلهم من سيرته ومنهجه في الدعوة، دروسا وعبرا كثيرة، على النحو الذي يتضح في الفصول القادمة بإذن الله.

الفصل الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة

ويحتوي على المباحث الآتية:

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بالعقيدة.

المبحث الثاني : الدروس الدعوية المتعلقة بالتشريع والأخلاق.

تمهيد:

موضوع الدعوة هو: ما يدعى إليه، وهو: الإسلام الذي أوحى الله تعالى به إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، متمثلاً في القرآن والسنة، فالدعوة إلى الله هي الدعوة إلى دينه الذي قال عنه تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ .. الآية ﴾ (١)[٢].

والإسلام هو الدين الخاتم الذي أكمله تعالى لعباده وارتضاه لهم بفضله ونعمته، قال تعالى:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا .. ﴾[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٤] رحمه الله:(الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه، فإن هذه الدرجات الثلاث التي هي: الإسلام والإيمان والإحسان، داخلة في الدين، كما في الحديث الصحيح:((هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم))، بعد أن أجابه عن هذه الثلاث فبين أنها كلها من ديننا)[٥].

---

(١)سورة آل عمران جزء من آية ١٩.

(٢)انظر أصول الدعوة: د.عبد الكريم زيدان ص ٥، مؤسسة الرسالة بيروت ومكتبة القدس بغداد، ط:٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م. والدعوة إلى الله، الرسالة الوسيلة الهدف: د. توفيق الواعي ص ٨١، دار اليقين ط: ٢، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

(٣) سورة المائدة جزء من آية ٣.

(٤) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، محدث حافظ فقيه مجتهد، ولد بحران سنة ٦٦١، ثم قدم مع أهله إلى دمشق، أمتحن وأوذي وحبس عدة مرات، ثم توفي رحمه الله في سجن القلعة بدمشق سنة ٧٢٨. بتصرف، تذكرة الحفاظ ٢٦١/١، والأعلام ١/ ١٤٤.

(٥) الفتاوى: ابن تيمية ١٥٧/١٥، والحديث رواه البخاري في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان .. الخ ١٨/١، وانظر الدعوة إلى الله، دراسة مستوحاة من سورة النمل: د.عبد الرب نواب الدين آل نواب ص ١٣، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت ط:١ ، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

فهو المنهج الكامل الذي اختاره الله تعالى للعالمين، وجمع فيه أصول الشرائع، وبعث عليه خاتم الأنبياء والمرسلين، بخصائصه ومبادئه وأهدافه وغاياته، ونظامه الشامل الذي يتناول مظاهر الحياة جميعاً[1].

ومفهوم الدعوة الإسلامية؛ موضوعا ومنهجاً من أوسع المفاهيم التي تناولتها أقلام الباحثين، فهي تستمد شموليتها من شمولية الرسالة الخاتمة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام[2]، ولأنها الدعوة الخاتمة؛ فهي تتميز عن غيرها من الدعوات السابقة، بالحفظ والبقاء، وذلك بحفظ الله تعالى لكتابها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3].

خصائص الدعوة الإسلامية:

عند التأمل في سير أحداث الفتح ونتائجه، تظهر بعض الخصائص والسمات المتعلقة بطبيعة الدعوة الإسلامية، وهي:

١)ارتباطها بدعوات الأنبياء السابقين، ووحدة العقيدة المدعو إليها:

فدعوة الإسلام متفقة مع الدعوات السابقة في أصولها، ورسل الله جميعا دعوا إلى التوحيد المطلق لله تعالى، وكان ذلك هو الهدف الرئيسي من كل رسالة[4]، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[5].

كما بين النبي صلى الله عليه وسلم أن أصل دين الأنبياء واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع[6]، فقد قال صلى الله عليه وسلم:((الأنبياء إخوة لعَلاَّتٍ أمهاتهم شتى ودينهم واحد))[7]، (فالدين واحد وإن تنوعت شرائعهم ومناهجهم، كما قال

---

[1] بتصرف، الدعوة إلى الله د. توفيق الواعي ص ٨١.

[2] بتصرف، الدعوة إلى الله دراسة مستوحاة من سورة النمل ص ١٣.

[3] سورة الحجر آية ٩ .

[4] بتصرف، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها: د. أحمد أحمد غلوش ص ١٥٥، دار الكتاب المصري القاهرة ط:٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

[5] سورة الأنبياء آية ٢٥.

[6] بتصرف، فتح الباري ٦/ ٤٨٩ ح ٣٤٤٣.

[7] صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا.. ﴾ ٤/

تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ...الآية ﴾ [1] فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعملية، فالاعتقادية كالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر، والعملية...كقوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... الآية ﴾ [2]، إلى آخر الآيات الثلاث، وقوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ... ﴾ [3] إلى آخر الوصايا)[4]، ولذلك ترى أن أسس رسالات الرسل ومبادئ دعوتهم واحدة، فلا خلاف في العقائد، ولا في العبادات التي دعوا إليها، ولا خلاف في مبادئ التعامل المادي والأخلاقي، التي نادوا بها[5].

وقد تضافرت آيات القرآن على تقرير وحدة رسالات الله من حيث المصدر الذي تلقت منه، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ... الآيَة ﴾ [6].

وكذلك تقرير وحدة العقيدة، وهي عقيدة توحيد الله بالعبادة وإخلاصها له، وترك الأرباب والأنداد الزائفة التي أشركت به تعالى، وهذا هو لب دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى قومه بمكة، وبسبب هذه الدعوة عُودي وأُوذي وأخرج من مكة، حتى مكَّن الله له بعد حين فتحها، فكان إيذاناً بزوال معالم الوثنية.

ولقد صور لنا النبي صلى الله عليه وسلم التحام دعوة الإسلام الوثيق بما قبلها من الدعوات، فقال:((مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله،

١٤٢، وقوله: لعلات، العلات: الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى،: أنه علَّ منها، والعلل الشرب بعد الشرب، وأولاد العلات: الأخوة من الأب وأمهاتهم شتى. بتصرف، فتح الباري ٦/ ٤٨٩ ح ٣٤٤٣.

[1] سورة المائدة جزء من آية ٤٨.

[2] سورة الأنعام جزء من آية ١٥١.

[3] سورة الإسراء جزء من آية ٢٣.

[4] باختصار، الفتاوى: ابن تيمية ١٥٩/١٥.

[5] بتصرف، العقيدة الإسلامية وأسسها: الأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٥٢٠- ٥٢١، دار القلم دمشق ط:٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. وأضاف: إن ما نراه الآن من البون الشاسع في المعتقدات بين أتباع رسالات ربانية صحيحة الأصل، فإنما ذلك التحريف والتبديل الذي دخل مبادئ هذه الديانات.

[6] سورة الشورى جزء من آية ١٣.

إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين))[1].

فكان لكل دعوة من دعوات الأنبياء دور تقوم به في ترابط هذا البناء ،وكانت كل دعوة تصدق بسابقتها وتكملها، وتمهد للاحق الآتي من الرسالات، حتى كانت دعوة الإسلام تمام هذه البناء وآخر هذه اللبنات[2].

فبيت الله الذي رفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قواعده وطهراه لعبادة الله وحده، وأذَّن إبراهيم صلى الله عليه وسلم في الناس بالحج إليه، قد دُنس بالأوثان التي نُصبت حوله وعُبدت من دون الله، ومُلئت الكعبة المشرفة بالصور، وأراد الله تعالى أن تكون رسالة الإسلام هي المطهرة له على يد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، الذي باشر ذلك فور دخوله البلد الحرام، وأعاد للبيت حرمته ونقاءه، وارتفع فيه أذان التوحيد وأُسكت صوت الشرك والكفر، وطهرت البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وحده لا شريك له[3]، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا .... ﴾[4].

كما يدافع رسول الله عليه الصلاة والسلام عن خليل الرحمن وابنه عليهما الصلاة والسلام ويبرئهما من الشرك، حين يزيل ما علق بأذهان المشركين من أوهام، وما ابتدعوه من تشويش وباطل، فصوروهما في داخل الكعبة يستقسمان بالأزلام، فقال بعد أن أمر بإتلاف الصور وتحطيم الأزلام:((قاتلهم الله، لقد علموا ما استقسما بها قط))[5].

---

[1] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب ذكر كونه خاتم النبيين ١٩٧١/٤ ح ٢٢٨٦.

[2] بتصرف، الدعوة الإسلامية: د. أحمد غلوش ص ١٧٥، وانظر الإيمان والحياة د. يوسف القرضاوي ص ٤٠، مؤسسة الرسالة بيروت ط:٣، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

[3] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٤٠٩/٥.

[4] سورة الحج جزء من آية ٢٦.

[5] سبق تخريجه ص ١٢٧.

وقد أعلن صلى الله عليه وسلم هذه الرابطة حين تمثل مقولة نبي الله يوسف عليه السلام، وذلك عندما أعلن عفوه عن قريش فقال:((مثلي ومثلكم كما قال يوسف لأخوته: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين))[1].

وكذلك مما يربط دعوة الإسلام بما قبلها من الدعوات، تقرير وحدة المصير، فقد اقتضت سنة الله تعالى في دعوات الأنبياء، نصرهم وإظهار الحق ودحر الباطل ولو بعد حين، كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[2]، وقد كان فتح مكة أعظم نصر للحق، وأعظم دحر للباطل، فقد كان فتح أشرف البقاع نصراً وإعزازاً من الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام، حين يرجعه إلى البلاد التي أوذي فيها وأخرج منها، مكرماً منصوراً.

ومن سار من الدعاة على نهج النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته، ودعا إلى تصحيح العقيدة وتطهيرها من الشوائب، ووحد مصيره مع مصير دعوة الحق، فإنه يشرف بالالتحاق بركب الأنبياء، ومن يزغ عنها فقد خرج عن الطريق القويم، وبسبب هذا الانحراف عن طريق دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقع الخلل في صفوف الدعاة اليوم.

٢) أنها دعوة تقرر كرامة المؤمن، والمساواة بين الناس:

فقد أعلنها النبي صلى الله عليه وسلم مدوية واضحة بين ظهراني قريش:((ياأيها الناس ، إن الله قد أذهب عنكم عُبِّية الجاهلية، وتعاظمها بآبائها، والناس رجلان بر تقي على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب))[3]، وهنا أقام النبي صلى الله عليه وسلم سياجا قويا من الضمانات حول كرامة الناس وحرياتهم، أثار في أرواحهم التطلع إلى الله وتقواه، فهتف بهم بالإنسانية جميعا- في خطبته وفي الآية التي تلاها، ليردهم إلى أصل واحد، وإلى ميزان واحد، أما اختلاف الشعوب والقبائل والألسنة والألوان، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق والتفاخر، بل يقتضي التعاون للنهوض

---

[1] شرح المواهب اللدنية ٢/٣٩١، وإمتاع الأسماع ١/٣٤٨.

[2] سورة الصافات من آية ١٧١ حتى آية ١٧٣.

[3] سبق تخريجه ص ١٤٢.

بتكاليف الخلافة في الأرض[1]،(فلا كرامة بالنسب، لتساوي الكل في البشرية المنتسبة إلى ذكر وأنثى والامتياز بالشعوب والقبائل إنما يكون لأجل التعارف بالانتساب لا التفاخر فإنه من الرذائل، والكرامة لا تكون إلا بالاجتناب عن الرذائل، الذي هو أصل التقوى)[2].

وقد جاء الإسلام بالمساواة والعدل بعدما افتقدها الإنسانية ردحا من الزمن، أُثقل البشر خلالها بالظلم، فجاءت الدعوة الإسلامية دعوة عالمية إنسانية، تحمل بين ثمارها المساواة بين البشر، فلا تعصب لقبيلة أو أمة أو جنس، وإنما هي العقيدة الحقة، وميزان التفاضل هو تقوى الله، وقد كان في ذلك تحقيق لمصالح البشر، واتساع لكل ما فيه خير الإنسانية[3].

والإسلام كشأنه في كل ما شرع، يلتزم الحكمة والتعقل ومراعاة الواقع، بقدر الإمكان، فيما لا يصادم أصل المبدأ وغاية التشريع، فالمساواة بين الناس ليست مطلقة في كل الأمور[4]، كما يتحدث عنها أهل الأهواء شرقا وغربا، ذلك أن الإسلام سوى بين الناس في الإنسانية مطلقا[5]، و لم يجعل هذا المبدأ مجرد نظرية، أو أقوال ممتنعة التطبيق، بل كان واقعا عمليا، فقد ساوى الإسلام بين الناس في أداء الديات- وقد كان بعض الأشراف يودى بديتين في الجاهلية- فلا فرق في قيمة النفس الإنسانية، لأن ميزانها في الحياة الدنيا بالتساوي، ولذلك بين النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته بعد الفتح أن الدية التي يودى بها الشريف والوضيع سواء وقال:((فمن ازداد بعيرا فهو من أهل الجاهلية))[6].

كما أعلن وحدة المنشأ والأصل الإنساني، بقوله: ((الناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب)).

---

[1] بتصرف، في ظلال القرآن ٣٣٤٨/٦.

[2] محاسن التأويل ١٣٧/١٥.

[3] بتصرف، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي ص ١٦٤.

[4] المقصود: أن المساواة في الإسلام مقيدة بإطار من العدل، وبسياج من العاطفة والرحمة بين الناس، فلا يستوي العالم والجاهل، والمؤمن وغير المؤمن، والمنتج والعاطل، والمجاهد والقاعد، فهناك تفاوت في الصفات والمواهب والإنتاج والعطاء، والعمل والبناء﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.بتصرف، أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم : د. وهبة الزحيلي ص ٤٨، دار القلم دمشق ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

[5] بتصرف، المرجع السابق ص ٤٧.

[6] سبق تخريجه ص ١٤١، والرواية في مسند الإمام أحمد ٤١٠/٣ عن عثمان بن طلحة رضي الله عنه .

وكذلك بين سياسة العدل بين المسلمين، وتساويهم في القصاص والديات أمام حكم الله تعالى بقوله: إن المسلمين((تتكافأ دماؤهم))[1].

كما أن من المساواة بين الناس، تساويهم أمام الشرع ، وإقامة الحدود، ويتجلى ذلك في رفض النبي صلى الله عليه وسلم قبول الشفاعة التي بذلت لإنقاذ المرأة المخزومية، حين وجب عليها حد السرقة ،وقوله:((فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد..))[2]، ثم يؤكد كلامه بأن ابنته- ولها المنتهى في العز والشرف- لو سرقت لم يمنعه ذلك من إقامة الحد عليها[3].

كما بين تساوي ذمم المسلمين في فرض حمايتهم وتأمينهم لغيرهم من الكفار، سواء أكان صاحب الجوار رجلاً أم امرأة، حرا أم عبداً، فهذا الاختلاف في النوع لا يعطي صاحبه قيمة إنسانية أكبر من الآخر، فقال:((ويسعى بذمتهم أدناهم)) فإذا أعطى المسلم أماناً أو عهداً للكافر المحارب، جاز ذلك على جميع المسلمين، ما دام المعطي مسلماً[4].

وكذلك طبق مبدأ المساواة في منع التمييز بسبب القوم أو اللون أو المنصب أو القرابة، لمن يستحق التكريم والتشريف، كإدخال أسامة وبلال رضي الله عنهما معه إلى البيت، إضافة إلى حاجب الكعبة عثمان بن طلحة رضي الله عنه .

وهذه السمة من السمات الرائعة في الدعوة الإسلامية، إذ أنها تدفع الناس للدخول في الإسلام والانضمام تحت لوائه مع غيرهم من المسلمين، بلا تفرقة أو تمييز، كما هو مشاهد في حال الداخلين في الإسلام في هذا العصر.

إضافة إلى أن استقرار هذا الشعور في نفوس المسلمين أنفسهم، يرفع من معنوياتهم، ويستحث الخير في نفوسهم، ويدفعهم إلى الإبداع والتفاني في البذل والعطاء لأجل الإسلام والمسلمين[5].

---

[1] سبق تخريجه ص ١٤٣.

[2] سبق تخريجه ص ١٦٠.

[3] بتصرف، الخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوي ص ٩١، مكتبة وهبة القاهرة ط:١، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

[4] بتصرف، الفتح الرباني ١١٥/١٤، والحديث سبق تخريجه ص ١٤٣، ومن تراجم الإمام البخاري في كتاب الجزية والموادعة باب: ذمة المسلمين وجوارهم واحدة، يسعى بها أدناهم ٦٧/٤.

[5] للاستفادة انظر دعوة الإسلام: سيد سابق من ص ١٤١- ١٤٨، دار الفكر بيروت لبنان ط: بدون،

٣) أنها دعوة لا تعتمد على الإكراه لاعتناقها بل تعتمد على الإقناع:

أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمان لأهل مكة، شريطة عدم التعرض لجيش المسلمين، أو مقاومتهم وقتالهم، واعتزال ميدان المعركة، باللجوء إلى بيوتهم، أو إلى الكعبة، وكان هذا هو بداية السلام الذي منَّ به على قريش، والذي جعلهم يأملون بسلام أشمل وأعظم حين التفوا حوله عند البيت الحرام، وأظهروا طمعهم في كرمه وعفوه، فأعتق رقابهم وقد تمكن أن ينكل بهم أشد النكال، جزاء ما اقترفت أيديهم من الأذى والإعراض، لكن نبي الهدى- وقد صار له مطلق الهيمنة وبعد عداوة عشرين عاما تقريبا- آثر العفو والإحسان، دون قيد أو شرط، وهذا غاية الرحمة منه والكرم، فقال:((اذهبوا فأنتم الطلقاء))، ولم يشترط عليهم الدخول في الإسلام، فكان لهذا العفو أطيب الأثر في نفوس أهل مكة، وأقبلوا على الإسلام راغبين، وبايعوا عليه رجالا ونساءً.

وبقي عند بعضهم تردد كما حدث مع صفوان بن أمية، حيث أمَّنه النبي صلى الله عليه وسلم، وبعث أمانه مع عمير بن وهب رضي الله عنه بعد هروبه من مكة، فلما رجع وقف على النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: إن هذا -يعني عمير- يزعم أنك قد أمنتني. قال صلى الله عليه وسلم:((صدق))قال: فاجعلني بالخيار فيه شهرين. قال:((أنت بالخيار فيه أربعة أشهر))[1].

فالتزم ترك الحرية لأهل مكة، وعدم قسرهم على الإسلام، وقد قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾[2].

وقد كان بمقدوره إكراههم على أي عمل أو قول، لكن من الصعوبة والاستحالة أن يعتقدوا رغم أنوفهم، فالنفس لا تؤمن إلا بما تتيقنه، ولا تعتقد إلا بما تؤمن به، وأقصى ما يصنعه إكراههم على الدين، أن يظهروا في صورة من اعتقد الإسلام ودخل في الدين

١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

[1] سبق تخريجه ص ١٣٨.

[2] سورة البقرة آية ٢٥٦.

بينما قلوبهم بعيدة كل البعد، وهذا كحال المنافقين[1]، فقضية العقيدة في الإسلام قضية اقتناع بعد البيان والإدراك، وليست قضية إكراه وإجبار[2].

وهذه الخصيصة للدعوة الإسلامية تُجلي تكريم الله للإنسان ،واحترام أرادته وفكره ومشاعره، فلم تواجهه بالقمع والتعذيب لاعتناق هذا الدين، أو تطبق عليه أي صورة من صور الهيمنة البشرية والتسلط البشري الذي يتلبس بلباس الدين ويفرض على الناس طقوسا إلزامية في الاحترام والتبجيل والطاعة، بل سمح له باختيار عقيدته، وهذا لكمال الدين الإسلامي، فهو لكمال براهينه واتضاح آياته، وكونه دين علم وعقل، ودين فطرة وحكمة، ودين حق ورشد، لا يحتاج إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه إنما يقع على ما تنفر منه القلوب، ويتنافى مع الحقيقة، أو لما تخفى براهينه وآياته.[3]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية:(أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا)[4].

وهذا لأن الدخول القسري في الإسلام قليل الجدوى خاصة على المدى البعيد، لأن المدعو هنا لا يقبل الفكر الجديد إلا تحت الإكراه، سواء أكان دينيا أم اجتماعيا أم

---

[1] بتصرف، الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٢٥٨.

[2] بتصرف، في ظلال القرآن ٢٩١/١.

[3] بتصرف، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣١٦/١. وانظر تأملات دعوية في السنة النبوية، د: عبد الله بن وكيل الشيخ ص ٦٢، دار أشبيليا للنشر والتوزيع الرياض، ط:١ ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

[4] تفسير القرآن العظيم ٢٨٢/١. ويقول علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله:(علم من هذه الآية أن سيف الجهاد المشروع في الإسلام- والذي لا يبطله عدل عادل ولا جور جائر- لم يستعمل للإكراه على الدخول في الدين، ولكن لحماية الدعوة إلى الدين، والإذعان لسلطانه وحكمه العدل) محاسن التأويل ٣٢٤/٣.

وقد حاول بعض المستشرقين إثارة شبهة إكراه الناس على العقيدة، ونشر الإسلام بالسيف، وذلك لتشويه صورة الجهاد، فانبرى بعض المؤلفين للدفاع عن هذه القضية، على سبيل المثال: الدعوة الإسلامية: د. أحمد غلوش ص ٢٦١- ٢٧٠، وآثار الحرب في الفقه الإسلامي: د. وهبة الزحيلي من ص ٧٨- ٩٩، وافتراءات حول غايات الجهاد: د. محمد نعيم ياسين من ص ٥٠- ٥٩، دار الأرقم ط: ١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م. وأصول الدعوة ص ٢٧٥-٢٧٧ .

سياسيا[1]، والإكراه يقهر النفوس الإنسانية ويذلها، لأنه يحطم الشخصية الإنسانية، ويزرع فيها الحقد والضغينة[2]،وعدم اقتناع المدعو بما يؤمن به، قد يدفعه إلى المراءاة، أو يوقعه في النفاق تحت دافع الخوف من الانتقاص أو الأذى والاضطهاد[3]، ويظهر ذلك في تحينه لفرصة التخلص من هذا العبء الذي ألزم به عند أول بادرة، والانفجار عند ما تسنح الظروف، وعند غياب الرقيب، وقد يتسبب في ارتداده عن الإسلام كلية[4].

---

[1]بتصرف، علم نفس الدعوة: د.محمد زين الهادي ص ٢٨٢، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ط: بدون ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

[2] بتصرف، حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية ص ٣٢.

[3] لكن هذا لا يعني التذرع بالآية الكريمة لتكون مبررا في التقصير ببذل كافة وسائل الإقناع والاجتهاد في إخراج الناس إلى عبادة الله وحده، وجهادهم وفرض الجزية على من أبى من أهل الكتاب أو قتاله، وهو كذلك بلا شك لا يعني عدم إلزام المسلمين -ما أمكن ذلك-بإقامة شرائع الله تعالى، في حالة ترددهم في قبولها، وعدم الاقتناع بها، إذ أن دخولهم في الإسلام ألزمهم بإتباع ما جاء فيه من الأوامر والنواهي، وهم قد آمنوا بالله ربا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا، وانشرحت صدورهم لدين الإسلام، فوجب عليهم طاعة الله تعالى وطاعة رسوله، دون تردد وتوان، كما قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة الأحزاب آية ٣٦) ولذلك لا يكره الكافر على اعتناق الإسلام، في الوقت ذاته يقتل عند ارتداده عنه، والله أعلم.

[4] فسر بعض المفسرين النفي في الآية الكريمة بمعنى النهي عن الإكراه، وفسر بعضهم النفي بأنه خبر محض: أي أنه تعالى ما بنى أمر الإيمان على الإجبار والقسر، وإنما بناه على التمكين والاختيار.

وقيل: إنها منسوخة بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ .... ﴾ وقيل: خاص بأهل الكتاب حيث حصنوا أنفسهم بأداء الجزية، وقيل: سبب نزولها خاص، انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧/٣، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ١٢/٣، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط: بدون. والجامع لأحكام القرآن ٢٨٠/٣(وقد ذكر ستة أقوال في نزول الآية)، وتفسير أبي السعود ٢٤٩/١.

وقد رجح الإمام الطبري أن المقصود بالآية هم أهل الكتابين والمجوس، وكل من جاء إقراره على دينه المخالف لدين الحق، وأخذ الجزية منه، أما مشركي العرب فقد أوجب قتالهم، ولم يقبل منهم إلا الإسلام، ومثلهم المرتد عن دينه الحق إلى الكفر، واستشهد بقوله صلى الله عليه وسلم:((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله))، فالوثنيون لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وأما أهل الكتاب فيقاتلون للخضوع

٤) أن الدعوة الإسلامية دعوة مستمرة لا تنقطع:

فهي مستمرة ماضية باستمرار وبقاء الدين إلى يوم القيامة، لأن المقصود والهدف من الدعوة الإسلامية، هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإرشادهم إلى الحق حتى يأخذوا به وينجو من النار، فيخرج الكافر من ظلمة الكفر إلى النور والهدى، ويخرج الجاهل من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ويخرج العاصي من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة، وهذه مهمة الرسل ودعاة الحق بعدهم[١]، وهي مهمة مستمرة لا تنقطع باستمرار الوجود الإنساني.

والدعوة الإسلامية هي دعوة الدين الخاتم الكامل، التي زودها الله بما يحفظ صلاحيتها المطلقة واستمراريتها، ويصونها من التحريف والتبديل، فبقيت إلى يوم الناس هذا وستبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[٢]، لأن حاجة البشر لا تنفك إلى دعاة يدعونهم إلى صراط الله المستقيم، يدعونهم إلى الإصلاح، وينهونهم عن الفساد، فالناس في حاجة إلى بواعث تمضي بهم قدما إلى غايتهم الصحيحة ،وتعينهم على مقاومة المثبطات التي تخذل قواهم، فهم خطاءون بطبعهم، وأهواؤهم تغلب على أحوالهم، فكان نقلهم إلى الصواب وتثبيتهم عليه محتاجا إلى جهد متصل ودعوة مستمرة.

ولذلك جاء الأمر بالدعوة في مواطن عديدة في القرآن الكريم، كقول الله تعالى﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ .... ﴾[٣]، وقوله﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾[٤].

لحكم الإسلام لا للإكراه على الدين. انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧/٣، وصفوة الآثار والمفاهيم ٤٦٥/٣. وقد سبق ذكر أن المسلمين الفاتحين عاملوا كل هذه الأصناف على قدم سواء، من حيث قبول الجزية. راجع ص ١٨٣.

[١] بتصرف، فضل الدعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين بها: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ص ٣٢، من بحوث المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، من مطبوعات الجامعة الإسلامية ط:٤، ١٤١١هـ.

[٢] بتصرف، كيف نبلغ الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأجنبية: جمعه علي الخولي ص ٦٩، المطبعة العالمية القاهرة ط:١، ١٣٨١هـ ١٩٧١م.

[٣] سورة الشورى جزء من آية ١٥.

[٤] سورة يوسف جزء من آية ١٠٨.

وهذه الحاجة لا تنقضي بانقضاء زمن معين، بل إن طبيعة هذا الدين في الحركة والامتداد مع الحياة، تفرض أن تظل مدرسة الإسلام تقدم أفواجا بعد أفواج من الدعاة، على صورة نامية مستمرة، أفواجا من المؤمنين العاملين، الذين أعدهم المنهاج الرباني وبنتهم الرسالة السماوية[1].

والنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم، لم يتوقفوا عن الدعوة إلى الله، حين دانت لهم قريش ، وفتحت لهم مكة أبوابها، فرسالة الإسلام لم تتوقف عند حدود مكة، بل تجاوزتها إلى من حولها من أحياء العرب، ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم[2]، إتباعا لقوله تعالى: ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا .... ﴾[3].

وخضوع مكة لحكم الإسلام، وتطهير بيت الله الحرام من الشرك، ما هو إلا هدف جزئي، دونه أهداف عليا وغاية عظمى، تقتضي الإستمرار في الدعوة إلى الله.

وأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم استمرار الدعوة ببيان دوام الجهاد في سبيل الله- رغم انقطاع الهجرة إليه-في قوله:((لا هجرة بعد الفتح،ولكن جهاد ونية،وإذا استنفرتم فانفروا))[4].

فمما يستلهم من كلامه عليه الصلاة والسلام أنه سيكون هناك استنفار للجهاد في سبيل الله، وما على المسلمين حينئذ إلا الاستجابة، لنصرة هذا الدين، ونشره بين الناس، وتلبية هذا النفير، مخلصين صابرين، ليتمموا مسيرة الدعوة التي بدأها النبي صلى الله عليه وسلم، واضعين نصب أعينهم بشارته لمن قام بالدعوة والجهاد في سبيل الله، بالنصر

---

[1] بتصرف، دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية: عدنان النحوي ص ١١٥ و ٨٥، دار الإصلاح الدمام ط: بدون. وانظر مع الله دراسات في الدعوة والدعاة: الشيخ محمد الغزالي ص ١٧ و ص ٢٢، نشر المكتبة الإسلامية ومطبعة حسان القاهرة ط:٥، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، ودعوة الإسلام: سيد سابق ص ١٧، وكيف نبلغ الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأجنبية ص ١٠٢

[2] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٢٩٤/٣.

[3] سورة الأنعام جزء من آية ٩٢.

[4] سبق تخريجه ص ١٧٣.

والظهور، وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام:((لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، ما يضرهم من كذبهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك..))[1].

ومن المواقف التي تفيد استمرارية الدعوة الإسلامية، مضيه صلى الله عليه وسلم في الدعوة والجهاد في سبيل الله بعد الفتح، فيرسل السرايا لتحطيم الأصنام المحيطة بمكة، ترسيخا لقواعد الإسلام، وحماية للداخلين فيه حديثا من العودة والارتكاس في حمأة الشرك.

كما بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جذيمة داعيا إلى الله، ليعلم المسلمون أن الداعية لا يضع لواء الدعوة عن عاتقه أبدا ،حتى بعد تحقيق الانتصارات العظيمة.

ومن الأمور المهمة لاستمرارية الدعوة، تعاهد المسلمين الجدد(حديثي الإسلام) بالدعوة والتعليم والتوجيه، فلا تتوقف دعوتهم بدخولهم في الإسلام، بل تمضي حتى يرسخ الإيمان في قلوبهم، وتسلم أفئدتهم وجوارحهم لله رب العالمين.

فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يباشر في خطبته تعليمهم أسس الدين، ثم ينفذ أمامهم تطبيقا عمليا للوضوء والصلاة –وهما من شعائر الإسلام المميزة– فيتوضأ من زمزم قرب المقام، والمسلمون يبادرون إلى وضوئه، يصبونه على وجوههم، والمشركون يرون بأعينهم ذلك ويتعجبون من حب المسلمين لنبيهم[2].

وكذلك ما ترويه أم هانئ رضي الله عنها:((أنه يوم فتح مكة اغتسل في بيتها، ثم صلى ثماني ركعات، قالت: لم أره صلى صلاة أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود)[3].

وقد اقتفى الصحابة رضوان الله عليهم خطى نبيهم صلى الله عليه وسلم، بعد التحاقه بالرفيق الأعلى، وساروا على نهجه، فنشروا الإسلام في الآفاق ، ودعوا إلى مبادئه، لأن مبادئ الحق لها قيمة ذاتية باقية خالدة، لا تفنى ولا تزول بفناء الداعي إليها وزواله، والداعية المسلم يؤمن بدعوة الحق لذاتها، ولذات المبادئ التي تمثلها.

---

[1] صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قوله تعالى﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ١٨٩/٨ واللفظ له، ومسلم في كتاب الإمارة باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين .الخ، ٣ /١٥٢٣ ح ١٩٢٠.

[2] انظر إمتاع الأسماع ٣٨٤/١.

[3] صحيح البخاري كتاب المغازي باب منزل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ٩٤/٥.

والشخص الذي يمثلها ويدعو إليها، له احترام النفس وتقدير المؤمن بها، بحيث لو انتهى أجله في هذه الحياة بقي الإيمان بالدعوة مستمرا، دون أن يتأثر بموت الداعي ومفارقته الحياة.

وقد بين الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر يخضع لطبيعة الحياة البشرية، بما يعرض لها من موت وفناء-كغيره من الرسل- في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ..... ﴾[1]، فلا ينبغي للمؤمنين أن يتغير مجرى حياتهم بعده، فتهتز الدعوة الإسلامية بالانصراف عن نشرها والدفاع عنها وحمايتها، بل يستمرون في نشاطهم، معبرين عن شكرهم لله تعالى الذي ألهمهم العمل لصالح الدعوة، ومستجيبين لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[2][3].

كان ما سبق توضيحا لبعض خصائص وسمات الدعوة الإسلامية[4]، أما موضوع الدعوة، فهو- كما سبق- الإسلام، وهو يشمل ثلاثة جوانب:

١- جانب العقيدة: المشتملة على أصول الدعوة، وهي عبارة عن الإيمان بالله تعالى، وبرسوله صلى الله عليه وسلم، وبالملائكة وبالكتب المنزلة، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى، ويتضمن تمييز العقيدة الصحيحة من الفاسدة، كالشرك والبدع.

٢- جانب الشريعة: المتكونة من فروع الدعوة، وهي التشريعات والعبادات التي فرضها الله عز وجل.

---

[1] سورة آل عمران آية ١٤٤.

[2] سورة آل عمران آية ١٠٤.

[3] بتصرف، السبيل إلى دعوة الحق والقائم بأمرها: د. محمد البهي ص ١٠٣، من ضمن سلسلة البحوث الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، السنة الثانية الكتاب السابع عشر.

[4] للاستفادة انظر أصول الدعوة من ص ٤٥- ٧٦، والدعوة الإسلامية: أحمد غلوش من ص ١٩٧- ٢٢٥، والمعرفة في منهج القرآن الكريم، دراسة في الدعوة والدعاة: صابر طعيمة من ص ٢٧٤- ٢٨٨، دار الجيل بيروت ط: بدون.

٣- جانب الآداب والأخلاق: وهي النتاج الضروري للعقيدة والشريعة، وهي مجموعة المحاسن النفسية ، وتظهر آثارها في الأقوال والأفعال.[١]

وهذه الجوانب الثلاثة -وإن بدت للناظر كأنها منفصل بعضها عن بعض، إلا أنها في الحقيقة مترابطة متماسكة، يفضي أولها إلى تاليها، ويرجع تاليها إلى ما قبله، فالعقيدة الصحيحة أساس يقوم عليه السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي[٢].

فالعقيدة في الوضع الإسلامي هي الأصل الذي تنبني عليه الشريعة، والشريعة أثر تستتبعه العقيدة، ومن ثم فلا وجود للشريعة في الإسلام إلا بوجود العقيدة، كما أنه لا ازدهار للشريعة إلا في ظل العقيدة[٣].

فالعقيدة كالشجرة التي تضرب بجذورها في الأرض لترسخ وتشتد، والشريعة والعبادة هي جذوع هذه الشجرة وأغصانها، والأخلاق والسلوك هما الثمرة التي تحملها هذه الشجرة[٤].

---

[١] انظر الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٤٢٦، وفقه الدعوة إلى الله: د. علي عبد الحليم محمود ١/١١٣، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة ط:٣، ١٤١٢هـ ١٩٩١م. والمدخل إلى علم الدعوة: د.محمد أبو الفتح البيانوني ص ١٨٤، مؤسسة الرسالة ط:٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م. ومرشد الدعاة: الشيخ محمد نمر الخطيب ص ٢٤ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

[٢] بتصرف، فقه الدعوة إلى الله ١/١١٣.

[٣] بتصرف، الإسلام عقيدة وشريعة: الشيخ محمود شلتوت ص ١١، دار الشروق، ط:١٧، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

[٤] بتصرف، العقيدة في الله: د. عمر سليمان الأشقر ص ١٨، مكتبة الفلاح الكويت، ط: ٤، ١٩٨٣هـ. كما ذكر التشبيه الشيخ حافظ الحكمي في محاضراته في السيرة النبوية.

المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بالعقيدة.

العقيدة لغة: من كلمة عقد، وتستعمل في التصميم والاعتقاد الجازم[1]، والعقيدة هي: ما عُقد عليه القلب والضمير، وما تديَّن به الإنسان واعتقده[2].

والعقيدة الإسلامية: هي الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به، أولا وقبل كل شيء، إيمانا لا يرقى إليه شك، ولا تؤثر فيه شبهة، ومن طبيعتها: تضافر النصوص الواضحة على تقريرها، واجتماع المسلمين عليها من يوم ابتدأت الدعوة، وهي أول ما دعى إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وطلب من الناس الإيمان به، وهي دعوة كل رسول جاء من قبل الله تعالى[3].

والعقيدة من الأمور العلمية التي يجب أن يعتقدها المسلم ليقيم عليها عبادته وسلوكه وعمله كله، ومرتكز العقيدة هو الإيمان بأصول العقائد التي أمرنا الله باعتقادها، وحددها رسوله صلى الله عليه وسلم في تعريفه الإيمان:((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره))[4]، كما يلحق بهذا جميع المسائل العقدية التي جاء بها الإسلام والتي يطلق عليها البعض نظام العقيدة في الإسلام[5].

والعقيدة الإسلامية تنظم العلاقة بين الإنسان وربه، فمعنى رسوخ العقيدة وقوتها، أي قوة الإيمان في القلب، واستقراره في الذهن، تصديقا ويقينا، لا يخاف أن يتسرب إليه شيء يخالفه، فتصدر أعماله عنه متفقة مع هذا الإيمان بكل معنى الكلمة.

وأما ضعف العقيدة، فيعني ضعف الإيمان، وأن قلبه لم يطمئن إليه اطمئنانا كاملا، لذا فإنه لا يأمن أن يدخل في ذهنه أشياء تخالفه، وتوهن عليه سيرته، وتحدث الاضطراب والارتباك والفوضى في حياته العملية[6].

---

[1] تاج العروس من جوهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي فصل السين من باب الدال ٢/ ٤٢٦، دار مكتبة الحياة بيروت، ط:١، ١٣٠٦هـ.

[2] المنجد في اللغة والأعلام ص ٥١٩، دار المشرق بيروت ط:٢٦.

[3] بتصرف، الإسلام عقيدة وشريعة ص ٩.

[4] صحيح مسلم كتاب التوحيد باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ..الخ ١/٣٧ ح ٨.

[5] بتصرف، العقيدة في الله ص ١٠، وانظر المدخل إلى علم الدعوة ص ١٨٣.

[6] بتصرف، الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادئها: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر: أبو الأعلى المودودي ص ٩٣، دار الخلافة للطباعة والنشر، ط: بدون. وانظر العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٣١.

وقد كانت الحرب بين المسلمين والمشركين حرب عقيدة، أُعلنت حين بُعث النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة التوحيد، التي خالف فيها معتقدات المشركين، حين أمرهم بإخلاص العبادة لله وحده، ونبذ ما يعبدون من الأصنام والأوثان، حينئذ تألب عليه المشركون وقاتلوه وعادوه.

وقد كان فتح مكة نصرا مؤزرا لعقيدة الإسلام، حين عاد النبي صلى الله عليه وسلم إليها رافعا كلمة التوحيد التي دعا إليها السنين الطوال، ومن هذا النصر تستلهم دروس في العقيدة، وهي:

١- تقرير وحدانية الله تعالى:

وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، أساس الإسلام الأول، وركن الدعوة المتين، ويقرر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بعد الفتح، وهو إلى جوار الكعبة -بيت الله الذي جعله الله لعبادته وحده لا شريك له-فيقول:((لا إله إلا الله وحده، نصر عبده، وهزم الأحزاب وحده..))[1]، فهو المستحق للعبادة دون سواه، بيده الأمر كله، ينصر عباده المؤمنين بحوله وقوته.

ولتحقيق إفراده بالعبادة لابد من إزالة رموز الباطل والشرك، ومحو معبودات الجاهلية لتتحرر القلوب من أسرها، وتتهيأ لتوحيد الله تعالى، وهذا أول عمل قام به صلى الله عليه وسلم .

ويظهر كذلك في حواره صلى الله عليه وسلم مع أبي سفيان، حين أقرَّ آخر الأمر بوحدانية الله تعالى، عند سؤال النبي صلى الله عليه وسلم له:((ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله))؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك!! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد[2].

---

[1] سبق تخريجه ص ١٤١.

[2] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم :ابن هشام ٢٢/٤، ودلائل النبوة ٣٤/٥.

ورُوي أنه قال: يا محمد إني قد استنصرت إلهي، واستنصرت إلهك، فوالله ما رأيتك إلا قد ظهرت علي، فلو كان إلهي محقا، وإلهك مبطلا لظهرت عليك. فشهد أن لا إله إلا الله[1].

٢- تقرير رسالة النبي صلى الله عليه وسلم :

وهي الشطر الثاني من شهادة التوحيد، (أشهد أن محمدا رسول الله)، ومما يدل على صدق الأنبياء والرسل، تأييد الله ونصرهم لهم، وحفظه إياهم، فإنه يستحيل أن يتقول على الله متقوِّل، ويدَّعي أنه مرسل، وهو كاذب في دعواه، ثم بعد ذلك يؤيده الله وينصره[2].

وهذا اليقين هو الذي وقر في قلب أبي سفيان رضي الله عنه ، بعد حواره مع رسول الله ورفضه الاعتراف بنبوته، لما قال له:((ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟)) فتردد في ذلك، ولكنه رضي الله عنه أيقن بها بعد أن حدثته نفسه بمعاودة قتال النبي صلى الله عليه وسلم، فكشف الله تعالى لنبيه نيته، فقال له:((إذن يخزيك الله))، فعلم صدق نبوته حين أعلمه الله بمكنون صدره وقال: ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة[3].

كما يعمل العباس رضي الله عنه على تأكيد هذا الإيمان عند أبي سفيان فينسب نصر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وفضله عليه أن مرد ذلك لنبوته لا للملك، لئلا يختلط الأمر على أبي سفيان، فإن بعض الملوك يرزقهم الله النصر والظهور على أعدائهم، -حتى ولو كانوا على غير دين الحق- دون التمكين الكامل لهم.

و لم يملك أهل مكة إلا الاعتراف بنبوته التي جحدوها فيما مضى، عندما شاهدوا عظم إكرام ربه له، ونصره له على أعدائه، فأذعنوا وبايعوا على الإسلام، خاصة بعد ظهور بعض علامات نبوته، كإخباره أن مكة لن تغزى بعد فتحها، وأن أهلها سيثبتون على الإسلام ولن يقتل أحدهم صبرا.

---

[1] مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم : عروة بن الزبير ص ٢١٠.

[2] بتصرف، الرسل والرسالات: د. عمر سليمان الأشقر ص ٢٠٤، مكتبة الفلاح الكويت ط:٢ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م. وراجع شرح العقيدة الطحاوية: العلامة ابن أبو العز الحنفي من ص ١٦٥- ١٦٧، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج الشيخ ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي ط:٤، ١٣٩١هـ.

[3] سبق تخريجه ص ١٣٧.

وكذلك ما ذكَّرهم به في خطبته من حبس الفيل، وإحلالها لرسوله زمنا معينا، سيما وأن من مسلمة الفتح من عاصر الفيل وطير الأبابيل، منهم حكيم بن حزام وحويطب بن عبد العزى[1] ونوفل بن معاوية، لأن كل واحد من هؤلاء عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام[2].

ورأى بعضهم إطلاع الله تعالى له على ما تحدثوا به سرا[3]، عند أذان بلال رضي الله عنه فوق الكعبة، فقالوا: نشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك[4].

كما أيقن بنبوته واعترف بها وفود قبائل العرب عليه لما رأوا ظهور دين الإسلام وأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قال وافدهم عليه:(جئتكم والله من عند النبي حقا)[5].

٣- أن العقيدة الإسلامية هي أساس ومنطلق تصرفات الناس وتوجهاتهم:

فإذا أسلم المرء وخالط الإيمان شغاف قلبه، فإنه لا يصدر إلا عن إيمان بالله تعالى، فتكون أعماله كلها وعلاقاته مع الناس مصداقا لهذا الإيمان، المبني على العقيدة الصادقة الحقة، ومن أمثلة ذلك:

---

[1] حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس القرشي العامري من مسلمة الفتح وأمره عمر بتجديد أعلام الحرم، كان حميد الإسلام، مات سنة ٥٤ وقيل: ٥٢ رضي الله عنه. انظر المستدرك على الصحيحين ٤٩٢/٣، وسير أعلام النبلاء ٥٤٠/٢، والإصابة ٣٦٤/١.

[2] بتصرف، أعلام النبوة: الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ص ١٩٥، دار الكتب العلمية لبنان ط:٢، ١٤٠١هـ ١٩٨١م. وانظر محاسن التأويل ٢٦٣/١٧.

[3] كقول عتاب بن أسيد : الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع بهذا اليوم، وقول الحارث بن هشام :واثكلاه ليتني مت قبل أن أسمع بلالا ينهق فوق الكعبة، وقول سهيل بن عمرو: إن كان هذا سخطا لله فسيغيره الله، وغيرهم. أخبار مكة ٢٧٥/١.

[4] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ٣٣.

[5] سبق تخريجه ص ١٦٥.

– أن الإيمان بعقيدة الإسلام ينمي الرقابة الذاتية عند المسلم، فيخشى ربه ويتقي محارمه، ويقوى عنده الوازع الديني، الذي يمنعه من الاعتداء على هذه المحارم، في علانيته وفي خلوته.

ومن ذلك ما يحكيه فضالة رضي الله عنه عن نفسه بعد أن شرح الله صدره للإسلام، يقول: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث، فقال: لا. ثم قال:

قالت: هلم إلى الحديث، فقلت: لا يأبى عليك الله والإسلام

لوما رأيت محمدا وقبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحى بيننا والشرك يغشى وجهه الإظلام[1]

– أن الالتزام بالعقيدة الحقة، يقلب ميزان الولاء والبراء، ويوجهه الوجهة السليمة، فالمرء قد يظهر الإسلام- أو يسلم- أولا للدنيا، لا بقصد ونية خالصة، ثم لا يلبث قليلا حتى ينشرح صدره لحقيقة الإيمان، ويتمكن من قلبه، فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها[2]، كما قال أنس رضي الله عنه :(إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها)[3].

وهذا ما وقع لأهل مكة، الذين كانوا يبغضون الرسول صلى الله عليه وسلم أشد البغض، فلما أسلموا انقلب هذا البغض إلى محبة، كما تقول هند بنت عتبة رضي الله عنها:(يا رسول الله، والله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء[4] أحب إلي من أن يذلهم

---

[1] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ٣٧.

[2] بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ٧٣/١٥.

[3] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب ما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا، ١٨٠٦/٤ ح ٢٣١٢.

[4] قال القاضي عياض رحمه الله: (أرادت بقولها أهل خباء: نفسه صلى الله عليه وسلم ، فكنَّت عنه بأهل الخباء إجلالا له، ويحتمل أن تريد بأهل الخباء أهل بيته، والخباء يعبر به عن مسكن الرجل وداره). صحيح مسلم بشرح النووي ٩/١٢.

الله من أهل خبائك، وما على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يعزهم الله من أهل خبائك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم :((وأيضا والذي نفسي بيده))[1].

قال الإمام النووي رحمه الله: (وأما قوله صلى الله عليه وسلم : ((وأيضا والذي نفسي بيده)) فمعناه: وستزيدين من ذلك ويتمكن الإيمان من قلبك، ويزيد حبك لله ورسوله، ويقوى رجوعك عن بغضه)[2].

وممن كان أول إسلامه كارها له جويرية بنت أبي جهل[3] رضي الله عنها، عبرت عن ذلك لما سمعت بلالا رضي الله عنه يؤذن فوق الكعبة ويقول: أشهد أن محمدا رسول الله بقولها: (قد لعمري رفع لك ذكرك، أما الصلاة فسنصلي، ووالله ما نحب من قتل الأحبة أبدا، ولقد جاء إلى أبي الذي كان جاء إلى محمد من النبوة فردها، ولم يرد خلاف قومه).[4]

ومن المعلوم أنه لا يتحقق لأحد صحة الإيمان والاعتقاد حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وحتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من النفس والمال والولد.

– العقيدة الإسلامية تبعث المسلم على التضحية، وتحفزه على البذل في سبيل الله، إيمان بعظم الجزاء عنده تعالى، وتكفيرا عن مضادته وحربه –قبل الإسلام–أو جبرا للتقصير في نصرته.

ومن ذلك قول عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم:(أما والله يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أنفقتها في الصد عن سبيل الله، إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قاتلت قتالا في الصد عن سبيل الله، إلا أبليت ضعفه في سبيل الله)[5]، ثم

---

[1] رواه الإمام مسلم في كتاب الأقضية باب قضية هند ١٣٣٩/٣ ح ١٧١٤.

[2] صحيح مسلم بشرح النووي ٩/١٠. ومن ذلك أيضا قول ثمامة بن أثال رضي الله عنه بعد إسلامه:(والله ما كان على الأرض وجه أبغض علي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي.. الخ) صحيح البخاري كتاب المغازي باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ١١٨/٥.

[3] جويرية بنت أبي جهل التي خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدا فترك الخطبة، فتزوجها عتاب بن أسيد، فولدت له عبد الرحمن الذي قتل يوم الجمل. بتصرف، الإصابة ٢٦٥/٤.

[4] أخبار مكة ١/ ٢٧٥. ولم أقف على درجة صحة الرواية.

[5] المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ٢٤٢/٣، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعقب عليه الذهبي بقوله: لكنه منقطع. كما روى الترمذي طرفا منه في سننه كتاب الاستئذان باب ما جاء في مرحبا ٧٨/٥ ح ٢٧٣٥، وقال: حديث ليس إسناده بصحيح. ورواه ابن عساكر في منتخب كنز العمال: الشيخ العلامة علي

اجتهد رضي الله عنه في القتال حتى قتل يوم أجنادين شهيدا، فكان إيمانه الصادق سببا لتضحيته، ودافع لبذله وجهاده في سبيل الله، فانتماؤه لكيان المسلمين جعله يقدم كل طاقاته وقدراته لنصرة هذا الكيان الذي كان سابقا يضع كل طاقاته في حربه ويعمل على إفنائه.

٤- من أسس العقيدة الإسلامية موالاة المؤمنين، ومعاداة الكافرين:

وهذا من أهم الدروس العقدية المستنبطة من أحداث الفتح العظيم[١]، فتولي الله ورسوله والمؤمنين، والتبرؤ من الكفر والكافرين، هما الصورة الفعلية للتطبيق الواقعي لعقيدة الإسلام، ذلك أن كلمة التوحيد لن تتحقق إلا بموالاة من يستحق الموالاة، والتبرؤ ممن يستحق البراء[٢] .

المتقي الهندي ٢٤٢/٥. وهو بحاشية مسند الإمام أحمد (فهرس الألباني) المكتب الإسلامي بيروت دمشق ط:٤، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

[١] لأهمية هذه القضية أذكر نبذة عن مفهوم الولاء والبراء: الولاء لغة : من ولي، والولي ضد العدو، والموالاة ضد المعاداة.(الصحاح، باب الواو والياء فصل الواو ٢٥٢٨/٦).والبراء في اللغة: من برأ، ويقال: بارأ شريكه إذا فارقه، (تاج العروس فصل الباء من باب الهمزة ٤٥/١).

أما الولاء بالمعنى الاصطلاحي: فهو النصرة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين باطنا وظاهرا.

والبراء اصطلاحا: هو المعاداة، وهو إظهار العداوة بالفعل، كالجهاد لأعداء الله، والبراءة منهم والبعد عنهم، باطنا وظاهرا. بتصرف، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٤٨٠، المكتب الإسلامي دمشق بيروت ط: ٤، ١٤٠٠هـ.

والمؤمنون أولياء الله، والله تعالى وليهم، وأما الكافرون فأولياء الشيطان، قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ (سورة البقرة آية ٢٥٧)، بتصرف، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٧.

(وأصل الموالاة هي المحبة، كما أن أصل المعاداة البغض، فإن التحاب يوجب التقارب والاتفاق، والتباغض يوجب التباعد والاختلاف.. فأولياء الله ضد أعدائه ضد أعدائه، يقربهم منه ويدنيهم إليه، ويتولاهم ويحبهم ويرحمهم، ويكون عليهم منه صلاة، وأعداؤه يبعدهم ويلعنهم، وهو إبعاد منه ومن رحمته، ويبغضهم ويغضب عليهم) جامع الرسائل: شيخ الإسلام ابن تيمية المجموعة الثانية الرسالة الثالثة: قاعدة في المحبة ص ٣٨٤، تحقيق د. محمد رشاد سالم دار المدني جدة، ط:١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

[٢] بتصرف، الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف ص ١٠، وللاستفادة انظر حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة: سيد سعيد عبد الغني من ص ٣٦- ٤٧، ومن ص ٥٠٩- ٥١٠، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط:١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم، خير من طبق هذه العقيدة والتزمها، لا سيما والآيات تنزل عليهم، تنهاهم عن اتخاذ الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا، يوالونهم على دينهم، ويظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتبين لهم أن من فعل ذلك، فقد برئ من الله، وبرئ الله منه[1]، كما في قوله تعالى﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2].

فالقرآن(لما نهى عن موالاة الكفار وبين أن من تولاهم من المخاطبين فإنه منهم، بين أن من تولاهم وارتد عن دين الإسلام، لا يضر الإسلام شيئا، بل سيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، فيتولون المؤمنين دون الكفار ويجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم)[3]. فقال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[4].

فموالاة المؤمنين: تتضمن حبهم لما هم عليه من الحق والهدى، والبراء من أعداء الله: يستلزم بغضهم وبغض ما هم فيه من الكفر، فالحب والبغض هما ترجمة الولاء والبراء في الواقع، وهما أقوى وأوثق روابط الإيمان كما قال صلى الله عليه وسلم :((أوثق عرى الإيمان: الموالاة والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله))[5].

---

[1] بتصرف، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/ ٢٢٨.

[2] سورة آل عمران آية ٢٨.

[3] الفتاوى: ابن تيمية ١٨/ ٣٠٠.

[4] سورة المائدة آية ٥٤.

[5] أورده الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير ٣٤٣/٢ ح ٢٥٣٦، وقال حديث حسن، وعزاه إلى الطبراني في المعجم الكبير والطيالسي ومسند الإمام أحمد. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣٠٦ ح ١٧٢٨، المكتب الإسلامي ط:٢، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

إن العقيدة التي غرسها الإسلام في نفوس أصحابه جعلتهم يخاصمون في الحق أقرب الناس إليهم، ويوادون في الحق أبعد الخلق عنهم، فلا تساهل مع قريب أو حبيب ما دام محادا لله ومخالفا لشرعه[1].

وقد حقق الصحابة ولاءهم للمؤمنين، وتبرؤهم من المشركين في العديد من المواقف، منها حين قطعوا علائق التناصر الجاهلي والولاء الجاهلي، وأحلوا محله الولاء الإسلامي، والوقوف في صفه، بإعلانهم في بيعة العقبة الكبرى(بيعة الحرب)، مفاصلتهم الكفر وأهله، ونصرتهم الله ورسوله والمؤمنين[2].

وهي التي دفعتهم إلى مفارقة أهليهم وأوطانهم، والهجرة إلى دار الإسلام، ليكون إيذانا بعهد جديد، ونشوء رابطة جديدة تحت مظلة الأخوة الإسلامية، بين المهاجرين والأنصار، والتقاء قلوبهم على محبة الله ورسوله، قال تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ..... ﴾[3].

وإعلان المفاصلة الكاملة بين حزب الله وحزب الشيطان، والانحياز النهائي للمؤمنين، والتجرد من كل عائق وكل جاذب لأعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، كان عندما شرع الجهاد، فقاتل المسلمون أقرباءهم وعشيرتهم[4]، فروابط الدم تنقطع عند

---

[1] بتصرف، مشكلات الدعوة والداعية: فتحي يكن ص ١٣٥، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط:٣، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

[2] بتصرف، الولاء والبراء من مفاهيم عقيدة السلف ص ١٨٧. وقد قال قائلهم:(نعم والذي بعثك بالحق، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة..) المستدرك على الصحيحين كتاب التاريخ قصة بيعة العقبة ٦٢٥/٢، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٥٠/٢،

[3] سورة الأنفال جزء من آية ٧٢.

[4] رغم النهي عن محبة الكافرين ونصرتهم ، فإن الله تعالى أمر ببرهم والإحسان إليهم، وصلتهم ومكافأتهم بالمعروف من الأقارب وغيرهم، بحال لم ينصبوا لقتال المسلمين وإخراجهم من ديارهم(بتصرف، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣٥٦/٧) كما قال تعالى﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ سورة الممتحنة آية ٨.

كما يأمرهم تعالى بمعاملة الناس بالعدل، وألا يحملهم بغضهم لهم على ترك العدل فيهم، بل يستعملوا العدل مع كل أحد صديقا كان أو عدوا، (انظر تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٥٨/٣) كما قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ

حد الإيمان[1]، كما قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[2].

وقد تجلت مظاهر الولاء والبراء في هذه الغزوة في عدة مواطن:

أ- حين بعثت قريش أبا سفيان-وذلك قبل إسلامه- إلى المدينة ،لتجديد العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها، وهو يظن أنها قد تكون شفيعا له عند زوجها صلى الله عليه وسلم، لكنها بادرته بما ألقى في نفسه اليأس، وقابلته بجفوة لم يحسب لها حسابا، و لم تدر في خلده[3]، حين منعته ابتداءً من الجلوس على فراش النبي صلى الله عليه وسلم وطوته عنه، وأجابت عما فعلت بقولها: (هو من أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن

﴿ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (سورة المائدة آية ٨).

كما يأمر بالبر والإحسان إلى الوالدين الكافرين، إن أمرا ابنهما بالكفر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (سورة لقمان جزء من آية ١٥) وذلك لأن في صلتهم وحسن معاملتهم، ترغيبا لهم في الإسلام، فهذا من وسائل الدعوة بخلاف المودة والموالاة، فهما يدلان على إقرار الكافر على ما هو عليه، والرضى عنه، وذلك يسبب عدم دعوته للإسلام. ابتصرف، الولاء والبراء في الإسلام للشيخ صالح بن فوزان الفوزان ص ١٨،دار الوطن للنشر،ط:١٤١٠،١هـ.

بتوضيح معاملة المسلمين للكافرين، يتبين الحد الذي يجب على المسلم أن يقف عنده ولا يتجاوزه، من أجل الحفاظ على دينه وإيمانه، في معاملتهم وبناء العلاقات معهم، وهو الحد الذي لا يفهم من الوقوف عنده، الموافقة على دينهم، والرضى عن كفرهم، فإذا تخطى المسلم هذا الحد، ودخل في طاعة الكفار، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة والمال، والاهم وقطع الموالاة مع المسلمين، ورفع علاقته معهم على علاقته مع المسلمين، فقد صار منهم، وارتد عن دينه ولا يستثنى من ذلك إلا المكره.بتصرف، الإيمان :أركانه، حقيقته، نواقضه: د. محمد نعيم ياسين ص ١٨٢، جمعية عمال المطابع التعاونية عمان، ط:٣، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

[1] بتصرف، في ظلال القرآن ٣٥١٤/٦.

[2] سورة المجادلة جزء من آية ٢٢.

[3] بتصرف، خاتم النبيين ١١٨٧/٢.

تجلس عليه)[1]. فضربت رضي الله عنها بذلك نموذجا صادقا في الحب في الله والبغض فيه، وموالاة أولياء الله، ومعاداة أعدائه[2].

بل أنها تغتنم الفرصة–وقد علمت رجحان عقل أبيه– لتعرض عليه الإسلام، وتظهر أسفها أن يفوته هذا الخير والهدى، وهو رئيس قومه، فتقول:(وأنت يا أبت، سيد قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك الدخول في الإسلام، وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر، فقال: ياعجباه، وهذا منك أيضا؟ أأترك ما كان يعبد آبائي واتبع دين محمد؟)[3].

وكذلك ضرب الصحابة أروع الأمثال في ولائهم للإسلام، وتبرئهم من الكفر، في اجتماع كلمتهم، على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم التقدم عليه، وذلك برفضهم إعطاء الجوار والأمن لقريش من عند أنفسهم، بل كانت مقولتهم: بل جوارنا في جوار رسول الله، مثار عجب واندهاش عند أبي سفيان، حين رأى هذا التلاحم والاتفاق من الجميع على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال لقومه–وقد يئس من أخذ الأمان–: (جئتكم من عند قوم قلوبهم على قلب واحد، والله ما تركت منهم صغيرا ولا كبيرا ولا أنثى ولا ذكر إلا كلمته، فلم أنجح منهم شيئا)[4].

ب–كانت هفوة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه –لما حاول تسريب الخبر لقريش– درسا بليغا للمسلمين في المدينة، وتوضيحا وترسيخا لقاعدة الولاء والبراء،

---

[1] جوامع السيرة: الإمام الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ص ٢٢٥، تحقيق د. إحسان عباس و د. ناصر الدين الأسد المطبعة العربية لاهور باكستان ط: بدون ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

[2] بتصرف، حكم وأحكام من السيرة النبوية: الشيخ عبد الله عبد الغني خياط ص ١٥٠، دار الرفاعي للنشر والطباعة ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

[3] المغازي: الواقدي ٧٩٣/٢، وانظر إمتاع الأسماع ٣٥٨/١. وشرح المواهب اللدنية ٣٥٠/٢. ولعل من المناسب هنا توضيح الفارق بين موقف أم المؤمنين رضي الله عنها، وبين موقف أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، لما وفدت عليها أمها وهي مشركة بعد صلح الحديبية، فلم تستقبلها، حتى استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فقالت له:(يا رسول الله، إن أمي قدمت علي وهي راغبة، أفأصلها؟ قال:((نعم ،صليها)) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجزية والموادعة باب إثم من عاهد ثم غدر ٧٩/٤، فوصلتها، وأكرمتها.

والفرق بين الموقفين: أن قدوم أبي سفيان كان بعد غدر بني بكر وقريش بخزاعة، أما أم أسماء فقد كان في مدة الصلح، وقبل اعتداء قريش كما يظهر، و(عدم الغدر اقتضى جواز صلة القريب، ولو كان على غير دين الواصل) فتح الباري ٢٨١/٦ ح ٣١٨٣.

[4] المصنف: عبد الرزاق الصنعاني ٥: ٣٧٥ ح ٩٧٣٩.

فنزلت الآيات تنهى عن اتخاذ الكفار والمشركين، الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين-أولياء وأخلاء وأصدقاء، فقال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ ﴾ [1].

في الآية الكريمة يهيج الله تعالى على عداوتهم، وعدم توليهم، لأنهم أخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بين أظهرهم، كراهية لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبودية لله وحده، و لم يكن لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله رب العالمين[2].

كما يبين تعالى ما احتوت عليه قلوبهم من الحقد والعداوة للمسلمين بقوله:﴿ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ ﴾ [3]، فهم إن يظفروا بالمسلمين، ويتمكنوا منهم، يكونوا لهم غاية في العداوة ، ويبسطوا أيديهم إليهم بالقتال، وألسنتهم بالشتم، بل ويتمنون أن يرتدوا عن دينهم، فيلحق بهم مضار الدين والدنيا معا، فموادة أمثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم ومغالطة من المسلمين لأنفسهم، كما وصفه الله تعالى بقوله:﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗ ..... ﴾ [4].

كما يقرر تعالى أن الأقارب والأولاد الذين يوالون الكفار من أجلهم، ويتقربون إليهم خوفا عليهم، لن ينفعوهم يوم القيامة، بل يفصل الله بينهم، فيدخل أهل الإيمان الجنة، ويدخل أهل الكفر النار[5].

---

[1] سورة الممتحنة آية ١.

[2] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ١١٢/٨.

[3] سورة الممتحنة آية ٢.

[4] سورة التوبة جزء من آية ٨.

[5] بتصرف، الكشاف ٩٠/٤، وانظر تفسير الفخر الرازي ٣٠٠/١٥.

فالمشركون لا يذكرون في عداوتهم للإسلام رحما ولا أهلا، ولا ينبغي-ولو دارت على المسلمين الدوائر- أن يبقوا لهم ودا وقد خاصموهم في ذات الله، وأخذ عليهم العهد أن يبذلوا في حربهم أنفسهم وأموالهم[1].

فكان في صدور هذا الخطأ من الصحابي الجليل، ونزول هذه الآيات، تعميق لهذه العقيدة في قلوب المسلمين، في الوقت الذي هم أشد ما يحتاجون فيه إلى لمسات قوية ، تثير في قلوبهم مشاعر الموالاة للمؤمنين والبغض للكافرين، وتنقيها من أي شائبة تردد في قتال الكفار، أو الرضوخ أمام المصالح الشخصية، أو المؤثرات العاطفية.

وقد كان في هذه الغزوة امتحان صعب تعرض له المسلمون ، أقسى من مواجهتهم عشيرتهم في ساحة القتال-كما حدث في الغزوات السابقة- فمما يميز فتح مكة ، أنها المرة الأولى التي يبادر فيها المسلمون بغزو مكة والهجوم عليها، ومن الطبيعي أنه من الصعب على الإنسان أن يسير لغزو أهله وقبيلته، في الدار التي خلفهم فيها وهاجر منها، وكان إلى قريب يراوده أمل عظيم أن تنضم هذه العشيرة إلى صفوف المسلمين، فتزول بذلك المقاطعة والخصومة، وتتصل الأواصر التي قطعت من جديد، وذلك تصديقا لقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾[2].

لكنها عقيدة الإسلام التي طهرت قلوبهم وجعلتها خالصة لله عابدة له وحده تعالى.

ج-من المواقف التي تجلى فيها الولاء ،ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتقديم ما يحبه ويرضاه على محبوبات النفس، ما صرح به عمر رضي الله عنه للعباس رضي الله عنه، حين أكثر من الكلام في شأن أبي سفيان-قبل إسلامه- وأراد ضرب عنقه، فقال العباس: مهلا يا عمر، فوالله ما تصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا.

---

[1] بتصرف، فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي ص ٤٠٧.

[2] سورة الممتحنة آية ٧.

فانبرى عمر رضي الله عنه يدفع عن نفسه وصمة العصبية القبلية، أو أن يكون ولاؤه لغير المؤمنين، فأجاب وقد تخلص قلبه من شوائب الجاهلية والتعلق بأواصر الدم، إلا آصرة أخوة الإسلام: مهلا يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت، كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وذلك لأني أعلم أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم[1].

فبلغ رضي الله عنه بذلك مرتبة عالية من التجرد من حظوظ نفسه، وغاياته الشخصية، بتقديم ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهواه، على ما يحبه هو ويرضاه[2].

د-وهذا النبي صلى الله عليه وسلم النموذج الكامل، والمثل الأعلى للمسلمين في هذا الجانب- الولاء والبراء-، في تعامله مع رؤساء قريش ورجالاتها، يعلن البراءة والحرب على أعداء الله، حتى لو كان أقرب قريب، فإذا أسلم واتبع دين الحق، انقلب هذا العدو حميما، وتحولت البغضاء إلى محبة وسلام، ومن ذلك:

١-موقفه صلى الله عليه وسلم من ابن عمه أبي سفيان بن الحارث، ومن صهره عبد الله بن أمية بن المغيرة-رضي الله عنهما وذلك قبل إسلامهما- وإعراضه عنهما بعد اشتداد أذاهما عليه وعلى المسلمين، فلما تبين له صدق توبتهما ولجوءهما للإسلام راغبين رق لهما وعفا عنهما، فانضما إلى حزب أولياء الله، وقد روي:(أن أبا سفيان بن الحارث كان أحب قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان شديدا عليه، فلما أسلم كان أحب الناس إليه)، وكان صلى الله عليه وسلم يحب أبا سفيان ويشهد له بالجنة، ويقول:((أبو سفيان بن الحارث خير أهل بيتي))[3].

---

[1] بتصرف، جوامع السيرة ص ٢٢٩، والطبقات الكبرى ٢٣/٤.

[2] يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب معلقا على صدق قول عمر رضي الله عنه :(فقد كان عمر يمثل عقيدة المسلمين الأولين الراسخة، بينما كان العباس حديث عهد بالإسلام)، كما اشتهر عمر بشدته حتى على قومه، بينما عرف عن العباس شدة محبته لهم. رضي الله عن صحابة رسوله أجمعين. وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ إسلام العباس رضي الله عنه انظر ص ١١٢ من هذا البحث.

ولعل سبق عمر بالإسلام قد عمق انتماءه للمسلمين-خاصة بما عرف من شدته على قومه- أكثر من العباس الذي يلاحظ من مواقفه في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، تعلقه بقومه وحدبه عليهم، والحرص عليهم و على هدايتهم.

[3] المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ذكر مناقب أبي سفيان بن الحارث ٢٥٥/٣، وقال صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وتابعه الذهبي وسكت عنه، وانظر الطبقات الكبرى ٥٢/٤، سير أعلام النبلاء ٢٠٤/١.

٢- إن بعض المشركين الذين كانوا حربا على الإسلام وأهله، وامتدت عداوتهم في غالب فترة النبوة، وكانت امتدادا لعداوة آبائهم، كعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية بن خلف، قد أسلموا، فلم يؤاخذهم صلى الله عليه وسلم بجريرة الجاهلية وأهلها، ولم يعيرهما بما مضى من حربهما للإسلام، بل بذل لهما الولاء والمحبة والود، وغض الطرف عما سلف منهما، كما فعل مع عكرمة رضي الله عنه ، حين نهى المسلمين عن تعييره بماضيه، فقال:((يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا مهاجرا، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت))، فلما بلغ باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وثب له رسول الله قائما على رجليه فرحا بقدومه)[1]، وقال له: ((مرحبا بالراكب المهاجر-ثلاثا)) فتأثر عكرمة رضي الله عنه لهذا الاستقبال ولهذه البشاشة، وأراد أن يثبت ولاءه للإسلام، وعد نصرته له تكفيرا عن عداوته السابق، فقال: والله يا رسول الله، لا أدع نفقة أنفقتها إلا أنفقت مثلها في سبيل الله[2].

هـ-يظهر حرص الإسلام على غرس هذه العقيدة، وذلك بتمييز المسلمين عن الكافرين، وإزالة الدوافع المادية والمصالح الدنيوية، التي تكون مشتركة بين الطرفين، فلا يبقي على العلائق التي قد تضطر المسلم أن يوالي الكافر ، ويكتم الحق محافظة عليها، وخوفا من زوالها، فشرع قطع التوارث بين المسلم والكافر، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه (أنه قال زمن الفتح: يا رسول الله، أين ننزل غدا؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((وهل ترك لنا عقيل من منزل، ثم قال: لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن))[3]، قاطعا بذلك مطامع النفس التي قد تطرأ على المسلم ، فيوالي ويناصر الكفار من أهله، ولا

---

[1] رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ٢٤١/٣ ، وسكت عنه، وسكت عنه الذهبي، وروى الإمام مالك جزءا منه في الموطأ كتاب النكاح باب نكاح المشرك إذا أسلمت زوجته قبله - تنوير الحوالك- ٧٦/٢، كما ذكره المقريزي في إمتاع الأسماع ٣٩٢/١، وانظر أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين ابن الأثير علي بن محمد الجزري ٦٨/٤، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط:١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

[2] سبق تخريجه ص ٢١١.

[3] رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ٩٢/٥. وروى نحوه الحافظ عبد الرزاق في المصنف ١٤/٦ ح ٩٨٥١، كما روى قول علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه : أن أبا طالب ورثه عقيل وطالب، ولم يرثه علي وجعفر لأنهما كانا مسلمين. ح ٩٨٥٤.

يعلن براءته منهم، حرصا على ما قد يرثه منهم[1]، فجاء الإسلام بقطع هذه العلائق، لأن (التوارث يتعلق بالولاية، ولا ولاية بين المسلم والكافر، لقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ..... ﴾[2])[3]، وما دام أن التناصر والولاء الإيماني قد انقطع بين المسلم والكافر، فلأن ينقطع التوارث من باب أولى، لتخلص نفسه لله رب العالمين، وتصبح حياته قائمة على منهج الله القويم، كما أن في ذلك صونا للمسلم من المال الحرام، لأن صاحبه الكافر رضي بالحرام، وترك شريعة الله والحلال[4].

وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته لما فتح مكة، الأساس الذي يوالى عليه، وتكون النصرة والحمية عروته التي يرتبط بها، في قوله:((والمسلمون يد على من سواهم))، (أي أنهم مجتمعون يدا واحدة على غيرهم من أرباب الملل والأديان، فلا يسع أحدا منهم أن يتقاعد عن نصرة أخيه المسلم)[5].

فالأساس هو: عقيدة الإسلام، والمسلمون (مجتمعون على أعدائهم لا يسعهم التخاذل بل يعاون بعضهم بعضا)[6].

---

[1] وهذا الابتلاء يتعرض له كثيرا من يشرح الله صدره للإسلام بعد الكفر، فما أن يعلن أحدهم إسلامه بين أهله، حتى يلجأ والداه إلى تهديده بالحرمان من الميراث لإجباره على العودة إلى دينه، وقد يلجأ بعضهم إلى قطع النفقة عنه تماما إذا كان محتاجا لها، ويطرد من البيت إرغاما له-وهذه قصة واقعية سمعتها -أثناء زيارتي للولايات المتحدة برفقة زوجي- من مسلمة أمريكية طردها أهلها من المنزل وقطعت والدتها عنها مصروفها، فلجأت إلى بيت أحد المسلمين في بلدها حتى يسر الله لها وتزوجها أخ مسلم كفلها ورعاها. فكان التشريع الإلهي الحكيم بقطع هذه المنافع والوشائج صارف للقلب عن التعلق بها وتثبيتا على الإسلام.

[2] سورة المائدة جزء من آية ٥١.

[3] فتح الباري ١٢/٥٠ ح ٦٧٦٤. وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال:(أهل الشرك لا نرثهم ولا يرثونا). المصنف: عبد الرزاق الصنعاني ٦/١٦ ح ٩٨٥٦.

[4] بتصرف، الولاء والبراء من مفاهيم عقيدة السلف ص ٣١٨، وللاستفادة انظر الفصل الخامس من الكتاب نفسه: انقطاع التوارث والنكاح بين المسلم والكافر من ص ١٣٤ - ٣١٨.

[5] جامع الأصول في أحاديث الرسول: الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري ١٠/٢٥٤. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط نشر مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح مطبعة دار البيان ط: بدون/ ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م. وانظر عون المعبود١٢/ ٢٦١ ح ٤٥٠٧.

[6] الفتح الرباني ١٤/ ١١٥.

وقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين في تآزرهم بالبناء الواحد يقوي بعضه أركان بعض فقال:((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا))[1].

كما شبههم بالجسد الواحد الذي يتشارك جميع أعضائه في الإحساس بالألم والمعاناة إذا مرض أو اشتكى أحد أعضائه، فقال:((المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وان اشتكى رأسه اشتكى كله))[2].

و- لترسيخ عقيدة الولاء والبراء ،نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن إحداث الأحلاف، فالإسلام يقتضي نصرة المسلمين -كل المسلمين- وموالاتهم، ومعاداة الكافرين-كل الكافرين-والتبرؤ منهم.

فأما ما كان من أحلاف الجاهلية موافقا لمراد الإسلام؛ من تعاون بين المسلمين، ونصرة للمظلوم، وصلة للأرحام، فلا يزيده الإسلام إلا شدة ،وما كان بخلاف ذلك من نصرة للظلم والعدوان والتعاون على ذلك، ومخالفة حكم الإسلام، فهذا الحلف لا اعتبار له في الإسلام، وقد قال صلى الله عليه وسلم :((لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة))[3].

فلا ولاء في الإسلام إلا على أساسه النظري والعملي، وكل آصرة أخرى يعطي الناس ولاءهم على أساسها، آصرة باطلة، فالأواصر القائمة على المذاهب الأرضية بأنواعها، كالشيوعية والقومية والوطنية وغيرها، غير معتبرة شرعا وباطلة، فالمسلم لا يعطي ولاءه للشيوعيين-رغم اندحارهم-،بجامع العقيدة الشيوعية والعمل المشترك، ولا للقوميين-على كفرهم- بجامع المصلحة القومية المتوهمة، ولا للوطنيين -مع عدم اعتصامهم بحبل الإسلام-بجامع مصلحة الوطن، بل إن الله يأبى على المسلمين، أن يعطوا ولاءهم إلا بجامع الإيمان والإسلام [4].

---

[1] صحيح مسلم كتاب الصلة باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤/ ١٩٩٩ ح ٢٥٨٥.

[2] المرجع السابق ٤/ ٢٠٠٠ ح ٢٥٨٦، للاستفادة انظر حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة من ص ٢٤٢- ٢٦٣.

[3] سبق تخريجه ص ١٤٣.

[4] بتصرف: أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى: محمد عبد الهادي المصري ص ٨٣، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ط:٤، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م. وتتمة الكلام: أما هذه الروابط والمسميات(فلا يجوز لأحد أن

وقد بين تعالى الجهات التي يجب أن يبذل لها المؤمن ولاءه، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [1]،وبين عاقبة من يفعل ذلك في قوله:﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [2].

٥-إقرار ميزان التفاضل بين المسلمين بالسبق بالإيمان والأعمال الصالحة:

حصل للسابقين إلى الإسلام، وإلى نصرة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فضيلة لم يدركها من تأخر إسلامه حتى الفتح، وفيهم قوله تعالى﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ .... ﴾ [3]، وقد سبق ذكر التفاضل في بعض الأعمال الصالحة والطاعات، وأن الحد الفاصل في ذلك هو فتح مكة.

ومن هذه الأعمال، الهجرة إلى الله ورسوله، فقد حصلت الفضيلة العظيمة لمن سبق للإيمان برسالة الإسلام، وصدق هذا الإيمان بالهجرة ونال شرف التسمية ب(مهاجر)، وهي من مراتب الصحبة العالية، وذلك بسبقه إلى الإيمان بالله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم ،

يمتحن الناس بها، ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يعادي عليها، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان) (الفتاوى: ابن تيمية ٣/ ٤١٦) فلا يصح امتحان الناس بأمور ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يصح التعصب لأسماء وشعارات أو تجمعات وزعامات، بل الموالاة والمعاداة تكون على أساس الدين والتقوى، ولا يكون التعصب إلا لجماعة المسلمين، التي ترفع راية القرآن والسنة وهدي السلف الصالح رضي الله عنهم.

[1] سورة المائدة آية ٥٥.

[2] سورة المائدة آية ٥٦. وانظر جند الله ثقافة وأخلاقا: سعيد حوى ص ١٧٣، وللاستفادة انظر الفقرة الأولى: تحرير الولاء لله وللرسول وللمؤمنين ص ١٧٢ – ١٨٨ دار الكتب العلمية بيروت ط:٢ بدون تاريخ.

[3] سورة التوبة جزء من آية ١٠٠. وقال الإمام الطبري: هم الذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله، من المهاجرين، والذين هجروا قومهم وعشيرتهم، وفارقوا منازلهم وأوطانهم، والأنصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر. بتصرف، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١/ ٦. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: السابقون هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، ودخل فيهم أهل بيعة الرضوان. بتصرف، المنتقى من منهاج الاعتدال مختصر منهاج السنة: الحافظ أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي ص ٤٤٢، تحقيق محب الدين الخطيب، مكتبة دار البيان دمشق، ط:بدون ١٣٧٤هـ.

الذي هو رأس الفضائل، وتحملهم العناء والمشقة زمنا طويلا من كفار قريش، وصبرهم عليهم، وكذلك تحملهم المضار الناشئة عن المفارقة للأوطان والأهل[1]، ويكفيهم شرفا انتساب النبي صلى الله عليه وسلم للهجرة في قوله:((لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار))[2].

وقد ورد الثناء على المهاجرين الذين تركوا دورهم وأهليهم، كراهية البقاء بين المشركين وفي سلطانهم، حيث لا يأمنون فتنتهم على أنفسهم، فهاجروا إلى بلد الإيمان، الذي يأمنون فيه على أنفسهم من فتنة المشركين، وليستعدوا لجهادهم نصرة لله ولرسوله[3]، وذلك مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾[4]، وقوله:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾[5].

أما وقد زالت المبررات التي دفعت النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته إلى الخروج من مكة، مهاجرين للمدينة، بتحول المجتمع المكي بعد الفتح إلى مجتمع إسلامي تقام فيه شريعة الله، وتصان فيه حرمة العقيدة الإسلامية، ويأمن فيه المسلمون، فقد انقطعت هذه الهجرة الفاضلة، ولكن بقي الإسلام والإيمان والجهاد في سبيل الله، كما قال صلى الله عليه وسلم لمجاشع بن مسعود رضي الله عنه لما انطلق بأخيه ليبايع على الهجرة:((مضت الهجرة لأهلها، أبايعه على الإسلام والجهاد))[6].

---

[1] بتصرف، عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام: د. ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ١/١٢٤، مكتبة الرشد الرياض ط:١، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م. وللاستفادة انظر تحقيقه لمسألة تفضيل المهاجرين على الأنصار ١/ ١٢٤- ١٤٠.

[2] صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الطائف ٥/ ١٠٤.

[3] بتصرف، عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ١/ ١٢٤.

[4] سورة البقرة آية ٢١٨.

[5] سورة الحشر آية ٨.

[6] سبق تخريجه ص ١٣٦.

-كما ثبت أن أفضلية العمل الصالح على قدر رجوع منفعته للإسلام والمسلمين، وأن الأجر على قدر النصب، فمن دفعه إيمانه إلى الإنفاق في سبيل الله، ونصرة رسوله قبل الفتح، في وقت العسرة والشدة، خير عند الله ممن أنفق بعد الفتح، وحصول الأمن والرخاء، لا يستويان عند الله، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

وقد(جعل علماء التوحيد هذه الآية دالة على فضل من سبق إلى الإسلام، وأنفق وجاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الفتح، وبينوا الوجه في ذلك ،وهو عظم موقع نصرة الرسول عليه والصلاة والسلام بالنفس وإنفاق المال في تلك الحال، وفي عدد المسلمين قلة، وفي الكافرين شوكة وكثرة عدد، فكانت الحاجة إلى النصر والمعاونة أشد، بخلاف ما بعد الفتح، فإن الإسلام صار في ذلك الوقت قويا، والكفر ضعيفا، ويدل عليه قوله تعالى﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ... ﴾[2])[3].

فكان الإنفاق والجهاد في سبيل الله، دليلا على صدق الإيمان به، لأن هذه الآية ذكرت في سياق الأمر بالإيمان به تعالى وبرسوله، وذلك في الآيات التي سبقتها، وهي قوله تعالى:﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾[4].

ومن رحمة الله جل وعلا أن أبواب الخير مشرعة لعباده الذين لم يدركوا هاتين الفضيلتين، فمن تأخر إسلامه إلى بعد الفتح، و لم يدرك الهجرة، فقد بقي له الإيمان والجهاد والإسلام، ومن لم ينفق ويجاهد قبل الفتح، فلينفق ويجاهد بعده لأن شريعة الجهاد ماضية إلى يوم القيامة، وأساس الأمر إسلام العبد وإخلاصه، كما قال صلى الله عليه وسلم:((إذا أسلم

---

[1] سورة الحديد جزء من آية ١٠.

[2] سورة التوبة جزء من آية ١٠٠.

[3] تفسير الفخر الرازي ٢٢٠/٢٩.

[4] سورة الحديد آية ٧ .

العبد فحسن إسلامه، يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها، وكان بعد ذلك القصاص، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها، إلا أن يتجاوز الله عنها))[1].

٦- نفاذ سنن الله تعالى في المجتمعات:

من الدروس الدعوية العقدية ذات العبر والعظات، نفاذ السنن الإلهية وتحققها في المجتمع، وسنة الله هي:(الطريقة المتبعة لمعاملة الله للبشر، بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة).[2]

وسنة الله في عباده مطردة لا تتخلف أبدا، وثابتة لا تتغير، وكذلك هي عامة، يسري حكمها على الجميع دون محاباة أو تمييز، قال تعالى:﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[3].

وقد وجه القرآن المسلمين للنظر واستقراء المعرفة من هذه السنن وتدبرها، والاستفادة منها، لما للإيمان بها من أثر عظيم في تقويم السلوك الديني للإنسان، وتثبيته على جادة الحق[4]، قال تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[5]. **ومن هذه السنن:**

أ- حتمية التدافع بين الحق والباطل:

والمقصود بالتدافع بين الحق والباطل: أي محاولة تنحية أحدهما للآخر، أو إزالته، ومحوه بالقوة عند الاقتضاء،- وقد يسمى بالصراع بين الحق والباطل- لما بينهما من اختلاف، فيحتدم الصراع نتيجة هذا الاختلاف، لإقرار الحق أو لإقرار الباطل[6]، كما قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟

---

[1] صحيح البخاري كتاب الإيمان باب حسن إسلام المرء ١/ ١٥.

[2] السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ص ١٣.

[3] سورة فاطر جزء من آية ٤٣.

[4] بتصرف، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ص ١٤، وانظر مقال تحت عنوان: العلم بالسنن الإلهية: د. محمد آمحزون، ص ٥٠ في مجلة البيان عدد ١١٥ ربيع الأول ١٤١٨ هـ.

[5] سورة النساء آية ٢٦.

[6] بتصرف، السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات ص ٤٥.

أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [1]. ومن هذا التدافع، دفع المشركين بالمسلمين[2]، وهو الذي عناه تعالى في قوله:﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [3]، فقد أوضح تعالى في هذه الآية أن القتال والجهاد في سبيله هو الذي يحسم الصراع بقدر منه تعالى لصالح المؤمنين[4].

وقد كان هذا التدافع بين النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وبين قومهم المشركين، لما أعلنوا كلمة الحق وجهروا بدينهم، فحاربوهم واجتهدوا في محق دينهم الحق، وهذا شأن الباطل، حين يطغى بقوته، ليصد عن الحق ويزيله وأهله ،كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ .... ﴾ [5].

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم نهاية هذا الصراع بينه وبين أهل مكة، في ترديده للآية الكريمة-وهو يحطم الأصنام-: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [6].

فالباطل وإن طال أمد تدافعه مع الحق، فهو بلا شك زاهق يوما ما، وذلك لصدق وعد الله لعباده المتقين بالعاقبة، وهذه هي السنة الإلهية الثانية المتحققة في غزوة الفتح:

ب- سنة الله في نصر المؤمنين لا تتخلف أبدا:

فهي إخبار من الله تعالى لعباده في قوله:﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ

---

[1] سورة النساء آية ٧٦.

[2] انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧/ ١٧٤.

[3] سورة الحج جزء من آية ٤٠.

[4] انظر السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات ص ٤٥ ،ومقال د. محمد آمحزون في مجلة البيان .

[5] سورة الأنفال جزء من آية ٣٦.

[6] سورة الإسراء جزء من آية ٨١. ،والحديث سبق تخريجه ص ١٢٧.

تَبۡدِيلًا ﴾ [1]، (وهذه سنة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل، إلا نصر الله الإيمان على الكفر، فرفع الحق ووضع الباطل)[2].

وكذلك نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه على من خالفهم وناوأهم وكذبهم، فجعل كلمة الله هي العليا، ودينه هو الدين الظاهر على سائر الأديان.

وقد حقق الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، أوجها عديدة من النصر، فنصره بقوة الحجة والبرهان، ثم نصره بحمايته لما أمره بالهجرة من بين ظهراني قومه إلى المدينة ، وجعل له فيها أنصارا وأعوانا، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر، فنصره عليهم ، وخذلهم له، ثم بعد مدة قريبة فتح مكة، فقرت عينه ببلده المحرم، فأنقذه الله به من الشرك والكفر، ثم دانت له جزيرة العرب بكمالها، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ثم قبضه الله تعالى إليه، فأقام الله أصحابه خلفاء بعده، فبلغوا عنه دين الله، وفتحوا البلاد والمدائن، حتى انتشرت الدعوة في مشارق الأرض ومغاربها، ثم لا يزال هذا الدين قائما منصورا ظاهرا إلى قيام الساعة، ولهذا قال تعالى:﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ [3]، فيوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل[4].

وقد تأخر نصر الله تعالى لنبيه هذه السنين –وهو القادر على نصرته يوم بعثه– لما يريده تعالى له من النصر الأعظم والأدوم والأكثر تأثيرا في واقع الحياة وفي عموم الناس، وبعد أن تهيأ من المؤمنين القاعدة اللازمة لاستحقاقهم هذا النصر الكبير، فلم يحصل هذا إلا بعد مضي أكثر مدة نبوته[5]، وقد كان نزول سورة النصر تبشيرا به، وإعلاما بدنو أجله صلى الله عليه وسلم .

---

[1] سورة الفتح الآيتين ٢٢– ٢٣.

[2] تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٢٣.

[3] سورة غافر آية ٥١.

[4] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٧/ ١٤٠.

[5] بتصرف، السنن الإلهية في الأمم الجماعات والأفراد ص ٥١.

وإذا طالعنا أحوال العالم الإسلامي هذه الأيام، وجدنا المسلمين وقد دال عليهم أعداؤهم، وتداعوا عليهم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، وهم بلا حول ولا قوة-إلا من رحم الله-وينتظرون الفرج والنصر من عند الله ، وقد غفل أكثرهم عن حقيقة النصر وقوانينه وسننه[1]، التي منها:

= أن يفقه المسلم، أن النصر ابتداء وانتهاء من عند الله تعالى، يهبه لمن يشاء، ويصرفه عمن يشاء، كما قال تعالى :﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [2]، وحين يريده عز وجل، فلن تستطيع قوى الأرض كلها الحيلولة بينه وبين الأمة،لقوله تعالى﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [3].

فوعد الله تعالى بالنصر مطلق لم يقيده تعالى- كما هو غالب إخباراته- بزمان ولا مكان ولا صفة[4]، فهي سنة ثابتة لا تتبدل، لكنها قد تتأخر إلى أجل، ولأسباب قد تتعلق باستواء المسلمين واستقامتهم على طريق الحق، أو تتعلق بتهيئة الجو الذي يولد فيه النصر للمؤمنين، والهزيمة للكافرين، أو لغير هذا وذاك، مما يعلمه الله[5].

= من الضروري محاسبة النفس واتهامها بالتقصير في طلب أسباب النصر عند تأخره، فكثير من المسلمين اليوم إذا اعترضته العقبات والمصائب، أعاد الأمر إلى غيره وتعلل بقوة أعدائه، قبل أن يعيده إلى نفسه، ويعلله بغفلة المسلمين.

ومن توجيهات القرآن السامية في تشخيص المشكلات، وكشف الأخطاء في فهم السنن الربانية، أن يرجع المرء باللوم على نفسه، قبل لوم الآخرين، كما في قوله تعالى﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

---

[1] بتصرف، المرجع السابق ص ٥٤، وانظر فقه السيرة: منير الغضبان ص ٤٦١- ، وانظر قل هو من عند أنفسكم: محمد سرور بن نايف زين العابدين ص ٧٦، دار الأرقم بريطانيا ط:١، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

[2] سورة آل عمران جزء من آية ١٢٦.

[3] سورة آل عمران آية ١٦٠.

[4] بتصرف، الفتاوى: ابن تيمية ١٨٤/١٥. وتتمة كلامه: وكثيرا ما يعتقد الناس في الموعود به صفات أخرى لم ينزل عليها خطاب الحق، بل اعتقدوها بأسباب أخرى، كما اعتقد طائفة من الصحابة، إخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يطوفون بالمسجد الحرام، أن يكون ذلك عام الحديبية، وكان غير ذلك.

[5] بتصرف، في ظلال القرآن ٣٣٢٨/٦.

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]، وكذلك قوله تعالى﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[2].[3]

=أن هذا النصر له عوامل وشروط تؤدي إلى وقوعه، وله موانع وعقبات تحول دون ذلك، فلا بد من تحقيق الشروط، ومن المهم إزالة وتجنب الموانع، ومن الشروط والعوامل المكسبة للنصر ما يلي:

١-تحقيق الإيمان بالله تعالى:

فهو وعد منه تعالى، قال فيه:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]،فالمؤمنون الموعودون بالنصر هم الذين تتحقق فيهم معاني الإيمان التي أمر الله بها في كتابه، ونبيه صلى الله عليه وسلم في سنته، لا أن يكونوا مؤمنين بمقاييسهم وأمانيهم، فالمفروض في المؤمنين أن يكونوا أداة تنفيذ طيعة لدين الله، لا أصحاب أهواء يملون إرادتهم الخاصة ويتبعونها، دون تقيد بمنهج الله، أو ينطلقون وفق أهوائهم، على خلاف أوامر الله ونواهيه، وعلى خلاف المنهج الذي رسمه الله لهم،[5](فقد يظن الإنسان في نفسه أو غيره، كمال الإيمان المستحق للنصر، وأن جند الله الغالبون، ويكون الأمر بخلاف ذلك)[6]، فلا يستحق النصر الموعود به.

فعليه حينئذ-إذا تأخر النصر- أن يراجع نفسه، ويعرض أحواله وأفعاله على معاني الإيمان ومقتضياته، ويزنها بميزانها، ليعرف الخلل والنقص الموجود فيه، فيقوم بتصحيحه، ويتدارك ما فاته لتحقيق معاني الإيمان في نفسه، ولتظهر ثمرات هذا الإيمان من تقوى وصبر وغيره في الواقع[7]، ولا يتم ذلك إلا باستصلاح النفوس، والأخذ بها في مجالات

---

[1] سورة آل عمران ١٦٥.

[2] سورة الشورى جزء من آية ٣٠.

[3]بتصرف، المدخل إلى علم الدعوة ص ٣٤٨، وانظر قل هو من عند أنفسكم ص ٦٨.

[4] سورة الروم جزء من آية ٤٧.

[5]بتصرف، بصائر للمسلم المعاصر: الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ١٦٩، دار القلم دمشق ط:١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

[6] الفتاوى: ابن تيمية ١٥/ ١٩٤.

[7]بتصرف، السنن الإلهية في الأفراد والأمم والجماعات ص ٥٥.

الاستقامة، والبعد بها عن محارم الله ، ومهابط الرذيلة، لأنها سبب للخذلان وعامل لتسليط العدو، فالنصر يتوقف على الاستقامة على نهج الهدى وسلوك سبيل الطاعة[1].

وقد كان تحقق الصبر والمصابرة على الأعداء، وتقوى الله واجتناب محارمه، شرطا من الله تعالى للإمداد بالملائكة ونزول نصره تعالى على المؤمنين، كما في قوله تعالى:﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [2].

٢-القيام بدينه تعالى، والدعوة إليه:

لاستحقاق النصر منه تعالى وذلك بجهاد أعدائه، ومتى فعل المسلمون ذلك، وقصدوا به وجه الله، فإن الله يربط على قلوبهم، بالصبر والثبات، ويعينهم على أعدائهم، كما في قوله جل وعلا:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [3]، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال، فسينصره مولاه وييسر له أسباب النصر والثبات[4].

وكذلك قوله تعالى:﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [5]، في الآية الكريمة يقسم تعالى بنصر من ينصره، ومعلوم أن نصر الله تعالى، إنما هو بإتباع ما شرعه، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ونصرة رسله وأتباعهم، ونصرة دينه وجهاد أعدائه.

وقد تلى هذا القسم الصفات المميزة لمن وُعد بالنصر، في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

---

[1] بتصرف، تأملات في دروب الحق والباطل: عبد الله عبد الغني خياط ص ٢٠٣، تهامة للنشر جدة ط:١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

[2] سورة آل عمران آية ١٢٥، واختلف المفسرون في هذا الوعد هل كان يوم بدر أو كان يوم أحد، انظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ٩٣.

[3] سورة محمد آية ٧.

[4] بتصرف، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٧/ ٦٦.

[5] سورة الحج جزء من آية ٤٠.

وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [1]، فلا وعد من الله بالنصر إلا مع إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فمن يترك ويدع هذه الأوامر، ثم يطلب التمكين والنصر من الله، فمثله كمثل الأجير الذي يمتنع من عمل ما أجر عليه، ثم يطلب الأجرة، ومن هذا شأنه فلا عقل له[2].

٣-الإعداد المعنوي والمادي لمواجهة الأعداء:

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ .. ﴾[3]،فمجرد الإيمان دون الأخذ بأسباب النصر ومقوماته المادية،لا يضمن النص،ولا يكفل الظهور والتمكين في الأرض،الذي وعد الله به عبادهالمخلصين،[4] فلا بد من الإعداد لتحصيل النصر، ومن ذلك: حسن إعداد المجاهدين في سبيل الله، علميا، وتربويا وسلوكيا وبدنيا.. الخ ، إضافة إلى حسن الإعداد المادي بتوفير الموارد المالية وقوة تجهيز الجيش العسكرية.

وكذلك من أسباب النصر إعداد القيادة الصالحة المصلحة، الراشدة القوية، التي تضحي في سبيل نصرة الإسلام وإعزازه، فهذه القيادة ركن أساس من أركان النصر[5].

وكما أن للنصر أسبابا، فإن له معوقات، وعوامل فشل، جعلها الله سببا للهزيمة، أو لتأخر النصر ومنها:

١- إهمال تحقيق عوامل جلب النصر وكسبه.

٢- التنازع والاختلاف المذموم، فقد ذم الله تعالى الاختلاف والتفرق المؤدي للفشل والمسبب للضعف والجبن، في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ... ﴾[6]، فوحدة الصف ووحدة الكلمة أساس في النصرة، وتفريق الكلمة والاختلاف في الرأي هزيمة ودمار[1].

---

[1] سورة الحج آية ٤١.

[2] بتصرف، أضواء البيان ٥/ ٧٠٣- ٧٠٤.

[3] سورة الأنفال جزء من آية ٦٠.

[4] بتصرف، أهل السنة والجماعة، معالم الانطلاقة الكبرى ص ٥٢.

[5] بتصرف، تأملات في دروب الحق والباطل ص ٢٠٣.

[6] سورة الأنفال جزء من آية ٤٦. وقد عرف الله جل ثناؤه أهل الإيمان به، السيرة في حرب أعدائه من أهل الكفر، والأفعال التي ترجى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم، والظفر بهم، في آيتين جامعتين، وهي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

ومجمل العوامل التي أثرت في المسلمين، وأدت إلى تفرقهم وتشتتهم شيعا، نوعين من العوامل:

-عوامل داخلية نشأت داخل الأمة، نتيجة التركيب الاجتماعي، أو الانحراف الفكري، أو الأغراض والمطامع الشخصية، كإتباع الهوى، وإهمال المصالح الشرعية للأمة، أو التعصب لفريق دون الآخر مما يؤدي إلى انقسام الأمة، أو بغي فئة منها على أخرى، أو الجهل بالحق كله أو بعضه.

-عوامل خارجية، أثرت في الأمة من خارجها، نتيجة الاحتكاك بمن سواها من الأمم، احتكاكا فكريا واجتماعيا.. الخ، مما استتبع دخول مفاهيم وتصورات وعادات وأفكار غريبة عن الكيان الإسلامي، وعلى المسلمين، فعملت على إشاعة الفرقة، وانشعاب الآراء والأهواء، بعد أن تعددت الموارد التي يستقى منها.[٢]

ج ـ من سنن الله في رسله وأتباعهم، أن الحرب والنصر بينهم وبين أعدائهم مداولة:

فيكون النصر تارة لهم وتارة لعدوهم، لكن تكون عاقبة الأمر لهم، وهذه من أعلام الرسل التي أخبر بها هرقل أبا سفيان رضي الله عنه لما سأله:(فكيف قتالكم إياه؟) فقال أبو سفيان:(الحرب بيننا وبينه سجال[٣]، يصيب منا ونصيب منه)، فقال هرقل-لما عرف علامات النبوة الصادقة-:(وسألتك :هل قاتلتموه فزعمت أنكم قد قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالا، ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلى، ثم تكون لهم العاقبة)[٤].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الأنفال ٤٥-٤٦) فقد ذكر تعالى: صدق الإيمان بالله تعالى، والثبات لقتال أعدائه، وعدم الانهزام عنهم، أو تولية الأدبار، والدعاء بالنصر عليهم، والإكثار من ذكره تعالى، وطاعة الله ورسوله وعدم مخالفتهما في شيء، والابتعاد عن الاختلاف والتنازع، والصبر عند لقاء العدو. بتصرف، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠/١٤-١٥.

[١] انظر فقه السيرة: منير الغضبان ص ٤٦٢.

[٢] انظر مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم: محمد العبدة وطارق عبد الحكيم ص ٤٣-٤٦ و ص ١١٣- ١١٦، دار الأرقم الكويت ط: بدون ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م. وانظر وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق: جمال بن أحمد بن بشير بادي من ص ١٣٥- ١٣٧، دار الوطن للنشر الرياض ط:١، ١٤١٢هـ.

[٣] السجل: الدلو، فكأنما شبه المتحاربين بالمستقيين، يستقي هذا دلوا وهذا دلوا. فتح الباري ١/ ٣٦ ح ٦.

[٤] جزء من حديث طويل رواه الإمام البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي ١/ ٥،

وقد بين الله تعالى ذلك في قوله :﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

ومن حكمة الله تعالى في ذلك–والله أعلم– أن الرسل والمؤمنين لو انتصر عليهم دائما، لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، ولو انتصروا دائما ، لآل الأمر إلى الإلجاء المنافي للتكليف، فاقتضت حكمته تعالى جمع الأمرين منعا للإلجاء من جهة، أو ضياع الرسالة من جهة أخرى.

كما أنه تعالى لو نصر المؤمنين دائما، لطغت نفوسهم، كطغيانها لو بسط الله لهم الرزق، كما في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾[2]، فإن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر طغيانا وركونا إلى العاجلة، فلا يصلح لها إلا السراء والضراء ،والشدة والرخاوة[3].

إضافة إلى ذلك ما قد يفوتهم من المصالح المترتبة على الابتلاء– والتي قد تخفى– من اتخاذ الشهداء، الوصول إلى الدرجات العلى عند الصبر، وتمييز الطيب من الخبيث، وتمحيص النفوس.

وهذا هو حال الرسل، وحال نبينا صلوات الله عليهم وسلامه، وقد قصها الله تعالى في كتابه الكريم على عباده، لتكون (عبرة للمؤمنين منهم، فإنهم لا بد أن يبتلوا بما هو أكثر من ذلك، ولا ييأسوا إذا ابتلوا بذلك، ويعلمون أنه قد ابتلي به من هو خير منهم، وكانت العاقبة إلى خير، فليتق المرتاب، ويتوب المذنب، ويقوى إيمان المؤمنين، فبها يصح الإتساء بالأنبياء)[4].

ولا ينبغي للأمة الإسلامية أن يصيبها الوهن والخذلان عند غلبة الآخرين وتفوقهم عليها، بل تنظر إلى ماضيها، وكيف أنها سادت الأرض زمنا طويلا، ولتدفعها معرفة سنة تداول القوى، إلى العمل على استعادة مكانتها وفعلها الحضاري على الأرض، وقد قال تعالى:﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[5].[1]

ورواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ٣/ ١٣٩٥ ح ١٧٧٣ واللفظ له.

[1] سورة آل عمران آية ١٤٠.

[2] سورة الشورى آية ٢٧.

[3] بتصرف، فلسفة البلاء في ضوء الكتاب والسنة غزوة أحد: د. الحسيني أبو فرحة ص ٢٧٢، مكتبة وهبة مصر ط:١، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

[4] الفتاوى: ابن تيمية ١٥/ ١٧٨.

[5] سورة آل عمران آية ١٣٩.

د ـ سنة الأخذ بالأسباب، والتأهب والاستعداد:

إن المسلم الحق يباشر الأسباب المباحة لينال مطلوبه، ويبذل وسعه لتحقيق ما يريد، ولا يعجز أو يتواكل، ثم يدعي التوكل على الله،[٢] بل أنه يأخذ بالأسباب التي تساعده في الوصول إلى هدفه المنشود، في ذات الوقت الذي يجعل كل اعتماده وتوكله على الله تعالى لا على الأسباب ذاتها، فلا تعارض بينهما.

فالمؤمن يعلم أن الأمور كلها بيد الله تعالى وتقديره، (وإنما الأسباب وتوفرها فيها طمأنينة للقلوب وثبات كل على الخير)[٣]، وفي نفس الوقت هو مأمور بالعمل بالأسباب المباحة الملائمة لتحقيق ما يسعى إليه، وهذا ما يعبر عنه ب(قانون السببية)، وهو: أن الله تعالى أقام مظاهر الكون على أساس واحد، وهو تعلق الأسباب بالمسببات، والمعلول بالعلة، فإنه لا يحدث شيء في الكون إلا وله سبب أدى إلى حدوثه، ولا يسري نظام ما في ظاهرة كونية، إلا وله تعليل مادي أو غير مادي، أودعه الله في هذه الظاهرة الكونية، كي تسير على نسق دقيق، يدل على حكمته وقدرته تعالى[٤].

ومن النصوص الصريحة الواردة في مراعاة الأسباب، وعدم تعارضها مع التوكل أو تنافيه الحديث الذي رواه عمرو بن أمية الضمري[٥] رضي الله عنه، عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال:(يا رسول الله أرسل راحلتي وأتوكل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((بل قيدها وتوكل))[٦].

---

[١] بتصرف، حديث القرآن عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ١/ ١٢.

[٢] ومن شبه إبليس التي يلقيها على العباد أن التوكل ينافي طلب السبب، انظر للاستفادة مناقشة الإمام ابن الجوزي رحمه الله لهذه الشبهة في تلبيس إبليس من ص ٢٨١- ٢٨٥.

[٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/ ٤١٧.

[٤] بتصرف، المصيبة وقانون السببية: عبد الحكيم بحلاق ص ٧، دار الإرشاد حمص ط:١ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

[٥] عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمري، أسلم بعد أحد، وكان أول مشاهده بئر معونة، حيث أسره عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأطلقه، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة في زواجه من أم حبيبة، كان شجاعا جريئا، عاش إلى خلافة معاوية ومات بالمدينة رضي الله عنه. بتصرف، الإصابة ٢/٥٢٤.

[٦] رواه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ٣/ ٦٢٣، وسكت عنه، وقال الإمام الذهبي: سنده جيد، وروى نحوه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب ٤٦٠ ح ٢٥١٧، وقال هذا حديث غريب.

وأهل السنة والجماعة وسط في الأخذ بالأسباب فهم لا يعطلون الأسباب ويعرضوا عنها، بدعوى التوكل على الله[1]، أو باعتقاد عدم نفعها لسبق القضاء[2]، وكذلك لا يتشبثون بالأسباب بجوارحهم وقلوبهم، ويغفلون عن مسبب هذه الأسباب، ويعتمدون عليها،[3] بل يأخذون بها ولا يغفلون عن مسببها، فهم معها بجوارحهم وأبدانهم، ومع ربهم بقلوبهم وعقولهم، وهؤلاء هم المتوكلون حقا، فهم قد رعوا سنة الله في خلقه، وأيقنوا بأن الله هو الذي وضع هذه الأسباب وأمر باتخاذها، ورتب عليها آثارها قدرا وشرعا، وهو القادر- في الوقت نفسه-على أن يعطلها إذا شاء، وأن يخلق من الموانع ما يعوق سيرها، ويبطل أثرها[4].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:(فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها)[5].

ومن هذا المنطلق، نرى النبي صلى الله عليه وسلم -وهو أعظم الخلق وأصدقهم توكلا على الله- يعد العدة ويهيئ الأسباب الملائمة في جميع غزواته، كما يتخذ

---

[1] وعن هذا الصنف يقول ابن تيمية رحمه الله :(وهذا وأمثاله من قلة العلم بسنة الله في خلقه وأمره، فإن الله خلق المخلوقات بأسباب، وشرع للعباد أسبابا ينالون بها مغفرته ورحمته وثوابه في الدنيا والآخرة، فمن ظن أنه بمجرد توكله مع تركه ما أمر الله به من الأسباب يحصل مطلوبه، وأن المطالب لا تتوقف على الأسباب التي جعلها الله أسبابا لها، فهو غالط) الفتاوى: ابن تيمية ٨/ ٥٣٠.

[2] لتفنيد هذه الدعوى انظر ولاية الله والطريق إليها، وهو تحقيق كتاب قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني: إبراهيم إبراهيم هلال، من ص ٤٩٢- ٤٩٩، دار الكتب الحديثة مصر ط: بدون.

[3] وهذا للأسف حال أكثر الخلق. وللاستفادة انظر تقريب التدمرية: الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ١١٠- ١١٢، دار الوطن للنشر الرياض ط:١، ١٤١٢هـ، وانظر مجموعة بحوث فقهية: د. عبد الكريم زيدان بحث بعنوان: الإيمان بالقضاء والقدر وأثره في سلوك الفرد، ربط الأسباب بالمسببات من ص ٢٢٩- ٢٣١، مؤسسة الرسالة بيروت، مكتبة القدس بغداد ط: بدون ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

[4] بتصرف، في الطريق إلى الله التوكل: د. يوسف القرضاوي من ص ٧٠- ٧٣. مكتبة وهبة القاهرة ط:١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م. وللاستفادة انظر الفصل الرابع نفس الكتاب من ص ٣٥- ٧٥.

[5] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١٢٠/٢، تحقيق: محمد حامد الفقي دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط: بدون ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

الاحتياطات اللازمة لسلامة الجيش، فيدعو الله أن يأخذ الأخبار والعيون كي لا تصل أخباره إلى قريش.

ويستخدم التورية والخدعة في الحرب، حين يرسل سرية تمويهية إلى بطن أضم قبل مسيره إلى مكة، ويأمر بحراسة مداخل المدينة، ويستنفر الناس ويأمرهم بأخذ الأهبة والتجهز للقتال، وكل هذه أسباب لإحكام المفاجأة وإنجاح الغزوة.

وحرصا منه على قوة المسلمين وألا يخالطهم وينتابهم أي ضعف، يأمرهم بالفطر، ثم لما نزل مر الظهران أقام الحراسة حول المعسكر احتياطا، كما يلبس المغفر حماية لنفسه من الأذى، إلى غير ذلك مما يظهر للمتأمل في تدابير غزوة الفتح.

وتظهر أهمية فقه السنن الإلهية ومعرفتها من النقاط الآتية:

١- أن معرفة أثر السنن في الأنفس والمجتمعات، ضروري لمعرفة طبيعة هذا الدين، وطبيعة الجاهلية المقابلة، فيكون المسلم على بينة من مباينة السبل، واختلاف المناهج والتوجهات والأهداف بين المسلمين وأعدائهم الكافرين.

٢- من خلال السنن الإلهية يفهم المسلمون التاريخ على حقيقته، فيعرفون عوامل البناء والأمن والاستقرار والتقدم، وعوامل الهدم والخوف والانحطاط والتخلف، ويتبصرون بكيفية السلوك الصحيح في الحياة، فلا يقعون في الخطأ والغرور والأماني الكاذبة[1].

٣- أن الإيمان بالسنن الإلهية ذو مردود معنوي باهر في نفس المؤمن، فهو يشعر بالرضا والاطمئنان عن نفسه وعن ربه، ويرضى بقدر الله تعالى في السراء والضراء، وقد علم أن الله تعالى قد أتقن كل شيء، ولم يخلقه عبثا، بل كل شيء له تعالى فيه حكمة، فيرضى بما قسم الله له من رزق وقدرات، لأنه يؤمن بعدله تعالى وحكمته.

كما يشعر بالأمن النفسي، فلا يتحسر على ما فاته في الماضي، ولا يجزع من الحاضر، أو يخاف من المستقبل، فهو آمن على رزقه، لأن الله تعالى ضامنه، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا مِن**

---

[1] بتصرف، السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات ص ١٦، و انظر د. محمد آمحزون مقال العلم بالسنن الإلهية.

دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [1].

كما يعيش آمنا على أجله، لأنه يعلم أن له ميقاتا مسمى، وأنه سنة الله في عباده، فلا يخاف الموت، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [2].

وحين يعلم سنة الله في ابتلاء عباده المؤمنين بالشدائد ،وأن العاقبة للمتقين، يغمر جوانحه السكينة، وينشرح صدره بالأمل، ويبتعد عن القنوط، بل ينبعث النشاط في روحه وبدنه وتهون عليه مصائب الدنيا، ويثبت في الشدائد والمحن.

وإذا علم سنة الله في محاسبة الناس مؤمنهم وكافرهم، وأن تفاضل الناس بتفاضل تقواهم وأعمالهم الصالحة، كان ذلك دافعا له إلى إخلاص العمل وإتقانه، وللمسارعة إلى الخيرات والمداومة عليها، وإذا علم سنة الله في محاسبة الناس مؤمنهم وكافرهم، وأن تفاضل الناس بتفاضل تقواهم وأعمالهم الصالحة، كان ذلك دافعا له إلى إخلاص العمل وإتقانه، وللمسارعة إلى الخيرات والمداومة عليها.(٣)

٤- كما أن معرفة السنن الإلهية تمثل دافعا محركا، يحرك الناس في اتجاه العقيدة الصحيحة، لأن القرآن لا يؤكد ثبات السنن وصدقها فحسب، بل يحولها إلى دافع حركي، يفرض على الجماعات المسلمة أن تتجاوز مواقع الخطأ، التي قادت الجماعات البشرية إلى الهلاك والدمار، وأن تلتزم بفكر وسلوك الجماعات التي رفعت راية الإيمان، واستحقت لأجل ذلك رضا الله[4].

---

[1] سورة هود آية ٦.

[2] سورة المنافقين آية ١١.

(٣) انظر الإيمان والحياة من ص ٦١ حتى ص ١٩٨.

[4] بتصرف، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع، دراسة في علم الاجتماع الإسلامي: د. نبيل محمد توفيق السمالوطي ص ٥٤، دار الشروق جدة، ط:١ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م. وللاستفادة انظر الإسلام دعوة الحق: د. السيد رزق الطويل من ص ٢٢٣- ٢٣٤، إدارة النشر رابطة العالم الإسلامي مكة، ضمن سلسلة دعوة الحق السنة الخامسة العدد ٤٦ ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.

٧- رفض العادات والأخلاق الجاهلية بعد الإسلام:

وذلك بإلغاء شعائرها ومآثرها، وعادات أهلها فلا جاهلية في الإسلام، والجاهلية في الأصل صفة لكن غلب عليه الاستعمال حتى صار اسما، فيقال: طائفة جاهلية وشاعر جاهلي، وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم، فإن من لم يعلم الحق، فهو جاهل جهلا بسيطا، فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلا مركبا، وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل، وإن علم أنه مخالف للحق، كما قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ... ﴾[١].

والناس قبل بعث الرسول صلى الله عليه وسلم؛ كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل، وكذلك كل ما يخالف ما جاء به المرسلون من يهودية ونصرانية فهي جاهلية، وتلك كانت الجاهلية المطلقة، فأما بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد تكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم، فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم ، ولا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة[٢].

وبعد الفتح أعلن النبي صلى الله عليه وسلم إلغاء مآثر الجاهلية وسننها وعاداتها، ومن ذلك ما قاله في خطبته:((يأيها الناس، إن الله أذهب عنكم عُبية الجاهلية، وتعاظمها بآبائها...))[٣]، وقد روى الإمام البخاري رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم :((أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ... ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية[٤]))[٥]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

---

[١] سورة النساء جزء من آية ١٧.

[٢] بتصرف، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : شيخ الإسلام ابن تيمية من ص ٢٢٤- ٢٢٧، تحقيق د. ناصر عبد الكريم العقل ط:١، ١٤٠٤هـ.

[٣] سبق تخريجه ص ١٤٢.

[٤] قال الحافظ ابن حجر: قيل المراد من يريد بقاء سيرة الجاهلية أو إشاعتها وتنفيذها، وسنة الجاهلية اسم جنس يعم جميع ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه من أخذ الجار بجاره، والحليف بحليفه ونحو ذلك من ثارات الجاهلية، ويلتحق بذلك ما كانوا يعتقدونه، والمراد منه ما جاء الإسلام بتركه، كالطيرة والكهانة وغير ذلك. بتصرف، فتح الباري ٢١٠/١٢ ح ٦٨٨٢.

[٥] صحيح البخاري كتاب الديات باب من طلب دم امرئ بغير حق ٣٩/٨. والحديث بتمامه:((أبغض الناس إلى الله

فأضاف العُبيَّة والفخر إلى الجاهلية، يذمها بذلك، وذلك يقتضي ذم الأمور المضافة إلى الجاهلية[1].

فالسنة الجاهلية هي كل عادة كانوا عليها، فإن السنة هي العادة، وهي الطريقة التي تتكرر، فمن عمل شيئا من سننهم، فقد اتبع سنة جاهلية، ويندرج فيه كل جاهلية ، مطلقة أم مقيدة، يهودية أو نصرانية أو وثنية.. الخ، فإنها جميعها صارت جاهلية بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم [2].

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد رحمه الله: أنه صلى الله عليه وسلم قال في خطبته:((أما بعد، فإن الله عز وجل حرم مكة، ولم يحرمها الناس، وإنما أحلها لي ساعة من النهار أمس، وهي اليوم حرام كما حرمها الله عز وجل أول مرة، وإن أعتى الناس على الله عز وجل ثلاثة: رجل قتل فيها، ورجل قتل غير قاتله، ورجل طلب بذَحل[3] في الجاهلية)[4]، وذلك لأن الرجل الذي قتل كان لثأر قديم في الجاهلية.

ومن الجاهلية التي ألغاها الإسلام، جاهلية الأمم السابقة، فتجد النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفتح ينفر من أعمال الأمم السابقة المخالفة للدين، فبعد أن أعلن حرمة بيع الخنزير والخمر والأصنام، ثم استأذنه بعض الصحابة في بيعها لأغراض مباحة، نهاهم عن ذلك، وقرن ذلك بلعن اليهود الذين اتخذوا الحيل دينا، لما حرم الله عليهم شحوم الميتة، احتالوا فأذابوها ثم باعوها وأكلوا أثمانها، وقد كان في إمكانه صلى الله عليه وسلم أن يكرر النهي، لكنه ذكر أن هذا فعل المعرضين عن الله، فلا يجوز مشابهتهم، ليبقى حاجز الكراهية في قلب المؤمن لأعداء الله، وتصرفاتهم الجاهلية.

ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه)).

[1] بتصرف، المرجع السابق ٢١٦/١.

[2] بتصرف، اقتضاء الصراط المستقيم ٢٢٧/١ -٢٢٨.

[3] الذَّحل: الوتر وطلب المكافأة بجناية جُنيت عليه من قتل أو جرح أو نحو ذلك، والذحل أيضا العداوة. النهاية في غريب الحديث ١٥٥/٢.

[4] المسند ٣٢/٤ عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه . ويوافقه في بعض معناه الحديث السابق في صحيح البخاري.

كذلك يشير صلى الله عليه وسلم إلى أن ضعف هذا الحاجز في قلوب المؤمنين، سيكون سببا في اتباع أهل المسلمين لأهل الجاهلية من الأمم السابقة، وذلك حين قال: ((والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم))[1].

والنبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، لم يلغ جميع ما جرت به عوائد أهلها ومعايشهم، و لم يغير كل سلوكياتهم ومعتقداتهم، إنما المقصود بالإلغاء من أمور الجاهلية ما خالف أسس الإسلام ومبادئه، فذلك ما نهى عنه وأمر بتركه، وجاء الذم بفعله، أو استحسانه وتفضيله على ما جاء به الإسلام، فذلك الذي تتم به الخسارة.[2]

---

[1] سبق تخريجه ص ١٧٨.

[2] للاستفادة الإطلاع على رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية، وقد ذكر الشيخ رحمه الله مائة مسألة من مسائل الجاهلية.

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بالشريعة والأخلاق.

توطئة:

لم يكن فتح مكة هو غاية الرسول صلى الله عليه وسلم، بل كان وسيلة إلى مقصد أعلى، يستطيع بما له من صلاحيات أن يحققه، وهو تبليغ ما أمره الله تعالى به، وإقامة دين الله في الأرض، على الوجه الذي شرعه، وقد بين تعالى المهمة الأولى والرئيسة للدولة المسلمة إذا مكنها الله، في قوله﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1]، فهذا هو المقصد من بسط سلطان الإسلام وحكمه على الأرض، ومن الممكن تقسيم هذا المقصد إلى قسمين:

القسم الأول: إقامة الدين الحق، وهو الإسلام، ويتضح ذلك فيما يلي:

(١) بحفظ العقيدة الإسلامية في صدور المؤمنين صافية نقية، ومما يعين على ذلك:

أ- العمل على نشر الدين والدعوة إليه، بالقلم واللسان والسنان.

ب- دفع الشبه والبدع والأباطيل ومحاربتها.

ج- توفير الأمن وتحصين الثغور والمرابطة في سبيل الله.

(٢) بتطبيق أحكام الإسلام، وذلك بإقامة شرائعه وحدوده، وتنفيذ أحكامه، وحمل الناس عليه ترغيبا وترهيبا.

القسم الثاني: سياسة الدنيا به، وذلك بأن تحكم هذه الحياة بما أنزل الله تعالى، وإدارة وتدبير جميع شئون الحياة وفقا لقواعد الشريعة ومبادئها وأحكامها[2].

وقد جاء الإسلام رحمة للخلق، كما قال تعال:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[3]، وقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]، لذلك اتجه الإسلام بأحكامه إلى تهذيب الفرد المسلم ليكون مصدر خير

---

[1] سورة الحج آية ٤١.

[2] بتصرف، الإمامة العظمى عند أهل الجماعة من ص ٧٩- ٩٣.

[3] سورة الأنبياء آية ١٠٧.

[4] سورة يونس آية ٥٧.

لجماعته، وذلك بالعبادات التي شرعها، وهي تهذيب للنفوس وتوثيق للعلائق الاجتماعية الفاضلة.

واتجه كذلك نحو غاية محققة ثابتة في كل الأحكام الإسلامية، وهي إسعاد البشرية، فما من أمر شرعه الله تعالى، إلا كانت فيه مصلحة حقيقية[1]، يجلبها لهم، أو مفسدة مضرة يدفعها عنهم، وبذلك تتحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله: (إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها... فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه)[2].

والمصالح التي عليها مدار الشريعة ثلاثة:

الأولى: درء المفاسد، المعروف عند أهل الأصول بالضروريات، وهي الدين والنفس والنسل والمال والعقل.

الثانية: جلب المصالح، المعروف عند أهل الأصول بالحاجيات المؤدية إلى رفع الضيق والحرج والمشقة.

الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، المعروفة عند أهل الأصول بالتحسينيات والتتميمات[3].

فشملت هذه المصالح الإسلام بمجموعه المكون من عقيدة وشريعة وأخلاق، وقد سبق ذكر الدروس المستفادة المتعلقة بالأمور العقدية، والمبحث الحالي يحتوي على الدروس المتعلقة بالشريعة والأخلاق، وذلك ضمن مطلبين:

---

[1] بتصرف، أصول الفقه: الشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٨٩، دار الفكر العربي القاهرة، ط: بدون ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م.

[2] باختصار، أعلام الموقعين عن رب العالمين: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية ٣/٣، تحقيق ومراجعة طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل بيروت لبنان، ط:بدون ١٩٧٣م.

[3] بتصرف، أضواء البيان ٣/ ٤٠٨، وللاستفادة انظر تفصيله لذلك نفس المرجع ٤٠٩/٣- ٤١٢، وانظر الموافقات في أصول الشريعة: أبو اسحق الشاطبي ٢/ ٨- ١٣، تحقيق وتخريج الشيخ عبد الله دراز المكتبة التجارية الكبرى مصر ط: بدون. وعلم أصول الفقه: عبد الوهاب خلاف من ص ١٩٧- ٢٠٥، دار القلم الكويت ط:١٢، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م. وأصول الفقه: الشيخ محمد أبو زهرة من ص ٢٩١- ٢٩٣، وأصول الدعوة من ص ٥٨- ٦١ و ص ٣٠١، والإسلام عقيدة وشريعة: ص ١٠، والدعوة الإسلامية: د. أحمد غلوش من ص ٣٣- ٧٣.

المطلب الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بالشريعة.

المطلب الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بالأخلاق.

المطلب الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بالشريعة.

الشريعة لغة: من شرع، والشريعة: مَشرعة الماء وهو مورد الشاربة التي يشربون منها ويستقون، وسميت الشريعة تشبيها لها بشريعة الماء، بحيث من شرع فيه روي وطهر[1]. والشريعة: الطريقة، وشرع لهم يَشْرَع شرعا: أي سنّ، والشريعة والشرعة : الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة[2].

وتطلق الشريعة على الدين والملة، قال تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ... ﴾ [3]، وقال تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ..... ﴾ [4]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: شرعة: أي سبيلا وسنة[5].

يقول ابن تيمية رحمه الله: وأما ألفاظ(الشريعة والشَرع والشِرعة، فإنه ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال)[6].

الشريعة اصطلاحا: (هي كل ما سنه الله لعباده من الأحكام الاعتقادية والأخلاقية والعملية)[7]، أو شرع أصولها، وكلف المسلمين إياها، ليأخذوا أنفسهم بها في علاقتهم مع الله –العبادات–، أو علاقتهم مع الناس– المعاملات[8].

---

[1] الصحاح باب العين فصل الشين ١٢٣٦/٣، وتاج العروس فصل الشين من باب العين ٣٩٤/٥.

[2] بتصرف، الجامع لأحكام القرآن ٢١١/٦، والعمدة في غريب القرآن: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، (ت ٤٣٧) ص ٢٧١، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي مؤسسة الرسالة بيروت ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

[3] سورة الجاثية جزء من آية ١٨.

[4] سورة المائدة جزء من آية ٤٨.

[5] لسان العرب ١٧٦/٨.

[6] الفتاوى ١٩/ ٣٠٦.

[7] خصائص الشريعة الإسلامية: د. عمر سليمان الأشقر ص ١١، دار النفائس الأردن ومكتبة الفلاح الكويت، ط:٣، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

[8] بتصرف، الإسلام عقيدة وشريعة ص ٤٦.

وإذا كان الإيمان محله القلب وهو اليقين والتصديق، فإن الشريعة هي مجال التطبيق العملي لهذا اليقين، وقد عبر عنها القرآن بالعمل الصالح في كثير من الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾ [1].

وللشريعة الإسلامية خصائص تميزها عن غيرها من الشرائع الباطلة[2]، ومن خصائص الشريعة التي تتجلى في هذه الغزوة ما يلي:

[١]: أنها شريعة إلهية ربانية:

فهي الشريعة الوحيدة التي لها الحق في أن تسود وتحكم، لأنها من عند الله تعالى الحاكم المهيمن، القائل: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ ... ﴾ [3]، فله الشرع ابتداء، لا ينازعه ولا يشاركه فيه غيره، وهذا هو التوحيد الذي دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة منذ أول يوم في بعثته، وهو مقتضى (لا إله إلا الله)[4]، فالألوهية لا تعني فقط أن الله هوا لخالق الرازق، وأنه المقدر المدبر، فذلك ما كان يسلم به أكثر الكافرين[5]، لكن الألوهية تعني مع ذلك أن لله الأمر والحكم والتشريع[6]:﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [7]

وهذه هي الحقيقة التي أكدها النبي صلى الله عليه وسلم لأهل مكة من أول يوم بعد الفتح لما قال:((لا إله ألا الله وحده لا شريك له))[8]، فشهادة التوحيد تنفي الألوهية أولا

---

[1] سورة الكهف آية ١٠٧.

[2] للاستفادة انظر التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي: عبد القادر عودة ١/ ١٧- ٢٥، مؤسسة الرسالة بيروت ط:١١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

[3] سورة الأنعام جزء من آية ٥٧.

[4] بتصرف، مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة: أبو الأعلى المودودي ص ١٤٣، دار القلم الكويت ط: بدون ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، وانظر خصائص الشريعة الإسلامية: د. عمر سليمان الأشقر ص ٣٥، والإمامة العظمى ص ٩٣.

[5] كقوله تعالى﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾. سورة الزخرف آية ٩.

[6] بتصرف، أصول الشرعية الإسلامية مضمونها وخصائصها: د. علي جريشة ص ١٤- ١٥، مكتبة وهبة مصر ط:١، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

[7] سورة الأعراف جزء من آية ٥٤.

[8] سبق تخريجه ص ١٤١.

عن سوى الله، ثم تثبتها له وحده ، لئلا يكون معه آلهة أخرى يحلون ويحرمون ويشرعون، وقد قال صلى الله عليه وسلم مؤكدا أن الله هو المشرع:((إن مكة حرمها الله و لم يحرمها الناس))[1]، وهذا من شأنه أن يضفي على أحكام الشريعة هيبة واحتراما في نفوس المؤمنين بها، حكاما كانوا أو محكومين، لأنها صادرة من عند الله، الذي له حق الطاعة، وذلك أعظم ضمان لتطبيق الشريعة وعدم الخروج عليها[2].

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن يبين أن الله تعالى هو الذي حرم مكة، لئلا تقع شبهة بين الناس، كما قال:((فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فقولوا له: إن الله أذن لرسوله و لم يأذن لكم))[3].

[٢]: تميزها باليسر ورفع الحرج[4]حماية للنفس من مشقة التكاليف:

وكونها ميسرة لا حرج فيها، نتيجة لسعتها وكمالها، وصلاحها لكل زمان ومكان[5].

وقد نص القرآن على يسر الشريعة الإسلامية في أكثر من موضع، كقوله تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ.. ﴾ [6]، وقوله:﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ .. ﴾ [7]، وقوله تعالى في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم :﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ .. ﴾ [8]، وقوله فيما علمنا أن ندعوه به :﴿

---

[1] سبق تخريجه ص ١٤٤.

[2] بتصرف، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: د. عبد الكريم زيدان ص ٤٢، مكتبة القدس بغداد مؤسسة الرسالة بيروت ط:٦، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

[3] سبق تخريجه ص ١٤٤.

[4] رفع الحرج اصطلاحا:(هو التيسير على المكلفين بإبعاد المشقة عنهم، في مخاطبتهم بتكاليف الشريعة الإسلامية)، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية: عدنان محمد جمعة ص ٢٥، دار الإمام البخاري للطباعة والنشر دمشق، ط:١ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، وقد أفاد المؤلف في شرح هذه القاعدة الأصولية، وربطها بما يتعلق بغيرها من القواعد.

[5] للاستفادة، انظر العبادة في الإسلام : د: يوسف القرضاوي من ص ١٨٨- ٢٠٠، مؤسسة الرسالة ط:٢، ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

[6] سورة البقرة جزء من آية ١٨٥.

[7] سورة المائدة جزء من آية ٦.

[8] سورة الأعراف جزء من آية ١٥٧.

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ .. ﴾[1]، ومن شمائله صلى الله عليه وسلم ما وصفته به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه: ما خير بين أمرين إلا أختار أيسرهما ما لم يكن إثما[2][3].

ويجب على المسلم أن يدرك أن الشريعة إنما جاءت لإخراج المكلف عن اتباع هواه، ليحقق كمال التعبد لله، ويسر الشريعة ليس في جريها مع الأهواء، لأن اتباع الهوى من أضل الضلال، وقد قال تعالى:﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾[4]، فأصحاب الأهواء والقلوب المريضة، يشتكون من ثقل التكاليف، ولا يشعرون بهذا اليسر.

وحقيقة يسر الشريعة أنها لا تأتي بما فيه مشقة بالغة بحيث لا يطيقها المرء أبدا، وقد قال تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ... ﴾[5]، أما إن كانت المشقات دون ما لا يطاق، لكن العامل يجد في ذلك العمل مشقة عليه، فذلك هو الذي جاءت الشريعة بتخفيفه، ومراعاة حاجة المكلف إلى اليسر فيه[6].

وقد يصاحب بعض التكاليف ظروف معينة تؤدي إلى حصول المشقة، والضرر للمسلم إن فعلها، فيخفف عنه الشارع[7]، عملا بالقاعدة الشرعية: (المشقة تجلب التيسير)[8]، فيخفف الفريضة الشرعية تخفيف تنقيص:[1] كقصر الصلاة في السفر، فعن

---

[1] سورة البقرة جزء من آية ٢٨٦.

[2] انظر الحديث في صحيح البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ١٦٦/٤، وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته ١٨١٣/٤ ح ٢٣٢٧.

[3] انظر تاريخ التشريع الإسلامي الشيخ محمد الخضري بك ص ١٧، دار الكتب العلمية بيروت ط: بدون ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

[4] سورة محمد آية ١٤.

[5] سورة البقرة جزء من آية ٢٨٦.

[6] بتصرف، تأملات دعوية في السنة النبوية ص ٥٤- ٥٥.

[7] انظر الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٥٧، وخصائص الشريعة الإسلامية: د. عمر الأشقر ص ٦٣.

[8] الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية: الإمام جلال الدين السيوطي ص ٧٦، دار الكتب العلمية بيروت ط:١ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

ابن عباس رضي الله عنهما قال:(أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة تسعة عشر يوما يصلي ركعتين)[٢].

أو تخفيف تأخير: كفطره صلى الله عليه وسلم أيام رمضان وأمره الناس بالفطر، وتأجيل الصيام، محافظة على قوة المسلمين وأنفسهم أمام أعدائهم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه :(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان، فصام حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه، حتى نظر الناس إليه، ثم شرب، فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام، فقال:((أولئك العصاة، أولئك العصاة))[٣]، معنفا عليهم مخالفتهم للرخصة، وإدخال المشقة على أنفسهم.

وفي رواية أخرى(أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الناس في سفره عام الفتح بالفطر، وقال: تقووا لعدوكم. فصام النبي صلى الله عليه وسلم - قال الراوي:- لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بالعَرْج[٤]، يصب فوق رأسه الماء من العطش- أو من الحر- ، فقيل: يا رسول الله، إن طائفة من الناس صاموا حين صمت. فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكَديد، دعا بقدح فشرب فأفطر الناس)[٥].

أو تخفيف إبدال: كالتيسير على من نذر طاعة في مكان معين، يشق عليه الذهاب إليه، وفي مكان ليس بأفضل من مكان الناذر، فإنه لا يجب عليه الوفاء بإيقاع المنذور به في ذلك

---

[١] وتخفيف الشرع ستة أنواع: تخفيف إسقاط، كإسقاط الجمعة بالأعذار، وتخفيف تنقيص، كالقصر، وتخفيف إبدال، كإبدال الوضوء بالتيمم، وتخفيف تقديم، كالجمع، وتخفيف تأخير كتأخير رمضان للمسافر، وتخفيف ترخيص، كشرب الخمر للغصة، بتصرف، المرجع السابق ص ٨٢.

[٢] سبق تخريجه ص ١٥٠.

[٣]صحيح مسلم كتاب الصيام باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية.. الخ ٧٨٥/٢ ح ١١١٤.

[٤]هو واد فحل من أودية الحجاز التهامية، في طريق الحاج من مكة إلى المدينة، جنوب المدينة على ١٣ كيلا. بتصرف، معجم المعالم الجغرافية ص ٢٠٣.

[٥] مسند الإمام الشافعي: الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي. ص ١٥٧، واللفظ له، نسخة مطابقة للنسخة المطبوعة في مطبعة بولاق الأميرية، والنسخة المطبوعة في بلاد الهند، دار الكتب العلمية لبنان بيروت ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، وسنن أبي داود كتاب الصيام باب الصوم في السفر ٣١٦/٢ ح ٢٤٠٦، ومسند الإمام أحمد ٤٧٥/٣ عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

المكان، بل يكون الوفاء بالفعل مكان الناذر[1]، فقد حدث(أن رجلا قام يوم الفتح، فقال: يا رسول الله، إني نذرت لله إن فتح الله عليك مكة، أن أصلي في بيت المقدس ركعتين، قال: ((صلِّ هاهنا)) ثم أعاد عليه، فقال: ((صلِّ هاهنا))، ثم أعاد عليه، فقال: ((شأنك إذا))[2].

قال الإمام النووي رحمه الله: فإن صلى في المسجد الحرام، أجزأه عن النذر، لأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل، فيسقط به فرض النذر، وإن نذر أن يصلي في المسجد الأقصى، فصلى في مسجد المدينة أجزأه[3].

[٣]: تشريع الأصلح والأنفع للناس:

فالشريعة الإسلامية وحدها من بين الشرائع هي التي تحقق مصالح العباد، وتدفع المفاسد عنهم، ورجال القانون الذين يدعون أن قوانينهم إنما وضعت لتحقيق ذلك، أثبتوا أنهم أعجز من أن يستطيعوا إدراك جميع المصالح، ودفع جميع المفاسد[4].

بل إن ذلك مما اختصت به الشريعة الإسلامية، وبرهان هذا: أن الشارع علَّل كثيرا من أحكامه بمصالح الناس، ودلَّ بشواهد عدة، أن المقصود من تشريع الأحكام، تحقيق تلك المصالح، وقرَّر أن الأحكام تدور مع عللها وجودا وعدما، ولهذا شرع الله بعض الأحكام ثم أبطلها ونسخها لما اقتضت المصلحة تعديلها[5].

---

[1] بتصرف، عون المعبود ٩/ ١٣٢، وقد ذهب الإمام الطحاوي إلى عدم لزوم أفضلية المكان البديل، وقال: ثبت أن من أوجب على نفسه صلاة في مكان، فصلاها في غيره أجزأه. بتصرف، شرح معاني الآثار ٣/١٢٥- ١٢٨.

[2] سنن أبي داود كتاب الإيمان والنذور باب من نذر أن يصلي في بيت المقدس ٣/٢٣٦ ح ٣٣٠٥، وقال في حاشية عون المعبود: صححه الحافظ تقي الدين بن دقيق العيد ٩/١٣٣، وسنن الدارمي: الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن الفضل بن بهرام الدارمي كتاب النذر باب من نذر أن يصلي في بيت المقدس، أيجزئه أن يصلي بمكة؟ ٢/١٨٤، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون، والسنن الكبرى: البيهقي كتاب النذور باب من لم ير وجوبه بالنذر أو أقام الأفضل من هذه المساجد الثلاثة مقام ما هو أدنى منه ١٠/٨٢، والمستدرك على الصحيحين كتاب النذور ٤/٣٠٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وتابعه الذهبي وسكت عنه، وشرح معاني الآثار كتاب الإيمان والنذور باب الرجل يوجب على نفسه أن يصلي في مكان فيصلي في غيره ٣/١٢٥.

[3] بتصرف، المجموع شرح المهذب: الإمام أبو زكريا يحي الدين بن شرف النووي ٨/ ٤٧٣، دار الفكر ط: بدون.

[4] بتصرف، خصائص الشريعة الإسلامية: د. عمر الأشقر ص ٧٨.

[5] بتصرف، خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي: عبد الوهاب خلاف ص ٢٢، دار القلم للطباعة والنشر الكويت، ط: بدون.

ومن أمثلة ذلك أن الإسلام أباح نكاح المتعة عند اضطرار الصحابة إليه، ثم نسخ ذلك عند ارتفاع الضرورة، وحرمه إلى يوم القيامة، (فالنسخ أصل من أصول الشريعة، قد ورد به كتاب الله تعالى، ووجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الله يشرع لعبيده ما هو الأصلح لهم، ثم ينسخه بغيره إذا أراد ذلك، فيكون هو الأصلح لهم)[1]، فعن سَبْرة الجهني[2] رضي الله عنه قال: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمتعة عام الفتح، حين دخلنا مكة، ثم لم نخرج منها حتى نهانا عنها)[3].

كما استثنى الإذخر من جملة ما حرمه من نبات مكة، فأباحه لما علم حاجة الناس إليه في بيوتهم وتكفين موتاهم، فقال: ((إلا الإذخر))[4]، فهذا النسخ والتبديل والتعديل في وقت التشريع، يبرهن على أن التشريع الإسلامي لاحظ مصالح الناس و لم يهملها.

واعتبارا لمصالح الناس راعى الشارع العُرف [5] وقت التشريع، ما دام أنه لا يهدم أصلا من أصول الدين، لأن من مصالح الناس أن تراعى عاداتهم وما جرى به عرفهم، ما دام لا يعارض أصلا دينيا، ولا يجلب ضررا[6]، فراعى العرف في إلزام الزوج بالنفقة على زوجه وأولاده[7].

---

[1] رسالة تحريم نكاح المتعة: أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي ص ٤٦، تحقيق: الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢.

[2] هو سبرة بن معبد بن عوسجة بن حرملة الجهني، نزل المدينة وشهد الخندق وما بعدها، مات في خلافة معاوية رضي الله عنهما. بتصرف، الإصابة ١٤/٢.

[3] وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((يأيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) والروايتان عند مسلم في صحيحه كتاب النكاح باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ، ثم أبيح ثم نسخ ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة ٢/ ١٠٢٥ ح ١٤٠٦.

[4] سبق تخريجه ص ١٤٥.

[5] العرف هو: (ما استقرت عليه نفوس الناس، وتلقته طباعهم السليمة بالقبول، وصار عندهم شائعا في جميع البلاد أو بعضها، قولا كان أو فعلا). أصول مذهب الإمام أحمد دراسة أصولية مقارنة: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ص ٥٢٢، مكتبة الرياض الحديثة، ط:٢، ١٣٩٧هـ. والعرف والعادة لفظان مترادفان، انظر مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه: عبد الوهاب خلاف ص ١٤٥، دار القلم الكويت ط:٤، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م. وانظر أصول الفقه محمد أبو زهرة ص ٢١٦.

[6] بتصرف، خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي ص ٢٣.

[7] انظر حديث هند رضي الله عنها ص ٢٧٩ من هذا البحث.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله : (وكل هذه النفقات وتوابعها، مقيدة بالمعروف، ويختلف المعروف باختلاف الأوقات والبلدان والأحوال، ومتى امتنع من وجبت عليه النفقة، في هذه الأحوال أجبر على ذلك، ولمن له النفقة- مع امتناع المُنفق- الأخذ من ماله ولو بغير علمه ورضاه)[1].

واستنبط العلماء من هذه المراعاة والمسايرة القاعدة الفقهية: (العادة محكمة)، قال الإمام السيوطي[2] رحمه الله: (اعلم أن اعتبار العادة والعرف رُجع إليه في الفقه في مسائل لا تعد كثيرة)[3].

والمصالح التي راعتها الشريعة، ليست تابعة لأهواء النفوس، كما بين ذلك الإمام الشاطبي[4] رحمه الله بقوله: (المصالح المجتلبة شرعا، والمفاسد المُستدفعة، إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية، أو درء مفاسدها العادية)[5].

فيجب أن يتنبه المسلمون أن ميزان المصلحة هو: الشريعة الإسلامية نفسها، فما شهدت له بالصلاح، فهو المصلحة قطعا، وما شهدت له بالفساد، فهو المفسدة قطعا، وأي خروج على هذا الميزان، هو اتباع للهوى، والهوى باطل لا يصلح معيارا لتمييز الصلاح عن

---

[1] الإرشاد إلى معرفة الأحكام: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ١٩٢- ١٩٣، مكتبة المعارف الرياض، ط: بدون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

[2] هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف، ولد سنة ٨٤٠هـ، ونشأ يتيما في القاهرة، ولما بلغ ٤٠ سنة اعتزل الناس فألف أكثر كتبه توفي رحمه الله سنة ٩١١هـ. بتصرف، معجم المؤلفين ١٢٨/٥، والأعلام ٣٠١/٣.

[3] الأشباه والنظائر ص ٩٠.

[4] هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من الأئمة المالكية، توفي سنة ٧٩٠ هـ رحمه الله . بتصرف، معجم المؤلفين ١١٨/١، الأعلام ٧٥/١.

[5] الموافقات ٢/ ٣٧- ٣٨، وقد ذكر أربعة أدلة على قوله أنظر من ص ٣٨-٤٠، وانظر ما ذكره د. محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية من ص ٤٤- ٦٩، مؤسسة الرسالة بيروت، ط:٢، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

الفساد[1]، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ .. ﴾ [2].

وقد كانت مرحلة الفتح مرحلة تثبيت لدعائم الشريعة، وإعلان لبعض أصولها، فقد اقتربت مرحلة إكمال الدين وإتمام النعمة، وصاحب ذلك دخول أعداد كبيرة من أهل مكة، ومن حولها في الإسلام، ومن خلال استعراض الأحداث التي وقعت في هذه الغزوة، يمكن ترتيب وإيجاز الدروس الدعوية المتعلقة بالشريعة على الوجه الآتي:

أولا: الأحكام المتعلقة بالعبادات:

العبادة كلمة جامعة شاملة لكل الشعائر التعبدية التي يتقرب بها المسلم إلى ربه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه، وغير ذلك من أمثال العبادة لله[3].

فهي الغاية المحبوبة والمرضية عنده تعالى، والتي خلق لها الخلق جميعا، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [4].

والمقصود بالعبادات في هذا المبحث: الصور المحددة التي شرعها الإسلام، للتقرب إلى الله تعالى، واتخذها شعائر مميزة له، وعين لها مواقيت ومقادير وكيفيات، لا مجال للتبديل أو التعديل فيها[1].

---

[1] بتصرف، انظر خصائص الشريعة الإسلامية: د. عمر الأشقر ص ٨٦. وشروط المصلحة التي يبنى عليها التشريع هي: ١- أن يثبت بالبحث والاستقراء أنها مصلحة حقيقية لا وهمية. ٢- أن تكون مصلحة عامة لا شخصية. ٣- أن لا يعارض التشريع لها نصا ولا إجماعا. بتصرف، ، مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه ص ٩٩- ١٠٠.

[2] سورة المؤمنون جزء من آية ٧١. للاستفادة انظر المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية من ص ٣٩- ٦١.

[3] بتصرف، العبودية: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ص ٣٨، المكتب الإسلامي بيروت دمشق ط:٥، ١٣٩٩هـ.

[4] سورة الذاريات آية ٥٦.

وفي غزوة الفتح ظهرت بعض خصائص أو (أسرار) العبادات في الإسلام، منها- على سبيل المثال-:

= ملازمة المسلم لحال العبادة، فهو دائما عبد لله تعالى، في حال انقياده لمنهج الله وشرعه، يخضع أموره كلها لما يحبه الله ويرضاه، ويكيف حياته وسلوكه وفقا لهداية الله وشرعه، فإذا أمره الله تعالى أو نهاه، كان موقفه من ذلك كله: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير[٢].

= تحرير بعض العبادات من قيود الزمان[٣]، فالمسلم يستطيع التوجه بها لله تعالى في أي وقت، وهذا النبي صلى الله عليه وسلم يتوجه لله بخشوع وخضوع تاليا القرآن الكريم أثناء دخوله مكة، فقد رُئي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة، على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجِّع[٤].

= كذلك تحرير بعض العبادات من القيود المكانية، فلا يشترط أن تؤدى في المساجد فقط، بل الأرض الطاهرة كلها محراب كبير للمسلم، وقد قال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ... ﴾ [٥]، فيرى الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي في الكعبة ، ثم يصلي أمام أهل مكة في المسجد الحرام، فقد روي أنه(افتتح الصلاة يوم الفتح في الفجر، فقرأ بسورة المؤمنين، فلما بلغ ذكر موسى وهارون أصابته سعلة فركع)[٦].

---

[١] بتصرف، العبادة في الإسلام ص ٢٠٣، وقد استثنى المؤلف عبادتين لم تدخل في نطاق التحديد الوقتي أو المكاني وهما: الاحتساب والجهاد في سبيل الله.

[٢] بتصرف، المرجع السابق ص ٥٣.

[٣] وذلك لا يتعارض مع أن العبادات في الإسلام محددة تحديدا دقيقا كالحج أو الصيام والصلاة وغيره، وإن كان بعضها لم يحدد كالصدقة والدعاء وغيرهما.

[٤] سبق تخريجه ص ١٢٦.

[٥] سورة البقرة جزء من آية ١١٥. وبتصرف، العبادة في ا لإسلام ص ١٤٩.

[٦] مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه ٤١١/٣.

كما تروي عنه أم هانئ صلاة الضحى- أو صلاة الفتح كما يسميها البعض- لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم ثمان ركعات في بيتها[1].

= كما يخلص العبادة لله وحده، ويحتاط لذلك، فيأبى دخول البيت إلا بعد تطهيره من الأوثان[2]، سدا لأي ذريعة تفضي إلى الشرك أو إلى موافقة الكفار والتشبه بهم.

= ويحرص كذلك على اليسر ورفع الحرج والعنت عن المسلمين، وهذا وإن كان من خصائص تكاليف الإسلام الأساسية، فإنه يظهر بكل وضوح في تشريعات رخص واستثناءات خاصة للظروف الطارئة كالسفر والجهاد في سبيل الله، فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يقصر الصلاة طوال مدة سفره كما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال:(أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة تسعة عشر يوما يصلي ركعتين)[3] ، كما يرخص للمسافر بالفطر تخفيفا عليه.

ومن الأحكام التشريعية المتعلقة بالعبادات في هذه الغزوة ما يلي:

١) مشروعية الفطر في رمضان في السفر:

من خصائص الشريعة الإسلامية رفع الحرج عن العباد والتيسير عليهم، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون، أو الإضرار بهم بفرض ما يشق عليهم إتباعه، ومن ذلك الترخيص للمسافر الذي يشق عليه الصوم بالفطر في رمضان، ويتأكد ذلك إذا كان يحتاج الفطر للتقوي به على لقاء العدو[4]، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ... ﴾[5].

قال الإمام أبو بكر الجصاص[6]رحمه الله: (في هذه الآية دلالة واضحة على أن الإفطار في السفر رخصة يسر الله بها علينا، ولو كان الإفطار فرضا لازما؛ لزالت فائدة

---

[1]سبق تخريجه ص ١٣٩.

[2]سبق تخريج الحديث ص ١٢٧.

[3]سبق تخريجه ص ١٥٠.

[4] بتصرف، فتح الباري ٤/ ١٨٤ ح ١٩٤٦.

[5] سورة البقرة جزء من آية ١٨٥.

[6]هو أحمد بن علي الرازي أبو بكر الجصاص، فاضل من أهل الري، ولد سنة ٣٠٥، سكن بغداد ومات فيها، اشتهر بالزهد والورع، انتهت إليه رئاسة الحنفية مات سنة ٣٧٠ رحمه الله .بتصرف، معجم المؤلفين ٧/٢،

قوله ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ ﴾ ، فدل على أن المسافر مخير بين الإفطار وبين الصوم.. فكل موضع ذكر فيه اليسر ففيه الدلالة على التخيير)[1].

وقد كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في غزوة الفتح في شهر رمضان، كما روى ذلك الإمام البخاري:(أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في رمضان من المدينة... فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة، يصوم ويصومون، حتى بلغ الكَديد- وهو ماء بين عُسفان وقُدَيد، أفطر وأفطروا)[2].

وقد رجح الإمام النووي رحمه الله تفضيل أكثر العلماء الصوم لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر، فإن تضرر به، وحصلت المشقة فالفطر أفضل[3]، فالصوم هو الأصل، ولا يترك إلا لحاجة كالجهاد أو المشقة، فعن أبي سعيد الخدري[4] رضي الله عنه قال:(كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان، فمنا الصائم ومنا المفطر، فلا يجد الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم، يرون أن من وجد قوة فصام، فإن ذلك حسن، ويرون أن من وجد ضعفا فأفطر فإن ذلك حسن)[5].

وقد عزم النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه أن يفطروا وبين لهم الحكمة من ذلك، فعن أبي سعيد الخدري قال:(سافرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة ونحن صيام. قال: فنزلنا منزلا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إنكم قد دنوتم من عدوكم، والفطر أقوى لكم))، فكانت رخصة، فمنا من صام ومنا من أفطر. ثم نزلنا منزلا

والأعلام ١/١٧١. وانظر مقدمة أحكام القرآن ص ٤.

[1] باختصار ، أحكام القرآن ١/ ٢١٣، دار ا لكتاب العربي بيروت ط: بدون. وانظر المغني: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة ٣/ ١٤٩-١٥٠، مكتبة الرياض الحديثة ط: بدون.

[2] سبق تخريجه ص ١١٠.

[3] بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ٧/ ٢٢٩.

[4] هو سعد بن مالك بن سنان الخزرجي، استصغر يوم أحد واستشهد أبوه بها، شهد الخندق وما بعدها، حدث كثيرا عن النبي صلى الله عليه وسلم، توفي رضي الله عنه سنة ٧٤هـ. بتصرف، سير أعلام النبلاء ١٦٨/٣، والإصابة ٣٥/٢.

[5] صحيح مسلم كتاب الصيام باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية.. الخ ٧٨٧/٣ ح ١١١٦.

آخر، فقال: ((إنكم مصبحوا عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا)). وكانت عزمة، فأفطرنا)[1].

فكان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بالفطر حال الجهاد، ويعلل ذلك بدنوهم من عدوهم واحتياجهم إلى القوة التي يلقون بها العدو، وهذا سبب آخر غير السفر، والسفر مستقل بنفسه، ولم يذكره في تعليله، ولا أشار إليه، ولا ريب أن الفطر لذلك أولى من الفطر لمجرد السفر، بل إباحة الفطر للمسافر تنبيه على إباحته في هذه الحالة، فإنها أحق بجوازه، لأن القوة هناك تختص بالمسافر، والقوة هنا له وللمسلمين، ولأن مشقة الجهاد أعظم من مشقة السفر، ولأن المصلحة الحاصلة بالفطر للمجاهد أعظم من المصلحة بفطر المسافر، ولأن الله تعالى قال﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ... ﴾[2]، والفطر عند اللقاء من أعظم أسباب القوة[3].

٢) حكم إمامة الصبي:

انتظرت بعض القبائل العربية ما تسفر عنه معركة النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه، فلما أظهره الله عليهم، وكان الفتح إيذانا بظهور دين الإسلام، سارعت هذه القبائل إلى إعلان انضمامها إليه، وبادروا بتعلم ما فاتهم من الشرائع الإسلامية.

وكان في إحدى القبائل غلام فطن ذكي، كان يتلقى الركبان الذين يفدون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم يمرون بقومه، ويتصيد أخبار المسلمين منهم، ويتلقى منهم ما يقرؤنه، وذلك قبل إسلام أبيه وقومه، فلما بادر قومه بإسلامهم وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام وتعلموا الدين ، عادوا إلى أهليهم، وأعلموهم ببعض أحكام الصلاة والإمامة، وأخبروهم أن أولى الناس بالإمامة، هو أقرؤهم لكتاب الله، فلما بحثوا بينهم وجدوا هذا الغلام عمرو بن سلمة[4] رضي الله عنه ، الذي كان أحرصهم

---

[1] رواه مسلم في صحيحه كتاب الصيام باب أجر المفطر في السفر إذا تولى العمل ٢/ ٧٨٨ ح ١١٢٠.

[2] سورة الأنفال جزء من آية ٦٠.

[3] بتصرف، زاد المعاد ٢/ ٥٣- ٥٤. وتتمة كلامه رحمه الله : لو اتفق الدنو من العدو في الحضر، وكان في الفطر قوة لهم، فهل لهم الفطر؟ فيه قولان أصحهما دليلا: أن لهم ذلك، وهو اختيار ابن تيمية وبه أفتى العساكر الإسلامية لما لقوا العدو بظاهر دمشق. بتصرف، ص ٥٣.

[4] هو عمرو بن سلمة الجَرمي، أبو يزيد، قيل أنه وفد مع أبيه وله رؤية، نزل البصرة وتوفي بها رضي الله عنه سنة

على حفظ القرآن، فجعلوه إمامهم، يقول رضي الله عنه :(فما شهدت مجمعا من جَرْم[1]، إلا كنت إمامهم، وكنت أصلي على جنائزهم إلى يومي هذا)[2].

ويروي الإمام البخاري رحمه الله قصته عنه، قال: (كنا بما ممر[3] الناس، وكان يمر بنا الركبان، فنسألهم : ما للناس، ما للناس، ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله أوحى إليه- أو أوحى الله- بكذا، فكنت أحفظ ذلك الكلام، وكأنما يُغرى في صدري[4]، وكانت العرب تلوَّم[5] بإسلامهم الفتح، فيقولون: اتركوه وقومه، إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح، بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر[6] أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي صلى الله عليه وسلم حقا، فقال: صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآنا، فنظروا فلم يكن أحد أكثر مني قرآنا، لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم، وأنا ابن ست أو سبع سنين)[7].

٨٥هـ. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٥٢٣/٣، والإصابة ٥٤١/٣.

[1] يعني قومه. عون المعبود ٢/ ٢٩٦ .

[2] سنن أبي داود كتاب الصلاة باب من أحق بالإمامة ١٦٠/١ ح ٥٨٧، ومسند الإمام أحمد ٢٩/٥ عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه .

[3] قال الحافظ ابن حجر ويجوز في كلمة ممر الحركات الثلاث انظر فتح الباري ٨/ ٢٣ ح ٤٣٠٢، وفي سنن أبي داود : كنا بحاضر يمر بنا الناس، قال الإمام الخطابي: الحاضر: القوم النزول على ما يقيمون به لا يرحلون عنه، وربما جعلوه اسما لمكان الحضور، يقال: نزلنا حاضر بني فلان . بتصرف، عون المعبود ٣٩٢/٢.

[4] أي يلصق بالغراء، وفي رواية يقرُّ من القرار . فتح الباري ٢٣/٨. وعند أبي داود وكنت غلاما حافظا، فحفظت من ذلك قرآنا كثيرا.

[5] أي تنتظر. المرجع السابق ٨/ ٢٣.

[6] أي سبق. المرجع السابق ٨/ ٢٣.

[7] سبق تخريجه ص ١٦٥، وتتمة الحديث:(وكانت علي بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطوا عنا است قارئكم. فاشتروا لي قميصا، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص). وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب من أحق بالإمامة ١٥٩/١ ح ٥٨٥ وقال فيه:(فاشتروا لي قميصا عمانيا، فما فرحت بشيء بعد الإسلام فرحي به، فكنت أؤمهم وأنا ابن سبع أو ثمان سنين)، والمصنف: عبد الرزاق الصنعاني ٣٩٩/٢ ح ٣٨٤٩.

فدل الحديث على أن الأحق بالإمامة هو الأكثر قرآنا، وقد رجح جمع من العلماء جواز إمامة الصبي إذا كان مميزا وقارئا للقرآن[1]، أو لشيء منه، ولم يوجد في المأمومين من هو أفضل منه، سواء في الفريضة أو النافلة[2]، ومنع بعضهم ذلك[3].

٣)مشروعية الصلاة في جوف الكعبة:

كان من المعروف عند أهل مكة الدخول إلى الكعبة والدعاء فيها، تحت رعاية حجبة البيت، وبعد صلح الحديبية قام المسلمون بعمرة القضاء، ولم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة، لما كان فيها من الأصنام والصور، التي لم يكن المشركون يتركونه ليغيرها، فلما فتح مكة، تمكن من ذلك، أزال الصور والأصنام ثم دخل البيت[4].

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة يوم الفتح، بعد تطهيرها من الأوثان والصور، وأنه صلى فيها نافلة، ومكث بداخلها يدعو الله ويشكره ويكبره، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته، مردفا أسامة بن زيد ومعه بلال، ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة، حتى أناخ في المسجد، فأمره أن يأتي بمفتاح البيت، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة، فمكث فيه نهارا طويلا، ثم خرج فاستبق الناس، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل، فوجد بلالا وراء الباب

---

[1] كالحسن البصري والشافعي واسحق ابن راهويه وابن حزم، وكرهها مالك والثوري والأوزاعي وإليه ذهب أصحاب الرأي، وعن أحمد وأبي حنيفة روايتان، والمشهور الإجزاء في النوافل دون الفرائض وقال الهادي والناصر بعدم صحتها. بتصرف، معالم السنن: أبو سليمان الخطابي ١/ ٣٠٦، في حاشية مختصر سنن أبي داود الحافظ المنذري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ط: بدون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، و انظر سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام: الإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني ٢/ ٢٧، راجعه وعلق عليه: الشيخ محمد عبد العزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي ط:٤، ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م.

[2] وقال الحافظ ابن حجر: هي خلافية مشهورة، وللاستفادة انظر فتح الباري ٨/ ٢٣، ونيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: الإمام محمد علي بن محمد الشوكاني ٣/ ٢٠٢، دار الجيل لبنان ط: بدون ١٩٧٣م. والسيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: الشيخ محمد بن علي الشوكاني ٢٤٨/١، تحقيق محمود إبراهيم زايد دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط:١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، وعون المعبود ٢/ ٢٩٤ ح ٥٨١.

[3] انظر المدونة الكبرى: الإمام مالك بن أنس ٨٤/٤، دار صادر بيروت، ط: ١، بدون تاريخ، وانظر المبسوط ١٨٠/١.

[4] بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ٨٨.

قائما، فسأله: أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه، قال : فنسيت أن أسأله كم صلى من سجدة)[1].

وعند الإمام مسلم(فقال عبد الله: فبادرت الناس. فتلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا، وبلال على إثره، فقلت لبلال: هل صلى فيه رسول الله؟ قال : نعم. قلت: أين؟ قال: بين العمودين، تلقاء وجهه)[2]. [3]

وقد علل إغلاقه الباب (مخافة أن يزدحموا عليه، لتوفر دواعيهم على مراعاة أفعاله ليأخذوها عنه، أو ليكون ذلك أسكن لقلبه، وأجمع لخشوعه، وإنما أدخل معه عثمان، لئلا يظن أنه عزل من ولاية البيت، وبلالا وأسامة لملازمتهما خدمته)[4].

والذي عليه العلماء أنه صلى الله عليه وسلم دخل مرة واحدة فقط في الفتح و لم يدخلها في حجته[5]، تيسيرا على أمته، ودخول الكعبة ليس بواجب، إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أعلم بعد دخوله إياها، أنه ود أن لم يكن دخلها، مخافة إتعاب أمته بعده، وهذا كتركه بعض التطوع والذي كان يحب أن يفعله لإرادة التخفيف عن أمته[6]، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:(خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندي وهو قرير العين طيب النفس، ثم رجع إلي وهو حزين القلب، فقلت: يا رسول

---

[1] صحيح البخاري كتاب المغازي باب دخول النبي صلى الله عليه وسلم من أعلى مكة ٥/ ٩٣.

[2] صحيح البخاري كتاب الحج باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره، والصلاة فيها، والدعاء في نواحيها كلها ٢/ ٩٦٦ ح ١٣٢٩.

[3] وعارض هذه الأحاديث ما رواه الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم (دخل البيت فكبر في نواحي البيت وخرج و لم يصل فيه)كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم رايته يوم الفتح ٥/ ٩٣، وقد ناقش هذا التعارض ورجح ثبوت الصلاة فيها العديد من العلماء، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٩/٨٢-٨٦، وفتح الباري ٣/ ٤٦٨ ح ١٦٠١ ، وشرح معاني الآثار كتاب الصلاة باب الصلاة في الكعبة ١/ ٣٨٩- ٣٩٣، واللباب في الجمع بين السنة والكتاب: الإمام أبو محمد علي بن زكريا المنبجي ص ٣٣٨-٣٣٩، تحقيق محمد فضل عبد العزيز المراد، دار الشروق للنشر والتوزيع جدة ط:١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م، ونيل الأوطار ٢/ ١٤٦،

[4] فتح الباري ١/٥٦٠ ح ٩٦٨. وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ٨٤.

[5] كما روى ذلك الأزرقي في أخبار مكة ١/ ٢٧٣.

[6] هذا ترجمة باب في كتاب المناسك في صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري ٤/٣٣٣، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي المكتب الإسلامي ط: بدون ١٣٩٠هـ،

الله، خرجت من عندي وأنت كذا وكذا. فقال:((إني دخلت الكعبة، وودت أني لم أكن فعلت، إني أخاف أن أكون قد أتعبت أمتي من بعدي))[1].

٤)مشروعية صلاة الضحى:

شرع الله لعباده الكثير من النوافل والسنن من صلاة وصيام وصدقة تطوع بالمال وبذل المعروف، رحمة بهم ورفعا لدرجاتهم يوم القيامة، ومن هذه النوافل صلاة الضحى التي صلاها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، فقد روت ذلك عنه أم هانئ رضي الله عنها:(أنه يوم فتح مكة اغتسل في بيتها، ثم صلى ثماني ركعات، قالت: لم أره صلى صلاة أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود)[2].

وصلاة الضحى من النوافل التي لا تصلى دائما بل تؤدى مرة بعد مرة، أو تؤدى عند سبب معين: كالشكر لله تعالى، أو عند القدوم من سفر أو حدوث فتح أو زيارة قوم معينين وغيره، كما ذكر ذلك بعض العلماء [3].

وقال قوم: إنما هي سنة الفتح، وقد صلاها خالد بن الوليد رضي الله عنه في بعض فتوحه كذلك[4].

---

[1] صحيح ابن خزيمة كتاب المناسك باب ذكر الدليل على أن دخول الكعبة ليس بواجب.. الخ ٣٣٣/٤، (إلى قوله: من بعدي) وقال المحقق: إسناده صحيح، ومسند الإمام أحمد ١٣٧/٦ عن عائشة رضي الله عنها، وسنن ابن ماجة كتاب المناسك باب دخول الكعبة ١٠١٨/٢، والسنن الكبرى كتاب الحج باب ما يستدل به على أن دخوله ليس بواجب ١٥٩/٥، وسنن الترمذي كتاب الحج باب ما جاء في دخول الكعبة ٢١٤/٣ ح ٨٧٣ وقال: حديث حسن صحيح.

[2] صحيح البخاري كتاب المغازي باب منزل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ٥/ ٩٣، وصحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات أو ست، والحث على المحافظة عليها ٤٩٧/١ ح ٣٣٦.

[3] لثبوت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفعل الصحابة بعده وقد رجح ذلك الإمام ابن القيم بعد تتبعه الأقوال في صلاة الضحى فبلغت أربعة أقوال، ومناقشته أدلة كل فريق، انظر زاد المعاد ١/ ٣٤١- ٣٦٠، والمجموع شرح المهذب ٣٥/٤-٤٠، وفتح الباري ٣/ ٥٥ ح ١١٧٧، وبذل المجهود في حل أبي داود: الشيخ خليل أحمد السهارنفوري ٢٦/٧، دار الكتب العلمية بيروت ط: بدون. وحول الآثار المروية في ذلك انظر المصنف: عبد الرزاق الصنعاني ٧٤/٣-٨١.

[4] حكاه الحافظ ابن حجر عن القاضي عياض، فتح الباري ٣/ ٥٤ ح ١١٧٦.

ثانيا: الأحكام التشريعية المتعلقة بالدماء:

وذلك من محافظة الإسلام على النفس الإنسانية وحق الحياة الضرورية، وذلك بحمايتها من الاعتداء عليها بالقتل أو الجرح، وإيجاب الدية والقصاص على من يعتدي عليها.

ومن ذلك ما يلي:

١) تشريع مقدار الدية في القتل شبه العمد[١]:

والقتل شبه العمد: (هو أن يقصد ضربه بما لا يقتل غالبا، إما لقصد العدوان عليه، أو لقصد التأديب له، فيسرف فيه، كالضرب بالسوط والعصا والحجر الصغير والوكز واليد، وسائر ما لا يقتل غالبا، إذا قتل فهو شبه عمد، لأنه قصد الضرب دون القتل، ويسمى عمد الخطأ، وخطأ العمد)[٢]، فهو ليس عمدا محضا ولا خطأ محضا، ويدخل تحته كل الأفعال التي يقصد منها الجاني العدوان و لم يقصد بها القتل، لكنها أدت إلى موت المجني عليه.

وحكمه: أن لا قود فيه، لأن الأصل صيانة الدماء فلا تستباح إلا بأمر بيِّن، وهو ليس عمدا محضا، وتدفع الدية لأولياء المقتول، ولأن الضرب مقصود بالفعل دون القتل، فوجبت فيه دية مغلظة[٣].

ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم الفتح:((ألا إن دية الخطأ شبه العمد- ما كان بالسوط والعصا- مائة من الإبل منها أربعون في بطونها أولادها)[٤].

---

[١] قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله مبينا الفرق بين القتل العمد وشبه العمد و الخطأ، العمد: أن يقصد شخصا ما بجناية تقتل غالبا، وهو يعلمه آدميا معصوما، وأما شبه العمد: فهو أن يقصد جناية لا تقتل غالبا، فاجتمع هو و العمد في قصد الجناية، واختص العمد بأن الجناية يغلب على الظن موته بها. وأما القتل الخطأ: فهو مضاد للأمرين كليهما، فلا يقصد الجناية، ولا يقصد القتل، بأن يرمي ما يظنه صيدا فيبين آدميا معصوما. بتصرف، الإرشاد إلى معرفة الأحكام ص ١٩٣.

[٢] المغني ٦٥٠/٧.

[٣] انظر الروض المربع شرح زاد المستقنع: العلامة منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ٢٥٦/٣، مكتبة الرياض الحديثة الرياض ط: بدون، وفقه السنة: سيد سابق ٤٣٧/٢، مكتبة دار التراث القاهرة ط: بدون. التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي ٩٤/٢، والآثار التشريعية في فتح مكة ٤٩٦/٢.

[٤] سبق تخريجه ص ١٤١.

قال الإمام البغوي[1] رحمه الله: (اتفق أهل العلم على أن دية الحر المسلم مائة من الإبل، ثم هي في العمد المحض مغلظة في مال القاتل حالَّة، وفي شبه العمد مغلظة على العاقلة[2] مؤجلة[3]، وفي الخطأ مخففة علىالعاقلة مؤجلة، والتغليظ والتخفيف يكون في أسنان الإبل)[4].

والمقصود من الدية الزجر والردع وحماية الأنفس، ولهذا وجب أن تكون بحيث يقاسي في أداءها المكلفون بها، ويجدون منها حرجا وألما ومشقة، وذلك إذا كان مالا كثيرا يضيقون بأدائه، ودفعه إلى المجني عليه، أو ورثته، فهي جزاء يجمع بين العقوبة والتعويض[5].

ولا يتعارض ذلك مع التخفيف عن القاتل وإعانته بإيجابها على عاقلته، لأن من حكمة هذا التشريع حفظ أرواح الناس، لأن الجاني على غيره خطأ، إذا علم ما يغرمه هو

---

[1] هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي، الإمام الحافظ، كان سيدا إماما عالما زاهدا، وكان يدعو إلى الاعتصام بالكتاب والسنة حتى استحق لقب(محيي السنة)، توفي رحمه الله بمرو بخراسان سنة ٥١٦هـ، وعمره بضع وسبعون سنة. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩.

[2] العاقلة هي العصبة والأقارب من قبل الأب، والعَقل: هو الدية، وأصله أن القاتل كان إذا قتل قتيلا، جمع الدية من الإبل، فعقلها بفناء أولياء المقتول، أي شدها في عقلها ليسلمها لهم، وكان أصل الدية: الإبل، ثم قومت بعد ذلك بالذهب والفضة والبقر والغنم وغيرها. بتصرف، النهاية في غريب الحديث ٢٧٨/٣. ولبيان مقدار الدية انظر الأحاديث المروية في سنن أبي داود كتاب الديات باب الدية كم هي؟ ١٨٤/٤ ح ٤٥٤١- ٤٥٤٦.

[3] قال ابن قدامة رحمه الله : ولا نعلم بين أهل العلم خلافا في أن دية الخطأ على العاقلة، وقد ثبتت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قضى بدية الخطأ على العاقلة، وكذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم دية عمد الخطأ علىالعاقلة، والمعنى من ذلك: أن جنايات الخطأ تكثر، ودية الآدمي كثيرة، فإيجابها على الجاني في ماله، يجحف به، فاقتضت الحكمة إيجابها على العاقلة، على سبيل المواساة للقاتل، والإعانة له تخفيفا عنه، إذا كان معذورا في فعله، وينفرد هو بالكفارة، ولا خلاف في أنها مؤجلة في ثلاث سنين، الخ . بتصرف، المغني ٧/ ٧٧٠- ٧٧١.

[4] شرح السنة ١٠/ ١٨٧، قال ابن قدامة رحمه الله في الفرق بين تغليظ الدية في القتل العمد وفي شبه العمد: أن قتل العمد المحض يغلظ من كل وجه، لقصده الفعل، وإرادته القتل، أما عمد الخطأ، فيغلظ من وجه، وهو قصده الفعل، ويخفف من وجه، وهو كونه لم يرد القتل. بتصرف، المغني ٧٦٧/٧.

[5] بتصرف، فقه السنة ٢/ ٤٦٦.

أو عاقلته فإنه يتحرز من الوقوع في الخطأ، لأن كثيرا منه قد يقع بسبب عدم التحرز والاحتياط[1].

٢) التسوية في القصاص بين المسلمين:

بين النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة تساوي دماء المسلمين في القصاص، يقاد الشريف منهم بالوضيع، والكبير بالصغير، والعالم بالجاهل، والرجل بالمرأة، وإذا كان المقتول شريفا أو عالما ، والقاتل وضيعا أو جاهلا، فلا يقتل به غير قاتله، على خلاف ما كان يفعله أهل الجاهلية، كانوا لا يرضون في دم الشريف بالاستقادة من قبيلة الوضيع، حتى يقتلوا عدة من قبيلة القاتل.

وهذه من حكمة التشريع الإسلامي، فتكافؤ الدماء سبيل للإقلال من القتل، لأنه إذا كان الشريف لا يقتل بالضعيف، فإن ذلك سبب لانتشار القتل والاستهانة بالدماء، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ... ﴾ [2]، فهي حياة للناس، لأن الشريف سيحجم عن سفك دم الضعيف إذا علم أنه يقتل به[3].

كذلك بين أنه لا يقتل مسلم بكافر، سواء كان الكافر ذميا له عهد مؤبد، أو مستأمنا وعهده إلى مدة، فعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم:((المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده[4]))[5]، وإلى هذا ذهب أكثر أهل العلم[6].

---

[1] من محاضرات د. محمد بن سعد اليوبي في مقاصد الشريعة، ضمن الدورة العلمية الرابعة بالمدينة المنورة عام ١٤١٩هـ.

[2] سورة البقرة جزء من آية ١٧٩.

[3] من محاضرات د. محمد اليوبي في مقاصد الشريعة.

[4] (أراد به أن ذا العهد لا يجوز قتله ابتداء ما دام في العهد، وفي ذكر المعاهِد أنه لا يقتل ابتداء فائدة، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أسقط القود عن المسلم إذا قتل الكافر، أوجب ذلك توهين حرمة دماء الكفار، فلم يؤمن من وقوع شبهة لبعض السامعين في حرمة دمائهم، وإقدام المسرع من المسلمين إلى قتلهم، فأعاد القول في حظر دمائهم، دفعا للشبهة، وقطعا لتأويل المتأول، والله أعلم) شرح السنة ١٠/١٧٦.

[5] سبق تخريجه ص ١٤٣ والرواية في سنن أبي داود، وانظر نيل الأوطار كتاب الدماء باب ما جاء لا يقتل مسلم بكافر والتشديد في قتل الذمي.. الخ ٧/١٥٠.

[6] انظر المجموع شرح المهذب ١٨/٣٥٦، والمغني ٧/٦٥٢- ٦٥٣، ونيل الأوطار ٧/١٥٠- ١٥٦.

فالكافر ناقص بالكفر، فلا يقتل به المسلم الذي أعزه الله بالإسلام، وكمله بالإيمان، فلا تتساوى دماؤهما، وعلى القاتل الدية، ولولي الأمر تعزيره بما يشاء سوى القتل، من حبس وغيره[1].

وقد ذكر أن سبب هذا هو اعتداء أحد الخزاعيين في مكة على رجل وقتله، بعد منع النبي صلى الله عليه وسلم القتال بمكة، فقال صلى الله عليه وسلم :((لو كنت قاتلا مؤمنا بكافر، لقتلته، فأخرجوا عقله))، فأخرجوا عقله[2]، وقال:((لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده)).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :((فأشار بحكم الأول إلى ترك اقتصاصه من الخزاعي بالمعاهد الذي قتله، وبالحكم الثاني إلى النهي عن الإقدام على ما فعله القاتل المذكور)[3].

وقال الإمام أبو جعفر الطبري[4] رحمه الله: وفي ذلك من فعله الدليل الواضح على أن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قتيل في بلاد الإسلام، من أهل الشرك ممن دخلها بأمان، أن له دية مسلمة إلى أهله، عمدا كان قتله أو خطا، وأنه لا قود على قاتله إن كان مسلما، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُقد أولياء الهذلي المقتول من الخزاعي

---

[1] بتصرف، الآثار التشريعية في فتح مكة ص ٥٢٣ وص ٥٢٥.

[2] أورده الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الديات باب لا يقتل مسلم بكافر ٢٩٢/٦، وعزاه إلى البزار وقال: ورجاله وثقهم ابن حبان. وانظر فتح الباري ١٢/ ٢٦٢، وعزاه الشوكاني إلى الإمام الشافعي في نيل الأوطار ١٥٣/٧. وقد اعتبر الإمام ابن حزم أن خزاعة قتلوه متأولين أن لهم قتله، فهو كالخطأ، انظر المحلى: الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ٣٤٤/١٠، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر من منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت ط: بدون.

[3] فتح الباري ١٢/ ٢٦٢ ح ٦٩١٥. وقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه: (.. وأن لا يقتل مسلم بكافر) كتاب الديات باب لا يقتل مسلم بكافر ٨/ ٤٧.

[4] هو محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر الطبري، الإمام المجتهد الفقيه صاحب التصانيف البديعة، ولد سنة ٢٢٤هـ بطبرستان، وأكثر من الترحال في طلب العلم، كان من أفراد الدهر علما وذكاء وكثرة تصانيف، كان ثقة حافظا رأسا في التفسير وإماما في الفقه، وعلامة في التاريخ وأيام الناس، توفي رحمه الله سنة ٣١٠هـ وقيل: صُلي على قبره عدة شهور ليلا ونهارا. بتصرف، تاريخ بغداد ١٦٢/٢، وسير أعلام النبلاء ٢٦٧/١٤.

الذي قتله، ولكنه أمر بأداء العَقل إلى أوليائه، إذ كان القاتل مسلما، والهذلي المقتول كافرا ذو أمان[1].

٣) حكم قتل الجاسوس المسلم:

التجسس هو: (التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، والجاسوس: صاحب سر الشر)[2]، وتجسس المسلم على المسلمين ونقل أخبارهم، وكشف عوراتهم للكافرين، أشد جرما من تجسس الكافر على المسلمين، لأن هذا يوالي قومه وأهل ملته، وهو يكن العداء للمسلمين، أما المسلم فإنه لا يقبل منه بحال من الأحوال أن يوالي أعداء الله ويتقرب إليهم بما يضر المسلمين، أو يسيء للإسلام[3].

وقد اختلف العلماء في حكم قتل الجاسوس المسلم، ما نوع عقوبته التي ينالها، وأساس هذه المسألة ما جرى من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، حين بعث رسالة إلى أهل مكة يخبرهم فيها بعزم الرسول صلى الله عليه وسلم على المسير إليهم[4]:

(١) فقال جماعة منهم: يعزره الإمام بما يرى من حبس وضرب، ولا يباح قتله[5]، واستدلوا بترك الرسول صلى الله عليه وسلم لحاطب رضي الله عنه، وعدم موافقته لعمر رضي الله عنه على قتله، وبأن فعله هذا لم يخرجه من الإسلام، بل بقي على الإيمان بشهادة القرآن، كما في قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ... ﴾[6] فسماه مؤمنا.

(٢) وقال جماعة: بقتل الجاسوس المسلم، لإضراره بالمسلمين، وسعيه بالفساد في الأرض[7]، واستدلوا بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لعمر على قوله عندما قال: (دعني

---

[1] بتصرف، تهذيب الآثار: الإمام أبو جعفر الطبري، مسند ابن عباس رضي الله عنهما ٤٣/٢ تحقيق وتخريج محمود محمد شاكر مطبعة المدني مصر ط: بدون.

[2] النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٧٢.

[3] بتصرف، الآثار التشريعية لفتح مكة ١/ ٣٧١.

[4] سبق تخريج الحديث ص ١٠٩.

[5] ومنهم الأئمة أبو حنيفة والشافعي والأوزاعي ، انظر المجموع شرح المهذب ٣٨٩/١٩- ٣٩١، والمبسوط: شمس الدين السرخسي ٨٦/١٠ ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ط:٣، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م. وبذل المجهود في حل أبي داود ١٧٨/١٢.

[6] سورة الممتحنة جزء من آية ١.

[7] ذكره ابن العربي في أحكام القرآن نقلا عن الإمام مالك، انظر ١٧٨٣/٤.

أضرب عنق هذا المنافق)، فلم يزجره، ولم يقل أنه لا يستحق القتل، بل كانت العلة المانعة أنه من أهل بدر[1].

ولعل الأرجح: أن الإمام الحاكم المسلم يختار ما يخدم المصلحة، فإن رأى أن قتله أولى بسبب إجرامه وإفساده في بلاد المسلمين وموالاة الكافرين، أو أن تركه سيفتح الباب أمام غيره ممن هم على شاكلته، فله ذلك، وإن رأى غير ذلك مما يضمن المصلحة من سجن أو ضرب أو طرد من وظيفة ونحوها فله ذلك أيضا، فيرجح ما يراه رادعا له ولغيره أن تسول له نفسه بهذا الفعل،[2] والله أعلم.

ومما راعاه الإسلام في الأحكام المتعلقة بالدماء، مصلحة إهدار دم المراد قتله، أو حقنه، وذلك تبعا للمصلحة الإسلامية الراجحة- إلا أن يجب قتله بحد مثلا- ومما يدل على ذلك، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى المصلحة في قتل من سبه وآذاه: كابن خطل ومقيس بن صبابة والجاريتين، فهؤلاء كان قتلهم أرجح من بقائهم.

وفي ذلك الوقت أسقط حقه، ولم يأمر بقتل عبد الله بن أبي وغيره ممن بلغه عنهم أذى له وتنقص، وذلك لمصالح عظيمة ظهرت فيما بعد[3].

ثالثا: الأحكام التشريعية المتعلقة بالنكاح والأنساب:

جعل الله الزواج وثاقا يصل بين الرجل والمرأة برباط الألفة والمحبة، ويجد فيه كلا الطرفين الراحة والاطمئنان والاستقرار وسط الحياة وشدائدها، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً .. ﴾[4]، وللزواج

---

[1] وقد ذكر العلامة العيني آراء العلماء في الحكم فقال: (قال الداوي: الجاسوس يقتل، وإنما نفى القتل عن حاطب لما علم النبي صلى الله عليه وسلم منه، ولكن مذهب الشافعي وطائفة أن الجاسوس يعزر ولا يجوز قتله، وإن كان ذا هيئة يعفى عنه، وعن أبي حنيفة والأوزاعي يوجع عقوبة ويطال حبسه، وقال ابن وهب-من المالكية- يقتل إلا أن يتوب، وعن بعضهم أنه يقتل إذا كانت عادته ذلك وبه قال ابن الماجشون، وقال ابن القاسم : يضرب عنقه، لأنه لا تعرف توبته، وبه قال سحنون، ومن قال بقتله فقد خالف الحديث وأقوال المتقدمين، .. وقال اصبغ : الجاسوس الحربي يقتل، والمسلم والذمي يعاقبان إلا أن يظاهرا على الإسلام فيقتلان.. الخ) باختصار من عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٤/٢٥٦- ٢٥٧.

[2] بتصرف، الآثار التشريعية في فتح مكة ١/ ٣٧٥، وهو اختيار ابن القيم رحمه الله انظر زاد المعاد ٣/٤٢٣.

[3] بتصرف، زاد المعاد ٣/٤٤٠- ٤٤١.

[4] سورة الروم جزء من آية ٢١.

في الإسلام عدة مقاصد تتضح من خلال هذا التعريف، فهو(عقد يفيد حل العشرة بين الرجل والمرأة، بما يحقق ما يتقاضاه الطبع الإنساني، وتعاونهما مدى الحياة ويحدد ما لكليهما من حقوق، وما عليهما من واجبات)[1].

فالزواج مجال لقضاء الوطر الجنسي بالحلال، وهو عماد الأسرة الثابتة المتماسكة والمتعاونة، المقوية للمجتمع، حيث يجد كل واحد من المتعاقدين في صاحبه الأنس الروحي الذي يؤلف بينهما وسط شدائد الحياة، وبه يكون حفظ الجنس البشري حيث جعل طريقا للتناسل، لأن في غير الزواج فسادا يؤدي إلى التظالم واشتباه الأنساب، وضياع النسل[2].

وقد منع الإسلام كل وسائل الإضرار بالمرأة، وألغى امتهان حريتها وكرامتها الإنسانية، فأبطل أنواع النكاح التي تخالف الطبيعة الإنسانية، مثل نكاح المتعة ونكاح الشغار[3]، وكل ما من شأنه تعطيل مقاصد الزواج السامية[4].

ومن الأحكام التي شرعت في غزوة الفتح لتحقيق تلك المقاصد، ما يلي:

١) تحريم نكاح الشغار:

قال صلى الله عليه وسلم في إحدى خطبه أيام الفتح :((ألا ولا شغار[5] في الإسلام))[1]، كما

---

[1] محاضرات في عقد الزواج وآثاره: الشيخ محمد أبو زهرة ص ٤٤، دار الفكر العربي ط: بدون ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

[2] بتصرف، محاضرات في عقد الزواج وآثاره من ص ٤٣- ٤٨، و انظر آثار عقد الزواج في الشريعة الإسلامية: د. أحمد عثمان من ص ١٨- ٢٠، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ، ط: بدون، ١٤٠١هـ ١٩٨١م. ودور المرأة في المجتمع الإسلامي: توفيق على وهبة ص ١٠٢، دار اللواء للنشر والتوزيع ط:٢، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

[3] وقد قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في ذلك:

ونسخ متعة بلا تـرداد صح دواما أبد الآباد

وحرم التحليل والشغار مع عقد إذا أثناء عدة وقع.

السبل السوية لفقه السنن المروية ص ٧٦، من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ط:٣، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

[4] بتصرف، دور المرأة في المجتمع الإسلامي ص ١٠٢.

[5] وهو نكاح معروف في الجاهلية، كان يقول الرجل للرجل: شاغِرني:- أي زوجني- من تلي أمرها حتى أزوجك من ألي أمرها ولا يكون بينهما مهر، ويكون بضع كل منهما في مقابل بضع الأخرى. (النهاية في غريب الحديث ٤٨٢/٢). وهو من قولهم: شغر الكلب، إذا رفع رجله ليبول، وفي التشبيه بهذه الهيئة القبيحة ذم للشغار، وتغليظ على فاعله، كأن كلا من الوليين يقول للآخر: لا ترفع رجل ابنتي حتى أرفع رجل ابنتك. بتصرف، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أبو العباس شهاب الدين أحمد القسطلاني ٤٥١/١١ ح ٥١١٢، دار الفكر بيروت لبنان، ط:١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م. وقيل (هو من شغر البلد إذا خلا لخلوه عن الصداق). صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٠/٩.

روى ابن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار، والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته، ليس بينهما صداق)[٢]، وقد أجمع العلماء على منعه وتحريمه، قال الإمام النووي رحمه الله: (وكان الشغار من نكاح الجاهلية، وأجمع العلماء على أنه منهي عنه)[٣].

ولا يختص الشغار بالبنات والأخوات، بل حكم غيرهن من القريبات حكمهن[٤]، قال الإمام النووي رحمه الله: (وأجمعوا على أن غير البنات من الأخوات، وبنات الأخ، والعمات، وبنات الأعمام، والإماء، كالبنات في هذا)[٥].

وفي هذا النوع من النكاح حط من مكانة المرأة التي رفعها إليها الإسلام، حيث لا يقام لرأيها أي وزن، بل يهضم كافة حقوقها التي أعطاها إياها الإسلام، وذلك في سبيل تحقيق مصلحة وليها، وقد جاء الإسلام بمنع وتحريم نكاح الشغار لما يشتمل عليه من المفاسد والأضرار وتضييع الحقوق، وما قد يؤدي إليه من النزاع والخصومات، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه نهيا قاطعا، يوم الفتح وهو يشرع للمسلمين أمور دينهم، ويجتث من أعمال الجاهلية ما كان مخالفا لقواعد الشريعة.

٢)تحريم نكاح المتعة:

ومعناه: (أن يتزوج المرأة مدة، مثل أن يقول: زوجتك ابنتي شهرا أو سنة أو إلى انقضاء الموسم أو قدوم الحاج وشبهه، سواء كانت المدة معلومة أو مجهولة)[٦].

و(هذا نكاح باطل، نص عليه أحمد فقال: نكاح المتعة حرام)[٧]، أفسده التوقيت الذي لا يحصل به توارث ولا يثبت به نسب ولا يترتب عليه طلاق أو عدة، وهذه من

---

[١] سبق تخريجه ص ١٤٣، وروى مسلم في صحيحه قول النبي صلى الله عليه وسلم :((لا شغار في الإسلام)) دون تعيين زمن ذلك انظر كتاب النكاح باب تحريم نكاح الشغار ١٠٣٥/٢ ح ١٤١٥.

[٢] صحيح البخاري كتاب النكاح باب الشغار ١٢٨/٦. وصحيح مسلم كتاب النكاح باب تحريم نكاح الشغار وبطلانه ١٠٣٤/٢ ح ١٤١٥.

[٣] صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠١/٩ . وانظر عون المعبود ٨٧/٦ ح ٢٠٦١.

[٤] بتصرف، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ٢٦٧/٢.

[٥] صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠١/٩.

[٦] المغني ٦٤٤/٦.

[٧] المغني ٦٤٤/٦ . وانظر أضواء البيان ٢٨٤/١- ٢٨٥.

شروط النكاح الصحيح الذي جاءت به الشريعة[1]، وهذه هي أحكام الزوجة في كتاب الله تعالى، فلما انتفى عنها لوازم النكاح؛ دل ذلك على انتفاء النكاح، والله تعالى أباح في كتابه النكاح وملك اليمين، وحرم ما زاد على ذلك، والمُستمتع بامرأة بعد التحريم، ليست زوجة ولا ملك يمين، تكون حراما بنص القرآن[2].

فكانت رخصة في أول الإسلام، لمن اضطر إليها، كالميتة والدم ولحم الخنزير، ثم نهى الله تعالى عنها[3]، وقد كانت طريقا من طرق قضاء الشهوة حين تحقق المشقة والعنت بسبب الرغبة في النساء ، خاصة في السفر وحال الغزو.

وكانت إباحتها في أول الإسلام[4]، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:(كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء، فقلنا ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل)[5].

وقد حُرِّم نكاح المتعة يوم الفتح تحريما مؤبدا إلى يوم القيامة، فعن سبرة الجهني رضي الله عنه أنه (غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة، قال: فأقمنا بها خمس عشرة .. فأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في متعة النساء)، ثم حرمها النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا))[6].

---

[1] بتصرف، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ٢٦٧/٢. وانظر أحكام القرآن: الجصاص ١٤٦/٢-١٥٠.

[2] بتصرف، منهاج السنة النبوية ١٩٨/٢، ويقصد قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ المؤمنون: ٥-٧.

[3] بتصرف، رسالة تحريم نكاح المتعة ص ١١٥.

[4] بتصرف، شرح السنة ٩٩/٩.

[5] صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ... ﴾ /١٨٩، وصحيح مسلم كتاب النكاح باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة ١٠٢٢/٢ ح ١٤٠٤ واللفظ له.

[6] المرجع السابق ١٠٢٥/٢ ح ١٤٠٦.

وقد أجمع المسلمون على تحريمها، إلا الشيعة، فإنهم يستحلونها، على الرغم من تحريم الرسول صلى الله عليه وسلم الصريح لها[1]، وعدم تحقيقها لأهداف الزواج الشرعية السامية[2].

٣) إلحاق ولد الزنا:

اهتم الإسلام بصيانة الأعراض وحفظ النسل، وشدد في عقوبة الزنا، لأن من مقاصده حفظ النفس والعرض، ومنع الفساد الناتج عن اختلاط الأنساب، أما في الجاهلية فقد كان الناس يمارسون ألوانا متعددة من النكاح أغلبها فاسد[3] ، واحد منها فقط هو ما وافق الإسلام، وهو الذي أبقته الشريعة الإسلامية، وهذه الأنكحة الفاسدة إذا أثمرت أولاداً، فقد تحصل بعض الخصومات في نسب هذا الولد، فكانوا أحيانا ينسبون الطفل المولود إلى من زنا بأمه.

فلما كان يوم الفتح هدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الجاهلية، وأبطل هذا النوع من النكاح الفاسد، وما يترتب عليه من إلحاق الولد، وأمر أن ينسب المولود إلى صاحب الفراش[4].

---

[1] انظر السيل الجرار ٢٦٨/٢، وأضاف: (وليسوا ممن يحتاج إلى دفع أقوالهم، ولا هم ممن يقدح في الإجماع، فإنهم في غالب ما هم عليه مخالفون للكتاب والسنة ولجميع المسلمين). وللاستفادة انظر رد شيخ الإسلام عليهم في منهاج السنة ١٩٦/٢- ١٩٩. وانظر رسالة تحريم نكاح المتعة من ص ٨٥- ١٢٣.

[2] وقد اختلف في زمان ومكان تحريمها، وتعددت الروايات، فقيل: حرمت يوم خيبر، وقيل يوم عمرة القضاء، وقيل يوم الفتح، وقيل يوم حنين، وقيل يوم أوطاس، وقيل يوم غزوة تبوك، وقيل يوم حجة الوداع،، وقد ناقش الحافظ ابن حجر هذه الروايات، ثم رجَّح حدوث ذلك في غزوة الفتح. انظر فتح الباري ١٦٩/٩-١٧١ ح ٥١١٥، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٧٩/٩، والجامع لأحكام القرآن ١٣٠/٥، وأحكام القرآن: الجصاص ١٥٠/٢، وزاد المعاد ٤٥٩/٣ ، والاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص ١٧٧، و الآثار التشريعية لفتح مكة محمد الجعوان ٦٨٢/٢.

[3] مثل نكاح الخدن ونكاح المتعة ونكاح البدل ونكاح الاستبضاع والزنا ثم إلحاق الولد بالزاني أو بغيره، انظر فتح الباري ١٨٤/٩ ح ٥١٢٧، وفقه السنة ٦/٢-٧، وقد ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أربعة أنواع من النكاح السائدة في الجاهلية في الحديث الذي رواه البخاري في كتاب النكاح باب من قال لا نكاح إلا بولي ١٣٢/٦.

[4] وقال الشيخ حافظ الحكمي في ذلك شعرا :

والولد اجعل للفراش والحجر	لعاهر كما بذا صح الخبر
والشركا في أمة أن يدعوا	جميعهم من ولدته يقرع
بينهم من تصب له الولد	وحظهم من دية عليه رد

السبل السوية لفقه السنن المروية ص ٨٢.

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:(كان عتبة بن أبي وقاص[1] قد عهد إلى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمعة، وقال عتبة: إنه ابني، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في الفتح، أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمعة، فأقبل به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه عبد بن زمعة، فقال سعد: هذا ابن أخي عهد إلي أنه ابنه، قال عبد بن زمعة: يا رسول الله ، هذا أخي، هذا ابن وليدة زمعة، ولد على فراشه. فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابن وليدة زمعة، فإذا أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((هو لك، هو أخوك يا عبد بن زمعة)) من أجل أنه ولد على فراشه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((احتجبي منه يا سودة))[2]، لما رأى من شبه عتبة بن أبي وقاص). وفي رواية قالت: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((الولد للفراش وللعاهر الحجر[3]))[4].

وقد كانت هذه الأمة لزمعة، وكان يطؤها، فظهر بها حمل زعم عتبة بن أبي وقاص أنه منه، وعهد إلى أخيه سعد أن يستلم هذا الابن، فخاصم فيه عبد بن زمعة فقال سعد: هو ابن أخي، على ما كان عليه الأمر في الجاهلية، وقال عبد: هو ابن أخي على ما استقر

---

[1] مختلف في صحبته، قيل أنه أصاب دما بمكة في قريش فانتقل إلى المدينة، وقيل :هو الذي شج وجه الرسول صلى الله عليه وسلم بأحد ولم يعلم له إسلام ومات كافرا. فتح الباري ١٢/ ٣٣ ح ٦٧٤٩.

[2] قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (وأما أمره سودة بالاحتجاب منه، فإما أن يكون على طريق الاحتياط والورع لمكان الشبهة التي أورثها الشبه البين بعتبة، وإما أن يكون مراعاة للشبهين وإعمالا للدليلين، فإن الفراش دليل لحوق النسب، والشبه بغير صاحبه دليل نفيه، فأعمل أمر الفراش بالنسبة إلى المُدعي لقوته، وأعمل الشبه بعتبة بالنسبة إلى ثبوت المحرمية بينه وبين سودة، وهذا من أحسن الأحكام وأوضحها) زاد المعاد ٥/٤١٤. وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٠/٣٩.

[3] قال الإمام النووي رحمه الله : العاهر الزاني، ومعنى له الحجر: أي له الخيبة ولا حق له في الولد، وعادة العرب أن تقول: له الحجر وبفيه الأثلب وهو التراب، ويريدون ليس له إلا الخيبة وقيل : المراد بالحجر هنا: أنه يرجم بالحجارة، وهذا ضعيف، لأنه ليس كل زان يرجم ، وإنما يرجم المحصن خاصة.

ومعنى قوله الولد للفراش: أنه إذا كان للرجل زوجة أو مملوكة، صارت له فراشا، فأتت بولد لمدة الإمكان منه ، لحقه الولد، وصار له ولدا يجري بينهما التوارث وغيره من أحكام الولادة، سواء كان موافقا له في الشبه أم مخالفا. بتصرف، المرجع السابق ١٠/٣٧ وانظر عون المعبود ٦/ ٣٥٢.

[4] صحيح البخاري كتاب المغازي باب ٥٣ (لم يترجم له) ٥/٩٦، واللفظ له. وصحيح مسلم كتاب الرضاع باب الولد للفراش وتوقي الشبهات ٢/١٠٨٠ ح ١٤٥٧ .

عليه الأمر في الإسلام، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم حكم الجاهلية، وألحقه بزمعة[1]، وقال ابن القيم رحمه الله : (وهذا الحكم النبوي أصل في ثبوت النسب بالفراش، وفي أن الأمة تكون فراشا بالوطء، وفي أن الشبه إذا عارض الفراش، قُدم عليه الفراش)[2].

رابعا: الأحكام التشريعية المتعلقة بالأموال:

وقد شرع الإسلام لتحصيلها وكسبها: إيجاب السعي للرزق، وإباحة المعاملات والمبادلات والتجارة، وشرع لحمايته وحفظه: تحريم السرقة، وحد السارق، وتحريم الغش والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل[3]، ومن الأحكام التشريعية المتعلقة بالأموال والمتعلقة بغزوة الفتح، ما يلي:

(١) تحريم الجَلَب والجَنَب:

وهما من الأحكام التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم الفتح، حيث قال: ((ولا جَنَب ولا جَلَب، وتؤخذ صدقاتهم في ديارهم))[4].

فقوله: لا جلب يحتمل معنيين: الأول: أن يقدم المصدّق على أهل الزكاة، فينزل بأقصى مواضع الصدقة، ثم يرسل من يجلب إليه الأموال من أماكنها، ليأخذ صدقاتها، فنهى عن ذلك، وأمر أن تؤخذ صدقاتهم على مياههم وأماكنهم، وكلف عمال الزكاة بالذهاب بأنفسهم إلى الأماكن التي يجتمع فيها السوائم، تيسيرا على أصحابها ورفقا بالبهائم.

كما أن لها معنى آخر: وهو أن يتبع الرجل فرسه، فيزجره ويجلب عليه، ويصيح حثا له على الجري، فنهى عن ذلك، بل يجب أن يُركضا فرسيهما بتحريك اللجام والاستحثاث بالضرب بالسوط، من غير إجلاب بالصوت[5].

أما الجَنَب، فيفسر أيضا على وجهين: الأول: في الزكاة، أي ينزل العامل بأقصى مواضع أصحاب الصدقة، ثم يأمر بالأموال أن تُجنب إليه: أي تحضر إليه، فنهوا عن

---

[1] بتصرف، فتح الباري ٣٣/١٢ ح ٦٧٤٩.

[2] زاد المعاد ٤١٠/٥.

[3] بتصرف، علم أصول الفقه: عبد الوهاب خلاف ص ٢٠١.

[4] سبق تخريجه ص ١٤٣.

[5] بتصرف، شرح السنة ٢٠٥/١٠، و انظر النهاية في غريب الحديث ٢٨١/١. ومعالم السنن ٢٠٥/٢.

ذلك، وقيل: هو أن يجنب رب المال بماله: أي يبعده عن موضعه، حتى يحتاج العامل على الزكاة الإبعاد في إتباعه والإمعان في طلبه.

والثاني: في السباق، أي أن يجنب فرسا إلى فرسه الذي يسابق عليه، فإذا فتر المركوب تحول إلى المجنوب [1].

ولعل الراجح من المعنيين في الجنب والجلب هو: ما يتعلق بالزكاة، لأنه أيده بقوله:((ولا تؤخذ صدقاتهم إلا في دورهم))[2]، أي: (إلا في منازلهم وأماكنهم ومياههم وقبائلهم على سبيل الحصر، لأنه كنى بها عنه، فإن أخذ الصدقة في دورهم، لازم لعدم بعد الساعي عنها، فيجلب إليه، ولعدم بعد المزكي، فإنه إذا بعد عنها لم يؤخذ فيها، وحاصله: أن آخر الحديث مؤكد لأوله، أو إجمال لتفصيله)[3] ، وقد روي أن (عمال النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصدقون الناس على مياههم وبأفنيتهم)[4].

وهذا فيه كمال رحمة الإسلام والرفق بالطرفين[5]،كما يدل على يسر الدين الإسلامي، وتجنيبه العباد المشاق وحصول الضرر، كما يشمل أيضا برفقه وتيسيره البهائم السائمة التي تخرج منها الزكاة، حين يبين من أين تزكى الأموال، ويحدد الأماكن التي يلتقي فيها جامع الصدقة مع أصحاب هذه البهائم.

(٢) تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام:

أباح الإسلام الطيبات من الرزق، وحرم الخبائث، حرصا منه على سلامة المسلمين، وصيانة لكرامتهم، وهداية للطباع السليمة التي تستخبث هذه المحرمات وتستقذرها، ووجه نداءه للمؤمنين في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ

---

[1] بتصرف، شرح السنة ٢٠٦/١٠، وانظر النهاية في غريب الحديث ٣٠٣/١، ومعالم السنن ٢٠٥/٢.

[2] سبق تخريجه ص ١٤٣.

[3] عون المعبود شرح سنن أبي داود ٤٨١/٤.

[4] المصنف: عبد الرزاق الصنعاني ٤٢/٤ ح ٦٩٠٩.

[5] انظر الآثار التشريعية في فتح مكة محمد الجعوان ٥٤٦/٢. ومما قاله الشيخ حافظ الحكمي في ذلك:

وعامل يشرع أن يطلبها على المياه دون أن يجلبها

السبل السوية ص ٣٧.

... ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[2].

ولم يكتف الإسلام بتحريمها، بل حرم الاتجار بها، فعن جابر بن عبد الله [3]رضي الله عنه: (أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح وهو بمكة: ((إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام))، فقيل يا رسول الله، أرأيت شحوم الميتة، فإنها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال:((لا هو حرام))، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك:((قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم شحومها، جملوه[4] ثم باعوه، فأكلوا ثمنه))[5].

ويبين الحافظ ابن القيم رحمه الله الحكمة من هذا التحريم بقوله:(فاشتملت هذه الكلمات الجوامع على تحريم ثلاثة أجناس: مشارب تفسد العقول، ومطاعم تفسد الطباع، وتغذي غذاء خبيثا، وأعيان تفسد الأديان، وتدعو إلى الفتنة والشرك... فتضمن هذا التحريم صيانة العقول والقلوب والأديان)[6].

---

[1] سورة البقرة الآيتين ١٧٢-١٧٣.

[2] سورة المائدة آية ٩٠.

[3] هو جابر به عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي، من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد العقبة موتا، روى علما كثيرا، وكان مفتي المدينة في زمانه، خلفه أبوه على أخواته في غزوة أحد، فلم يشهدها، وشهد ما بعدها، توفي رضي الله عنه سنة ٧٧هـ وقيل غير ذلك وكان عمره ٩٤ سنة. بتصرف، سير أعلام النبلاء ١٨٩/٣، الإصابة ٢١٣/١.

[4]أي أذابوه (يقال: أجمل الشحم وجمله، أي أذابه). صحيح مسلم بشرح النووي ٦/١١.

[5] رواه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب بيع الميتة والأصنام ٤٣/٣ واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب المساقاة باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام ١٢٠٧/٣ ح ١٥٨١.

[6]باختصار من زاد المعاد ٧٤٦/٥، وقد فصل القول رحمه الله في هذه الأنواع انظر من ص ٧٤٥-حتى ص ٧٦٦. وللاستفادة انظر الحكمة من تحريم هذه الأشياء في كتاب الحلال والحرام: د. يوسف القرضاوي من ص ٤٤ حتى ص ٤٨، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق ط:١٢، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، وانظر الذبائح في الشريعة الإسلامية: عبد الله بن عبد الرحيم العبادي من ص ١٤٣- ص ١٥٣، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط:١، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م. وانظر الأشربة وأحكامها في الشريعة الإسلامية: د. ماجد أبو رخية ص ٩٦- ١١٠، مكتبة الأقصى عمان الأردن ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله:(ويحتمل أن يكون التحريم وقع قبل ذلك، ثم أعاده صلى الله عليه وسلم ليسمعه من لم يكن سمعه)[1].

فأما تحريم بيع الخمر، فيدخل فيه تحريم بيع كل مسكر من أنواع المسكرات، مائعا كان أو جامدا، عصيرا أو مطبوخا، فيدخل فيه عصير العنب، وخمر الزبيب والتمر، والذرة والشعير، والعسل والحنطة، فإن هذا كله مسكر.

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:((كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام))[2]،كما يدخل فيه الأشربة الحديثة المسكرة، مثل: البيرا والنبيذ والعرق، والكونياك والجن والروم والكحول وغيرها[3].

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث التي تذم تناولها كقوله صلى الله عليه وسلم:((من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها حُرمها في الآخرة))[4]، وتحرم الانتفاع بها، ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه :(سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب بالمدينة قال: ياأيها الناس، إن الله تعالى يعرض بالخمر، ولعل الله سينزل فيها أمرا، فمن كان عنده منها شيء فليبعه ولينتفع به)) قال فما لبثنا إلا يسيرا، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم :((إن الله تعالى حرم الخمر، فمن أدركته هذه الآية وعنده شيء منها، فلا يشرب ولا يبع)) قال: فاستقبل الناس بما كان عنده منها، في طريق المدينة فسفكوها)[5].

---

[1] فتح الباري ٤/٤٢٥ ح ٢٢٣٦.

[2] بتصرف، زاد المعاد ٥/٧٤٧. والحديث في صحيح البخاري كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٥/١٠٨، وصحيح مسلم كتاب الأشربة باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام ٣/١٥٨٧ ح ٢٠٠٣، واللفظ له.

[3] بتصرف، الأشربة وأحكامها في الشريعة الإسلامية من ص ٣٢٣- ٣٣٦.

[4] صحيح البخاري كتاب الأشربة باب قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ٦/٢٤٠.

[5] صحيح مسلم كتاب المساقاة باب تحريم بيع الخمر ٣/ ١٢٠٥ ح ١٥٧٨، وقال الإمام النووي:(هذا دليل تحريم تخليلها، ووجوب المبادرة بإراقتها، وتحريم إمساكها، ولو جاز التخليل، لبينه النبي صلى الله عليه وسلم لهم، ونهاهم عن إضاعتها، كما نصحهم وحثهم على الإنتفاع بها قبل تحريمها، حين توقع نزول تحريمها، وكما نبه أهل الشاة

وأما تحريم الميتة فيدخل فيه كل ما يسمى ميتة[1]، سواء مات حتف أنفه، أو ذكي ذكاة لا تفيد حله، وقد استشكل الصحابة تحريم بيع الشحم، مع ما لهم فيه من المنفعة، فكأنهم طلبوا تخصيص الشحوم من جملة الميتة بالجواز،- كما طلب العباس رضي الله عنه تخصيص الإذخر من جملة ما حرم من نبات الحرم-، فلم يجبهم إلى ذلك وقال: ((لا هو حرام))[2] ثم ذم بني إسرائيل لاحتيالهم على الشرع، بأكلهم ثمن ما حرم عليهم أكله، والحديث(فيه دليل على بطلان كل حيلة يحتال بها للتوصل إلى محرم، وأنه لا يتغير حكمه بتغيير هيأته وتبديل اسمه)[3].

وقد ذهب جماعة من العلماء إلى أن الضمير في قوله : ((هو حرام)) عائد إلى البيع دون الانتفاع بما ذكر من أشياء محرمة، فبيعها حرام، وثمنها حرام، أما الانتفاع بها في طلي السفن ودهن الجلود والاستصباح، فلم ينههم عنه، بخلاف بيعها وأكل ثمنها، الذي لم يرخص لهم به[4].

وأما تحريم بيع الخنزير فيتناوله جملة، وجميع أجزائه الظاهرة والباطنة، لأنه ذكر جملة و لم يخص التحريم بلحمه، فيتناول بيعه حيا وميتا[5].

والأصنام: هي ما (اتخذ إلها من دون الله تعالى، وقيل: هو ما كان له جسم أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن)[1]، وكان المشركون يولون هذه الأصنام

الميتة على دباغ جلدها والانتفاع به). صحيح مسلم بشرح النووي ٣/١١.

[1] الميتة: ما زالت عنه الحياة لا بذكاة شرعية، ونقل الإجماع على تحريم بيع الميتة ويستثنى من ذلك السمك والجراد. بتصرف، فتح الباري ٤٢٤/٤ ح ٢٢٣٦، وانظر المغني ٢٨٢/٤.

[2] بتصرف، زاد المعاد ٧٤٩/٥.

[3] شرح السنة ٣٠/٨.

[4] ومن هؤلاء الإمام الشافعي انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١١/ ٦، وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم انظر زاد المعاد ٥/ ٧٤٩ و ص ٧٥٣، وانظر إعلام الموقعين له أيضا ٤/ ٣٢٤، والعلامة العيني انظر عمدة القاري ١٢/ ٥٥، و الإمام الخطابي والحافظ ابن حجر انظر فتح الباري ٤/ ٤٢٥، وقال الإمام النووي: وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (لا هو حرام) فمعناه: لا تبيعوها فإن بيعها حرام، والضمير هو يعود إلى البيع لا الانتفاع، هذا هو الصحيح عند الشافعي وأصحابه، أنه يجوز الانتفاع بشحم الميتة.. مما ليس بأكل ولا في بدن آدمي، وبهذا قال عطاء بن رباح ومحمد بن جرير الطبري، وقال جمهور العلماء: لا يجوز الانتفاع به في شيء أصلا، لعموم النهي عن الانتفاع بالميتة، إلا ما خص، وهو الجلد المدبوغ.. الخ) صحيح مسلم بشرح النووي ١١/ ٦.

[5] بتصرف، زاد المعاد ٧٦١/٥.

عناية عظيمة، وكان من أعظمها هبل، وكان من عقيق أحمر، على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، فجعلت له قريش مكانها يدا من ذهب[٢].

ولما فتحت مكة وكسر النبي صلى الله عليه وسلم الأصنام بيده، نادى مناديه:(من كان يؤمن بالله فلا يتركن في بيته صنما إلا كسره أو حرقه وثمنه حرام)[٣].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (العلة في منع بيع الميتة والخمر والخنزير النجاسة .. والعلة في منع بيع الأصنام، عدم المنفعة المباحة، فعلى هذا: إن كانت بحيث إذا كسرت ينتفع برضاضها[٤]، جاز بيعها عند بعض العلماء من الشافعية وغيرهم، والأكثر على المنع حملا للنهي على ظاهره، والظاهر أن النهي عن بيعها للمبالغة في التنفير عنها)[٥]، قال الإمام البغوي:(فإذا طمست الصور وغيرت آلات اللهو عن حالتها، فيجوز بيع جواهرها وأصولها، فضة كانت أو حديدا أو خشبا أو غيرها)[٦].

وقد رُوي أن رجلا ورث أصناما من فضة وخنازير وخمرا، فسأل عنها رهطا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلهم أمره أن يكسر الأصنام فيجعلها فضة، ونهاه عن الخمر والخنازير[٧].

وتحريم بيع الأصنام يستفاد منه: تحريم بيع كل آلة متخذة للشرك على أي وجه كانت، ومن أي نوع كانت صنما أو وثنا أو صليبا، وكذلك الكتب المشتملة على الشرك، وعبادة غير الله، فهذه الأشياء كلها يجب إزالتها وإعدامها، ومنع بيعها لمن بيده السلطة، لأن بيعها ذريعة إلى اقتنائها واتخاذها ، فهي أولى بتحريم البيع من كل ما سبقها، فإن مفسدة بيعها بحسب مفسدتها في نفسها، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤخر ذكرها لهوان أمرها، ولكنه تدرج من الأسهل إلى ما هو أغلظ منه، فإن الخمر أحسن حالا من

---

[١]النهاية في غريب الحديث ٥٦/٣، وانظر عمدة القاري ٥٤/١٢.

[٢] بتصرف، تلبيس إبليس ص ٥٧.

[٣]المغازي: الواقدي ٨٧١/٣، وأخبار مكة ١٢٣/١.

[٤] رضاض الشيء: كساره، أو قِطَعه. لسان العرب حرف الضاد فصل الراء ١٥٤/٧ .

[٥] فتح الباري ٤/ ٤٢٥- ٤٢٦ ح ٢٢٣٦.

[٦] شرح السنة ٨/ ٢٨.

[٧] المصنف: ابن أبي شيبة ٣٥/٧ ح ٢٢٨٨.

الميتة، لأنه قد ينقلب خلا فيصير مالا محترما، والخنزير أشد تحريما من الميتة، ولهذا أفرده الله تعالى بالحكم عليه أنه رجس في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ... ﴾[1]، ثم ذكر بعد تحريم بيع الأصنام وهو أعظم تحريما وإثما، وأشد منافاة للإسلام من بيع الخمر والميتة والخنزير[2].

٣) تطبيق حد القطع في السرقة:

وقد شرع الله تعالى قطع يد السارق حفاظا على أموال الناس، والمال من الضروريات التي جاء الإسلام بالحث على صيانتها وحفظها من الضياع، فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3]، فأقام النبي صلى الله عليه وسلم حد القطع على المرأة المخزومية التي سرقت، ولم يقبل شفاعة أحب الناس إليه في ذلك، وأنكر عليه أن يشفع ليمنع إقامة حد من حدود الله[4]، وكان أمرها قد أقلق قريشا، (خشية أن يقطع يدها، لعلمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرخص في الحدود، وكان قطع السارق معلوما عندهم قبل الإسلام، ونزل القرآن بقطع السارق، فاستمر الحال فيه)[5].

٤) إيجاب النفقة للزوجة على زوجها:

والمقصود بالنفقة: ما تحتاج إليه الزوجة من طعام ومسكن وملبس وفراش وخدمة وغير ذلك[6]، وهي واجبة على الزوج باعتبار ذلك حكما من أحكام عقد الزواج الصحيح، وحقا من حقوقه الثابتة للزوجة بمقتضى العقد، ولذلك تجب سواء كانت الزوجة غنية أم فقيرة، مسلمة أم غير مسلمة[7].

---

[1] سورة الأنعام جزء من آية ١٤٥.

[2] بتصرف، زاد المعاد ٥/ ٧٦١- ٧٦٢.

[3] سورة المائدة آية ٣٨.

[4] سبق تخريج الحديث ص ١٦٠.

[5] فتح الباري ٨٨/١٢ ح ٦٧٨٨.

[6] بتصرف، فقه السنة ٢/ ١٤٧. وانظر آثار عقد الزواج في الشريعة الإسلامية ص ١٥٤.

[7] بتصرف، محاضرات في عقد الزواج وآثاره ص ٢٩٥.

ولا خلاف بين الفقهاء أن حكمها الوجوب، وثبت ذلك بالكتاب[1] والسنة[2] والإجماع[3] والقياس[4]، ويراعى في ذلك يسار الزوج وإعساره [5] (فإن كان الزوج موسعا عليه، أنفق نفقة موسعة، وإن كان مضيقا عليه، أنفق بحسب قدرته، وما تبلغ إليه استطاعته، وليس عليه غير ذلك)[6].

وإذا كان الزوج قادرا على النفقة وبخيلا بها، لا يقوم بكفاية زوجته أو أنه تركها بلا نفقة- بغير حق- فلها أن تطلب فرض نفقة لها، وللقاضي أن يقضي لها بذلك، ويلزم بها الزوج، متى ثبتت لديه صحة دعواها، كما أن لها الحق أن تأخذ من ماله ما يكفيها وأولادها بالمعروف، وإن لم يعلم الزوج ، إذ أنه منع الواجب عليه، وهي مستحقة له، وللمستحق أن يأخذ حقه بيده متى قدر عليه[7].

ويدل على ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (إن هندا بنت عتبة قالت: يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح[8]، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت

---

[1] كقوله تعالى:﴿ لِيُنفِقْ ذُوسَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ .... ﴾ سورة الطلاق آية ٧.

[2] كقوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع:((فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بكلمة الله ... ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف))، جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ٢/ ٨٨٩ ح ١٢١٨.

[3] وعن الإجماع قال الإمام الشوكاني:(وقد ثبت الإجماع على وجوب نفقة الزوجات على الأزواج، و لم يرد في ذلك خلاف، والأدلة على ذلك كثيرة) السيل الجرار ٢/ ٤٤٦، و لم يخالف من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن أحد في هذا الإجماع. انظر محاضرات في عقد الزواج وآثاره ص ٢٩٦.

[4] وعنه يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (وأما القياس، فإنه من القواعد المقررة في الفقه أن من حُبس لحق غيره، فنفقته واجبة عليه.. ولقد حبست الزوجة نفسها للقيام على البيت ورعاية شئونه، فحقت لها النفقة جزاء الاحتباس) باختصار، محاضرات في عقد الزواج وآثاره ص ٢٩٦.

[5] بتصرف، الإرشاد إلى معرفة الأحكام الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ١٩٢.

[6] السيل الجرار ٢/ ٤٤٨، وتتمة كلامه:(ولا اعتبار بحال المرأة أبدا، فإن كان مضيقا عليه وهي من أهل الرفاهية، وممن يعتاد التوسع في المطعم والمشرب ونحوهما، توسعت من مال نفسها إن كان لها مال، وإلا صبرت على ما رزق الله زوجها فهو القابض الباسط).

[7] بتصرف، فقه السنة ٢/ ١٥١.

[8] من الشح وهو البخل مع الحرص، والشح أعم من البخل، لأن البخل يختص بالمال، والشح بكل شيء، قال القرطبي: لم ترد وصفه بالشح في جميع أحواله، وإنما وصفت حالها معه، وأنه كان يقتر عليها وعلى أولادها، وهذا لا يستلزم البخل مطلقا، فإن كثيرا من الرؤساء يفعل ذلك مع أهله، ويؤثر الأجانب إستئلافا لهم. بتصرف، فتح

منه وهو لا يعلم. فقال:((خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف))[1]، فأجاز لها صلى الله عليه وسلم ذلك و(أحالها على الكفاية، حين علم السعة من حال أبي سفيان الواجب عليه بطلبها)[2].

وفي هذا الحديث(اعتماد العرف في الأمور التي لا تحديد فيها من قبل الشرع)[3]، والمعروف في النفقة بين أهل الغنى والسعة، ونفقة أهل الفقر والشدة، لا يخفى على من له خبرة بأحوال الناس[4].

وهذا الأمر مختلف باختلاف الأزمان والأماكن والأحوال، ولهذا جاء في القاعدة الفقهية المشهورة (العادة محكمة)[5].

فالزوجة لها من النفقة ما يصلح لها في جميع أحوالها، ويختلف ذلك تبعا لحالة زوجها المادية أولا، مع اعتبار كفايتها وما جرت به العادة لأمثالها، وليس ذلك محدودا بمقدار معين، وذلك من يسر الشريعة الإسلامية وقيامها بمصالح الناس.

قال ابن العربي[6] رحمه الله عن مسألة تقدير الإنفاق:(أنه ليس له تقدير شرعي، وإنما أحاله سبحانه على العادة، وهي دليل أصولي بنى الله عليه الأحكام)[1] ،وقد قال الله

الباري ٩/ ٥٠٨.

[1] صحيح البخاري كتاب النفقات باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف ٦/ ١٩٣، وصحيح مسلم كتاب القضية باب قضية هند ١٣٣٨/٣ ح ١٧١٤.

[2] أحكام القرآن: ابن العربي ٤/ ١٨٤٢.

[3] فتح الباري ٩/ ٥١٠ ح ٥٣٦٤.

[4] بتصرف، السيل الجرار ٢/ ٤٤٨.

[5] انظر الأشباه والنظائر ص ٨٩- ١٠١، ونقل فيه قول الفقهاء ص ٩٨:(كل ما ورد به الشرع مطلقا، ولا ضابط له فيه، ولا في اللغة، يرجع فيه إلى العرف)، وهذه من القواعد الفقهية الأساسية المشهورة، فإن العرف والعادة لهما نصيب وافر ملحوظ في تغير الأحكام حسب تغيرهما، وعليهما يرتكز كثير من الأحكام والفروع الفقهية. بتصرف، القواعد الفقهية، مفهومها، نشأتها، تطورها: علي أحمد الندْوي ص ٢٥٦، دار القلم دمشق، ط:٢، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

[6] هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي المالكي، أبو بكر الإمام العلامة الحافظ القاضي، ولد سنة ٤٦٨هـ، وارتحل مع أبيه إلى بغداد ودمشق لطلب العلم، ثم رجع إلى الأندلس، كان ثاقب الذهن، كريم الشمائل، ولي قضاء أشبيلية وكان ذا شدة، فعزل، وأقبل على نشر العلم وتدوينه، وله تصانيف كثيرة، توفي رحمه الله سنة ٥٤٣هـ بفاس وكان قتله بيد الفرنج. بتصرف، سير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠.

تعالى:﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[٢].

خامسا: الأحكام التشريعية المتعلقة بالاحتساب:

الاحتساب أو الحسبة[٣] وهي- كما عرفها الإمام الماوردي رحمه الله[٤] :(أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله)[٥]، وهي من الفروض الشرعية التي فرضها الله تعالى على عباده المؤمنين، فأمرهم بها في قوله تعالى:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ... ﴾[٦].

ويحقق الالتزام بهذه الفريضة عبودية الله تعالى، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن عبادته وطاعته، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بحسب القدرة والإمكان، والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق، فيجتهدون في إقامة دينه مستعينين به تعالى[٧].

ووظيفة الاحتساب في غاية الأهمية بالنسبة للمجتمع الإسلامي، وهي(من قواعد الأمور الدينية، وقد كان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم لعموم صلاحها، وجزيل

---

[١] أحكام القرآن ٤/ ١٨٤٢. وانظر الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٦٣، و ١٨/ ١٧٠. وأحكام القرآن: الإمام عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بإلكيا الهراس ٤/ ٤٨٣، تحقيق: موسى محمد علي و د. عزت علي عيد عيطة دار الكتب الحديثة، ط: بدون. ومحاضرات في عقد الزواج وآثاره من ص ٣٠٣ – ص ٣٠٦. وآثار عقد الزواج في الشريعة الإسلامية من ص ١٦٢– ص ١٦٥.

[٢] سورة الطلاق آية ٧.

[٣] انظر نصاب الاحتساب: عمر بن محمد بن عوض السنامي ص ٨١، مكتبة الطالب الجامعي مكة المكرمة، تحقيق: د. مريزن سعيد مريزن عسيري ط:١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

[٤] هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي، ولي القضاء في عدة بلدان ثم سكن بغداد، أظهرت تصانيفه بعد موته سنة ٤٥٠هـ رحمه الله وعمره ٨٦ سنة. بتصرف، طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ٢٦٧/٥، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط:١، ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م، وسير أعلام النبلاء ٦٤/١٨.

[٥] الأحكام السلطانية الماوردي ص ٢٩٩، والأحكام السلطانية الفراء ص ٢٨٤.

[٦] سورة آل عمران جزء من آية ١٠٤.

[٧] بتصرف، العبودية ص ٦١.

ثوابها)[1]، فبها تصلح أحوال المسلمين العامة والخاصة، وإذا فقدت أو أهملت، انتشر الفساد في البر والبحر، وعمت الفوضى بين العباد، ودب الضعف في بنية الأمة وكيانها، وهذا يفضي إلى الهزيمة والخذلان[2]، واستحقاق عقوبة الله لها.

قال الإمام الغزالي[3] رحمه الله مبينا أثر القعود عن هذه الفريضة: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد وخربت البلاد وهلك العباد.. الخ[4].

وكان فتح مكة إيذانا بسيادة الحكم الإسلامي على أرضها، وبالتالي إلزام من فيها بشريعة الإسلام أمرا ونهيا، ولا يتحقق تنفيذ الحكم الإسلامي إلا من خلال تحويل الشرائع الإسلامية من قول إلى سلوك عملي، وذلك حين يكون للإسلام اليد العليا والسلطة المؤثرة المنفذة، وتحققت هذه السلطة بقيام دولة المسلمين في مكة، وتملكهم لمقاليد الأمور فيها، وإقامتهم لدعوة الحق التي حملوا لواءها مع رسولهم سنين عديدة، قياما بالشرط الذي شرطه تعالى عليهم لتمكينهم في الأرض: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[5]، فالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة الله تعالى هو أساس لاستحقاق نصر الله تعالى، إذ أنه يستدعي العون الإلهي الخارق للعادة، وغير المقيد بقواعد الحرب

---

[1] معالم القربة في أحكام الحسبة: محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة، تحقيق: د. محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: بدون ١٩٧٦م.

[2] بتصرف، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: د. محمد عبد القادر أبو فارس ص ٢٩، دار الفرقان عمان الأردن ط:٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

[3] هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد حجة الإسلام، عالم فيلسوف متصوف، ولد بخراسان سنة ٤٥٠هـ، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز والشام ومصر ثم عاد إلى بلده وتوفي بها سنة ٥٠٥ رحمه الله، له نحو ٢٠٠ مصنف. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩، الأعلام ٢٢/٧.

[4] بتصرف، إحياء علوم الدين ٢/ ٣٠٦، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ، ط: بدون.

[5] سورة الحج آية ٤١.

المتعارفة[1]، كما ذكر ذلك في الآيات التي سبقت هذه الآية: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[2]

وقوله: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[3].

والنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، لم يغفلوا عن إقامة الدين الذي كانوا يدعون إليه قبل حصولهم على السلطة، فلم ينصرفوا لإشباع رغباتهم وإرضاء أهوائهم، بل بادروا إلى نشر دين الله وإقامة شرعه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهم يعلمون أن(جماع الدين وجميع الولايات هو أمر ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله، هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به، هو النهي عن المنكر، وهذا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن في قوله تعالى: ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ... ﴾[4]، كما ورد نعت المؤمنين والمؤمنات في قوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ .... ﴾[5])[6] فأثبت تعالى التلازم بين الإيمان والقيام بالاحتساب.

كما أن التزامهم بهذه الشعيرة، يقوي صفوفهم ويوحدها، ويجعلها قائمة على أساس من الخلق والفضيلة، ويجنبها أسباب التفرق والاختلاف[7]، الذي حذر منه تعالى

---

[1] بتصرف، مقدمة محقق كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال ص ٤٥. تحقيق ودراسة: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام ، ط: بدون ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

[2] سورة الحج الآية ٣٩.

[3] سورة الحج جزء من آية ٤٠.

[4] سورة الأعراف جزء من آية ١٥٧.

[5] سورة التوبة جزء من آية ٧١.

[6] الحسبة في الإسلام: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ص ١٢، تحقيق: سيد بن محمد بن أبي سعدة، مكتبة دار الأرقم الكويت ط:١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

[7] انظر الوحدة الإسلامية: الشيخ محمد أبو زهرة ص ٨٦، دار الرائد العربي بيروت لبنان ط: بدون ١٩٧٨م. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: السيد جلال الدين العمري ص ٩٤، نقله إلى العربية: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، شركة الشعاع للنشر الكويت، ط: بدون، ١٤٠٠هـ. وقد أثر عن سفيان الثوري قوله: إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أبو بكر الخلال ص ٩٦.

في قوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

ومن الأحكام التشريعية المتعلقة بالاحتساب ما يلي:

١) مراعاة المصالح في القيام بالاحتساب وتحقيقها، ودرء المفاسد وتعطيلها:

قد يندفع بعض الدعاة تحت ضغط الرغبة الملحة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى عدم التبصر في المصلحة المرتجاة من احتسابهم، فيقعون في الإفراط أو التفريط ، وقد يكون ذلك اجتهادا منهم في نشر الإسلام، وتطبيق شرائعه، كما قد يقعون بين أمور تتعارض فيها المصالح مع المفاسد، وتتزاحم فيها السيئات مع الحسنات، فلا بد حينئذ من الترجيح.

قال ابن القيم رحمه الله في تبيين حرص الإسلام على جلب المصالح ودفع المفاسد:(وإذا تأملت شرائع دينه التي وضعها بين عباده، وجدتها لا تخرج عن تحصيل المصالح الخالصة، أو الراجحة بحسب الإمكان، وإن تزاحمت قدم أهمها وأجلها، وإن فاتت أدناهما، وتعطيل المفاسد الخالصة أو الراجحة بحسب الإمكان، وإن تزاحمت عطل أعظمها فسادا باحتمال أدناهما)[2]، (والنبي صلى الله عليه وسلم شرع لأمته إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره)[3].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أُمرنا به، وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات، فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، وحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به،- وإن كان قد تُرك واجب وفُعل محرم- إذ أن المؤمن

---

[1] سورة آل عمران الآيتين ١٠٤-١٠٥.

[2] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ٢/ ٢٢، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون.

[3] إعلام الموقعين عن رب العالمين ٣/ ٤، وقد وضع رحمه الله أربع مراتب للإنكار انظر ٣/ ٤- ٥. وللاستفادة انظر إحياء علوم الدين ٣/ ٣١٩- ٣٢٤.

عليه أن يتقي الله في عباده وليس عليه هداهم، فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي، حيث كان المعروف والمنكر متلازمين[1].

واعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، لا ميزان الأهواء أو العرف أو القانون، أو الخبرات الشخصية، فكل ما أمر به الشرع فهو مصلحة، وكل ما نهى عنه فهو مفسدة[2]، قال الإمام الشاطبي رحمه الله :(المصالح المجتلبة شرعا والمفاسد المستدفعة، إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية، أو درء مفاسدها العادية)[3].

وقد راعى النبي صلى الله عليه وسلم بحكمته وثاقب نظره هذه القاعدة، وكانت منطلقا له في أعماله التي قام بها في هذه الغزوة، ومن ذلك:

-إصراره عليه الصلاة والسلام على إقامة الحد على المرأة التي سرقت، رغم أنها من أشراف مكة، ورغم اهتمام قريش بأمرها، ورغبتهم في حصول العفو منه صلى الله عليه وسلم عنها[4]، ثم التماسهم الشفاعة لذلك، وقد يخطر على البال هنا أن من مصلحة الدعوة الإسلامية العفو عنها، كسبا لقلوب قريش، وتأليفا لهم، وقد يخطر على الذهن أن الإسلام لن يخسر شيئا كثيرا إن هو تنازل عن إقامة هذا الحد مقابل دخول أهل مكة في الإسلام، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أبى أن ينتقص الدين، أو أن تحول الشفاعات دون تطبيق حدود الله، قياما بالعدل ورفضا للظلم[5]، وهو الذي أعلن من أول يوم في الفتح أن الناس سواسية، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم له، فقطع يدها، وكان في ذلك خير وبركة للإسلام، وأسلمت المرأة وتابت إلى الله وحسنت توبتها، وعلم أهل مكة أن

---

[1] بتصرف، الفتاوى ٢٨/ ١٢٦ و١٣٠.

[2] بتصرف، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه): خالد بن عثمان السبت ص ٢٢٩، المنتدى الإسلامي لندن ط:١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

[3] الموافقات ٢/ ٣٧.

[4] هذه القضية فيها جانب احتسابي، لكنها من ضمن الحدود التي يقيمها القاضي، فالمحتسب له(أن يعزر في المنكرات الظاهرة، لا يتجاوز إلى الحدود) كما قال الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية ص ٣٠٠.

[5] وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الحدود باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع للسلطان، وروى فيه حديث شفاعة أسامة رضي الله عنه للمرأة المخزومية ١٦/٨.

الدين الحق على صراط مستقيم، لا اعوجاج فيه ولا انحراف، فأثمر ذلك ثمارا زكية وشرح الله صدورهم للإسلام.

– تركه صلى الله عليه وسلم تعديل بناء البيت الحرام، وإكمال ما نقص منه بإدخال الحِجر[1] فيه، فأبقاه على سابق عهده وهو في حكم قريش، مع رغبته في إكمال ما قصر منه، لإدراكه صلى الله عليه وسلم أن المصلحة هنا أن لا يمس البناء بأي تغيير(لأن قريشا كانت تعظم أمر الكعبة جدا، فخشي صلى الله عليه وسلم أن يظنوا–لأجل قرب عهدهم بالإسلام– أنه غيَّر بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك)[2].

وقد بين الحكمة من ذلك في جوابه لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين(سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجَدْر[3]: أمن البيت هو؟ قال:((نعم)). قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال:((إن قومك قصرت بهم النفقة)). قلت: فما شأن بابه مرتفعا؟ قال: ((فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية، فأخاف أن تنكر قلوبهم، أن أدخل الجَدر في البيت، وأن ألصق بابه بالأرض))[4]، وفي رواية: ((مخافة أن تنفِر قلوبهم))[5].

فلا بد في الاحتساب من مراعاة المصلحة من إنكار المنكر، وقد يترك الإنكار خشية الوقوع في منكر أكبر منه، فتحصل مفسدة عظيمة من ذلك– كما دل الحديث–.

قال ابن القيم رحمه الله :(ومن تأمل ما جرى في الإسلام من الفتن الكبار والصغار، رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات، ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة، وصارت دار إسلام، عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك– مع قدرته عليه– خشية وقوع ما هو أعظم منه،

---

[1] والحجر معروف: وهو القدر الذي أخرج من الكعبة وهو على هيئة نصف الدائرة وقدرها تسع وثلاثون ذراعا. بتصرف، فتح الباري ٣/ ٤٤٣ ح ١٥٨٣.

[2] فتح الباري ١/ ٢٢٥ ح ١٢٦.

[3] والمراد: الحجر . فتح الباري ٣/ ٤٤٣ ح ١٥٨٤.

[4] صحيح البخاري كتاب الحج باب فضل مكة وبنيانها ٢/ ١٥٦.

[5] صحيح مسلم كتاب الحج باب نقض الكعبة وبناءها ٢/ ٩٧٣ ح ١٣٣٣.

من عدم احتمال قريش لذلك، لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر)[1] ،فالإسلام لما يتمكن من قلوبهم بعد، فكأنه خاف ارتدادهم للكفر، أو حصول تشويش في إيمانهم، فكانت المصلحة حينئذ في إبقاء البيت على نقص بنيانه دفعا للمفسدة الأعظم.

٢) المسارعة إلى إزالة المنكر، وبصورة كلية عند التمكن من ذلك:

لقوله صلى الله عليه وسلم :((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))[2]. قال القاضي عياض رحمه الله:(هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولا كان أو فعلا)[3]، فالإنكار له مراتب محددة، ومن قدر على مرتبة وعلم أنها تحقق مصلحة تغيير المنكر، فليس له أخذ الأدنى منها إذا علم عدم تحقق ذلك، فإذا علم المنكِر أن إنكاره باليد أو باللسان يزيل المنكر، وتوافرت لديه القدرة ثم اكتفى بالإنكار بالقلب، فإن ذلك لا يبرئ ذمته، كما يتضح من قول الإمام ابن النحاس[4] رحمه الله: (ومن استطاع التغيير باليد فلا يخرج عن عهده الوجوب بالهجر)[5]. إلا إذا تيقن أو غلب على ظنه زوال المنكر بذلك، وكان في إنكاره بالقلب أو هجره تأليف للمدعو.

ويدل على ذلك مسارعة النبي صلى الله عليه وسلم إلى تحطيم الأصنام الموجودة حول الكعبة، ذلك(أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما واحدا، فإنها من شعائر الكفر، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة)[6].

---

[1] أعلام الموقعين ٣/ ٤.

[2] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ١/ ٦٩ ح ٤٩.

[3] صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٢٥.

[4] هو أحمد بن إبراهيم بن محمد بن زكريا محيي الدين الدمشقي ثم الدمياطي، من فقهاء الشافعية، ولد في دمشق، ورحل أيام تيمور لنك إلى مصر، ولازم المرابطة والجهاد فيها حتى قتل شهيدا في معركة مع الفرنج سنة ٨١٤هـ. بتصرف، معجم المؤلفين ١٤٢/١، و الأعلام ٨٧/١.

[5] تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين: وتحذير السالكين من أفعال الهالكين: الإمام محي الدين أبو زكريا أحمد بن إبراهيم ابن النحاس الدمشقي ص ١٠٢، تحقيق: عماد الدين عباس سعيد، دار الكتب العلمية بيروت ط:١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

[6] زاد المعاد ٣/ ٥٠٦.

ومن ذلك إرساله السرايا لهدم الأوثان الموجودة حول مكة، وعدم رضاه بإزالة جزء منها، بل تراه يأمر رسوله بالعودة لإزالة الوثن كلية، ويستفاد من هذا الفعل، مشروعية إزالة كل ما يفتتن به الناس، أو يسبب لهم الضلال والانحراف في عقيدة التوحيد، من بناء وغيره، سواء كان إنسانا أو حيوانا أو جمادا[1].

والأصل أن يزال المنكر الذي جرى فيه الاحتساب بشكل كلي، وعلى المحتسب ألا يرضى بأنصاف الحلول، أو الاكتفاء بالتخفيف من المنكر ما أمكنه إزالته بالكلية[2]، ولكن لو عجز المحتسب عن إزالته بالكلية، أو خاف الضرر الشديد، فإنه يعمل على التخفيف منه قدر استطاعته، وذلك بعد النظر إلى قواعد الشرع، قبل الإقدام على الاحتساب، مراعاة للمصلحة لكيلا يخلف ذلك منكرا أكبر منه[3].

٣) تباين درجة الاحتساب تبعا للتمكن والقدرة:

فالقدرة والتمكن والاستطاعة، شرط أساس للقيام بالإنكار، لأن من فضل الله تعالى على عباده أنه لا يطالبهم بأمور فوق طاقتهم، أيا كان هذا المأمور، فإما أن يسقط كلية أو يخفف إلى درجة تتناسب مع قدرات هذا الشخص، وقد قال تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ... ﴾[4]،

كما قال صلى الله عليه وسلم:((فإذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم))[5][6]، وقال :((من رأى منكرا فغيره بيده فقد برئ، ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه

---

[1] بتصرف، فتح الباري ٨/ ٧٣ ح ٤٣٥٧.

[2] بتصرف، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: خالد السبت ص ٣٠٥، وذلك في حالة اقتضاء إزالة المنكر إتلافه كليا، وإلا فقد ذكر العلماء ضمن تقسيمهم لدرجات تغيير المنكر، درجة التغيير باليد، ومن آداب هذه الدرجة، أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه، ولا يتجاوزه إلا لبعض الأغراض كالزجر أو العقوبة. انظر إحياء علوم الدين ٣/٣٣١. وانظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: السيد جلال الدين العمري ص ١٧٧.

[3] انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٢٤-٢٥، وانظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: خالد السبت ص ٣٠٥-٣٠٨، وانظر درجات تغيير المنكر: د. عبد العزيز بن أحمد المسعود ص ٢٠، دار الوطن للنشر، ط:١، ١٤١٤هـ.

[4] سورة البقرة جزء من آية ٢٨٦.

[5] جزء من حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر ٢/٩٧٥ ح ١٣٣٧.

[6] بتصرف، درجات تغيير المنكر ص ٥.

فقد برئ، ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه[1] فقد برئ، وذلك أضعف الإيمان))[2].

قال الإمام الجصاص رحمه الله: (فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن إنكار المنكر على هذه الوجوه الثلاثة على حسب الإمكان)[3]،

فيشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر: أن يكون قادرا على الأمر والنهي، وتغيير المنكر، فإن كان عاجزا فلا وجوب عليه إلا بقلبه، وذلك بأن يكره المعاصي وينكرها ويقاطع فاعليها و يهجرهم[4].

ويتضح ذلك من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وفعله، فقد دخل مكة بعد أن أعلنت استسلامها، فكان أول ما قصده هو البيت الحرام، فطاف به صلى الله عليه وسلم ، وهنا نعقد مقارنة بين طوافه هذا وطوافه الأول في عمرة القضاء: فحينذاك كانت الأصنام تملأ نواحي الكعبة وأركان البيت، لكنه صلى الله عليه وسلم لم يمسها، و لم يكن للمسلمين ذلك، لأن دخولهم مكة في عمرة القضاء، كان بصلح مع قريش وبشروطها، والنبي صلى الله عليه وسلم أوفى الناس بعهده، وقد كان في استطاعته أن يحطم الأصنام، لأن شوكة الإسلام في ذلك الوقت قد بلغت من القوة ما لا تهاب قريش بعده، لكنه صلى الله عليه وسلم وفاء بعهده معهم، ولأن السيادة بمكة لا تزال بأيدي قريش، مما يتيح

---

[1] (أي فليكرهه بقلبه، وليس المراد فليغيره بلسانه وقلبه، إذ اللسان والقلب لا يصلحان للتغيير عادة، سيما بالنظر إلى غير المستطيع).حاشية السندي على سنن النسائي بشرح السيوطي ٨/ ١١١ ح ٥٠٠٨.

[2] سنن النسائي كتاب الإيمان وشرائعه باب تفاضل أهل الإيمان ٨/ ١١٢ ح ٥٠٠٩.

[3] أحكام القرآن ٢/ ٣٠.

[4] بتصرف، التشريع الجنائي الإسلامي ١/ ٤٩٧، وأضاف المؤلف: وسقوط الواجب لا يترتب على العجز الحسي وحده، بل يلحق بالعجز الحسي خوف الآمر الناهي أن يصيبه مكروه، أو أن يؤدي الاحتساب إلى منكر شر من المنكر الذي نهى عنه، ففي هذين الحالين يسقط الواجب أيضا. قال د.عبد العزيز مسعود: ينبغي أن يكون هناك حد أدنى يقف الناس عنده، حتى لا يكون مبدأ عدم القدرة وسيلة لترك الاحتساب، فمثلا الخوف من اللوم والسب والشتم ونحوه، لا تعذر في ترك الإنكار لأنه بسيط وهو في ذات الله، وعذر الشارع في عدم النهي عن المنكر إذا خاف الإنسان على نفسه رخصة، والعزيمة أن يقدم نفسه وما يملك في سبيل الله، وهناك العديد من الأحاديث التي تفيد أن الإنسان مأجور عندما يصدع بكلمة الحق ولو أدى ذلك إلى هلاكه. بتصرف، درجات تغيير المنكر من ص ١٣- ١٧.

لهم إمكانية إصلاح ما يحطمه المسلمون، ولنظرته صلى الله عليه وسلم البعيدة، فهو يعلم أنها ستتحطم يوما ما، ولكن في الوقت المناسب، لذلك طاف صلى الله عليه وسلم رغم وجود هذه الأصنام، أما بعد أن فتحت مكة أبوابها للمسلمين دون قيد أو شرط، وألغيت معاهدة الصلح، ودخل الناس في دين الله أفواجا، فقد أصبح للنبي صلى الله عليه وسلم القدرة على التغيير، فكان أول ما أقدم عليه هو تحطيم هذه الأصنام[1].

كما نفذت أوامره بقتل أشخاص معينين كان منهم أذى شديد للإسلام، وأمر بقطع يد المرأة السارقة، وقد تمكن من تنفيذ هذه الحدود وإيقاع العقوبة، لأن(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم إلا بالعقوبات الشرعية، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وإقامة الحدود واجبة على ولاة الأمور، وذلك يحصل بالعقوبة على ترك الواجبات وفعل المحرمات)[2].

فهناك فارق مهم بين درجات إنكار المنكر، ومما يحدد المرتبة المناسبة هو ما يملكه القائم بالاحتساب من التمكن والسلطة، فللمحتسب المعين من قبل ولي الأمر من الصلاحيات، ما ليس لمن احتسب تطوعا[3]، فالتغيير باليد هو أول المراتب وأفضلها، إذا قدر على ذلك، أما إذا غلب على ظنه أن تغييره سيسبب منكرا أشد منه وأذى كقتله أو قتل غيره، كفَّ يده واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك، كره وغير بقلبه، وهذا الذي يسعه، وهذا هو المراد بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم :((من رأى منكم منكرا.. الحديث)).

---

[1] بتصرف، المنهج الحركي للسيرة النبوية ١٣٣/٣، ومحاضرات مادة الدعوة في الكتاب والسنة: د. عبد الله المطلق. للسنة التمهيدية لمرحلة الماجستير ١٤١٤هـ-١٤١٥هـ.

[2] الحسبة في الإسلام ص ٥٠، وانظر الدعوة إلى الله: د. توفيق الواعي ص ٧٩- ٨٠.

[3] وقد ذكر الإمام الماوردي تسعة فروق بين الصنفين، منها: تعين فرضية الاحتساب على المحتسب دون المتطوع، وله البحث عن المنكرات ليتمكن من تغييرها أما المتطوع فله إنكار ما طهر منها، والمتطوع ليس له إيقاع العقوبات أو التعزير على صاحب المنكر بخلاف المحتسب. بتصرف، الأحكام السلطانية ص ٢٩٩- ٣٠٠.

وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان، ما لم يؤد ذلك إلى إظهار سلاح وحرب، وليرفع ذلك إلى من له الأمر- إن كان المنكر من غيره- أو يقتصر على تغييره بقلبه[1].

٤) أن لا يقوم بالإنكار حتى يتبين علم القائم بالمنكر به[2]- أي بالمنكر-:

فلا بد للمحتسب من النظر في حال فاعل المنكر، هل هو عالم بالحكم أو جاهل به، ويدل على ذلك تأني الرسول صلى الله عليه وسلم مع حاطب رضي الله عنه ، بعد محاولته إرسال كتاب لأهل مكة، فقد روى البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأله فقال:((يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقا في قريش.. ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((إنه قد صدقكم))[3]، وفي رواية أنه سأله فقال:((ما حملك على ما فعلت))[4]. فلم يعنفه أو يعاقبه، حتى سأل عن السبب الذي دفعه إلى فعلته، ثم تبين له صلى الله عليه وسلم تأوله وجهله بحكم تحذيره لقريش، وأن ذلك ليس نصرة لهم على المسلمين، بل هو نوع من التعامل الجائز مع الكفار طلبا لحمايتهم، إلى أن نزل القرآن، وأزال هذه الشبهة، وبين أن الولاء المشتمل على النصرة، وتقديم المحبة والمودة إنما هو

---

[1] بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ٢٥/٢. وقد شرط بعض العلماء للمحتسب: إذن الإمام، وهذا الشرط محل نظر، بالنسبة للمتطوع للاحتساب، لأن كل مسلم يلزمه تغيير المنكر إذا رآه، وقدر على إزالته، دون إذن من الإمام، لما كان يجري من السلف الصالح من الاحتساب دون إذن من الأمام، وإن اشترط الإذن لبعض أنواع الحسبة، وهي التي يجري فيها استعمال القوة والتعزير، فهذا الشرط له وجه مقبول، لابتنائه على المصلحة، لأن إباحة هذا النوع من الاحتساب لكل أحد، قد يؤدي إلى الفوضى والفتنة بحجة الاحتساب. انظر أحكام القرآن: ابن العربي ٢٩٣/١، وإحياء علوم الدين ٣٣٣/٢، وأصول الدعوة ص ١٨١، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: السيد جلال الدين العمري ص ١٧٢، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: خالد السبت ص ٣٢٣ و ص ٣٣١.

[2] انظر الأحكام السلطانية : الماوردي ص ٣٠٨، وإحياء علوم الدين ٣٢٥/٣، وتنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين ص ٤٢.

[3] سبق تخريجه ص ١٠٩.

[4] صحيح البخاري كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرا ٩/٥.

خاص بالمؤمنين، وليس للكفار من ذلك إلا المعاملة بالبر والإحسان في حالة مسالمتهم للمؤمنين.

وتعريف المحتسب عليه بالمنكر قبل الإنكار عليه، -سواء كان باللسان أو باليد- أمر ضروري، لأن أسلوب الإنكار سيختلف ويتفاوت باختلاف حال الواقع فيه، ودافعه إلى ذلك، هل هو جهل أو شبهة عارضة أم هو عناد واستكبار، فإن (من أقدم على منكر جاهلا أنه منكر، -ولو علم أنه منكر رجع عنه- يجب أن يعلم بلطف ورفق وسياسة)[1].

ومن المهم للداعية ملاحظة أن هناك أحوال يعدل فيها عن الرفق إلى الشدة: كما إذا ثبت علم المدعو وظهر منه عناد واستخفاف بالدعوة، أو حين تبدر المخالفة ممن لا يتوقع منه ذلك لما عرف عنه من فقه بأمور الدين أو الصلاح، فيشدد عليهم في الإنكار ليكون وقع الإنكار على قلوبهم أبلغ فيبتعدوا عما صاروا إليه[2].

وقد بين الله تعالى اختلاف طرق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باختلاف حال المدعو، في قوله تعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ... ﴾[3].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :(جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه، يدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر، يدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والمعاند الجاحد، يجادل بالتي هي أحسن)[4].

هذه بعض الأحكام التشريعية التي فرضت في غزوة الفتح أو أُكد على مشروعيتها بعد الفتح، وهي أحكام لها وزنها في تربية الجماعة الإسلامية، ولها علاقتها وارتباطها

---

[1] تنبيه الغافلين ص ٤٧.

[2] بتصرف، من صفات الداعية اللين والرفق: د. فضل إلهي ص ٣٤ و ص ٥٠. الناشر إدارة ترجمان الإسلام باكستان ط:١، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

[3] سورة النحل جزء من آية ١٢٥.

[4] التفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤، جمع: محمد أويس الندوي ،تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: بدون ١٩٤٨م، وانظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: خالد السبت ص ٢٩٥ و ص ٣٢٢.

بالأخلاق الإسلامية، فمن غايات الأحكام الشرعية أن يظهر السلوك الإسلامي بالمظهر الأخلاقي الرفيع، ليبين للناس أن مستوى الإنسانية الفاضل إنما هو في التبعية لهذا الدين[1]، وأن بناء المجتمع المسلم بناء متكاملا، لن يقوم صرحه إلا على العقيدة الحقة المتكاملة، والعبادة الخالصة لله تعالى، والإتباع لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتحكيم شرع الله، مع التحلي بمكارم الأخلاق والعادات الفاضلة التي دعا إليها الإسلام، وهذا ما يوضحه المطلب التالي.

[1] بتصرف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مناهجها وغاياتها: د. رؤوف شلبي ص ٥١٥، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: بدون ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

المطلب الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بالأخلاق.

دعا الدين الإسلامي إلى الفضائل، ونهى عن الرذائل، وجعل سعادة الدنيا والآخرة جزاءً لمن التزم بذلك وقام به، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ ﴾[1]،كما قال تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[2]،والعمل الصالح يشمل الالتزام بتشريعات الإسلام وآدابه وأخلاقياته.

ومن مميزات الدعوة الإسلامية أنها دعوة أخلاقية، شهدت بذلك أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بعد نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ،حين أثنت عليه بما علمت من كريم أخلاقه وحسن طريقته، فقالت تهدئ من روعه :(أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل ،وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)[3]، فهي شهادة بحسن أخلاقه وأفعاله، ومما يلاحظ أنها لم تشهد له آنذاك برجاحة العقل أو رفعة القدر-رغم توافر الصفتين فيه-بل شهدت له بأنه على خلق عظيم، وهو ما شهد له به القرآن حين درجت الدعوة وخرجت لتسمع بها قريش، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[4].

وقد سبق علم قريش بذلك، فقد نشأ عليه الصلاة والسلام من أول أمره متحليا بكل خلق كريم، مبتعدا عن كل وصف ذميم، قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

---

[1] سورة النحل جزء من آية ٩٠.

[2] سورة النحل آية ٩٧.

[3] صحيح البخاري كتاب التعبير باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ٦٧/٨.

[4] سورة ن آية ٢. وانظر من فلسفة التشريع الإسلامي: فتحي رضوان ص ٤٨، دار الكتاب اللبناني بيروت ط:٢، ١٩٧٥م.

: (كان من أكمل الناس تربية ونشأة، لم يزل معروفا بالعدل والبر والصدق ومكارم الأخلاق، وترك الفواحش والظلم، وكل وصف مذموم، مشهودا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة، وممن آمن به وكفر بعد النبوة... فليس في تلك الكتب إيجاب لعدل، وقضاء بفضل، وندب إلى الفضائل وترغيب في الحسنات، إلا وقد جاء به، وبما هو أحسن منه)[1]، فكان من أعلم الناس وأفصحهم وأكثرهم حياء، ويضرب به المثل في الأمانة والصدق والجود، أدبه ربه فأحسن تأديبه، فكان من أوفر الناس أدبا وأوفرهم حلما، وأكملهم قوة وشجاعة، وأوسعهم رحمة وشفقة، وبالجملة كل خلق محمود يليق بالإنسان، فله منه القسط الأكبر، وكل وصف مذموم فهو أسلم الناس منه، وأبعدهم عنه، شهد له بذلك العدو والصديق[2].

ومن ذلك شهادة السائب المخزومي [3]رضي الله عنه–وهو من المؤلفة– له يوم الفتح، بحسن الخلق وسهولة المعاملة، والرفق والابتعاد عن المراء والخصومة، فيقول: جيء بي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة، فجعل الناس يثنون علي، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :((لا تعلموني به قد كان صاحبي في الجاهلية)) فقال:(نعم يا رسول الله فنعم الصاحب كنت)[4]، وفي رواية قال:(بأبي أنت وأمي، كنت شريكى فنعم الشريك، كنت لا تداري ولا تماري[5])[6].

---

[1] باختصار، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ص ٨٠– ٨٣، مطابع المجد التجارية ط: بدون.

[2] وذلك مثل شهادة كفار قريش عند بنائهم الكعبة بأمانته وصدقه، وكذلك شهادة أبي سفيان له أمام هرقل. وأمثلة أخرى. انظر من أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: عبد المحسن بن حمد العباد من ص ٢١ حتى ص٣٠، من مطبوعات الجامعة الإسلامية مركز شئون الدعوة ط:٦ ، ١٤١٤هـ.

[3] هو صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والد عبد الله بن السائب وقيل: هو قيس بن السائب بن عويمر بن عائذ المخزومي، من مسلمة الفتح، ذكر أنه كان مع عكرمة بن أبي جهل في قتال المرتدين ، وبعثه مبشرا بالفتح إلى أبي بكر الصديق، أدرك خلافة معاوية رضي الله عنه .بتصرف، الإصابة ١٠/٢، وانظر الإصابة ٢٤٨/٣.

[4] رواه الإمام أحمد في مسنده ٤٢٥/٣.

[5] قوله لا تداري: أي لا تخالف ولا تمانع، وأصل الدرء الدفع، يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق والسهولة في المعاملة، وقوله لا تماري: يريد المراء والخصومة. بتصرف، معالم السنن ١٨٨/٧.

[6] سنن أبي داود كتاب الأدب باب في كراهية المراء ٢٦٠/٤ ح ٤٨٣٦، والمصنف: ابن أبي شيبة ٥٠٥/١٤ ح ١٨٧٩٤، وسنن ابن ماجه في كتاب التجارات باب الشركة والمضاربة ٧٦٨/٢ ح ٢٢٨٧، وقال عنه الشيخ الألباني: حديث صحيح. انظر صحيح سنن ابن ماجه ٢٩/٢ ح ١٨٥٣.

وقد لخص النبي صلى الله عليه وسلم دعوته للناس بقوله:((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))[1]، والمتبصر بحقيقة الإسلام، يلحظ المكانة العظيمة التي تحتلها الأخلاق فيه، حتى كان إتمام مكارم الأخلاق هي دعوته، (فمكارم الأخلاق دلالة على أداء الواجبات الاجتماعية بكفاءة وإتقان، ودلالة على جودة العمل الفردي والاجتماعي بمهارة، ودلالة حسن التكيف الاجتماعي بين الأفراد من أجل حياة سعيدة نامية متجددة).[2]

وهذا أبو ذر الغفاري[3] رضي الله عنه (لما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي، فاسمع من قوله. فرجع فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق)[4].

فأحكام الإسلام بشكل عام لا تخرج عن أمرين، أمر بالخير أو نهي عن الشر، كما تنبه لذلك أكثم بن صيفي[5]، حين أرسل من قومه رجلين ليأتياه بخبر النبي صلى الله عليه وسلم ويبلغوه عنه، فذهبا إليه وسألاه عن رسالته، فقال:((أنا محمد بن عبد الله، وأنا عبد الله ورسوله))، ثم تلا عليهما قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ... ﴾[6]، فأتيا أكثم فقالا له ذلك، فقال: إي قوم إنه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤوسا ولا تكونوا أذنابا[7].

---

[1] رواه الإمام أحمد في مسنده ٣٨١/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه. والإمام البخاري في الأدب المفرد باب حسن الخلق ح ٢٧٣، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،المكتبة العربية باكستان ط: بدون، وصححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧٥/١ ح ٤٥.

[2] الطبيعة البشرية في القرآن الكريم: د. لطفي بركات أحمد ص ٥٧، دار المريخ الرياض، ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

[3] هو جندب بن جنادة بن سكن الغفاري، من نجباء الصحابة، وأحد السابقين الأولين، قيل: كان خامس خمسة في الإسلام، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته، توفي بالربذة سنة ٣١، ومات وحيدا كما تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم . بتصرف، سير أعلام النبلاء ٤٦/٢، والإصابة ٦٢/٤.

[4] صحيح البخاري كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ٨١/٧.

[5] الأكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث التميمي، الحكيم المشهور، كان من المعمرين، قيل أنه ركب بعيره متوجها إلى المدينة ليسلم فمات في الطريق، فنزل فيه فوله تعالى : ﴿ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا ... ﴾ وقيل نزلت في غيره. بتصرف، الإصابة ١١٠/١، وانظر أسباب النزول للسيوطي ص ٨٠.

[6] سورة النحل جزء من آية ٩٠.

[7] بتصرف، الإصابة ١١٠/١، ومن الشواهد على ذلك قول جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي في تعريفه بالإسلام: وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، ونهانا عن الفواحش وقول الزور.. الخ . سبق تخريجه ١٧.

أما المقصود بالأخلاق: فالخلق (عبارة عن هيئة راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية)[1]، ويجيء الخلق بمعنى: الدين والطبع والسجية[2]،وهو وصف لصورة الإنسان الباطنة، و(يقال: فلان حسن الخَلق والخُلُق: أي حسن الباطن والظاهر، فيراد بالخَلق الصورة الظاهرة، ويراد بالخُلُق الصورة الباطنة)[3].

والخلق صفة مستقرة في النفس- فطرية أو مكتسبة- ذات آثار في السلوك، محمودة أو مذمومة، ويقاس مستواه عن طريق قياس آثاره في سلوك الإنسان، فالسلوك هو المظهر الخارجي للخلق، فالصفة الخُلقية الحميدة تكون آثارها في سلوك الإنسان حميدة كذلك، وإذا كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة، وكما أن الشجرة تعرف بالثمرة، فكذلك الخلق الطيب يعرف بالأعمال الطيبة[4].

وقد تكررت الآيات القرآنية والأحاديث في مدح حسن الخلق، والأمر به بشكل عام مجمل، والأمر والترغيب بفضائل خلقية كثيرة، وكذلك النهي والترهيب عن رذائل الأخلاق، ثم تبين الجزاء لمن التزم بذلك، بالظفر بمرضاة الله تعالى، والسعادة العاجلة في الحياة الدنيا، والمؤجلة في الآخرة[5].

ومن آثار الأخلاق الإسلامية المباركة على الدعوة، انتشارها في نواحي الأرض، وقبول الناس لها، لما يرون من أخلاق المسلمين الحسنة التي يتحلون بها في تعاملهم مع غيرهم، سواء أكانوا تجارا ،أم طلبة علم، أم مجاهدين في سبيل الله، وذلك حين كان

---

[1] التعريفات: السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الجرجاني ص ١٣٥، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب بيروت، ط:١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

[2] النهاية في غريب الحديث ٢/٧٠.

[3] إحياء علوم الدين ٣/٥٣.

[4] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها: الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ١/١٠، دار القلم دمشق، ط:٣، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م. ومقدمة في علم الأخلاق: د. محمود حمدي زقزوق ص ٣٣-٣٤، دار الفكر العربي ط:٤، بدون تاريخ.

[5] ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران جزء من آية ١٣٤، وما رواه ابن عمر رضي الله عنهما:(لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا، وإنه كان يقول:((خياركم أحاسنكم أخلاقا)) صحيح البخاري كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ٧/٨٢.

المسلمون مُثُلا تتحرك، وقيما إيمانية تسعى في الأرض، ويسعى نورها بين أيديها وبأيمانها[1].

وبأخلاقهم برهنوا لغيرهم على سمو هذا الدين وعظمته، مما دفع الكثير من غير المسلمين إلى اعتناق الإسلام رغبة وحبا فيه.

يقول بيجي روديك:(وتعاليم الإسلام الخُلُقية تحقق امتزاجا تاما بين المثالية والواقعية.. وليس في الإسلام أي فصل بين الدين والسياسة، فمن واجب الدولة المسلمة، أن تراعي واجباتها الخُلقية المفروضة إلى الأفراد، فالسياسة في الإسلام أخلاق أولا وقبل كل شيء)[2].

أسس الأخلاق في الإسلام:

للأخلاق في الإسلام أسس وقواعد[3] يعتمد عليها بناء المسلم وتكوينه الأخلاقي، ومن الأسس التي يمكن أن نستنبطها من أحداث غزوة الفتح ما يلي:

١-أن الأخلاق الإسلامية تتلاءم مع الفطرة الإنسانية السليمة التي فطر الله الناس عليها[4]:

فالأخلاق تنقسم إلى قسمين:

أ-أخلاق فطرية ،تظهر في الإنسان من أول حياته وبداية نشأته، كما قال صلى الله عليه وسلم :((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أوينصرانه

---

[1] بتصرف، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي: د. علي جريشة ومحمد شريف الزيبق ص ٢١٩، دار الاعتصام ط: بدون. ولعل الخلل الكبير الذي يعاني منه المسلمون في حياتهم المعاصرة، من انحسار للدين الإسلامي وتضييق على الدعوة، وتقصير في إقامة الدين، هو من النقص في الأخلاق الأساسية التي يجب أن تتوافر في كل مسلم، لأنها إن ضعفت ونقصت فلن تقوم للأمة قائمة، حتى أن بعض الكتاب يصف هذه الأزمة التي يمر بها المسلمون بأنها أزمة أخلاقية. بتصرف، خواطر في الدعوة: محمد العبدة ٤٤/٢، المنتدى الإسلامي بريطانيا ط:١، ١٤١٣هـ.

[2] رجال ونساء أسلموا: عرفات كامل العشي ١١٤/٦، دار القلم الكويت، ط:٣، ١٣٨٩هـ ١٩٧٨م. وانظر عدة شواهد في كتاب قالوا عن الإسلام: د. عماد الدين خليل ص ١٨٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٩ ...الخ. من إصدارات الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض ط:١ ١٤١٢هـ ١٩٩٢م..

[3] للاستفادة انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ١٩٥/١- ٢٠٧، والأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها: د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي تحت عنوان القواعد الأساسية لاكتساب الأخلاق ص ٦٣- ٧٥، مطبعة سفير الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

[4] انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ١٧٨/١-١٨٩.

أويمجسانه))[1]، أي على فطرة الحق والإيمان، والدين الإسلامي لم يأت لنسخ هذه الفطرة الطبيعية، أو عزل سلطتها، بل لتثبيت دعائمها وتصديقها وتهذيبها.

ب- أخلاق مكتسبة من البيئة الطبيعية أو الاجتماعية أو توالي الخبرات والتجارب.

ولاكتساب خُلق ما لابد من وجود هذا الاستعداد الفطري لاكتسابه، وهذا يتفاوت من إنسان لآخر، فالناس كما تفاوت حظوظهم من الذكاء الفطري والصفات الجسدية، فكذلك تتفاوت طبائعهم الخلقية.

ومما يدل على وجود الفروق في الهبات الفطرية الخلقية: قوله صلى الله عليه وسلم:((الناس معادن، كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا))[2]، ففي هذا الحديث يثبت الرسول صلى الله عليه وسلم وجود فروق في الهبات الفطرية الخُلقية، وأن خيار الناس في تكوينهم الفطري، هم أكرمهم خُلقا، وأن هذا التكوين الفطري يرافق الإنسان ويصاحبه في كل أحواله، فأحاسنهم أخلاقا في المجتمع الجاهلي، هم خيرهم معدنا وأفضلهم سلوكا، فإذا عُلِّم وهُذب وتفقه في الدين، امتاز منهم من امتاز سابقا، لأن الإيمان والعلم والتهذيب تمد من كان ذا خلق حسن في أصل فطرته، فتزيده حسن خلق واستقامة سلوك وفضل[3].

وكان هذا حال صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن أسلم من كبارهم وكرامهم يوم الفتح، كأبي سفيان وحكيم بن حزام والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين،-وكانوا جميعا من المعروفين بالفضل والصدق

---

[1] صحيح مسلم كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٢٠٤٧/٤ ح ٢٦٥٨. وكذلك حديث الأشج بن قيس:(الحمد لله الذي فطرني على خصلتين يحبهما الله ورسوله..).

[2] رواه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب قوله تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ ١٢٢/٤. ورواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب الأرواح جنود مجندة ٢٠٣١/٤ ح ٢٦٣٨ واللفظ له، والمسند ٢٦٠/٢ و ٥٣٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

[3] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ١٧٩/١، ومن الممكن تقسيم العوامل المؤثرة في الخلق إلى قسمين هما: الوراثة والبيئة، فالمرء يخلق وعنده استعداد للخير والشر، وأخلاقه تتغير على حسب ما يؤثر فيها من عوامل الوراثة والبيئة. بتصرف، مقدمة في علم الأخلاق ص ٣٢.

في البذل والتضحية كما أُثر عنهم في سيرهم-،كان لهم في الإسلام مكانة عالية وتحولت عداوتهم للأسلام وكراهيتهم له إلى جهاد ونصرة للحق وتضحية في سبيل الله تعالى.

ومن شواهد موافقة الأخلاق الإسلامية للفطرة، ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء، فقد روت أن فاطمة بنت عتبة [1]رضي الله عنها جاءت(تبايع النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عليها أن﴿ لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ .... ﴾[2] قالت: فوضعت يدها على رأسها حياء، فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى منها)[3].

وكذلك استنكرت ذلك هند بنت عتبة رضي الله عنها ذلك واستهجنت أن يقع من أصحاب النفوس العفيفة، وقالت:(وهل تزني الحرة)[4]، فقد كانت الفطرة العربية السليمة النقية تصون الأعراض وتحافظ على الحرمات والمقدسات، وتستنكر وترفض خدشها والمساس بها.

والحاسة الأخلاقية كالحواس الأخرى المغروسة في الطبيعة البشرية، يستحسن الإنسان بواسطتها بعض الأفعال، ويستقبح البعض الآخر، وهذا مما يميز الإنسان عن الحيوان[5].

وهذه الحاسة عميقة وراسخة في فطرة الإنسان، ولم يغفلها الإسلام بل عمل على تنظيمها، وتوجيهها، ووضع المقاييس والمعايير الثابتة لها، فلا تميل وتتبع الهوى والمصالح الشخصية، إنما ترجع إلى معايير مطردة، بعيدة عن التأثر بالأهواء، وهي الموازين الإسلامية التي جاءت لتنمية الفاضل من هذه الأخلاق، ولتوجيه وتعديل المنحرف منها.

وفطرية الأخلاق دليل على إمكانية تقويمها وتهذيبها لتكون أخلاقا فاضلة حميدة، ولكن يشترط لذلك سلامة هذه الفطرة وصحتها، فالفطرة قد تفسد أحيان-أو غالبا-إذا تعاقبت

---

[1]فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أخت هند أم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين ، أسلمت مع أختها يوم الفتح. بتصرف، الطبقات الكبرى ٢٣٨/٨، والإصابة ٣٨٣/٤.

[2] سورة الممتحنة جزء من آية ١٢.

[3] رواه الإمام أحمد، وقال الشيخ الساعاتي: رجاله رجال الصحيح، الفتح الرباني ١٦٤/٢١.

[4] انظر تاريخ الأمم والملوك ٦٢/٣.

[5]بتصرف، جوانب التربية الإسلامية الأساسية: د. مقداد يالجن ص ٢٩٢، مؤسسة دار الريحاني للطباعة بيروت، ط:١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

عليها عوامل الفساد، فلا تتقبل الأخلاق الفاضلة، بل قد تنكرها[1]،كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :(والفعل إذا صادف محلا قابلا تم، وإلا لم يتم، والعلم بالمحبوب يورث طلبه، والعلم بالمكروه يورث تركه...وهذا كله إنما يحصل مع صحة الفطرة وسلامتها، وأما مع فسادها فقد يحس الإنسان باللذيذ فلا يجد له لذة بل يؤلمه، وكذلك يلتذ بالمؤلم لفساد الفطرة)[2].

٢-ارتباط الأخلاق بالعقيدة والشريعة الإسلامية:

أحاط الإسلام الفرد في المجتمع الإسلامي بسياج من الأخلاق، ويمتد هذا السياج ليشمل سائر شئون الحياة الدينية والدنيوية، فيشمل بذلك أمور الدين كلها ليحقق ترابطا قويا بين الخلاق والعقيدة وبينها وبين الشريعة.

أما ارتباط الأخلاق بالعقيدة فهو من جانبين:

الجانب الأول: أن الإيمان بالله تعالى دافع إلى الالتزام بالأخلاق المرضية عنده تعالى، ويتجلى ذلك في حرص الإسلام على وجود وازع إيماني أخلاقي في داخل نفس المؤمن، لتزكية هذه النفس وإبقائها دائما في حالة من الطهر والتسامي، كما قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** ﴾[3].

بل إن الالتزام بالأخلاق الفاضلة هو من معايير صدق الإيمان، وهو البر الذي قال عنه تعالى: ﴿ **لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ ....** ﴾[4].

---

[1] فتنكر المعروف وتتقبل المنكر، كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم حال قلب من تعرض عليه الفتن ويقبلها فيصبح((أسود مربادا كالكوز مجخيا، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه))، صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريب وسيعود غريبا، وأنه يأرز بين المسجدين ١٢٣/١ ح ١٤٤.

[2] الإيمان ص ٢٢، المكتب الإسلامي بيروت ط:٢ ١٣٩٢هـ.

[3] سورة الشمس الآيات ٧-١٠.

[4] سورة البقرة جزء من آية ١٧٧.

فالعقيدة الإسلامية هي الأساس الأول لإقامة صرح الأخلاق، فمنها ينبع الخلق[1]، وهي الحارس القائم في الضمير على أمانة تنفيذ أوامر الله، وهي الحافز النفسي على الطاعة والاستقامة على الفضائل التي أمر بها الشرع، والابتعاد عن الرذائل التي حذر منها ونهى عنها[2].

ومن الممكن أن يسمى هذا الوازع (الضمير الأخلاقي)، وربط التربية الأخلاقية بالإيمان بالله، أساس لنمو هذا الضمير، الذي يهدف إلى كسب رضى الله تعالى عن طريق التزامه بالفضائل الأخلاقية، والدين الإسلامي لم يكتفِ بأن يلزم هذا الضمير الأخلاقي بالفضائل فحسب، بل أنه بعد أن يغذيه وينوره يعتمد عليه من جديد لدعم سلطانه الخاص[3]، ليحقق تقوى الله والإخلاص له تعالى في نفوس المؤمنين، فإذا لم يتوفر الإخلاص لله في القلب، لم تثمر الطاعات الظاهرة أي قرب له تعالى، وإذا لم تتهذب النفس بالأخلاق الفاضلة، لم يغنها أي غناء ما قد تلبسه على مرأى الناس من ثوب الصلاح والتقوى[4].

إضافة إلى ذلك فإن الإيمان بعلم الله تعالى، وإطلاعه على كل شئون العبد، يقيم داخل نفسه حسيبا، يراقب كل عمل لا تبصره عين الناس أو تطاله يد الحكم، وذلك يحدث داخل النفس المؤمنة رهبة من اقتراف الأخلاق الفاحشة الذميمة، أقوى من رهبته الحكام أو الناس.

الجانب الثاني: ومن الممكن اعتباره نتيجة للجانب الأول، فإذا كان الإيمان بالله هو الدافع للسلوك القويم والأخلاق الحميدة، فإن لهذه الأخلاق أثرا يتناسب مع الإيمان تناسبا

---

[1] من أمثلة نبع الأخلاق من العقيدة قوله صلى الله عليه وسلم :((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)) في حثه على الكرم، وقوله:((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) في نهيه عن الزنا .انظر أساليب الغزو الفكري د. علي جريشة ص ٢١٩.

[2] انظر منهج القرآن في التربية: محمد شديد ص ١٤٦، مؤسسة الرسالة بيروت ط: بدون ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

[3] بتصرف، دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن: د. محمد عبد الله درَّاز، ص ٦٧٨، تعريب وتحقيق: د. عبد الصبور شاهين مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية ط:٤، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

[4] بتصرف، باطن الإثم، الخطر الأكبر في حياة المسلمين: د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٠، مكتبة الفارابي دمشق، ط:٣، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

طرديا ، فإذا التزم المسلم بأمهات الفضائل التي أمر بها الإسلام، وأتى بها مخلصا، فإنه يبلغ من الإيمان منزلة عالية، وكلما ارتقت وحسنت أخلاقه، بلغ درجة أعلى كما قال صلى الله عليه وسلم :((إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وألطفهم بأهله))[1].

فهناك تلازم بين الإيمان وحسن الخلق، فكلما كان العبد أحسن خلقا، كان أكمل إيمانا، وكلما أحسن للناس بالبشاشة وطلاقة الوجه وكف الأذى وبذل الندى، كان أفضل عند ربه[2]، وكان له من المكانة والقرب من رسوله صلى الله عليه وسلم ما ليس لغيره كما قال :((إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقا))[3].

أما ارتباط الأخلاق بالشريعة فهو كذلك من جانبين:

الجانب الأول: أنه مع كل أمر شرعي يوجد أمر أخلاقي يعطيه المعنى الإنساني الذي يرتفع به عن مستوى التكليف البحت، ويشيع في جوانبه الحب والإحسان والإخلاص، فالعبادات الإسلامية من صلاة وزكاة وصيام وحج وغيره، تتحلى بآداب وأخلاق ترتفع بها عن مستوى الأداء المجرد وتوفر لها عنصري الضمير والروح[4].

فالمؤمن عند أداء العبادة يتحلى بآدابها وأخلاقها، ويجني كذلك- بفضل الله - ثمراتها الأخلاقية، ومن هذه الثمار على سبيل المثال: أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والزكاة التي يبذلها الأغنياء تطهرهم وتزكيهم ،والحج يعود المؤمنين على الصبر والبذل والإيثار.. الخ[5].

---

[1] سنن الترمذي كتاب الإيمان باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه ٥/٩ ح ٢٦١٢، وقال: هذا حديث صحيح.

[2] بتصرف، نزهة المتقين شرح رياض الصالحين: د. مصطفى سعيد الخِن و مجموعة من العلماء ١/٥٢٧ باب حسن الخلق، مؤسسة الرسالة بيروت ط:١، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

[3] سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في معالي الأخلاق ٤/٣٧٠ ح ٢٠١٨. وقال : هذا حديث حسن.

[4] بتصرف، ثوابت ضرورية في فقه الصحوة الإسلامية: د. عبد الحليم عويس ص ١٢٢، دار الصحوة للنشر القاهرة، ط:١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

[5] بتصرف، الخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوي ص ١٨٣، وانظر أساليب الغزو الفكري ص ٢٢٠.

فالقيام بأنواع العبادات والطاعات يقوم الأخلاق ،لأنها تزكي النفس وتسهل عليها اكتساب الأخلاق الطيبة وطرد الأخلاق الخبيثة[1].

الجانب الثاني: أن الالتزام بالأخلاق الفاضلة يدفع المسلم إلى تطبيق الشريعة الإلهية، فمن كان متصفا بحب الحق وإيثاره، دفعه ذلك إلى طاعة الله والقيام بشرائعه الحق التي فرضها والابتعاد عما نهى عنه من المآثم، ودفعه إلى شكره على نعمه.

كما أن من يتمتع بخلق العدل فإنه يجد نفسه مدفوعا بالعامل الخُلقي للالتزام بأحكام المعاملات المالية[2]، وكذلك إقامة حدود الله تعالى.

ومن يتمتع بخلق حب الخير للناس والبعد عن الأثرة والأنانية، يزيده ذلك حرصا عليهم وحبا لهدايتهم، وعملا على استقامتهم على طريق الخير والفلاح، وإلزامهم بأوامر الدين ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وأمرهم بالمعروف والأخلاق الحسنة، ونهيهم عن المنكر والأخلاق السيئة.

٣- اتساع دائرة الأخلاق في الإسلام:

فهي تسع الحياة وتشملها بكل جوانبها، وكافة مجالاتها، ولم تدع جانبا من جوانب الحياة الإنسانية: روحية أو جسمية ، دينية أو دنيوية، عقلية أو عاطفية، فردية أو جماعية، إلا رسمت لها المنهج الأمثل للسلوك الرفيع.

ولا يوجد في الإسلام عمل واحد يمكن أن يخرج عن دائرة الأخلاق، فالصلاة لها أخلاق مثل: الخشوع، والكلام له أخلاق: كالإعراض عن اللغو، والجنس له أخلاق مثل: الالتزام بحدود الله وحرماته، والتعامل مع الآخرين من أخلاقه: الوفاء والأمانة ورعاية العهد، والحياة الاجتماعية لها أخلاق: كالتعاون على الخير، والغضب له أخلاق: كالصفح والعفو، وهكذا لا يوجد شيء واحد ليست له دلالة أخلاقية مصاحبة[3]، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى نفوذ أخلاقيات الإسلام في الحياة الإنسانية[4].

---

[1] انظر أصول الدعوة ص ٩٨، والدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٢٧.

[2] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢٩/١.

[3] بتصرف، الخصائص العامة للإسلام ص ١١٠، وانظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ٥٥/١.

[4] انظر مقال بعنوان: إلى أي شيء يدعو الإسلام: العلامة أبو الأعلى المودودي، من ضمن أبحاث اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط:٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

ومن اتساع دائرة الأخلاق أن المسلم لا ينفك عن التحلي بالأخلاق الفاضلة الحميدة في كل أحواله وأوقاته، في سلمه وحربه، فحسن المعاملة أثناء الحرب ولين الجانب والرأفة والتسامح مع الأعداء المغلوبين والرحمة بالنساء والأطفال والشيوخ، والوفاء بالعهود[1]، هذه الصفات وغيرها، لم تتحقق إلا في الجيوش الإسلامية التي فتحت قلوب الناس بالنور الذي تحمله، وبالأخلاق التي تلتزم بها قبل فتح البلاد بالسيف.

فمن خصائص التكليف الأخلاقي أنه شامل ، ويتجلى طابع الشمول في النظام والمبدأ الأخلاقي الإسلامي، لا لأن مجموع أوامره يتوجه إلى الإنسانية جمعاء فحسب، بل لأن قاعدة الفضيلة عامة، ويجب على كل فرد أن يطبقها على نسق واحد، سواء أكان تطبيقه لها على نفسه أم على الآخرين[2]، أو كان هذا التطبيق على أقربائه أم على البعداء، على الأغنياء أم على الفقراء[3]، وسواء أكانوا داخل الجماعة أم خارجها، على الأصدقاء أم على الأعداء[4]، وهكذا كان قدوتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أدبه وتعامله مع القريب والبعيد، في سعة صدره وحلمه وعفوه، وفي تواضعه للفقير والمسكين، فكان كما أثنى عليه تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[5].

٤ـ أهمية وجود قدوة أخلاقية متميزة:

إن (حسن الخلق، لا يؤسس في المجتمع بالتعاليم المرسلة، أو الأوامر والنواهي المجردة، إذ لا يكفي في طبع النفوس على الفضائل، أن يقول المعلم لغيره: افعل كذا، أو لا تفعل كذا، فالتأديب المثمر يحتاج إلى تربية طويلة، ويتطلب تعهدا مستمرا، ولن تصلح تربية،

---

[1] للاستفادة انظر من روائع حضارتنا: د. مصطفى السباعي من ص ١٣٦ –١٥٨، دار القرآن الكريم بيروت لبنان ط: بدون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

[2] ويدل لذلك قوله تعالى :﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ... ﴾ سورة البقرة جزء من آية ٤٤، وكقوله صلى الله عليه وسلم ((لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)).

[3] كقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ ... ﴾ سورة النساء جزء من آية ١٣٥.

[4] كقوله تعالى :﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ... ﴾ سورة المائدة جزء من آية ٨، انظر دستور الأخلاق في الإسلام ص ٥٣-٥٤.

[5] سورة القلم آية ٤.

إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة، فالرجل السيء لا يترك في نفوس من حوله أثرا طيبا، وإنما يتوقع الأثر الطيب ممن تمتد العيون إلى شخصه، فيروعها أدبه)[1]، لما يتميز ويتحلى به من مكارم الأخلاق، ويترفع عن رذائلها، ويستجيش نفوس المتطلعين إليه لتقليده واقتفاء أثره، ومهمة هذه القدوة أن تترجم الأخلاق من الحالة المعنوية -أي المعاني المجردة- إلى واقع حي ملموس، وتؤصل في نفوس متبعيها العادات الحسنة ومكارم الأخلاق.

هذه القدوة هي النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2]، فقد كان صلى الله عليه وسلم مهيأً لأشرف الأخلاق وأجمل الأفعال، وأفضل الأعمال، ولم يكن في عصره صلى الله عليه وسلم من قاربه في فضله، ولا داناه في كماله خلقا وخُلقا، وقولا وفعلا،[3] فكان صلى الله عليه وسلم الأسوة الرفيعة، والقدوة الخالدة، والآية الكريمة تقرر قاعدة منهجية، ينبغي أن يسير عليها كل مسلم راغب في الخلق الفاضل، وفي الخير بعامة، وهي أن يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدي به في كل شيء، لأنه هو المربي الكامل، وهو الأستاذ في الأخلاق والدين، وهو المعصوم بعصمة الله تعالى له[4].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته في الذروة العليا من الأخلاق الحسنة، صدقا وأمانة وكرما ورحمة وشجاعة وعفة، إلى غير ذلك من الصفات التي تحظى بالإجلال والإكبار لمن حصل على واحدة منها، فضلا عمن جمعت له وتوفرت فيه.

ولما بعثه الله تعالى بالنور والهدى، زاده قوة في هذه الخصال الحميدة إلى قوته، حتى بلغ الحد الأعلى الذي يمكن أن يصل إليه إنسان[5].

---

[1] خلق المسلم: الشيخ محمد الغزالي ص ١٥، دار الكتب الحديثة، مصر ط:٨، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

[2] سورة الأحزاب آية ٢١.

[3] بتصرف، أعلام النبوة ص ٢٠١.

[4] بتصرف، الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها ص ٤٥.

[5] بتصرف، من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم: د. عبد المحسن عباد ص ٢٩.

وقد كان من شيمه الحميدة عليه الصلاة والسلام، أنه لا يرضى أن يسبقه أحد في موقف من مواقف مكارم الأخلاق، والناظر في سيرته لا يستطيع أن يجد تصرفا يمكن أن يرى أعظم منه في باب الأخلاق عند غيره صلى الله عليه وسلم ،وكان صحابته رضي الله عنهم يعرفوا هذا منه، فكانوا أحيانا- يوقفون أناسا مواقف سبقت من بعض الأنبياء السابقين، فكان يفعل كفعلهم، إذ أنهم عرفوا أنه لا يرضى أن يكون أحدا أحسن منه تصرفا ومسلكا، وذلك كما حدث أثناء مسيره لمكة، حين لقيه أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أمية رضي الله عنهما، فأعرض عنهما-لشدة إيذائهما له بمكة-،فأشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ابن عمه -وقد أغلقت عليه السبل- أن يأتيه من قبل وجهه، وأن يقول له ما قال أخوة يوسف:﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾[1]، وأظهر له هذه الخاصية من خلقه بقوله: أنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه جوابا. فلما فعل ذلك، قال صلى الله عليه وسلم :﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[2][3].

وأمر الله تعالى وحث المؤمنين على الإقتداء به مع علمه بنقص حالهم، وعدم قدرتهم على الوصول إلى مرتبته الأخلاقية، ولعل الحكمة من ذلك(أن المثل الأعلى يبقى فوق الإنسان يسعى إليه بكل طموح، لكنه لا بد وأن يبقى دونه، ليظل يتوجه بطاقته نحو أهداف خيرة متجددة)[4]، فينتج من ذلك استمرارا وتجددا في محاولة الإقتداء ومنع بالاكتفاء من هذا المثل والتوجه لغيره.

---

[1] سورة يوسف جزء من آية ٩١.

[2] سورة يوسف سورة يوسف جزء من آية ٩٢.

[3] انظر زاد المعاد ٣/٤٠٠. والرسول صلى الله عليه وسلم: سعيد حوى ص ١٣٦، دار الكتب العلمية بيروت، ط:٢، ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

[4] الإسلام والوعي الحضاري: د. أكرم ضياء العمري ص ٨٨، دار المنارة للنشر والتوزيع جدة، ط:١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

وقد اقتدى الصحابة الكرام بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى(صاروا أعلم أهل الأرض، وأدينهم، وأعدلهم وأفضلهم، حتى أن النصارى لما رأوهم- حين قدموا الشام- قالوا: ما كان الذين صحبوا المسيح- عليه السلام- بأفضل من هؤلاء)[1].

والإقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يمنع من الإقتداء بمن هم دونه من أهل الخير والصلاح من السلف الصالح أو المعاصرين الأخيار، فسيرة أهل الصلاح والتقوى تنبه إلى كثير من الفضائل التي يمكن أن يقتدي بهم المسلم لاكتسابها، كما أن الإنسان قد يحتاج أحيانا إلى قدوة قريبة تتمثل أمام ناظريه ليحاكيها ويترسم خطاها، إضافة-أو مع شرط - إلى ارتباطه بالقدوة الأولى والمثل الأعلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن البشر يعتريهم النقص والضعف، وقد لا تسلم أخلاقهم من العيب واتباع الهوى، وتبقى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم هي السيرة الكاملة، التي اجتمع فيها الخير والفضل ما تفرق في الناس، والتي اجتمع فيها كريم الأخلاق على أفضل درجاتها، بلا انحراف أو غلو أو تقصير ، وفيها يتحقق موطن القدوة والأسوة الصالحة لكل زمان ومكان[2].

٥-وسطية الأخلاق الإسلامية[3]:

فهي وسط بين الإفراط والتفريط، ذلك أن للأخلاق حدودا متى جاوزتها صارت عدوانا، ومتى قصرت عنها كان نقصا ومهانة، فمثلا التواضع له حد متى جاوزه صار ذلا ومهانة، وإذا قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر.

وللحرص حد وهو الكفاية في أمور الدنيا وحصول البلاغ منها، فمتى نقص من ذلك كان مهانة وإضاعة، ومتى زاد عليه كان شرها وطمعا[4].

---

[1] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٨٢/٢، وقال الإمام مالك رحمه الله : أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحو الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٣٤٣/٧.

[2] بتصرف، الأخلاق الفاضلة ص ١٣٣-١٣٤.

[3] للاستفادة انظر الخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوي ص ١٣٠- ١٣٧.

[4] بتصرف، الفوائد: الإمام ابن قيم الجوزية ص ١٨٣، تخريج أحمد راتب عرموش، دار النفائس بيروت، ط:٧، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

وقد لاحظ الإسلام غرائز الإنسان التي تؤثر في أخلاقه، فمن المعلوم أن الجبلة البشرية تنطوي على مجموعة من الأخلاق الفطرية، التي لا يمكن إزالتها بالكلية أو هدمها، بل الترقي بها لتعديلها، ومن ذلك ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع حكيم بن حزام رضي الله عنه –وهو من مسلمة الفتح– حين سأله من غنائم حنين، فأعطاه ثم سأله فأعطاه، ثم سأله فأعطاه تأليفا له ،ثم أراد صلى الله عليه وسلم تهذيب خلق حب المال عنده ، فقال :((يا حكيم، إن هذا المال خَضِرة حلوة[1]، فمن أخذه بسخاوة نفس[2] بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس[3] لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع..))، فقرر حكيم رضي الله عنه الامتناع عن سؤال أحد من الناس، وقال:(يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا)[4].والتزم بما قاله، فامتنع عن السؤال أو أخذ أي عطاء –رغم استحقاقه له– لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئا، فيعتاد على الأخذ، فتتجاوز به نفسه إلى ما لا يريده، ففطمها عن ذلك[5]، تهذيبا لأخلاقه أن تنساق وراء رغباته وشهوات نفسه.

٦– جماعية الأخلاق الإسلامية:

فالأخلاق الإسلامية ترتكز أساسا إلى النظر للإنسان على أنه جزء من الجماعة، لا يتجزأ عنها، وأخلاق الفرد نحو الجماعة ترتكز على أمرين:

أولهما: أن بذل الفرد وعطاءه وتضحيته في سبيل الجماعة، هو بالقيام بكل ما يستطيعه من خير وفائدة نحوها.

ثانيا: إمساكه عن الظلم والاعتداء قولا وفعلا.

وعلى هذين المرتكزين تقوم الأخوة الإسلامية، التي تبني صفا واحدا كالبنيان المرصوص، فالتعامل الأخلاقي مع الجماعة المسلمة يكون بتقديم الخير لها، وكف الشر

---

[1] شبهه بالرغبة فيه والميل إليه وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء المستلذة. فتح الباري ٣/٣٣٦ ح ١٤٧٢.

[2] أي بغير شره ولا إلحاح، أي من أخذه بغير سؤال، ويحتمل أن يكون بالنسبة إلى المعطي: أي بسخاوة نفس المعطي أ ي انشراحه بما يعطيه. المرجع السابق.

[3] أي تطلعها وطمعها بالشيء. نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ١/٤٦٠.

[4] روى الحديث الإمام البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة ٢/١٢٩.

[5] بتصرف، فتح الباري ٣/٣٣٦.

عنها، والجماعة هي مجال التطبيق العملي للأخلاق، وهدف الإسلام الأخلاقي في المجتمع هو إيجاد مجتمع متحاب متعاون بناء[1].

فالمجتمع هو مجال التطبيق العملي للأخلاق، وذلك عن طريق معاشرته لمن عاشره من سائر الخلق، فصاحب الخلق الفضل الحسن:(يأمن شره من خالطه، ويأمل خيره من صاحبه، لا يؤاخذ بالعثرات، ولا يشيع الذنوب عن غيره... ذليل للحق، عزيز عن الباطل، كاظم للغيظ عمن آذاه، شديد البغض لمن عصى مولاه... لا مداهن، ولا مشاحن، ولا حسود، ولا حقود، ولا سفيه، ولا جاف...يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين، في كل ما أمكن فيه العذر، لا يحب زوال النعم عن أحد.. الناس منه في راحة، ونفسه منه في جهد)[2].

والمتأمل في غزوة الفتح أسبابها وأحداثها ونتائجها وما نزل فيها من آيات قرآنية، يستنبط العديد من الدلائل والقواعد الأخلاقية، سواء فيما يتعلق بالمعاملة مع الله تعالى[3]، كدلالة سورة النصر على خلق الحمد والشكر والاعتراف بالفضل له تعالى إلى نعمه.

أو ما يتعلق بتعامله مع غيره كأمانته عليه السلام ووفائه بالعهد، وذلك حين سلم مفاتيح الكعبة لعثمان رضي الله عنه، وقال:((هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء))[4].

أو ما يتعلق بالأخلاق التي تخلق بها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في ذات أنفسهم، كالصبر والشجاعة، والتي أثمرت حب البذل في سبيل الله والتضحية لنصرة الدين.

ومجمل القول، أنه لا يكاد يوجد حدث في هذه الغزوة، إلا ويستنبط منه خلق حميد يُحث عليه، أو خلق ذميم يُنفر منه ويُنهى عنه، وذلك-كما سبق- لارتباط الأخلاق

---

[1] بتصرف، مقدمة محقق كتاب مكارم الأخلاق: الإمام الطبراني ص ١٣، تحقيق: د. فاروق حمادة، الكتب التعليمي السعودي بالمغرب ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

[2] باختصار، أخلاق العلماء: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري ص ٦٤- ٦٥، تحقيق: الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط: بدون ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

[3] انظر الأخلاق الفاضلة، قواعد ومنطلقات لاكتسابها ص ٣٩.

[4] سبق تخريجه ص ١٣٤.

بسائر شئون المسلم، فالعقيدة أخلاقية، والشريعة أخلاقية، والعمل المبني عليها أخلاقي، وصلة الإنسان بربه وبنفسه وبغيره صلات أخلاقية[1].

نماذج من الأخلاق الحميدة البارزة في هذه الغزوة:

١- العدل:

وهو إعطاء كل ذي حق حقه، وهو فضيلة فردية و اجتماعية[2]، والإسلام دين العدالة، وإذا كان لكل دين سمة، فسمة الإسلام العدل[3]، وهو من أسس الأخلاق الفاضلة الكريمة، وينبع من حب الحق وإيثاره، فأحكام الحق وتطبيقاته هو تنفيذ لما يقتضيه الحق[4].

وانطلاقا من كرامة الإنسان- بصرف النظر عن جنسه ولونه ودينه- أقر الإسلام مبدأ العدل المطلق، وألزم المسلمين به، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ... ﴾[5]،وكذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ... ﴾[6].

وقد اهتم الدين الإسلامي بتحقيق العدل الشامل على صعيد العلاقات الفردية والاجتماعية، وهو يسري على الحاكم والمحكوم، والقوي والضعيف، ولا يؤثر في إقامته البغضاء أو المحبة، أو تغير الزمان والمكان[7]، بل هو عدل مطلق شأنه شأن سائر القيم الخلقية التي شرعها الإسلام[1].

---

[1] بتصرف، من فلسفة التشريع الإسلامي ص ٥٠.

[2] أما كونه فضيلة فردية، فلأنه يدل على مزاج ذاتي خاص عند الإنسان العادل، وأما إنه فضيلة اجتماعية، فمن حيث مراعاة هذه الفضيلة لحقوق الغير. بتصرف، مقدمة في علم الأخلاق ص ١٥٧.

[3] بتصرف، الدعوة إلى الإسلام، تاريخها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة: الإمام محمد أبو زهرة ص ٨٢، وللاستفادة انظر المرجع نفسه من ص ٨٢- ٨٧، دار الفكر العربي ط: بدون.

[4] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٦٢٢/١.

[5] سورة النساء جزء من آية ٥٨.

[6] سورة النحل جزء من آية ٩٠.

[7] والقيم الأخلاقية في نظر الإسلام مطلقة وثابتة وليست نسبية تتغير من فرد إلى فرد ومن مجتمع إلى مجتمع أو من زمن إلى زمن، بل هي قيم تزداد ثباتا وضرورة كلما مرت الإنسانية بتجارب في حياتها. انظر جوانب التربية

وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ .... ﴾ [٢]، فقد أقرت الآية الكريمة أن العدل قيمة مطلقة، وألزمت المسلمين بأن يعدلوا حتى مع من يبغضون، بصرف النظر عن مصلحتهم أو عواطفهم.

وقد التزم النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته بذلك رغم صعوبته على النفس البشرية، كما حدث في غزوة الفتح، فقد روى أُبيَّ بن كعب رضي الله عنه قال:(لما كان يوم أحد أُصيب من الأنصار أربعة وستون رجلا، ومن المهاجرين ستة، فمثَّلوا بهم وفيهم حمزة، فقالت الأنصار :لئن أصبناهم يوما لنربيَّن عليهم، فلما كان يوم فتح مكة، أنزل الله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ [٣]، فقال رجل: لا قريش بعد اليوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((كفوا عن القوم غير أربعة)) [٤]، وفي رواية عند الإمام أحمد أنه قال:((نصبر ولا نعاقب))[٥].

والعدل يكفل لكل فرد وكل جماعة قاعدة التعامل القائمة على الاستقرار والثقة البريئة من الميل والهوى، فلا تتبدل لعلاقة النسب أو المصاهرة، أو الغنى والفقر إنما تمضي في طريقها تكيل للجميع بمكيال واحد[٦].

ومن صور العدل، التسوية بين الناس في المعاملة، ومكافأة جهودهم بحسبها، وإسناد الأعمال والوظائف لمن يستحقونها، وعدم المفاضلة بينهم تبعا للهوى والمصلحة

الإسلامية د. مقداد يالجن ص ٢٨٨. ومنهج القرآن في التربية محمد شديد ص ١٥٠-١٥٢. وقد فند بعض الأساتذة دعوى نسبية الأخلاق انظر مثلا الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/٩٧-١٠٤، وانظر الإسلام والوعي الحضاري من ص ١٦٣- ١٧١ وذكر فيه عدة نماذج مضيئة على التزام المسلمين الأوائل بالعدل وتطبيقهم هذا المبدأ.

[١] بتصرف، الإسلام والوعي الحضاري ص ١٦٣.

[٢] سورة المائدة جزء من آية ٨.

[٣] سورة النحل جزء من آية ١٢٦.

[٤] رواه الإمام الحاكم في المستدرك ٢/٣٥٩ كتاب التفسير ،وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي .

[٥] المسند ٥/١٣٥ عن أبي بن كعب رضي الله عنه .

[٦] بتصرف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص ٥٢٨.

الشخصية، أو غير ذلك من الأسباب الغير شرعية[1]، لذلك أعلن النبي صلى الله عليه وسلم المساواة أمام أهل مكة في خطبته، فالناس كلهم لآدم ولا يميزهم إلا تقواهم لله عز وجل، والمسلمون جميعا سواسية أمام أحكام الله تعالى، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم))[2].

وبدون تطبيق هذه القاعدة ينفرط عقد الجماعة، وينهدم بناؤها وتزول قوتها، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن إخلال العدل يفضي إلى هلاك الأمم وزوالها[3]، فالعدل محمود لذاته ولو جاء من كافر، والظلم مذموم لذاته ولو جاء من مؤمن﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

والدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والإسلام، والله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[5]، فالعدل في الدولة الإسلامية وفي العقيدة الإسلامية؛ واجب شرعي ينبغي التقيد به[6].

ويتجلى حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تطبيق هذا المبدأ الخلقي[7]، بالتزامه بالعدل في القول والفعل، أثناء معالجته ما صدر من هفوات عن الصحابة الكرام، ومن ذلك ما حدث مع حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، حيث لزم العدل في تثبته من الخطأ والأسباب التي دفعت إلى ارتكابه، ثم عفوه عنه حين جمع حسناته السابقة فغمرت هذه السيئة إلى جانب بحر حسناته رضي الله عنه[8].

---

[1] بتصرف، الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة ص ١١٤.

[2] سبق تخريجه ١٤٣.

[3] كما بشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ((فإنما أهلك الناس قبلكم ، انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)) سبق تخريجه ص ١٦٠.

[4] سورة آل عمران جزء من آية ٥٧.

[5] بتصرف، الفتاوى ١٤٦/٢٨.

[6] بتصرف، السياسة الشرعية: د. عبد الله النفيسي ص ٧٢، دار الدعوة الكويت، ط:١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

[7] للاستزادة انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ٦٢٢/١، وخصائص الشريعة الإسلامية: د. عمر الأشقر ص ٧٠، الرسول صلى الله عليه وسلم: سعيد حوى ١٨٦/٢، من فلسفة التشريع الإسلامي ص ١٤٨، الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها ص ١٣٥.

[8] انظر وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم: عبد العزيز بن ناصر الجليل من ص ٢٩- ٣١، وللاستفادة انظر

وكذلك من صور عدله صلى الله عليه وسلم، عدم إدخال مراكز الناس الاجتماعية وأنسابهم في خضوعهم لمقتضى العدل، فالشريعة الإسلامية تطبق على كل أحد مهما كان مركزه[1]، ومن ذلك إقامته الحد على المرأة المخزومية وخطبته بعد ذلك.

وظهر أيضا في موقفه الحاسم من خزاعة حليفته، حين أرادت استغلال صلتها به، فقتلت رجلا من هذيل لثارات قديمة بينهم، فندَّد الرسول صلى الله عليه وسلم بعملهم- وكان قد أمرهم بالكف عن القتل، وأنذرهم بالاقتصاص- وقال:((يا معشر خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتل، فلقد كثر القتل أن يقع، لقد قتلتم قتيلا لأدينه، فمن قتل بعد مقامي هذا ..الخ))[2]، و لم يجامل حليفته، بل توعد بالاقتصاص، و لم يغمص أهل القتيل حقهم بل ودى لهم قتيلهم[3].

٢- الرحمة:

وهي من الأخلاق الجليلة التي كتبها الله تعالى على ذاته المقدسة ، امتنانا منه تعالى وتفضلا على عباده[4]، كما قال تعالى:﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ... ﴾[5].

وبفضل الله على رسوله كان رحيما لينا رفيقا، كما وصفه في قوله تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ... ﴾[6]، بل إن بعثته ذاتها كانت رحمة للثقلين كما قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[7].

والرحمة منبع كريم يفيض بالعطاء والرفق، وهي رقة تلامس القلب، وتدفع إلى مشاركة الرحيم لغيره في آلامه ومسراته، والشعور بمثل مشاعره، وحب الخير له[1].

الكتاب نفسه من ص ١٥- ٤٥. دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ط:٢، ١٤١٢هـ.

[1] بتصرف، الإمامة العظمى ص ١١٤.

[2] سبق تخريجه ص ١٤٦.

[3] بتصرف، حكم وأحكام من السيرة النبوية ص ١٦٨.

[4] ذكر الأستاذ فتحي رضوان أنها الصفة الوحيدة التي وردت في القرآن مرتين بأن الله كتبها على نفسه، وذلك ليدل على أنها القمة في الصفات وأنها تتوج الفضائل. بتصرف، من فلسفة التشريع الإسلامي ص ١٤٤.

[5] سورة الأنعام جزء من آية٥٤. وقوله تعالى:﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ ... ﴾ سورة الأنعام جزء من آية ١٢.

[6] سورة آل عمران جزء من آية ١٥٩.

[7] سورة الأنبياء جزء من آية ١٠٧.

والرحمة لم تفارق نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى في المواطن التي يفقد فيها الرحماء رحمتهم، فبالرغم مما ناله من أذى قريش واضطهادها، فهو يعلن يوم الفتح بين أصحابه: أن يوم الفتح، هو ((يوم المرحمة))[٢] ،لا يوم الانتقام والتشفي من الأعداء، فأثمرت هذه الرحمة إسلام أهل مكة.

ومن مظاهر رحمته شفقته على الصغار، فقد روى الوليد بن عقبة [٣]رضي الله عنه قال:(لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، جعل أهل مكة يأتون بصبيانهم ، فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم)[٤]، فقد كان صلى الله عليه وسلم رحيما رفيقا بالصغار.

وممن ناله بركة مسح النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ذلك اليوم: عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر رضي الله عنه[٥]، فقد روى الإمام البخاري رحمه الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم (قد مسح وجهه عام الفتح)[٦].

ولا يخفى أن المسح على رؤوس الأطفال ووجوههم يكسبهم هدوءا واطمئنانا نفسيا، مما يورثهم محبة وإجلالا لمن حولهم.

كما شملت رحمته كذلك كبار السن، فهذا أبو قحافة رضي الله عنه يتكلف الجهد والمشقة ليأتيه ويبايعه على الإسلام، فيرحمه النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب لو تكلف

---

[١]بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢/٥.

[٢] سبق تخريجه ص ١١٨.

[٣] الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو الأموي، أخو عثمان بن عفان لأمه، أبو وهب، قتل أبوه صبرا بعد معركة بدر، وأسلم هو يوم الفتح، نزل فيه قوله تعالى:﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ ...﴾ ، كان شجاعا جوادا شاعرا، ولي الكوفة لعثمان ثم اعتزل بالجزيرة بعد قتله، مات في خلافة معاوية رضي الله عنه. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٤١٢/٣، والإصابة ٦٣٧/٣.

[٤]رواه الإمام أحمد في مسنده انظر الفتح الرباني باب ما جاء في بيعة أهل مكة رجالا ونساء ١٦٣/٢١، والحديث إسناده ضعيف ومضطرب كما قال الشيخ الساعاتي. ورواه البخاري في التاريخ الصغير ٩٠/١، ونقل المحقق ضعفه. تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي حلب، ودار التراث القاهرة، ط:١، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، كما حقق ابن الأثير اضطراب الحديث، انظر أسد الغابة ٤٢٠/٥.

[٥] عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر العدوي، قيل له ولأبيه صحبة، مات سنة سبع أو تسع وثمانين وله ٨٣ وقيل ٩٠ سنة رضي الله عنه. بتصرف، الإصابة ٢٨٥/٢.

[٦] كتاب المغازي باب ٥٣ (لم يترجم له) ٩٥/٥.

هو بنفسه الشريفة زيارة الشيخ وتجنيبه المشقة، فيقول لأبي بكر رضي الله عنه لما جاء بأبيه ليبايع-وقد كان شيخا كبيرا قد عمي-:((هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه))[1]، فكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما، وهو القائل:((ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه))[2].

والرحمة من مميزات الشريعة الإسلامية، ومن شواهد ذلك مما يتعلق بالفتح، تشريع الدِّية بدلا من القصاص والقتل، وترك الخيار لأصحاب دم المقتول في ذلك، وقد أجاز الله تعالى ذلك وبين أنه رحمة وتخفيف منه تعالى :﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ... ﴾[3]، وكقوله صلى الله عليه وسلم :((فمن قتل له قتيل فهو بخير النظرين)).

وشرع كذلك الفطر بالسفر رحمة بالمسلمين وإعفاء لهم من الجهد والمشقة التي تحصل للمسافر، فقد روى الإمام مسلم(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان...فقيل له إن الناس قد شق عليهم الصيام، وإنما ينظرون فيما فعلت، فدعا بقدح من ماء بعد العصر)[4].

٣- الكرم:

والمثل الأعلى في البذل والكرم والجود هو النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى أنه كان أجود بالخير من الريح المرسلة، ولا يُسأل شيئا قط فيقول: لا، وكان ينفق مما آتاه الله تعالى بسخاء نصرة للإسلام والدعوة إليه والترغيب في الدخول فيه، يقول أنس رضي الله عنه:(ما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة..)،وفي رواية له رضي الله عنه يقول:(إن كان الرجل ليسلم ما

---

[1] سبق تخريجه ص ١٣٩.

[2] رواه الطبراني في مكارم الأخلاق ص ٩٢ ح ١٤٧، وقال المحقق: إسناده صحيح، ورواه الإمام أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت ٣٢٣/٥.

[3] سورة البقرة جزء من آية ١٧٨.

[4] صحيح مسلم كتاب الصيام باب جواز الصوم والفطر في رمضان للمسافر في غير معصية.. الخ ٧٨٦/٢ ح ١١١٤.

يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها)[1]، وذلك ببركة عطاء النبي صلى الله عليه وسلم وانشراح صدره للإسلام.

وأجود ما يكون المرء حين يعطي من حرمه ويكرم من منعه بل بادأه بالعداوة، وهذه أخلاق النبوة التي تجود بالخير وتبذله للقريب والبعيد وللمحسن إليه والمسيء، فهذا العطاء يلين أقسى القلوب، ويدخل في الإسلام أشد الناس شركا وعداوة وبغضا له، كعطاء النبي صلى الله عليه وسلم لمسلمة الفتح المال الوفير من غنائم حنين، بل وعطاؤه للمشركين منهم فقد (أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة)[2]وكان على شركه حين خرج معه، فانقلبت عداوته للإسلام رغبة فيه وإيمانا.

٤ـ التواضع:

وقد سُئل الفضيل بن عياض رحمه الله عنه، فقال: أن يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله. وقيل: التواضع أن لا ترى لنفسك قيمة، فمن رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب[3].

وحقيقة التواضع: إلانة الجانب مع عزة النفس، وإباء الضيم، ومن التواضع عدم الافتخار بالآباء والأجداد، ومن التواضع عدم البغي والاعتداء، وهو من الأمور الباعثة على التآلف، وهو من الأخلاق الكريمة التي أمر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم، في قوله﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[4][5]. فقد كان عليه الصلاة والسلام، هينا لين الخلق جميل المعاشرة، من أشد الناس تواضعا ومن أبعدهم عن الكبر والترفع رغم ما حاز من الشرف الميزات التي أمتن الله تعالى عليه بها، فهو سيد ولد آدم وخاتم الأنبياء.

---

[1] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال :لا، وكثرة عطائه ١٨٠٦/٤ ح ٢٣١٢.

[2] المرجع السابق ١٨٠٦/٤ ح ٢٣١٣.

[3] بتصرف، مدارج السالكين ٣٢٩/٢.

[4] سورة الحجر جزء من آية ٨٨.

[5] بتصرف، صفات الداعية: د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار ص ٥٧، دار أشبيليا الرياض ط:١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

ويقول مرغبا في التواضع:((..وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله))[1]، بل إن تواضعه للناس وهم أتباع، وخفض جناحه لهم وهو مطاع، يمشي في الأسواق ويمتزج بأصحابه، فلا يتميز عليهم، فصار بالتواضع متميزا، وبالتذلل معززا، يدخل عليه بعض الأعراب فيهابه، ويقف بين يديه يوم الفتح مرتعدا، فيقول له:((هون عليك، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد))[2][3]، فرد نفسه لأصل بعيد كل البعد عن الفخر والكبر، فلم يفخر بحسب آبائه أو بمكانته ونصره، بل هون من شأن نفسه، وهو الذي نهى الناس في خطبته عن التفاخر والتكبر والتعاظم بالآباء، وأرجع الناس إلى أصل واحد وهو التراب، في خطبته:((الناس بنو آدم وآدم من تراب))[4].

وفي المواطن التي تندفع فيها النفس نحو العلو والتجبر والاستكبار، كالانتصار على الأعداء، يتواضع عليه الصلاة والسلام، ويتخشع لله تعالى معترفا بنعمته عليه، كما رُويت صفة دخوله لمكة-وقد أعزه الله ونصره نصرا عظيما- فدخل وقد أزال من حوله زخرف الملك والسيادة والتكبر، مردفا أسامة بن زيد رضي الله عنه خلفه، خافضا رأسه[5] إجلالا لله وشكرا حين رأى ما أنعم عليه من الفتح، حتى إن لحيته تكاد تمس راحلته من شدة تواضعه[6].

---

[1] رواه الإمام مسلم في البر والصلة والآداب باب استحباب العفو والتواضع ٢٠٠١/٤ ح ٢٥٨٨.

[2] بتصرف، أعلام النبوة ص ٢٠٧. والقديد هو: اللحم المملوح المجفف في الشمس. النهاية في غريب الحديث ٢٢/٤.

[3] المستدرك على الصحيحين كتاب المغازي ١١/٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي. وانظر كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب المعروف بالخصائص الكبرى: الإمام أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٢٦٣/١، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: بدون.

[4] سبق تخريجه ص ١٤٢.

[5] قال في المواهب اللدنية: عبر المصنف بالرأس لأنه الظاهر للرائي غالبا عن الخفض، وهو الذي يرفعه المتكبرون عادة دون بقية الأجزاء، بتصرف، ٣٨٢/٢.

[6] سبق تخريجه ص ١٢٥.

والتواضع لسائر الخلق، الأصل فيه محمود، ومندوب إليه، إذا قصد به وجه الله تعالى، ومن كان كذلك رفع الله قدره في القلوب، ورفع درجته في الآخرة، أما التواضع لأهل الدنيا، ولأهل الظلم، فذاك الذي لا عز معه، ويترتب عليه ذل الدنيا وللآخرة[1].

٥-الوفاء:

وهو من الفضائل الخلقية التي تميز بها الإسلام، والقيم البارزة الضابطة للسلوك التي ربى عليها أتباعه المسلمين، وهو يشمل أداء الأمانات لأهلها، والوفاء بالعهود والمواثيق، والبقاء على العهد والصلة، وإيثار الحق، ويضاده الغدر والخيانة، وهي من رذائل الأخلاق، ومن مظاهر التخلف الحضاري، وهما من أخلاق الأمم التي تهون عليها أنفسها هوانا يرضيها بمواقع الضعة والانحطاط.[2].

والوفاء بالوعد وحفظ العهد من الخصال المميزة للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كان يرى الغدر من كبائر الذنوب، ومساوئ الشيم، وكان يلتزم فيه بالأصعب حفظا لعهده، حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه، فيجعل الله له مخرجا، كفعل قريش بصلح الحديبية[3]، حيث جعل الله نكثهم خيرا، وهذه الجدية في الوفاء بالعهد والحلف، تجعل الثقة لدى الآخرين بأن ينضووا تحت لواء المسلمين، لضمان نصرتهم وعونهم[4].

وقد تجلى هذا الخلق الكريم في وفاء النبي صلى الله عليه وسلم لخزاعة بما عاهدها عليه من النصرة، وتسييره الجيش العظيم انتصارا لها.

ومنه وفاؤه لعثمان بن طلحة رضي الله عنه برد مفتاح الكعبة له، رغم سؤال بعض قرابته له بأن يشرفهم بسدانة الكعبة، لكنه صلى الله عليه وسلم دعا عثمان وقال له:((هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء))، ثم حثه على حسن القيام والوفاء بما عهد إليه به، فقال له:((يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف))[5].

---

[1] بتصرف، دعوة الإسلام: السيد سابق ص ١٩٨.

[2] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٥٥٢/١.

[3] بتصرف، أعلام النبوة ص ٢٠٩.

[4] بتصرف، المنهج الحركي للسيرة النبوية ١١٦/٣.

[5] المواهب اللدنية ٤٠٤/٢.

وكذلك وفاؤه للأنصار، حين ساورهم الخوف لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قائما على الصفا يدعو الله –وقد أمن قريشا وقضى على دابر الوثنية في مكة– أن يعِنَّ له الرجوع إلى مكة موطنه الأول، بعد أن فتحها الله له ويستبدل بها المدينة، وتهامسوا بذلك وقالوا:(أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته)، فشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامسهم، وسألهم عما قالوا، فترددوا في الإفصاح عما اختلج في صدورهم، ثم أعلنوا له مخاوفهم، فقال مبددا هذه المخاوف:((كلا، إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، المحيا محياكم، والممات مماتكم))، فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضَّن بالله ورسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم))[1].

إنه لوفاء عظيم منه صلى الله عليه وسلم أن يضحي بأمر حبيب إلى نفسه، وهو العودة إلى وطنه الأول، والذي هو من أحب البلدان إليه، وفاء بهجرته لله تعالى أولا، ووفاء لهؤلاء الرجال الذين آزروه في شدته، واستضافوه في غربته، وناصروه في غزواته ضد الكافرين[2].

ومما يدل على الحث على الوفاء وذم الغدر، قوله صلى الله عليه وسلم :((وإذا استنفرتم فانفروا))[3]، فإنه يؤخذ منه ذلك، إذ معناه: لا تغدروا بالأئمة ولا تخالفوهم، لأن إيجاب الوفاء بالخروج، مستلزم لتحريم الغدر، وكذلك في قوله:((إن هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار))[4]، إشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغدر بقريش باستحلال القتال بمكة، با كان ذلك بإحلال الله تعالى له ذلك ساعة من نهار، ولولا ذلك لما جاز له، وهو من أوفي الناس بعهده[5].

---

[1] سبق تخريجه ص ١٢٥.

[2] بتصرف، القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات: الأستاذ حسن فتح الباب ص ١٨٠، مطبعة الأزهر ط: بدون.

[3] سبق تخريجه ص ١٧٣.

[4] سبق تخريجه ص ١٤٤.

[5] بتصرف، فتح الباري ٦/٢٨٤– ٢٨٥ ح ٣١٨٩.

٦ـ العفو عند المقدرة [١]:

وهو التجاوز عن خطأ المسيء، وترك التعنيف عليه، أو عدم إيقاع العقوبة عليه حال التمكن من ذلك والقدرة عليه، ويرتقي هذا الخلق إلى الإحسان إلى هذا المخطئ بدلا من الانتقام منه أو تأديبه، وهذا الخلق الكريم لا يصدر إلا من النفوس الكريمة الحليمة التي يتحلى أصحابها بالعزيمة والقدرة على ضبط النفس.

وآثار هذا الخلق مباركة في الدنيا، وذلك حين يأسر المحسن الناس بإحسانه وعفوه، ويعز وتعظم مكانته في قلوبهم، وفي الآخرة بالعز والأجر الجزيل من الله والعفو عنه فالجزاء من جنس العمل، وقد قال صلى الله عليه وسلم :((وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا))[٢]، قال الإمام النووي:(فيه وجهان: أحدهما: أنه على ظاهره، وأن من عرف بالعفو والصفح، ساد وعظم في القلوب، وزاد عزه، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك)[٣].

ومن شواهد هذا الخلق في غزوة الفتح:

– عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، حين أفشى سر الغزو وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بكتمانه، وبيَّن النبي صلى الله عليه وسلم حينها سبب عفوه عنه، وقلده وسام شرف أهل بدر.

– عفوه عن أهل مكة بعد تمكنه منهم، ورغم أن الموقف من المواقف التي تثور فيها حمية الانتقام والثأر عند معظم الناس، لكن النبي صلى الله عليه وسلم كان غاية في الرحمة والصفح والتجاوز لما عفا عنهم وأعتق رقابهم.

–عفوه عن غالبية من أمر بقتلهم، و لم يشملهم بالأمان الذي من به على أهل مكة، وكانوا قد اقترفوا من الجرائم ما استحقوا به القصاص، وتمادوا في خصومتهم، فنفذ حكم

---

[١] العفو خلق فاضل يصدر عن رحمة بالقلب، وكرم في النفس حين يجود الإنسان بحقه، ويعفو عمن أساء إليه، وتواضع جم ينأى بصاحبه عن أي شبهة كبر أو غرور، فهو بذلك خلق مرتبط بما ذكر قبله من أخلاق فاضلة، لكني آثرت إفراده لما له من الأثر العظيم في غزوة الفتح.

[٢] وتمام الحديث((ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب العفو والتواضع ٤/٢٠٠١ ح ٢٥٨٨ .

[٣] صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٤١.

القتل في بعضهم، وفرَّ الباقون، ثم استشفع لهم بعض المسلمين فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم شفاعتهم وعفا عنهم.

-عفوه وحلمه عمن عقد العزم على اغتياله[1]، وأقدم على تنفيذ خطته، لكن الله تعالى حفظه وأطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فعفا وغفر.

وقد نزل هذا العفو بردا وسلاما على تلك القلوب القاسية، التي طالما اضطرمت بالعداوة لهذه النفس الخيرة، وطالما أعماها الحقد عن مجاوبة هذا القلب الرحيم، فقد ظل صلى الله عليه وسلم قرابة عشرين عاما ينشر الخير والهدى لهؤلاء الناس، لكنهم عموا وصموا، وبادلوه مودة بعداوة وإحسانا بإساءة، ولما أظهره الله عليهم، نسي كل ما سلف من مساءاتهم له، وكافأهم بالعفو الشامل والصفح الجميل[2].

وفي مواقف العفو ظهرت حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، في وضع الأمور في مواضعها الصحيحة، فهو يصدر القرار المناسب في الوقت المناسب[3]، ويقبل الشفاعة ما دامت لحق متعلق به أو بغيره ممن ناله أذى قريش من أصحابه، ويرفضها إذا كانت مضادة لحكم الله عز وجل وحدوده، وقد قال تعالى:﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(وفُسرت الشفاعة الحسنة، بشفاعة الإنسان للإنسان، ليجتلب له نفعا، أو يخلصه من بلاء...فالشفاعة الحسنة إعانة على خير يحبه الله ورسوله، من نفع من يستحق النفع، ودفع الضر عمن يستحق دفع الضر عنه، والشفاعة السيئة إعانته على ما يكرهه الله ورسوله، كالشفاعة التي فيها ظلم الإنسان، أو منع الإحسان الذي يستحقه)[5].

---

[1] كما حدث من فضالة وشيبة وسبق ذكره ص ١٣٧و ص ١٨٠.

[2] بتصرف، الفتح المبين : أمين دويدار ص ١٣٢ من سلسلة صور من حياة الرسول، دار المعارف القاهرة ط: بدون.

[3] بتصرف، القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات ص ١٨٢.

[4] سورة النساء آية ٨٥. ومقيتا :أي حفيظا وقيل شهيدا وقيل غير ذلك، انظر تفسير القرآن العظيم ٣٢٤/٢.

[5] باختصار، الإيمان ص ٦١ .

والعفو والتجاوز ليس على أي حال، فمن الظلم أن تنتهك حرمات الله، فلا يُغضب لها، وتجب الحدود فلا توقع أو تنفذ على بعض الناس لمكانتهم وشرفهم، أو تصل إلى الحاكم المسئول ثم يغض الطرف عنها ويقبل شفاعة الوسطاء فيها، كما بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لصفوان بن أمية رضي الله عنه، حين أراد أن يشفع لسارق كان قد اشتكاه له، ثم لما علم أن عقوبته القطع قال: إني لم أرد هذا، هو عليه صدقة. فلم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم شفاعته بعد وصول القضية إليه، وقال له:((فهلا قبل أن تأتيني به))[1].

فلا عفو إذا كان ذلك العفو سيحول دون إقامة حدود الله تعالى، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن بركة إقامة حدود الله، أعظم بركة في الرزق من الثمار والأنهار[2]، فقال:((إقامة حد من حدود الله، خير من مطر أربعين ليلة في بلاد الله عز وجل))[3]، وقد علق ابن تيمية رحمه الله على هذا الحديث بقوله:(وهذا لأن المعاصي سبب لنقص الرزق، والخوف من العدو، كما يدل عليه الكتاب والسنة، فإذا أقيمت الحدود، ظهرت طاعة الله ونقصت معصية الله تعالى، فحصل الرزق والنصر)[4].

إن الأخلاق الفاضلة الكريمة تؤدي إلى تماسك المجتمع المسلم وترابطه، وتمكن أفراده من العيش متفاهمين متعاونين سعداء، فقد دلت التجارب الإنسانية والأحداث التاريخية، أن كل عصر يلتزم الناس فيه-حكاما وشعوبا-بمبادئ الأخلاق، يكون عصر ازدهار

---

[1] موطأ الإمام مالك كتاب الحدود باب ترك الشفاعة للسارق إذا بلغ السلطان ٤٩/٣، ومسند الإمام أحمد ٤٠١/٣ عن صفوان بن أمية رضي الله عنه بسند متصل رجاله ثقات كما علق الأستاذ شعيب الأرناؤوط في تخريجه للحديث في سير أعلام النبلاء ٥٦٣/٢، وسنن الدار قطني ٢٠٤/٣ ح ٣٦٣.

[2] بتصرف، حاشية الإمام السندي على سنن النسائي ٧٦/٨.

[3] سنن ابن ماجه كتاب الحدود باب إقامة الحدود ٨٤٨/٢ ح ٢٥٣٧، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٧٨/٢ ح ٢٠٥٦، ورواه النسائي في سننه كتاب قطع السارق، الترغيب في إقامة الحد ٧٦/٨ ح ٤٩٠٥، ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ٣٦٢/٢، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٦٥/١ ح ٢٣١٠.

[4] السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص ٧٦، دار الكاتب العربي ط: بدون.

ورخاء وسلام، وكل عصر ينفصل فيه الناس عن الأخلاق ، تشيع فيه الفتن وتقع الأزمات وتنهار القوى المعنوية لهم، تلازما مع انهيار أخلاقها[1].

كانت الدروس السابقة متعلقة بالركن الأول من أركان الدعوة: موضوع الدعوة، وهو الإسلام بما حوى من أمور متعلقة بالعقيدة، أو الشريعة، أو الأخلاق، والأساس في العملية الدعوية هو المبلغ لهذا الإسلام: الركن الثاني: الداعية، ولحسن التبليغ، ودقة الأداء، لا بد من تعهد هذا الداعية بالإعداد الخاص، مع مراعاة تميزه واتصافه بمجموعة من الصفات التي تؤهله لأداء هذه الرسالة، وهذا ما سيعرض في الفصل التالي.

---

[1] بتصرف، هكذا علمتني الحياة: د. مصطفى السباعي ٢/٣٠ ، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط:١، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م. والأخلاق الإسلامية وأسسها ١/٣٤. كما نبه لذلك ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان: أن من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة، وذكر أن من علامات من حصل لهم الملك، أنهم يتنافسون في الخير وخلاله، من الكرم والعفو عن الزلات، والقرى للضيوف، وحمل الكل وكسب المعدوم، والصبر والوفاء بالعهد، وتعظيم الشريعة.. الخ.بتصرف، مقدمة ابن خلدون: العلامة عبد الرحمن ابن خلدون ص ١١٣، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط:١، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

الفصل الثالث: الدروس الدعوية المتعلقة بالدعاة.

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بإعداد الدعاة.

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بصفات الدعاة.

توطئة:

الدعاة إلى الله هم: الذين حملوا على كواهلهم مسئولية نشر دين الله، وتبليغ الإسلام للناس، وتعليمهم شرائعه، وهم بذلك مقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم داعية الإسلام الأول، الذي قال عنه تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[1]، فهم القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الإسلام، بعد التحاقه بالرفيق الأعلى، لقيامهم بمهمة الإنذار بعده، كما قال تعالى:﴿ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ ... ﴾[2]وقد قال عنه:﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞ ﴾[3].

وهم النائبون عنه في تبليغ الأحكام إتباعا لأمره:((ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب))[4]،وقوله عليه الصلاة والسلام:((تَسمعون ويُسمع منكم، ويُسمع ممن يسمع منكم))[5] [6]، وهم أتباع النبي صلى الله عليه وسلم، يدعون إلى ما دعا إليه على بصيرة ويقين وبرهان،[7] كما قال تعالى﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[8].

وقد جعل الله تعالى القيام بالدعوة من صفات المؤمنين في قوله﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ... ﴾[9]، قال الإمام القرطبي رحمه الله :(فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فرقا بين المؤمنين

---

[1] سورة الأحزاب الآيتين ٤٥-٤٦.

[2] سورة التوبة جزء من آية ١٢٢.

[3] سورة الرعد جزء من آية ٧.

[4]صحيح البخاري كتاب العلم باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ٣٥/١.

[5] المستدرك على الصحيحين كتاب العلم ٩٥/١ وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي، وسنن أبي داود كتاب العلم باب فضل نشر العلم ٣٢٢/٣ ح ٣٦٥٩.

[6] بتصرف، الموافقات ٢٤٥/٤، وانظر الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٤٣٣.

[7] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٣٤٥/٤.

[8] سورة يوسف آية ١٠٨.

[9] سورة التوبة جزء من آية ٧١.

والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمن، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه)[1].

وقد أولى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عناية فائقة، تنشئة وإعدادا، وسلَّحهم بمستلزمات الدعوة ورباهم على الصفات الكريمة، وهيأهم كي يحملوا معه مسئولية الدعوة، ومشعل الهداية إلى العالم جميعا، فلم يزل يربيهم ويعدهم إعدادا عميقا مكينا، سواء أكانوا في مكة أم في المدينة، ويسموا بأرواحهم ويزكي نفوسهم، حتى خلصوا لله تعالى، فكانوا أفضل الناس بعد رسوله وأكملهم إيمانا، وقويت فيهم صفة الإيمان واستحكمت حتى فاضت وأثرت فيمن حولهم، فانطلقوا يدعون الناس إلى الحق وطاعة الله، وبذلوا أرواحهم رخيصة نصرة لهذا الدين والدعوة إليه، فكانوا نبراسا يستضاء بهم، ونماذج تحتذى، وأَمنة للناس، ولحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى وقد قرَّت عينه من خلفائه على الدين، ورضيت نفسه بحملة رسالة الإسلام لمن بعدهم[2].

فكان له صلى الله عليه وسلم أعظم دور-بعد فضل الله تعالى- في إعداد هولاء الدعاة، وفي تحليهم بالصفات الملائمة لحمل رسالة الإسلام والدعوة إليه، ويستشف ذلك من أحداث غزوة الفتح ضمن المبحثين التاليين:

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بإعداد الدعاة.

المبحث الثاني الدروس الدعوية المتعلقة بصفات الدعاة.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ٤٧/٤، وانظر أصول الدعوة ص ٣٠٩.

[2] للاستفادة انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن علي الحسني الندوي من ص ٩٦ حتى ص ١٠٨، دار القلم الكويت، ط:١٣، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بإعداد الدعاة.

توطئة:

يتوقف نجاح العملية الدعوية- بعد توفيق الله تعالى- على كفاءة القائمين بها، وحسن إعدادهم، فهم العنصر المؤثر الفعال في الدعوة، وهم الواسطة بين الدعوة بشمولها وموضوعها واتساعها، وبين المدعوين بظروفهم وبيئاتهم وخلفياتهم الدينية والثقافية والخلقية.

وهذه الكفاءة لا تأتي اعتباطا ، أو بشكل إرتجالي، وإنما يلزم لتحقيقها في الدعاة إعدادهم إعدادا متكاملا، وتهيئتهم لحمل الرسالة، لأن معظم العبء يقع على كواهلهم، وهم العمال الأفذاذ الذين ينفردون بالتأثير والتوجيه في عملية الدعوة إلى الإسلام[1].

وقد ينحصر الدعاة ويقل عددهم حتى يكونوا فردا واحدا[2]، أو قد يكونوا عدة أفراد، وقد تتسع فتكوِّن أجهزة دعوية أو جيشا كاملا، ومع كل ظرف لا بد من البناء والتربية، ووضع القواعد والمناهج المناسبة للواقع والنفوس وللسعة والطاقة[3].

وكذلك كانت مدرسة النبوة في إعدادها للدعاة مدرسة متكاملة شاملة، يظللها كتاب الله وشريعته- وهما أساس الإعداد للدعاة.

وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم في إعداده لأصحابه منحيان:

المنحى الأول: امتداد الإعداد والتأهيل لحمل الدعوة الإسلامية، وذلك للسابقين للإسلام من الأنصار والمهاجرين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد رباهم تربية فذة ، فكان فتح مكة استكمالا لهذه التربية، واستفادة من أحداثه في تنقية ما قد يشوب صفو هذا الإعداد المسبق.

---

[1] بتصرف، ثقافة الداعية د. يوسف القرضاوي ص ٦، مؤسسة الرسالة بيروت ط:١، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

[2] كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام:﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل: ١٢٠-١٢١) أي: كان أمة وحده رغم أنه فرد واحد، لكن بعزيمته وهمته العالية وقوة يقينه بربه وشدة إيمانه كان يسد مسد أمة ويغني عنها، فقد(كان إبراهيم أمة، أي مؤمنا وحده، والناس كلهم إذ ذاك كفار) تفسير القرآن العظيم ٤/٥٣٠.

[3] بتصرف، دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية ص ١٥٤.

المنحى الثاني: قبو ل المسلمين الجدد، وإعدادهم ليلحقوا بالركب، وليستدركوا ما فاتهم من رفقته صلى الله عليه وسلم ، وتخصيصهم بمزيد من العناية والرعاية والتوجيه، ليشتركوا في حمل الرسالة مع إخوانهم السابقين.

والمتأمل في غزوة الفتح يستنبط دروسا مهمة في إعداد الدعاة، أوضحها في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: أمور مهمة يجب أن يعيها الدعاة إلى الله.

المطلب الثاني: قواعد منهجية في إعداد الدعاة.

المطلب الأول: أمور مهمة يجب أن يعيها الدعاة:

إن نشر الدعوة الإسلامية مهمة شاقة وطويلة، وتحتاج إلى جهد كبير وطاقة عظيمة للقيام بها، كي تؤتي ثمارها اليانعة، ولا بد أن يدرك الدعاة طبيعة هذه الدعوة وأهمية هذا العمل العظيم، ليبذلوا فيه ما يسعهم من صبر وجهد، وهناك بعض المفاهيم والأمور التي يجب على الداعية أن يفقهها ويعيها قبل نزوله إلى ساحة الدعوة، وإلا أخفقت جهوده، ولم تحقق النتائج المرجوة لها كاملة، وقد يتراجع الداعية أو يتضعضع عند أول شدة أو نازلة أو صدود، فتسلحه بهذه الأمور يشكل له حافزا قويا في الثبات، ودافعا في الشدائد، بل إن فقهه لها يثمر -بإذن الله- الحكمة في دعوته :﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا .... ﴾[1].

والدعوة الإسلامية ينبغي أن تكون معهدا يخرج المؤمنين الصادقين المجاهدين، قبل أن تكون معهدا فكريا ينشر الثقافة والمفاهيم المجردة بين الناس، كما أنها تحتاج إلى الوعي العميق والحكمة، مثل حاجتها إلى الجرأة والتضحية والإقدام[2]، فلا بد إذن من تحقيق هذه المفاهيم في الواقع بصدق ويقين، وإلا كانت حجة على الداعية، وقد قيل:(يهتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل)[3].

وهذه الأمور هي:

الأمور الأول: القرآن والسنة هما مصدر التلقي الذي يصدر عنه الدعاة:

فالقرآن الكريم قد أرسى قواعد الدعوة ومبادئها، وعيَّن وسائلها وطرقها، ورسم المنهج للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وللدعاة من بعده بدينه القويم[4]، فهو الفرقان

---

[1] سورة البقرة جزء من آية ٢٦٩

[2] بتصرف، مشكلات الدعوة فتحي يكن ص ١٥٤.

[3] قاله سفيان الثوري رحمه الله، جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله: الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي ٢/١٠، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

[4] بتصرف، طريق الدعوة في ظلال القرآن: أحمد فايز ١/١٢٨، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: بدون ١٤٠٣هـ

الذي فيه تبيان كل شيء، والمحفوظ بإذن الله إلى يوم القيامة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو البينة التي أرسلها الله للناس مبشرا ومنذرا بكتابه، كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ... ﴾[1]، وهو إمام الدعاة، وسنته هي المصدر التشريعي الثاني باتفاق العلماء[2].

وسيرته العطرة هي خير نموذج يحتذيه من أراد السير على طريقه، لصحتها وتنوعها وتدرجها في مراحل الدعوة، سواء أكان ذلك في العهد المكي أم في العهد المدني، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن ربه تعالى، وهو مصدر التلقي بما يُبلِغ من قرآن وسنة، وقد غضب صلى الله عليه وسلم يوما من عمر رضي الله عنه، لما جاء بصحيفة من التوراة، فقرأها، فقال له صلى الله عليه وسلم :(أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية... والذي نفسي بيده، لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حيا، ما وسعه إلى أن يتبعني))[3].

والتمسك بالكتاب والسنة هو العاصم من الفتن والانحراف، كما قال تعالى: ﴿ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[4]، فالدعاة مطالبون بالتمسك بهذا القرآن والعمل به، وجعله مصدر هدايتهم ومنطلق حركتهم، لعدم صلاحية المناهج الأخرى للتلقي عنها أو إتباعها، لتحريفها وتغييرها، والدين الخالص النقي هو الإسلام، وذلك يحصل بمتابعة الرسول صلى

١٩٨٣م.

[1] سورة المائدة جزء من آية ١٩.

[2] كما نقل ذلك الإمام محمد بن علي الشوكاني فقال:(قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ألا وأني أوتيت القرآن ومثله معه))، أي أوتيت القرآن ومثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن.. الخ) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص ٣٣، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط: بدون ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

[3] مسند الإمام أحمد ٣٨٧/٣ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وقال الشيخ الساعاتي: إسناده حسن. الفتح الرباني ١٧٥/١.

[4] سورة آل عمران آية ١٠١.

الله عليه وسلم دون سواه[1]، لأن تلقيهم منهج دعوتهم من هذين المصدرين تحقيق لدخولهم ضمن أهل السنة والجماعة، وضمن الفرقة الناجية، فهم(يعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة)[2].

وحين يدعو الدعاة إلى الحق، ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء، وحين يدعون إلى مكارم الأخلاق، ويأمرون بالبر والصلة، وينهون عن الخيلاء والبغي والظلم، فكل ما يقولونه أو يفعلونه، فإنما هم متبعون للكتاب والسنة[3].

وممن ينبغي أن يقتدي بهم الدعاة، صحابة رسوله الكرام، فهم أعلم الخلق بدين الله بعد نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهم خير القرون، رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على عينه، وجاهدوا معه وحملوا مشعل الهداية بعد لحوقه بالرفيق الأعلى[4]، كيف لا يكونون كذلك وقد تضافرت الآيات والأحاديث في تعديلهم والثناء عليهم[5]، كقوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[6].

---

[1] بتصرف، معالم الشخصية الإسلامية: د. عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح الكويت ط:٣، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

[2] الفتاوى: ابن تيمية ١٥٧/٣.

[3] بتصرف، الفتاوى: ابن تيمية ١٥٨/٣. وانظر أهل السنة والجماعة، معالم الانطلاقة الكبرى ص ٨٠.

[4] قال شيخ الإسلام: ثم من طريقة أهل السنة والجماعة، اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء والراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)) الفتاوى: ابن تيمية ١٥٧/٣.

[5] قال الخطيب البغدادي رحمه الله بعد إيراده العديد من الأدلة: وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم إلى تعديل أحد من الخلق له، إلا أن يثبت على أحد ما لا يحتمل إلا قصدا لمعصية، والخروج من باب التأويل، فيحكم بسقوط العدالة، وقد برأهم الله من ذلك ورفع أقدارهم عنه. بتصرف، الكفاية في علم الرواية: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي ص ٤٨، المكتبة العلمية ط: بدون. وللاستفادة انظر عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم ٨٠٠/٢-٨١٤.

[6] سورة الأنفال آية ٧٤.

وإنما تثبت أقدام الدعاة وتُقبل دعوتهم ويستجاب لهم، بقدر علمهم وإطلاعهم على الكتاب والسنة، وعمق فقههم لهذين المصدرين الكريمين، والتزامهم بما فيهما من الأوامر والنواهي، وقد خطب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فقال:(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)[١]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :(تفقهوا قبل أن تسودوا)[٢]، وعقب الإمام البخاري رحمه الله على ذلك بقوله: (وبعد أن تسودوا، وقد تعلم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في كبر سنهم)[٣]، فلم يمنعهم عامل السن أو تأخر بعضهم في الإسلام من التفقه في الدين والدعوة إلى الله.

وهذا فقيه الأمة وحبر الإسلام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يرزقه الله العلم والحكمة والفقه، ويدخله عمر رضي الله عنه مع أشياخ بدر فوجد بعضهم في نفسه، فاعترض عليه بعض الصحابة، ثم أثبت عمر لهم فقهه وعلمه[٤] رضي الله عنهم أجمعين.

الأمر الثاني: إدراك الغاية من الدعوة إلى الله:

فقد بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم للعالمين على فترة من الرسل، وقد بلغت البشرية جاهلية منحطة في شتى شئونها الدينية والاجتماعية والأخلاقية، فالشرك بالله هو دين عرب الجزيرة، والابتداع والتحريف هو دين أهل الكتاب، ويعيش الجميع في زيغ وضلال، وتعظيم وتقديس لتراث الآباء والأجداد، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه تعالى في وصف تلك الحال:((وإني خلقت عبادي حنفاء[٥] كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[٦] عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم،

---

[١] صحيح البخاري كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه ٢٦/١.

[٢] صحيح البخاري كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة ٢٦/١.

[٣] كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة، وذكر التعقيب في ترجمته للباب في فتح الباري ١٦٥/١. وقال الحافظ ابن حجر: وعقب البخاري على قوله خشية أن يفهم أحد من ذلك أن السيادة مانعة من التفقه، وإنما أراد عمر أنها قد تكون سببا للمنع، لأن الرئيس قد يمنعه الكبر والاحتشام أن يجلس مجالس المتعلمين. بتصرف، ١٦٦/١ .

[٤] سبق تخريج الحديث ص ١٨٦.

[٥] أي مسلمين وقيل: طاهرين من المعاصي، وقيل: مستقيمين منيبين لقبول الهداية. صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٧/١٧.

[٦] أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل. المرجع السابق.

وأمرهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم[1]، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب[2]، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك[3]، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء[4]، تقرؤه نائما ويقظانا، وإن الله أمرني أن أحرِّق قريشا... قال: استخرجهم كما استخرجوك، وأغزهم نُغزك[5]، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك))[6].

فالنبي صلى الله عليه وسلم جاء بالحجة الواضحة، ليرسخ معنى العبودية لله، وليفرده بالربوبية والتوحيد دون شريك، وهذه هي القاعدة الأساسية للإسلام وجوهره.

وغاية الدعوة الإسلامية هي: ترسيخ هذه القاعدة في قلوب الناس لتصبح يقينا وعقيدة وواقعا في الحياة، فيصدر عنها الالتزام بالعبادات والأحكام والآداب التي جاء بها الإسلام، وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[7].

قال ابن القيم رحمه الله:(وكل حي فله إرادة وعمل بحسبه، وكل متحرك فله غاية يتحرك إليها، ولا صلاح له إلا أن تكون غاية حركته، ونهاية مطلبه: هو الله وحده، كما لا وجود له إلا أن يكون الله وحده هو ربه وخالقه)[8].

---

[1] المقت أشد البغض، والمراد بهذا المقت والنظر : ما قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم. المرجع السابق.

[2] وهم الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل. المرجع السابق.

[3] معناه: لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة والجهاد في سبيل الله والصبر في الله تعالى وغير ذلك، وأبتلي بك من أرسلتك إليهم فمنهم من يظهر إيمانه ويخلص في طاعته، ومن يتخلف ويتأبد بالعداوة والكفر ومن ينافق. المرجع السابق ص ١٩٨.

[4] أي محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على ممر الأزمان. المرجع السابق.

[5] أي نعينك. المرجع السابق.

[6] جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٤/٢١٩٧ ح ٢٨٦٥.

[7] سورة الأنعام الآيتين ١٦٢-١٦٣. انظر دور المنهج الرباني في الدعوة الإسلامية ص ١١٩.

[8] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢/١٣٦، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، ط:٢ ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

فغاية كل مسلم هي الظفر برضوان الله تعالى، المتمثل في سعادة الدنيا ونجاة الآخرة، وتحقيق ذلك يكون بحسن الصلة به تعالى، فهذه هي وجهة المسلم ومنتهى أمله وسعيه[1]، كما قال تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى الغاية من الدعوة إلى الله بأنها:(تحقيق الألوهية لله وتوحيده، وامتناع الشرك... وأن القلوب لا تصلح إلا بأن تعبد الله وحده، ولا كمال لها ولا صلاح ولا لذة ولا سرور... بدون ذلك، وتحقيق الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وغير ذلك مما يتعلق بهذا الموضع، الذي في تحقيقه تحقيق مقصود الدعوة النبوية والرسالة الإلهية، وهو لب القرآن وزبدته... فإن هذا بيان لأصل الدعوة إلى الله وحقيقتها ومقصودها)[3]، هذه هي الغاية التي يجب أن يتشبث بها الداعية المسلم، وأن يضعها نصب عينيه.

وهناك في الإسلام غايات وأهداف[4] أخرى إنسانية واجتماعية، لكن عند التأمل نجد أن هذه الأهداف في الحقيقة خادمة للهدف الأكبر، وهو مرضاة الله تعالى وحسن مثوبته، للفوز بنعيم الآخرة والنجاة من العذاب، فهذا هو هدف الأهداف وغاية الغايات[5].

ومن لوازم وضوح الغاية من الدعوة إلى الله تعالى:

---

[1] بتصرف، منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير بجانبيه التربوي والدعوي: د. السيد محمد نوح ص ٩٢، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة مصر ط:١، ١٤١١هـ ١٩٩١م. وانظر الخصائص العامة للإسلام د. يوسف القرضاوي ص ٧.

[2] سورة الذاريات آية ٥٦.

[3] باختصار، الفتاوى: ابن تيمية ١٦٣/١٥.

[4] هناك فرق بين الهدف والغاية: فالهدف هو المقصد القريب، أو الغرض القريب من الفعل، والغاية هي المقصد البعيد أو الغرض البعيد، وقد يعبر عن الغاية بأنها الهدف البعيد. ولوضوح الاصطلاح يعبر عن الهدف البعيد بالغاية، وعن المقصد القريب بالهدف. بتصرف، أهداف التربية الإسلامية وغايتها: د. مقداد يالجن ص ٢٢، مطابع القصيم الرياض، ط:١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م. وانظر الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر: خالد عبد الكريم الخياط ص ٣٢، دار المجتمع للنشر والتوزيع جدة، ط:١، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

[5] بتصرف، الخصائص العامة للإسلام ص ٧.

[١] أن الغاية التي يرجوها المسلم من وراء أفعاله، هي المعيار الذي يقوّم به عمله، فالأعمال تصبح ذات قيمة، أو تفقد قيمتها، باعتبار الغاية التي يرمي إليها العامل من عمله، فالذي يدعو إلى الله ابتغاء مرضاة الله، عمله أفضل الأعمال، والذي يدعو لينال الشرف والمكانة عند الناس، عمله شر الأعمال، وكذلك الذي يهاجر استجابة لأمر الله، ونصرة لدينه، عمله في المرتبة العليا، والذي يهاجر طلباً لنفع دنيوي ، فعمله باطل مضمحل[١].

[٢] أن وضوح الغاية من الدعوة يؤدي إلى وضوح الغاية من الجهاد في سبيل الله، والغاية من الإعداد له، (فالجهاد مقصوده أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، فمقصوده إقامة دين الله، لا استيفاء الرجل حظه)[٢]، ولا الانتقام وانتهاك الحرمات، أو حيازة المغانم وبسط النفوذ على الأرض.

والإعداد والتسلح وامتلاك القوة المادية والبشرية، لا يهدف إلى إثبات الوجود واجتذاب الناس، بل الغاية من امتلاك هذه القوة، تحقيق التغيير الإسلامي، بإقامة أمر الله وتطبيق شرعه[٣]، لقوله تعالى﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ .... ﴾[٤]، وقوله صلى الله عليه وسلم :((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي، وبما جئت به، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله))[٥].

فإذا ركزت هذه الغاية في نفس الداعية، فإن الأصل في الدعوة والجهاد في سبيل الله، هو نشر دين الله بين الناس، فيكون القتال والصراع أمرا طارئا مؤقتا، يتوقف بزوال

---

[١] بتصرف، مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين(النيات في العبادات): د. عمر سليمان الأشقر ص ٣٤٨- ٣٤٩، مكتبة الفلاح الكويت، ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

[٢] الفتاوى: ابن تيمية ١٥/١٧٠.

[٣] بتصرف، المتساقطون على طريق الدعوة، كيف ولماذا: فتحي يكن ص ١٠٣، مؤسسة الرسالة بيروت ط:٦، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

[٤] سورة البقرة جزء من آية ١٩٣.

[٥]صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمدا رسول الله .. الخ ١/٥١ ح ٢١.

أو بتحقق الدافع له، فنفس الداعية ممتلئة بحب الخير للناس وهدايتهم، لا بالحقد عليهم أو الرغبة في إيقاع الأذى والانتقام منهم.

وقد كان ذلك شعور النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعفو عن قريش، ويحقن دماءهم، فالجهاد وسيلة لنيل رضوان الله بنشر دينه في العالمين، فإذا تحققت هذه الغاية المنشودة فلا قتال ولا قهر ، بل عفو كريم، فلا تكون الوسيلة شاغلة عن الغاية الأساس.

[٣] إن تحديد مفهوم الغاية يضع حدودا فاصلة، ويمنع وقوع الخلط بين الغاية والثمرة من هذه الغاية، فقد كان فتح مكة تمكينا للمسلمين، وتمهيدا لحكمهم واستخلافهم في الأرض، لكن هذا الحكم والاستخلاف ليس غاية في حد ذاته، إنما هو ثمرة لقيامهم بالدعوة إلى الله، إيمانا به وتصديقا بنبيه صلى الله عليه وسلم، ومثوبة وعدهم الله تعالى بها في قوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ... ﴾[1].

ومن الممكن اعتبار ذلك هدفا ساميا يعمل الدعاة لتحقيقه، فإذا قام الدعاة بدعوة الناس لإقامة شرع الله في الأرض، والحكم بين الناس بما أنزل الله، ونبذ القوانين الوضعية، فهذه كلها جوانب مهمة ، وأهداف من الواجب تحقيقها، لكن تحققها لا يمنع استمرارية الدعوة إلى الله، كما أن التركيز عليها وإغفال الجانب الأهم، ألا وهو الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، وتحقيق عبودية الناس لله بشكل كامل، فيه مخالفة لمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة[2].

إضافة إلى ذلك فإن وضوح الغاية وتميزها عن الأهداف القريبة أو الثمار المرجوة عند الدعاة، لا يدع مجالا للنكوص والارتداد عندما يكون هناك فشل أو إخفاق في تحقيق هذا الهدف، أو هذه الثمرة، ولا تضيع الغاية المنشودة[3]، لأن المطلوب من الدعاة بذل

---

[1] سورة النور جزء من آية ٥٥.

[2] بتصرف، الوصايا في الكتاب والسنة: د. علي بن محمد ناصر الفقيهي ص ٧٩-٨٠، المجموعة الخامسة مطبعة الجامعة الإسلامية مركز شئون الدعوة ط:١.

[3] بتصرف، منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير ص ٩٢.

الوسع، وما عليهم إلا البلاغ، وهذه الغاية ترافقهم، وهي نصب أعينهم في أي مرحلة من مراحل الدعوة.

[٤] أن فقه الدعاة لهذه الغاية يترك أثرا عجيبا في نفوسهم، فتسلم أنفسهم من التمزق والصراع الداخلي، أو التوزع والانقسام بين مختلف الغايات وشتى الاتجاهات، فتحصيل الدنيا ومتعتها وزهرتها، لم يكن يوما من الأيام غاية وهدفا لدعاة الإسلام الأوائل، بل إن أداء الرسالة لا يرتبط بهذه المتع الدنيوية[١]، ومن هذا المنطلق، خشي الأنصار رضي الله عنهم مفارقة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، وانتقاله إلى مكة، وما ذلك إلا ضنا منهم بالله ورسوله، وحبا في الخير والهدى والنور الذي يشيع بينهم حال مرافقته لهم.

كما أن توحد هذه الغاية في نفوس الدعاة، يزيل عنصر الأثرة والعصبية الجماعية، ويحرر الداعية من شهوات نفسه والخضوع لمطالبه ورغباته الشخصية، وهذه أمور من شأنها تفريق كلمة الدعاة، وبذر بذور الشقاق والنفرة والحسد والمزاحمة بينهم.

وعلى العكس من ذلك، فإن هذه الغاية تولي وجهة المسلم إلى ذات الله تعالى، التي لها علاقة سواسية بالنوع البشري، ولا تمايز إلا بالتقوى، فإذا اتجهت مقاصد الدعاة إلى غاية نيل رضوان الله، حدث فيها اشتراك واتحاد يكفل إنشاء عواطف التعاون والتكافل، ويزيل عواطف الشحناء والتزاحم من بينها[٢]، فتسير الجماعات التي تعمل للدعوة الإسلامية- باختلاف وسائلها وأساليبها ومناهجها- لتحقيق غاية واحدة، ما دامت لا تخالف منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله، لأن الساحة تسع كل مخلص لله، متبع لكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

[٥] أن تحديد الغاية للدعاة يوضح لهم الوجهة التي يسلكون، فيعرف أحدهم من أين يبدأ، وكيف، وما هو الطريق الموصل إلى غايته، فالإنسان العاقل إذا ابتغى لنفسه النجاح فعلا، عليه أولا أن يحدد غاية سلوكه، ثم يجمع كل نياته وأعماله ومساعيه

---

[١] بتصرف، الخصائص العامة للإسلام ص ١٤، وانظر السبيل إلى دعوة الحق والقائم بأمرها ص ١٠٦.

[٢] بتصرف، الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها ص ٧٢.

للوصول إليها، وإن كان هناك عدة طرق للوصول إليها، فعليه أن يختار الطريق الأنسب بعناية، ولا يلتفت أدنى التفات إلى عشرات الطرق المتخللة في سبيله[1].

وتحديد الغاية من الدعوة يساعد على تحديد الأهداف المطلوبة من العملية الدعوية، وكلما وضحت هذه الأهداف وحددت، كلما ابتعدت الجهود عن الارتجالية والفوضوية التي قد تؤدي في النهاية إلى القعود عن الدعوة والفتور والملل.

والداعية إذا اطلع على المنهج النبوي في الدعوة، ثم أخطأ في اختيار الأساليب أو الوسائل المناسبة، فحينئذ لا يشفع له في خطأه أثناء سلوكه ذلك الطريق، إرادته لتلك الغاية، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك للدعاة منهجا متكاملا، إذا ساروا عليه تحقق لهم النصر ولو بعد حين.

ولتحقيق غاية ما لا بد من أمور:

١) تحديد تلك الغاية واستيعابها.

٢) تعيين الطرق والمناهج والوسائل الموصلة إلى تحقيقها.

٣) القيام بتنفيذ ذلك، واستفراغ الجهد مع التوكل على الله .

٤) متابعة التنفيذ مع التقويم المستمر[2].

الأمر الثالث: البدء بالأولويات والمهمات في عرض الدعوة:

وذلك بأن يبدأ الداعية بتقديم الأهم والأولى في العرض على غيره، فذلك أدعى لحدوث الأثر المرجو، ولقبول المدعوين للحق، وذلك يستلزم أن يجزئ الدعوة للناس، فلا يقدمها لهم جملة واحدة فتثقل عليهم[3]، بل يعرض أساس الدين، وهو عقيدة التوحيد، وإثبات الرسالة(شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله)، ثم يأتي على ما يليها

---

[1] بتصرف، المرجع السابق ص ٨٠.

[2] أطلت في عرض هذا المفهوم، لما قد يظن أن فتح مكة كان غاية النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك لمكانتها الدينية، ولمناصبة أهلها العداء له، إضافة إلى أنها موطن نشأته ومهد رسالته، ولما قد يسببه عدم وضوح هذا المفهوم في أذهان الدعاة من اضطراب في التصور، واختلاط بين الأهداف والوسائل، أو التركيز على قضايا ومصالح جزئية، مع إهمال الغاية السامية والأهداف الكبرى عند تحققها، وذلك ينتج تقصيرا في الدعوة وقعودا عنها، وإضاعة للجهود والطاقات بلا طائل.

[3] بتصرف، الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٤٢٩.

من التعاليم من أمور العقيدة والشريعة والسلوك، وهذا يقتضي تفهم الداعية لشمولية الدعوة الإسلامية، ليعرف وليقدر تماما بماذا يبدأ في دعوته، كما يقتضي تفهمه لطبيعة الناس وعقائدهم، فيبدأ في تقديم ما يمس قلوبهم، ويرهف أسماعهم لدعوته.

وقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بدأ بعد ظهوره على أهل مكة، بإزالة الأوثان والأرباب الزائفة التي صنعها المشركون حول الكعبة، لتزول الأوهام من قلوب قريش وعقولها، ثم بعد ذلك أعلن أولا عقيدة التوحيد، ثم تلا ذلك ذكر بعض التشريعات الإسلامية.

ومما يدل على أهمية البدء بالأوليات في أمور الدين، ما حدث مع وفد قوم عمرو بن سلمة رضي الله عنه مؤمنين، قد أسلموا لله وآمنوا برسوله، بدأهم بالأهم، فعادوا إلى قومهم، وقد زاد يقينهم بالإسلام، وهم يحملون معهم من الشرائع عماد الدين:(الصلاة)، فقال أبو عمرو لهم:(جئتكم والله من عند النبي صلى الله عليه وسلم حقا، فقال:((صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا صلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآنا))[1].

كذلك بدأ بأساسيات الدين لمن جاء يبايعه على الهجرة، فقال صلى الله عليه وسلم:((أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد))[2]، فإذا أسلم لله واتبع رسوله، والتزم شرائع الإسلام قوي إيمانه، فانطلق مجاهدا في سبيل الله، فينال بذلك أجر الهجرة بسبب نيته الصادقة.

فعلى الداعية ترتيب الأمور التي ينبغي البدء بها تبعا لأهميتها، ولمناسبتها للظرف الواقع وقت عرض الدعوة، ووضع المسائل في موضعها الصحيح، الذي تقتضيه الحكمة النابعة من التقيد بالكتاب والسنة، فلا يضخم القضايا الفرعية، ويغفل في ذات الوقت عن القضايا الأساسية، أو يقدم المهم على الأهم، أو يدعو إلى المندوب قبل الواجب، فيسبب

---

[1] سبق تخريجه ص ١٦٥.

[2] سبق تخريجه ص ١٣٦.

بذلك تزاحم المصالح أو تعارضها، وهذا يحتاج إلى نظرة عميقة متكاملة للأمور، فيتمكن من وضع كل شيء في موضعه المناسب، وعرض كل قضية في وقتها الملائم[1].

الأمر الرابع: التمييز بين التدرج في الدعوة والتدرج في التشريع:

جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشريعة السمحة الموافقة للطبيعة البشرية، المراعية للفطرة التي فطر الله الناس عليها، ومن مظاهر سماحة الإسلام، التدرج في كثير مما شرع لهم، سواء فيما فرض عليهم، أم فيما نهاهم عنه، أو في تبليغهم الدعوة، فكانت الدعوة الإسلامية تنتقل بالناس من مرحلة إلى مرحلة أخرى متقدمة في الدين، حتى تستقر في قلوبهم، وتستجيب نفوسهم، للبلوغ إلى الغاية المنشودة، حتى اكتمل الدين[2]، وتمت الحجة.

ومن المفاهيم المهمة التي على الدعاة وعيها، التمييز بين التدرج في الدعوة إلى الله، وبين التدرج في أمور الشريعة، لأن الأول مجال للاجتهاد، ما دام ضمن طرق مشروعة، أما الثاني فقد استقرت الأحكام وكمل الدين، ومصلحة الدعوة الحقيقية، في استقامتها على المنهج الذي تركه لها الرسول صلى الله عليه وسلم دون انحراف[3]، وفي تبليغ أحكام الله التي شرعها.

وهذا المفهوم يدور حول محورين:

المحور الأول: فقه حكمة التدرج في أحكام الدين، في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى لم يشأ أن ينزل التشريع جملة واحدة، بل (كان نزول القرآن نجوما في عشرين سنة، ووردت الأحكام التكليفية فيها شيئا فشيئا، ولم تنزل دفعة واحدة، وذلك لئلا تنفر عنها النفوس دفعة واحدة)[4]، وخاصة في القضايا التي ضربت جذورها في أعماق النفوس، وكانت من أعراف الجاهلية، كشرب الخمر والزنا والتعامل بالربا، فهذه أمور أدمن الناس عليها، ولا سبيل للإنفكاك عنها في لحظة عابرة، وفي خطوة واحدة، بل عالجها بتأن وتمهل.

---

[1] للاستفادة انظر منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير ص ٦١ .

[2] بتصرف، مقال بعنوان: التدرج بين التشريع والدعوة: د. يوسف محيي الدين أبو هلالة ص ٦٢ ضمن بحوث دراسات في الدعوة والإعلام، إصدار كلية الدعوة والإعلام بالرياض العدد الأول ١٤١٢ هـ.

[3] بتصرف، المرجع السابق ص ٧١.

[4] الموافقات ٢/٩٣.

وقد عبرت أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما عن ذلك أحسن تعبير، فقالت: (إنما أُنزل أول ما نزل منه- أي القرآن- سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا لا ندع الزنا أبدا..)[1]، وذلك لتخلص القلوب لله أولا، وتعلن عبوديتها لجلاله وحده، وتقبل عن حب ورغبة شرعه تعالى، وتنكر كل سلطان بشري يريد أن يفتنهم عن هذا الصراط المستقيم[2].

وفي فتح مكة لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم التدرج فيما يتعلق بالعقيدة، فهي أول قضية تصدى لها الإسلام منذ بدء الرسالة بكلمة التوحيد، فأزال معالم الشرك، وأعلن وحدانية الله تعالى، وتطبيق حكمه وشرعه.

كما أنه لم يتدرج مع أهل مكة في إنكار الأمور المحرمة، كالسرقة، فأقام الحد على السارق، وكالقتل بأن شرع الدية والقصاص، وكتحريم بيع الخمر والخنزير والأصنام.

المحور الثاني: التدرج في أسلوب الدعوة، وكيفية تبليغها وعرض الأولويات المهمة فيها، وذلك بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، والتدرج في الأمر من السهل إلى الصعب، ومن الصعب إلى الأصعب، ومن الهدف القريب إلى الهدف البعيد.. وهكذا، فإن التكاليف ثقيلة والطريق طويل، ولو أراد قطعه في نفس واحد، مرة واحدة، لكان الانقطاع، وبالتالي القعود أو الفتور والتواني[3].

وقد وعى السلف الصالح رضي الله عنهم ذلك، فقد قال عبد الملك[4] بن عمر بن عبد العزيز رحمهما الله لأبيه[5]: مالك لا تنفذ الأمور؟ فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت

---

[1] صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن ١٠١/٦. وللاستفادة انظر تاريخ الفقه الإسلامي: د. عمر سليمان الأشقر من ص ٤٨- ٥٢، دار النفائس الأردن، ومكتبة الفلاح الكويت، ط:٣، ١٤١٣هـ ١٩٩١م.

[2] بتصرف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص ٥٤٦.

[3] بتصرف انظر منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير ص ٦٨.

[4] عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز بن مروان، أمير أموي عاش ملازما أباه، ومات قبيل وفاته، وكان من أحب الناس إليه، وكان عونا له على الحق، توفي رحمه الله سنة ١٠١. بتصرف، الأعلام ٤/ ١٦١.

[5] هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، ولد بالمدينة زمن يزيد، كان إماما فقيها مجتهدا قانتا لله، ضرب به المثل في عدله وزهده بعد استخلافه، عده الإمام الشافعي خامس الخلفاء الراشدين، مات رحمه

بي وبك في الحق. فقال عمر رحمه الله مقالة الخبير بنفوس البشر وطبائعهم: لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة، فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة[1].

وهكذا كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته أهل مكة، فدعاهم إلى التوحيد، وذكر من أمور الشريعة ما وافق عقيدة القوم، كتحريم مكة، أو عدَّل ما ألفوه من قبل: كالديات، وذلك قبل الانتقال بهم إلى الجديد الذي لا يعرفونه من الأحكام الإسلامية.

ومن تدرجه مع قريش عدم نقضه بناء الكعبة لإصلاحه، فلم يغفل صلى الله عليه وسلم الواقع القائم، واكتفى بإثبات الحق قولا، وأظهر رغبته في تعديل البناء، وأرجأ تحقيقه عملا، مراعاة للواقع، ولما قد يترتب على التحقيق الفعلي من الأضرار على الدعوة الإسلامية[2].

كذلك تدرجه في إزالة المشاعر والطقوس الوثنية التي ألفها الناس في حجهم للبيت الحرام، فتطهير مكة من الأصنام، ودخول أهلها في الإسلام كان تمهيدا لإزالة الشرك ومعالمه وطقوسه، التي يؤديها العرب في الحرم، وكان الإلغاء الكامل لها بإعلان سورة براءة في موسم الحج الذي حج فيه أبو بكر رضي الله عنه بالناس[3]، وذلك في السنة

الله سنة ١٠١ وعمره ٤٠ سنة. بتصرف، حلية الأولياء ٢٥٣/٥، وتذكرة الحفاظ ١١٨/١، وتهذيب التهذيب ٤٧٥/٧.

[1] بتصرف، الموافقات ٩٤/٢، وعلق الإمام الشاطبي على قوله فقال:(وهذا معنى صحيح معتبر في الاستقراء العادي، فكان ما كان أجرى بالمصلحة، وأجرى على جهة التأنيس، وكان أكثرها على أسباب واقعة، فكانت أوقع في النفوس حين صارت تنزل بحسب الوقائع، وكانت أقرب إلى التأنيس حين كانت تنزل حكما حكما، وجزئية جزئية، لأنها إذا نزلت كذلك لم ينزل حكم إلا والذي قبله قد صار عادة، واستأنست به نفس المكلف... فإذا نزل الثاني كانت النفس أقرب للانقياد له، ثم كذلك في الثالث والرابع)، وروى في المصنف: ابن أبي شيبة، ٤٦٧/١٣ ح ١٦٩٤١، وقال فيه: يا بني، لو بدأت الناس بالذي تقول، لم آمن أن ينكروها، فإذا أنكروها لم أجد بُدا من السيف، ولا خير في خير لا يأتي إلا بالسيف.

[2] بتصرف، د.محيي الدين أبو هلالة: التدرج بين التشريع والدعوة ص ٧٩.

[3] بتصرف، المنهج الحركي للسيرة النبوية ١٩٥/٣.

التاسعة للهجرة[1]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:(بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين، بعثهم يوم النحر، يؤذنون بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان... ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذن ببراءة)[2].

ومن الأمور التي يتدرج فيها الداعية، الاحتساب، فيبدأ بالإنكار بالأسهل، فإن لم ينفع انتقل إلى الأصعب، قال الإمام القرطبي رحمه الله: (فالمنكر إذا أمكنت إزالته باللسان للناهي فليفعله، وإن لم يمكنه إلا بالعقوبة أو بالقتل فليفعل، فإن زال بدون القتل لم يجز القتل)[3].

فعلى الدعاة مراعاة سنة التدرج في تحقيق ما يريدون من أهداف دعوية، آخذين في الاعتبار سمو الهدف، ومبلغ الإمكانات وكثرة المعوقات[4].

الأمر الخامس: الاهتمام في إعداد الدعاة بالكيف لا بالكم:

ذلك أن الكيف في الإسلام مقدم على الكم، والعبرة بكثرة الكيفية لا بكثرة العدد، وصدق الله العظيم حيث يقول:﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[5].

وذلك يستلزم قوة التربية وحسن إعداد الدعاة، بحيث يكون ذلك ضمن منهج متكامل واضح المعالم، يستنبط قواعده وأصوله من شرع الله، ويلزم الدعاة بالتشبث بها[6]، وذلك ليخرجوا ونفوسهم ممتلئة بالروح الجهادية الفعالة، ويشعر كل واحد منهم بمسئوليته تجاه أمته، فيطلقها من كبوتها، ويبعثها من مرقدها، وهذه الروح الجهادية تورثه الثقة بالنفس،

---

[1] الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب حج أبي بكر بالناس في سنة تسع ١١٥/٥.

[2] صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن باب سورة براءة ٢٠٢/٥.

[3] الجامع لأحكام القرآن ٤٩/٤.

[4] بتصرف، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف: د. يوسف القرضاوي ص ١٠٥، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية قطر، ط:١، ١٤٠٢هـ.

[5] سورة البقرة جزء من آية ٢٤٩.

[6] بتصرف، المتساقطون على طريق الدعوة ص ١١١.

وتجعله مستعصيا على التحديات والعقبات التي تعترض مسير دعوته[1]،وتنمي فيه الإرادة الحرة، التي تدفعه إلى الدعوة إلى الله، والعمل الصالح، وتعزز عنده شعور الولاء للمسلمين، فيتحقق فيه قوله تعالى﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2].

وقد تحقق في الصحابة رضوان الله عليه أرفع مستويات التحقق بصفات الدعاة إلى الله، المستنيرين بتعاليم ربهم وهدي نبيهم صلى الله عليه وسلم، وقد جمعهم ووثق عرى الأخوة بينهم، التقاؤهم على الإيمان والبذل والجهاد وطاعة الله وطاعة رسوله، والدعوة إلى دينه، وقد قال تعالى في مدحهم:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ.... ﴾[3].

وقد كانوا تلامذة للرسول صلى الله عليه وسلم في كل أحواله، في سفره وإقامته، في حربه وسلمه، فهو نبيهم وقائدهم وقدوتهم ومعلمهم، وكان كل صحابي يدعو إلى الإسلام من خلال ظروفه وواقعه عن رغبة ومبادرة ذاتية، على قدر وسعه وطاقته، ثم نمت مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم مع نمو الدعوة، حتى أخذت الوفود تتوالى على المدينة تتعلم ثم تغادر وتنطلق هنا وهناك تنقل الدعوة وتبلغ الرسالة[4].

وقد عاش هؤلاء الصحابة في الجاهلية ثم أسلموا فعاصروا أحداث نزول القرآن، ووقائع المعارك وتقاسموا الشدة والرخاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأثمر لهم ذلك بصيرة وعلما وثباتا على الحق، كانوا على علم تام بمنهج الإسلام ودعوته وغاياته وأهدافه.

قال ابن القيم رحمه الله في فضل من عاش في الجاهلية ثم أسلم، وكيف أثر ذلك في نفوسهم فكانوا أشد الناس حبا ورغبة في الإسلام، وأبغض الناس للكفر ومظاهر

---

[1] بتصرف، جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث: جمال سلطان ص ١٥٤، مركز الدراسات الإسلامية بريطانيا، ط:١، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

[2] سورة فصلت آية ٣٣.

[3] سورة الأنفال جزء من آية ٧٢.

[4] بتصرف، دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية ص ١٨١.

الانحراف الخلقي ومفاسد الجاهلية:(وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة، فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك... ثم جاءهم الرسول فأخرجهم من تلك الظلمات إلى سبيل الهدى وصراط الله المستقيم، فخرجوا من الظلمة الشديدة إلى النور التام... ومن الجهل إلى العلم... ومن الحيرة والعمى إلى الهدي والبصائر، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به... وكانوا أحب الناس في التوحيد والإيمان والإسلام، وأبغض الناس في ضده، عالمين بالسبيل على التفضيل. أما من جاء بعد الصحابة فمنهم من نشأ في الإسلام، غير عالم تفضيل ضده، فالتبس عليه بعض تفاضيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين، فإن اللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية)[1].

وهؤلاء الصحابة أفضل أمة محمد بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ، وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم التفاضل الحاصل بين المؤمنين، بنص القرآن الكريم، في قوله تعالى﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ ... ﴾[2]،(فكان من أسلم قبل الفتح وقاتل أعظم درجة وأجرا وثوابا ممن لم يسلم ويقاتل وينفق إلا بعد ذلك، كما هو مقتضى الحكمة)[3].

كما تضع هذه الآية الكريمة ميزان التفاضل بين الدعاة، حين تدل على أن(فضيلة العمل على قدر رجوع منفعته إلى الإسلام والمسلمين، أو لكثرة المحنة به لقلة المسلمين وكثرة الكفار، وهو مثل قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ .... ﴾[4])[5].

فهذا دليل على التفاوت الموجود بين الدعاة إلى الله والمجاهدين في سبيله، في البذل والتضحية والاستعداد النفسي، وصفوة الصحابة وكبراؤهم كانوا من السابقين للإسلام،

---

[1] باختصار، الفوائد ص ١٤٣.

[2] سورة الحديد جزء من آية ١٠.

[3] تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن ٢٨٨/٧.

[4] سورة التوبة جزء من آية ١١٧.

[5] أحكام القرآن: الكيا الهراس ٤٤٧/٤.

من المهاجرين والأنصار، وهم الذين قال صلى الله عليه وسلم معاتبا خالد بن الوليد رضي الله عنه، في دفاعه عنهم:((لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه))[1]، فهذا كلام موجه إلى سيف الله المسلول، دفاعا عن أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام، وأحد البدريين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه[2] -،وذلك بعد أن كان بينهما شيء فسبه خالد رضي الله عنهما-، فكيف بمن جاء بعدهم ممن لم ينل شرف الصحبة والجهاد في سبيل الله.

قال القاضي عياض [3]رحمه الله:(ومن أصحاب الحديث من يقول أن هذه الفضيلة مختصة بمن طالت صحبته، وقاتل وأنفق وهاجر ونصر، لا من رآه مرة كوفود الأعراب، أو صحبه أخيرا بعد الفتح وبعد إعزاز الدين، ممن لم يوجد له هجرة ولا أثر في الدين ومنفعة للمسلمين، والصحيح الأول)[4]، ويعني بالأول: أي تفضيل الجمهور للصحابة كلهم، على جميع من بعدهم، لنصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،وطاعتهم له وجهادهم معه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وجيش الفتح لم يكن جنوده على مستوى إيماني واحد، فقد اختلط فيه أعداد غفيرة من مسلمي القبائل المقيمة خارج المدينة، فكان منهم من لم يخالط الإيمان شغاف قلوبهم، ولم يتلق التربية والإعداد الكافيين، ليكون بمستوى من رافق الرسول صلى الله عليه وسلم مدة أطول وتلقى منه مباشرة، فحدثت بعض التجاوزات عند زحف الجيش نحو مكة، كما حدث مع أخت أبي بكر رضي الله عنه حين تلقاها رجل -وفي عنقها طوق من فضة- فقطعه وأخذه، وقام أبو بكر رضي الله عنه بعد استقرار الجيش، وقال: أنشد الله والإسلام،

---

[1]صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم ١٩٦٨/٤ ح ٢٥٤١.

[2] بتصرف، سير أعلام النبلاء ٦٨/١.

[3] هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو الأندلسي ثم السبتي المالكي، الإمام العلامة الحافظ، ولد سنة ٤٧٦هـ، تبحر في العلوم وولي القضاء وعمره ٣٥ سنة، كان هينا من غير ضعف، صلبا في الحق، توفي سنة ٥٠٤هـ بمراكش رحمه الله. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٢١٢/٢٠.

[4]صحيح مسلم بشرح النووي ٩٣/١٦.

طوق أختي. فلم يجبه أحد، فقال: أي أخية احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل[1].

ومما يدل على أن العاقبة الحميدة ليست بكثرة العدد، بل بقوة الإيمان وحسن الإعداد، قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ .... ﴾[2]، حين أوقعت هذه الكثرة الجيش في الاغترار والإعجاب بالكثرة، فلم تغن عنه شيئا، فقال أحدهم: لن نغلب اليوم من قلة. فهزم العسكر فتنة ومحنة، ثم استقر الأمر على النصر والظفر[3]، (وكذلك شأن الدعوات، لا يمكنها أن تعتمد على كثرة المصفقين لها، بل على عدد المؤمنين بها، والمضحين في سبيلها)[4].

الأمر السادس: الاعتبار بالسنن الإلهية:

ومن أمثلة ما يتعلق بالدعاة من هذه السنن:

١– قد لا يقطف الداعية ثمار دعوته قبل موته، وقد لا يحقق النتائج المرجوة في حياته، فالدين دين الله والنصر نصره، يأتي به متى شاء تعالى، وحيث شاء، فإذا أخلص الداعية المجاهد في قيامه بواجبه، لم يكن بعد ذلك مسئولا عن النتائج.

---

[1] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٢٥. ودلائل النبوة ٤/٩٥، وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (يعني به الصديق ذلك اليوم على التعيين، لأن الجيش فيه كثرة، ولا يكاد أحد يلوي على أحد، مع انتشار الناس، ولعل الذي أخذه تأول أنه من حربي) البداية والنهاية ٤/٢٩٤.

[2] سورة التوبة جزء من آية ٢٥.

[3] بتصرف، زاد المعاد ٣/١١١. ونحو ذلك وقوع الفتنة والإعجاب بالكثرة الحديث الذي رواه حذيفة رضي الله عنه :قال النبي صلى الله عليه وسلم :((اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس)) ، فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل، فقلنا: نخاف ونحن ألف وخمسمائة؟، فلقد رأيتنا ابتلينا، حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف).رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد باب كتابة الإمام الناس ٤/٣٣.

[4] السيرة النبوية ، دروس وعبر ص ١٢٧. وقد قال ابن القيم رحمه الله :

هذا وإن قتال حزب الله ... بالأعمال لا بكتائب الشجعان

والله ما فتحوا البلاد بكثرة ... أنى وأعداهم بلا حسبان

وكذاك ما فتحوا القلوب بهذه ... الآراء بل بالعلم والإيمان.

الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية المعروفة بالقصيدة النونية ص ٢٠، إدارة ترجمان السنة باكستان، ط: بدون.

والدعوة تستلزم الإخلاص لوجهه تعالى، وألا يُقصد من ورائها عرضا زائلا أو مصلحة خاصة، بل يبذل ما وسعه من جهد في اتباع الأسلوب المناسب للدعوة واتخاذ الوسيلة الأمثل، بشكل صحيح، مع مراعاة الإطار الشرعي، فإذا لم يحصل على النتائج المرجوة كان راضي النفس مطمئنا إلى ما كتبه الله من توفيق ونجاح وتيسير، فاستجابة الناس للدعوة خارجة عن إرادة الداعية[1].

وهذه السنة مطردة حتى مع الأنبياء، يقول النبي صلى الله عليه وسلم :((عُرضت علي الأمم فرأيت النبي معه الرُهيط[2]، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد))[3]، في الوقت ذاته يبشر بأن أتباعه صلى الله عليه وسلم من السواد الأعظم الذي يدخل الجنة، فيكفي الداعية عزاء حينئذ أن بعض أنبياء الله-وهم صفوة الدعاة من الخلق- لم يُستجب لهم، ولم يؤاخذهم الله تعالى على ذلك.

إلى جانب ذلك لا بد من اليقين الجازم أن نصر الله آت لا ريب فيه، عند تحقق شروطه وموجباته في الدعاة إليه، ولو حدث بعض تأخر أو تخلف لبعض صوره -من منظور الناس- فإن النصر يكون في عاقبة الأمور بالصورة التي يريدها الله تعالى، وحسب الدعاة أن يثقوا كل الثقة بسنته تعالى الواردة في قوله:﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[4].

ولكن ليس لهم تحديد ميعاد نصرهم، ولا صورة معينة أو شكلا معينا لذلك[5]، فالمنهج النبوي في الدعوة، الصبر والتأني وعدم استعجال الخطى، أو تجاوز المراحل، فطريق الدعوة شاق وطويل، لا يشترط فيه رؤية النصر أو تحقق الهدف قبل الموت، وقد قال تعالى:﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾[6].

---

[1] بتصرف، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، المسلمون بين التحدي والمواجهة: د. عبد الكريم بكار ص ٢٩٣، دار المسلم الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

[2] الرهيط: تصغير كلمة رهط، وهم الجماعة دون العشرة. صحيح مسلم بشرح النووي٣/٩٤.

[3] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ١/١٩٩ ح ٢٢٠.

[4] سورة الحج آية ٤٠.

[5] بتصرف، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ص ١٨١.

[6] سورة يونس آية ٤٦.

كما لا يوقف السير فيه انقطاع بعض الدعاة، أو وفاتهم، وقد قال تعالى﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ ... ﴾[1]، فإن كان موت الرسول صلى الله عليه وسلم -وهو إمام الدعاة- ليس مبررا للنكوص والانقطاع عن الدعوة، فغيره من باب أولى، والآية لم تشترط حدوث النصر أو بلوغ الأهداف المنشودة، بل يوجه تعالى المؤمنين إلى إكمال الطريق للوصول إلى الغاية البعيدة، فالنصر إذا لم يتحقق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه قد يتم فيما يأتي من الأيام مع غيره، والمطلوب من المؤمنين المضي في الطريق الذي رضيه الله لهم، ﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[2].

وقد وعى الصحابة رضوان الله عليهم هذا المفهوم، فكانوا دعاة مجاهدين مع الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، و لم يمنعهم من الاستمرار في الدعوة استشهاد بعضهم في طريقها- كما حدث مع أصحاب الرجيع ،لما قتلوا غدرا وخيانة[3]- بل أينما وجههم النبي صلى الله عليه وسلم دعاة أو مجاهدين ،توجهوا وأطاعوا، حتى أثنى الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[4]، فقد صدقوا الله فيما عاهدوا من الصبر والثبات مع رسوله، والقيام بما كتب عليهم من القتال لإعلاء كلمة الله، فمنهم من أدى ما التزم ووفى به، فقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقا، حتى قتل شهيدا، ومنهم من ينتظر ما وعد الله به من نصره و الشهادة على ما مضى عليه أصحابه من الصدق[5].

ومما ثبَّت الصحابة في جهادهم مع رسولهم، وفي هجرتهم معه، وربط على قلوبهم، ابتغاؤهم وجه الله تعالى، وطلب ثوابه في الآخرة، فقد وقر في قلوبهم أن من مات منهم قبل حدوث التمكين في الأرض، توفر له ثوابه في الآخرة، ومن بقي منهم حتى رأى النصر ونال من

---

[1] سورة آل عمران جزء من آية ١٤٤.

[2] سورة آل عمران تتمة الآية ١٤٤.

[3] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم :ابن هشام ١٦٠/٣.

[4] سورة الأحزاب آية ٢٣.

[5] بتصرف، محاسن التأويل ٢٣٧/١٣.

طيبات الدنيا، خشي أن يكون قد عجل لهم أجر طاعتهم ،وقد كانوا على نعيم الآخرة أحرص،[1] قال خباب رضي الله عنه :(هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى و لم يأخذ من أجره شيئا، ومنا من أينعت له ثمرته، فهو يَهْدُبُها[2])[3].

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: وفي يوم الفتح قد ترجع بنا الذكريات إلى رجال لم يشهدوا هذا النصر المبين، و لم يسمعوا صوت بلال وهو يؤذن فوق ظهر الكعبة شعار التوحيد، و لم يروا الأصنام مكبوبة على وجهها مسواة بالرغام، و لم يروا عبادها الأقدمين، وقد ألقوا السلم واتجهوا إلى الإسلام، إنهم قتلوا أو ماتوا أبان المعركة الطويلة التي نشبت بين الإيمان والكفر، ولكن النصر الذي يجني الأحياء ثماره اليوم، لهم فيه نصيب كبير، وجزاؤهم عليه مكفول عند من لا يظلم مثقال ذرة[4].

إنه ليس من الضروري أن يشهد كل جندي النتائج الأخيرة للكفاح بين الحق والباطل، فقد يخترمه الأجل في المراحل الأولى منه، وقد يصرع في هزيمة عارضة، كما وقع لسيد الشهداء حمزة رضي الله عنه ومن معه[5].

٢- ومن السنن حدوث الابتلاء للدعاة قبل النصر والتمكين: فهذه سنة الله في أهل العقيدة الصحيحة والدعوة السليمة، لا بد من البلاء والأذى، ولابد من الصبر والمقاومة

---

[1] بتصرف، فتح الباري ٢٧٩/١١ ح ٦٤٤٨. وكيف لا يكونون رضي الله عنهم أحرص الناس على أجر الآخرة، وأزهدهم في الدنيا، وقد سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم :((ما من غازية تغزو في سبيل الله، فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تمَّ لهم أجرهم))، صحيح مسلم كتاب الإمارة باب بيان قدر ثواب من غزا فغنم ومن لم يغنم ١٥١٤/٣ ح ١٩٠٦.

[2] بكسر الدال ويجوز ضمها، أي يقطفها، فتح الباري ٢٧٩/١١، ح ٦٤٤٨.

[3] وتتمة الحديث:(منهم مصعب بن عمير، قُتل يوم أحد، وترك نَمِرة ، فإذا غطينا رأسه بدت رجلاه، ،إذا غطينا رجله بدت رأسه، فأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نغطي رأسه، ونجعل على رجليه من الإذخر)، صحيح البخاري كتاب الرقاق باب فضل الفقر ١٧٨/٧.

[4] وقد قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ سورة محمد من آية ٤-٦.

[5] بتصرف، فقه السيرة ص ٤١٨.

والاعتزام، إنه طريق الجنة المحفوفة بالمكاره، وهو الطريق لإنشاء الجماعة التي تحمل هذه الدعوة وتنهض بتكاليفها[1].

قال الله تعالى﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[2]، ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عودا، أصبرهم على العنت والبلاء، فتعز هذه الدعوة عليهم وتعلو بقدر ما يضحون في سبيلها.

ومشيئة الله تعالى وإرادته هي التي اقتضت حدوث الابتلاء لعباده المؤمنين، ولو شاء لنصرهم بقوله: كن، لكنه تعالى جعل ذلك لحكمة، بين بعضها في قوله تعالى﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[3]، فهو ابتلاء للمسلمين وللكافرين، كما في الحديث:((إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك))[4].

فالله سبحانه من حكمته، لم يبعث نبيا بهذا التوحيد، إلا جعل له أعداء، كما قال تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ... ﴾[5]، ذلك أن وجود العدو يمحص الحق ويبينه، فإنه كلما وُجد المعارض، قويت حجة الآخر[6].

فالابتلاء خير للدعوة وللدعاة سواء، فهو الوسيلة التي بها تتميز الصفوف وتتمحص القلوب، لأن حمل أمانة الدعوة لا يصلح لها كل الناس، بل هم الصفوة المختارون، الذين

---

[1] بتصرف، طريق الدعوة في ظلال القرآن ٢١٩/١.

[2] سورة آل عمران آية ١٨٦.

[3] سورة محمد جزء من آية ٤.

[4] سبق تخريجه ص ١٢.

[5] سورة الأنعام جزء من آية ١١٢.

[6] بتصرف، شرح كشف الشبهات(للشيخ محمد بن عبد الوهاب): الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٦٣، إعداد فهد بن ناصر السليمان دار الثريا للنشر الرياض ط:٢، ١٤١٧هـ ١٩٩٦. وأضاف الشيخ: وهؤلاء المجرمون يعتدون على الرسل وأتباعهم وعلى ما جاؤا به بأمرين: الأول: التشكيك، والثاني: العدوان. أما التشكيك، فقد قال عنه تعالى﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا ﴾ لمن أراد أن يضله الأعداء، وأما العدوان، فقد قال في مقابله﴿ وَنَصِيرًا ﴾ لمن أراد أن يرد عن أعداء الأنبياء. بتصرف ص ٦٤- ٦٥.

يُعدون من الله بهذا الابتلاء، كما قال تعالى﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾[1]، فلا بد أن يُعرف المجاهدون ويتميزوا لئلا يقع الالتباس بينهم وبين ضعاف النفوس والمنافقين[2]، قال تعالى﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[3].

ومن حكمة الابتلاء أنه يزيد من تناصر الدعاة، وتآزرهم، ويجعلهم على درجة عالية من الأخوة، وذلك حين يقفون صفا واحدا ضد أعدائهم.

كما أنه يقوي الإيمان في قلوبهم ويفتح لهم آفاقا من الخبرة والتجربة في الحياة، لأن حالهم كالنبتة الطرية الغضة التي تميلها الرياح مرة تلو مرة، فتميل معها يمينا وشمالا، حتى تكبر وتستوي ويكمل نضجها، وهي ثابتة قوية، كما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حال المؤمن:((مثل المؤمن كمثل الخامة[4] من الزرع، من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكَفَّأ بالبلاء))[5]، فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة في قلوب الدعاة، وتفتح فيها منافذ ما كانوا ليعلموها في أنفسهم إلا تحت مطارق الشدائد، كما أن بعض القيم والتصورات ما كانت لتصح وتستقيم إلا في جو المحنة، التي تزيل الغبش عن العيون، وحين يلجئون لله وحده[6].

ولو لم يصبهم البلاء لاكتسبت نفوسهم من العافية الدائمة والنصر والغنى، طغيانا وركونا إلى العاجلة، وهذا في حد ذاته مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار الآخرة، فمن حكمة الله تعالى أن يقيض لهم الابتلاء لإزالة هذا العائق[7].

---

[1] سورة محمد آية ٣١.

[2] بتصرف، طريق الدعوة في ظلال القرآن ص ٢٢٢.

[3] سورة العنكبوت الآيتين ٢-٣.

[4] الخامة: هي النبتة الطرية اللينة، أو هي الزرع أول ما ينبت على ساق واحد. فتح الباري ١٠/١٠٦ ح ٥٦٤٣.

[5] وتتمة الحديث (والفاجر كالأَرْزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء)) صحيح البخاري كتاب المرضى والطب باب ما جاء في كفارة المرض ٧/٣.

[6] بتصرف، طريق الدعوة في ظلال القرآن ١/ ٢٢٢.

[7] بتصرف، زاد المعاد ٣/ ٢٢١، وقد أفاد رحمه الله كثيرا في ذكر الحكمة من وقوع الإدالة والابتلاء للمؤمنين، للاستفادة انظر المرجع نفسه ٣ /٢١٨ - ٢٤١، وانظر إغاثة اللهفان ٢/١٨٧- ١٩٣.

ومن الخطأ أن يتطرق اليأس إلى قلوب الدعاة بسبب المحن وشدتها، أو أن تضعف الثقة في الله وتأييده والثقة في بلوغ الغاية المنشودة[1]، (فالله تعالى يهدي الرسل وأتباعهم وينصرهم على أعدائهم، ولو كانوا من أقوى الأعداء، فعلينا أن لا نيأس لكثرة الأعداء وقوة من يقاوم الحق، فإن الحق كما قال ابن القيم:

الحق منصور وممتحن فلا تعجب فهذي سنة الرحمن

فلا يجوز لنا أن نيأس، بل علينا أن نطيل النفس، وأن ننتظر وستكون العاقبة للمتقين، فالأمل دافع قوي للمضي في الدعوة والسعي في إنجاحها، كما أن اليأس سبب للفشل والتأخر في الدعوة)[2].

وقد كان السلف الصالح يصمدون ويثبتون عند البلاء، رغبة بالأجر من عند الله، بل قد يرون أن الرخاء هو من تعجيل الثواب في الدنيا، كما قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه –وقد أُتي بطعامه –:(قُتل مصعب بن عمير وكان خيرا مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، وقتل حمزة– أو رجل آخر– خير مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، لقد خشيت أن تكون قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا. ثم جعل يبكي

والابتلاء طريق للتمكين، فهذه السنن يمسك بعضها برقاب بعض، كحلقات السلسلة، يشد بعضها بعضا، فلا تمكين بلا تمحيص، ولا تمحيص بلا ابتلاء، إذ متى تحققت أوائلها تحققت أواخرها[4].

وقد سأل رجل الإمام الشافعي [5]–رحمه الله– فقال:(يا أبا عبد الله، أيما أفضل للرجل، أن يمكن أو يبتلى؟ فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحا

---

[1] بتصرف، طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف: د. مصطفى مشهور ص ٨٦، دار الفرقان الأردن ط:٢ ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

[2] شرح كشف الشبهات ص ٦٤-٦٥.

[3]صحيح البخاري كتاب الجنائز باب الكفن من جميع المال ٧٧/٢.

[4] بتصرف، مقال بعنوان: العلم بالسنن الربانية: د. محمد آمحزون، ص ٥٥ مجلة البيان عدد ١١٥.

[5] هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان القرشي الهاشمي المطلبي، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة، ولد بغزة في فلسطين سنة ١٥٠هـ وحمل منها إلى مكة، ثم قصد مصر إلى أن توفي فيها، كان من أشعر الناس وأفقههم وأعلمهم بالقرآت، أفتى وعمره ٢٠ سنة، وكان ذكيا مفرطا، وله تصانيف كثيرة، توفي رحمه الله سنة ٢٠٤. بتصرف حلية الأولياء ٦٣/٩، سير أعلام النبلاء ٥/١٠، والأعلام ٢٦/٦.

وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم)[1].

بل أن التمكين هو ذاته من الابتلاء، فقد قال تعالى﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[2]، فالدعاة قد يصمدون للابتلاء عند الشدائد وأثناء الجهاد والقتال، لكنهم عند التمكين والنصر يصيبهم الفخر والغرور، وقد يغلب عليهم حب الذات والرئاسة، وقد تجرفهم الملذات والانغماس في متاع الدنيا إلى الدعة والسكون، فيتركوا الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله.

كما قد يغفلون عن تحقيق شرط استمرار التمكين، فلا يقيمون دين الله في الأرض، الذي أمر به تعالى في قوله﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[3].

فهو ابتلاء بعد ابتلاء، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعد حدوث النصر والتمكين بالتوجه إلى الله بالشكر والاستغفار والتوبة فقال﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾[4].

---

[1] الفوائد ص ٢٦٩.

[2] سورة الأنبياء جزء من آية ٣٥.

[3] سورة الحج آية ٤١.

[4] سورة النصر آية ٣.

المطلب الثاني: قواعد منهجية في إعداد الدعاة

الدعاة إلى الله هم حملة مبادئ الإسلام إلى الناس، وهم صنف متميز قد اختارهم الله لحمل أمانة الرسالة، فليس كل إنسان مهيأ للقيام بعبء الدعوة[1]، وهذا يتبين من اصطفاء الله تعالى لرسله، وتكليفهم بالدعوة إلى سبيله، كما في قوله تعالى﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ.... ﴾[2] .

والنبي صلى الله عليه وسلم هو إمام الدعاة إلى الإسلام، يسيرون بسيرته، ويقتدون بهديه، قد ربى أصحابه وأعدهم لحمل الرسالة، وتحمل مشاقها، وأعدهم ليكونوا قدوة لمجتمعهم بسلوكهم وبذلهم وتضحياتهم، وبدأ بإعدادهم أول مبعثه في دار الأرقم بن الأرقم[3] رضي الله عنه، ثم تعهدهم بالتربية وغرس الإيمان في قلوبهم طوال سني العهد المكي.

و لم ينته دوره في مكة حتى أكمله في المدينة، فأخرجت مدرسة النبوة للناس أجيالا من أرفع المستويات من الدعاة المدافعين عن الإسلام، الواثقين بطريقهم المعتزين بدينهم، ونشروا مع النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام حتى أخضعوا جزيرة العرب له، ثم التحق بالرفيق الأعلى وقد أعد أصحابه وراءه لحمل الدعوة إلى خارجها، وأتم خلفاؤه الراشدون ما بدأه صلى الله عليه وسلم .

ومما لا شك فيه أن هذه الصفوة من الدعاة[4]، هم خلاصة الجهود المضنية التي بُذلت طيلة ثلاثة وعشرين عاما من عمر الدعوة، وقد رسمت منهجا تناقلته أجيال الدعاة، وسبيلا

---

[1] بتصرف، فصول في الدعوة والثقافة الإسلامية: د. حسن عيسى عبد الظاهر ص ٢٠١، دار القلم الكويت، ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

[2] سورة الحج جزء من آية ٧٥.

[3] كان اسمه قبل الإسلام عبد مناف بن أسد بن عبد الله المخزومي، من السابقين للإسلام قيل: أسلم بعد عشرة، كانت داره على الصفا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلتقي بأصحابه فيها، حتى تكاملوا أربعين رجلا مسلما خرجوا منها، وكان آخرهم إسلاما عمر رضي الله عنه ، شهد المشاهد كلها، وتوفي رضي الله عنه في خلافة معاوية سنة ٥٥هـ.

[4] مقصود الباحثة بالدعاة في هذا المبحث، نوعين منهم: النوع الأول: قدوة الدعاة النبي صلى الله عليه وسلم ،

يسلكونه على هدى وبصيرة من الله، وهذا المنهج الرباني يسع الدعاة مهما ترامت أمداء الزمان والمكان، إذا فقهوا هذا المنهج وأحسنوا تطبيقه،(فاكتشاف المنهج الدعوي الأمثل هو نصف المطلوب، أما النصف الثاني فيتمثل في فهم الأساليب والوسائل والخطط والآليات، التي يجب استخدامها في نشر الدعوة)[1]، وذلك يستلزم إعدادا متميزا للدعاة كي تحصل لهم هذه الأهلية.

وفيما يلي **قواعد وأسس مستلهمة من سمات المنهج النبوي في إعداده للدعاة** على ضوء غزوة الفتح، لعلها توضح الطريق الملائمة لأعداد الدعاة إلى الله:

القاعدة الأولى: يجب أن يكون إعداد الدعاة شاملا متوازنا:

إن كل داعية يعد لبنة مهمة في الصرح الدعوي وفي المجتمع الإسلامي، فإذا تلقى إعدادا شاملا بدنيا ونفسيا وعقليا وخلقيا، إلى غير ذلك من الجوانب التي تحقق التوازن في شخصيته، يكون قد خطى خطوة لا بد منها في إقامة صرح الأمة على أساس متين، ويكون عضوا نافعا لنفسه ولأهله ولأمته، قادرا على الاضطلاع بالأعباء التي تناط به[2].

والإعداد الشامل المتوازن هو الذي يعطي لكل شيء حقه، فلا ينزع إلى تمجيد جانب على جانب آخر، أو يطغى عليه، أو يحصر الدعاة في ركن معين، فيصبح بالتالي ذلك هو هدف الدعاة ورسالتهم التي يدعون لها مما يخل بشمولية الدعوة الإسلامية، وذلك كأن يركز على القلب فقط فيهتم بإخراج دعاة عندهم رقة بالغة ومواعظ مؤثرة، لكنه في الوقت ذاته أغفل جانب العلم والعقل، فلم يفقههم إلا بالنزر اليسير من الدين، وأهمل أجسادهم فهي ضعيفة هزيلة، و لم يهتم بأخذ العدة لجهاد الكفار، فالإعداد الشامل المتوازن يعطي كل جزء من الإنسان ما يستحقه من العناية والرعاية، لأنه نابع من شمولية

وذلك باستخلاص الدروس المستفادة من إعداد الله تعالى له لحمل رسالته، والداعية الحصيف إذا سمع أمرا من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم علم الخير فيه، فالتزمه وتأسى بالنبي في ذلك.

النوع الثاني: هم صحابته الكرام، وذلك باستخلاص الدروس من إعداد النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتربيتهم للقيام بحمل الدعوة في حياته وبعد مماته، ودعاة اليوم يقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبصحابته، فهم كالنجوم للسائر في الظلام.

[1] مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ص ١٨٦.

[2] بتصرف، دعوة الإسلام: سيد سابق ص ٤٥.

الدين الذي يدعو إليه، ومن صفات هذا الدين أنه شامل متكامل ليس دين عقل أو روح أو جسد فقط، بل أنه يتعامل مع الإنسان المكون من كل ما سبق[1].

وقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه ورأى ضرورة أن يعدوا إعدادا شاملا، فتراه يعزز الجانب الإيماني الروحي عندهم ، حين يقوي رابطتهم بالله تعالى الذي نصرهم وأعزهم، فيرجع الفضل كله إليه. كما يريهم القدوة في نفسه فيصلي لله شاكرا حامدا بعد إتمام الفتح، ويعيش بدعوته كل لحظات حياته- وذلك من أهم مقتضيات الدعوة- إذ يحقق الانشغال بالدعوة من خلال انشغاله بالله تعالى، تسبيحا واستغفارا وصلاة، فذكر الله تعالى يحقق الاطمئنان القلبي للداعية، وهو ضروري لمواجهة الشدائد التي تنتظره في الطريق، كما قال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[2][3].

كما يهتم برعاية الجانب العقلي المعرفي، وذلك بتركيزه على أهمية نشر العلم، وأمره لمن سمع كلامه وفقهه، أن يبلغه لمن لم يسمع، فيقول بعد خطبته ثاني أيام الفتح:((وليبلغ الشاهد الغائب))[4]، ويأمر بكتابة ما علمه للناس لأحد أصحابه حين سأله أن يكتب له ما قال، ليحمله إلى من وراءه من قومه في اليمن، فقال:((اكتبوا لأبي شاه))[5].

ولا شك أن تسلح الداعية بالعلم من الأمور الضرورية، لأن من تصدى للدعوة دون أن يتسلح بالعلم، يُخشى عليه أن يجادله أحد خصومه، فتضيع حجته فيهلك، فلا بد أن يكون عنده من العلم ما يدفع به الشبهات، ويفحم به الخصم، وذلك لا يكون إلا بمعرفة ما هو عليه من الحق، وما عليه خصمه من الباطل، ليتمكن من دحض حجته[6].

إلى جانب عنايته صلى الله عليه وسلم بالجانب الروحي والعقلي فإنه لا يغفل الجانب البدني، فلا يكلف صحابته فوق طاقتهم، فلا يحملهم على الصيام في السفر، بل

---

[1] للاستفادة انظر الخصائص العامة للإسلام ص ٩٩- ١١٨.

[2] سورة الرعد آية ٢٨.

[3] بتصرف، حكمة الدعوة: رفاعي سرور ص ٤٠، مكتبة وهبة القاهرة ط: بدون.

[4] صحيح البخاري كتاب العلم باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ١/٣٥.

[5] سبق تخريجه ص ١٤٥.

[6] بتصرف، شرح كشف الشبهات ص ٧٠.

رخص لهم بالفطر لما رأى المشقة التي أصابتهم، ثم ينكر على من خالف وأجهد جسده[1]، في الوقت الذي تحتاج فيه الدعوة إلى المجاهدين الأشداء بكامل قواهم، ليدفع بهم في نحور المشركين، ثم أمره للصحابة بإظهار قوتهم البدنية وبأسهم للأعداء، عندما خالف بعض أهل مكة شروط الأمان ، وقاتلوا المسلمين، فقال للأنصار:((احصدوهم حصدا))[2].

ويولي صلى الله عليه وسلم عناية فائقة للناحية النفسية، في إعداده للصحابة، ويتجلى ذلك في إكرامه لهم، ورفع روحهم المعنوية، بحسن تقديرهم والأخذ برأيهم، ومشاركتهم السراء والضراء، مثل تبديده لمخاوف الأنصار يوم أتم الفتح، وظنهم أنه قد يميل إلى البقاء بمكة بعد فتحها، فيضحي بأمر حبيب إلى نفسه، إكراما لهم، ويعلن بقاءه معهم حتى يتوفاه الله، ويقول: ((معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم))[3].

كما يظهر تكريمه لأصحابه في قبوله شفاعتهم، لما شفع بعضهم لمن صدر في حقهم حكم الإعدام، فيقبل شفاعة عثمان رضي الله عنه في أخيه من الرضاعة عبد الله بن أبي السرح رضي الله عنه ، ويقبل شفاعة أم حكيم رضي الله عنها، ويعطيها الأمان لزوجها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه، ويصدر عفوه عن صفوان بن أمية، رضي الله عنه، حين سأله عمير بن وهب ذلك، وأعطاه عمامته علامة على الأمان[4].

ويظهر تكريمه ومراعاته لنفسياتهم في اعتبار آرائهم والأخذ بها، كإعطائه أبا سفيان فخر الأمان لأهل مكة ومساواة بيته لبيت الله الحرام في الأمان يومها، نزولا عند رأي العباس رضي الله عنه، كذلك أخذه برأي الصحابة وتغييره لأحد قادته –وهو سعد بن عبادة رضي الله عنه – لما قالوا خشية منه على قومهم : ما نأمن أن تكون له صولة في قريش[5].

ومن الجوانب المهمة في إعداد الدعاة الجانب الأخلاقي، وكثيرة هي الآيات والأحاديث الحاضة عليه، والدالة على آثاره الحسنة في قبول الدعوة، فكذلك نجد النبي

---

[1] سبق تخريج الحديث ص ١١١.

[2] سبق تخريجه ص ١٢٥.

[3] سبق تخريجه ص ١٢٥.

[4] بتصرف، القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات ص ١٨٠- ١٨٢.

[5] سبق تخريجه ص ١١٨.

صلى الله عليه وسلم يوجه أحد مسلمة الفتح- وهو السائب بن عبد الله رضي الله عنه - إلى الاستمرار على ما كان عليه من التخلق بالأخلاق الحسنة وبذل المعروف والبر والصلة التي كان عليها في الجاهلية، فيقول له:((ياسائب، انظر أخلاقك التي كنت تصنعها في الجاهلية، فاجعلها في الإسلام، أقر الضيف، وأكرم اليتيم، وأحسن إلى جارك))[1].

ولا يغفل الجانب الاقتصادي، بل يرعاه بما يكفل الحياة الإنسانية ،والقدرة على القيام بأعباء المسئولية المناطة به، فقد روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما ولّ عتّاب بن أسيد رضي الله عنه إمرة مكة، جعل رزقه كل يوم درهماً، فقام فخطب الناس فقال: أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهماً كل يوم، فليست بي حاجة إلى أحد[2].

ولا يغفل النبي صلى الله عليه وسلم الجانب المظهري، فيحرص على حسن مظهر المؤمن الداعية، ومن أهم ما يتميز به هذا المظهر، النظافة والحرص على الاغتسال، وقد يظن البعض أن إهمال المظهر العام دليل على التواضع والزهد، وحقيقة الأمر أن الداعية يحتاج إلى الظهور بالمظهر اللائق المتميز أمام المدعوين فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله جميل يحب الجمال)[3]، وقد روي اغتساله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح أكثر من مرة فقد ذكرت أم هانئ رضي الله عنها:(أنه يوم الفتح اغتسل في بيتها ثم صلى ثماني ركعات)[4]، ولما ذهبت إليه تشكو أخاها علياً - لما أراد قتل رجلين قد أجارتهما- وجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره[5].

---

[1] رواه الإمام أحمد في المسند ٤٢٥/٣ عن السائب بن عبد الله.

[2] بتصرف، نور اليقين في سيرة خير المرسلين: الشيخ محمد الخضري بك ص ٢١٦، دار الكتب العلمية لبنان ط:٥.

[3] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١ ح ٩١.

[4] صحيح البخاري كتاب المغازي باب منزل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ٩٤/٥.

[5] سبق تخريجه ص ١٣٩.

ومن حرصه صلى الله عليه وسلم على تميز شخصية أصحابه توجيههم بأن يكونوا بين الناس أحسنهم هيئة وزياً فقال :((إنكم قادمون على إخوانكم فاصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة بين الناس))[1].

وكذلك يحرص على تميز مظهرهم-كمسلمين- بأمرهم بتغيير الشيب فقد (أُتي بأبي قحافة - يوم فتح مكة- ورأسه ولحيته كالثغامة[2] بياضاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((غيروا هذا الشيء واجتنبوا السواد))[3] .

والأصل في ذلك مخالفة اليهود والنصارى ففي الصحيحين، قال صلى الله عليه وسلم :((إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم))[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فقد تبين أن نفس مخالفتهم أمر مقصود للشارع في الجملة، ولهذا كان الإمام أحمد ابن حنبل وغيره من الأئمة يعللون الأمر بالصبغ بعلة المخالفة، وقال الإمام أحمد ما أحب لأحد إلا أن يغير الشيب، ولا يتشبه بأهل الكتاب، لقول النبي صلى الله عليه وسلم :((غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود))[5].

والخلاصة أن إعداد الداعية لا بد أن يكون شاملا لمقومات البناء الأساسية في شخصية رجل الدعوة، ليكون سليم العقيدة، صحيح العبادة، متين الخلق، مثقف الفكر، قوي الجسد، نافعا لنفسه ولغيره، إلى آخر هذه المقومات[6].

القاعدة الثانية: تعاهد فئات معينة من الدعاة بزيادة في الإعداد

---

[1] سنن أبي داود كتاب اللباس باب ما جاء في إسبال الإزار ٥٧/٤ ح ٤٠٨٩، ومسند الإمام أحمد ١٨٠/٤ عن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه ، و لم يذكر تحديد زمن قوله صلى الله عليه وسلم .وقال محقق جامع الأصول: إسناده حسن ٥٨٨/٢.

[2] هو نبات أبيض الزهر والثمر، وقيل هي شجرة تَبيَّض كأنها الثلج. بتصرف النهاية في غريب الحديث ٢١٤/١.

[3] صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة باب استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة، وتحريمه بالسواد ١٦٣٣/٣ ح ٢١٠٢، ومسند الإمام أحمد ١٦٠/٣.

[4] صحيح البخاري كتاب اللباس باب الخضاب ٥٧/٧، وصحيح مسلم كتاب اللباس والزينة باب في مخالفة اليهود في الصبغ ١٦٦٣/٣ ح ٢١٠٣.

[5] سنن الترمذي كتاب اللباس باب ما جاء في الخضاب ٢٣٢/٤ ح ١٧٥٢، وقال: حديث حسن صحيح.

[6] بتصرف، طريق الدعوة: مصطفى مشهور ص ٢٧، دار الطباعة والنشر الإسلامية القاهرة ط: بدون ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

والتربية:

إن حمل الداعية إلى الله حمل ثقيل، والأعباء المنوطة به عظيمة، ولا يستطيع داعية بذاته الانفراد بالقيام بذلك كله، بل لا بد له من معاونين يسيرون إلى جانبه، ويشدون من عضده، ويتولون معه المسئوليات الدعوية بما يحقق المصلحة المنشودة، وذلك يكون باختيار الأكفاء من الناس للتصدي لهذا الدور، ثم تركيز العناية والإعداد على هذه العناصر المؤثرة في الدعوة، وعدم التسوية بينها وبين غيرها من العوام، فإعداد الشخصية الدعوية المؤثرة يحتاج إلى عناية خاصة، وتوجيه هادف، لتكون على مستوى المهمة المعدة لها.

والله تعالى اصطفى للدعوة أفضل البشر، وصنعهم على عينه تعالى، وتعهدهم بالرعاية والصياغة، منذ الصغر حتى غدوا أهلا لما يلقى عليهم من وحي، ويكلفون به من مسئولية إصلاح حال البشرية.

ومن أهم ما تبنى به الشخصية الدعوية، لتكون قوية مؤثرة: أن تكون ذات إرادة وعزيمة ومضاء، لتكون شخصية قيادية، وهذا يمكن اكتسابه بالمران والتدرب، وقد تعاهد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتدرب على ذلك، بتكليفهم توجيههم، وكان عليه الصلاة والسلام كلما رأى منهم خللا سده، وكلما رأى ضعفا قواه، وكلما رأى بذلا وشجاعة وتضحية وجَّهه، حتى غدا الصحابة أقوى ما يكون الدعاة إلى الله وأثبت، وحملوا الدعوة شرقا وغربا وطافوا بها أرجاء المعمورة[1].

ومن مظاهر إعداد النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته، وتنمية شخصياتهم الدعوية القيادية ما يلي:

أولا: باهتمامه ببعض الشرائح التي يغفل عنها المجتمع:

والعمل على استيعاب العناصر الجديدة المؤمنة، وإعدادها للقيام بدورها في الدعوة، وإعطاء الفرصة لها كي تبرز وتنتج، لأن إهمالها يؤدي إلى إهدار طاقاتها، أو تشرذمها، ومن أمثلة ذلك:

---

[1] بتصرف، علم نفس الدعوة: د. محمد زين الهادي ص ١٤٦-١٤٧.

١- الشباب، فهم عماد كل دعوة إصلاحية، وباندفاعهم للتضحية والفداء تتقدم الدعوات سريعا نحو النصر والغلبة[١]، كما أن الشباب أكثر تقبلا للتغيير الثقافي والأفكار الجديدة، وفيهم من المرونة والحماس ما ليس في كثير من كبار السن.

ومن مظاهر عنايته صلى الله عليه وسلم بهم، تكليفهم بالأعمال المهمة الحساسة، كحمل راية القتال، ومن ذلك تسليمه راية الأنصار لقيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما بعد أخذها من أبيه.

وكان حامل لواء قبيلة أشجع أحد الشبان وهو معقل بن سنان الأشجعي رضي الله عنه[٢]،وكان في العشرينات من عمره حينذاك.

وأحد الذين حملوا راية جهينة كان أيضا من الشباب، وهو معبد بن خالد الجهني رضي الله عنه[٣].[٤]

ومن أحسن ما يكون به تقدير الشباب تكليفهم بالإمارة، كتوليته عتاب بن أسيد رضي الله عنه إمارة مكة، وهو لم يتجاوز العشرينات من عمره، وروي أنه سئل: أنت أكبر أم النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: النبي صلى الله عليه وسلم أكبر مني، وأنا أصغر منه، ولد النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل، وأنا أدركت سائسه وقائده أعميين مقعدين يستطعمان الناس.[٥]

وقد يكون في القوم من كبار السن وأصحاب الخبرة العديد، لكنه صلى الله عليه وسلم يرى شخصية صغيرة في السن، لكنه يروم فيها كبر المعاني ورجاحة العقل، فيعمل

---

[١] بتصرف، السيرة النبوية دروس وعبر ص ٦٧.

[٢] هو معقل بن سنان بن مظهر الأشجعي، له صحبة ورواية، كان من كبار يوم الحرة، أسر يومها وذبح صبرا، وله نيف وسبعون سنة عام ٦٣هـ. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٥٧٦/٢، والإصابة ٤٤٦/٣.

[٣] هو معبد بن خالد الجهني أبو زرعة، كان يلزم البادية، مات سنة ٧٢ وهو ابن بضع وثمانين سنة. بتصرف، الإصابة ٤٣٩/٣.

[٤]انظر المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ٥٢٢/٣ وسكت عنه وتابعه الذهبي، وانظر شباب الصحابة رضوان الله عليهم، مواقف وعبر: محمد بن عبد الله الدويش ص ٦٤، دار الوطن للنشر الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

[٥] بتصرف، الجامع لأحكام القرآن ١٩٥/٢٠، وأضاف : قيل لبعض القضاة: كم سنك؟ قال: سن عتاب بن أسيد حين ولاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة، وكانت يومئذ دون العشرين.

على تنميتها ورعايتها حتى تغدو ذات شأن، وتقوى وتعتد بإسلامها، وليعرف الآخرون أن الشخصية الإسلامية لا تقاس بالأعمار ولا بالأجسام بل بقوتها[1] وعزتها بإيمانها وإسلامها.

٢- ضعاف الشأن من المسلمين: وذلك لكبر سن أو مرض، أو دنو في الشرف والنسب، وذلك كاستخلافه لابن أم مكتوم رضي الله عنه على المدينة، وإردافه لأسامة بن زيد رضي الله عنهما أثناء دخوله منتصرا، ثم إدخاله معه إلى جوف الكعبة، كذلك تشريف بلال رضي الله عنه بدخول الكعبة بصحبته، ثم رقيه فوقها وصدعه بالأذان على مسامع قريش وأمام أعينهم.

٣- أصحاب التأثير في الرأي كالشعراء، فهذه الشريحة من الناس لها عند العرب مكانة عظيمة ، إذ يعتبر الشاعر ناطقا رسميا بأمجاد قبيلته، ومدافعا عنها، وقد كان لمن أسلم منهم دور عظيم في المنافحة عن الإسلام كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت رضي الله عنهما، فلم يغفل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأهمية فقبل توبة كعب بن زهير رضي الله عنه، وكان قد بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم أوعده بما أوعد به ابن خطل، فتدارك نفسه، وجاء نازعا تائبا فقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم توبته، وبايعه على الإسلام، فمدحه رضي الله عنه بقصيدة البردة المعروفة، التي يقول في مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم على إثرها لم يُفد مكبول[2]

وكذلك قبوله توبة ابن عمه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رضي الله عنه.

ثانيا: بمراعاة ملامح وصفات من يصلح لتقديمه في تولي شئون المسلمين:

فالإسلام يشترط فيمن يقوم بأمانة قيادة عمل من أعمال المسلمين، أن تتوفر فيه مقومات ذلك العمل، أو أهم تلك المقومات، وقد قال صلى الله عليه وسلم مبينا تفاوت الناس واختلافهم:((الناس كالإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة[3])).[1]

---

[1] بتصرف، علم نفس الدعوة د. محمد زين الهادي ص ١٤٨.

[2] انظر المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ٥٣٦/٣، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٤٩/٤، والإصابة ٢٩٥/٣.

[3] الراحلة من الإبل: النجيبة المختارة من الإبل، الكاملة الأوصاف، فإذا كانت في إبل عرفت، والمقصود: أن

ومما تميز به النبي صلى الله عليه وسلم، قدرته على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب، وكان يذكر أصحابه بأفضل ما فيهم من صفات، ويغض النظر عما يعانونه من نواقص بشرية، وبذلك كان عليه الصلاة والسلام يبني الرجال، ولا يحطم الرجال[٢].

وكان صلى الله عليه وسلم يبين الميزان الذي به يستحق المرء أن يتولى منصبا معينا، فمثلا المفاضلة فيمن يؤم الناس في الصلاة، تكون على أساس التفوق في حفظ القرآن، وبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله:((وليؤمكم أقرؤكم))[٣]، فقراءة القرآن وحفظه من مقومات الصلاة، مع وجوب فقه أحكامها.

وتعيين قادة الجيوش لا تكون بناء على الوجاهة الاجتماعية، أو القدرات المادية، أو مما يتوارثه الأبناء عن آبائهم، بل يعين القائد تبعا لحنكته الحربية، وشجاعته وإقدامه، وقد ظهر ذلك جليا في اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لقادة جيش الفتح، حيث جعل خالد بن الوليد على الميمنة، والزبير بن العوام على الميسرة، وأبا عبيدة على الرجالة والمشاة، وعلى الأنصار سعد بن عبادة ثم استبدله بابنه قيس- وقيل علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم أجمعين، والمطلع على سيرة هؤلاء الأبطال يجد أنهم من الأفذاذ الشجعان من القادة العسكريين.

وكذلك إكرامه لبني شيبه بمأثرة سدانة البيت الحرام كانت على أساس الأمانة وتشريف الله تعالى لهم بذلك، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بن طلحة رضي الله عنه:((خذوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان، إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا منه بالمعروف))[٤].

المرضي الأحوال من الناس، الكامل الأوصاف، الحسن المنظر القوي، قليل كقلة الراحلة في الإبل. بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ١٠١/١٦.

[١] صحيح البخاري كتاب الرقاق باب رفع الأمانة ١٨٩/٧ واللفظ له، وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب قوله صلى الله عليه وسلم : الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة ١٩٧٣/٤ ح ٢٥٤٧.

[٢] بتصرف، الرسول القائد ص ٤٤٢.

[٣] سبق تخريجه ص ١٦٥.

[٤] إمتاع الأسماع: المقريزي ٣٣٨/١.

ومن الأمور المهمة في إعداد الدعاة، وتوليتهم مسئوليات الدعوة، أن تكون عامة وألا يُختص بها طبقة معينة من الناس، بل(ينبغي أن تكون الدعوة جماهيرية المنحى، ولا يجوز حصرها في طبقة معينة، وإذا حاولت طبقة ما من المثقفين أو التجار أو العمال... حصر القيادة فيهم ستقع الفجوة بن القاعدة الجماهيرية وبين القيادة، ويؤدي بالتالي هذا الوضع إلى تبلد إحساس القيادة بمشاكل عامة المسلمين، وتزداد النقمة من العامة على القيادة)[1].

ثالثا: التربية على الشعور بالمسئولية:

ومصطلح المسئولية- بعكس ما يُعتقد- لا يدل ابتداء على علاقة واقع، بل على علاقة حق يقرُّه، ويجب أن يسبقه في أحكامنا الخاصة، والمسئولية قبل كل شيء، هي استعداد فطري، وهو المقدرة على أن يلزم المرء نفسه أولا، والقدرة على أن يفي بعد ذلك بالتزامه، بواسطة جهوده الخاصة، وهي بهذا المعنى سمة من السمات المميزة التي يأخذها الإنسان من جوهر ذاته[2]، لفطريتها وقابليتها للتنمية والإعداد.

وهذا ما ربى عليه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، وذلك بعدة أمور:

١) بالعمل على تقوية إيمانهم، بتعريفهم بالله تعالى وتعليقهم بالجزاء في اليوم الآخر، فإن ذلك الإيمان يجعل صاحبه في حالة من التقوى والخوف، تموت معها الأنانية وحب الذات، والميل إلى ملذات الدنيا، ليستيقظ إلى جانبها قوة الروح والسمو النفسي[3]، وحب بذل الخير للناس.

٢)تقوية روابط الأخوة الدينية بين المسلمين، وتقوية الحس الاجتماعي، والحرص على تحقيق المصالح العامة للمسلمين قبل المصالح الخاصة، والسعي الحثيث في إزالة الضغائن والعداوات الواقعة بين أفرادهم وجماعاتهم، ومما يسهل هذا الأمر: أن يعلموا أن إصلاح ذات البين هو أفضل الأعمال، وأن اجتماعهم وتآلفهم من مقتضيات الإيمان وشروطه، كما أنه سبب من أسباب النصر، وتحقق المصالح العامة للجميع[4].

---

[1] باختصار، مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم ص ٢٣٥، دار العلم دمشق، ط:١، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

[2] بتصرف، دستور الأخلاق في القرآن ص ١٣٧.

[3] المسئولية في الإسلام: محمد زكي الدين حجازي ص ٣٦، الدار السعودية للنشر والتوزيع ط: بدون.

[4] للاستفادة انظر المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، فصل: الجهاد في سبيل الله من ص

٣) تكليفهم بالقيام بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيله. ومسئولية الدعوة إلى الله ذات شقين:

-مسئولية خاصة تتصل بخاصة النفس وما يترتب عليها من تبعات وتكاليف فردية.

-مسئولية عامة تتجاوز النفس إلى الناس والمجتمع والعالم، وما يترتب عليها كذلك من أعباء ومهمات في هذا النطاق.

والصحابة قد امتلأت نفوسهم بالشعور بالمسئولية الذاتية، وأصبح استعدادهم كاملا لتلبية حاجات هذه المسئولية من النفس والجهد، فلا ينتظرون التكليف من رسول الله صلى الله عليه وسلم لينهضوا بأعباء ومهمة نشر الإسلام، وإنما تولد في أعماقهم الشعور بالمسئولية، وجرى في أعماقهم إحساس رباني بالتكليف[١]، فشعر كل فرد منه بأن عليه دورا يؤديه تجاه دينه الذي يؤمن به، وكان شغلهم الشاغل نشر الإسلام، فما أن تم الفتح حتى أتى كل واحد بأبيه أو بأخيه ليبايع على الإسلام وينضم إلى حزب المسلمين[٢].

وهذا أبو محذورة[٣] رضي الله عنه ، ما أن يسلم ويتلقى الأذان من في النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يقول: يا رسول الله، مرني بالتأذين بمكة. فقال:((قد أمرتك به))[٤].

ومن إشعارهم بالمسئولية، تكليفهم بحمل أمانة التبليغ لمن وراءهم، بقوله صلى الله عليه وسلم :((وليبلغ الشاهد الغائب))[٥].

أما إذا كلف أحدهم بعمل جهادي أو دعوي، فإن نفسه لا تهدأ حتى ينجزه على أفضل وجه، كما حدث مع خالد بن الوليد رضي الله عنه حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم

١٦٠- ١٦٣، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة ط: بدون ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

[١] بتصرف، مشكلات الدعوة والداعية ص ٨٩.

[٢] وذلك كأبي بكر وأبي جندل ومجاشع وعبد الرحمن بن صفوان بن أمية(انظر الحديث في مسند الإمام أحمد ٤٣٠/٣) لما أتوا بآبائهم ليسلموا.

[٣] هو أوس بن يَعْيَر الجمحي مؤذن المسجد الحرام، وقيل اسمه سُمير بن عمير، كان من أندى الناس صوتا، أقام بمكة إلى أن مات سنة ٥٩ هـ، بتصرف، الإصابة ١٧٦/٤، وسير أعلام النبلاء ١١٧/٣.

[٤] سيأتي تخريجه ص ٣٦٧.

[٥] سبق تخريجه ص ١٤٤.

لهدم العزى، فهدمها، ثم أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالرجوع ثانية وقال:((فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها))، فرجع متغيظا، فخرجت إليه امرأة سوداء عريانة فقتلها[1].

وما أحوج دعاة اليوم إلى الشعور بالمسئولية تجاه هذا الدين، فالدعوة إليه لا تعني فقط أن يعظ الداعية شخصا ما، أو أن يلقي محاضرة على مجموعة من الناس، أو يؤلف كتابا، أو ينكر منكرا، بل إن الدعوة عمل يتطلب البذل المستمر، والتضحية بالوقت وبالمصالح الشخصية والمال والنفس وكل ما يملكه الداعية، ومع العطاء لا بد من الصبر والاحتساب للاستمرار في هذا الطريق، لتأدية حق هذه الأمانة، وذلك لا ينبع إلا من شعور قوي بالمسئولية دافع إلى القيام بالدور المطلوب.

القاعدة الثالثة: استغلال الطاقات والقدرات والمواهب الطبيعية:

من المنطلقات الأساسية في إعداد الدعاة، البحث عن قدراتهم واكتشاف مواهبهم، لأن الله تعالى أودع كل إنسان مواهب وقدرات معينة، ولم يجعلها في فرد واحد أو أفراد معينين، بل توزعت هذه القدرات على جميع الأفراد، وذلك حتى يكمل بعضهم بعضا في جميع التخصصات العلمية منها والشرعية، وقد قال تعالى﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا.... ﴾[2].

واكتشاف المقدرات والمواهب، وتوجيه هذه الطاقات للخير ليست لكل أحد من الناس، فلا يؤتى ذلك إلا القلة، وغالبا ما يكونون قادة وأئمة في شعوبهم[3].

وعلى من منحه الله تعالى هذه الملكة، أن يستغلها، في تنمية هذه القدرات وتوجيه هذه الطاقات إلى خدمة الإسلام، والإبداع والتفوق في ذلك.

ومن شواهد حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في استغلال ذلك: مراعاته في إعداده للدعاة التجانس بين الموهبة والعمل الذي يكلف به أصحابه، لأن مجالات الدعوة كثيرة، وليست محصورة في مجال أو اثنين، مثل اكتشافه لنداوة صوت أبي محذورة رضي الله عنه، ثم تعليمه الأذان، وتكليفه القيام بذلك عند البيت الحرام، وقد روى قصة إسلامه فقال:(

---

[1] سبق تخريجه ص ١٤٧.

[2] سورة الزخرف جزء من آية ٣٢.

[3] بتصرف، الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ص ٥٧،

خرجت مع عشرة فتيان مع النبي صلى الله عليه وسلم -وهو أبغض الناس إلينا-وذلك في مرجعه من حنين، فأذنوا فقمنا نؤذن نستهزئ بهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :((ائتوني بهؤلاء الفتيان))، فقال:((أذنوا))، فأذنوا فكنت أحدهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :((نعم هذا الذي سمعت صوته، اذهب فأذن لأهل مكة))، فمسح على ناصيته، [ثم علمه كلمات الأذان].....وكان أبو محذورة لا يجز ناصيته ولا يفرقها لأن النبي صلى الله عليه وسلم مسح عليها)[1].

ومن أمثلة رعاية المواهب وتقديرها: تعيين قوم عمرو بن سلمة رضي الله عنه له إماما عليهم،- رغم صغر سنه- لما حباه الله تعالى به من ذاكرة استغلها في حفظ القرآن الكريم، فكان لا يشهد مع قومه إلا كان إمامهم[2].

ومن ذلك: رعاية عمر رضي الله عنه لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وتكريمه له بإدخاله مع أشياخ بدر في مجلسه[3]، وامتحانه أمامهم، لَّما عرف دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له بالفقه والحكمة، وتوسمه فيه الذكاء والفطنة، ففسر لكبار الصحابة سورة النصر.

ومن استغلال القدرات عند الدعاة: استثمار الطاقات الإيجابية الدافعة إلى المبادرة الذاتية، وعدم كبتها، فبعض الناس يحب فعل الخير ويحرص على نشر الهدى، لكنه يفقد العزم على البدء به ،وقد يخاف من التثبيط، فيحتاج إلى من يوافقه ويدفعه إلى أولى خطواته بدافع إيجابي ذاتي من نفسه، فيسير في طريق مهيأ، ومن ذلك مبادرة العباس رضي الله عنه إلى التفتيش عمن يحمل لقريش نبأ الجيش الإسلامي الكثيف المخيم على مشارف مكة، ليخرج أهلها ويأخذوا أمانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يدخلها عليهم عنوة،

---

[1] مسند الإمام أحمد ٤٠٨/٣ عن أبي محذورة رضي الله عنه، وسنن النسائي كتاب الأذان باب كيف الأذان ٥/٢ ح ٦٣٢، ومسند الإمام الشافعي: ص ٣١، وسنن الدار قطني كتاب الصلاة باب في ذكر أذان أبي محذورة واختلاف الروايات فيه ٢٣٣/١، وقال محقق كتاب سير أعلام النبلاء :الحديث صحيح ١١٨/٣.

[2] سبق تخريجه ص ١٦٥ و ص ٢٥٦.

[3] سبق تخريجه ص ١٨٦.

وقد روي أنه قال :(إني أحب أن تأذن لي إلى قومك، فأنذرهم وأدعوهم إلى الله ورسوله، فأذن له)[1].

وكذلك مبادرة النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة بالإحسان عليهم وصلتهم بالأعطيات الوفيرة من غنائم حنين ترغيبا لهم في الإسلام.

إن الدعوة الإسلامية بمسيس الحاجة إلى الدعاة الذين تتقد قلوبهم شعورا بالواجب تجاهها، وينشغل تفكيرهم بالدعوة إلى الله في كل وقت، ولا يجدون سعادتهم إلا من خلال طاعة الله، وتقديم الخير وبذل الطاعة والإمكانيات لنشر هذه الدعوة.

القاعدة الرابعة: تحيُّن الفرص واستغلال الأحداث في إعداد الدعاة:

تتفاوت أحداث الحياة تقلبا وسكونا، فبعضها يجري بشكل هادئ متكرر، حتى إنه لا يكاد إلفه يترك أي أثر في النفس، بينما بعضها الآخر كالعاصفة الهوجاء لا يخفى مرورها على كل ذي عينين.

ومن الطرق المثلى في إعداد الدعاة إلى الله، استغلال الأحداث والوقائع في تربيتهم، فباستعراض الحدث ورده إلى سنة الله، يمكن الاستعانة به في تقويم النفوس حين يقع الخطأ، فيرد المخطئ إلى الجادة ويقوم ويعدل، وحين يبذل الجهد الصادق الصواب، فيحمد المصيب وفي كلتا الحالتين تطمئن النفوس وتتقبل وترسخ المعاني المطلوبة.

وقد أنزل الله تعالى القرآن منجما حسب الظروف والحوادث، لحكمة بينها تعالى في قوله ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾[2]. قال الإمام السيوطي: (أي لنقوي به قلبك، فالوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة، كان أقوى بالقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه، وتجدد العهد به، وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة)[3].

---

[1] دلائل النبوة ٣٧/٤.

[2] سورة الفرقان آية ٣٢.

[3] الإتقان في علوم القرآن: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٥٦/١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط:٤، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

فهو كتاب تربية وبناء، جاء بمنهاج كامل في الحياة والتربية، لصياغة نفوس وبناء أمة، ولا شيء يؤثر في النفس كما تؤثر فيها التربية في ظل التجارب والأحداث، لأن القلوب تكون وقتها متفتحة للتوجيه، والنفوس مهيأة للانطباع[1].

وهذا اللون من الإعداد يثبت في النفس ولا ينسى لارتباطه بالحدث أو بالقصة وبالواقع المشاهد،[2]، فالإسلام لا يفترض المشكلات افتراضا، ثم يقدم لها الحلول، بل أنه يربي القلوب ابتداء على الإخلاص لله، وإعلان عبوديتها له[3]، فإذا وقع الحدث جاء التوجيه المناسب له، كان لذلك تجاوبا قويا في نفس المؤمن، يؤدي إلى إحداث أثر عميق في تربيته وإعداده .

فها هو القرآن يغرس عقيدة الولاء والبراء في قلوب المسلمين، مستغلا زلَّة الخطأ من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، ولو نزل هذا الحكم ابتداء، لظن كل مسلم وعلم من نفسه حب الله تعالى ورسوله والمؤمنين، وبغض الكافرين والتبرؤ منهم، أمَّا وقد حدث سوء في الفهم، فنجد الآيات تتنزل لتضع الحدود الفاصلة، وترسم الطريق الواضحة.

كما يغتنم النبي صلى الله عليه وسلم ذات الحدث ليبرز فضيلة أهل بدر، مما لا يدع مجالا لأحد من الناس، أن يضع من مكانة بدري أو يتهمه، بل أن وصف (البدري) صار بعد ذلك من أشرف الصفات وأعلاها عند المسلمين.

والإعداد من خلال الأحداث عظيم الأثر في نفوس الدعاة، في كل زمان، ومع كل الدعاة أو معظمهم، إذ غالبا ما تتماثل النفوس، وتتشابه الأحداث وتتكرر ردات الفعل، كما أن هذا النوع من التربية، يربط الدعاة بواقعهم الذي يعيشونه، من خلال معالجة الأحداث المارة بهم، كذلك يتجاوز الإعداد النظري إلى التطبيق العملي لطرق وأساليب الدعوة، باعتماده على

---

[1] بتصرف، منهج القرآن في التربية ص ٢٧٧.

[2] بتصرف، آفات على الطريق: د. السيد محمد نوح ١٦٢/٢، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة ط:١١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، وانظر الرسول والعلم: د. يوسف القرضاوي ص ١٤٢، مؤسسة الرسالة بيروت، ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

[3] بتصرف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص ٥٤٥.

الممارسات الحادثة أمامهم والأمور التي تطرأ عليها بشكل عفوي طبيعي بعيد عن الاصطناع أو التكلف.

ومثال ذلك، ما رواه كَلَدة بن حنبل رضي الله عنه، قال:(إن صفوان بن أمية، بعثه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بلبن وجِداية[1] وضَغابيس[2]، والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة، قال: فدخلت ولم أسلم، فقال: ((ارجع، فقل: السلام عليكم))، وذلك بعد ما أسلم صفوان بن أمية)[3]، وفي رواية:((ارجع فقل: السلام عليكم، أأدخل))[4]، فقد استغل النبي صلى الله عليه وسلم الموقف ليوجهه إلى أدب إسلامي رفيع، هو الاستئذان وإلقاء تحية المسلمين، معتمدا على وقوعه في الخطأ بشكل عفوي بعيد عن التكلف.

القاعدة الخامسة: الاهتمام بالإعداد المعنوي للجهاد في سبيل الله:

إن إعداد الدعاة على روح الجندية معنويا وماديا، هو من أسباب القوة الكفيلة –بإذن الله– لكسب المعركة أمام الأعداء، فالدعوة دون استخدام القوة أو القتال، قد لا تكفي لصد العدوان وقمع الظلم، فلا بد من اتخاذ القوة المعنوية والمادية المتمثلة في الرجال الدعاة المجاهدين الأقوياء، وفي الآلة والأسلحة التي تحقق الإرهاب للأعداء مهما اختلفت تلك القوة باختلاف الأزمان، أو تعددت وسائلها وأشكالها، فالمسلمون مأمورون بالسعي لامتلاك تلك الوسائل وتطويرها والتفوق في مجالاتها[5].

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله: (والواجب على الأمة الإسلامية أن تقابل كل سلاح يصوب نحو الإسلام بما يناسبه، فالذين يحاربون الإسلام بالأفكار

---

[1] بفتح الجيم وكسرها: من أولاد الظباء ما بلغ ستة أشهر أو سبعة، ذكرا كان أو أنثى. النهاية في غريب الحديث ٢٤٨/١.

[2] مفردها ضُغبوس: وهي صغار القثاء . النهاية في غريب الحديث ٨٩/٣.

[3] سنن أبي داود كتاب الأدب باب كيف الاستئذان ٣٤٤/٤ ح ٥١٧٦.

[4] سنن الترمذي كتاب الاستئذان باب ما جاء في التسليم ٦٤/٥ ح ٢٧١٠، وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني لنظر صحيح سنن الترمذي ٣٤٨/٢ ح ٢١٨٠.

[5] بتصرف، الإعداد المعنوي للقتال في الإسلام: العميد فيصل بن جعفر بالي ص ٧٣، مطابع القوات المسلحة السعودية ط: بدون.

والأقوال، يجب أن يبين بطلان ما هم عليه، بالأدلة النظرية والعقلية، إضافة إلى الأدلة الشرعية، والذين يحاربون الإسلام من الناحية الاقتصادية يجب أن يُدافعوا، بل أن يهاجموا إذا أمكن بمثل ما يحاربون به الإسلام، والذين يحاربون الإسلام بالأسلحة، يجب أن يقاوموا بما يناسب تلك الأسلحة)[1]، وهذا يستلزم إعداد الدعاة إعدادا نفسيا وعقليا وجسديا بما يمكنهم من تحديد السلاح المستخدم في مدافعة الأعداء، ومجابهتهم به بإتقان وقوة.

أما ما يتعلق بالجانب التنظيمي والتسليح في هذه الغزوة، فقد كان مثاليا، كما يصفه أبو سفيان رضي الله عنه، وقد أوقع الرهبة والوجل في نفسه حين عرضت عليه كتائب الجيش، و لم ير منهم إلا كثرة السلاح.

أما الجانب المعنوي أو ما يتعلق بإعداد الدعاة المجاهدين، فقد أثار النبي صلى الله عليه وسلم فيهم روح الجهاد والتضحية في سبيل الله، بتحريضهم على القتال، وحثهم على التأهب للسير نحو مكة، كما بعث الرسل لاستنفار القبائل الموالية للمسلمين، ولقي بعضها في طريقه إلى مكة، وقد قال تعالى حاثا المسلمين على جهاد الكفار ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

والإسلام يربي الجندي المجاهد، وينشئ في الوقت ذاته الأمة المجاهدة، فيتناول الفرد والأمة من جميع الجوانب، ويغرس فيهم أخلاقا إيجابية، تدفعهم نحو الجهاد، وتثبتهم عليه في جميع أوقاتهم وأحوالهم، قبل نزال العدو وأثناءه وبعده.

فمن الأخلاق الجهادية الفردية: تقوى الله، ومحاسبة النفس، والانضباط، وتعليق القلب بالغاية التي يجاهد لأجلها، وغرس الصبر والثبات في القلب، والتضحية بالنفس والمال، لإحراز تجارة أربح مع الله.

---

[1] شرح كشف الشبهات ص٦٩-٧٠.

[2] سورة التوبة آية ١٣.

ومن الأخلاق الجهادية الجماعية: الطاعة، والانضباط، والنظام، وتقوية الشعور بالوحدة، وإزالة كل شعور بالاختلاف والتميز، مع إخلاص الولاء لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين[1].

ومن جوانب الإعداد المعنوي للجهاد، ترغيب المؤمنين فيه، وتذكيرهم بما فيه من الأجر، حين يعاوضهم ربهم بالجنة جزاء لما يبذلونه في سبيله، كما في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2].

وتبشيرهم بما للشهداء من مكانة عظيمة عند الله تعالى﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3].

وتحذيرهم من التهاون فيه أو تركه، كقوله صلى الله عليه وسلم :((ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب))[4].

ومن تهيئة نفوسهم للقتال أيضا، ترغيبهم في البذل والإنفاق في سبيل الله، فذلك من العوامل المهمة في تهيئة المسلمين للجهاد سواء أكان إعدادا ماديا أم معنويا، كما في قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[5].

ويواصل هذا الإعداد بعد الفتح بمبايعته المسلمين الجدد على الإيمان والجهاد ونصرة الدين، وإعلان استمرار الجهاد، بأمرهم بإجابة النفير :((لا هجرة بعد الفتح، ولكن

---

[1] بتصرف، أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة: د. محمد نعيم ياسين من ص ٤٤- ٨٢، دار الأرقم للنشر والتوزيع حولي ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

[2] سورة التوبة آية ١١١.

[3] سورة آل عمران الآيتين ١٦٩- ١٧٠.

[4] الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري كتاب الجهاد باب الترهيب من أن يموت الإنسان و لم يغز و لم ينو الغزو ٣٣١/٢، وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن، ضبط وتعليق: مصطفى محمد عمارة ،دار الفكر ط: بدون، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

[5] سورة الحديد جزء من آية ١٠.

جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا))[1]، لتبقى النفوس متعلقة بما فيه من أجر، وليستمر الإعداد له في صفوف الدعاة، وتبقى روح المجاهد متقدة لا تخمد، حتى يسمع نفير الجهاد.

القاعدة السادسة: الاهتمام بدور المرأة المسلمة في الدعوة:

كرم الإسلام المرأة، وجعل لها مكان مرموقا في الأسرة والمجتمع، وساوى بينها وبين الرجل في كثير من الحقوق والواجبات، فلم يفرق بينهما في التكاليف والجزاء والإنسانية والكرامة على الله، كما (قد استقر في عرف الشارع، أن الأحكام المذكورة بصيغة المذكرين، إذا أطلقت و لم تقترن بالمؤنث، فإنها تتناول الرجال والنساء، لأنه يغلب المذكر عند الاجتماع)[2]، فكل خطاب أمر فيه الرجل المسلم بالدعوة إلى الله أمرا مطلقا- لم يخصص به كونه رجلا- فالمرأة تشترك معه فيه للمساواة في أصل التكليف.

كما أن من أمور الإسلام ما يلزم علمه لكل مسلم، ولا يقتصر تبليغ ذلك على الرجل فحسب، بل يلزم كل من يعلم هذه الأمور أن يدعو إليها حسب إمكاناته وقدراته، والمرأة المسلمة تحمل قسطا كبيرا من هذا التكليف[3]، وهذا يدل على اشتراكها مع الرجل في جميع المسئوليات التي ينبغي أن ينهض بها المسلم، لإقامة المجتمع الإسلامي بالوسائل المشروعة، ومن هنا كان على المرأة' أن تسلك السبل المشروعة للتسلح بسلاح العلم، لتتمكن من القيام بما يجب عليها[4].

وقد وردت الآيات العديدة التي تجعل النساء في مصاف الرجال، في القيام بالأعمال الصالحة والقربات، ومن ذلك تأكيد وإثبات دورها في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في قوله تعالى﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ

---

[1] سبق تخريجه ص ١٧٣.

[2] إعلام الموقعين عن رب العالمين ٩٢/١، وللاستفادة انظر المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسئوليتها في الدعوة: د. أحمد بن محمد بن عبد الله أبا بطين من ص ٩٩- ١٠٤، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع الرياض ط:١، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

[3] بتصرف المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسئوليتها في الدعوة ص ١١٤.

[4] بتصرف، فقه السيرة: د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٣٨٣، دار الفكر للطباعة والنشر ط:٨، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]، ففي هذه الآية ذكر الله تعالى المؤمنات إلى جانب المؤمنين، وذلك يؤكد دور النساء المسلمات، وما كان لهن من أثر ودور إيجابيين في الدعوة والسيرة النبويتين، في العهد المدني كما كان الحال في العهد المكي أيضا، هذا فضلا عن تقرير التكافؤ بين رجال المسلمين ونسائهم في التعاون والتناصر[2].

كما تظهر أهمية إعداد المرأة الداعية، في مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم النساء ببيعة خاصة وذلك بعد فراغه من بيعة الرجال، وكان عمر رضي الله عنه يبلغه عنهن وهو واقف أسفل منه، وقد خُصت بيعة النساء بذكر نصها في سورة الممتحنة[3]،في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4]،وقد اتفق المفسرون في إيرادهم مبايعة النساء بعد هذه الآية الكريمة[5].

وقد روت عائشة بنت قدامة بن مظعون[6] رضي الله عنهما، مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء،(قال: أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا، ولا تسرقن، ولا تزنين، ولا تقتلن أولادكن، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن، ولا تعصين في معروف)). فأطرقن، فقال لهن النبي صلى الله عليه وسلم:((قلن نعم فيما استطعتن)). فكن يقلن وأقوله معهن)[7]، وقد عرفت بنود هذه البيعة بـــ(بيعة النساء)[1].

---

[1] سورة التوبة آية ٧١.

[2] بتصرف، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، صور مقتبسة من القرآن الكريم ٢/٤٠.

[3] بتصرف، حقوق النساء في الإسلام: محمد رشيد رضا ص ١٤، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط: بدون.

[4] سورة الممتحنة آية ١٢. وخص الأمور السابقة بالذكر في حق النساء لكثرة وقوعها فيما بينهن، مع اختصاص بعضـــها بالنساء(بتصرف، تفسير أبي السعود ٨/٢٤١)، وقيل في وجه ترتيبها وتقديم بعضها على بعض: أنه قدم الأقبح على ما هو الأدنى، وقيل: قدم الأظهر فيما بينهم على غيره. بتصرف، تفسير الفخر الرازي ٢٩/٣١٠.

[5] وهي الرواية التي تذكر أن هند بنت عتبة رضي الله عنها حضرت فيها متنكرة متنقبة، وكانت تحاور وتراجـــع النبي صلى الله عليه وسلم في كل بند من بنود البيعة ثم أسلمت.

[6] عائشة بنت قدامة بن مظعون القرشية الجمحية، بايعت مع أمها يوم الفتح، والدها من السابقين للإسلام وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا. بتصرف، الإصابة ٤/٣٦٢. و ٣/ ٢٢٨.

[7] مسند الإمام أحمد ٦/٣٦٥، وقال الشيخ الساعاتي: سنده حسن، الفتح الرباني ٢١/١٦٥.

ويتبين اشتمال البيعة على أسس الدعوة الإسلامية من عقيدة التوحيد، والالتزام بطاعة الله ورسوله، واجتناب الرذائل والمحرمات، والتحلي بالفضائل ، وهذه الأسس التي بايعن عليها، هي المقومات الكبرى للعقيدة، كما أنها مقومات الحياة الاجتماعية الجديدة[٢]. وفيها وتأكيد لدور المرأة الإيجابي في الدعوة إلى الله كما يريدها الإسلام:

– فهي حليفة لزوجها المؤمن تؤيده في دعوته، وتنشطه في عمله، وترغبه في الجهاد، وتصبر على ما يكلفها ذلك من حرمان وربما ضيق في ذات اليد، أو فقد زوج وولد[٣].

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتمن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على خبر عزمه على غزو قريش، ويقول لها:((جهزينا واخفي أمرك))، وكتمت رضي الله عنها السر عن أقرب الناس إليها، أبيها أبي بكر رضي الله عنه حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أخبره[٤].

كما أثبتت أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها لأبيها حصانة بيوت النبي صلى الله عليه وسلم ، وصدق ولائها للأسلام، وقوة دينها وتبرؤها من علائق الشرك وآصرة الدم حين قالت له– بعد منعه من الجلوس على فراش النبي صلى الله عليه وسلم– : هو فراش رسول الله، وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشه.

كما أنها تغتنم لحظة انكساره وضعفه، وتعرض عليه دعوة الإسلام بقولها:(وأنت يا أبت، سيد قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك دخولك في الإسلام، وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر؟، فقال: ياعجباه، وهذا منك أيضا، أأترك ما كان يعبد آبائي وأتبع دين محمد)[٥].

---

[١] كما روى عبادة بن الصامت رضي الله عنه :(كنت فيمن حضر بيعة العقبة، وكنا أثني عشر رجلا، فبايعنا النبي صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب: على أن لا نشرك بالله شيئا...) مسند الإمام أحمد ٣٢٣/٥.

[٢] بتصرف، في ظلال القرآن ٣٥٤٧/٦.

[٣] بتصرف، المرأة المسلمة: وهبي سليمان غاوجي ص ٢٥٨، دار القلم للطباعة والنشر بيروت ودمشق، ط:١، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

[٤] سبق تخريجه ص ١٠٦.

[٥] سبق تخريجه ص ١٠٣.

ويتضح ما للزوجة المؤمنة الصالحة من تأثير على زوجها، في قصة إسلام عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه، الذي كان بفضل الله تعالى ثم بفضل جهود زوجه أم حكيم رضي الله عنها[1]، فقد أسلمت يوم الفتح وفر زوجها إلى اليمن بعد إهدار دمه، فاستأمنت له النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وخرجت في طلبه، فلما أدركته أخذت ترغبه في الإسلام، ومما روي في ذلك قولها: يابن عم ، جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك، فقد استأمنت لك.

كما أظهرت شدة حرصها على إسلامه، مع استقامتها وصلابتها في دين الله، بمنعها له من مسِّها، حتى يدخل في الإسلام-لما طلب جماعها، فتأبت عليه- وقالت له: إنك كافر وأنا مسلمة، والإسلام حائل بيني وبينك. فقال: إن أمرا منعك عني لكبير[2]. ثم أسلم وحسن إسلامه وخرجا معا مجاهدين في سبيل الله، إلى اليرموك، وأبليا رضي الله عنهما بلاء حسنا، حتى قتل عكرمة.

- ويبرز دور المرأة في توثيق الروابط بين المسلمين، لتقوم على قاعدة الإيمان والولاء، وفي قطع الصلات مع المشركين، والتبرؤ منهم، تخلت أم هانئ رضي الله عنها، عن زوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي، لما رفض الإسلام، وبقي على شركه، وأسلمت هي لرب العالمين[3].

ويتأكد احترام المرأة في الإسلام وكرامتها، بإعطائها حقوقها السياسية، بإنفاذ جوارها وتأمينها لأثنين من أحمائها من بني مخزوم[4]، وإجازة النبي لها ذلك.

- والمتأمل في شخصية هند بنت عتبة رضي الله عنها، لا ينكر ما للمرأة من دور مؤثر، سواء في حالة غيها، أم في حالة هدايتها ورشدها، والفارق القوي بين الحالتين يبين ما للإسلام من أثر عظيم في صياغة أفكار واعتقادات وأعمال المرأة إن أسلمت، فقد كانت هند بنت عتبة رضي الله عنها قبل إسلامها شديدة العداوة للإسلام، ومن أكبر

---

[1] انظر مسئولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء النصوص وسير الصالحات: د. فضل إلهي ص ١٦، مطبعة سفير الرياض ط:١، ١٤١٥هـ

[2] بتصرف، السيرة الحلبية ٣/٤٠، وانظر مسئولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص٣١.

[3] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٤١.

[4] قيل هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة وقد ذكر الحافظ ابن حجر تفصيل الأقوال في ذلك. انظر فتح الباري ١/٤٧٠ ح ٣٥٧.

المحرضات على حربه، ولم يكفها عدوانها على المسلمين في غزواتهم السابقة، بل أنها ترفض قبول الأمان، وتثير حمية القوم ضد زوجها أبي سفيان، لقبوله التسليم، وتدفعهم للقتال ، فتقول- وهي آخذة بشارب زوجها أو لحيته ونادت:(يا آل غالب، اقتلوا الشيخ الأحمق، هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم. فقال لها أبو سفيان : ويحك اسكتي وادخلي بيتك، فإنه جاءنا بالحق).[1].

ولما أراد الله لها الهداية، وشرح صدرها للإسلام، أرادت الذهاب للرسول لتبايعه، فاستأذنت زوجها ، فقال لها:(قد كنت بالأمس مكذبة بهذا الأمر. فقالت: والله ما رأيت الله عُبد بحق عبادته بهذا المسجد قبل هذه الليلة، والله لقد باتوا ليلهم كلهم يصلون فيه)[2]، فدفعها ما رأت من صدق عبادة المسلمين لربهم إلى الرغبة في الدخول في الدين، فبايعت مع نساء قريش، وعفا عنها النبي صلى الله عليه وسلم.

وتريد أن تبدأ إسلامها بنقاء من الخطايا، فتسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن حكم ما أخذت من مال زوجها دون علمه، فأفتاها النبي صلى الله عليه وسلم بأن تأخذ ما يكفيها وولدها بالمعروف[3]، فظهر الحكم الشرعي للناس في نفقة الزوجة بفضل حرصها على سؤالها عن دينها.

وصدقت في إيمانها، لَّما استجابت لمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله فلا يتركن في بيته صنما إلا كسره أو حرقه. فجعلت تضرب صنما لها في بيتها بالقدوم فِلذة فلذة، وهي تقول: كنا منك في غرور)[4].

ثم خرجت مع زوجها أبي سفيان رضي الله عنه للجهاد في سبيل الله، فشهدت اليرموك معه[5]، ولَّما اشتدت حملة الروم على المسلمين، واضطرب بعض المسلمين

---

[1] السنن الكبرى ٩/ ١٢١، وانظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : ابن هشام ٢٤/٤.

[2] البداية والنهاية ٥١/٧، والإصابة ٤٢٥/٤.

[3] وقد قالت في سؤالها:(إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني، إلا ما أخذت من ماله بغير علمه، فهل علي في ذلك من جناح؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك)). صحيح مسلم كتاب الأقضية باب قضية هند ١٣٣٨/٣ ح ١٧١٤.

[4] المغازي: الواقدي ٨٧١/٢.

[5] انظر البداية والنهاية ٧/١٥.

وانهزموا، وكان زوجها من بينهم، نظرت إليه وضربت وجه حصانه بعمودها، وقالت له: إلى أين يابن صخر، ارجع إلى القتال وابذل مهجتك، حتى يمحص الله عنك ما سلف من تحريضك على رسول الله صلى الله عليه وسلم [1].

كما ذكر أن الناس اقتتلوا في ذلك اليوم اقتتالا شديدا، حتى دُخل عسكر المسلمين، وقاتل نساء من قريش بالسيوف حين دُخل العسكر، منهن أم الحكيم بنت الحارث رضي الله عنها، حتى قتلت سبعا من الروم[2].

والخلاصة أن في مواقف المؤمنات ما يثبت أهمية دور النساء في القيام بالدعوة إلى الإسلام، حتى شهد لهن الأعداء بذلك، ومن ذلك قول أحدهم:(ومما يثير اهتمامنا ما نلاحظه من أن نشر الإسلام لم يكن من عمل الرجال وحدهم، بل لقد قام النساء المسلمات أيضا بنصيبهن في هذه المهمة الدينية)[3].

وذلك راجع إلى أن النساء أرق عاطفة وأكثر اندفاعا، والمرأة إذا آمنت بشيء لم تبال في سبيل نشره والدعوة إليه بما يقابلها من مصاعب، وعملت على إقناع زوجها وأخوتها وأبنائها به، وستظل حركة الإصلاح الإسلامي وئيدة الخطى قليلة الأثر في المجتمع، حتى تشترك فيها النساء، اللاتي نشأن على الإيمان والخلق والعفة والطهارة، فهؤلاء أقدر على نشر هذه القيم وغيرها في أوساط النساء من الرجال، عدا أنهن سيكن زوجات وأمهات، وهذا يستلزم أن تحمل النساء المؤمنات لواء الدعوة والإصلاح الإسلامي في أوساط بنات جنسهن، كما يقتضي ذلك تنشئتهم منذ الصغر على حب الله ورسوله ودين الإسلام، وتهيئة الوسائل المعينة على ذلك[4].

القاعدة السابعة: القضاء على العقبات والمعوقات المعترضة طريق

---

[1] بتصرف، مسئولية النساء في الأمر بالمعروف فضل إلهي ص ٨٠. نقلا من الفتوح: العلامة أبو محمد أحمد الكوفي ٢٠٢/١.

[2] بتصرف، فتوح البلدان: أحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذري ص ١٦٠ و ص ١٤١، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية ط: بدون ١٩٥٦م.

[3] الدعوة إلى الإسلام: سير توماس . و . آرنولد ص ٤٥١، ترجمه إلى العربية وعلق عليه: د. حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية ط:٣، ١٩٧٠م .

[4] بتصرف، السيرة النبوية دروس وعبر ص ٦٨.

الدعاة:

طريق الدعوة طريق واضحة المعالم مستقيمة الوجهة، إلا أنه يتخللها العديد من العقبات التي تعترض كل سالك فيه، فتعوقه وتثبطه وتوهن من عزيمته، وتنقص من جهده وإنتاجه لدعوته، وربما أقعدته عن السير في طريق الدعوة والجهاد، فصار كغيره من الناس ممن لا أثر له ولا تأثير[1].

ومن بعض هذه العقبات:

١- أن الداعية قد يلقى الإعراض من الناس والانصراف عن دعوته، وقد يطول الابتلاء والأذى، وقد يمتد زمن الجهاد والقتال، فيصيب اليأس والإحباط قلوب بعض الدعاة، وتهن عزائمهم لتأخر النصر، ويغفلون عن قوله تعالى﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[2] وقوله﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[3].

فالواجب على من سلك طريق الدعوة أن يصبر ويصابر ويوطن نفسه على وعورة الطريق، مهما أعرض الناس وانصرفوا عن دعوته، ومهما تعرض له من بلاء ومحن، وله في رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قدوة، فهو المثل الأعلى للدعاة[4]، وقد قطع سنينا طويلة للدعوة إلى الإسلام، قبل أن يمن الله عليه بالفتح، وتحمل مشاقا عظيمة لتبليغ رسالة ربه، ولم يصبه يأس أو قنوط، بل كان صلى الله عليه وسلم دائم التفاؤل، وحسن الظن بربه، فقال لمن أبلغه نبأ عدوان قريش، وخرقها لعهد الحديبية:((نصرت يا عمرو بن سالم))، ومرت به سحابة في السماء، فقال متفائلا:((إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب))[5].

ولما دانت له مكة، رفع صوته بحمد الله وأرجع الفضل كله لله ونصره وتأييده، فقال:((لا إله إلا الله وحده، نصر عبده وهزم الأحزاب وحده))[6].

---

[1] بتصرف، طريق الدعوة: مصطفى مشهور ص ٥٢.

[2] سورة البقرة آية ٢١٤.

[3] سورة الروم آية ٦٠.

[4] بتصرف، طريق الدعوة: مصطفى مشهور ص ٥٣.

[5] سبق تخريجه ص ١٠١.

[6] سبق تخريجه ص ١٤١.

٢- وبعد النصر- غالبا- يتعرض الدعاة لنوع جديد من العقبات، وهو الاسترخاء والفتور والقعود عن الدعوة والجهاد، فالداعية الذي استطاع تخطي العقبات السابقة من أذى وإعراض، كان يجابه أعداء الله وهو مستجمع كل طاقاته، وتحدى الباطل و لم تلن له قناة رغم كثرة الضغوط والشدائد، ونجح في ذلك، حتى إذا أذن الله بزوال بعض الشدة، حدث نوع من الاسترخاء، لتهدأ الأعصاب ويتجدد النشاط، فهنا تظهر عقبة لم تكن في الحسبان، حين تستروح النفس هذا اللون من الهدوء، وتأنس له وتستلم، وبل تستنيم، خاصة إذا صاحبه رخاء وشيء من ترف العيش، أو المغانم أو العودة إلى الوطن والأهل، عندئذ يصير ذلك الاسترخاء بداية القعود، بدلا من أن يكون وسيلة لتجديد النشاط والقوة لمواصلة السير في طريق الدعوة والجهاد[١].

وقد نفر النبي صلى الله عليه وسلم عن القعود عن الجهاد، وحذر من تركه، والإخلاد إلى الدنيا ومتعها[٢]، خاصة عند من تعلم فنون القتال وأجادها، وحصلت له أهلية الدفاع عن دين الله، ونكاية العدو، وتأهل لوظيفة الجهاد، فإن تركه له يعد تفريطا منه في القيام بما تعين عليه[٣]، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:((من علم الرمي ثم تركه، فليس منا، أو قد عصى))[٤].

ومنعا لهذه العقبة الكؤود أن تعيق طريق الدعاة المجاهدين، أو تتغلغل داخل نفوسهم على حين غفلة منهم، أرسل النبي صلى الله عليه وسلم -بعد الفتح مباشرة- السرايا لإزالة معالم الوثنية حول مكة، ثم أرسل سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جذيمة، وبعد ذلك استنفر المؤمنين ومن أسلم من أهل مكة، للقاء هوازن وثقيف، ليعلم جنود الله أن المجاهد لا يضع سلاحه أبدا -ما دام قادرا- بل يعاود الكرَّة بعد الكرَّة على الأعداء، فالدعوة في حاجة دائمة إلى كل جهد وطاقة.

ولتخطي هذه العقبة، ولئلا يميل المسلمون إلى الدعة والركون، منع النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين من العودة إلى مكة واستيطانها بعد فتحها، والإقامة بها بعد الهجرة

---

[١] بتصرف، طريق الدعوة: مصطفى مشهور ص ٥٦.

[٢] سبق ذكر بعض الأحاديث الدالة على ذلك راجع ص ٧٧- ٧٨.

[٣] بتصرف، نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ٩٢٦/٢.

[٤] صحيح مسلم كتاب الإمارة باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه ١٥٢٢/٢ ح ١٩١٩.

منها، وأباح لهم إذا وصلوها لحج أو عمرة أو غير ذلك، أن يقيموا بعد فراغهم ثلاثة أيام، ولا يزيدوا على الثلاثة[1]، فقال: ((للمهاجر إقامة ثلاث بعد الصدور[2] بمكة))[3].

فمنع المهاجر من المكث بمكة مدة تزيد عن حاجته، لأنها هاجر منها في سبيل الله ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم، ورخص له(أن يقيم بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثا، وما زاد على الثلاث، فمفسدته راجحة، فمنع منه، بخلاف مفسدة الثلاث، فإنها مرجوحة ومغمورة بمصلحتها، فإن فطام النفوس على مألوفاتها بالكلية من أشق الأمور عليها، فأعطيت بعض الشيء، ليسهل عليها ترك الباقي)[4].

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو الله تعالى أن يتمم لهم هجرتهم، ويثبتهم على الحق، فيقول:((اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم))[5]، كما يرثي ويحزن لمن مات منهم بمكة بعد الهجرة منها، كسعد بن خولة رضي الله عنه[6]، لأجل موته بالأرض التي هاجر منها، وكان يكره موته بها[7].

ولا يستثني نفسه صلى الله عليه وسلم مما أمر أصحابه به، ويضرب المثل لأمته في أن مصلحته حيث تؤتي الدعوة ثمارها الخصبة، فيبدأ بنفسه ويعزم على عدم البقاء بمكة[8]،

---

[1] بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٢/٩.

[2] الصدور: أي الصدر من منى. صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٢/٩.

[3] صحيح مسلم كتاب الحج باب جواز الإقامة بمكة للمهاجر منها بعد فراغ والحج والعمرة ثلاثة أيام بلا زيادة ٩٨٥/٢ ح ١٣٥٢.

[4] أعلام الموقعين عن رب العالمين ١٦٦/٢.

[5] جزء من حديث طويل رواه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب رثى النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن خولة ٨٢/٢. وذكر أنه في حجة الوداع، وسنن الترمذي كتاب الوصايا باب ما جاء في الوصية بالثلث ٤٣٠/٤ ح ٢١١٦، وذكر أنه في عام الفتح، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وسنن ابن ماجه كتاب الوصايا باب الوصية بالثلث ٩٠٣/٢ ح ٢٧٠٨ دون أن يذكر مكة ،وقد رجح الحافظ ابن حجر أنه في حجة الوداع. انظر فتح الباري ٣٦٣/٥ ح ٢٧٤٢. ولعله الأرجح لأن سعد بن خولة توفي في حجة الوداع. والله أعلم.

[6] سعد بن خولة القرشي العامري، من بني مالك بن حسل وقيل: من خلفائهم من البدريين، مرض بمكة وتوفي في حجة الوداع، بتصرف، الإصابة ٢٤/٢.

[7] بتصرف، تحفة الحوذي ٣٠٣/٦.

[8] كقوله للأنصار: ((كلا إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم...)) سبق تخريجه ص ١٢٥.

رغم حبه الشديد لذلك ، فقد رؤي صلى الله عليه وسلم على ناقته بالحزْورَة[1] يقول:((والله، إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلي. والله، لولا أني أخرجت منك، ما خرجت))[2].

وكان عمر رضي الله عنه، إذا أتى مكة قضى نسكه، ثم قال: (لست بدار مكث ولا إقامة)[3]، وكذلك كان (أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يحجون، ثم يرجعون ويعتمرون، ولا يجاورون)[4].

٣- بعد حدوث الفتح والنصر، تقبل الدنيا بزخرفها، وتتسع الأرزاق، وقد ينشغل الداعية عن مهمته الأساسية، وينغمس في طلب الرزق أو جمع الأموال، فينبغي للداعية الحصيف وقتها، أن يتحرز من استحواذ تحصيل متاع الدنيا على كل وقته وجهده وتفكيره، لئلا يحول ذلك بينه وبين الدعوة إلى الله.

ومن هذا المنطلق نرى النبي صلى الله عليه وسلم يغرس في نفوس أصحابه التجرد من حب الشهوات والأهواء والمكاسب، وبذل ذلك كله في سبيل الله، ومما حدث بهذا الشأن أنه لما(فتح مكة، قام إليه رجال من المجاهدين، يسألونه أن يرد عليهم دورهم التي استولى عليها المشركون، فلم يرد على واحد منهم داره، وذلك لأنهم تركوها لله وخرجوا عنها ابتغاء مرضاته، فأعاضهم عنها دورا خيرا منها في الجنة، فليس لهم أن يرجعوا فيما تركوه لله)[5].

ومن هؤلاء أبو أحمد بن جحش [6]رضي الله عنه، وكان أبو سفيان قد عدا على داره فتملكها بعد هجرته، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له: ((ألا ترضى

---

[1] هي ما يعرف اليوم باسم القُشاشيّة، وهو مرتفع مقابل المسعى من مطلع الشمس، كان ولا يزال سوقا من أسواق مكة، وهي تل مرتفع ظهرها معمور بشوارع تجارية. بتصرف، معجم المعالم الجغرافية ص ٩٨.

[2] سنن الترمذي كتاب المناقب باب في فضل مكة ٥/٧٢٢ ح ٣٩٢٥، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وسنن النسائي كتاب المناسك باب فضل مكة، ٢/١٠٣٧ ح ٣١٠٨ واللفظ له، و المصنف: عبد الرزاق، ٥/٢٧ ح ٨٨٦٨، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه ٢/١٩٧ ح ٢٥٢٩.

[3] المصنف: عبد الرزاق ٥/٢١ ح ٨٨٤٤.

[4] المرجع السابق ح ٨٨٤٥.

[5] زاد المعاد ٣/١١٦.

[6] هو عبد الله بن جحش الأسدي، أخو أم المؤمنين زينب رضي الله عنها، من السابقين الأولين قيل: هاجر إلى الحبشة، وقيل: من أوائل المهاجرين إلى المدينة، كان ضريرا يطوف بمكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، مات قبل أخته

يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا في الجنة خيرا منها))، قال بلى قال: ((فذلك لك))، فلما فتحت مكة، كلمه أبو أحمد رضي الله عنه في داره، فأبطأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال الناس له: يا أبا أحمد، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن ترجعوا في شيء أصيب منكم في الله. فأمسك عن الكلام فيها[1].

ومن ذلك قطع ما المطامع والمنافع التي قد يتعلق بها الداعية، ويحرص عليها من مال قريبه الكافر، بمنع التوارث بينهما[2]، كيما لا تتعلق نفسه به[3].

والداعية قد يجد مشقة عظيمة في ترك حظه من هذه الأمور، إن كان تركها لغير الله، أما إن كان تركها صادقا مخلصا من قلبه، فإنه لا يجد مشقة في ذلك، إلا في أول وهلة، ليُمتحن أصادق هو في تركها أم كاذب، فإن صبر على تلك المشقة قليلا، استحالت لذة، وعوضه الله خيرا منها، ومن أجلِّ ما يُعوض به الأنس بالله، ومحبته، وطمأنينة القلب، ورضاه عن ربه[4].

وكذلك لَّما أعطى صلى الله عليه وسلم مسلمة الفتح من غنائم حنين يتألفهم بها، ووكل السابقين للإسلام إلى إيمانهم، فهو الغنيمة الباقية الغالية، وآثر أخذهم بالعزيمة والشدة ادخارا لأجرهم في الآخرة، وقد علم صلى الله عليه وسلم أن المال لن يقدم في إيمانهم وتضحياتهم شيئا، فقد آمنوا بالله حقا، ورضوا برسوله قسما ونصيبا.

٤- مما يتولد من وقوع النصر والظهور، أن يتطلع بعض الدعاة إلى المناصب والصدارة والتقدم والترؤس على غيره، إما رغبة في التحرر من سيطرة وسلطان الآخرين،

زينب رضي الله عنهما. بتصرف، الإصابة ٤/٤.

[1] بتصرف، عيون الأثر ٢١١/١.

[2] سبق تخريج الحديث ص ٢٢٠.

[3] وقد ذكر بعض العلماء من ضمن آداب القائم بالأمر بالمعروف والناهي عن المنكر: تقليل المطامع والمنافع من الناس، كما قال ابن الأخوة:(ومن الآداب، تقليل العلائق) ثم ساق قصة رجل كان له سنورا، وكان يأخذ له كل يوم من قصاب شيئا لغذائها، فرأى على القصاب منكرا، فدخل الدار وأخرج السنور، ثم جاء واحتسب على القصاب، فقال القصاب: لا أعطيك بعد اليوم للسنور شيئا. فقال الشيخ: ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور، وقطع الطمع منك. بتصرف، معالم القربة ص ٥٩- ٦٠.

[4] بتصرف، الفوائد ص ١٤١.

أو رغبة في تحصيل شرف أو عرض من أعراض الحياة، غافلا عن تبعات هذه الصدارة والريادة[1]، وقلما يرغب في ذلك من يريد وجه الله تعالى، أو خير الإسلام والمسلمين.

وأصل هذا الحرص في ميزان الإسلام، الذم والنهي عنه، فقد تعددت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في النهي عن طلبها، مثل قوله :((إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة، وبئست الفاطمة[2]))[3].

وبعد الفتح ألغى النبي صلى الله عليه وسلم مآثر الجاهلية ومفاخرها، و لم يبق منها إلا سدانة البيت لبني شيبه، وسقاية الحاج لبني هاشم، فأراد بعض قرابة النبي صلى الله عليه وسلم –قيل هو العباس وقيل هو علي رضي الله عنهما[4]– أن يشرفهم النبي بأن يجمع لهم بين السدانة والسقاية، وقد ملك مفاتيح البيت في يده، فلم يرض بذلك وأعاد المفتاح لعثمان بن طلحة رضي الله عنه برا ووفاء، وعلَّل فعله بقوله لعلي :((أعطيكم ما هو خير لكم منها، السقاية، ترزؤكم ولا ترزءونها[5]))[6]، أي أعطيكم السقاية أنكم تغرمون فيها، و لم أعطكم البيت كي لا يأخذون من هديته[7].

إن مما يستفاد من هذا الموقف، أن الدعوة لا بد أن تكون خالصة لوجه الله عز وجل، دون طمع في حكم أو سلطان أو سعي إلى سيطرة أو جاه، فعلى الداعية أن يبتغي بعمله رضا الله وحده، وألا يحرص على الشهرة والشرف، وألا يشترط منصبا أو عرضا

---

[1] بتصرف، آفات على الطريق ٢/٥٧.

[2] نعم المرضعة: لما فيها من حصول الجاه والمال ونفاذ الكلمة وتحصيل اللذات في الدنيا، وبئست الفاطمة: عند الانفصال عنها بموت أو غيره، وما يترتب عليها من تبعات في الآخرة. بتصرف، فتح الباري ١٣/١٢٦ ح ٧١٤٨.

[3] صحيح البخاري كتاب الأحكام باب ما يكره من الحرص على الإمارة ٨/١٠٦.

[4] انظر شرح المواهب اللدنية ٢/٤٠٥.

[5] يقال: ما رزأ فلانا شيئا يرزؤه: أي ما أصاب من ماله شيئا ولا نقص، فالسقاية تأخذ من أموالهم وتنقصها، ولا يأخذون هم عليها مالا يستفيدونه. بتصرف، حاشية تهذيب الآثار ٤/٢٣٣، والنهاية في غريب الحديث ٢/٢١٨.

[6] تهذيب الآثار مسند علي بن أبي طالب ٤/٢٣٣، وروى نحوه في المصنف: عبد الرزاق ٥/٨٤ ح ٩٠٧٣، وروى نحوه الإمام الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه كتاب معرفة الصحابة ٣/٣٣٢، ووافقه الذهبي.

[7] بتصرف، شرح المواهب اللدنية ٢/٤٠٦.

من أعراض الدنيا، لأن هذه الدعوة لله، والأمر لله يضعه حيث يشاء تعالى، وأن يوطن نفسه من أول يوم يضع فيه قدمه على هذا الطريق، أن يكون جنديا للدعوة، دون تطلع أو توقع لرئاسة أو منصب، كما قال صلى الله عليه وسلم :((إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة))[1]، ليس له هدف إلا مرضاة الله، وإعلاء كلمته، وإنما يحدث التعثر إذا التفت لغير الله، وحدثته نفسه بأمر من حظوظها[2].

وطلب الشرف بالولاية والسلطان والمال، خطر جدا، وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وعزها، وقلَّ من يحرص على رئاسة الدنيا بطلب الولايات فيوفق، بل يوكل إلى نفسه[3]، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سَمُرة [4]رضي الله عنه- وهو من مسلمة الفتح-:((يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسئلة وكلت إليها، وإن أعطيت من غير مسئلة أعنت عليها))[5].

لذلك كان صلى الله عليه وسلم لا يولي من استشرفت نفسه تولي المناصب، وقال لمن سأله أن يوليه :(إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه))، والحكمة في ذلك، أن من سأل الولاية، لم تكن معه إعانة، كما صرح في الحديث السابق، وإذا لم تكن معه إعانة، لم يكن كفئا، ولا يُولى غير الكفء، ولأن في طلب الإمارة تهمة للطالب لها الحريص عليها[6].

---

[1] جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ٢٢٣/٣. قال ابن الجوزي رحمه الله: أي خامل الذكر لا يقصد السمو، فإن كان في الحراسة استمر فيها، وإن كان في الحراسة استمر فيها. بتصرف، فتح الباري ٨٣/٦ ح ٢٨٨٧.

[2] بتصرف، وقفات تربوية من السيرة النبوية: عبد الحميد جاسم البلالي ص ٧٣، مكتبة المنار الإسلامية الكويت ط:٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

[3] بتصرف، شرح حديث: ما ذئبان جائعان: الحافظ ابن رجب الحنبلي ص ١٧، تخريج وتعليق: بدر البدر، الدار السلفية الكويت ط: بدون.

[4]هو عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، أسلم يوم الفتح، وكان أحد الأشراف، نزل البصرة وغزا سجستان أميرا على الجيش، مات بالبصرة سنة ٥٠ رضي الله عنه. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٥٧١/٢، والإصابة ٤٠١/٢.

[5]صحيح البخاري كتاب الأحكام باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله ١٠٦/٨، وصحيح مسلم كتاب الإمارة باب النعي عن طلب الإمارة والحرص عليها ١٤٥٦/٣ ح ١٦٥٢.

[6] بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٨/١٢.

لذلك كان من أبرز سمات إعداد الدعاة، أن يكون مناط عملهم للدعوة على الإيمان واحتساب الأجر والثواب من عند الله، لا على الإغراء بالفوائد الدنيوية والجاه والمنصب، لأن ذلك يبني أساسا ضعيفا سريع الانهيار[1].

٥- من العقبات التي كثيرا ما تعترض الدعاة، التفرق والتعصب لأحزاب ما أنزل الله بها من سلطان، وإصابة البعض بداء الغرور والفخر بعد النصر، وينسى أولئك أن من أهداف الإسلام السامية، توحيد الصفوف، وتوثيق عرى الأخوة بين المسلمين، حتى يكونوا بنيانا مرصوصا، تزول منه الفوارق الجنسية والعصبيات القبلية، ويعيش المسلمون في ظله سواسية كأسنان المشط، لا فضل لأحدهم على أخيه المسلم إلا بالتقوى.

لذلك حرص النبي صلى الله عليه وسلم في أول خطبة له بعد الفتح، على توجيه المسلمين وأهل مكة إلى ميزان الإسلام القويم، فقال:((ياأيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَة الجاهلية وتعاظمها بآبائها، والناس رجلان: بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب))[2].

كما حرص على حماية الوحدة الإسلامية التي ألَّف بها بين قلوب المسلمين، وعمل على إزالة التفرق والخصام المؤدي إلى الانهزام، عملا بقوله تعالى﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ**.... ﴾[3]، فأعلن تبرؤه من كل من يدعو بدعوى العصبية الجاهلية التي لا تعرف الحق من الباطل[4]، وألغى أحلاف الجاهلية، إلا ما كان على طاعة الله والنصرة في دين الله والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق والدعوة إلى الله ، ومنع استحداث الأحلاف الجديدة القائمة على عصبيات جاهلية، فقال:((لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة))[5] .

---

[1] بتصرف، بحث بعنوان: بعض سمات الدعوة المطلوبة في هذا العصر: الشيخ أبو الحسن الندوي، ص ٤١٤، بحث ضمن أبحاث اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

[2] سبق تخريجه ص ١٤٢.

[3] سورة آل عمران جزء من آية ١٠٣.

[4] بتصرف، الوحدة الإسلامية ص ٨٩.

[5] سبق تخريجه ص ١٤٣.

القاعدة الثامنة: حسن التعامل مع أخطاء الدعاة:

كان من ديدن النبي صلى الله عليه وسلم تعليم الصحابة وتربيتهم على مبادئ الدين، وإعدادهم ليكونوا أهلا لحمل رسالة الدعوة، واستعمل صلى الله عليه وسلم شتى الوسائل والطرق لتأسيس شخصياتهم وأفكارهم، وعمل على تلافي الأخطاء، أو الانحرافات التي يمكن أن تحدث، ولكن ذلك لم يمنع من وقوع بعض الهفوات نتيجة اجتهاد خاطئ، أو غلبة طبع، أو تشويش وغبش في فهم الموقف.

وفي كل حادثة لم يكن الخطأ يمر دون علا ج وإصلاح وتوجيه، بل يصحح، وتعاد الأمور إلى نصابها، وتؤخذ العبرة والعظة من هذا الخطأ.

ومن المواقف الدعوية التي وقع فيها بعض الأخطاء[1]:

الموقف الأول:

ما حدث من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه[2]، -وهو من السابقين إلى الإسلام، ومن البدريين، ومبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصر ليحمل دعوة الإسلام إلى أهلها-،حين نقضت قريش العهد، وعزم النبي صلى الله عليه وسلم على غزوهم، وأمر المسلمين بكتمان الخبر، وبعث حاطب إلى أهل مكة يخبرهم بالأمر، فأعلم الله تعالى نبيه بذلك، فأعاد الرسالة، ومنع وصول المبعوث إلى مكة.

وقد كانت معالجة النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الخطأ في غاية الحكمة، فالنفس الإنسانية مهما بلغت من القوة والتقوى والصلاح، لابد أن تعرض لها لحظات يغلب فيها الطبع البشري المتصف بالضعف أمام بعض الأمور الحساسة، كحب الأهل والولد، فهذه العاطفة فطرية و ضاربة بجذورها في قلب الإنسان، الذي يبذل -عادة- ما يستطيع دفاعا عنهم وحماية لهم، مع بقاء حبه للأسلام ونصرته له، وأما ما حدث مع حاطب رضي الله

---

[1] والمقصود في هذا المبحث، أخذ العبرة والاستفادة من سير الصحابة رضوان الله عليهم، في كل أحوالهم، وحسبهم رضى الله تعالى عنهم ورضى رسوله صلى الله عليه وسلم، وحسبهم أن أخطاءهم محدودة معدودة، تنغمر في بحار حسناتهم وفضائلهم، ولولا الفائدة المرجوة لم أتعرض لذلك. أقدم هذه الكلمة مخافة أن يفهم من عباراتي استهانة أو تنقص لأحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من ذلك.

[2] الحديث سبق تخريجه ص ١٠٩.

عنه (فإنه صنع ذلك متأولا أن لا ضرر فيه)[1]، على الإسلام والمسلمين، واعتذر بقوله:(فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم، أن اصطنع إليهم يدا يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفرا، ولا ارتدادا عن ديني).

والنبي صلى الله عليه وسلم الخبير بنفوس أصحابه لا يبادر إلى التوبيخ أو العقاب، بل يستعلم منه أولا عن السبب الذي دفعه إلى الخطأ، ويصدقه في عذره، ويقدر لحظة الضعف البشري التي انتابته، فلا يؤاخذه بهذه الزلة، بل أنه يدافع عنه –بعد إقالة عثرته– ويذكر الحاضرين بماضيه المجيد في خدمة الإسلام، وأنه قدم وضحى بالكثير في سبيل الله، فقال:((إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا، قال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)).

يستفاد من هذا الموقف العديد من الدروس المفيدة في إعداد الدعاة:

١– أن كل ابن آدم خطاء ولا معصوم إلا الرسل، والضعف قد يعتري الدعاة إلى الله، وقد يقع في الخطأ أعلم الناس، فلا أحد فوق الخطأ أو غير قابل لذلك، وقد ينظر بعض الناس إلى الدعاة أنهم معصومون من ذلك، حتى إذا ما أخطأ أحدهم يوما ما فإنهم يستعظمون ذلك منه، ولا يلتمسون له عذرا، وقد يسقط من أعينهم[2]، ويعملون على فضحه وتعريته والتشهير به، بدلا من ستر ذنبه.

٢– لا بد من مراعاة حق السابقة، فمن كان له فضل سبق في الدعوة إلى الله، وتعليم الناس الخير، أو كان له بلاء حسن في نصرة دين الله، فلا ينبغي جحود فضله، أو الطعن فيه، وإن بدا منه تفريط أو فتور أو خطأ ما، فإن رصيده من الخير وسابقته في الجهاد، تشفع له[3].

وقد قال سعيد بن المسيب[4] رحمه الله:(إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل، إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، ومن كان فضله أكثر من نقصه، وهب نقصه لفضله)[1].وهذا ميزان مهم من موازين تقويم الرجال.

---

[1] فتح الباري ٦٣٤/٨ ح ٤٨٩٠

[2] بتصرف، الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس: محمد صالح المنجد ص ١٨١، دار الوطن للنشر ط:١، ١٤١٧هـ. وانظر وقفات تربوية من السيرة النبوية ص ٧٦.

[3] بتصرف، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ٢١٧.

[4] هو سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب المخزومي القرشي، سيد لتابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ولد

٣- قد يرتكب أحد الدعاة خطأ شنيعا، ويتمثل بقصة حاطب رضي الله عنه، ويحتج بتمرير الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الخطأ وعدم محاسبته عليه، ويطالب بمعاملته بالمثل، وأي الدعاة الآن كحاطب رضي الله عنه، والنبي صلى الله عليه وسلم لَّما قال عن حاطب أنه شهد بدرا، فهو لم يستسغ فعله، أو يوافقه على العذر والسبب الذي أبداه- وإن صدقه فيه- لكنه صلى الله عليه وسلم ذكر ما يشفع ضد قتله، وهو شهوده بدرا، وهذا شيء نادر لم يتحقق إلا لعدد قليل من الصحابة، لهم من الفضل والتقوى ما يمنعهم من استغلال هذا التكريم، للوقوع في الأخطاء ثم الاحتجاج بما لهم من فضل ومكانة، بل إن تذكيره لحاطب بذلك، هو لوم في عبارة رقيقة: أن ماضيه ينهاه عن حاضره[٢].

وهذا الأسلوب يترك أثرا حميدا في نفس الداعية، إذ يستحي من اقتراف أو تكرار الخطأ، حين يذكر بمجده القديم وأعماله الصالحة وأفضل ما فيها، فيحرص على المحافظة على تلك المكاسب والحسنات.

الموقف الثاني:

حين يجانب الداعية المجاهد الصواب، ويظن غير الحق، فإنه يرد إليه ويوضح له الأمر، فهذا سعد بن عبادة رضي الله عنه -وهو أنصاري من النقباء- امتلأت نفسه همة وحماسا لفتح مكة، كما امتلأت نقمة على قريش التي أخرجت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة وآذوهم وحاربوهم[٣]، فظن رضي الله عنه أن غزو مكة سيكون تصفية لعداوة امتدت أزيد من عشرين سنة، وثأرا لما مضى من حروب، فقال لأبي سفيان رضي الله عنه -أثناء عرض جيش المسلمين عليه-: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة[٤]،

في خلافة عمر رضي الله عنه وكان من أحفظ الناس لأقضيته، حتى سُمي (راوية عمر)،جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش على تجارة الزيت ويرفض العطاء، توفي بالمدينة سنة٩٤ رحمه الله . بتصرف، حلية الأولياء ٣٩٤/٢، سير أعلام النبلاء ٢١٧/٤، والأعلام ٢١٧/٤.

[١] البداية والنهاية ١٠٠/٩.

[٢] بتصرف، خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ١١٩٢/٢.

[٣] سبق تخريجه ص ١١٨.

[٤] يوم الملحمة: أي يوم المقتلة العظمى، من لحم فلان فلانا إذا قتله. فتح الباري ٨/٨ ح ٤٢٨٠.

اليوم تستحل الكعبة. فشكاه أبو سفيان للنبي صلى الله عليه وسلم، وقال له: يا رسول الله، أمرت بقتل قومك، فإنه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا، أنشدك الله في قومك، فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم.

وخاف بعض المهاجرين أن يشتد سعد في قتاله لقريش- وهو حامل راية الأنصار- فقال عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما: يا رسول الله، والله لا نأمن من سعد أن تكون منه في قريش صولة[1].فعمل النبي صلى الله عليه وسلم على تهدئة النفوس وحل المشكلة حلا موفقا:

١- بين أولا خطأ هذه المقولة، فالمسلمون هم أولى من يعظم الكعبة ولا يستحلها، واعظم من يحقن الدماء فلا يهدرها لغير ضرورة، والنبي صلى الله عليه وسلم هو أوفي الناس لقومه وعشيرته، أن يذلوا أو يهانوا، فقال صلى الله عليه وسلم :((كذب سعد- أي أخطأ- ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة)).

وقيل أنه قال:((يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله فيه قريشا))[2]، فأبدل كلمة الملحمة بالمرحمة، وشتان بين الكلمتين، فالداعية المؤمن عند النصر، يبذل الرحمة والعدل للناس، فذلك أدعى لتأليفهم وإقبالهم على الإسلام راغبين.

٢- أنه أرسل إلى سعد رضي الله عنه، فأخذ الراية منه وسلمها إلى ابنه قيس، ورأى أنه بذلك لم تخرج منه حين صارت إلى ابنه، مراعاة لشعوره وسابقته وفضله في الإسلام، ولعله صلى الله عليه وسلم أراد أن يكسب بفعله هذا قلوب القرشيين، ويطمئنهم إلى رغبته الصادقة في السلام والأمان، أو أنه خاف أن يسبق سيف سعد بن عبادة إلى رقاب قريش، وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار الصدق في اللقاء والتفاني في الجهاد.

٣- علم النبي صلى الله عليه وسلم ما في صدور الأنصار فخصهم بالقتال دون المهاجرين عند الحاجة إلى ذلك، لَّما اعترض الأوباش جيش المسلمين و لم يراعوا الأمان

---

[1] بتصرف، عيون الأثر ٢/٢٢٣.

[2] عيون الأثر ٢/٢٢٣.

والعهد، فأمر النبي الأنصار بأن يحصدوا أنفاسهم[1]، وسمح لهم بالقتال بعد المنع، ففعلوا ذلك، و لم يعترضهم أحد إلا أذاقوه طعم سيوفهم.

الموقف الثالث:

عقب فتح مكة بعث النبي صلى الله عليه وسلم سراياه لإخضاع القبائل المحيطة بها، وتدعوهم إلى الإسلام دون أمرهم بالقتال، ومن تلك البعوث سرية دعوية بقيادة خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم رضي الله عنه كما أمره النبي صلى الله عليه وسلم، و لم يبدأهم بالقتال، فلم يحسنوا الإخبار عن إسلامهم وإيمانهم بالله ورسوله، بأن يعلنوا شهادة الإسلام، بل قالوا كلمة(صبأنا)، وهذه كلمة لها ماض سيئ في الإسلام، حيث كانت تطلق في مقام الذم للمسلمين الأوائل في مكة، فتأول خالد رضي الله عنه كلمتهم ، ورأى أنها استهزاء وسخرية وانتقاص للإسلام، فقتل منهم وأسر، ثم أمر بعد ذلك بقتل الأسرى باعتبار انهم كفار مستهزئون بالإسلام، فعارضه بعض الصحابة، و لم ينقادوا لأمره[2].

ثم لَّما رجعوا إلى المدينة، رفعوا الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت معالجته الحكيمة لهذا الخطأ كالتالي:

١-لم يوافق صلى الله عليه وسلم خالدا فيما فعله من القتل والأسر، بل أنكر عليه العجلة وعدم التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا[3].

٢-أعلن تبرؤه من هذه الفعلة أمام الناس، كي يستوعب الجميع الخطأ، و لم تمنعه مكانة خالد من ذلك، بل جاهر بكشف الخطأ، لأن التستر على الأخطاء يشجع على تكرارها وقد يساعد على بقائها ونموها[4].

٣- لم يعاقب النبي صلى الله عليه وسلم خالدا على هذا الخطأ، إذ أنه اجتهد فأخطأ، ولعل هناك مبررات- تستنتج من الظروف والملابسات المحيطة بالحادث- تُلتمس لهذا الاجتهاد الخاطئ:

---

[1] كما روى الإمام مسلم:((فاحصدوهم حصدا)). سبق تخريجه ص ١٢٥.

[2] بتصرف، السيرة النبوية الصحيحة ٤٣٩/٢، وانظر السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ص ٢٤٩.

[3] بتصرف، فتح الباري نقلا عن الخطابي ٥٧/٨ ح ٤٣٣٩.

[4] بتصرف، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ص ٣٢٠.

– أنه قد نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام، وأن ذلك وقع منهم على سبيل الأنفة وعدم الانقياد للإسلام[1].

– أنه لم يتعمد مخالفة أوامر النبي صلى الله عليه وسلم فيقاتل و لم يؤمر بقتال، أو يقتل مسلمين، لكنه أخطأ كما أخطأ أسامة بن زيد رضي الله عنه، حين قتل رجلا بعد اعتصامه بكلمة التوحيد[2].

– أن خالد ليس كغيره من الصحابة الذين امتنعوا عن القتل، والذين سبقوه إلى الإسلام، مثل عبد الرحمن بن عوف وابن عمر وغيرهم، فهؤلاء أقدم إسلاما منه، ففهموا أن القوم أرادوا الإسلام، و لم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا به[3].

–أن في قبول كبار الصحابة أخذ القوم أسرى وجه وجيه في العذر لخالد رضي الله عنه، فمن البعيد أن يكونوا جازمين بإسلام القوم، ثم يقبلونهم أسرى في أيديهم[4].

–أن ظهورهم مدججين بالسلاح أمام المسلمين، كأنهم مستعدين للقتال– كما في بعض روايات السير– يثير شبهة عدم إسلامهم، خاصة وهم قريبون من مكة، وتصلهم أخبار فتح المسلمين لها[5].

٤– أن هذا الخطأ لم يحل بين خالد وبين الجهاد في سبيل الله، و لم يُحرم المسلمون من خبرته كقائد عسكري محنك، فاسم خالد بن الوليد رضي الله عنه لم يشتهر كمحدث أو فقيه، في كتب التفسير أو الحديث أو الفقه، وإنما اشتهر كقائد عسكري فذ، وقد حملت كتب السير والمغازي و الفتوح بين طياتها الكثير من أخبار شجاعته وبسالته، وخبراته العسكرية اشتهرت بين أعدائه ودوختهم[6].

---

[1] بتصرف، فتح الباري ٥٧/٨ ح ٤٣٣٩.

[2] انظر قصته في صحيح البخاري كتاب المغازي باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد إلى الحُرَقات من جُهَينة ٨٨/٥.

[3] بتصرف، عمدة القارئ ٣١٣/١٧.

[4] بتصرف، خالد بن الوليد: د. صادق إبراهيم عرجون ص ١٠٤، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة، ط:٣، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

[5] بتصرف، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ص ٢٥٢.

[6] ومن ذلك قصته المشهورة مع جُرجه لما لقيه في اليرموك بين الصفين وقال له: يا خالد اصدقني، هل أنـزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه، فلا تسله على قوم إلا هزمتهم؟ فقال: لا. ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم فقاتل

وقد عذره النبي في اجتهاده الخاطئ، وأعلن تبرؤه من تأوله، ومع هذا ولاه إمرة بعض السرايا والبعوث كالسرية التي اتجهت إلى أُكَيدِر دُومة[1]، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قبل حجة الوداع[2]، ثم بعثه في السنة العاشرة إلى بني الحرث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل القتال فأسلموا ولم يقاتلوا، وبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك[3]، ولم يزل رضي الله عنه مجاهدا في سبيل الله حتى فتح الله على يديه فتوحات عظيمة في بلاد فارس والروم.

هذه مدرسة النبوة أخرجت للأمة الإسلامية الدعاة الأفذاذ الصادقين، الذين مست العقيدة شغاف قلوبهم فأوقدت وهجا منيرا في عقولهم وبصيرة عميقة في نفوسهم[4]، ودفعتهم إلى الرغبة في جزاء الآخرة والتطلع إلى ما عند الله تعالى.

والدعوة الإسلامية اليوم تتطلع إلى مثل هذه النماذج، وتحتاج إلى الطاقة البشرية المتميزة، الطاقة العاملة المتخصصة في البناء والتكوين ، وفي التربية والتوجيه، الدعاة المتابعون الدراسة والبحث، والمؤمنون بالجهد والعمل، المهتمين بالمراقبة والتوجيه، والقادرين على وضع الخطط لكل المراحل، الدعاة المتمتعون بالقابلية للتطور والتجدد مع تطور البيئات وتجدد الأحوال[5]، لكنهم يصدرون من منبع صاف هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وهذه الطاقة البشرية الدعوية، لابد أن تتصف بصفات خاصة، وتتحلى بسمات فريدة لتنجح في تحقيق الأهداف التي وضعتها، ولتبلغ الغاية التي تتمناها، وهذا ما سيحتويه المبحث الثاني بإذن الله.

مع المسلمين انظر القصة كاملة في الكامل في التاريخ ٢/٢٨٣.

[1] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/١٨١.

[2] انظر الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع ٥/١١٠.

[3] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٢٦٢.

[4] بتصرف، السيرة النبوية الصحيحة ١/١٨.

[5] للاستفادة انظر الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي ص ٣١١، ومقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ص ٢٨٧.

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بصفات الدعاة.

اختلف المؤلفون في علم الدعوة في تسمية الكيفية التي يجب أن يكون عليها الدعاة إلى الله، فمنهم من ذكرها تحت عنوان: أخلاق الداعية[1]، وبعضهم سماها: آداب الداعي[2]، والبعض الآخر ذكرها تحت عنوان: صفات الداعية[3]، وكما يقال: لا مشاحة في الاصطلاح، فمدلول هذه المسميات متشابه، ولعل الأخير هو الأقرب للمقصود في هذا البحث.

وبتوضيح مدلول كلمتي خُلُق وصِفة[4]، يتضح الفرق بينهما:

الخُلق: هو السجية، وهو ما خلق عليه الإنسان من الطبع، وحقيقته: أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها، ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخَلْق لصفته الظاهرة وأوصافها ومعانيها[5]، يقول الإمام الغزالي رحمه الله:(فالخُلُق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة)[6].

أما الصفة: فهي من كلمة وَصَف يصِفه وِصفا وصِفة: أي نعته، والصف والنعت مترادفان.

وقيل الوصف مصدر والصفة الحلية، والصفة الحالة التي عليها الشيء من حليته ونعته[7].

فالصفة أوسع مجالا من الخُلق، لأن الإنسان يكون له صفات أخلاقية، وصفات جسدية، وصفات عقلية ..الخ.

وبعض هذه الصفات فطري وراثي جُبل عليه الإنسان، كالشكل العام ومستوى الذكاء، وبعضها مكتسب، كحسن الخلق وقوة البدن وفصاحة المنطق وقوة الملاحظة.

---

[1] انظر أصول الدعوة ص ٣٤٦.

[2] انظر هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ص ٨٧.

[3] انظر الدعوة إلى الله ص ٤٤١، وفقه الدعوة إلى الله ٣٦٩/١، والمدخل إلى علم الدعوة ص ١٥٥.

[4] ذكرت الفرق بين الصفة والخلق لوجود مبحث سابق بعنوان الدروس الدعوية المتعلقة بالأخلاق.

[5] تاج العروس فصل الخاء من باب القاف ٣٣٧/٦.

[6] إحياء علوم الدين ٥٣/٣.

[7] تاج العروس فصل الواو من باب الفاء ٢٢٦/٦.

والقائمون بالدعوة إلى الله، هم أناس تصدوا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير، وجاهدوا في سبيل نشر دين الله، غايتهم مرضاة الله وثوابه، فشُدت أنظار الناس إليهم، وأصغت آذانهم إلى أقوالهم، واعتقدوا فيهم التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، فكان وقوع العثرة منهم أعظم وأبعد أثرا من غيرهم، لأن الناس يظنون فيهم العلم وينظرون إليهم بثقة، ويتخذونهم قدوة لهم، فتنتشر هذه الأخطاء بين الناس لذلك، ولذات السبب النقد عليهم أشد، ومحاسبتهم أعسر، فلزمهم قبل غيرهم التحلي بالصفات الكريمة المؤثرة بصورتها الكاملة المثلى - ما أمكن - فهذا أحرى أن يسمع لنصحهم، ويستجاب لدعوتهم، وكانوا دعاة موفقين ناجحين قادرين على استقطاب الناس حول دعوة الإسلام[1].

ومن خلال أحداث السيرة في غزوة الفتح وما تعلق بها من آيات كريمة، يمكن تحديد بعض الصفات التي يحتاجها الدعاة للتأثير في الناس وهدايتهم إلى الخير والفلاح، وهذه الصفات تنقسم إلى قسمين رئيسين، أذكرها ضمن المطلبين التاليين:

المطلب الأول: الصفات المتعلقة بذات الداعية وتعامله مع نفسه.

المطلب الثاني: الصفات المتعلقة بتعامل الداعية مع من حوله من الناس.

---

[1] بتصرف، الاستيعاب في حياة الداعية: فتحي يكن ص ١٥، مؤسسة الرسالة بيروت ط:٦، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

المطلب الأول: الصفات المتعلقة بذات الداعية وتعامله مع نفسه

أولا: الصفات الروحية:

الصفة الأولى: قوة الإيمان بالله تعالى، والرغبة الصادقة في الدعوة إلى سبيله:

وهذه من أهم الصفات التي يجب أن يتمتع بها الداعية، ويعتبر تحققها في الداعية شرطا لا صفة فقط، وهي قوة اليقين بأن الإسلام هو الدين الحق، الذي هداه الله إليه، وأنه هو الحق الخالص، وما عداه باطل وضلال قطعا، فيحصل منه التسليم التام لله تعالى، من غير ارتياب أو حرج، وتكون الدعوة إلى الله تعالى وإلى شريعته نابعة من قوله وفعله[1].

فإيمان الداعية القوي يجعله ثابتا لا يتزعزع، مهما صادفته المحن والشدائد، ومهما بلغ عليه حال عدوه من البأس والشدة ومهما طال أمامه الطريق.

ومن لوازم الإيمان بالله: الدعوة إليه تعالى، وإلى دينه، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والدعوة إلى أصل الدين، والدعوة إلى التزام شرائعه، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذلك يكمل العبد نفسه، ويكمل غيره، لأن الدعوة نفسها من أكبر مقويات الإيمان، وذلك بسبب ما يسعى به الداعية في سبيل نصرتها وتحقيقها بالأدلة والبراهين، وأيضا فإن الجزاء من جنس العمل، فكما يسعى إلى إصلاح العباد وتكميلهم ونصحهم، وصبر على ذلك، لا بد أن يجازيه الله ويؤيده بنور منه وقوة إيمان[2].

فقوة الإيمان بالله تنتج في نفس الداعية إيمانا بأهمية الدعوة إلى دينه، حين يرى حاجة الناس إليه، كما يوقد في نفسه لهيب الحماس والحيوية التي تحتاجه الدعوة، ويولد لديه شعورا ذاتيا بمسئولية العمل للإسلام، واستعدادا كاملا لتلبية حاجات هذه المسئولية من النفس

---

[1] بتصرف، أصول الدعوة ص ٣٣٣، وانظر الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٤٤١.

[2] بتصرف، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، فصل التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص ١١٨.

والجهد والوقت والمال، أداء للواجب تجاه هذا الدين الذي ينتسب إليه، ورغبة في الجزاء الأخروي.

والقلب الخاوي من الإيمان، لا يملأ قلبا آخر بالإيمان، والموت لا ينشئ حياة، وكما قيل: (فاقد الشيء لا يعطيه)[1]، فمن صدق إيمانه، صدق عطاؤه، وأعطى للدعوة ثمارا مباركة، وظهرت به آثار الإيمان التالية:

١- الإخلاص لله تعالى:

وهو:(تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه)[2]، وحقيقته: تصفية العمل عن ملاحظة الخلق، وتحديد الإرادة بالعمل لله وحده، دون شيء آخر سواه، وبهذا المعنى وحده تتحقق نجاة الإنسان من سوء الذنوب وسوء الدنيا بوجه عام، كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[3][4].

وهو روح الدين ولباب العبادة، وأساس أي دعوة لله، فأي عمل لا يرتفع ما لم تصحبه النية الصالحة، وما لم يقترن بإرادة وجه الله وحده، فإذا كان هذا العمل هو الدعوة إلى الله، فهذه فريضة آكد، وعقدة أوثق، فإن العمل لنشر دين الله وسيادته، وإلى تحكيم شرع الله تعالى، إنما هو عبادة وقربة إلى الله من ناحية، ومن ناحية أخرى هو جهاد في سبيل الله، وتجريد النية لله في ذلك أمر أساسي لقبول العمل ولنجاحه معا، فالنية المدخولة تفسد العمل، وتلوث النفس، وتضعف الصف، وتحبط الأجر، والنية الصالحة تصلح العمل، وتقوي العزم، وتعين على إزالة العقبات[5].

---

[1] بتصرف، مقال بعنوان: بعض سمات الدعوة المطلوبة في هذا العصر: الشيخ أبو الحسن الندوي ص ٤١٠ ضمن أبحاث اللقاء الخامس لمنظمة الدعوة الإسلامية ١٤٠٢هـ.

[2] التعريفات ص ٣٤.

[3] سورة يوسف جزء من آية ٢٤.

[4] بتصرف، مكفرات الذنوب وموجبات الجنة: ابن الديبع الشيباني ص ٩٨، هذبه: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام للطبع والنشر ط: بدون، ١٣٩٦هـ ١٨٧٦م.

[5] بتصرف، مع الله ص ٢٠١، وانظر في الطريق إلى الله، النية والإخلاص: د. يوسف القرضاوي ص ٩٥، مكتبة وهبة القاهرة ط:١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

والمخلص لله تعالى، قد ذاق من حلاوة عبوديته لله تعالى ما يمنعه من عبودية غيره، إذ ليس عند القلب السليم أحلى ولا أطيب من حلاوة الإيمان، المتضمنة عبوديته لله، وإخلاص الدين له، فيصير قلبا منيبا لله، بين خوف منه ورجاء، كما قال تعالى﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾[1].

وإذا كان العبد مخلصا اجتباه ربه، وصرف عنه السوء والفحشاء[2]، ومتعه بثمرات الإخلاص، كالنصر والنجاة من عذاب الآخرة ورفع المنزلة في الآخرة، وزاده هدى على هداه، ووضع له الحب في أهل السماء، والقبول عند أهل الأرض، وغير ذلك من ثمرات الإخلاص[3].

وأما من لم يخلص قلبه لله، فإنه يتشبث بما يهواه، كالغصن إذا مرَ به أي نسيم عطفه وأماله، فيجذبه تارة الشرف والرئاسة، وترضيه الكلمة، ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمه ولو بالحق، وتارة يستعبده الدرهم والدينار[4]، وينال من ويلات الرياء، فتصيبه الهزيمة وزيادة الضلال في الدنيا، وبغض أهل السماء له، وبغض أهل الأرض، ويعيش قلقا شقيا، عدا ما يلقاه في الآخرة من العذاب والفضيحة على رؤوس الخلائق[5].

لذلك اشترط النبي صلى الله عليه وسلم على المسلمين الجدد النية الصالحة والإخلاص لله تعالى، فبذلك تتحقق لهم النجاة، ويدركون ما فاتهم من أجر الهجرة والجهاد، فقال صلى الله عليه وسلم :((لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية))[6]، وكانت بنود البيعة هي: الإسلام والإيمان والجهاد[7].

---

[1] سورة الإسراء آية ٥٧.

[2] بتصرف، العبودية ص ١٤٠.

[3] بتصرف، الإخلاص: حسين عوايشة ص ٦٦-٦٩، المكتبة الإسلامية عمان الأردن ط:٢، ١٤٠٣هـ.

[4] بتصرف، العبودية ص ١٤١.

[5] بتصرف، الإخلاص ص ٧٠- ٧٢.

[6] سبق تخريجه ص ١٧٣.

[7] انظر الحديث ص ١٣٦.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: يجب على الداعية أن يكون مخلصا لله عز وجل، وألا يريد بدعوته رياء أو سمعة، أو ثناء الناس وحمدهم له، إنما يدعو الله يريد وجهه، كما قال تعالى﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1][2].

٢- التوكل على الله:

عرفه الإمام ابن القيم رحمه الله [3]بأنه: اعتماد القلب على الله، واستناده إليه، و وسكونه إليه، واستمداد العون والتأييد منه، وقطع العلائق بغيره تعالى[4].

وقال الحافظ ابن رجب[5] رحمه الله: (وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل، في استجلاب المصالح، ورفع المضار، من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكِلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان، فإنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع سواه)[6].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (المراد بالتوكل: اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا .... ﴾[7]، وليس المراد به ترك التسبب، والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين، لأن ذلك قد يجر إلى ضد ما يراه من التوكل)[8].

---

[1] سورة يوسف آية ١٠٨.

[2] بتصرف، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ص ٣٨، وانظر مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، مفهوم ونظر وتطبيق: سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص ٢٨٣، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان الرياض، ط:١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

[3] هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُرْعي الدمشقي، أبو عبد الله، من أركان الإصلاح الإسلامي ومن كبار العلماء، ولد بدمشق سنة ٦٩١هـ وتتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكان منتصرا له وسجن وعذب معه، ونشر علمه وهذب كتبه، له تصانيف كثيرة جليلة، توفي رحمه الله سنة ٧٥١هـ. بتصرف، الأعلام ٥٦/٦.

[4] بتصرف، مدارج السالكين ١٢٠/٢.

[5] هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَّلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، حافظ من العلماء، ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ، وتوفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ رحمه الله. بتصرف، الأعلام ٢٩٥/٣.

[6] جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي ص ٣٨٠، دار الفكر ط: بدون.

[7] سورة هود جزء من آية ٦.

[8] فتح الباري ٣٠٥/١١ ح ٦٤٧٢.

والتوكل مقام جليل القدر، أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به في مواضع كثيرة في كتابه الكريم كقوله تعالى﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾[1].

ويبين أثر التوكل عليه في استحقاق النصر، كما في قوله تعالى﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[2]، فجعل التوكل شعار أهل الإيمان .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وذِكر اسم الإيمان، دليل على استدعاء الإيمان التوكل، وأن قوة التوكل وضعفه، بحسب قوة الإيمان وضعفه، فكلما قوي إيمان العبد قوي توكله، وإذا كان توكله ضعيفا فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد[3]، وقد قال سعيد بن جبير[4] رحمه الله: (التوكل على الله جماع الإيمان)[5].

وقد كان منه صلى الله عليه وسلم أصدق التوكل على الله في هذه الغزوة، ابتداءً بدعائه:((اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها))[6]، ثم إرجاع الفضل كله إليه تعالى في تحقق الفتح المبين والنصر العزيز.

ورعاية الأسباب المفضية إلى هذا الفتح، من اتخاذ الاحتياطات كإرسال سرية تمويهية تعمية على قريش، وأخذ الأهبة وعدة القتال، ولبس عدة الحرب، لا تنافي التوكل، بل أن من تمامه، القيام بالأسباب التي أقام الله عليها سننه ومضت بها أقداره، فالتوكل عنصر من عناصر الجانب الاعتقادي القلبي، أما اتخاذ الأسباب فهو وظيفة

---

[1] سورة النمل آية ٧٩.

[2] سورة آل عمران آية ١٦٠.

[3] بتصرف، طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٣٢٧، دار الكتاب العربي لبنان ط: بدون، وانظر مقدمة محقق كتاب التوكل على الله: الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا ص ٣٣-٣٤، تحقيق: جاسم الفهيد الدوسري، دار الأرقم الكويت، ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

[4] هو سعيد بن جبير بن هشام الإمام الحافظ المقرئ المفسر الأسدي مولاهم الكوفي، قرأ القرآن على ابن عباس رضي الله عنه ، قتله الحجاج صبرا وهو ابن ٤٩ سنة عام ٩٥هـ. بتصرف، تهذيب التهذيب ١١/٤، وسير أعلام النبلاء ٣٢١/٤.

[5] التوكل على الله ص ٥٦ ح ٥، وقال المحقق إسناده صحيح.

[6] سبق تخريجه ص ١٠٦.

الحركة العملية الإرادية في الحياة، ضمن ما سخر الله للإنسان في ذاته أو في الكون من حوله،[1] (ولكن من تمام التوكل، عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها)[2].

ومما يدل على عدم منافاة الأسباب التوكل، أن الله تعالى قد أمر المسلمين بالاستعداد لعدوهم، بما يستطيعون من قوة عقلية ومادية ومعنوية، ويدخل في ذلك تعلم الفنون الحربية ، وتعلم الصناعات المعينة على هذا الأمر، كما أمرهم بأخذ الحذر من عدوهم وقت السلم والحرب، وأمرهم بالاستعانة به، وألا يتكلوا على حولهم وقوتهم، وألا يغتروا بحالهم ولا يستهينوا بأعدائهم، وهذه الأمور كلها مضطرة إلى قوة التوكل عليه تعالى، وإلى الإقتداء بسيد المرسلين فيه، فهو سيد المتوكلين، ومع ذلك فقد كان يعمل بجميع الأسباب النافعة ويحض عليها، فالتوكل هو الثقة بالله والاعتماد على الله في حصولها[3].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (ومن تمام توكله استعمال الأسباب التي نصبها الله لمسبباتها قدرا وشرعا، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، أكمل الخلق توكلا، وإنما كانوا يلقون عدوهم وهم متحصنون بأنواع السلاح، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة والبيضة على رأسه، وقد أنزل الله عليه: ﴿ **وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ** ..... ﴾[4])[5]، فيقينه أن الله تعالى سيدفع عنه ويحفظه، لم يمنعه من أخذ الأسباب التي يحتاجها البشر في درء الأذى عن أنفسهم في الحروب، كوضعه المغفر على رأسه أثناء دخوله مكة، واحتياطه بالحراسة حوله، وما اتخذه من تدابير في هذه الغزوة.

ومتى صح إدراك هذا الفرق والتزم الداعية المؤمن بالواجب في التوكل على الله بصدق، واتخذ الأسباب الكونية والتكليفية كما قضاها وشرعها الله تعالى، كان التوكل

---

[1] بتصرف، بصائر للمسلم المعاصر ص ١٤٩، وانظر في الطريق إلى الله، التوكل: د. يوسف القرضاوي ص ٣٥.

[2] مدارج السالكين ١٢٠/٢.

[3] بتصرف، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ١٦٦-و ص ١٧١

[4] سورة المائدة جزء من آية ٦٧.

[5] زاد المعاد ٤٨٠/٣.

على الله في الجانب القلبي ممدًّا للداعية بقوة معنوية عظيمة، تضاعف القوة المادية أضعافا كثيرة، حتى أن الداعية المتوكل على الله يسبق عددا كثيرا من أمثاله من السببيين الذين ليس لهم مثل توكله، وقد تزيد أسبابهم المادية على أسبابه، حتى يغلب عشرون مؤمنون صابرون متوكلون مائتين من الكافرين بإذن الله[1].

٣- حسن الظن بالله تعالى والثقة بنصره:

وهو من ثمار صدق التوكل على الله، فمهما طال الزمن، وعظمت المصائب، فإن ثقة الداعية بالله وبوعده الذي لا يتخلف، تبعث همته، وتقوي نشاطه، وتنبهه إلى انتهاز كل فرصة مناسبة للدعوة مدفوعا بقوة مردها إلى الطمأنينة إلى الحق، وحسن الظن بالله تعالى، فلا بد من يوم يتغلب فيه الحق على الباطل، فدولة الباطل مؤقتة مضمحلة لا ثبات لها، والنصر والغلبة لأنصار الحق ما داموا معتصمين به[2].

وأقرب مثال على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، فلم يثن عزمهم عن الدعوة يوما عناد أهل مكة، ومحاربتهم لهم، بل استمسكوا بالحق وصبروا على الأذى، وتحملوا الكثير في سبيل الدعوة، مع رضاهم التام بحكم الله تعالى ويقينهم بنصره، فكان لهم في نهاية الأمر الظفر والنصر، وتحقق موعود الله تعالى لهم ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[3].

فصدق وعد الله وكان صلح الحديبية فتحا مؤديا إلى ظهور الدين وغلبته على الكفار بفتح مكة.

إن تنشئة الإيمان القوي في نفس الداعية يستلزم منه سلوك طريق واحد، وهو الإيمان بالله وحده ربا وإلها، وتطهير قلبه من شوائب الشرك، فيكون في عبادة مخلصة صادقة،

---

[1] بتصرف، بصائر للمسلم المعاصر ص ١٥٤.

[2] بتصرف، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ص ١٠٣.

[3] سورة الفتح الآيتان ٢٧-٢٨.

كما يستلزم تعلقا خالصا به تعالى، وتفويضا وتوكلا صادقا عليه، ولتقوية هذه الصلة طريقان:

١- طريق الفهم والتفكر بدراسة القرآن الكريم والسنة المطهرة وتدبرهما، وهذا الطريق الفكري لا يؤتي ثماره إلا حين يستند ويعتضد بالطريق الآخر وهو :

٢- طريق العمل والعبادة، وهو الطاعة المخلصة لله والعمل بكل ما أمر به، والتعبد له تعالى بكل ما يحب من أنواع العبادات[١].

وهذا النبي صلى الله عليه وسلم لا ينفك عن التقرب لله تعالى بما يحب، فتراه تاليا القرآن متخشعا لله تعالى حتى وهو في أوج قمة النصر، فيتلو سورة الفتح شاكرا لله تعالى، ويتمثل العبودية التامة له، ويستمد منه العون والتأييد فيصلي ثمان ركعات حمدا له وشكرا.

الصفة الثانية: الاعتدال في عقيدة الولاء والبراء، بلا غلو ولا تقصير:

من الصفات المهمة للداعية تحقق عقيدة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراءة من الكفر والكافرين، وكل ذلك بالعدل، فلا يفرط في منح ولائه لمن لا يستحقه، أو يوالي المسلمين حتى مع الظلم والجور، ولا يتهاون في تبرؤه من الكفار أو يغلو في ذلك، بل يعتدل ويتوسط، وأساس ذلك العدل، كما قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٢]، فالعدل حتى مع الأعداء، والبعد عن ظلمهم هو أقرب لتقوى الله تعالى.

والإفراط في البراء يكون بإيقاع الجور والظلم على المخالفين، وذلك يتنافى مع أخلاق الداعية، الذي يبذل البر والإحسان لأهله المستحقين له، ويخالق الناس بخلق حسن، إتباعا لقوله تعالى﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ

---

[١] بتصرف، تذكرة دعاة الإسلام: أبو الأعلى المودودي ص ٦٧- ٧٤، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط:٢، ١٣٩٥هـ.

[٢] سورة المائدة آية ٨.

وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1]، منعا لوقوع هذا الإفراط في العداوة للمسالمين من الكافرين.

في ذات الوقت الذي يأمر فيه تعالى بعدم التجاوز والتسامح على من حارب المسلمين منهم، ومنح الولاء لهم﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2]، بل يحصره في قوله تعالى﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾[3]، وينهى عن بذله للكفار، كما في قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ... ﴾[4].

ويتضح المقصود بالوسطية بين الإفراط والتفريط في مسألة الولاء والبراء، بعقد مقارنات بين بعض مواقف المؤمنين: كموقف حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه[5] وموقف العباس رضي الله عنه[6]، إذ أن هدف كل من الصحابيين الجليلين إيصال خبر الغزو إلى قريش قبل أن يقع فعلا، ولكن عند النظر إلى ملابسات الموضوع وما فعله كل منهما، يتبين الفرق:

---

[1] سورة الممتحنة آية ٨.

[2] سورة الممتحنة آية ٩. قال أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني:(إن هذا كله في الحب الذي هو في القلب، والمخالصة لأجل الدين، وذلك للمؤمنين المتقين بالإجماع، وللمسلمين الموحدين، إذا كان لأجل إسلامهم وتوحيدهم... وأما المُخالَقة، والمنافعة، وبذل المعروف، وكظم الغيظ، وحسن الخلق، وإكرام الضيف، ونحو ذلك فيستحب بذله لجميع الخلق، إلا ما كان يقتضي مفسدة، كالذلة، فلا يبذل للعدو في حال الحرب، كما أشارت إليه الآية﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ ، وأما التقية، فتجوز للخائف من الظالمين القادرين، وأما الفرق بين ما يجوز من المنافعة والمداهنة، وما لا يجوز من الرياء، فما كان من بذل المال والمنافع فهو جائز، وهو المنافعة، وربما عُبر عنه بالمداهنة والمداراة والمخالقة، وما كان من أمر الدين فهو الرياء الحرام) باختصار، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، المسألة الثامنة (في الولاء والبراء) ص ٤٠٨، دار الكتب العلمية بيروت ط: بدون.

[3] سورة المائدة آية ٥٥.

[4] سورة الممتحنة جزء من آية ١.

[5] في إرساله إلى قريش من يخبرهم بأمر الغزو، والجيش لم يزل في المدينة.

[6] في خروجه للبحث عمن يحمل نبأ الغزو إلى قريش، والمسلمون في مر الظهران.

فتصرف حاطب رضي الله عنه كان خطأ -وضعفا له مبرره- منه في ولائه للمسلمين، بكشف أسرارهم إلى عدوهم، في وقت هم أشد ما يحتاجون فيه إلى الكتمان والتغطية، وسبب إقدامه على هذه الفعلة- في ظنه رضي الله عنه -حماية الأهل والقرابة بمكة، والذين وصفهم الله تعالى بقوله﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1]، واستحق رضي الله عنه العتاب من الله تعالى بما فعل، إلى جانب وسام الشرف الذي ناله لصدق إيمانه وثبات عقيدته.

أما تصرف العباس رضي الله عنه فلا نكارة فيه، أو تفريط في ولائه للمسلمين، ولم يظهر منه نصرة الكفار وموالاتهم، فهو لم يتجاوز العدل، حين رغب لأهل مكة حقن الدماء والحصول على الأمان، في الوقت الذي لا مجال فيه للمقاومة وقد وصل الجيش إلى مشارف مكة، وانعدمت الحاجة إلى الكتمان، وانقضى الوقت الذي قد يتمكن أهل مكة فيه من الاستعداد وأخذ الأهبة للقتال، فنبي الله صلى الله عليه وسلم مصبحهم أو ممسيهم، ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بتصرفه ذلك وموافقا عليه، إذ أنه كان يركب بغلته البيضاء[2]، وقد أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره لأبي سفيان ولم يتهمه في شيء.

كما يتضح المقصود بالمقارنة بين موقف أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها، مع أبيها حين أثبتت تبرؤها من كل من حارب الله ورسوله والمؤمنين، حتى لو كان أقرب الأقربين، وموقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حين رفق بأبيه وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم -وهو شيخ كبير قد عمي لم يحارب- رغبة في إسلامه، ولم ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم حتى يأتيه.

وهكذا تعلو الصلة في الله تعالى فوق كل المعايير الأسرية والاجتماعية، وتبقى الرابطة الأساس هي الرابطة في الله، وهي العروة الوثقى مهما كان هناك من تعاطف وجداني بين الولد وأبيه، فإن العقيدة الإسلامية هي أسمى وشيجة، والإيمان هو أقوى آصرة[3].

---

[1] سورة الممتحنة آية ٣.

[2] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٢٠.

[3] بتصرف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص ٢٠٣.

كما يبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الولاء للأشخاص والجماعات، لا يجوز أن يكون بحال من الأحوال على حساب واجب العدل[1]، فلم يمنعه حبه لأسامة رضي الله عنه، وما بذله من شفاعة، من إقامة الحد على المرأة السارقة، كما لم يمنعه ولاؤه ونصرته لقبيلة خزاعة من تأنيبها علنا وتوعدها بالقصاص، حين تجاوزت وقتلت رجلا بعد عموم الأمان[2].

كذلك تقديم الولاء والطاعة لمن أمر الله بطاعته، لا بد أن يكون بالحق، وأن يلاحظ فيه الموافقة لطاعة الله ورسوله، وعدم مخالفة أوامر الله تعالى، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[3].

ومثال ذلك مخالفة الصحابة لأوامر خالد بن الوليد رضي الله عنه ، حين أمرهم بقتل أسراهم من بني جذيمة –وقد ظهر لهم من الحق ما خفي عليه–، فقال له ابن عمر رضي الله عنهما: (والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره)، فلم يمنعهم ولاؤهم لأميرهم ووجوب طاعتهم له، من الاعتراض وإعلان العصيان لأمره، لَمَّا خالف أمر الله تعالى[4].

وفي ذات الوقت حين أمرهم المعصوم عليه الصلاة والسلام بالنفير لجهاد أهليهم في عقر دارهم، لبُّوا نداءه وأطاعوه.

إن وسطية الدعاة إلى الله في عقيدة الولاء والبراء تظهر في منحهم الولاء لعامة المؤمنين المعتصمين بالكتاب والسنة، السائرين على طريق الحق، مهما اختلفت انتماءاتهم المذهبية أو تنوعت أقطارهم ولهجاتهم، فإن الغلو في الولاء مع العمى الحزبي– التعصب الحزبي– أو المذهبي، يدفع صاحبه للقيام بأعمال تهدف إلى تحطيم غير المنتمين إلى هذا الشخص أو الحزب أو المذهب أو المدرسة الدعوية التي ينتمي إليها،

---

[1] بتصرف، بصائر للمسلم المعاصر ص ٢٩١.

[2] بتصرف، حكم وأحكام من السيرة النبوية ص ١٦٨.

[3] بتصرف، بصائر للمسلم المعاصر ص ٢٨٣.

[4] ومثال آخر: هو ما رواه الإمام البخاري في صحيحه بشأن السرية التي أمرهم أميرها أن يجمعوا حطبا ثم يوقدوه نارا، فأطاعوا، ثم أمرهم أن يدخلوا فيها، فهمُّوا وجعل بعضهم يمسك بعضا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه أمرهم:((لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف))، كتاب المغازي باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي .. ويقال أنها سرية الأنصار ١٠٧/٥.

ومحاولة إلصاق العيوب والنقائص بهم، وتعويق أعمالهم، وإيقاف نشاطهم، ونشر قبائحهم واتهامهم بين الناس، وتحقير أعمالهم[1].

وقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بجمع المسلمين على قلب رجل واحد، ونبذ ما من شأنه أن يحدث الفرقة والخلاف بينهم، فمنع التعصب واستحداث الأحلاف التي تخالف الإسلام ، وبين أن الأصل أن تكون أخوة في الدين والتعاون على الخير والهدى والبر والتقوى[2].

الصفة الثالثة: علو الهمة وقوة العزيمة:

كان وراء المعاناة القاسية المديدة التي لقيها المسلمون من المشركين، والمعاداة التي كانت بينهم وبين آباءهم وإخوانهم، همم عالية وعزائم قوية ملأت قلوب الصحابة، وشكلت لهم حافزا قويا للصبر في الله، وتقديم أرواحهم رخيصة في سبيله، لنشر الإسلام بين سكان المعمورة، يوم قاموا معلنين المفاصلة الكاملة والمنابذة لكل القيم الجاهلية ومصالحها، ويوم ألبسهم الإسلام ثوب التقوى، فكانوا أعلى الأمم همة، وأقواهم عزيمة، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله، فأقاموا أعمدة الإسلام بسيوفهم، ودعوا إلى الله في سلمهم وحربهم حتى اتسعت رقعة الإسلام، وطبقت الأرض شرائع الإيمان[3].

وقد روى الإمام مسلم رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم :((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير[4]، احرص على ما ينفعك، واستعن

---

[1] بتصرف، بصائر للمسلم المعاصر ص ٢٩٣.

[2] وهذه الفرقة من البلايا الشديدة التي استشرت بين المسلمين في معظم أنحاء العالم الإسلامي، وامتدت سمومها حتى وصلت إلى الجماعات الإسلامية المقيمة في دول العالم الغربي، رغم حاجتهم الشديدة للتكاتف والاتفاق للمحافظة على الهوية الإسلامية وعدم الانصهار في المجتمع الغربي الكافر، فقد لمست بنفسي أثناء إقامتي في كندا برفقة زوجي، ففي البلد الواحد تقام عدة جمعيات إسلامية، تتبنى كل منها مذهبها الخاص بها وتتعصب له، والكل يزعم أنه الأمثل، ويقع من جراء ذلك التشهير ببعضهم البعض، واختلافهم في أبسط الأمور التي يفترض تجمع المسلمين عليها، كتحديد يوم الصوم، ويوم صلاة العيد، ويستجيرون بالله من هذه السموم الوافدة والمصدرة إليهم من العالم الإسلامي، ولا شك أن لهذا أثرا كبيرا في التفرقة بين المسلمين، وإضعافا لقوتهم ودعوتهم أمام أهل الكفر، والله المستعان.

[3] بتصرف، علو الهمة محمد أحمد إسماعيل المقدم ص ١٣٩، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع الرياض، ط:١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

[4] يعني أن الخير في كل من القوي والضعيف، لاشتراكهما في الإيمان، مع ما يأتي به الضعيف من العبادات. بتصرف، صحيح مسلم على شرح النووي ٢١٥/١٦.

بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو إني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قَدَر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان))[1].

قال الإمام النووي رحمه الله: المراد بالقوة هنا: عزيمة النفس في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد، وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم وسائر العبادات، وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها[2].

وهذه من أعظم صفات الدعاة المؤثرة في الثبات على طريق الدعوة، فالداعية المسلم أحرى بأن يكون قوي العزيمة، حريص على الطاعة، مستعين بالله، مبتعد عن العجز والكسل، فإن تحققت أهدافه التي ينشدها، فهذه منة من الله، وإن غلبته الأمور وتعسرت عليه- بعد أخذه بالأسباب الملائمة- كان منه حينئذ التسليم لقضاء الله والرضا به، وعدم اليأس والقنوط مما فاته، أو البحث والتنقيب عن حجج يعلق عليها أخطاءه، لأن ذلك طريق للشيطان، يؤدي إلى ضعف العزيمة وانحطاط الهمة.

وقد أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يستعيذ بربه من أسباب الضعف والعجز، فيقول:((اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات))[3].

ومما يدل على أهمية الهمة العلية والعزيمة القوية للدعاة إلى الله ما يلي:

١] أن الناس جميعهم مؤمنهم وكافرهم، لا بد لهم من مراد يقصونه، ويتوجهون إليه، فمنهم من يطلب الأدنى من الأمور، ومنهم بعيد الهمة من لا يرضى بما دون الجنة،

---

[1] كتاب القدر باب في الأمر بالقوة، وترك العجز والاستعانة بالله، وتفويض المقادير إليه ٢٠٥٢/٤ ح ٢٦٦٤، وسنن ابن ماجه كتاب الزهد باب التوكل واليقين ١٣٩٥/٢ ح ٤١٦٨، ومسند الإمام أحمد ٣٦٦/٢ عن أبي هريرة.

[2] بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٥/١٦.

[3] صحيح البخاري كتاب الدعوات باب التعوذ من فتنة المحيا والممات ١٥٩/٧.

ونفس الداعية إلى الله لا بد أن تكون سامية في طلب مرادها، تطلب الأكمل والأفضل[1]، فيكون همه رضا الله تعالى والفوز بالجنة.

ومن كانت هذه حاله، زهد في الدنيا وشهواتها، واستصغر ما دون النهاية من معالي الأمور، وترفع عن الدنايا، وتوجه لإصلاح نفسه أولا، وانتقلت صفته هذه إلى نفوس سامعيه[2]، ولا يقر له قرار حتى ينال مراده، ويجد في طلبه حتى ينال بغيته، ويتجاوز العقبات حتى يحقق هدفه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم طيلة سنوات دعوته، حاملا سلاحه، مجاهدا في سبيل الله، مجتهدا في العبادة، حتى آخر أيام حياته.

٢]كي يصل الداعية إلى أعلى الهمم وأقوى العزائم لا بد من أن يأخذ نفسه بالمجاهدة والصبر على ذلك، فالدعوة تحتاج إلى جهاد دائم وصبر لتمحص المسلم وتجرده من الهوى والشهوة، فالصبر جهاد، والجهاد فريضة، والصبر واحد من ألوان هذا الجهاد[3].

وقد جعل الله تعالى الإمامة وهداية الناس جزاء للصبر على مشاق الطاعات، ومقاساة الشدائد في نصرة الدين[4]، كما قال تعالى﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[5]، والجهاد طريق الهداية كما قال تعالى﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[6].

٣] أن الهمة العالية والعزيمة القوية لها أثر واضح في سلوك الداعية، ومن ذلك:

- الجرأة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دون خوف أو مجاملة لأحد.
- حب الجهاد والمسارعة في الخروج إليه، والجرأة والإقدام على العدو.
- الصبر على الأذى واحتمال المشاق في ذات الله.

---

[1] بتصرف، مقاصد المكلفين ص ٣٦٥.

[2] بتصرف، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ص ١٠٨.

[3] بتصرف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص ٢٦٦.

[4] بتصرف، تفسير أبو السعود ٨٧/٧.

[5] سورة السجدة آية ٢٤.

[6] سورة العنكبوت آية ٦٩.

- المحافظة على الشعائر التعبدية، وقوة الصلة بالله[1].

فعلى الداعية أن يكون وثيق العزم، مجتمع النية، على إدراك هدفه بالوسائل الصحيحة التي تقربه منه، باذلا قصارى جهده لبلوغ مأربه، وتلك طبيعة الإيمان إذا تغلغل واستمكن، فإنه يضفي على صاحبه قوة تنطبع في سلوكه كله[2]، والداعية إذا أوتي الصبر وقوة العزم رسخت قدمه في طريق الدعوة، واستطاع التأثير على غيره بصورة قوية.

وأما إذا خارت عزيمته وفقد الصبر والثبات، تخلى عن منهجه ودعوته لأي عارض كان، فالاستقامة على طريق الدعوة، لها تكاليف وتحتاج إلى إرادة حازمة، تقود صاحبها للتخلي عن داعي شهواته والالتزام بما يأمره الله به، وذلك يشق على أصحاب الإرادات الضعيفة، والشخصيات المهزوزة، ومثل هذا النوع- أي ضعيف الشخصية- يكون غالبا منحط الهمة، سرعان ما يسيطر عليه غيره، ويوجهه، وربما استغل البعض هذا الجانب لديه ليحقق من خلاله مصالحه وأهواءه الشخصية[3].

ثانيا : الصفات العلمية والمعرفية:

١- الحرص على طلب العلم والتفقه في دين الله:

هناك ارتباط إيجابي بين رصيد الداعية من العلم والمعرفة، وبين فعاليته في الدعوة الإسلامية، فالعلم نور للمؤمن، يستضيء به، ويعرف كيف يعبد ربه، وكيف يعامل عباده، يدعوه إلى أسباب الخير، ويصرفه عن أسباب الشر، ويرفعه إلى أعلى الدرجات الرفيعة، في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ... ﴾[4]، فهو إرث الأنبياء من أخذه أخذ بحظ وافر[5]، كما أن الداعية العالم، نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم[1].

---

[1] بتصرف، توجيهات نبوية على الطريق: د. السيد محمد نوح ص ٨- ٩، دار اليقين للنشر والتوزيع مصر، ط:١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

[2] بتصرف، خلق المسلم: الشيخ محمد الغزالي ص ١٠٧- ١٠٩.

[3] بتصرف، الحور بعد الكور: محمد بن عبد الله الدويش ص ٤٥، دار الوطن الرياض ط:١، ١٤١٦هـ.

[4] سورة المجادلة جزء من آية١١.

[5] كما في الحديث:((وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر))، سنن أبي داود كتاب العلم باب الحث على طلب العلم ٣١٧/٣ ح ٣٦٤١، وسنن الترمذي كتاب العلم باب ما

وبركة العلم في ذات الداعية تظهر من جانبين:

الجانب الأول:

استفادته بهذا العلم في تصحيح عقيدته وعبادته لله تعالى، فكلما زاد علم الداعية زاد عمله، لأنه إذا عرف الأوامر ما يترتب عليها من الأجر والثواب، كان أحرص الناس عليها، وإذا عرف المنهيات كان أبعد الناس عنها، ونأى بنفسه عن طريق الجاهلين.

والعلم ليس بمقدار ما يحفظه الإنسان من المسائل، بل ما وعاه عقله وتيقنه قلبه وظهر أثره على سلوكه، قال الحسن البصري [٢]رحمه الله: (العلم علمان: علم في القلب وعلم على اللسان، فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان هو حجة الله على عباده)[٣].

فهذه صفة ضرورية في الداعية، أن يكون عالما عاملا معلما، ليصدق فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن استفاد من الهدى العلم: ((كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير))[٤].

جاء في فضل الفقه على العبادة ٤٨/٥ ح ٢٦٨٢، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣٤٢/٢ ح ٢١٥٩، وذكره البخاري في ترجمة باب العلم قبل القول والعمل، ولم يرويه ٢٥/١.

[١]انظر كتاب العلم: الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ١٦- ٢٠، دار الثريا للنشر الرياض، ط:٢، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، وللاستفادة انظر وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق من ص ٣٢٩- ٣٤١.

[٢] هو الحسن بن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، كان أبوه من سبي ميسان، فسكن المدينة وأعتق وتزوج بها ، فولد له الحسن في خلافة عمر رضي الله عنه ، ونشأ في كنف علي بن أبي طالب، كان إمام أهل البصرة، سيد أهل زمانه علما وعملا وفصاحة، وكان عظيم الهيبة، توفي بالبصرة سنة ١١٠، وصلوا عليه عقب الجمعة وشيعه خلق كثير حتى أنه لم تقم صلاة العصر في الجامع. بتصرف، الطبقات الكبرى ١٥٦/٧، وسير أعلام النبلاء ٥٦٣/٤، والأعلام ٢٢٦/٢.

[٣] الفتاوى: ابن تيمية ٣٠٤/١٨.

[٤] والحديث بتمامه:((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)). صحيح البخاري كتاب العلم باب فضل من علم وعلَّم ٢٨/١، وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب بيان ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم ١٧٨٧/٤ ح ٢٢٨٢.

وقد أثر عن علي رضي الله عنه قوله:(القلوب أوعية، خيرها أوعاها، الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم... الخ)، وعلق الخطيب البغدادي رحمه الله على قوله: أن الإنسان لا يخلو من أحد الأقسام الثلاثة، إما عالم، أو متعلم، أو مغفل للعلم[1].

الجانب الثاني:

أن الداعية حامل ومبلغ للقرآن والسنة، فكيف يتصور منه تبيين الحلال والحرام للناس، أو التمييز بين المعروف والمنكر، إذا كان جاهلا لمبادئ الإسلام وأصوله وتشريعاته؟ فمن الضروري أن يكون على بصيرة وبينة فيما يدعو إليه، ليستحق أن ينال شرف الدعوة.

واستبانة الحلال من الحرام، والخير من الشر، ومعرفة الواجبات والسنن والعقائد والأحكام ، هي المنارات الهادية على طريق الدعوة والداعية، وكلها تحتاج إلى علم وفقه في الدين[2]، والداعية الجاهل ضال مضل، وضره أقرب من نفعه، وما يفسده أكثر مما يصلحه.

وقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بتزويد أصحابه بالعلم النافع، فباشر تعليمهم بنفسه، وذلك عن طريق خطبه التي بين فيها بعض شرائع الإسلام، أو أمر أصحابه بكتابتها لمن سأله ذلك.

وكذلك بالتطبيق العملي لبعض شرائع الإسلام، أمام أهل مكة، كطوافه بالبيت وهو راكب، فعن صفية بنت شيبة[3] رضي الله عنها قالت: (لما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح، طاف على بعيره، يستلم الركن بمحجن في يده. قالت: وأنا أنظر إليه)[4]، وصلاته في المسجد الحرام[1]، وصلاته الضحى أمام أم هانئ رضي الله عنها[2].

---

[1] بتصرف، الفقيه والمتفقه ص ٥٠- ٥٢، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط:٢، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

[2] بتصرف، الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية ص ١٦، وانظر مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة ص ١٦.

[3] هي صفية بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة القرشية العبدرية المكية، قيل لها رؤية، عاشت إلى دولة الوليد بن عبد الملك. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٥٠٧/٣، والإصابة ٣٤٨/٤.

[4] سبق تخريج الحديث ص ١٢٧، ورواه أبو داود في سننه كتاب المناسك باب الطواف الواجب ١٧٦/٢ ح ١٨٧٧،

كذلك اختياره رجلا من أكثر أصحابه علما، وهو معاذ بن جبل رضي الله عنه معلما لأهل مكة، ومما يدل على سعة علمه تكرر أحاديث كثيرة في تزويده صلى الله عليه وسلم له بالعلم[٣]، وتوجيهه له إلى فقه الدعوة[٤]، وامتحانه في بعض المسائل الفقهية[٥]، وذلك مما يدل على ضرورة استجماع الداعية ثروة طائلة من نصوص الكتاب والسنة والفقه بذلك، ليكون رصيدا عنده لأي داء وافد أو مرض عارض[٦].

كما اهتم بتعليم أبي محذورة رضي الله عنه الأذان، ثم أعاده عليه ليتأكد من إتقانه له وحفظه قبل تعيينه مؤذنا في بيت الله الحرام[٧].

وحث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على تبليغ العلم، فقال:((نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها عني، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه))[٨]، فاشترط صلى الله عليه وسلم أن يعي الناقل كلامه، و لم يشترط تفقهه فيه، لاختلاف مستوى الأفهام بين الناس، فمسؤلية سماع العلم – بعد تطبيقه– نشره بين الناس.

وقال كذلك بعد خطبته يوم الفتح: ((وليبلغ الشاهد الغائب))، فاستجاب له بعض الصحابة كأبي شاه رضي الله عنه ، الذي استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في

وسنن ابن ماجة كتاب المناسك باب من استلم الركن بمحجنه ٩٧٢/١ ح ٢٩٤٧، وقال محقق جامع الأصول: إسناده حسن ١٩٣/٣، كما أورده الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجة ١٦٠/٢ ح ٢٣٨٤.

(١) سبق تخريج الحديث ص ٢٥٣.

(٢) سبق تخريج الحديث ص ١٣٩.

(٣)على سبيل المثال انظر ما روي في مسند الإمام أحمد ٢٢٧/٥-٢٤٨.

(٤) كما في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن بعثه رضي الله عنه لليمن، كتاب الزكاة باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء ١٣٦/٢.

(٥)كسؤاله له صلى الله عليه وسلم : كيف تصنع إن عرض لك قضاء ..انظر الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٣٠/٤.

(٦) بتصرف، مع الله ص ١٩٥.

(٧) سبق تخريجه ص ٣٦٧.

(٨) رواه ابن ماجه في المقدمة باب من بلغ علما ٨٦/١ ح ٢٣٦، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٤٥/١-٤٦ ح ٢٣٦ .

كتابتها ليحملها لمن وراءه من قومه، فأذن له، كما قام والد عمرو بن سلمة رضي الله عنه بدعوة قومه إلى الإسلام، وعلَّمهم ما علمه إياه الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي المثالين الماضيين إزالة للشبهة التي قد تعترض طريق الدعوة، فيمتنع المسلم من القيام بالدعوة، ويحتج بأنه لم يحصل العلم الغزير الذي يمكنه من التصدي لذلك، وفي هذا تعطيل للدعوة، فالشروع في أمر الدعوة لا يتوقف على قدر معين من العلم، ومن فتح الله عليه بابا من العلم، فعليه أن يبلغه ويصدع به بالشكل المناسب، إلى جانب حرصه على الاستزادة من العلم دائما ليضيء له الطريق، والمعرفة والعلم وحدهما، لا تصنع من صاحبها داعية قط، - كما لم ينفع بني إسرائيل حفظهم لكتابتهم وتلاوتهم له- لكنهما شرط لازم لا بد منه[1].

ومما لا شك فيه أن الداعية المزود بسلاح العلم لا يستوي أثره على الدعوة- مع احتياج الناس إلى علمه- مع من قصر في ذلك وقلت بضاعته من العلم، شتان بينهما، وقد قال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ..... ﴾[2]، ومن أجَّل العلوم العلم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فكتاب الله هو الذي رفع مكانة عمرو بن سلمة رضي الله عنه بين قومه، فكان إمامهم بما حفظ من القرآن[3].

كما أن علم ابن عباس رضي الله عنهما بتفسير القرآن هو الذي دفع عمر رضي الله عنه إلى رفع مكانته، وتقديره حين سأله عن تفسير سورة النصر، فوافق علم عمر رضي الله عنها[4].

وقد تنبه لذلك فقيه الأمة، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فحرص على طلب العلم والاستزادة منه، خاصة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم التحق بالرفيق الأعلى وهو شاب، لم ينهل من هديه وعلمه الكثير ، فقال لشاب من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنتعلم منهم فإنهم كثير، فقال له: العجب لك

---

[1] بتصرف، من صفات الداعية محمد الصباغ ص ٢٢، الكتب الإسلامي بيروت ط:٢، ١٣٩١هـ.

[2] سورة الزمر جزء من آية ٩.

[3] سبق تخريجه ص ١٦٥ و ص ٢٥٦.

[4] سبق تخريجه ص ١٨٦.

يابن عباس، أترى الناس يحتاجون إليك وفي الأرض من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلم تهن عزيمته وانطلق يطلب العلم من أصفى موارده بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: فتركت ذلك وأقبلت على المسألة وتتبع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكان صاحبه بعد ذلك يراه، وقد ذهب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، واحتاج الناس إليه، فيقول له: كنت أعقل مني[1].

ولئلا يزهد الدعاة في طلب العلم، لكثرة العلماء، أو استغناء الناس يقول ابن مسعود رضي الله عنه:(عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه أو إلى ما عنده)[2].

ثالثا: الصفات الأخلاقية:

١ـ التحلي بفضائل الأخلاق واجتناب رذائلها:

الخلق الحسن من أجمل ما يتحلى به الداعية، وهو أقصر طريق لقلوب الناس، وقد وصف الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(وأما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ، فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقا... وحقيقته المبادرة إلى امتثال ما يحبه الله تعالى، بطيب نفس وانشراح صدر)[4].

وموضوع حسن الخلق واسع جدا، تعددت فيه الأقوال: قال عبد الله بن المبارك[5] رحمه الله في وصفه: (هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى)[6].

---

[1] بتصرف، جامع بين العلم وفضله ٨٥/١، و للاستفادة ما ذكره الإمام السيوطي في فضل ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما وعلمه، الإتقان ٢٤٠/٢- ٢٤١.

[2] جامع بيان العلم وفضله ٨٧/١.

[3] سورة القلم آية ٤.

[4] الفتاوى: ابن تيمية ١٠/ ٦٥٨.

[5] هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي- بالولاء- التميمي المروزي، الحافظ شيخ الإسلام، ولد سنة ١١٨هـ في خراسان، وطلب العم وعمره ٢٠ سنة، صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره في الأسفار حاجا ومجاهدا وتاجرا، كان جامعا للعلم، توفي رحمه الله سنة ١٨١هـ ، منصرفه من غزو الروم. بتصرف، حلية الأولياء ١٦٢/٨، وسير أعلام النبلاء ٣٧٨/٨، و الأعلام ١١٥/٤.

[6] رواه عنه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق ٣٦٣/٤ ح ٢٠٠٥.

وقال ابن تيمية رحمه الله : جماع الخلق الحسن مع الناس، أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام، وتعطي من حرمك التعليم والمنفعة والمال، وتعفو عمن ظلمك في دم أو مال أو عرض[1].

وقال ابن القيم رحمه الله:(حسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر والعفة والشجاعة والعدل)[2].

وقد جُمع حسن الخلق في قوله تعالى ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[3].[4]

وما سبق ذكره هو أخلاق حسنة متفرعة ولعل التعريف الجامع له: أنه (ملكة بالنفس يقتدر بها على صدور الأفعال الجميلة بسهولة)[5]، وتظهر آثار الخلق الحسن على سلوك الداعية وتصرفاته، فإن السلوك هو المظهر الخارجي للخلق، فإذا كان السلوك حسنا، دل على خلق حسن، وإذا كان السلوك سيئا دل على خلق قبيح[6].

والخلق الحسن من العوامل المهمة في جذب الناس إلى الداعية وتأثرهم به وقبولهم لدعوته- إضافة إلى أجره في الآخرة- ، فالناس مفطورون على محبة الفضائل والانجذاب إليها، والنفور من القبائح والابتعاد عنها، والدعية إلى الله أحوج ما يكون إلى التخلق والاتصاف بالأمور المحببة إلى قلوب الناس، فضلا عن أنها من واجبات المسلم.

---

[1] بتصرف، الفتاوى: ابن تيمية ٦٥٨/١٠.

[2] مدارج السالكين ٣٠٨/٢.

[3] سورة الأعراف جزء من آية ١٩٩.

[4] انظر الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٧٤، مكتبة المعارف الرياض، ط:٣، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

[5] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي ٧٦/٣، دار الفكر بيروت ط: بدون ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

[6] بتصرف، مقدمة في علم الأخلاق ص ٣٤.

قال أبو حاتم البستي رحمه الله[1]:(الواجب على العاقل أن يتحبب إلى الناس بلزوم حسن الخلق، لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل)[2].

والناس إذا لاحظوا من الداعية سوءا في أخلاقه تبرموا منه، ونفروا من دعوته، خوفا من تضررهم بأخلاقه السيئة، وقد يميلون إلى تفضيل أهل الفسق والضلال ومجالستهم، إذا آنسوا منهم حسنا في الخلق ورفقا في المعاملة، وفي ذلك يقول الفضيل بن عياض[3] رحمه الله: (إذا خالطت فخالط حسن الخلق، فإنه لا يدعو إلا إلى خير، وصاحبه منه في راحة، ولا تخالط سيء الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر، وصاحبه منه في عناء، ولأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني قارئ سيء الخلق، إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه، وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس ومقتوه)[4].

وحسن الخلق يبذل حتى مع الأعداء، فإنه يقلب البغض حبا، ويبدل العداوة بالولاية الحميمة، وقد قال تعالى﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[5]، والداعية إذا حسنت أخلاقه كثُر مُصافوه، وقل مُعادوه، فتسهَّلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب[6].

---

[1] هو محمد بن حِبَّان بن أحمد التميمي البُستي، يقال له ابن حِبان، وهو صاحب الصحيح، حافظ علامة مؤرخ ، ولد سنة بضع وسبعين ومائتين، وتنقل في الأقطار، كان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ، من المكثرين في التصنيف، تولى قضاء سمرقند مدة، توفي سنة ٣٥٤هـ رحمه الله. بتصرف، تذكرة الحفاظ ٩٢٠/٣، وسير أعلام النبلاء ٩٢/١٦.

[2] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: أبو حاتم البستي ص ٦٤، شرح وتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

[3] هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي، شيخ الحرم المكي، من أكابر العلماء والعباد الصلحاء، ولد في سمرقند سنة ١٠٥هـ، وكان ثقة في الحديث أخذ عنه خلق كثير منهم الإمام الشافعي، سكن مكة وتوفي بها رحمه الله سنة ١٨٧هـ. بتصرف، حلية الأولياء ٨٤/٨، و الأعلام ١٥٣/٥.

[4] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٦٤.

[5] سورة فصلت آية ٣٤.

[6] بتصرف، أدب الدنيا والدين ص ٢٣٧. وللاستفادة انظر الدعوة إلى الإسلام: الشيخ محمد أبو زهرة من ص ٧٧- ٨١.

وقد كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته بصفة عامة مدرسة تربوية خلقية سلوكية، حتى الأنماط السلوكية التي لا تظهر فيها أول الأمر أسس المفاهيم الأخلاقية، كانت في حياته صلى الله عليه وسلم موصولة بأسس هذه المفاهيم، وكان لها صفة الظواهر الناتجة عن أخلاق راسخة في النفس[1]، فما من موقف أو قول إلا ويحمل بين ثناياه صفة أخلاقية تحلى بها صلى الله عليه وسلم[2]، ولا توجد كذلك صفة أخلاقية حميدة، إلى وكان له الكمال البشري فيها، وهو أكمل الناس خلقا ودينا.

والمتأمل في فتح مكة، يستلهم الأخلاق الحميدة العديدة، ومن شواهد ذلك:

– مقابلته لمسلمة الفتح بطلاقة الوجه وطيب الكلام، فأوحى لهم بالبشر والخير ودخلوا في الإسلام طائعين، كملاقاته لعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية رضي الله عنهما.

– وترى منه صلى الله عليه وسلم الحلم في تصرفه مع حاطب رضي الله عنه ، وفي تجاوزه عمن حاول الغدر به من مسلمة الفتح من أهل مكة.

– وترى الوفاء بالعهد في نصرته ابتداء لبني خزاعة بعد الغدر بهم، ثم وفاءه لعثمان بن أبي طلحة وتسليمه مفاتيح الكعبة.

– ويظهر خلق العفو والصفح عن أهل مكة، والمن عليهم بإطلاقهم.

– ويظهر جوده وكرمه صلى الله عليه وسلم في إعطائه العطايا العظيمة تأليفا لقلوب مسلمة الفتح وغيرهم وترغيبا لهم في الإسلام.

– كما يعظم تواضعه حين تتأمل هيأته في دخوله مكة خاشعا لله، ثم ترى عفته وقناعته حين تعلم أنه نزل في خيمة أقيمت له و لم يأخذ دورا كانت يوما من الأيام ملكا له، وكذلك نصحه لحكيم بن حزام رضي الله عنه بالتعفف والتقلل من الدنيا.

– وترى الشجاعة والتضحية في توجهه إلى مكة دون تردد، ومشاركته بنفسه الكريمة في قيادة الجيش ، ولبسه عدة المحارب.

---

[1] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٤٣٦/١.

[2] كما سبق وذكر في مبحث الأخلاق ارتباطها وشمولها لأمور الحياة.

– وترى عدله وإنصافه حتى لو كان ذلك من نفسه أو أقرب الأقربين إليه ...إلى آخر الأخلاق الكريمة التي عرفتها منه قريش معرفة تامة، فوقعت محبته في قلوبهم، ودخلوا في دين الإسلام أفواجا.

ومن الصفات المهمة للداعية، الثبات على الأخلاق الإسلامية في كل حال، فلا يحيد عنها أو يميل إلى غيرها، لأنها حق، والثبات على الحق دين، إضافة إلى أن تنازل الداعية عن أي خلق من الأخلاق الكريمة، تحت ضغط الظروف أو تبعا للحالة النفسية له، خسارة لذاته، حين يفقد تقديره واحترامه بين الناس، وخسارة للدعوة التي يمثلها وينصب من نفسه وخلقه نموذجا لها، وخسارة له في الآخرة حين يضع نفسه في الموضع المخالف لأمر الله[1].

قال الإمام الماوردي رحمه الله عن الأسباب التي تؤثر في أخلاق الإنسان: وربما تغير حسن الخلق والوطاء إلى الشراسة والبذاء، لأسباب عارضة وأمور طارئة، تجعل اللين خشونة، والوطأة غلظة، والطلاقة عبوسة، ومن أسباب ذلك: الولاية أو العزل منها، ومنها تغير الحال الذي يحدث البطر كالغنى، أو عكسه كالفقر، فإنه مما يتغير به الخلق، ومنها الهموم والأمراض، أو التقدم في السن[2]، فهذه كلها أمور تسبب تغيرا في الأخلاق، وهي أمور عرضت للقدوة المثلى صلى الله عليه وسلم، فثبت على ما كان عليه من حسن الخلق، فلم يبطر بما فتح الله عليه أو يتكبر بل زاده تواضعا ورحمة وكرما.

ومما يزيد من أهمية الخلق الحسن عند الداعية، أنه قد لا يتمكن من الإحسان إلى الناس بنفسه أو بماله، لكثرة في الناس أو قلة في المال،–فهذا غير داخل في مقدور البشر– فإذا كان ذا خلق حسن ولين جانب، وطلاقة وجه، ونحو ذلك فإن ذلك مما يجلب التحاب بين الناس[3]، ولن يعدم حينئذ الوسيلة التي ينفذ بها إلى قلوب المدعوين، وقد قال صلى الله عليه وسلم :((إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق))[4].

---

[1] بتصرف، فقه الدعوة إلى الله ٨٩٨/٢

[2] بتصرف، أدب الدنيا والدين ص ٢٣٨– ٢٤٠.

[3] بتصرف، سبل السلام شرح بلوغ المرام ٤١٥/٤.

[4] بلوغ المرام من أدلة الأحكام: الحافظ ابن حجر العسقلاني ص ٢٨١ ح ١٣٢٦، وقال أخرجه أبو يعلى وصححه

٢- عمل الداعية بما يدعو إليه (مطابقة قوله فعله):

وهذا يندرج تحت صفة أخلاقية رفيعة وهي الصدق، وقد أفردها لأهميتها، ولأثرها العظيم في سلوك الداعية، واستجابة المدعو، وقد قال تعالى في ذم من يخالف قوله فعله﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[١]، وقال حكاية عن شعيب عليه السلام﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ .... ﴾[٢].

وقد قال ابن حزم[٣] رحمه الله:(فُرض على الناس تعلم الخير والعمل به، فمن جمع الأمرين فقد استوفى الفضيلتين معا، ومن علمه و لم يعمل به، فقد أحسن في التعليم وأساء في ترك العمل، فخلط عملا صالحا وآخر سيئا)[٤].

وذلك بأن يلتزم الداعية الصدق في قوله -وهذا أمر معروف-، ويلتزم الصدق في عمله، فلا يكذب فعلُه قوله، ولا يخالف ظاهره باطنه، بل- من الأفضل- أن لا يأمر بشيء ما لم يكن هو أول عامل به[٥]، لأنه قدوة في أعين الناس.

والقدوة الملتزمة بما تقول لها أثر أقوى في الإتباع، فهو عالم بالمبدأ الذي يدعو إليه، مؤمن به، حريص على نشره بين الناس، فلا يكاد يتخلف عمله عن علمه، إذ أن ما يعلمه الإنسان يصبح كالطبيعة المغروزة فيه، فيفعل ما يفعله بتأثير ذلك العلم الذي أصبح كالوصف الراسخ فيه.

الحاكم، تحقيق وتعليق : رضوان محمد رضوان، الناشر دار الكتاب العربي بيروت، ط: بدون ١٣٧٣هـ.

[١] سورة الصف الآيتان ٢- ٣.

[٢] سورة هود جزء من آية ٨٨.

[٣] هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، صاحب التصانيف، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، ونشأ في تنعم ورفاهية، كان صاحب ذكاء مفرط وذهن سيال، مهر في الأدب والشعر والمنطق والفلسفة ثم أعرض عن ذلك وأخذ في العلم الشرعي، تفقه في الشافعية ثم أخذ في المذهب الظاهر، كان فقيها مجتهدا جريئا في النقد، وقد امتحن لذلك، توفي رحمه الله سنة ٤٥٦هـ. بتصرف، سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٨، ومعجم المؤلفين ١٦/٧.

[٤] الأخلاق والسير في مداواة النفوس ص ٩٢.

[٥] بتصرف، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ص ٩٠، وانظر الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٤٣٩- ٤٤٠.

والناس يدركون العلم بالبصائر، ويدركون العمل بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر من أرباب البصائر، فإذا التزم بقوله حينئذ يكون فعله تصديقا لأقواله، ودعوته التي يدعو لها، وترسيخا لها في نفوس أتباعه، وعلى العكس من ذلك، من خالف قوله عمله، فإن ذلك يعد تكذيبا لقوله، وتنفيرا وصدًّا عن سماع كلامه والانتفاع به[1].

قال الإمام الشاطبي رحمه الله، في تبيين أن وقوع الفعل شاهد ومصدق وعاضد للقول: إن العالم إذا أخبر عن إيجاب عبادة ما، ثم فعلها ولم يخل بها في مقتضى ما قال فيها، قوي اعتقاد إيجابها، ونهض للعمل بها كل من سمعه يخبر عنها، ورآه يفعلها، وإذا أخبر عن تحريم فعل ما، ثم تركه فلم ير فاعلا له ولا حائما حوله، قوي عند متبعه ما أخبر به عنه، بخلاف ما إذا أخبر عن أيجابه ثم قعد عن فعله، أو أخبر عن تحريمه ثم فعله، فإن نفوس الأتباع لا تطمئن إلى ذلك القول منه، طمأنينتها إذا ائتمر وانتهى.[2]

ويكفيه وعيدا ما رواه الإمام البخاري رحمه الله، عن الرسول صلى الله عليه وسلم: ((يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيُلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان، ما شأنك؟ أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه!))[3].

وكان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه أول الناس عملا بما يدعو إليه، فكان داعيا إلى الخير والهدى بلسان حاله قبل لسان مقاله[4]، فحين تنزل عليه آيات سورة النصر تأمره بالحمد والاستغفار، يسارع إلى طاعة ربه، تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (ما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن أنزل عليه إذا جاء نصر الله والفتح، إلا

---

[1] بتصرف، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية ٦٤/١، وانظر الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية ص ٢٢.

[2] بتصرف، الموافقات في أصول الشريعة ٣١٥/٣.

[3] صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة ٩٠/٤.

[4] للاستفادة انظر الرسالة المحمدية: السيد سلمان الندوي من ص ١٧١- ١٨٠، مكتبة دار الفتح دمشق ط:٣، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

يقول : سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي)[1]، فهو أول الملتزمين بما يأمر به الله، وهو قدوة المسلمين في ذلك.

ومن شواهد صدقه عليه الصلاة والسلام، أنه لما عزم على إقامة الحد على المرأة التي سرقت، أخبر أنه- لو اقتضى الأمر- أول من يطبق شرائع الله وحدوده على نفسه وأهله[2].

و أعلن أن جوار المسلم مجاز، وأن المسلمين (يسعى بذمتهم أدناهم)[3]، ثم يصدق ذلك بقبول جوار أم هانئ رضي الله عنها، و لم يمنعه كونها امرأة وأنها أجارت أعداءه الألداء.

ويعلم المسلمون مسارعته صلى الله عليه وسلم إلى الاستجابة لأوامر الله تعالى، حين يرونه يحثهم على العفو إتباعا لقوله تعالى﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[4]، فيقول : ((نصبر ولا نعاقب))[5].

وعند نزول قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا .... ﴾[6]، يسبق إلى ذلك، فيعيد مفاتيح الكعبة لأصحابها وهو يقول: ((اليوم يوم بر ووفاء))[7].

وقد أثرت القدوة العملية السامية في جيل الصحابة، فكانوا ينظرون إلى فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فيرون أفعالا تطابق الأقوال، لا أفعالا مجردة من التطبيق العملي، فكانوا رضي الله عنهم يتحينون الفرص لأجل الإقتداء به، وكان من أحرصهم على التحري عن أفعاله وأدومهم عليها عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[8].

---

[1] صحيح البخاري كتاب التفسير باب سورة إذا جاء نصر الله ٩٣/٦.

[2] سبق تخريج الحديث ص ١٦٠.

[3] سبق تخريجه ص ١٤٣.

[4] سورة النحل آية ١٢٦.

[5] سبق تخريجه ص ١٢٨ و ص ٣٠٩.

[6] سورة النساء جزء من آية ٥٨.

[7] سبق تخريجه ص ١٣٤.

[8] بتصرف، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية ٧٤/١، وقد قيل في ترجمة ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يتبع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره وحاله، ويهتم بها حتى كان قد خيف على عقله من شدة اهتمامه بذلك، بتصرف، سير أعلام النبلاء ٢١٣/٣.

ومما يدل على ذلك في هذه الغزوة أنه لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة ومكث فيها، ثم خرج(استبق الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل، فوجد بلالا وراء الباب قائما، فسأله: أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه، قال ابن عمر: فنسيت أن أسأله كم صلى من سجدة)[1].

وقد قيل:

إذا العلم لم تعمل به كان حجة عليك و لم تعذر بما أنت جاهله

فإن كنت قد أوتيت علما فإنما يصدق قول المرء ما هو فاعله[2]

رابعا: الصفات النفسية:

أولا: الحكمة:

هي :(الإصابة في القول والعمل والاعتقاد، ووضع كل شيء موضعه بإحكام وإتقان)[3]، وهي هبة من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده، وفضل عظيم يمنحه لمن أراد، كما قال تعالى﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[4].

وكونها هبة من الله لا يمنع الداعية من أن يسلك طرق اكتسابها المتوافقة مع الكتاب والسنة، وأن يجاهد نفسه للتحلي بصفاتها، ليكون على بصيرة في دعوته.

ومن طرق اكتساب الحكمة: العلم النافع، والحلم والأناة والإخلاص والتقوى والصدق والصبر والمصابرة والسلوك الحكيم، والعمل بالعلم، والاستقامة وعلو الهمة، والاستخارة والاستشارة، والابتعاد عن الشبهات.. إلى غير ذلك من الصفات التي إذا

---

[1] صحيح البخاري كتاب المغازي باب دخول النبي صلى الله عليه وسلم من أعلى مكة ٥/٩٣.

[2] والأبيات لرجل اسمه سابق البربري، انظر جامع بيان العلم وفضله ٢/٧. وللاستزادة انظر المرجع نفسه ٢/ ٤ – ٢١، وأدب الدنيا والدين ص ٨٤، وهداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ص ٩٠، ومقومات الداعية الناجح ص ٣١٦.

[3] الحكمة في الدعوة إلى الله: سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص ٣٠، مطبعة سفير الرياض ط:١، ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م.

[4] سورة البقرة آية ٢٦٩.

تحلى بها الداعية المؤمن كان حكيما في أقواله وأفعاله وتصرفاته، وموافقا للصواب في جميع أموره بإذن الله[1].

ومن الصفات التي إذا تحلى بها الداعية أكسبته الحكمة، ما يلي:

١- التأني وعدم الاستعجال:

وقد قال الله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ .... ﴾[2]، فيأمره تعالى في هذه الآية بالصبر على أذى المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعيا لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين أولي العزائم والهمم العالية، الذين عظم صبرهم وتم يقينهم، ونهاه عن الاستعجال للمكذبين المستعجلين للعذاب أن يقع عليهم، فإن هذا من جهلهم وحمقهم، وألا يستخفنه جهلهم على أن يدعو الله عليهم.

فامتثل صلى الله عليه وسلم لأمر ربه، فصبر صبرا جميلا، حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة، وقاموا جميعا لصده عن الدعوة إلى الله، وفعلوا ما يمكنهم من المعاداة والمحاربة، وهو صلى الله عليه وسلم لم يزل صادعا بأمر الله، مقيما على جهاد أعداء الله، حتى مكن الله له في الأرض، وأظهر دينه على سائر الأديان، وأمته على سائر الأمم[3].

ففي الآية الكريمة أمر ونهي: أمر بركن من أركان الحكمة وهو الصبر والتأني، ونهي عن آفة من آفات الحكمة وخوارمها وهو الاستعجال، فالحكمة أقرب الوسائل لحصول المقاصد وتهوين الصعاب، واندفاع العوائق، فكم ندم عجول طائش، وكم أدرك المطلوب متأن رفيق، ولا تُساس الولايات الكبار ولا الصغار، بمثل الحكمة، ولا تختل إلا باختلال طريقها[4].

وللتأني طرق وأساليب توصل إليه، منها:

- الابتعاد عن ردات الفعل الغير متزنة، والمؤثرات النفسية، التي قد تسبب الطيش والغضب، أو تسبب تغير الموقف والانتقال إلى ضد الفكرة، وذلك كموقفه عليه الصلاة

---

[1] بتصرف، الحكمة في الدعوة إلى الله ص ٨٢.

[2] سورة الأحقاف جزء من آية ٣٥.

[3] بتصرف، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦٠/٧.

[4] بتصرف، الرياض الناضرة والحائق النيرة الزاهرة ص ٩٤.

والسلام من أبي سفيان رضي الله عنه ، حين عرض عليه الإسلام والنطق بالشهادتين، فأبى الاعتراف برسالته وقال: إن في النفس منها شيئا. فتأنى و لم يعجل عليه حتى أسلم.

وذلك ما أخذه على خالد بن الوليد رضي الله عنه ، حين تعجل في قتل الأسرى من بني جذيمة، وكان الأولى التأني والتبين[1].

– التفكير في نتيجة العمل وعاقبته، فإن العبرة دائما بالخواتيم.

٢– أخذ الحذر والحيطة والاستعانة بالكتمان عند الضرورة، فليست الحكمة دائما في الدعوة إلى الله هي التصريح بالأهداف والخطط المحددة تفصيلا، لأن هذا قد يزيد من تربص أعدائهم بهم، ومكرهم بأهل الدعوة، وفي التصريح بالأهداف العامة المجملة والاكتفاء بها مندوحة عنها، وقد تكون الحكمة أحيانا في التصريح بذلك والنص عليه، فالداعية الحكيم هو الذي يختار لكل موقف ما يناسبه[2].

وفي غزوة الفتح ما يؤكد هذا الأمر ويوضحه، وذلك في كتمان النبي صلى الله عليه وسلم خبر العزم على فتح مكة، ومقدار قوته، وخطته الحربية ثم إعلان ذلك في الوقت المناسب، وأخذه الحيطة والحذر لتحقيق ذلك، فقد روي أنه أمر بإيقاد النيران وهم على مر الظهران، وأمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل، وجعل على الحراسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[3]

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التغفيل، وأشار إلى استعمال الفطنة والحذر فقال:((لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين))[4]، قال الإمام الخطابي[5]رحمه الله: (أي ليكن المؤمن حازما حذرا، لا يؤتى من ناحية الغفلة، فيخدع مرة بعد أخرى)[1].

---

[1] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٣٦٧/٢، وانظر الحكمة في الدعوة إلى الله ص ٦٨.

[2] بتصرف، المدخل إلى علم الدعوة د. محمد أبوا لفتح البيانوني ص ٢٠٣، وانظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ٣٥٨/٢.

[3] بتصرف، إمتاع الأسماع ٣٦٨/١، والسيرة الحلبية ١٥/٣.

[4]صحيح البخاري كتاب الأدب باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ١٠٣/٧. وذكر ابن اسحق في غزوة أحد في طريق رجوعه إلى المدينة أن النبي صلى الله عليه وسلم أسر أبا عزة الجمحي، –وكان قد أسره ببدر ثم منَّ عليه– فقال: يا رسول الله أقلني. فقال صلى الله عليه وسلم:((والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعت محمدا مرتين، اضرب عنقه يا زبير)) فضرب عنقه. انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٥٦/٣.

[5] هو حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البُستي الخطابي، الإمام العلامة الحافظ اللغوي، صاحب التصانيف،

٣- الاستفادة من تجاربه في الحياة وكذلك الاستفادة من تجارب غيره، وخبرة سواه، فالتجربة والحوادث خير معلم للإنسان، وقد قال تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾[٢].

فيسير الداعية بعقل ناضج وفكر نابه، يعرف مداخل الأمور ومخارجها، يحسب خطواته ويراقبها، فإذا زلَّت قدمه أو عثر لسانه، سارع إلى الصواب، ولا يترك خطأه دون دراسة وتمحيص للاستفادة منه، فيحصل له من ذلك خبرة وعلم بواقع الحياة، وفراسة وبصيرة بالنفوس[٣].

ثانيا: الحلم:

وهو ضبط النفس عند الغضب، وكظم الغيظ، والعفو و التجاوز عن السيئات، وقد تكررت في القرآن الكريم الآيات التي تحث المسلمين على اكتساب صفة الحلم والتحلي بالعفو والإحسان، كقوله تعالى ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٤]،وقوله تعالى﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٥].

وهذا النبي صلى الله عليه وسلم يلقى من قومه أشد الإعراض ومختلف أنواع الأذى، فيمتنع عن سؤال ربه إهلاكهم، بل يدعو لهم بالغفران، وهذا منتهى الحلم[٦]،

ويحكي حاله ابن مسعود رضي الله عنه فيقول:(كأني انظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[٧].

ولد سنة بضع عشرة وثلاث مائة، أخذ الفقه على المذهب الشافعي، توفي ببست سنة ٣٨٨هـ. بتصرف، طبقات الشافعية الكبرى ٢٨٢/٣، سير أعلام النبلاء ٢٣/١٧.

[١] فتح الباري ٥٣٠/١٠ ح٦١٣٣.

[٢] سورة محمد آية ١٠.

[٣] بتصرف، الدعوة إلى الله، الرسالة الوسيلة الهدف ص ١٠٤- ١٠٥.

[٤] سورة آل عمران جزء من آية ١٣٤.

[٥] سورة المائدة جزء من آية ١٣.

[٦] بتصرف، صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر: د.عبد العزيز المسعود ص ٥٧، دار الوطن للنشر الرياض ط:١، ١٤١٤هـ، وانظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ٣٤١/٢.

[٧]صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب ٥٤ (لم يترجم له) ١٥١/٤.

ولم يستخفه صلى الله عليه وسلم عصيان العصاة، أو يستفزه إعراض الجاهلين، بل صدر عفوه عمن استهزأ بالإسلام حتى بعد الفتح، والسيطرة على مكة، كما فعل أبو محذورة رضي الله عنه، لما سمع الأذان، ثم تكلم بالسوء عن المسلمين، فحلم عنه وأدى ذلك إلى إسلامه طائعا.

وكما حلم عن فضالة رضي الله عنه لما حاول اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم ، فحلم عنه ولم يعاجله بالعقوبة، بل دعا له بالهداية والثبات، فانقلب لأهله مؤمنا صادقا[1].

ثالثا: الرفق بالمدعوين:

والرفق هو: (لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف)[2]، وهو مفتاح الداعية في الدخول إلى عقول المدعوين وقلوبهم، فالناس يمقتون العنف وأصحابه، وينفرون بطبائعهم من الفظاظة والخشونة، ويألفون الرقة وأهلها[3]، وقد قال تعالى﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ**.... ﴾[4]، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى قلب رفيق يسعهم ولا يضيق بجهلهم، ويجدون عنده الرعاية والرفق واللين، وهكذا كان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم[5].

وقد قيل:(لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر عدل بما ينهى، عالم بما يأمر عالم بما ينهى)[6]، فصفة الرفق واللين من الصفات الضرورية للدعاة، لأثرها العظيم في قبول الدعوة، والتفاف الناس حول الدعاة وتصديقهم والتلقي منهم[7].

---

[1] سبق تخريجه ص ١٣٧.

[2] فتح الباري ٤٤٩/١٠ ح ٦٠٢٤.

[3]انظر الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية ص ٣٣، وانظر منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير ص ٧٠ .

[4] سورة آل عمران جزء من آية ١٥٩.

[5] بتصرف، في ظلال القرآن ٥٠١/١.

[6] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أبو بكر الخلال ص ٨٠.

[7] انظر من صفات الداعية، اللين والرفق ص ٣، و الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ص ٣٩، وصفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ص ٤٠.

ورغم كونها الطريق الأمثل الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الإسلام وحث أتباعه عليه، إلا أن هناك أحوالا يعدل فيها إلى الشدة والقوة، لإزالة العوائق التي تمنع الاستجابة لهذه الدعوة.

وقد جاءت الآيات القرآنية تبين سلوك كلا الطريقين للدعوة إلى الإسلام، فقال تعالى﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ .... ﴾[1]، وفي الوقت ذاته تأمر بجهاد الكفار والقسوة عليهم، كما في قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2].

ومن المواطن التي يلزم إظهار القوة والشدة فيها: عند إقامة الحدود والعقوبات، أو أمام أهل الفواحش المجاهرين بمعاصيهم، والمستخفين بالدين، فإظهار اللين والرفق والرافة بهذا الصنف، قلة غيرة، وضعف إيمان، وليس كما يظن أنه من رحمة الخلق ولين الجانب ومكارم الأخلاق، وإنما ذلك دياثة ومهانة، وإعانة على الإثم والعدوان[3].

كما يلزم إظهار القوة عند أخذ الأهبة والاستعداد لقتال الكفار، بإعداد آلات الحرب حسب الطاقة والإمكان والاستعداد[4]، وقد قال تعالى﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ .... ﴾[5]، فالله تعالى حين يأمر بإعداد القوة على اختلاف أنواعها، يخبرهم بأن هذا الإعداد وهذا الرباط يرهب أعداء الله ويخوفهم حتى لا يفكروا في غزو المسلمين وقتالهم، وهذا ما يعرف ب(السلم

---

[1] سورة النحل آية ١٢٥.

[2] سورة التحريم آية ٩.

[3] بتصرف، دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية: تحقيق د. محمد السيد الجليند ٣٨٥/٣، مؤسسة علوم القرآن دمشق -بيروت، ط:٢، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله أن من مكايد الشيطان للإنسان، أنه يأمره بإعزاز نفسه وصونها حيث يكون رضى الله تعالى في إذلالها، كالجهاد والاحتساب، ويخيل إليه أنه بذلك يعرض نفسه للذل، مما يؤدي إلى عدم السماع منه بعد ذلك أو القبول منه، كما يأمره بإذلالها حيث تكون مصلحتها في إعزازها، فيأمره بالتبذل لأصحاب الرياسات ويخيل له بذلك أنه يرفع قدرها بالذل لهم. انظر إغاثة اللهفان ١٢٠/١.

[4] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٢٣/٤.

[5] سورة الأنفال جزء من آية ٦٠.

المسلح)، فالأعداء إذا رأوا الأمة الإسلامية لا عتاد لها ولا عدة ولا قدرة على رد أعدائها، أغراهم ذلك بقتالها[1].

وفي ذلك دعامة مؤثرة، لأن الحق إذا لم تسنده القوة، تغلب الباطل عليه، بل إن الحق القوي يجعل الناس ينظرون إليه بفهم وإعجاب من خلال نظرهم إلى قوة المسلمين وشجاعتهم، ويعرفون للإسلام قدره لما يرون التضحيات المبذولة في سبيله[2].

فالحكمة أن تكون الدعوة ابتداء بالرفق واللين، فإذا اعترض معترض طريق هذه الدعوة، أو حاول صدها عن المضي في طريقها، فإن الحكمة حينئذ في دحره وتطهير الأرض من شره وفساده، لتصل هداية الله إلى الخلق[3].

وفي فتح مكة تلازم منهج الدعوة باللين والرفق، مع منهج القوة والشدة، فقد كان حسن إعداد النبي صلى الله عليه وسلم للجيش الإسلامي وتعبئته، غاية في القوة وشدة البأس، مما أوقع أهل مكة في الحيرة والذهول، وجردهم من روح المقاومة، وكذلك كان غاية في الرفق والرحمة بهم حين حرص على حقن دمائهم، وتجنب القتال إلا لضرورة، ورفض قول سعد بن عبادة رضي الله عنه: اليوم يوم الملحمة، وأكد أن الإسلام دين الرحمة والسلام، وقال:((اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله قريشا)).

وظهرت القوة في إهداره صلى الله عليه وسلم دماء نفر من أهل مكة، ممن تجرءوا على حرمات الإسلام واشتد أذاهم على المسلمين، فجعلهم نكالا وموعظة لغيرهم، جزاء ما اقترفت أيديهم، فقتل بعضهم، واستطاع الباقون الحصول على الأمان، وهنا تغلب صفة الرحمة واللين والرفق عليه صلى الله عليه وسلم، فيعفو عنهم وعن سائر أهل مكة، ليستل من قلوبهم بواعث الحقد والضغينة، ويزيل من نفوسهم الغل ويطهرهم من رجس الجاهلية.

---

[1] بتصرف، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ١٥٢/٢.

[2] بتصرف، الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٢٦١.

[3] بتصرف، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية ص ٢٣٥.

وقد كانت حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في أنه يعطي كل مقام من رفق أو غلظة حقه، فكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما، وبمن يرجوا إسلامهم صبورا حليما، ويغلظ على الكفار والجاحدين وينتقم لله تعالى ممن انتهكوا حرماته، وظلوا على كفرهم وغيهم.

فالداعية الحكيم إذن هو الذي ينهج الحكمة في تقدير الأمور، بقدرها المناسب، دون إفراط أو تفريط، ويقدم الدعوة بالشكل الملائم للمدعو وحالته، مراعيا في ذلك الظروف والأحوال الملائمة.

المطلب الثاني: الصفات المتعلقة بتعامل الداعية مع المدعوين:

الصفة الأولى : الحرص على هداية الناس وإتباعهم للحق:

هناك دوافع تحث المسلم على القيام بالدعوة والحرص على هداية الناس ودخولهم في دين الإسلام، منها:

١- ما ادخره الله من عظيم الأجر وجزيل الثواب لمن سعى إلى هداية الناس للإسلام، فالداعية يحب الخير لنفسه، وإذا علم ذلك تمنى هداية الناس كلهم على يديه، وقد قال صلى الله عليه وسلم :((لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم))[١]، ورغب في تضاعف أجره عند الدلالة على الخير واتباع الناس للهدى[٢]، كما قال صلى الله عليه وسلم :((من دل على خير فله مثل أجر فاعله))[٣].

٢- حب الخير لناس، فالداعية المؤمن يشفق على غيره من الوقوع في الحرام وحمل الآثام، ويحب التزام الناس بشرع الله وبفضائل الدين، فلا يزال آمرا لهم بالمعروف، ناهيا لهم عن المنكر، دالا لهم على أوجه الخير كلها، يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير الدنيوي والأخروي، ويبغض لهم ما يبغض لنفسه من الشر، وهذا علامة كمال الإيمان[٤]، كما قال صلى الله عليه وسلم :((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[٥].

٣- إقتداؤه بالرسول صلى الله عليه وسلم ، إمام الدعاة وأحرصهم على هداية الناس للخير وتعليمهم إياه، وقد وصفه الله تعالى بقوله﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

---

[١] صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر ٧٧/٥.

[٢] بتصرف، الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين: د. فضل إلهي ص ٨، إدارة ترجمان الإسلام باكستان، ط:٢، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

[٣] صحيح مسلم كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بركوب وغيره، وخلافه في أهله بخير ١٥٠٦/٣ ح ١٨٩٣.

[٤] بتصرف، فتح الباري ٥٧/١ ح ١٣.

[٥] صحيح البخاري كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب أخيه ما يحب لنفسه ٩/١.

أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، وقوله تعالى﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[2]، كما يوجهه وقد غمره شعور بالأسى والحزن لانصراف الناس عنه، وبعدهم عن دعوته، حتى كاد يهلك نفسه غما عليهم، فيقول له تعالى﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[3].[4]

ويضرب عليه الصلاة والسلام مثلا لحاله مع قومه، وحرصه على هدايتهم، وإبعادهم عن كل ما يضرهم فيقول:((مَثلي ومَثلكم، كمثل رجل أوقد نارا، فجعل الجَنادب والفَراش[5]يقعن فيها، وهو يذبُّهن عنها، وأنا آخذ بحُجُزكم[6] عن النار، وأنتم تَفلَّتُون[7] من يدِي))[8].

فرغم الأذى والصد والعدوان الذي لقيه صلى الله عليه وسلم من قومه، فإن هدفه الأسمى والأول هو هدايتهم، وانتصار دعوته لا انتصار نفسه أو الثأر لذاته[9]، فيصفح عنهم بعد الفتح والتمكن صفحا جميلا، لأن دعوة الإسلام دعوة لصلاح الناس وهدايتهم.

وقد سنحت الفرصة سابقا للنبي صلى الله عليه وسلم أن ينكل بقومه وقت اشتداد أذاهم عليه، وذلك حين بعث الله تعالى له ملك الجبال مع جبريل عليهما السلام، ليأمره بما

---

[1] سورة التوبة آية ١٢٨.

[2] سورة الكهف آية ٦.

[3] سورة فاطر جزء من آية ٨.

[4] بتصرف، الدعوة قواعد وأصول: جمعة أمين عبد العزيز ص ٦١، دار الدعوة للطباعة والنشر الإسكندرية ط:٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، وانظر الحرص على هداية الناس ص ١٧.

[5] الجنادب جمع جندب: وهو ضرب من الجراد، وقيل: هو الذي يصر في الحر. النهاية في غريب الحديث ٣٠٦/١، والفراش: الطير الذي يلقي نفسه في ضوء السراج، المرجع السابق ٤٣٠/٣.

[6] الحجز: جمع حُجزة: وهي موضع شد الإزار ثم قيل للإزار حجزة للمجاورة. النهاية في غريب الحديث ٣٤٤/١.

[7] يقال:أفلت مني وتفلت،إذا نازعك الغلبة والهرب ثم غلب وهرب.صحيح مسلم بشرح النووي٥٠/١٥.

[8]صحيح مسلم كتاب الفضائل باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم ما يضرهم ١٧٩٠/٤ ح ٢٢٨٥.

[9] بتصرف، فقه السيرة النبوية: منير الغضبان ص ٢٦٥.

شاء من إيقاع العذاب عليهم- كما روى الإمام البخاري رحمه الله- فقال له:(إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[1]. فقال النبي صلى الله عليه وسلم :((بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا))[2]، وذلك لشدة حرصه وشفقته على أمته، فإن كفر هؤلاء ، فقد يأتي من بنيهم من يقول لا إله إلا الله، وذلك ما حدث، فقد أسلم يوم الفتح بعض أبناء أساطين الكفر كعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية بن خلف وعتبة بن أبي لهب وغيرهم.

ومن شواهد حرصه على دخولهم في الإسلام في غزوة الفتح ما يلي:

– حقنه لدماء أهل مكة أولا، ثم العفو عنهم وإطلاقهم، والعفو عمن كان قد أهدر دمه واستؤمن له، وذلك تأليفا لهم وحفظا لأرواحهم، لعلهم يقبلون على الإسلام وتهتدي له قلوبهم.

– إشعارهم بهذا الحرص عليهم، وبمكانتهم عنده إن هم أسلموا، ومن ذلك قوله:((اليوم أعز الله قريشا))، فدعوة الإسلام ما تقصد إلا تكريمهم وتوقيرهم وإعزازهم واحترامهم[3].

– إخباره المسلمين عن رغبة بعض أهل مكة في الإسلام كي لا يعرض لهم بأذى أو قتال، كقوله حين اقترب من مكة:((إن بمكة أربعة نفر من قريش، أربأهم عن الشرك، وأرغب بهم في الإسلام: عتاب ابن أسيد، وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمرو))، فأسلموا وحسن إسلامهم[4].

– معاودة الدعوة وتكرارها، لمن كان يعارضها مرة بعد مرة، وعدم اليأس من إسلامه، بل وضع الأمل في غفران الله تعالى له معارضته لدعوة الحق فيما مضى، وتجنب

---

[1] هما الجبلان المطيفان بمكة، وهما أبو قبيس والأحمر، وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان، والأخشب كل جبل حسن تخليط الحجارة. بتصرف، النهاية في غريب الحديث ٢/٣٢.

[2] صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم ٤/٨٣.

[3] بتصرف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص ٢٥٠، وانظر الدعوة قواعد وأصول ص ٦١.

[4] سير أعلام النبلاء ٣/٤٧، والسيرة الحلبية ٣/١٨، وقال محقق سير أعلام النبلاء :إسناده ضعيف.

الوقوف موقف الخصومة الأبدية ممن رفضها وصدها[1]، وإنما المسارعة إلى قبوله في صفوف المسلمين، وإظهار الفرح والاستبشار بذلك.

وكذلك كان صحابته رضوان الله عليهم، أحرص الناس على هداية غيرهم، فالعباس رضي الله عنه يحرص قبل الفتح على حقن دماء قريش، ويحب لهم أن يدخلوا في الدين، وما أن فتحت مكة حتى أقبل بعضهم بأحد أقربائه ليسلم حرصا على إنقاذه من النار، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه مع والده أبي قحافة فأسلم[2]، ومجاشع رضي الله عنه مع أخيه أبي معبد فبايع على الإسلام والإيمان والجهاد[3].

إن تحلي الداعية بهذه الصفة، لا ينبغي أن يجعله متلهفا على رؤية نتائج دعوته، وثمرة جهده، فيصيبه الألم والحسرة، حين يرى الصد والإعراض، بل أنه رغم شدة حرصه وإيمانه أنه على طريق الحق، لا بد وأن يتذكر قوله تعالى﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[4]، فعليه أن يقدم الدعوة إلى الناس كأمثل ما يكون، ويغرس بذرة الخير، والله تعالى هو صاحب المشيئة والإرادة في هداية الناس، لا محبة الإنسان المخلوق ورغبته ، وقد قال تعالى﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[5].

الصفة الثانية: معرفة الداعية للطبيعة البشرية، وخبرته بكيفية التعامل معها:

وذلك من فقه الداعية وحكمته، فهو حين يكون على بينة ومعرفة بطبيعة المدعوين البشرية، فإنه يكيف سلوكه ودعوته على ما يتناسب مع حالهم، ويعطي أفضل النتائج، ويعالج نفوسهم معالجة الطبيب الحاذق لمريضه.

---

[1] بتصرف، السبيل إلى دعوة الحق والقائم بأمرها ص ٥٥- ٥٨.

[2] سبق تخريجه ص ١٣٩.

[3] سبق تخريجه ص ١٣٦.

[4] سورة النحل آية ٣٧.

[5] سورة القصص آية ٥٦.

فالداعية المسلم لا يكتفي بمعرفته للحق وولائه له وعرضه على الناس، بل إنه مطالب أن يعمل على إقناعهم به، وضمهم إليه، ووسيلته إلى ذلك، الحكمة واختيار الأساليب المناسبة للفطرة البشرية، والتي يحسن تجاوبها معها[1]، فإذا دعا ونصح وتكلم، فمن الخير أن تكون له فراسة يتوسم بها حال السامعين، ليعرف مبلغ طاقتهم ، وقدر استحقاقهم وإقبالهم على الانتفاع، ليعطيهم ما يتحملون، ويمسك عما لا يطيقون، ويوجز إذا رأى منهم سآمة وملالا، وقد قيل: من لم ينشط لكلامك، فارفع عنه مؤونة الاستماع منك[2].

والداعية إذا فهم أعماق النفس الإنسانية البشرية، فأحسن الأداء وعرف النقاط الحساسة، فضرب عليها، فيكون وقع هذا الضرب أشد على النفس، ويؤدي إلى الأثر المطلوب: ومن أمثلة ذلك مما يتعلق بغزوة الفتح:

– إثارة شعور الانتماء والترابط بين المسلمين، والحمية ضد الكفر، وذلك كإثارته صلى الله عليه وسلم حمية الجيش الإسلامي لقتال المشركين، بنزوله في المكان الذي تعرض فيه مع المسلمين إلى المقاطعة الظالمة من أهل مكة، فقال: ((منزلنا إذا فتح الله الخيف، حيث تقاسموا على الكفر))[3].

– من منطلق معرفته صلى الله عليه وسلم لحساسية قريش لكل ما يمس البيت الحرام بسوء، تراه يضرب على هذا الوتر الحساس بإعلانه تعظيم البيت فيقول: ((هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة))[4]، كذلك إيثاره إبقاء البيت على ما كان عليه من نقص في بنائه، رغم القدرة على إتمامه خوفا من إثارتهم ضد الإسلام، لتطمئن نفوسهم إلى حدوث الفتح واستلامه صلى الله عليه وسلم مقاليد الحكم في مكة.

– الطبيعة البشرية جبلت على حب الكرامة والميل إلى التعظيم، وشبت في الغالب على الأنفة، ونشأت على الإلف والعادة، فمن أراد صرفها عن غيها إلى الرشاد، وحاول

---

[1] بتصرف، كيف ندعو الناس ص ١٥.

[2] بتصرف، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ص ١٢١.

[3] سبق تخريجه ص ١٢١.

[4] سبق تخريجه ص ١١٨.

الخروج بها عن مألوفاتها وعاداتها، لا بد له من أن يمزج مرارة الحق بحلاوة التلطف، وأن يسهل صعوبة التكليف بطلاوة الرفق واللين.

ومن ذلك ذكر المدعو بالخير ووصفه بالوصف الجميل، والبدء بالثناء والتقدير، وتذكيره بما له من فضل وما عليه من نعمة، لينجذب قلبه إلى الداعي، ويستعد لقبول الحق، فالنفس إذا عرفت علوها واستشعرت كرامتها، حملها شعور الرفعة والكرامة على النفرة من ارتكاب النقائص[1].

ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عن سهيل بن عمرو- وقد أعطاه الأمان مع ابنه- : ((من لقي سهيل بن عمرو، فلا يشد النظر إليه، فلعمري إن سهيلا له عقل وشرف، وما مثل سهيل جهل الإسلام))، فخرج ابنه إليه فأخبره بذلك، فقال: كان والله برا صغيرا وكبيرا.[2]

والطبيعة البشرية أحيانا تحب الفخر، وتميل إلى حب الظهور والاشتهار بين الناس، وهذا خاصة عند الرؤساء، وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الطبع عند أبي سفيان، فأعطاه ما يشعره بالفخر عندما قال: ((من دخل دار أبي سفيان فهو آمن))[3].

ومن تعمق في معرفة النفوس البشرية ، أدرك أن اللين والسهولة ليس الأمثل دائما، فهناك بعض الطبائع لا يجدي معها إلا استخدام القوة والشدة، ومن ذلك العامة والدهماء الذين توجههم الانفعالات الغير واعية، وتتحكم فيهم الغوغائية، ويستغلهم أصحاب المصالح والأهواء ببث الأفكار بينهم، وإثارتهم و تأليبهم[4]، كالأوباش الذين أعدتهم قريش لاعتراض الجيش الإسلامي، وقالت: نقدم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا. فاختار لهم النبي صلى الله عليه وسلم الحل الأنسب والعلاج

---

[1] بتصرف، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ص ١١٩، وانظر الدعوة المؤثرة: جمال ماضي ص ٣٠، المدائن للنشر والتوزيع العجمي ط:١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

[2] انظر الحديث في المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ٣٨١/٣ وسكت عنه الذهبي ، وانظر إمتاع الأسماع ٣٩١/١.

[3] سبق تخريجه ص ١١٧.

[4] بتصرف، بصائر للمسلم المعاصر ص ١١٩.

الأمثل فأمر الأنصار بمهاجمتهم، و(قال بيديه إحداهما على الأخرى، ثم قال:((حتى توافوني بالصفا))، فمضى المسلمون يقتلون منهم من شاؤا حتى فرقوهم[1].

إن هذه الخبرة بالطبيعة لبشرية تأتي غالبا بالتجربة، فالتجارب تنمي المواهب والقدرات، وتزيد البصير بصرا، والحليم حلما، وتجعل العاقل حكيما[2]، وقد قال صلى الله عليه وسلم :((لا حليم إلا ذو عثرة ، ولا حكيم إلا ذو تجربة))[3]، فالحكيم من جرب الأمور وعلم المصالح والمفاسد، فإنه لا يفعل فعلا إلا عن حكمة، فالداعية إذا جرب الناس ومخالطتهم، عرف طبائعهم طيبها وسقيمها، فأحسن التعامل معها، وجرب الأمور فعلم نفعها من ضررها، فلا يفعل شيئا إلا عن حكمة[4].

الصفة الثالثة: مخالطة الناس وعدم الانعزال عنهم:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: الإنسان مدني بالطبع، ولا بد له من أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات واعتقادات، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، فإن لم يوافقهم آذوه، وإن وافقهم حصل له الأذى إن كانت على باطل، ولا ريب أن ألم المخالفة لهم في باطلهم أيسر وأسهل من الألم المترتب على موافقتهم[5].

وليقوم الداعية المسلم بمهمته، لا بد له من مخالطة الناس، حتى لو نتج من جراء ذلك مشقة أو تعرض لأذى، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم (أفضلية من يخالط الناس، مخالطة يأمرهم فيها بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحسن معاملتهم، فإنه أفضل من الذي يعتزلهم، ولا يصبر على المخالطة، والأحوال تختلف باختلاف الأشخاص والأزمان،

---

[1] سبق تخريجه ص ١٢٥.

[2] بتصرف، هكذا علمتني الحياة ٤٧/١.

[3] سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في التجارب ٣٧٩/٤ ح ٢٠٣٣ وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ووافقه ابن الأثير في جامع الأصول ٦٩٩/١١،(ولم أقف عليه في صحيح سنن الترمذي) ورواه الإمام أحمد في المسند ٨/٣.

[4] بتصرف، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ١٨٢/٦، وانظر فتح الباري ٥٣٠/١٠ ح ٦١٣٣.

[5] بتصرف، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١٩٣/٢.

ولكل حال مقال)[1]، فقال صلى الله عليه وسلم :((المسلم إذا كان مخالطا الناس ويصبر على أذاهم، خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم))[2].

وتتضح أهمية مخالطة الداعية للناس في النقاط الآتية:

– إن الواقع الذي يعيشه الناس يثبت ضرورة المخالطة حتى يتمكن الإنسان من تلبية مطالبه واحتياجاته الأساسية، ويتمكن من تحقيق أهدافه، وهداية الناس من أهداف الداعية الأساسية، وطريق ذلك اختلاطه بالمدعوين.

– إن مخالطته لهم، هي مخالطة دعوة وتوجيه، ونصح وتعليم، وتأليف وأخوة، فعندما يتلقى الناس الدعوة ممن يعيش معهم واقعهم، ويشاركهم آمالهم وآلامهم، فإن ذلك أدعى لاستجابتهم له، والداعية الذي آتاه الله العلم ورزقه الحكمة في الدعوة، مع الإخلاص له تعالى، يعلم أن أفضل الأعمال وأحبها إلى الله، ما أفضى إلى مرضاته، ويعلم أن قيامه بالدعوة إلى الله تفتح له أبوب عديدة لتحصيل الأجر، لتعدي نفعها للناس، وذلك خير له من القيام بالعبادات التي يقتصر نفعها عليه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:(والعالم الذي يعرف السنة والحلال والحرام، وطرق الخير والشر: مخالطة الناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم، أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح)[3].

– إن مخالطته للناس تعرفه بعاداتهم وأخلاقهم، ومواطن الضعف والقوة فيهم، وينكشف له ما يشيع بينهم من معروف ومنكر، فيتيسر له القيام بالاحتساب عليهم، ولو أنه بقي في منزله ، مغلقا بابه لما أدرك وعلم ما يشيع بين الناس من المنكرات، فمخالطته لهم تجعله يقوم بالدعوة على علم وبصيرة بأحوالهم، ويكون هو العنصر المؤثر في المجتمع.

– إن الناس جُبلوا على حب من يجلب لهم النفع، ويدفع عنهم الشر، دون أن تتعلق مصلحته بأي منهما، بل احتسابا لوجه الله، ولن يتمكن الداعية من خدمة الناس وقضاء

---

[1] سبل السلام شرح بلوغ المرام ٢١١/٤، وانظر تحفة الأحوذي ٢١٠/٧.

[2] سنن الترمذي كتاب صفة القيامة باب ٥٥ ٦٦٣/٤ ح ٢٥٠٧، وشرح السنة ١٦٣/١٣ ح ٣٥٨٥، وسنن ابن ماجه كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ١٣٣٨/٢ ح ٤٠٣٢، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٣٧٣/٢ ح ٣٢٥٧.

[3] عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص ٩٣، تصحيح: زكريا علي يوسف دار الكتب العلمية لبنان ط: بدون.

حوائجهم، من خلال ترديد الكلام فحسب، بل أنه في كثير من الأحيان تحول هموم الناس ومشاكلهم، بينهم وبين التلقي منه، وتصبح هذه الهموم سدا منيعا في وجه الدعوة، فهنا على الداعية أن يبذل ما يستطيع من جهد لإزالة هذه العوائق من طريق دعوته، وذلك كله لا يتم إلا بمخالطته للناس في مجتمعه.

– إن الأخوة الإسلامية نفسها، تقوم على الحب في الله، والبغض في الله، ولا يمكن أن تتحقق على أرض الواقع، ويتحقق نقلها من حيز الادعاء إلى حيز التطبيق، إلا من خلال المخالطة وقضاء حاجات الناس ومعايشتهم، فإذا قامت هذه الوشائج بين الداعية وبين الناس تحقق التأثر، ونجحت الدعوة وآتت أكلها بإذن الله[1].

– كما أنها تعين المسلم على اكتشاف أبعاد شخصيته ومعالمها، وما تنطوي عليه من كمال أو ضعف ، فيعينه ذلك على إصلاح نفسه، وتقويم قصوره وعوجه.

– إنها سبب في تجديد نشاط الداعية مما يقوي عزيمته ويعلي همته ويضاعف جهوده[2].

ولقد كانت مشاركة الناس معيشتهم ومجالسهم والتحدث إليهم والسماع منهم، هو ديدنه صلى الله عليه وسلم في معظم أحواله، حتى نقل الصحابة لنا أدق الأمور والتفاصيل في حياته.

وبعد الفتح والتمكين، استمر عليه الصلاة والسلام على نفس المنهج، فلم يعتزل الناس، أو يغلق دونهم باب قصر أو بيت، بل أنه يخالط الناس كلهم بجميع طبقاتهم، بلا إهمال لأحد منهم ، أو تمييز بين غني وفقير، أو حر وعبد، فدعوته للناس كافة، بل أنه لا يستهين حتى بالأطفال الصغار، حين أحضرهم أهلوهم للنبي صلى الله عليه وسلم، فمسح على رؤوسهم[3]، فأطفال اليوم هم رجال الغد، ولم يهمل النساء ، فهن شقائق الرجال، ولم يفرق في الدعوة بينهن وبين الرجال، بل أفردهن ببيعة خاصة[4].

---

[1] بتصرف، فقه الأخوة في الإسلام: د. علي عبد الحليم محمود ص ١٢٨،دار النشر والتوزيع القاهرة، ط: بدون. وانظر الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية ص ٦٢ –٦٤، والدعوة قواعد وأصول ص ٢٣٩.

[2] للاستفادة انظر توجيهات نبوية على الطريق من ص ٣٤٤– ٣٥٢.

[3] الحديث سبق تخريجه ص ٣١٢.

[4] راجع ص ١٣٥.

وإن من الخطأ أن ينقطع الداعية في مسجد أو زاوية ويحبس نفسه في بيته، ويمتنع عن الخروج، ويظن أن في خروجه ومخالطته للناس تبذلا لهم، يسقطه من أعينهم، ويذهب هيبته من قلوبهم، فإن ذلك من كيد الشيطان ومكره[1]، ومدخلا واسعا لظهور الكبر والعجب في أخلاقه ونفسه مما يحبط عمله.

كما أن استنكاف الداعية عن الاختلاط بالناس، بحجة بعدهم عن الإسلام وكثرة انحرافاتهم، سيزيد المشكلة تعقيدا، ويوسع الهوة بين هؤلاء وبين الإسلام، وإذا كان الناس مرضى، واستنكف الطبيب عن معالجتهم، فإن المرض سوف يستفحل، وقد يقتل الطبيب نفسه ، فضلا عن المريض[2].

الصفة الرابعة: الوضوح وتجنب الغموض والتلبيس:

وهو من علامات الصدق في الأقوال والأفعال، حيث تعرض الدعوة واضحة كالشمس بلا غبش أو تضليل، وتصدر تصرفات الداعية عن يقين واقتناع ووضوح، فيصدع بكلمة الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، ودون أن يميل إلى استمالة الناس، بالإغضاء من قيم الدعوة، تحقيقا لما يحسبه من مصلحة الدعوة، أو يتخذ أساليب ووسائل لا تستقيم مع موازينها ومنهجها المستقيم، وذلك حرصا على سرعة انتصار الدعوة وانتشارها، ويغفل عن أن مصلحة الدعوة الحقيقية في استقامتها على المنهج، دون انحراف قليل أو كثير، أما النتائج فهي غيب لا يعلمه إلا الله تعالى[3].

إن لوضوح الداعية واستقامته أثر إيجابيا حميدا في نفس المدعو، فهو يشعره أولا بقوة منطقه واقتناعه بما يدعو إليه.

وثانيا: يصُبُّ في نفسه الأمن والطمأنينة، فلا يخشى الغدر منه أو التقلب أو التذبذب، وكلها من الطباع الرذيلة المنفرة عن قبول الدعوة، كما أنها تؤدي إلى انعدام الثقة بين الطرفين، مما يضعف أثر الدعوة المرغوب.

---

[1] بتصرف، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١٢١/٢.

[2] بتصرف، الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية ص ١١١.

[3] بتصرف، في ظلال القرآن ٢٤٣٥/٤.

ومن المواقف الواضحة التي لم يتخللها ضعف أو تساهل في فتح مكة، مبادرته صلى الله عليه وسلم إلى إزالة معالم الجاهلية، والأصنام المعبودة من دون الله، قبل أي أمر آخر، لأن تأجيل ذلك كفيل ببقاء قدر من التعلق بها في قلوب القرشيين، فكان من الضروري تخلية قلوبهم من ذلك، حتى تصبح صالحة لأن تملأ بالإيمان والإسلام.

وكذلك رفضه أن يقتل أحد أعداء الدين، الذين أهدر دمهم، بطريقة غامضة، وهي إيمائه بطرف عينه، واستنكاره أن يكون لنبي – وهو قدوة الدعاة– خيانة أو غدر، حتى لو كان المغدور به مستحقا للقتل، فإن ذلك مما يتنافى وأخلاق النبوة الطاهرة، وذلك في قصة عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه ، عندما جاء به عثمان رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأوقفه عليه، فقال: يا نبي الله، بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه، فقال:((أما كان منكم رجل رشيد[1] يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله))، فقالوا : ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك. قال:((إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين))[2].

قال الإمام الخطابي رحمه الله: معنى خائنة الأعين، أن يضمر بقلبه غير ما يظهره للناس، فإذا كف بلسانه وأومأ بعينه إلى خلاف ذلك فقد خان، وكان ظهور تلك الخيانة من قبل عينيه، فسميت خائنة الأعين[3].

---

[1] معنى الرشد هنا: الفطنة لصواب الحكم في قتله، فقد كان عبد الله بن أبي السرح يكتب للرسول صلى الله عليه وسلم وارتد عن الدين، فلذلك غلّظ عليه النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما غلظ على غيره من المشركين. بتصرف، معالم السنن ٢٢/٤.

[2] سبق تخريجه ص ١٣١.

[3] بتصرف، معالم السنن ٢١/٤، وقيل خائنة الأعين: هي الإيماء إلى مباح من قتل أو ضرب ، على خلاف ما يظهر ويشعر به الحال، ولا يحرم ذلك على غيره صلى الله عليه وسلم ، بل هي من خصائص الأنبياء. بتصرف، الخصائص الكبرى ٢٣٩/٢ .

وقد ذهب د. محمد سليمان الأشقر إلى وجهة مخالفة، فضعف رواية الحديث سندا ومتنا، انظر أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية ٣٤/٢، ولعل ما ذكره الإمام السيوطي هو الوسط بين الطرفين، وبعض الأمور الدعوية يصح فيها الاجتهاد وتراعى فيها الحكمة والمصلحة، والله أعلم.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: (أي أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالف ظاهره باطنه، ولا سره علانيته، وإذا نفذ حكم الله وأمره، لم يوم به، بل صرح به وأعلنه وأظهره)[1].

ومن ذلك حرص العباس رضي الله عنه على وضوح الصورة أمام ناظري أبي سفيان رضي الله عنه، حين خلط بين النبوة والملك، فإنه لَّما عرضت عليه جحافل المسلمين، قال: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما. فلم يوافقه العباس رضي الله عنه، وقال له: إنها النبوة. فأنكر عليه ذكر الملك مجردا من النبوة -رغم حداثة إسلامه، والحاجة إلى تألفه- وإلا فمن الجائز أن يُسمى مثل هذا ملكا، حتى وإن كان لنبي، فقد قال تعالى في داود عليه السلام﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ.... ﴾[2]، وقال سليمان عليه السلام﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ .... ﴾[3]،[4] أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد خاطبه القرآن بلفظ النبوة، كقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[5]، وذلك في العديد من الآيات، فالنبوة أعلى وأشرف من الملك، إضافة إلى ما قد يُظن في الملك عادة من حرص عليه وطلب له، وعلى التسلط على رقاب الناس، فيظن أن هذا هو الهدف من الدعوة، وقد فطن لذلك هرقل حين قال لأبي سفيان رضي الله عنه :(وسألتك هل كان في آبائه ملك، فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك، قلت : رجل يطلب ملك آبائه).[6]

الصفة الخامسة: بعد النظر، وحسن التنظيم والتخطيط:

بعد النظر هو: الاستفادة من الحاضر في التخطيط للمستقبل، مع التمتع بموهبة الفراسة وحسن تقدير الأمور الراهنة، -وعكسه ضيق الأفق وقصر النظر- مع اتخاذ

---

[1] زاد المعاد ٣/٤٦٥.

[2] سورة ص جزء من آية ٢٠.

[3] سورة ص جزء من آية ٣٥.

[4] انظر الروض الأنف ٤/٩٩.

[5] سورة الأحزاب آية ٤٥.

[6] رواه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ٣/١٣٩٥ ح ١٧٧٣.

التدابير الضرورية لمعالجة كل أمر محتمل، دون أن يترك المصير للظروف المتغيرة[1]، بل يبذل الأسباب المناسبة للوصول إلى الغاية المطلوبة.

أما التنظيم فهو: العملية التي تفرق بين جزء وآخر من الناحية الوظيفية، وتنشئ في نفس الوقت كيانا مركبا متكاملا من العلاقات الوظيفية داخل الكيان الكلي

أما التخطيط فهو: أسلوب في التنظيم، يهدف إلى استخدام الموارد البشرية والمادية والمعنوية، على أفضل وجه ممكن، بالتكلفة المثلى، والزمن الأمثل، وفقا لأهداف محددة، بعبارة أخرى: هو وضع الخطة التي يسير عليها العمل والقائمون به[2].

وهذه الصفات مهمة للداعية بشكل خاص إذا كان ضمن جهاز دعوي جماعي متكامل، يستلزم التفاهم بين الدعاة تنسيق خطواتهم في الدعوة، حيث يكمل بعضهم جهود بعض، ويكونون بمنأى عن الفوضوية والارتجالية، التي قد تثبط هممهم وتؤدي بهم إلى القعود والانقطاع عن الدعوة.

ومما يدل على حكمة تخطيطه وحسن تنظيمه صلى الله عليه وسلم: دعوته لمختلف القبائل العربية للسير معه، وقد أفاد من ذلك عدة أمور، منها: الكثرة العددية التي أخافت قريشا وأرعبتها، واستغلال العنصر القبلي الموجود عند العرب، حين تحرص كل قبيلة على نجاح هذه المسيرة، واعتباره شرفا لها، وقد نتج عن ذلك أن دفعت كل قبيلة بأعداد من رجالها وفرسانها لتنافس في الخير، ومن جهة أخرى فإن اشتراك هذا العدد الكبير من القبائل أحرج قريشا، وخذلها عن التفكير في مواجهة القبائل الكثيرة المتعددة[3].

ومما يدل على بعد نظر المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتحسبه لأسوأ الاحتمالات عند الإقدام على فتح مكة: حبسه لأبي سفيان رضي الله عنه عند مدخل الجبل حتى تمر به جيوش المسلمين، فيحدث قومه عما رآه عن بينة ويقين، ولكي لا يكون إسراعه في العودة إلى قريش- قبل أن تتحطم معنوياته وخطوطه الدفاعية- سببا لاحتمال وقوع أي

---

[1] بتصرف، الرسول القائد ٣٤٩.

[2] بتصرف، فقه الأخوة في الإسلام ص ١٥٨.

[3] بتصرف، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم: محمد فرج، ص ٥٨٠، دار الفكر العربي ط: ٣، ١٩٧٧م، وانظر الآثار التشريعية في فتح مكة ٤٠٩/١.

مقاومة من قريش، مهما يكن نوعها ودرجة خطورتها، وفعلا اقتنع أبو سفيان بأن قوة المسلمين لا قبل لقريش بها[1].

كذلك حرص صلى الله عليه وسلم على الاستفادة من الجهود المبذولة للدعوة من الضياع أو الإخفاق، فاهتم بالإشراف على الدعاة ومتابعة أعمالهم التي انتدبهم لأجلها، لأن الشعور بالمتابعة المتمثلة في المساءلة والمجازاة، تقوي الإرادة وتشد العزيمة، وتحرِّص على الإتقان، أما إذا شعر الإنسان أن هناك إهمالا أو عدم متابعة من الآخرين، فإن همته قد تفتر وعزيمته تضعف، ولعل هذا من دوافع النبي صلى الله عليه وسلم في محاسبته لأصحابه في تصرفاتهم وسلوكياتهم[2]، كمتابعته للسرايا التي بعثها لتحطيم الأصنام ولدعوة إلى الله تعالى.

ومن حسن تنظيمه لأمور الحكم، انتدابه من ينوب عنه في المدينة أثناء غيابه، وتوليته عتاب بن أسيد رضي الله عنه أميرا على مكة بعد انضمامها تحت لواء الدولة الإسلامية، وصرف مرتب ثابت له ليتفرغ لأداء المهمة، وتنظيم شؤونها الإدارية مثل تعيين مؤذن المسجد الحرام وتعيين معلم لأهل مكة.

كما أن حسن استغلال الداعية لقدراته التخطيطية و التنظيمية في الدعوة، يعزز من قدرته على القيام بالدعوة بنجاح وإتقان، ويرسخ قدمه في طريقها، مما يساعد على بذل الجهود المدروسة بعناية، وتحقيق الأهداف المرسومة، فالوصول إلى النتائج الطيبة الدائمة – وإن كانت قليلة– خير من بذل الجهود الكبيرة الفوضوية الارتجالية والحصول على نتائج كبيرة ثم الانقطاع بعد ذلك، وقد قال صلى الله عليه وسلم :((سددوا[3] وقاربوا[4]، واعلموا أن لن يُدخل أحدكم عملُه الجنة، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قلّ))[5].

---

[1] بتصرف، الرسول القائد ٣٤٩.

[2] بتصرف، آفات على الطريق ٢/ ١٢٠

[3] أي اقصدوا السداد، أي الصواب، أي اتباع السنة من الإخلاص وغيره، ليقبل عملكم. بتصرف، فتح الباري ٢٩٧/١١ ح ٦٤٦٤.

[4] أي لا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة، لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملال فتتركوا العمل فتفرطوا. المرجع السابق الصفحة نفسها.

[5] صحيح البخاري كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل ١٨٢/٧.

إن الدعاة هم الركن المؤثر في العملية الدعوية، وذلك يستلزم إعدادهم إعدادا خاصا يتناسب مع المهمة الملقاة على عواتقهم، بدءًا بمفاهيم مهمة تتعلق بالدعوة، لا بد لهم من فهمها واستيعابها: كأهمية نقاء مصدر التلقي، وإدراك الغاية من الدعوة، والتمييز بين التدرج في الدعوة إلى الله والتدرج في أمور الشريعة، وعدم الغفلة عن السنن الإلهية النافذة في الكون.

ومن القواعد المهمة في ذلك- والمستقاة من مشكاة النبوة- : مراعاة الشمول والتوازن في إعدادهم وتربيتهم، واستغلال الطاقات والمواهب وتنميتها، والاهتمام بالإعداد المعنوي للجهاد في سبيل الله إلى جانب الإعداد المادي، مع مراعاة عدم إغفال دور المرأة المسلمة في الدعوة إلى الله.

وإن كان الاتصاف بالصفات الحسنة الرفيعة، هو مطلب كل مسلم إلا أنه في حق الدعاة أولى، ومن ذلك الإخلاص لله تعالى، وصدق التوكل عليه والثقة بنصره، وعلو همة الداعية وقوة عزيمته، وحرصه على طلب العلم والتفقه في دين الله، مع العمل به، ومن أهم هذه الصفات التحلي بحسن الخلق، فهو مفتاح القلوب، كذلك التجمل بالحكمة، فهي ضالة المؤمن، مع الرفق بالمدعوين، والحرص على هدايتهم، والوقوف على طبائعهم ومعرفة أمثل الطرق للتعامل معهم، وذلك لا يأتي إلا بمخالطتهم والتعرف على أحوالهم.

ومن المهم كذلك للداعية معرفة أسباب صدود المدعوين وإعراضهم عن الدين الحق، والأمور التي يلزمه مراعاتها أثناء دعوتهم، ليكتب له القبول بإذن الله، وهذا ما يعرضه الفصل التالي.

الفصل الرابع: الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعوين.

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول :الدروس الدعوية المتعلقة بأسباب الصدود عن الحق.

المبحث الثاني :الدروس الدعوية المتعلقة بمراعاة المدعوين.

توطئة:

المدعوون هم: الركن الثالث من أركان الدعوة، وهم: (من تُوجه إليهم الدعوة).[1]

فهم المقصودون بالإرشاد والتبليغ، وهم الذين يحثهم الدعاة على الخير والهدى، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة، وذلك عند التزامهم بالإسلام وتطبيق نظامه في حياتهم.

والدعوة توجه مطلقا لكل إنسان عاقل، قريبا كان أو بعيدا، مسلما أو كافرا، ذكرا أو أنثى، لأن الله تعالى بعث نبيه صلى الله عليه وسلم برسالة الإسلام الخالدة إلى الناس أجمعين، كما في قوله تعالى﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾[2][3].

والدعوة الموجهة للمدعوين في هذا المبحث ثلاثة أنواع:

النوع الأول: دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه المؤمنين، وتربيته لهم على الثبات على الدين الحق، وتعليمهم شرائع الإسلام، ودلالتهم على الخير وترغيبهم فيه، ونهيهم عن الشر وتحذيرهم منه.

النوع الثاني: تعاهد الصحابة بعضهم بعضا بالنصح والإرشاد، والتواصي بالحق فيما بينهم، تبليغا لدين الله وسنة رسوله، وقياما بفريضة الاحتساب التي كلفهم الله تعالى بها.

النوع الثالث: دعوة المشركين الضالين إلى الهدى ودين الحق، ليدخلوا فيه، وهذا واجب هذه الأمة بمقتضى جعلها خير أمة أ خرجت للناس، ومقيدا بكونها تقوم بالاحتساب عند التمكين خاصة، كما قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟

---

[1] المدخل إلى علم الدعوة ص ٤١.

[2] سورة الأعراف جزء من آية ١٥٨.

[3] انظر أصول الدعوة ص ٣٧٣، والمدخل إلى علم الدعوة ص ١٦٩.

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ.... ﴾[1]، فالواجب دعوة الناس إلى الإسلام، فإن أجابوا فالواجب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر[2].

ولما كان هدف الدعوة الإسلامية هو إرشاد المدعوين إلى سبيل المؤمنين، والتأثير في نفوسهم لقبول دين الله، والالتزام بمبادئه، كان من المهم للدعاة معرفة الأسباب التي تصدهم عن الحق وتحول دون استجابتهم له، لأن معرفتهم لهذه الأسباب تعينهم على توجيه الدعوة لهم بالأسلوب الأمثل دون تنفير ،بل بحكمة ورفق، كما أن إلمامهم بأسباب صدود المدعوين، أدعى لمراعاة مقتضى أحوالهم، وعدم تكليفهم بما فوق طاقتهم.

وعلى هذا تضمن الفصل المبحثين التاليين:

المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بأسباب الصدود عن الحق.

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بمراعاة المدعوين.

---

[1] سورة الحج جزء من آية ٤١.

[2] بتصرف، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ص ١٧.

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بأسباب الصدود عن الحق.

توطئة:

أسباب: جمع سبب ،والسبب هو: الحبل الذي يتوصل به إلى الماء، وفي قوله تعالى﴿ **فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ** ... ﴾[1] أي: فليمدد حبلا إلى سقفه، ثم استعيرت كلمة سبب لكل ما يتوصل به إلى شيء[2].

وصَدَّ في اللغة: يصِّدُ صداً وصدوداً: أعرض. ويقال: صد فلان عن كذا: إذا منعه وصرفه عنه.

وقيل: الصد الهجران. ويقال: صد السبيل: أي اعترض دونه مانع من عقبة أو نحوها. ويقال: أخذ يصادُّه ويضادُّه: أي يدافعه ويخالفه[3].

والمقصود بأسباب الصدود: الموانع الشخصية والبيئية المحيطة بالإنسان، والتي تمنعه من الاستجابة لدعوة الإسلام، وتحول بينه وبين قبولها، وتصرفه عن الالتزام بأحكامه، وتنتج في نفسه إعراضا وهجرا ومخالفة لهذا الدين[4].

وقد أوجز شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه الموانع في أمرين، وضحهما بقوله:(إن الذي يمنع الإنسان من اتباع الرسول شيئان: إما الجهل، وإما فساد القصد)[5].

كما يبين الإمام ابن القيم رحمه الله ثلاثة أبواب تصد الإنسان عن اتباع الحق وتورده المهالك، فقال:(دخل الناس النار من ثلاثة أبواب: باب شبهة أورثت شكا في دين الله، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعة الله ومرضاته، وباب غضب أورث العدوان على خلقه)[6].

---

[1] سورة الحج جزء من آية ١٥.

[2] الصحاح فصل السين من باب الباء ١٤٥/١، وتاج العروس فصل السين باب الباء ٢٩٣/١، والنهاية في غريب الحديث ٣٢٩/٢.

[3] الصحاح فصل الصاد من باب الدال ٤٩٥/٢، وتاج العروس فصل الصاد من باب الدال ٣٩٤/٢، والنهاية في غريب الحديث ١٥/٣، و المنجد ص ٤١٨.

[4] ولا يلزم من هذا التعريف حصر هذه الأسباب في صدود الكفار عن الإسلام فقط ، بل أن منها ما يمنع المسلم من القيام بحقوق الله تعالى وحقوق الدين ويصده عن الاستجابة المطلقة لأوامر الشرع.

[5] الفتاوى: ابن تيمية ٩٣/١٥.

[6] الفوائد ص ٧٦.

ثم يوضح العلل النفسية التي تؤدي إلى الولوج في هذه الأبواب، فيقول: أصول الخطايا كلها ثلاثة: ١-الكبر، ٢- والحرص ٣-والحسد، فالكفر من الكبر ،والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد[١].

إن من يطلع على سير الأنبياء السابقين عليهم السلام مع أقوامهم، يلاحظ اطراد السنن الإلهية في صدود كثير من الناس عن الاستجابة لداعي الله، وهذا الصدود عن دعوة الحق، هو من تسلط الشيطان على الناس وتزيينه لهم الكفر وما هم عليه من الضلال، كما في قوله تعالى﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[٢]، فلم تنفعهم بصيرتهم، أنهم قد عرفوا الحق من الباطل وظهور البراهين، بل صدهم الشيطان عن طريق الحق[٣]،كما قال تعالى﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[٤].

كما يظهر صد الشيطان للإنسان عن دين الإسلام، بإغلاق أبواب الخير والهداية أمامه وذلك بتربصه له من قبل شهوات نفسه، وإثارة الوساوس والشبهات أمام ناظريه ليثنيه عن اتباع الحق ، كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله:((إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه[٥]، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك، فعصاه وأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفَرَس في الطِّوَل[٦]،فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق

---

[١] بتصرف، المرجع السابق ص ٧٦.

[٢] سورة النمل جزء من آية ٢٤ وهي في حق قوم ملكة سبأ.

[٣] بتصرف، الجامع لأحكام القرآن ٣٤٤/١٣.

[٤] سورة العنكبوت جزء من آية ٣٨، وهي بشأن عاد وثمود.

[٥] جمع طريق، شرح السيوطي على سنن النسائي ٢١/٦ ح ٣١٣٤.

[٦] والمقصود: الحبل الذي يشد أحد طرفيه في وتد، والطرف الآخر في يد الفرس، وهذا من كلام الشيطان، ومقصوده أن المهاجر يصير كالمقيد في بلاد الغربة، لا يدور إلا في بيته، ولا يخالطه إلا بعض معارفه، فهو كالفرس في طول لا يرعى إلا بقدره، بخلاف أهل البلاد في بلادهم، فإنهم مبسوطون لا ضيق عليهم، فأحدهم كالفرس المرسل. بتصرف، حاشية الإمام السندي على سنن النسائي ٢٢/٦.

الجهاد، فقال: تجاهد فهو جَهد النفس والمال، فتُقاتل فتُقتل، فتنكح المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد..))[1].

فالشيطان لا يفتأ يخوف الإنسان من فقد الوطن والأهل والمال، ويثير الشبه والشهوات أمامه، ليصده عن طريق الحق، فإذا تمكن من ذلك تسلط عليه بتزيين الضلالة له، بل والدعوة لهذه الضلالة والكيد لغيره ،كما في قوله تعالى﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[2]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :(من قرأها بفتح الصاد معناه: أنهم لما زُين لهم ما هم فيه ، وأنه حق، دَعوا إليه، وصَدوا الناس عن اتباع طريق الرسل)[3].

وقد بعث الله عز وجل نبيه صلى الله عليه ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[4]، فأعرض أهل مكة، وامتنع كثير من كبرائها عن الإيمان بدعوته، رغم اشتهاره بالصدق بينهم، فقد كانت(قريش بأسرها تتيقن صدقه قبل الإسلام، فجهروا بتكذيبه في استدعائهم إليه، فمنهم من كذبه حسدا، ومنهم من كذبه عنادا، ومنهم من كذبه استبعادا أن يكون نبيا أو رسولا)[5].

وقد استمر هذا الإعراض والصدود أعواماً طويلة، رغم الجهود العظيمة التي بذلها صلى الله عليه وسلم في دعوتهم، ورغم الصدامات الدامية التي جرت بين الفريقين، وفضلا عن إسلام بعض سادتها في مراحل متفاوتة من عهد الدعوة الإسلامية، حتى فتح الله على نبيه البلد الحرام، وفتح قلوب أهله للإسلام فدخلوا فيه راغبين، وحذت حذوهم قبائل العرب، فأسلموا بعد امتناع واستجابوا بعد تعنت وإعراض.

---

[1] سنن النسائي كتاب الجهاد باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد ٦/٢١ ح ٣١٣٤ واللفظ له، ومسند الإمام أحمد ٣/٤٨٣ عن سبرة بن أبي فاكه رضي الله عنه، وموارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان كتاب الجهاد باب فضل الجهاد ص ٣٨٥ ح ١٦٠١، وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة راوي الحديث سبرة بن الفاكه رض الله عنه: إسناد الحديث حسن إلا أن فيه اختلافا وصححه ابن حبان. انظر الإصابة ٢/١٤.

[2] سورة الرعد جزء من آية ٣٣.

[3] تفسير القرآن العظيم ٤/٣٨٥.

[4] سورة فصلت جزء من آية ٤.

[5] أعلام النبوة ص ٢١٢.

وأسباب الصدود تختلف من شخص لآخر، ومن مجتمع لمجتمع غيره.

كما أنها تكون أحيانا داخلية نابعة من نفس الإنسان الضال عن طريق الحق، وتارة تكون بسبب تأثير عوامل خارجية.

وقد يكون سبب الصدود مقصودا، كشهوة متحكمة، أو غير مقصود كشبهة عارضة مضلة.

والمدعو تارة يكون مصدودا عن الحق بفعل هذه العوامل، وأحيانا يكون هو ذاته العامل الفعال في الصد عن سبيل الحق.

وتنتظم هذه الموانع مؤلفة أسبابا معينة، أذكرها ضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: الأسباب المتعلقة بالظروف القائمة المحيطة المؤثرة(أو الظروف البيئية الفاسدة).

المطلب الثاني: الأسباب المتعلقة بالرؤية العقلية المنحرفة(الانغلاق الذهني).

المطلب الثالث: الأسباب المتعلقة بالمؤثرات في الأهواء.

المطلب الأول: الأسباب المتعلقة بالظروف القائمة المحيطة المؤثرة

الظروف والأوضاع القائمة حول المدعو، قد تسبب له- بقدر ما لها من تأثير ونفوذ- النفور والصدود وتحول بينه وبين الاستجابة، ومنها ما هو شخصي متعلق تعلقا مباشراً بالمدعو كتقدمه في السن، كما أن منها ما هو اجتماعي جماعي محيط به، كتأثره بالكبراء من الناس أو رفقاء السوء.

ومن هذه الأسباب:

١- التقدم في السن:

فدعوات الرسل ودعوات التجديد الإصلاحية، تلقى غالبا مقاومة في بداية الأمر، بشكل خاص من كبار السن، لأن الأمور الاعتقادية عادة تتحلى عندهم بالثبوتية والاستقرار، وهذا ما يميز هذه الشريحة من المجتمع، الثبوت والابتعاد عن التقلب والتغيير.

وقد أثبتت الخبرة التاريخية والدراسات الحديثة، أن الشباب يتقبلون الأفكار الجديدة والتغير الثقافي أكثر من المتقدمين في السن.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:(الشباب وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عَتو وعَسَوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله شبابا، وأما المشايخ من قريش، فعامتهم بقُوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل)[1]، كما أن أكثر الذين تفاعلوا مع الصحوة الإسلامية المعاصرة هم أيضا من الشباب، كما هو ملاحظ.

ويمكن إرجاع هذه الظاهرة إلى عدة عوامل:

١- أن الشباب يتحلى بالمرونة الذهنية بسبب حداثة السن، فالإنسان تتصلب آلية التفكير والاستيعاب والتكيف لديه، على نحو يحاكي تصلب الجهاز الحركي عنده، ومن

---

[1] تفسير القرآن العظيم ١٣٦/٥.

ثم، فكما إنه يكتسب عادات صارمة في الأكل والمشي والكلام، فإنه يكتسب أيضا عادات صارمة في الفهم والتمثل والاقتناع، يصعب معه قبول الجديد[1].

وعن هذا المانع من موانع الاستجابة يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: مانع الإلف والعادة والمنشأ، فإن العادة قد تغلب حتى تغلب حكم الطبيعة، ومن ثم قيل هي طبيعة ثانية، فيُربى الرجل على المقالة ويُنشأ عليها صغيرا، فيتربى قلبه ونفسه عليها، ولا يعقل نفسه إلا عليها، ثم يأتيه العلم وهلة واحدة يريد إزالتها وإخراجها من قلبه، وأن يسكن موضعها، فيعسر عليه الانتقال، ويصعب عليه الزوال، فدين العوايد هو الغالب على أكثر الناس[2].وكلما عاش الإنسان هذا الدين مدة أطول اشتد رسوخه في نفسه وصعب نقله عنه إلى غيره.

٢- أن الشباب من طبعه الحماس والاندفاع، بسبب طول الأمل وإحساسه بأن في العمر بقية كافية للقيام بكثير من المشاريع، ولتطلعه نحو المستقبل، أما عند التقدم في السن، فإن النفس البشرية يصيبها نوع من السآمة والبطء في الانفعال والتفاعل مع الجديد[3]، خاصة إذا كان هذا الجديد هو دين واعتقاد سيغير حياته كلها اعتقادا وقولا وعملا.

٣- أن الكبار- عادة- لهم من مصالح ومنافع مرتبطة بالأوضاع القائمة، ولذلك فهو قد يرى في اعتناقه للدين الجديد خطرا على ما استحوذ عليه من نفوذ ومتاع، أما الشاب فطبعه الجرأة والإقدام والتضحية بكل شيء، وعلى العكس في ذلك كبار السن، فشأنهم مختلف في حرصهم على المحافظة على مكاسبهم ، واستعدادهم لخوض المعارك من أجلها[4].

٤- قد يجد كبار السن صعوبة في الانقياد إلى رأي من يصغرهم سنا وخبرة أو مكانة اجتماعية، وقد يرى أن في ذلك إغضاءً من مكانته الاجتماعية ومنزلته، واقحاما له

---

[1] بتصرف، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ص ٨٠.

[2] بتصرف، مفتاح دار السعادة ٩٨/١.

[3] بتصرف، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ص ٨٠.

[4] المرجع السابق ص ٨١.

بقلة الفهم والضلال، خاصة في المجتمعات التي غلب عليها المبالغة في توقير الكبير واحترامه.

لذلك كان من المنطقي تركيز الدعاة والمصلحين على الشباب فهم عدة المستقبل، وأمل التجديد، وهم عماد كل دعوة إصلاحية، وباندفاعهم للتضحية والفداء تتقدم الدعوات سريعا نحو الغلبة والنصر بإذن الله، مع عدم إغفال كبار السن، ففيهم كثيرون يتسمون بالعقل والحكمة وحب الخير والحق.

ومما يلاحظ في المؤمنين السابقين للإسلام أن جلهم كانوا شبابا، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الأربعين من عمره عند البعثة، وأبو بكر كان أصغر منه بثلاث سنين، وعمر أصغر منهما وكذلك عثمان أصغر من رسو ل الله، وعلي كان أصغر الجميع، وهكذا كان حمزة وعبد الرحمن بن عوف وبلال وعمار وغيرهم[1].رضي الله عنهم أجمعين.

فالشباب هم أكثر الناس تأثرا، وأسرعهم استجابة، بخلاف الشيوخ الذين تمسكوا بمعتقداتهم، وآثروا موروثاتهم، ولو تبين لهم الحق فيما يدعون إليه، فكان المكذبون للرسالة والمحاربون للدعوة هم كبار القوم[2] ، الذين نشأوا على الباطل وصلبت أعوادهم عليه، كأبي جهل وأمية بن خلف وأبي لهب وغيرهم.

٢- صد الكبراء وأصحاب المكانة وامتداد تأثيرهم على غيرهم من الناس:

وهم الرؤساء وأصحاب الجاه والأموال والمكانة الدينية أو الاجتماعية، وهم الذين خضع الناس لهم، وسلموا لهم مقاليد الحكم إضافة إلى مقاليد الفكر والنظر والتقرير، فالحق ما أتوا به، ورأس الحكمة في إتباعهم، حَكَر الناس عقولَهم دون عقولِهم، وحجروا على سمعهم وأبصارهم، فلا يرون حقا إلا ما فعله هؤلاء الزعماء، ومثلهم في ذلك فرعون الذي فرض وصايته العقلية على قومه، واستخف عقولهم(فحملهم على خفة الجهل

---

[1] بتصرف، السيرة النبوية دروس وعبر ص ٦٧.

[2] بتصرف، المنهاج النبوي في دعوة الشباب: سليمان بن قاسم العيد ص ٤٠، دار العاصمة لنشر والتوزيع، الرياض، ط:١، ١٤١٥هـ.

والسفه، بقوله وكيده وغروره، فأطاعوه فيما أمرهم به، وقبلوا قوله وكذبوا موسى، فقال عنه تعالى ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ.... ﴾[1].

وقد عُبر عنهم في القرآن بـــ(الملأ) وهم: أشراف الناس ورؤساؤهم، ومقدموهم الذين يرجع إليهم في قولهم[2]،وهم البارزون في المجتمع وأصحاب النفوذ والسيادة فيه، ومن ثم فهم يستحقون -في عرف الناس- قيادة المجتمع والزعامة والرئاسة فيه[3].

ومن أسباب هذه الزعامة: المكانة الدينية الرفيعة، كتلك الزعامة التي كانت لقريش وأهل مكة بشكل عام، فهم حماة حرم الله، والقائمون على خدمة بيته العتيق وزواره، وقد دانت لهم قبائل العرب بذلك، فكان في إعراض أهل مكة عن الدين الحق ومعاداتهم للدعوة الإسلامية مردود سلبي على من حولهم من القبائل، وباعث لهم على رفض دين الإسلام، كما كان بعد ذلك لدخولهم في الإسلام جملة واحدة أثر إيجابي، في إقبال الناس على إتباعهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم:((الناس تبع لقريش في الخير والشر))[4].

ويبين الإمام النووي رحمه الله سبب اتباع الناس لقريش في الإسلام وفي الجاهلية بقوله:(لأنهم كانوا في الجاهلية رؤساء العرب ، وأصحاب حرم الله، وأهل حج بيت الله، وكانت العرب تنتظر إسلامهم، فلما أسلموا وفتحت مكة، تبعهم الناس، وجاءت وفود العرب من كل جهة، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وكذلك في الإسلام هم أصحاب الخلافة، والناس تبع لهم)[5]،كما في قوله عليه الصلاة والسلام:((الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم لمسلمهم، وكافرهم لكافرهم))[6].

ولم يكن هذا التأثر من العرب بسبب إعراض قريش وصدودها عن الإسلام فحسب، بل رافق ذلك، كيدهم وحرصهم على صد الناس عن الدخول في هذا الدين، وسعيهم الدؤوب في شن حرب التكذيب والافتراء لإضلال الناس.

---

[1] سورة الزخرف جزء من آية ٥٤.

[2] النهاية في غريب الحديث ٣٥١/٤.

[3] بتصرف، أصول الدعوة ص ٣٨٠.

[4] صحيح الإمام مسلم كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش ١٤٥١/٣ ح ١٨١٩.

[5] صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٠/١٢.

[6] صحيح الإمام مسلم كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش ١٤٥١/٣ ح ١٨١٩.

لقد علم زعماء مكة أنه لا بقاء لحكمهم ، ولا قرار لزعامتهم، إذا انتشرت الدعوة الإسلامية، فبذلوا ما في وسعهم للنيل من الإسلام، لصد العامة من الناس عنه، والعامة عرضة للتأثر بالملأ، والسير وراءهم في مواقفهم من دعوة الحق، لا سيما عند فقدانهم العلم النافع والعقل الراجح، مما يجعلهم عرضة لمكر الليل والنهار، وتدبير الملأ الذين يحرصون على ضمهم إليهم، وبقائهم تحت سلطانهم[1].

ومما فعله هؤلاء السادة[2]، في سبيل الصد عن دعوة الحق:

١-إثارة الشبهات لتشويه صورة الإسلام في أنظار أتباعهم ومن حولهم، كاتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يريد الشرف والاستعلاء على قومه، وأن يكون له أتباع، واتهامه بالكذب والتخرص[3]،ويصف الله تعالى حالهم في قوله﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴾[4].

ومن ذلك ملاحقتهم له حينما كان يعرض دعوته على القبائل، باحثا عمن ينصره ويؤويه، تشويشا على الناس قائلين: يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم، فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى[5].

وقد أثمرت جهودهم في الصد عن دين الله، حتى قالت القبائل: قوم الرجل أعلم به، أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه؟[6].

٢- استخدام القوة والنفوذ لإرهاب من يخالفهم وصده عن سبيل الله، والتعرض له بالأذى النفسي والجسدي، فأرباب الباطل يخوفون العامة ليضعفوا هممهم، ويثبطوا عزائمهم، فيضطروا إلى طلب السلامة من الأذى الذي يهددهم به السادة[7].

---

[1] بتصرف، الدعوة الإسلامية ودعاتها ص ٥٦.

[2] راجع المبحث السابق :موقف قريش من الدعوة الإسلامية.

[3] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٤٥/٧.

[4] سورة ص الآيتين ٦-٧.

[5] البداية والنهاية ١٣٩/٣.

[6] المرجع السابق ١٤٠/٣. والشبهات ذاتها تتكرر في الوقت الحاضر لمن تصدى للدعوة والجهاد في سبيل الله.

[7] بتصرف، الدعوة الإسلامية ودعاتها ص ١٥٧.

وقد أدى هذا الخوف من الأذى إلى منع أقوام من الهجرة إلى المدينة، أو إلى الاستسرار بإسلامهم، أوحال دون دخولهم في الإسلام تقية من قومهم، ومن أجل هؤلاء المستضعفين الخائفين منع الله تعالى القتال يوم الحديبية[1]، كما علم المسلمون ذلك من قوله تعالى﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ..... ﴾[2] وكان الأمن النفسي الذي حصل عليه هؤلاء المؤمنون في مدة الصلح بعد ذلك، دافعا لهم لإظهار إسلامهم والجهر به.

ومن كيدهم للمسلمين، مناصبتهم العداء لحليفتهم خزاعة، وإضمار الشر لها، حيث دخلت في عقد المسلمين، وهذا يعني وقوفها في خندق واحد معهم ضد قريش، فبيتوا لها الغدر، ويظهر ذلك في تصريح حويطب بن عبد العزى لسهيل بن عمرو رضي الله عنهما، حيث قال: بادأنا أخوالك بالعداوة- يعني أخوال سهيل وهم من خزاعة- وقد كانوا يستترون منا، فدخلوا في عقد محمد وعهده. ثم يتوعد قائلا: نصنع بهم أن ننصر عليهم حلفاءنا بني بكر[3].فكان ذلك وأمدت قريش بني بكر ببعض السلاح والرجال ثأرا من خزاعة، فكان ذلك سببا لتحرك النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة، لنقض أهلها العهد.

إن ما يتوقعه الراغب في دخول الإسلام من عداء شامل من بني قومه، يضيف إلى نفسه معاناة شديدة، تجعله يدرك أنه بعد المواجهة مع نفسه للخروج من دينه القديم والانتقال إلى دين الحق، سيواجه أهله وأقرباءه، وسيتعرض إلى الكثير من النقد والاتهام والإيذاء[4]، وهذا قد يسبب له الانصراف عن فكرة الدخول في الإسلام أو الاستقامة عليه.

---

[1] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٣٢٥/٧، وانظر الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ص ١٠٦.

[2] سورة الفتح جزء من آية ٢٥.

[3] بتصرف، المغازي: الواقدي ٦١٢/٢، وانظر صلح الحديبية: محمد باشميل ص ٢٨٤.

[4] بتصرف، بحث بعنوان: الرواسب الفكرية والاجتماعية، دراسة دعوية عن حقيقتها وأثرها وكيفية التعامل معها: د. زيد الزيد، في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الثاني عشر ١٤١٥هـ.

٣- رفقاء السوء وأثرهم في الصد عن سبيل الله:

كان المشركون إذا أراد أحدهم الدخول في الإسلام، أو حدث نفسه بذلك ثبطه أقرانه، وعادوه، وأثاروا حمية الجاهلية في نفسه، بتعييره بمخالفة الآباء والأجداد، وقد كان ذلك سببا في وفاة أبي طالب على ملة الكفر، ، فقد روى الإمام البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخل على عمه لما حضرته الوفاة، فقال:((أي عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله))، فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية – قبل إسلامه رضي الله عنه: يا أبا طالب ،ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب)[١].

وعند الإمام مسلم رحمه الله أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم:(لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك)[٢].

ومما يدل على أثر الرفقة السيئة في الصد عن سبيل الله، جواب حويطب بن عبد العزى –من مسلمة الفتح– رضي الله عنه لمروان بن الحكم[٣]، وقد ولي المدينة، لما دخل عليه، فقال له مروان: تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث. فقال حويطب: والله لقد هممت بالإسلام غير مرة، كل ذلك يعوقني أبوك، عنه وينهاني، ويقول: تضع شرف قومك ودين آبائك لدين محدث، وتصير تابعه. فأُسكت مروان، ثم قال حويطب: أما كان أخبرك عثمان ما لقي من أبيك حين أسلم، فازداد مروان غما.

---

[١] صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب ٢٤٧/٤.

[٢] كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع...الخ ٥٥/١ ح ٢٤

[٣] هو مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي، أبو عبد الملك، من كبار التابعين وقيل: له رؤية، ولد بمكة وهو أصغر من الزبير بأربعة أشهر، قربه عثمان رضي الله عنه فنقم منه الناس لذلك، قاتل يوم الجمل أشد القتال، ثم جرح واختفى فأمنه علي رضي الله عنه، كان ذا شهامة وشجاعة ودهاء، استولى على الشام ومصر، وعقد لولديه عبد الملك وعبد العزيز، حكم تسعة أشهر، مات خنقا، وقيل: مات بالطاعون سنة ٦٥هـ. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٤٧٦/٣.

ودار بينهما حديث كان منه: ولقد شهدت بدرا مع المشركين، فرأيت عبرا، رأيت الملائكة تقتل وتأسر بين السماء والأرض، فقلت: هذا رجل ممنوع، ولم أذكر ما رأيت أحدا، وانهزمنا راجعين إلى مكة[1].

هذا الحديث يبين أثر الرفقة السيئة في الصد عن سلوك طريق الهدى، والتنكيل بمن دخل في الإسلام حتى لو كان صاحب مكانة وشرف كعثمان رضي الله عنه، وفي ذات الوقت يخشى المرء من إذاعة ما أراه الله من البراهين خوفا من مخالفة رفاقه.

ومن استجاب لهذا الداعي الوهمي غرر به وأضله، وتحسر يوم القيامة، ولات حين مندم، ويصدق فيه قوله تعالى﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[2]، مما قيل في سبب نزول الآيات أن عقبة بن أبي معيط أسلم، أو كاد فصده أمية بن خلف –وكان خليلا له–عن ذلك فكفر[3].

والإنسان بطبعه يتأثر بمن حوله من الناس، وقد تتسلل الشبهات عن طريق هذه الرفقة، وذلك مما يوسوس به الشيطان، كما قال الإمام ابن حزم رحمه الله :(لم أر لإبليس أصيد ولا أقبح ولا أحمق من كلمتين ألقاهما على ألسنة دعاته، إحداها: اعتذار من أساء، بأن فلانا أساء مثله، والثانية: استسهال الإنسان أن يسيء اليوم، لأنه قد أساء بالأمس)[4].

---

[1] جزء من حديث طويل رواه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ٤٩٢/٣، وسكت عنه ، وسكت عنه الذهبي.

[2] سورة الفرقان الآيات من ٢٧– ٢٩.

[3] بتصرف، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨/١٩، ولباب النقول في أسباب النزول ص ١٦٣.

[4] الأخلاق والسير في مداواة النفوس ص ٣١.

٤- إنفاق الأموال في سبيل الصد عن دين الله:

وذلك بإغراء الناس به، مستغلين ما جبل عليه الإنسان من حب الخير والمال، ومن ذلك محاولتهم التأثير على النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم: إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا[١].

ومن إنفاقهم كذلك ما بذله صفوان بن أمية لعمير بن وهب -قبل إسلامهما- من الأموال لقاء قتله للنبي صلى الله عليه وسلم، لكن أسفرت محاولة الاغتيال عن إسلام عمير رضي الله عنه[٢]، ثم كان بعد الفتح رسولا يحمل الأمان لصفوان، الذي تأخر إسلامه إلى بعد حنين[٣].

ويبين الله تعالى مصير ما أنفقه المشركون للصد عن سبيل الله وحرب الإسلام في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[٤]، ومما روي في سبب نزول هذه الآية: أن قريشاً لما أصيبت يوم بدر، مشى بعض رجالها، فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة ، فقالوا: يا معشر قريش ،إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال الذي أفلت على حربه، لعلنا ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا، ففعلوا[٥]، فكان (غرضهم من الإنفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله، وإن لم يكن عندهم كذلك)[٦]، فقد طمست بصائرهم عن رؤية الحق، وهانت عليهم أموالهم في سبيل تحقيق هذه الغاية.

---

[١] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣١٣/١.

[٢] راجع ص ١٥.

[٣] انظر دلائل النبوة ٤٦/٤. وموطأ الإمام مالك باب نكاح المشرك إذا أسلمت زوجته قبله- تنوير الحوالك- ٧٥/٢، و المصنف: عبد الرزاق الصنعاني ١٦٩/٧ ح ١٢٦٤٦، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم : ابن هشام ٣٠٧/٣.

[٤] سورة الأنفال آية ٣٦.

[٥] بتصرف، أسباب النزول: أبو الحسن النيسابوري ص ١٥٩، ولباب النقول في أسباب النزول ص ١١٢.

[٦] تفسير الفخر الرازي ١٦٦/١٥.

هذه بعض النماذج والأساليب التقليدية لأعداء هذا الدين، إنهم ينفقون أموالهم، ويبذلون جهودهم، ويستنفدون كيدهم، في الصد عن سبيل الله وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين، وفي حرب العصبة المسلمة، في كل أرض وفي كل حين.[1]

ويوم القيامة يتضح ضلال هؤلاء الأتباع، وتنكشف الغشاوة عن أبصارهم، ويتوجهوا إلى الله تعالى معتذرين بقولهم﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾[2].

ويلقوا باللائمة على هؤلاء السادة الكبراء، الذين كادوا لهم وصدوهم ،فاستجابوا لصدهم، ويدور بينهم خصام وحوار مؤلم ذكره تعالى في قوله﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[3].

---

[1] بتصرف، في ظلال القرآن ١٥٠٦/٣.

[2] سورة الأحزاب الآيتان ٦٧-٦٨.

[3] سورة سبأ الآيات ٣١-٣٣.

المطلب الثاني: الأسباب المتعلقة بالرؤية العقلية المنحرفة:

وهذه الرؤية تعتمد بشكل كبير على الخلفية الفكرية النامية في ذهن المدعو، والتي تسبب الانحراف الفكري عن منهج التفكير السليم[1].

وقد تسمى: [الرواسب الفكرية] ويعرفها د.زيد الزيد بأنها:(ما ورد على الإنسان، وأثَّر في تكوينه العقلي، وطريقة تفكيره، وتعامله مع الحياة، وتفسيره لها، وتتجمع هذه الواردات في ذاكرته، من منزله وبيئته ومجتمعه وثقافته، لتكوِّن رأيا ذا تأثير في التعامل والقبول والرد، دون أن يشعر بذلك في غالب الأحيان)[2]، وقد أورثت هذه الخلفية قريشا شكا بالحق وعدم تصديق له.

يقول القاضي الباقلاني[3] رحمه الله: صوارف كفار العرب عن الإسلام كثيرة، فرغم فصاحتهم إلا أن تأثرهم بإعجاز القرآن وفصاحته لم تكن على طريقة واحدة، لأن صوارفهم كانت كثيرة، مثل أنهم كانوا يشكون، فمنهم من يشك في إثبات الخالق، ومنهم من يشك في التوحيد، ومنهم من يشك في النبوة، ألا ترى إلى قول أبي سفيان لما جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليسلم، وقال له:((أما آن لك أن تشهد أني رسول الله؟)) قال : أما هذه ففي النفس منها شيء[4].

ولا يكاد يخلو مجتمع من العقائد الموجِّهه نحو الكون والحياة وعلاقات الناس بخالقهم وأبناء جنسهم، وهذه في جملتها تشكل الأساس النظري والمعنوي للواقع المعاش، وتشكل

---

[1] انظر العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٨٣.

[2] الرواسب الفكرية ص ٢٣. ويسميها الأستاذ عبد الرحمن الميداني (سوابق الأفكار) انظر بصائر للمسلم المعاصر ص ١١٤.

[3] هو محمد بن الطيب بن محمد البصري ثم البغدادي، صاحب التصانيف، ولد في البصرة سنة ٣٣٨هـ، وانتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، كان يضرب به المثل في قوة ذكائه وفهمه، وكان سيفا على المعتزلة والرافضة والمشبهة، وجهه عضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم، فجرت له مناظرات مع علماء النصرانية توفي رحمه الله سنة ٤٠٣هـ. بتصرف، سير أعلام النبلاء ١٩٠/١٧، والأعلام ١٧٦/٦.

[4] إعجاز القرآن: الإمام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ص ٥٤-٥٥، قدم له وشرحه وعلق عليه: الشيخ محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم والتراث ط:١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

أسسا فكرية ثابتة في عقولهم، وبالتالي فحين تطرح قضية من القضايا، فإن الناس لا يتعاملون معها من فراغ، وإنما من خلال الثوابت لديهم[1].

والبشر بطبعهم ميالون لمقاومة التغيير والتحويل عما ألفوه، خاصة في الأمور المتعلقة بالعقيدة، لأنها مفاهيم متأصلة منغرسة في عقل وقلب الإنسان، تترجمها الجوارح إلى سلوك عملي.

والاقتناع بالعقيدة الجديدة يستلزم النظر بموضوعية وتأمل وتجرد من الخلفية الفكرية السابقة. وكثير من الناس يظل متخبطا ، لا يتضح له الحق، ولا ينكشف له وجهه، مهما عرضت عليه الأدلة والبراهين، لا لأن الأدلة غير كافية للإقناع بالحق، ولكن لأن سوابق الأفكار كان لها سلطان على عقولهم، وتأثير فيها ،وتغشية على بعض قدرات الرؤية لديها.[2]

ويحدث من اجتماع ذلك صراع بين الحق والباطل، وتضارب بين الأفكار القديمة والحديثة، في داخل نفس المدعو، وينتج عن ذلك الصراع -إذا قوي أثر هذه الرواسب الفكرية- اندفاع وانجذاب إلى الاعتقاد الذي تغلب على فكره وظهر في نفسه، ونفور من الاعتقاد الآخر المعاكس، والإعراض عنه، بل ومعاداته أحيانا، إلا أنه لا يمحيه تماما ،إذ قد يظهر الانجذاب إليه والاعتقاد به، في وقت لاحق، متى زال تأثير هذه الخلفية الفكرية، وسنحت الفرصة لتأثير الفكر الجديد، وأبرز مثال على ما سبق، إسلام قريش بعد الفتح وهيمنة الإسلام، وإزالة رموز الشرك، فكانت أنفسهم كالأرض العطشى إلى الغيث ما لبثت أن تشربت هذا الخير دفعة واحدة.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى انغلاق ذهن المدعو وصدوده عن الحق ،ما يلي:

١- جاهلية المقاييس[3]:

حين يزن المدعوون الأمور بنظرة سطحية ،تمليها عليهم المقاييس والموازين الجاهلية المنحرفة ، وتوحي لهم بها وساوس عقولهم الضالة، فإن هذه المقاييس لا تهديهم إلى الحق أبدا، بل إنها تصدهم عن إتباعه.

---

[1] بتصرف، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ص ١١٩.

[2] بتصرف، بصائر للمسلم المعاصر ص ١١٤-١١٥.

[3] انظر الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص ٤١٥، و العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٨٧- ٦٩٠.

وهذا ما وقع لأهل مكة ، حين أرادوا تطبيق بعض موازينهم البشرية النابعة من أهوائهم على أمر النبوة والرسالة ، فوقعوا في (الاستدلال الفاسد، وإنكار القياس الصحيح، -وذلك بسبب -جهلهم بالجامع والفارق)[1]،ومثال ذلك:

– استنكارهم بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو إنسان يسعى في طلب الرزق كسعيهم، ويعيش كعيشهم، قال تعالى﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[2]، فتعجبوا أن يكون رسولهم مساويا لهم في الجنس والوصف، من غير فرق بينه وبينهم، ووصفوه بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية، وحطها عن منصب النبوة، وقالوا لقومهم إغراء على عداوته: إنه يريد أن يسودكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة، مع كونه مثلكم، ولو شاء الله إرسال رسول لأرسل رسولا من الملائكة[3].

– اقتراحهم أن تكون الرسالة في رجل من أصحاب الشرف العظيم والسيادة في قومه، وذلك في قولهم ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[4]، وقد

---

[1] مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية ص ٢٢. وموضوع القياس محله كتب أصول الفقه، والقياس كما عرفه القاضي أبو بكر هو:(حمل معلوم على معلوم، في إثبات حكم لهما، أو نفيه عنهما، بأمر جامع بينهما) الإحكام في أصول الأحكام: الإمام سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي ٢٦٦/٣، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:(القياس الصحيح هو الذي وردت به الشريعة، وهو الجمع بين المتماثلين، والفرق بين المختلفين، الأول قياس الطرد، والثاني قياس العكس، ..فالقياس الصحيح: مثل أن تكون العلة التي علق بها الحكم في الأصل موجودة في الفرع، من غير معارض في الفرع يمنع حكمها، ومثل هذا القياس لا تأتي الشريعة بخلافه قط، وكذلك القياس بإلغاء الفارق، وهو: أن لا يكون بين الصورتين فرق مؤثر في الشرع، فمثل هذا القياس لا تأتي الشريعة بخلافه) الفتاوى: ابن تيمية ٢٠/ ٥٠٥.

[2] سورة الإسراء آية ٩٤.

[3] بتصرف، مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية ص ٢٣. وهذا المقياس الضال هو ذات الحجة التي تذرع بها قوم نوح عليه السلام، كما في قوله تعالى﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون: ٢٤)، وبه قاس قوم صالح عليه السلام نبيهم، كما في قوله تعالى :﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (الشعراء: ١٥٤)، وكذلك قالها مشركوا العرب، الذين ساووا بين ربهم وبين أصنامهم وأوثانهم، فقد أخبر تعالى عنهم إنكارهم للوحي الإلهي، وتكذيبهم بالقرآن الكريم، في قوله تعالى﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ .... ﴾(الأنعام: ٩١).

[4] سورة الزخرف آية ٣١.

كان النبي عليه الصلاة والسلام في الذؤابة من بني هاشم ،وبنو هاشم من أشرف قريش، وقريش في الذروة من العرب، ولكنه صلى الله عليه وسلم -لحكمة إلهية- لم يكن زعيم قبيلة ، أو عظيم قرية، ولما كان العرب يعتزون بمثل هذه القيم الجاهلية، اعترضوا بقولهم ذلك، فتخبطوا وخلطوا في القيم والموازين الأرضية، وقيم الدعوة وموازينها، وظنوا أن الوحي ينزل على هواهم، فاقترحوا أحد رجلين للرسالة: الوليد بن المغيرة، أو عروة بن مسعود[1]، وهذا من سفاهة أحلامهم لأن ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ..... ﴾[2]، والنبوة رحمة من الله، لا يؤتاها إلا مستحقها، وليست نوعا من التفاضل الدنيوي بين الناس، فالتفاضل الدنيوي هو ناموس عمراني ليس غير، وهذا الناموس هو الذي تسير عليه القيم الأرضية من تفاضل بالمكانة والجاه، والثروة، أما النبوة فشأنها أعظم من ذلك، فهي اصطفاء واختيار من الله تعالى[3].

- من مقاييسهم الجاهلية المنحرفة، مساواتهم القيام بشؤون بيت الله الحرام، وعمارته وسقاية الحجيج، للإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجهاد في سبيله، وافتخارهم بل واستكبارهم بذلك، لكن الله تعالى أخبر أن الإيمان به، والجهاد مع نبيه، أفضل من سقايتهم الحاج وعمارتهم المسجد الحرام، فلم يكن ذلك ينفعهم عند الله مع الشرك به، أن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه[4]، وأنزل فيهم قوله تعالى﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5]، فهذه الأعمال الصالحة لن تغني عنهم عند الله شيئا إلا أن يعبدوه وحده لا شريك له.

---

[1] بتصرف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص ٤١٦، وانظر لباب النقول في أسباب النزول ص ١٨٨.

[2] سورة الأنعام جزء من آية ١٢٤.

[3] بتصرف، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، صور مقتبسة من القرآن الكريم ١٩٦/١.

[4] بتصرف، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩٥/١٠، وانظر تفسير القرآن العظيم ٦٣/٤، وقد قيل أن هذه المفاضلة جرت بين المسلمين، وقد جمع الإمام القاسمي بين أسباب النزول انظر محاسن التأويل ١٤٩/٨.

[5] سورة التوبة آية ١٩.

– ومنها مطالبتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الحسية، التي تعرفهم بمنزلته عند ربه–كما يزعمون–فهم يعتقدون أن الرسالة منصب لا يستحقه إلا صاحب التميز عن قومه بالثراء والمكانه، والقدرة على الإتيان بالمعجزات، قياسا على من سبقه من الأنبياء، حتى أنهم يقولون عن الحق: ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[1].

ومقولتهم هذه على وجه التعنت والعناد والكفر والجهل والإلحاد،[2] كما قال تعالى عنهم﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾[3].

وفي معرض طلبهم المعجزات اجتمع وفد منهم–فيهم أبو سفيان وعبد الله بن أبي أمية– وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يفجر في أرضهم الأنهار، أو يجعل له الثراء العريض فيجعل له الجنان والكنوز، والقصور والذهب والفضة.

ومنه قول عبد الله بن أمية –وهو ابن عمته– :فوالله لا أؤمن لك أبدا، حتى تتخذ إلى السماء سلما، ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي معك بنسخة منشورة، معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وأيم الله، لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك[4].

فأنزل الله تعالى الآيات تبين لجاجتهم وسفه مطالبهم، وتقرر بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم، وتبطل ميزانهم الباطل، في قوله تعالى﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾[5].

---

[1] سورة الأنبياء جزء من آية ٥.

[2] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٢٥١/٦.

[3] سورة القصص آية ٤٨.

[4] بتصرف، سبب نزول الآيات في لباب النقول للسيوطي ص ١٤٠–١٤١. وانظر قصة وفد زعماء قريش كاملة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١/ ٣١٥–٣١٨.

[5] سورة الإسراء آية ٩٠، و انظر الآيات ٩١–٩٣، وكذلك في سورة الفرقان الآيات من ٧–٩.

ولو علم الله تعالى أنهم يسألون ذلك استرشادا، لأجيبوا إليه، لكنه علم أنهم يطلبون ذلك كفرا وعنادا[1]،(ولو أنزل تعالى أعظم الآيات لما آمنوا إلا أن يشاء الله، لأن الإيمان لا يتوقف على المعجزات، وإنما هو منوط بحسن القصد، وشرح الله صدر المرء به)[2].

٢- العصبية القبلية :

إن التعصب لشخص أو قوم أو حزب أو جماعة أو فكرة قديمة، ظاهرة موجودة في مختلف المجتمعات البشرية، ومن مختلف مستوياتها، وهذه الظاهرة تمثل انحرافا مرضيا حين لا تكون ذات مضمون أخلاقي كريم ، كالانتصار لحزب الله ولجماعة المؤمنين فيما يدعون إليه من الحق، على أنها حينئذ لا تسمى تعصبا، بل هي ثبات على الحق وانتصار له[3].

والتعصب لأسباب جاهلية، من أسباب الصدود عن دين الحق، حين يبتلى به الإنسان، فيعمي بصره عن رؤية الحق، ويغشى على قلبه، فلا يرى حسنا إلا ما حسن في رأيه، ولا صوابا إلا ما ذهب إليه هو أو من يتعصب له[4].

وطريق التعصب هو الصد عن معرفة دليل المخالف، أو الاستماع إليه، أو اعتباره في النظر بأي وجه من الاعتبار[5].

وقد يكون منشأ التعصب ، الصراعات القديمة والتنافس القبلي الجاهلي، فيتعصب الإنسان لقومه أو قبيلته، ويناصرها بالباطل، ولو ظهر أن الحق مخالف للجهة التي يتعصب لها.

ويظهر هذا الداء بجلاء في قصة استماع أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه-وذلك قبل إسلامه- وأبي جهل والأخنس بن شريق، إلى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ثم تلاومهم على ذلك ، وما تلى ذلك من سؤال الأخنس لأبي جهل(يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال له أبو جهل: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا بالركب

---

[1] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ١١٧/٥، وسبب نزول الآيات ص ١١٥.

[2] سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن الكريم ١/ ٢٤٣.

[3] بتصرف، بصائر للمسلم المعاصر ص ١١٧.

[4] بتصرف، مقدمة في اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٨٣.

[5] المرجع السابق ص ٨٥.

وكنا كفرسي رهان، قالوا :منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه)[1].

كما روي أنه قيل لأبي جهل في مسيره لغزوة بدر:(أرأيت مسيرك إلى محمد، أتعلم أنه نبي؟ قال: نعم، ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف)[2]، فهذا طاغوت مكة لا ينكر النبوة، لكنه يرفضها، لأنها لم تكن في بيته، فهو يرفض أن يكون تابعا لمنافسه في الرياسة والشرف.[3]

وقد تنشأ العصبية نتيجة(محبة الأهل والأقارب والعشيرة، يرى أنه إذا اتبع الحق وخالفهم، أبعدوه وطردوه عنهم وأخرجوه من بين أظهرهم، وهذا سبب بقاء خلق كثير على الكفر بين أقوامهم وأهاليهم وعشائرهم)[4].

وممن اشتهر بحب قومه أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه، حتى وصفه ابن اسحق بقوله:(وكان أبو سفيان رجلا حليما منكَرا[5] ، يحب قومه حبا شديدا)[6]، ومما يدل على حبه لقومه وحميته ما روي من: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على أبي جهل وأبي سفيان وهما جالسان، فقال أبو جهل: هذا نبيكم يا بني عبد شمس. فقال أبو سفيان: وتعجب أن يكون منا نبي؟ فالنبي يكون فيمن أقل منا وأذل. فقال أبو جهل: أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبيا. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع. فأتاهما فقال:((أما أنت يا أبا سفيان، فما لله ورسوله غضبت، ولكنك حميت للأصل..))[7].

وقد عبَّر أبو سفيان عن حبه لقومه وحدبه عليهم، في حرصه على أخذ الأمان لهم قبل الفتح، ثم مناشدته الرسول صلى الله عليه وسلم الإبقاء على قريش وحقن دمائهم ، لما

---

[1] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٣٨/١، وانظر البداية والنهاية ٩٤/٣ .

[2] المصنف: ابن أبي شيبة ٣٧٣/١٤ ح ١٨٥٤٣.

[3] بتصرف، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة: محمد الصوياني ص ١٣٦، مطابع شركة الصفحات الذهبية الرياض، ط:١، ١٤١٢هـ.

[4] مفتاح دار السعادة ٩٧/١.

[5] رجل منكر: أي داهٍ، والنكارة: الدهاء، ويقال للرجل إذا كان فطنا منكرا: ما أشد مكره. الصحاح فصل النون باب الراء ٨٣٧/٢.

[6] سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٢/٢.

[7] البداية والنهاية ٦٥/٣، وقال الحافظ بعد إيراد الحديث: هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

اعترضوا جيش المسلمين مع أوباشهم، وكثر القتلى منهم، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم:(يا رسول الله أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم)،[1]وذلك رأفة بعشيرته أن تقتل وتفنى.

ويبلغ التعصب مبلغا عجيبا ، فحتى في حال الهزيمة ، تبقى جذوة العصبية متوقدة، كما قال صفوان بن أمية لأخيه من أمه جَبَلة-أو كلدة- بن الحنبل-وهما مشركان في المدة التي جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم لصفوان- حين رأى انهزام المسلمين في حنين: اسكت فض الله فاك ، فوالله لأن يربَّني رجل من قريش، أحب إلي من أن يربَّني رجل من هوازن. وذلك بعد قول جبلة: ألا بطل السحر اليوم[2].

وقد أبلغ النبي صلى الله عليه وسلم قومه غاية البلاغ، حين فاصلهم على دعوته، وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة، هو حياة الصلة بينه بينهم، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب، ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله[3]،وذلك حين أنزل عليه قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[4] فقال:((يا معشر قريش- أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا. يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئا. يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا))[5].

ثم أعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن بعد الفتح زوال هذه العصبية، وإحلال أخوة الإسلام، والتناصر والتعاون على البر والتقوى محلها، وذلك في قوله:((لا حلف في الإسلام))[6].

---

[1] سبق تخريجه ص ١٢٥.

[2] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٧٢/٤. ويربني :أي يكون لي ربًّا أو ملكا علي.

[3] بتصرف، فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي ص ١٠١.

[4] سورة الشعراء آية ٢١٤.

[5] صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن سورة الشعراء باب ولا تخزني يوم يبعثون ١٦/٦، واللفظ له، وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب في قوله تعالى﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، ١٩٢/١.

[6] سبق تخريجه ص ١٤٣.

٣- تقليدهم الآباء والأجداد:

وهذه الحجة تكاد تكون مشتركة بين طوائف المعرضين عن الحق، في مختلف الأمم قديما وحديثا، وهي شبهة الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد من العادات والدين، وأنهم ورثوا هذه العقيدة التي يدينون بها عنهم، وقد بين الله تعالى هذه الحجة في قوله﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾[1]،وهي شبهة تتعلق بها نفوس المشركين، وهي حجة داحضة يلجأ إليها كل من يعجز عن إقامة الدليل على دعواه[2].

وأما أهل مكة فكان حالهم كما قال تعالى عنهم﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ..... ﴾[3].

وسبب صدودهم هو: تقديسهم لتراث أسلافهم، وتخيلهم أن في إسلامهم ومتابعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، طعنا وإزراء منهم على آبائهم وأجدادهم وذما لهم، وهذا هو الذي منع أبا طالب وأمثاله من الإسلام، استعظموا آباءهم وأجدادهم أن يشهدوا عليهم بالكفر والضلال، وأن يختاروا خلاف ما اختار أولئك لأنفسهم، ورأوا أنهم إن أسلموا سفهوا أحلام أولئك، وضللوا عقولهم ، ورموهم بالكفر والشرك[4].

يقول الإمام ابن الجوزي[5] رحمه الله: (ومن أقبح ما لبسه الشيطان عليهم-أي المشركون- تقليد آبائهم من غير نظر في دليل)[1]، ومن ذلك الشرك، والبدع الجاهلية التي

---

[1] سورة الزخرف آية ٢٣.

[2] بتصرف، بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل، ودحض الشبهات التي أثيرت حوله: د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ص ٢٦، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط: بدون ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م. وانظر مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية ص ٧ و ص ٩.

[3] سورة لقمان جزء من آية ٢١.

[4] بتصرف، مفتاح دار السعادة ٩٧/٢، وانظر العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٨٥.

[5] هو الحافظ المفسر الواعظ: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد التيمي القرشي البغدادي، يرجع بنسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولد ببغداد سنة ٥٠٩هـ وتوفي والده وعمره ٣ سنوات فربته عمته، كان علامة عصره في التاريخ والحديث، أكثر من التصنيف وله نحو ٣٠٠ مصنف، توفي سنة ٥٩٧هـ وكان يوم وفاته يوما مشهودا رحمه الله. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٣٦٥/٢١، والأعلام ٣١٦/٣.

نبَّه عليها القرآن[٢]، فالواجب عندهم تقليد ما شرعه لهم أسلافهم، وهو محترم ومعظم عندهم، لا يجوز رد شيء منه، أو المساس به، بل أن جوابهم كان لنبيهم لما أراد هدايتهم إلى طريق الهدى هو قولهم﴿ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ..... ﴾[٣].

وقد غفلوا عن المنهج القرآني في حضه على النظر والاعتبار، كقوله تعالى﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[٤]،وقوله﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾[٥].

كما غفلوا عن المسئولية الشخصية التي يتحملها كل فرد عن نفسه، كما قال تعالى﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴾[٦].

(وهذا التفهم والتبين، لا يكون إلا بالنظر في الأدلة واستيفاء الحجة دون التقليد، لأن التقليد لا يثمر علما ولا يفضي إلى معرفة، وقد جاء النص بذم من أخلد إلى تقليد الآباء والرؤساء، واتباع السادات والكبراء ، تاركا بذلك ما ألزمه من النظر والاستدلال، وفرض عليه من الاعتبار والاجتهاد، فقال تعالى﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾[٧][٨] .

وخلاصة الأمر أن التقليد أنواع:

---

[١] تلبيس إبليس ص ٦٣.

[٢] كما في قوله تعالى﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ..... ﴾الأنعام جزء من آية ١٣٦،وقوله﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ ... ﴾المائدة جزء من آية ١٠٣. انظر الاعتصام ٣٧/٢.

[٣] سورة المائدة جزء من آية ١٠٤.

[٤] سورة ص آية ٢٩.

[٥] سورة العنكبوت آية ٤٣.

[٦] سورة الإسراء جزء من آية ١٥.

[٧] سورة البقرة آية ١٧٠.

[٨] الرد على من أخلد إلى الأرض، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض: الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ص ١٢٤، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل المَيس، دار الكتب العلمية بيروت ط:١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. وقد قال تعالى﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴾ الفرقان الآيات ٢٧-٢٩.

١-النوع الأول: التقليد المحرم بالنص والإجماع: وهو أن يعارض قول الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بما يخالف ذلك، كائنا من كان المخالف لذلك [١].

٢- التقليد المذموم القبيح في الشرع: وهو (الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوع منه في الشريعة)[٢] فيقول المقلِّد بقوله وهو لا يعرف وجه القول، ولا معناه، فهو تقليد بلا تعقل أو إدراك[٣].

وفي مثل هذا النوع قال ابن مسعود رضي الله عنه:(ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلا، إن آمن آمن ، وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر)[٤].

٣- التقليد الممدوح: وهو أن يتبع المقلدُ القائلَ على ما بان له-أي المقلِّد- من صحة قوله-أي المقلَّد-وصحة مذهبه، وهذا يسمى الإتباع لا التقليد[٥].

وبعبارة أخرى:(كل من اتبعت قولَه، من غير أن يجب عليك اتباع قوله، لدليل يوجب ذلك، فأنت مقلده، والتقليد في دين الله غير صحيح، وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنت متبعه، والإتباع في الدين مسوغ والتقليد ممنوع)[٦].

ورغم رسوخ عصبية التقاليد والعادات في المجتمع العربي،-في الماضي والحاضر- فقد استهدفت الدعوة الإسلامية هدم كثير من التقاليد الأصلية أو الفرعية، أو تعديلها، كالشرك على أنواعه، وكالعصبية الاجتماعية الضيقة، وما كانت تتشدد فيه من حزبيات عائلية وقبلية.. إلى آخر ما شرع لهم آباؤهم، فذلك كله نقاط اصطدام وتشاد وبواعث مناوأة ومعارضة للدعوة النبوية، منذ أول عهدها ، وظلت كذلك إلى آخر العهد[٧].

---

[١] بتصرف، الفتاوى: ابن تيمية ١٩/ ٢٦٢.

[٢] جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١١٧.

[٣] بتصرف، الرد على من أخلد على الأرض ص ١٢٠.

[٤] جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٤.

[٥] بتصرف، الرد على من أخلد إلى الأرض ص ١٢٠.

[٦] جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٧.

[٧] بتصرف، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صور مقتبسة من القرآن الكريم ١/١٧٩.

فقد رفعت قريش راية التقليد والأعراف والعادات المرتبطة بالأجداد والآباء، لا المرتبطة بمضامين الحق والعدل والقسط، وهي الراية التي ترفع في التصدي لدعوة الله، حتى هذا اليوم[1].

وهي ذات الحجة التي أجاب بها أبو سفيان رضي الله عنه هرقل، ضمن استجوابه له بسؤاله : ماذا يأمركم؟ فقال : (يقول اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم)[2].

وقد عاب النبي صلى الله عليه وسلم على قومه أن يأسروا أنفسهم للتقاليد الموروثة، دون تفكر منهم في مدى صلاحها أو فسادها، ودعاهم إلى تحرير عقولهم من أسر الإتباع الأعمى[3].

ويكفي المرء أن يطالع خطبه صلى الله عليه سلم بعد الفتح ليرى أثر الإسلام في محو شعائر الجاهلية ومآثرها ومفاخرها، ووضع الأسس الإسلامية بدلا منها، معتقا بذلك أعناق الناس من أغلال هذه التقاليد المتوارثة.

هذا الوضع كثيرا ما يواجه الدعاة في العصر الحديث، حتى في المجتمعات الإسلامية، عندما يبتعد الناس عن هدى الله وسنة نبيه، وتصبح العادات والتقاليد هي المسِّيرة للناس في هذا المجتمع، وهي الشرع الذي يتمسك به الناس، وإذا حاول الداعية ردهم إلى جادة الحق وسبيل الهدى، واجهوه باستنكار شديد، مرددين مقولة الجاهلين من قبلهم ﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾[4] (وهذا التقليد الذميم للباطل القديم ،الذي كان عليه الآباء والأجداد من أعظم أسباب التمرد على الحق)[5].

٤- الاغترار بمظاهر القوة والثروة والتمكين:

الغرور هو: (سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عند شبهة وخدعة من الشيطان)[6].

---

[1] بتصرف، في السياسة الشرعية: د. عبد الله النفيسي ص ١٢٨.

[2] سبق تخريجه ص ٤٤٣.

[3] بتصرف، فقه السيرة: د. محمد البوطي ص ١٠٢.

[4] سورة الشعراء جزء من آية ٧٤.

[5] أصول الدعوة ص ٣٨٨.

[6] إحياء علوم الدين ٣/٣٧٩.

وهذا مما ينخدع به أهل الباطل كثيرا، فيحتجون بما أُعطوا من القوة في الفهم، والإدراك ،أوفي القدرة والملك والتمكين، ظانين أن ذلك يمنعهم من الضلال، وأن كثرة المال وسعة الرزق وعيش الرخاء دليل على نجاتهم، ويغفلون عن حقيقة أقوام كانوا قبلهم، وكانوا من القوة والبسطة في الأموال والأبدان والإدراك وسعة الأذهان، وغير ذلك مما لم يكن للعرب الذين أدركوا الإسلام، ومع ذلك ضلوا عن سواء السبيل، وكذبوا الرسول بالأباطيل، فالتوفيق للإيمان بالله ورسله، والإذعان للحق وسلوك سبله، إنما هو فضل من الله تعالى، لا لكثرة مال ولا لحسن حال[1].

والله جل وعلا في آيات كثيرة من كتابه، هدد كفار مكة، بأن الأمم الماضية كانت أشد منهم بطشا وقوة وأكثر منهم عددا وأموالا وأولادا، فلما كذبوا الرسل أهلكهم الله، ليخافوا من تكذيب النبي صلى الله عليه سلم، أن يهلكهم الله بسببه، كما أهلك الأمم التي هي أقوى منهم، وذلك كقوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[2].

فيخوف الله تعالى أهل مكة بما حدث للأقوام التي سبقتهم، لما اغتروا بدنياهم وأعرضوا عن قبول الدليل والحجة، فنزل بهم عذاب الله، ولم تغن عنهم قوتهم ولا كثرتهم، فأهل مكة مع عجزهم وضعفهم، أولى بأن يحذروا من عذاب الله ويخافوا[3]، وذلك التهديد بلغهم في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[4].

كما يبكِّتهم الله تعالى، ويعدهم بالهزيمة وتفرق الشمل، حين قالوا واثقين بشوكتهم، معتزين بكثرتهم: نحن جماعة أمرنا مجتمع، لا يُرام ولا يُضام ولا يغلبنا الأعداء،

---

[1] بتصرف، مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية ص ١٤.

[2] سورة غافر آية ٨٢. وبتصرف، أضواء البيان ٣٩٩/٧.

[3] بتصرف، تفسير الفخر الرازي ٢٩/٢٨.

[4] سورة الأحقاف آية ٢٦.

بل ينصر بعضنا بعضا[1]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[2]، فعاقبة الغرور وخيمة، وقد حذر الله تعالى المؤمنين من التشبه بهم، في قوله﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[3] .

ومما يوقعهم في هذا الغرور أمور منها:

الأمر الأول: غفلتهم عن اطراد سنن الله تعالى، فالسنن الإلهية هي التي تحكم الكون المادي والاجتماعي، وهي ثابتة فعالة تنطبق على كل الجماعات، بغض النظر عن حجمها وقوتها ودورها الحضاري ، أي بغض النظر عن معايير الكم والكيف والحجم والقوة المادية والاجتماعية، فوراء كل هذا تكمن سنن الله الحاكمة والضابطة للإنسان ومجتمعه وتاريخه، قال تعالى﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[4].

تشير هذه الآية وغيرها بجلاء إلى أن منطق القوة والبطش، لا يستطيع الوقوف أمام سنن الله تعالى، فالقرآن ينظر إلى القوة سواء أكانت مادية أو اقتصادية أو عسكرية، أنها ليست إلا بعدا واحدا من أبعاد التقييم الحضاري والإنساني، وإلى جانبها تأتي عوامل أخرى متعددة، في مقدمتها: نوعية العقيدة وأهداف وأسلوب استخدام هذه القوة، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله[5].

ولقد تبصر أبو سفيان رضي الله عنه، واتضحت له هذه السنة الإلهية وهو يستعرض جيش المسلمين، ويرى القبيلة تمضي إثر أختها، في موكب الحق ،وهو يردد: مالي ولبني فلان.

---

[1] بتصرف، روح المعاني ٩٢/٢٧.

[2] سورة القمر الآيتين ٤٤-٤٥.

[3] سورة الأنفال آية ٤٧.

[4] سورة غافر الآيتين ٢١-٢٢. ومثلها الآيات في سورة الروم آية ٩، وسورة القصص آية ٧٨، وسورة فصلت آية ١٥، وغيرها.

[5] بتصرف، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع ص ٥٦-٥٧.

فهو يتعجب من اجتماع هؤلاء الأقوام على حربهم، ليس لهم رابط إلا آصرة العقيدة ، هدفهم واحد، ووجهتهم واحدة، وقد اكتسبوا قوتهم من صدق العقيدة الإسلامية وقوتها.

الأمر الثاني: مما يحصل به الغرور، التفاخر بالمكانة الدينية والاجتماعية وشرف الآباء، والعجب بالنسب، والإعجاب بالنفس والرأي[1]، حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه، وأن شرفه يعطيه من المكانة والفضل ما ليس لغيره، ولذلك اشمأزت نفوس بعض سادة قريش من ارتقاء بلال رضي الله عنه الكعبة، وآذانه عليها، وقالوا في ذلك ما قالوا، فقال تعالى﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾، وقال صلى الله عليه سلم:((إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، كلكم بنو آدم وآدم من تراب))[2][3] .

الأمر الثالث: الذي يؤدي بأهل الباطل إلى الغرور، استخفافهم بالحق لضعف أتباعه وقلتهم، وهذه من الحجج الواهية، التي توارثها الطغاة للإعراض عن الحق، من لدن نوح عليه السلام، إذ قال قومه﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾[4]، فمن خصال الجاهلية الإعراض عن الدخول في الحق الذي دخل فيه الضعفاء تكبرا وأنفة[5].

وقد كان كفار قريش يطلبون من النبي صلى الله عليه سلم، طرد الضعفاء والعبيد المؤمنين، ليجلسوا معه، فنزل قوله تعالى﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[6][7]، فلم يرضوا أن يكون الضعفاء أسبق إلى الإسلام منهم، وقالوا﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[8].

---

[1] انظر العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٨٣.

[2] سبق تخريجه ص ١٤٢. والآية من سورة الحجرات جزء من آية ١٣.

[3] بتصرف، إحياء علوم الدين ٣/٣٧٥.

[4] سورة الشعراء جزء من آية ١١١.

[5] بتصرف، مسائل الجاهلية التي خالف فيه الرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية ص ٢٠.

[6] سورة الأنعام آية ٥٢.

[7]انظر سبب نزول الآية في جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧/٢٠٠، وانظر أسباب النزول: النيسابوري ص ١٤٥.

[8] سورة الأنعام جزء من آية ٥٣.

ولقد كان هرقل على جانب عظيم من العقل، حين اعتقد أن اتباع الضعفاء دليل على الحق، فقال في جملة ما سأل أبا سفيان عن رسول الله صلى الله عليه سلم:(وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل).

وروى الحافظ ابن كثير أن أبا سفيان رضي الله عنه وصف اتباع النبي صلى الله عليه سلم فقال: (الأحداث والضعفاء والمساكين، فأما أشرافهم وذوو الأنساب منهم فلا)[1].

٥- الجهل والغفلة عن الحق رغم وضوحه والافتتان بالباطل:

الجهل من الأسباب الرئيسة، في الانصراف عن الحق ورده والبعد عنه، فالجهل والظلم هما أصل كل شر، والعلم والعدل أصل كل خير[2].

وعند الإطلاع على سير الأنبياء السابقين صلوات الله عليهم، يظهر أن سبب مخالفة كثير من أقوامهم وإعراضهم هو: الجهل، كما قال تعالى عن قوم نوح عليه السلام﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾[3]،وعن قوم صالح عليه السلام﴿ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾[4]، أما بنو إسرائيل فقد﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[5].

والجهل هو ذات السبب الذي به سأل مسلمة الفتح الرسول صلى الله عليه سلم أن يجعل لهم شجرة بخصوصها يعلقون عليها أسلحتهم ومتاعهم، فأنكر عليهم ذلك[6]، كما روى أبو واقد الليثي رضي الله عنه، فقال:(أن رسول الله صلى الله عليه سلم لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال صلى الله عليه

---

[1] البداية والنهاية ٤/٢٦٣.

[2] بتصرف، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/١٢٨، وانظر مدارج السالكين ٣/٥٢٣، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢/١٣٧، ووجوب لزوم الجماعة وترك التفرق ص ١٦٩.

[3] سورة هود جزء من آية ٢٩.

[4] سورة الأحقاف جزء من آية ٢٣.

[5] سورة الأعراف جزء من آية ١٣٨.

[6] بتصرف، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١/٢٠٥.

وسلم:((سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة. والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم))[1].

فالجهل من أعظم الأسباب الصادة عن سبيل الله، والمؤدية في الوقوع في المحرمات جميعها من الكفر والفسوق والعصيان[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأصل ما يوقع الناس في السيئات هو عدم علمهم بكونها تضرهم ضررا راجحا، أو ظن أنها تنفعهم نفعا راجحا، ولهذا قال الصحابة رضي الله عنهم: (كل من عصى الله فهو جاهل)، ولهذا يسمى حال فعل السيئات: الجاهلية فإنها يصاحبها حال من حال الجاهلية.[3]

ويقول في موضع آخر: (وأما السيئات، فمنشؤها الجهل والظلم، فإن أحدا لا يفعل سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة، أو لهواه وميل نفسه إليها، ولا يترك حسنة واجبة، إلا لعدم علمه بوجوبها أو لبغض نفسه لها)[4]،(والهوى وحده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل، وإلا فصاحب الهوى إذا علم قطعا أن ذلك يضره ضررا راجحا، انصرفت نفسه عنه بالطبع، فإن الله تعالى جعل في النفس حبا لما ينفعها، وبغضا لما يضرها، فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضررا راجحا، بل متى فعلت كان لضعف العقل)[5].

وهذا الجهل مما صد قريشاً عن اتباع الحق، إذ أنهم لم يجهلوا حقيقة نبوته صلى الله عليه سلم، فقد كان عند بعضهم خبر بقرب مبعث نبي وقد حان زمانه، كما قال تعالى﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[6] ، فقد

---

[1] سبق تخريجه ص ١٧٩.

[2] بتصرف، فتاوى شيخ الإسلام ٢٢/١٤.

[3] بتصرف، الحسنة والسيئة: شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٦٢، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون.

[4] المرجع السابق ص ٥٦.

[5] المرجع السابق ص ٦١.

[6] سورة البقرة آية ٨٩.

كان اليهود يستنصرون بمجيئه صلى الله عليه سلم على أعدائهم من المشركين، ويقولون أنه سيبعث نبي في آخر الزمان يقتلونهم به قتل عاد وإرم[1].

وقد وقف أهل مكة والطائف على صحة خبر النبوة، فقد روي الحافظ ابن كثير رحمه الله خبر رؤية قريش وثقيف رمي النجوم، وظنهم أنه الفناء ، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو[2]: أن هذه النجوم خبر لظهور نبي . فما مكثوا إلا يسيرا، حتى قدم عليهم أبو سفيان، فتذاكر أمر النجوم مع عبد ياليل، فقال أبو سفيان :ظهر محمد بن عبد الله، يدعي أنه نبي مرسل. فقال عبد ياليل: فعند ذلك رمي بها.[3]

وقد علم بعضهم يقينا صدق نبوته صلى الله عليه سلم، كما حصل مع أبي سفيان رضي الله عنه بعد لقاءه مع هرقل ملك الروم، حيث عبر أبو سفيان عما وقر في قلبه، بعد أن علم علامات النبوة من هرقل بقوله:(فما زلت موقنا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيظهر، حتى أدخل الله علي الإسلام).

ومما يدل على علم بعض قريش بصدق النبي صلى الله عليه وسلم، ما روي عن معاوية رضي الله عنه أنه قال: خرج أبو سفيان إلى بادية له مردفا هنداً، وخرجت أسير أمامهما، وأنا غلام على حمارة لي، إذ سمعنا رسول الله صلى الله عليه سلم،- وصار أن أركبه أبو سفيان معهما- فدعاه الرسول صلى الله عليه سلم وزوجه إلى الإسلام، بعد ذلك أقبلت هند على أبي سفيان وقالت: ألهذا الساحر أنزلت ابني؟ فقال: لا والله ما هو بساحر ولا كذاب[4].

---

[1] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ١/١٧٨.

[2] هو عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي، من سادة ثقيف وأشرافهم، وكان من النفر الذين عمد إليهم النبي صلى الله عليه وسلم لما ذهب إلى الطائف فردوا عليه ردا قبيحا، ثم كان رضي الله عنه سيد قومه بني ثقيف لما وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم مسلمين. بتصرف، الإصابة ٤٣٢/٢، وانظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٨/٢، و ١٩٤/٤.

[3] بتصرف، البداية والنهاية ٣/ ١٩.

[4] ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وقال: حميد بن منبه لم أعرفه وبقية رجاله ثقات ٢١/٦.

وعلمهم هذا لم ينفعهم، حين لم يثمر يقينا في صدورهم، و لم يبعثهم على الإيمان به، فصار كالجهل،(فالجهل نوعان: عدم العلم بالحق النافع، وعدم العمل بموجبه ومقتضاه، فكلاهما جهل لغة وعرفا وشرعا وحقيقة)[1].

ومن ذلك، علم أبي طالب بصدق النبي صلى الله عليه سلم، وما كان يتعاطاه من المحاماة والدفع عنه وعن أصحابه، وما قاله فيه من الثناء، ما أظهره له من المودة والمحبة والشفقة، وهو في ذلك كله، صادق بار راشد ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه، وفرق بين علم القلب وتصديقه[2].

ومنشأ هذا الجهل، والبلاء العظيم من الشيطان، لا من مجرد النفس، فإن الشيطان يزين السيئات لها ويأمرها بها، ويذكر لها ما فيها من المحاسن[3]، وخاصة إذا وجد من الإنسان تعاميا وتغافلا وإعراضا عن الله[4]، كما قال تعالى﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[5].

ومن جهلهم فتنتهم بالأصنام، وتقديسهم وعبادتهم لها، وهي صنع أيديهم،(ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، فهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم، ولا يزيدهم ذلك إلا حبا لها وتعظيما، ويوصي بعضهم بعضا بالصبر عليهم وتحمل أنواع المكاره في نصرتها وعبادتها، وهم يسمعون أخبار الأمم التي فتنت بعبادتها، وما حل بهم من عاجل العقوبات، ولا يثنيهم ذلك عن عبادتها)[6] فأي جهل أبعد من ذلك؟.

---

[1] مدارج السالكين ١/٤٧٠.

[2] بتصرف، البداية والنهاية ٣/١٢٦.

[3] بتصرف، الحسنة والسيئة ص ٦١.

[4] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٧/٢١٤.

[5] سورة الزخرف الآيتان ٣٦- ٣٧.

[6] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢/٢٢٥.

ومما يدل على شدة اقتناعهم بباطلهم، مقالة سادن سواع لعمرو بن العاص، بأنه لا يقدر على هدمه، فقال له عمرو: و لم؟ قال: تمنع. فقال: حتى الآن أنت في الباطل، ويحك هل يسمع أو يبصر. ثم هدمه، فقال السادن: أسلمت لله، لما علم أن الصنم لا يملك لنفسه شيئا[1].

وبفتح مكة وسقوط هذه الأصنام، زالت الحجب الكثيفة، التي غطت عقول أهل مكة وقلوبهم، وتعترف هند بنت عتبة بذلك وهي تضرب صنما لها في بيتها بالقدوم وتحطمه، وتقول: كنا منك في غرور[2].

ومن الجهل والتغافل عن الحق، اتباع رأي الأكثرية دون إعمال الفكر أو العقل في صحة هذا الرأي، فإن ارتفاع صوت الباطل وكثرة الناعقين به، قد يطمس على بصيرة من حولهم فيسيرون وراءه بلا تمييز، وقصة إسلام النضير بن الحرث[3] رضي الله عنه، تحكي شيئا من نماذج الجهل الناتجة عن العقلية الجماعية الغوغائية، يقول:-وكان من أعلم الناس- الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، ومنَّ علينا بمحمد، و لم نمت على ما مات عليه الآباء. لقد كنت أوضع مع قريش في كل وجه، حتى كان عام الفتح وخرج إلى حنين -يعني الرسول صلى الله عليه وسلم -فخرجنا معه نحن، ونحن نريد إن كانت دبرة على محمد، أن نعين عليه، فلم يمكننا ذلك، ولما صار بالجعرانه، فوالله إني على ما أنا عليه ، إن شعرت برسول الله، تلقاني بفرحة وقال: ((النضير)). قلت: لبيك. قال: ((هذا خير مما أردت يوم حنين))، فأقبلت إليه سريعا، فقال: ((قد آن لك أن تبصر ما أنت فيه))، فقلت: قد أرى. قال:((اللهم زده ثباتا))، فوالذي بعثه بالحق، لكأن قلبي حجراً ثباتاً في الدين، ونصرة في الحق[4].

---

[1] سبق تخريجه ص ١٤٨.

[2] سبق تخريجه ص ١٥٠.

[3] هو النضير بن الحرث بن علقمة بن كلدة العبدري، كان من حكماء قريش، وهو أخو النضر بن الحارث الذي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتله بعد قفوله من بدر، من المؤلفة قلوبهم، أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين مائة من الإبل، فأتاه رجل من بني الدئل يبشره بها، فقال: والله ما طلبتها، فأخذها وأعطى الدئلي منها عشرة وقال: والله ما أحب أن أرتشي على الإسلام، ثم سكن المدينة، ثم خرج إلى الشام وشهد اليرموك وقتل بها. بتصرف، الإصابة ٥٥٨/٣.

[4] الإصابة ٥٥٨/٣.

المطلب الثالث: الأسباب المتعلقة بالمؤثرات في الأهواء.

إن فريقا من ذوي الضلالات الاعتقادية، لم يصدهم عن الحق جهل بالحقيقة، أو عامل من عوامل الانحراف الفكري، وإنما ضلوا بسبب هروبهم من الحق، إرضاء لشهوات نفوسهم، وإتباعا لرغباتهم وأهوائهم[1].

والهوى كما عرفه الإمامان ابن القيم وابن الجوزي رحمهما الله هو:(ميل الطبع إلى ما يلائمه)[2]. وقيل:(ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات، من غير داعية الشرع)[3].

وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه فإنه لولا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح، ما أكل ولا شرب ولا نكح، فالهوى مستحث لها لما يريده، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذيه، فلا ينبغي ذم الهوى مطلقا ولا مدحه مطلقا، وإنما يذم المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار.

ولما كان الغالب من مطيع هواه، أنه لا يقف منه على حد المنتفع، أطلق ذم الهوى والشهوات، لعموم غلبة الضرر، لأنه يندر من يقصد العدل في ذلك ويقف عنده[4]، و(إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه)[5].

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:(ما ذكر الله عز وجل الهوى في كتابه إلا ذمه)[6]، كما قال تعالى﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾[7].

---

[1] بتصرف، العقيدة الإسلامية أسسها ص ٦٩١.

[2] روضة المحبين ونزهة المشتاقين: الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم ص ٤٦٩، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م. وذم الهوى: الإمام أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ص ١٢، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ومراجعة محمد الغزالي، ط:١، ١٣٨١هـ ١٩٦٢م.

[3] التعريفات ص ٣١٤.

[4] بتصرف، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٤٦٩، وبتصرف، ذم الهوى ص ١٢.

[5] ذم الهوى ص ١٢، والقول للشعبي رحمه الله .

[6] ذم الهوى ص ١٢.

[7] سورة الكهف جزء من آية ٢٨.

والمعاصي التي يقترفها العبد، في غالبها تقع منه استجابة لداعي الهوى، دون النظر إلى حكم الشرع في فعله، كما قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله:(جميع المعاصي إنما تنشأ عن تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله)[1]، فهو يترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه عبده[2]،كما في قوله تعالى﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ .... ﴾[3].

وقد نهى الله تعالى عن اتباع الهوى، وبين أثره القبيح على النفس، في قوله﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ .... ﴾[4].

ومدح من نهى نفسه ومنعها عن اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على الخير[5]،ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها، ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها[6]،

وكذلك جاء في السنة النبوية ذم الهوى وإتباعه كما قال صلى الله عليه وسلم:((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله))[7].

كما بيَّن صلى الله عليه وسلم أن اتباع الهوى يؤدي بصاحبه إلى الهلاك في قوله: ((وأما المهلكات، فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه))[8].

---

[1] جامع العلوم والحكم ص ٣٤٠.

[2] بتصرف، تفسير أبو السعود ٧٣/٨.

[3] سورة الجاثية جزء من آية ٢٣.

[4] سورة ص جزء من آية ٢٦.

[5] بتصرف، تفسير الكشاف ٢١٩/٤.

[6] بتصرف، تفسير أبي السعود ١٠٤/٩.

[7]سنن الترمذي كتاب صفة القيامة باب ٢٥ ٤/ ٦٣٨ ح ٢٤٥٩، وقال: حديث حسن، وقال: (معنى قوله دان نفسه: حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة)، وسنن ابن ماجه كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له ٢/ ١٤٢٣ ح ٤٢٦٠. وذكره الشيخ الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه ص ٣٤٩ ح ٩٣٠ ، وضعفه كذلك محقق جامع الأصول ١١/ ١٣ ح ٨٤٧٥.

[8] جزء من حديث طويل رواه الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب كتاب الصلاة باب الترغيب في انتظار الصلاة بعد الصلاة ٢٨١/١ ح ١٤، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٨٣/١، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط:١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م. كما أورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤١٢/٤ ح ١٨٠٢.

والنفس تهوى ما يضرها ولا ينفعها، لجهلها بمضرته لها تارة ولفساد قصدها تارة، ولمجموعهما تارة،[1] فإن كان للجهل فهو لشبهة أضلت القلب، وإن كان لفساد قصد فهو لشهوة حلت فيه، فأمراض القلوب نوعان: مرض شبهة، ومرض شهوة[2].

ومرض الشهوة أو الهوى ، هو أصل كل شر وأساس كل بلوى، ومعتمد كل بدعة في الدين، وهو الباعث القوي وراء الصد عن دين الله، ومعصية أوامره، وهو أشد وطأة من الجهل (مرض الشبهة)، لأن الجهل ميسور علاجه، وذلك بطلب العلم والتفقه في الدين، أما الهوى فهو الآفة الخطيرة التي تحتاج إلى مجاهدة نفس، وعلاج طويل الأمد.[3]

وقد استغرق علاج النبي صلى الله عليه وسلم لنفوس أهل مكة ما يربو على عشرين عاما، فمن كان منهم شديد المخالفة لهواه، ورث قوة في قلبه وبدنه ولسانه،[4] وكان من السابقين للإسلام، ومنهم من اتبع هواه، وأغلق على نفسه أبواب التوفيق، وفتح على نفسه أبواب الخذلان،[5]وتأخر إسلامه حتى تمكن من مخالفة هذا الهوى واتبع الحق.

وقد كانوا في صدودهم عن الحق كسابقيهم من الأمم، التي استكبرت ولم تقبل الحق والهدى والنور، إتباعا لهواها،[6] كما قال تعالى﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ ..... ﴾[7].

وقد قال تعالى في تعليل عدم استجابة أهل مكة للحق: أنه اتباع لأهوائهم، بلا دليل أو حجة ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[8].

---

[1] بتصرف، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢/ ١٣٧.

[2] بتصرف، شرح العقيدة الطحاوية: ص ٢٣٧.

[3] بتصرف، في ظلال القرآن ٦/ ٣٨١٩.

[4] بتصرف، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٤٧٧.

[5] المرجع السابق ص ٤٧٩.

[6] بتصرف، وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق ص ١٨٩.

[7] سورة البقرة جزء من آية ٨٧.

[8] سورة القصص آية ٥٠.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة: فاعلم أن تركهم إتباعك ليسوا ذاهبين إلى حق يعرفونه، ولا إلى هدى، وإنما ذلك مجرد اتباع لأهوائهم، فهذا من أضل الناس، حيث عرض عليه الهدى والصراط المستقيم الموصل إلى الله وإلى دار كرامته، فلم يلتفت إليه و لم يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء، فاتبعه وترك الهدى[1].

وذكر فائدة عظيمة من الآية وهي أنها (دليل على أن كل من لم يستجب للرسول صلى الله عليه وسلم، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول صلى الله عليه سلم، فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى)[2].

والنجاة إنما ينالها الإنسان بإتباعه الحق، وهو الفرقان بين المسلم والكافر، كما قال تعالى﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ .... ﴾[3]، فلا يستوي من كان على يقين من ربه، ولا يكون كمن زين له سوء عمله، وهو عبادة الأوثان والإشراك بالله، والعمل لمعاصي الله واتبع هواه في عبادتها وانهمك في الضلالات بلا شبهة توجب الشك ، فضلا عن حجة نيرة[4]، وقد قال تعالى﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴾[5].

ومن الأمور التي يظهر فيها أثر تباع الهوى في الصدود عن الحق ما يلي:

١) حب الدنيا والتعلق بشهواتها:

وهذا ما منع كثيرا من الناس من الإيمان ، خوفا من بطلان مأكلهم وأموالهم التي تصير إليهم، وقد كان كفار قريش يصدون الرجل عن الإيمان بحسب شهوته، فيدخلون

---

[1] بتصرف، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣٢/٦.

[2] المرجع السابق ص ٣٣.

[3] سورة محمد جزء من آية ٣.

[4] بتصرف، فتح القدير ٥/ ٣٤.

[5] سورة محمد آية ١٤.

عليه منها، فكانوا يقولون لمن يحب الزنا والخمر: إن محمدا يحرم الزنا والخمر[1]، فقوة داعي الشهوة في نفوسهم، مع ضعف داعي الإيمان، يدفعهم إلى إجابة داعي الشهوة[2].

ولأجل استيلاء حب الدنيا وشهواتها على قلوبهم، أعرضوا عن الدين، واختاروا الحياة الدنيا ومتاعها، ومعاصي الله فيها، على طاعة الله وما يقربهم إلى رضاه من الأعمال النافعة في الآخرة، ولا يكتفون بصد أنفسهم، بل يمنعون من أراد الإيمان بالله واتباع رسوله من ذلك، ويلتمسون سبيل الله بالتحريف والتبديل بالكذب والتزوير[3]، وقال الله تعالى فيهم﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدِۭ ﴾[4]. فهذه الآية الكريمة تتضمن وصفا لشدة موقفهم الجحودي، وانهماكهم بالدنيا، وما كانوا يبذلون من سعي في صد الناس عن الدعوة وعرقلتها، وحيلولتهم دون استجابتهم لدعوة الحق[5].

فلصوقهم الشديد بشهوات الدنيا، وخوفهم من زوالها إذا أسلموا، صدهم عن سبيل الله ، كما قال تعالى﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[6].

فاستحباب الحياة الدنيا على الآخرة، يصطدم بتكاليف الإيمان، ويتعارض مع الاستقامة على الصراط[7]، وليس الأمر كذلك حين تستحب الآخرة، لأنه عندئذ تصلح الدنيا، ويصبح المتاع بها معتدلا، فلا يقع تعارض بين استحباب الآخرة ومتاع هذه الدنيا،

---

[1] أثناء إقامتي خارج البلاد برفقة زوجي قبل ثمان سنوات تقريبا، عرض التلفزيون البريطاني برنامجا تعريفيا عن الإسلام، فذكر في الحلقات الأولى منه-إلى جانب التعريف بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم- أن الدين الإسلامي يحرم الخمر والزنا، ويبيح للمسلم الزواج بأربع نساء، ويلزم النساء بالحجاب، ولم يبث من ذلك البرنامج سوى ثلاث حلقات ثم انقطع بثه، ويلاحظ الدس والكيد في التعريف بالدين الحق من خلال نشر ما يصطدم بشهوات الناس المنحرفة.

[2] بتصرف، مفتاح دار السعادة ٩٧/١.

[3] بتصرف، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨٠/١٣.

[4] سورة إبراهيم عليه السلام آية ٣.

[5] بتصرف، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، صور مقتبسة من القرآن الكريم ١٩٨/١.

[6] سورة النحل آية ١٠٧.

[7] وهذا السبب منع كثيرا من المسلمين من التقيد بأوامر الدين، حين يؤثر أحدهم متع الدنيا التي ألفها واستمرأها على طريق الاستقامة ويصعب عليه مفارقة المنكرات والآثام والتعلق بالدنيا إلى ما يرضي الله تعالى.

كما يقوم في الأخيلة المنحرفة، فتوجه القلب للآخرة لا يقتضي خسران متاع الحياة الدنيا، بل إن صلاح الآخرة في الإسلام، يقتضي صلاح الدنيا واستعمارها، والتمتع بطيباتها[1].

وقد ضل المشركون حين ظنوا أن ما يعطيهم الله من الأموال والأولاد، ومتاع الحياة الدنيا، لكرامتهم عليه ومعزتهم عنده، لكنهم أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم، ، بل أنه تعالى يفعل ذلك، استدراجا وإملاء وإنظارا[2]، كما قال تعالى﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[3]، وقال﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[4].

ومن مداخل حب الدنيا: التعلق بالأهل والأولاد والعشيرة، مما قد يوقع اضطرابا وانحرافا وخللا في نفس المؤمن، إذا بالغ في هذا التعلق، وقد يدفعه إلى الانحراف عن طريق الحق، كالزلّة التي حصلت من حاطب رضي الله عنه، وكان دافعه إليها حب أهله وولده والخوف عليهم.

٢) الحرص على المكانة والرئاسة والجاه:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: إن من أسباب الضلال:(مانع الرياسة والملك، وإن لم يقم بصاحبه حسد ولا تكبر عن الانقياد للحق، لكن لا يمكن أن يجتمع له الانقياد وملكه ورياسته، فيضن بملكه ورياسته كحال هرقل[5] وأضرابه من ملوك الكفار الذين علموا بنبوته وصدقه، وأقرُّوا بها باطنا، وأحبوا الدخول في دينه، ولكن خافوا على ملكهم، وهذا داء أرباب الملك والولاية والرياسة، وقل من نجا منه إلا من عصم الله)[6]،

---

[1] بتصرف، في ظلال القرآن ٤/٢٠٨٦.

[2] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٥/٤٧٢.

[3] سورة المؤمنون الآيتين ٥٥-٥٦.

[4] سورة آل عمران آية ١٨٥.

[5] قال الإمام النووي عنه:(أنه لا عذر له في هذا، لأنه قد عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما شح في الملك ورغب في الرياسة.. ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي وما زالت عنه الرياسة).صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١٠٧.

[6] مفتاح دار السعادة ١/٩٦.

فأصحاب المطامع السياسية يجدون أن دين الحق ومعتقداته الراسخة في نفوس المؤمنين، عقبة في طريقهم إلى سدة الحكم، فيعلنون حربهم لهذا الدين[1].

ولعل من أهم الأسباب التي تتصل بالتقاليد القائمة في مكة، وسبب الصدود عن دين الله، خوف الزعامة القرشية وأغنياء مكة معا على ما كان لهم ولمكة من مركز ومنافع أدبية، ومادية عظيمة، بسبب وجود بيت الله في مكة، وسدانتهم له، فقد كان البيت الحرام مثابة وأمنا لجميع العرب، وكانوا يعتبرون قريشا إماما لهم، في الأمور الدينية والدنيوية، وكانت هذه الإمامة تحفظ لهؤلاء عزة الجانب، ووفرة الحرمة، فكان الخوف ناشئا في نفوسهم، من أن نجاح الدعوة الجديدة، سيكون سببا لانصراف الناس عن مكة، فكانوا يرون في الدعوة الإسلامية تهديدا لذلك المركز العظيم والمنافع الكبرى، فتشددوا في معارضتها ومناوأتها[2].

وقد أظهرت بعض القبائل العربية حبها للرئاسة والحكم، وحاولت اتخاذ دعوة الإسلام مطية لها لتصل بها إلى الرياسة والحكم، ومن ذلك ما حدث والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه الكريمة على أحياء العرب في مواسم الحج، كي يؤوه وينصروه، حتى يؤدي رسالة ربه، فقال رجل منهم: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش، لأكلت به العرب، ثم قال له: أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من يخالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك، قال: ((إن الأمر لله يضعه حيث يشاء)). فقال: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك. فأبوا عليه[3].

ومثلهم هوذة بن علي الحنفي[4]، لما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام، فقال: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله...فاجعل لي بعض الأمر أتبعك[1].

---

[1] بتصرف، العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٩٧.

[2] بتصرف، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، صور مقتبسة من القرآن الكريم ١٨١/١، وانظر أصول الدعوة ص ٣٨٥.

[3] بتصرف، البداية والنهاية ١٤٠/٣.

[4] هو هوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي، صاحب اليمامة، وشاعر بني حنيفة وخطيبها قبل الإسلام، كان له قدر عال، وكان يسمى:(ذو التاج)، لأنه دخل على كسرى فدعا بعقد من در فعقد على رأسه، وقيل: كانت له خرزات تنظم فيجعل على رأسه تشبها بالملوك، وقد جاء خبر وفاته للنبي صلى الله عليه وسلم منصرفه عام

ومن حكمته صلى الله عليه وسلم وحسن سياسته وتدبيره الحسن للأمور، إقراره لمن كتب إليهم يدعوهم، بأن يبقوا في ملكهم[٢]، إذا أسلموا[٣].

٣) الانحرافات الخُلُقية:

هي انحراف الإنسان عن الحق في تطبيقاته السلوكية، بغلبة الأهواء والشهوات ودوافع نفسه، وصاحب هذا الانحراف لا يريد رؤية الحق ولا يسعى في طلبه، لكنه يحاول جاهدا أن يجد في المفاهيم الفكرية فلسفة مزينة بالألوان الخادعة، حتى يبرر بها انحرافه، ويخدع الناس بها، وتختلف ظواهر سلوك هذا الصنف من الناس المنحرفين، خلقيا، تبع ما في نفوسهم من منحرفات وأدواء نفسية، تجنح بهم عن سبيل الحق، وتبعثهم إلى جحوده والكفر به، مع ظهور أدلته.

وعناصر الانحراف الخلقي متعددة،[٤] منها ما يلي:

أ- الكبر:

وهو: (استعظام النفس ورؤية قدرها، فوق قدر غيرها)[٥]، وهو جحود الحق مع الاستهانة به، والاستعلاء عليه، إرضاء للنفس الأنانية المستكبرة، التي تريد الاستئثار بالمجد والكبرياء في الأرض ،وتستعلي عن اتباع غيرها وطاعته، مهما كان الحق والخير في جانبه، فترى أنها أكبر من أن تستجيب لدعوة الحق من غيرها، وفي الكبر احتقار للناس واستصغارهم والازدراء بهم، والترفع عنهم[٦].

الفتح، بتصرف، الطبقات الكبرى ٢٦٢/١، الأعلام ١٠٢/٨.

[١] بتصرف، الطبقات الكبرى ٢٦٢/١.

[٢] بتصرف، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص ٥٢٥.

[٣]انظر على سبيل المثال قصة إرساله عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندي الأزديين، ملكي عمان، فقد ورد في كتابه لهما: وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما.. الخ. الطبقات الكبرى ٢٦٢/١.

[٤] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٧١٠/١- ٧١٣، وانظر العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٩٣- ٦٩٦.

[٥] إحياء علوم الدين ٣٥٣/٣.

[٦] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٧٢٣/١- ٧٢٤.

وقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم الكبر بعبارة بليغة وجيزة فقال:((الكبر بطر الحق[1] وغمط الناس[2]))[3].

والكبر صفة مذمومة، وقد جاء ذمها والنهي عنها في الكتاب كقوله تعالى﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾[4]،وبين تعالى جزاء المتكبرين، ووعيده لمن تكبر عن آياته وأعرض عن الحق بعد وضوحه بالصرف عن الانتفاع بها، وبالطبع على قلبه، وخذلانه فلا يعتبر بالآيات،[5] كما قال تعالى﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ .... ﴾[6].

وكذلك ورد ذم الكبر في السنة النبوية كقوله صلى الله عليه وسلم : ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))[7].

وفي القرآن أمثلة للعديد من المستكبرين، الذين صدهم كبرهم عن اتباع الحق، وزعيمهم هو إبليس الذي كان بدء ذنوبه الكبر، لما استكبر أن يسجد لآدم عليه السلام[8]، كما قال تعالى﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[9].

كما كان من أسباب كفر فرعون وجنوده هو استكبارهم بغير الحق ،ويدل على هذا قوله تعالى﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[10].

---

[1] بطر الحق: (دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا). صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٩٠.

[2] غمط الناس: (احتقارهم) المرجع السابق.

[3] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١ ح ٩١.

[4] سورة النحل جزء من آية ٢٣.

[5] بتصرف، تفسير الكشاف ١١٧/٢.

[6] سورة الأعراف جزء من آية ١٤٦.

[7] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب تحريم الكبر ٩٣/١ ح ٩١.

[8] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ١١١/١.

[9] سورة البقرة آية ٣٤.

[10] سورة يونس آية ٧٥. ومثلهم قوم صالح عليه السلام في سورة الأعراف آية ٧، وقوم هود عليه السلام في

ومشركوا مكة عارضوا الرسول صلى الله عليه وسلم، وطالبوه برؤية الله تعالى والملائكة، وذلك تكبرا وعلوا،[1] كما قال تعالى﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴾[2] ، فاستكبروا أن يوحدوه تعالى بالعبادة ، ويتركوا آلهتهم﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفرق بين مشركي العرب وأسلافهم:(فهؤلاء مستكبرون مشركون وإنما استكبارهم عن إخلاص الدين لله، فالمستكبر الذي لا يقر بالله في الظاهر كفرعون، أعظم كفرا منهم، وإبليس الذي يأمر بهذا كله ويحبه ويستكبر عن عبادة ربه وطاعته، أعظم كفرا من هؤلاء)[4].

ومن سنن الله في أتباع أنبيائه، أنهم في الغالب من أهل الاستكانة، لا أهل الاستكبار، الذين أصروا على الشقاق بغيا وحسدا كأبي جهل وأشياعه [5]، ذلك أن (الشرفاء الذين يأنفون من تقدم مثلهم عليهم، والضعفاء لا يأنفون فيسرعون إلى الانقياد واتباع الحق)[6]،وقد فقه هرقل ذلك حين سأل أبا سفيان:(أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل)[7].

والكبر آفة عظيمة متى استقرت في النفس، أدت إلى الاستنكاف عن اتباع الحق، كما حدث مع سادة قريش، حيث كانوا -خاصة الأغنياء منهم- يتمتعون بنفوذ السيادة، يأمرون فيطاعون، ويدعون فيستجاب لهم، فلما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وبلَّغ عن ربه، ولم يكن قد بلغ ما هم عليه من السيادة والثراء، بُغتوا

سورة فصلت آية ٤١، وغيرهم.

[1] بتصرف، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤٧١/٥.

[2] سورة الفرقان آية ٢١.

[3] سورة الصافات الآيتان ٣٥-٣٦.

[4] الفتاوى: ابن تيمية ٦٣٣/٧.

[5] بتصرف، فتح الباري ٣٦/١ ح ٧.

[6] شرح النووي على صحيح مسلم ١٠٥/١٢.

[7] سبق تخريجه.

وعظُم عليهم أن يكون هو من بينهم، داعية يستجاب له، ولواء ينضوي إليه الناس دونهم، بل ويطلب منهم أنفسهم أن ينضموا إلى هذا اللواء، أسوة بالناس، فاستكثروا واستكبروا هذا الأمر، واعتقدوا بأنهم أحق به منه، فصدوا عن دعوته وهزؤا به صلى الله عليه وسلم[1]، فقال تعالى عنهم ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾[2].

وقد كان بعضهم يرى أنه أحق وأولى بالرسالة منه ، كأمية بن الصلت[3]، وقصته أنه كان مسافرا مع أبي سفيان، فأخبره أنه نظر أن في الكتب أن نبيا من العرب ظل زمانه، قال: فرجوت أن أكونه. ثم علمت أنه نبي من بني عبد مناف. فما مضت الأيام حتى ظهر محمد صلى الله عليه وسلم، فتحدث أبو سفيان مع أمية عنه، فقال: نعم إنه هو. فقال أبو سفيان: أفلا نتبعه؟ قال: استحيي من نساء ثقيف، إنني كنت أقول لهم أنني أنا هو، ثم أصير تابعا لغلام من بني عبد مناف[4].

ومن تكبرهم احتقارهم للناس ، وخاصة ضعفاء القوم، ومساكينهم، والترفع عن الجلوس معهم للسماع من النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن غلوهم واعتدادهم بأنفسهم، ظنهم أن لو كان في هذا الدين الجديد خير، لما سبق إليه الضعفاء والفقراء والموالي، كما قال الله تعالى عنهم ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ..... ﴾[5] .

ب- الحسد:

---

[1] بتصرف، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، صور مقتبسة من القرآن الكريم ١/١٧٨، وانظر شرح كشف الشبهات ص ١٣٣، وأصول الدعوة ص ٣٨٢.

[2] سورة الفرقان آية ٤١.

[3] هو ربيعة بن عوف بن عقدة الثقفي، أبو عثمان كان ممن طلب الدين ونظر في الكتب، أكثر في شعره من ذكر التوحيد والبعث ويوم القيامة، وحرم على نفسه الخمر وعبادة الأوثان، وقال عنه صلى الله عليه وسلم:((كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم))، مات سنة تسع، وقيل سنة ٢ بعد أن أدرك وقعة بدر ورثى من قتل بها من الكفار. بتصرف، فتح الباري ٧/ ١٥٣، وانظر الأعلام ٢/٢٣، وقال اسمه: أمية بن عبد الله.

[4] بتصرف، فتح الباري رواية عن الطبراني ٧/ ١٥٣ ح ٣٨٤١.

[5] سورة الأحقاف جزء من آية ١١. وانظر ما روي في سبب نزولها في الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٨٩.

وهو (أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه)[1]، وهو من الرذائل الخلقية ذات النتائج النفسية والاجتماعية السيئة جدا على الأفراد والجماعات، وعلة هذا الداء ترجع إلى إفراط في الأنانية وحب الذات، مع ضعف في الإيمان بكمال حكمة الله تعالى[2]، في توزيعه الأرزاق بين عباده.

ويؤلف هذا الانحراف الخلقي مع الكبر مانعا وصادا قويا عن الاستجابة للحق، فهو (مانع إبليس من الانقياد للأمر ، وهو داء الأولين والآخرين إلا من عصم الله، وبه تخلف الإيمان عن اليهود الذين شاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم وعرفوا صحة نبوته، ومن جرى مجراهم، وهو الذي منع عبد الله بن أبي من الإيمان، وبه تخلف الإيمان عن أبي جهل وسائر المشركين، فإنهم لم يكونوا يرتابون في صدقه، وأن الحق معه، لكن حملهم الكبر والحسد على الكفر به، وبه تخلف الإيمان عن أمية وأضرابه، ممن كانوا على علم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم)[3].

وقد كان هذا الحسد من قريش منصبا في اتجاهين:

الاتجاه الأول: حسد موجه لشخص النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ كيف يمنُّ الله عليه بشرف النبوة والرسالة من بينهم، وفيهم من هو أكثر منه ثراء وأعظم مكانة، فقالوا﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ... ﴾[4](فأنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم، وينزل عليه الكتاب من بينهم، كما قالوا﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[5]، وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم)[6].

وعبر عن هذا الحسد أبو جهل بقوله: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا بالركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه، فهذا الحسد هو الذي قعد

---

[1] النهاية في غريب الحديث ١/٣٨٣.

[2] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/٧٨٩.

[3] مفتاح دار السعادة ١/٩٦.

[4] سورة ص جزء من آية ٨.

[5] سورة الزخرف آية ٣١.

[6] تفسير الكشاف ٣/٣٦١.

بأبي جهل عن الاعتراف بالحق، الذي غالب نفسه عليه فغلبته ثلاث ليال، أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما لا يطمع إليه طامع[1].

وكان حالهم كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴾[2].

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ .. ﴾إن آيات الأنبياء والرسل لم يُعطها من البشر إلا رسول مرسل، وليس العادلون بربهم الأوثان والأصنام منهم، فيعطوها، يقول جل ثناؤه: فأنا أعلم بمواضع رسالاتي، ومن هو لها أهل، فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك عليّ أنتم، لأن تخير الرسول إلى المرسِل دون المرسَل إليه، والله أعلم إذا أرسل رسالة بموضع رسالته)[3].

وأهل مكة قد علموا فضل النبي وصدق نبوته لكنهم بغضوه بسبب الحسد الذي تعمق في نفوسهم، (فالحسد يوجب البغض للمحسود، وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد)[4].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:(الحاسد يحمله بغض المحسود على معاداته، والسعي في أذاه بكل ممكن، مع علمه بفضله وعلمه، وأنه لا شيء فيه يوجب عداوته إلا محاسنه وفضائله، ولهذا قيل: الحاسد عدو للنعم والمكارم)[5].

الاتجاه الثاني: انصبَّ الحسد فيه على السابقين للإسلام، الحائزين على شرف متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ونصرته، فقالوا﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ... ﴾[6]، فهذا مما

---

[1] بتصرف، في ظلال القرآن ٣٠١٢/٥.

[2] سورة الأنعام ١٢٤.

[3] جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٥/٨.

[4] إحياء علوم الدين ٣٥٣/٣.

[5] مفتاح دار السعادة ٩٥/١.

[6] سورة الأنعام جزء من آية ٥٣.

يُظهر بوضوح مدى العلاقة بين دافع الكبر ودافع الحسد، وهي علاقة وطيدة وعكسية، بمعنى أن كلاً منهما سبب لوجود الآخر، وهما يكونان خليطا واحدا يمنع بين الإنسان وبين الحق[1].

وقال تعالى كاشفا خبيئة صدورهم﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ .... ﴾ [2] ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: هم يريدون لكم الضلالة، لتستووا أنتم وإياهم فيها، وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لكم[3].

فدفعهم بغضهم للمسلمين، إلى حسدهم وتمني زوال نعمة الإسلام عنهم، (فالحسد يلزم البغض والعداوة لا يفارقهما)،[4]فحقيقة هدفهم وحسدهم رد الناس عن اتباع الحق وسلوك طريق الهدى الموصلة إلى الله عز وجل، وتجنيبهم الجنة، وإرادتهم أن يكون طريقهم عوجا غير معتدلة، وهذا بسبب جحودهم وتكذيبهم بالآخرة،[5] كما قال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [6].

ودافع الحسد مشترك بين طوائف الصادين عن الحق من يهود ومشركين ومنافقين، كما يوضح ذلك قوله تعالى ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ..... ﴾ [7]، ففي هذه الآية يكشف الله تعالى للمسلمين، عما تكنه صدور اليهود وأذنابهم من المشركين، على اختلاف أنواعهم، من الشر والمعاداة، وما تحمله قلوبهم من الحسد والحقد، بحيث ما يودون أن ينزل الله على المسلمين أي خير ، سواء أكان هداية أم نصرا أم مغنما، فالمشركون بشتى أنواعهم قديما

---

[1] بتصرف، دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي، وسبل علاجها: عبد الرحمن بن يوسف بن عيسى الملاحي ص ٢٢٣، دار عالم الكتب للطباعة والنشر الرياض، ط:١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

[2] سورة النساء جزء من آية ٨٩.، وهذه الآية وإن كانت بصدد المنافقين إلا أن الآيات التالية تكشف عمق هذا الانحراف الخلقي في كل الطوائف المعادية للإسلام.

[3] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٣٢٧/٢.

[4] إحياء علوم الدين ١٩٣/٣.

[5] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٢٤٧/٤.

[6] سورة هود آية ١٩.

[7] سورة البقرة جزء من آية ١٠٥.

وحديثا لا يكفون عن عدائهم للمسلمين والمكر بهم، آخذين بخلق وتوجيهات أسيادهم اليهود.[1]

ج- الحقد والبغض:

وهو العدواة الدفينة والكراهية التي يصاحبها رغبة بالانتقام من الشخص المكروه، قد تصل هذه الرغبة إلى حد إفنائه وإلغائه من الوجود.[2]

وهو من العقبات النفسية الصادة عن تقبل دعوة الداعي، أو نصحه أو توجيهه، وقد يكون هذا الحقد والكراهية لسبب من الأسباب الشخصية أو القومية أو الدينية، أو غير ذلك، مما يولد العداوة بين الناس.[3]

والبغض من الإنسان يثمر حب العنت والمشقة والضرر لمن يبغضه، ويتمنى وقوعه في المصائب والضلالات، ولشدة بغضه لا يملك نفسه ولا يقدر أن يحفظ لسانه فتظهر إمارات العداوة للمبغوض من فلتات لسانه وفحوى كلامه،[4]كما قال تعالى: ﴿ **وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**..... ﴾[5].

وقد بين الله عظيم حقدهم وحسدهم لو ظهروا على المؤمنين[6]، فقال تعالى﴿ **كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ** ﴾[7]، قال الإمام الطبري رحمه الله: تبين الآية حالهم بعد معاهدتهم لكم-أي المسلمين- بأنهم يعطونكم بألسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه لكم

---

[1] بتصرف، صفوة الآثار والمفاهيم ٢/٢٩٠. وقد ورد في الكتاب الكريم التصريح بحسد أهل الكتاب للمسلمين في قوله تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ**..... ﴾سورة البقرة آية ١٠٩.

[2] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/٧٨٥.

[3] بتصرف، غزو في الصميم، دراسة واعية للغزو الفكري والنفسي والخلقي والسلوكي: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ١٤٣، دار القلم، دمشق- بيروت، ط:١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

[4] بتصرف، روح المعاني ٤/٣٨، وتفسير القرآن العظيم ٢/٨٩.

[5] سورة آل عمران جزء من آية ١١٨.

[6] انظر الولاء والبراء: محمد القحطاني ص ١٢٥.

[7] سورة التوبة آية ٨.

في أنفسهم من العداوة والبغضاء، وتأبى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم.[1]

كما قال تعالى ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾[2]، وذلك فيما يتعلق بحادثة حاطب رضي الله عنه.

وقد تشبعت صدور زعماء قريش بالعداء والبغض للمسلمين، لأسباب عديدة، كالحسد والكبر، وهذا العداء من الأسباب التي جعلتهم يصمون آذانهم عن الحق، مهما كان دامغا، وهو الذي كان يحدوهم في نشاطهم العظيم في الصد والمناوأة[3].

وقد قال تعالى مسليا رسوله صلى الله عليه وسلم، ومخبرا أن هؤلاء الخلق لهم سلف صنعوا كصنيعهم﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[4]، أي (الذين لا يصلحون للخير، ولا يزكون عليه، يعارضونهم، ويردون عليهم، ويجادلونهم بالباطل)[5]، فوجود الفريق الطاهر يُشعر الفريق الكافر الدنس بخبث طويته، وقبيح فعله، ومن هنا يبين كيد أعداء الله لأوليائه، والتربص لهم بكل ما يسوء[6].

وقد بدت هذه البغضاء، لما انهزم المسلمون في حنين، فتكلم رجال من أهل مكة – وذلك قبل صفو نفوسهم أو قبل إسلامهم– بما في نفوسهم من الضغن والحقد، فقال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وقال كَلَدة بن الحنبلي : الآن بطل السحر، وقال شيبة: اليوم أدرك ثأري من محمد، وحاول قتله فحيل بينه وبين ذلك[7].

---

[1] بتصرف، جامع البيان في تأويل آي القرآن ١٠/٨٥.

[2] سورة الممتحنة آية ٢.

[3] بتصرف، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صور مقتبسة من القرآن الكريم ١/٢٠٥.

[4] سورة الفرقان آية ٣١.

[5] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٥/٤٧٦، وتتمة كلامه:(ومن بعض فوائد ذلك أن يعلو الحق على الباطل، وأن يتبين الحق، ويتضح اتضاحا عظيما، لأن معارضة الباطل للحق، مما تزيده وضوحا وبيانا وكمال استدلال).

[6] بتصرف، الولاء والبراء في الإسلام ص ١٢٥.

[7] بتصرف، الكامل في التاريخ ٢/ ١٧٨– ١٧٩.

ومما يدل على حقد المشركين وبغضهم لنبي الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلامهم، قول هند بنت عتبة رضي الله عنها: (يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلي أن يذلوا من أهل خباءك)[1].

وبعد فهذه الأسباب تمثل في الغالب أسباب الصدود عن الحق، في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتمثلها في أيامنا هذه، وتمثلها غدا، فهي ذاتها في كل زمان، وفي كل مكان، عندما يخبو صوت الحق، ويرتفع صوت الباطل، ولكن تتغير ظواهرها من مجتمع لآخر، فأصحاب المكانة والرياسة-الملأ- هم أول من يحارب دعوات الإصلاح، محافظة على مصالحهم ومراكزهم وأموالهم.

وتعلق الناس بزينة الدنيا ، وحرصهم على العبّ منها، والتمتع بأكبر قدر من لذائذها، ظاهر لكل ذي عينين.

والتمسك بالعادات والتقاليد، واتباع خطى الآباء والأجداد، يترجمه استنكار الناس لكل من حاول تخليصهم من هذه القيود البالية وإرجاعهم إلى طريق الحق.

وانتشار المظاهر الحضارية، والتطور زاد من كبرياء وتجبر أصحاب النفوس المريض.

والجهل بأمور الدين مسيطر على عقول المسلمين، والشبهات قد شوشت على غيرهم، لصدهم عن دين الحق، وتشويه صورة الإسلام في أعينهم.

أينما نظر المسلم وجد تكرارا لنفس الأسباب الصادة عن سبيل الله، فهي نفسيات ومفاهيم متكررة، بأحوال وأوضاع متجددة.

ما يستفيده الدعاة إلى الله من دراسة أسباب الصدود، ومعرفتها والوقوف عليها:

لما كانت الدعوة تقوم بشكل أساسي على عرض الدعوة ومبادئها بشكل حسن ، وكان من أهداف الداعية تبيين سبيل المؤمنين للناس، والتأثير في نفوسهم، وإرشادهم

---

[1] سبق تخريجه ص ٢١٠، ومثل ذلك قول ثمامة بن أثال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي) صحيح البخاري كتاب المغازي باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ١١٨/٥، وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه ١٣٨٦/٣ ح ١٧٦٤.

وهدايتهم، كان من المهم للداعية، معرفة الأسباب التي تصد الناس عن الاستجابة لها رغم حسن عرضه لها، وبذله الجهود في نشرها.

فيكون الداعية كالطبيب الذي يسعى في طلب الشفاء للمريض، فيقف على علته المرضية، بسؤاله عن تاريخ مرضه، ومراقبة أحواله لمعرفة الأسباب التي أدت به إلى هذه العلة، فيعمل حينها على إزالة هذا السبب ما استطاع، ثم يختار له الدواء الأصلح والأنفع، ويضع منه المقدار المناسب فوق الجزء المعتل، حتى يتحقق له الشفاء بإذن الله، ثم في مدة نقاهته من المرض، يجنبه الأسباب التي قد تؤدي إلى انتكاس حاله، وهو لما يسترد كامل عافيته بعد.

فيظهر مما سبق أهمية معرفة السبب وإزالته، لتحقق الفائدة وحصول الشفاء بإذن الله، لأن(قبول المحل لما يوضع فيه، مشروط بتفريغه من ضده، وهذا كما أنه في الذوات والأعيان، فكذلك هو في الاعتقادات والإرادات، فإذا كان القلب ممتلئا بالباطل اعتقادا ومحبة، لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبته موضع)[1].

وعلم الداعية بأسباب الصدود عند المدعوين يحقق الفوائد التالية:

١- إذا عرف الداعية هذه الأسباب حرص على إزالتها، أو التقليل من أثرها السيء في نفوس المدعوين ما أمكنه ذلك، لتصبح نفوسهم مهيأة للنبت الجديد بإذن الله[2]، فإذا أهمل الداعية إزالة الأسباب -الممكن إزالتها-كان كالذي يبني دارا على أرض هشة لينة قد تنهار به في أي لحظة.

٢- إن معرفة هذه الأسباب تساعد الداعية في اختيار الأسلوب الأفضل والوسيلة الأجدى في الدعوة، فأسلوب دعوة من امتلأ عقله بالمفاهيم المنحرفة، مختلف عن أسلوب دعوة من تبين له الحق، ولكن تعلق قلبه بالدنيا ،وغلبت عليه شهواتها.

٣- إن معرفة أسباب الصدود في بيئة ما، يساعد على التخطيط الجيد عند إعداد الدعاة، وتثقيفهم وتعليمهم، بما يتناسب مع المجتمع الذي يدعو فيه، فيتسلح الداعية بما

---

[1] الفوائد ص ٤٣.

[2] للاستفادة انظر دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي، وسبل علاجها من ص ٢٨٥- ٣٧١، وقد قسم المؤلف سبل علاج هذه الموانع إلى خمسة أقسام هي : الحسية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية، وانظر أصول الدعوة من ص ٤٢٦- ٤٣٦.

يساعد على الدفاع عن الإسلام عند أصحاب الشبهات، ويتحلى بسعة الصدر ولين القول، وحسن التعامل، ليتخطى عقبة كراهية الحق ومن يدعو إليه، ويتزود بما يكسب به مودة الناس وصداقتهم ويؤلف قلوبهم.

٤- في بعض المجتمعات قد يكون من الأفضل أن يتصدى للدعوة من يتمكن من أن ينال ثقة الناس واحترامهم، لأن احتقار المدعوين للداعية وازدراءهم له وضعف ثقتهم به، أو بعلمه، أو نظرتهم له نظرة دونية، كل ذلك يحول دون الإنصات له والاستجابة لما يدعو إليه، ولعل من الأنسب أن تراعى المكانة الاجتماعية، والمستوى المعيشي والثقافي.

٥- إن معرفة الداعية لأسباب الصدود مفيد في إنجاح العملية الدعوية وإزالة العراقيل من طريقها، فإذا تمكن الداعية بحكمته تفادي الصدام مع هذه الأسباب مباشرة، وذلك بأن يبتعد عن إثارة النعرات العصبية والشخصية عند المدعوين-حال كمون هذه الأسباب-وتأجيل ما يمكن تأجيله منها حتى ينشرح صدورهم للهدى، لأن الغالب أن يثور المدعو وتأخذه العزة بالإثم عند إثارة هذه النعرات.

٦- إن بصيرة الداعية المؤمن بمكائد الشيطان ووسائله في صد الناس عن اتباع الهدى، يدفعه إلى التوقي والحذر أن يقع يوما في حبائله، فلا يسلطه على عقله ليبث فيه الشكوك والأوهام، ولا على قلبه فيزين له الدنيا ويزخرف له متاعها، أو يلوث أخلاقه بأنواع الانحرافات الخلقية.

٧- أخيرا إذا أخلص الداعية، وبذل غاية وسعه، وقدم ما يمكنه من جهد ووقت ومال لنشر دين الله، ولم ير استجابة ثم راجع نفسه وحاسبها، وأعاد الدعوة كرات وكرات، فليعلم أن هناك مانعا عن الاستجابة للحق ، لا يملك هو أمامه إلا الدعاء-مع الاستمرار في بذل الأسباب- بالهداية لمن كتب الله عليه الضلالة.

وقد قال تعالى ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ..... ﴾[1]، وقد حقت الضلالة على من تمادى في الطغيان والصدود من أهل مكة، فمنهم من لم يؤمن بالبعث والنشور والجزاء، ولم يستقبلوا القرآن بنفوس صافية وعقول واعية، بل كانوا متحفزين دائما لرفض هذا الدين، ومهيئين لعدم الإصغاء إليه، ومتطوعين للحيلولة بينه

[1] سورة النحل آية ٣٦.

وبين أن يصل إلى أسماع الناس،[1] حتى قال تعالى فيهم﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾[2].

فيحرص الداعية ألا يصيبه الإحباط أو اليأس من هدايتهم، لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وقد قال تعالى﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا .... ﴾[3]، فالله تعالى(قد أوضح السبل، وأرسل الرسل، وانزل الكتب، وأزاح العلل، ومكَّن من أسباب الهداية والطاعة، بالأسماع والأبصار والعقول، وهذا عدله، ووفق من شاء بمزيد عناية وأراد من نفسه أن يعينه ويوفقه، فهذا فضله، وخذل من ليس بأهل لتوفيقه وفضله، وخلى بينه وبين نفسه، ولم يرد سبحانه أن يوفقه، فقطع عنه فضله، ولم يحرمه عدله، وهذا نوعان:

أحدهما: ما يكون منه جزاء للعبد على إعراضه عنه، وإيثار عدوه في الطاعة والموافقة عليه، وتناسي ذكره وشكره، فهو أهل أن يخذله ويتخلى عنه.

والثاني: أن لا يشاء له ذلك، ابتداء كما يعلم منه أنه لا يعرف قدر نعمة الهداية، ولا يشكره عليه، ولا يثني عليه بها، ولا يحبه، فلا يشاؤها له، لعدم صلاح محله)[4].

ونوع ثالث: من عرف الله تعالى أنه ليس مهيئا بعد لاستقبال الخير والحق والهدى، فيريد الله تعالى تأخر هدايته حتى تحدث له أمور وابتلاءات متنوعة، تبين له طريق الحق وتكشف له عن فساد ما كان يدين به، فتنجلي الشبه عن قلبه ويقبل على الحق.

وخلاصة هذه الفوائد أن معرفة الداعية لهذه الأسباب، تعينه على مراعاة أحوال المدعوين، بما يهيئهم أفضل تهيأة للاستجابة، وهذا ما يتناوله المبحث التالي بإذن الله.

---

[1] بتصرف، تأملات في سورة الإسراء: د. حسن محمد باجودة ص ١٩١، دار الاعتصام القاهرة، ط: بدون ١٣٩٥هـ.

[2] سورة الإسراء الآيتان ٤٥- ٤٦.

[3] سورة الرعد جزء من آية ٣١.

[4] الفوائد ص ٣٨.

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بمراعاة أحوال المدعوين.

المراعاة: أصلها من كلمة رعى، يقال: راعيت الأمر: نظرت إلى أين يصير، وراعيته مراعاة: لاحظته محسنا إليه، ومنه مراعاة الحقوق. وراعيت الأمر: راقبته ونظرت إلى ما يصير، وماذا منه يكون[1].

ومراعاة المدعوين: ملاحظتهم والإحسان إليهم، ومراعاة حقوقهم، وتقديم الدعوة لهم بما يتناسب مع أحوالهم وظروفهم، وهذا من الأمور المهمة للدعاة، والتي تؤدي -بإذن الله- إلى زيادة فرصة الاستجابة للحق عند المدعوين.

وإن مما يؤكد أهمية مراعاة أحوال المدعوين، تنوُّع طبائعهم، وتفاوت مداركهم، مما يؤدي إلى اختلاف تأثرهم واستجابتهم للهدى الإلهي الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قسم الإمام ابن القيم الناس في استجابتهم للحق إلى قسمين، هما:

القسم الأول: المنتفعون بالدعوة، وهم نوعان:

النوع الأول: ذو القلب الواعي الذكي، الذي يكتفى بهدايته بأدنى تنبيه، ولا يحتاج إلى أن يستجلب قلبه ويجمعه من مواضع شتاته، بل قلبه واع قابل للهدى غير معرض عنه، فهذا لا يحتاج إلا إلى وصول الهدى إليه، فإذا جاء سارع إلى قبوله، كأنه كان مكتوبا فيه، وهذا حال أكمل الخلق استجابة، كما هي حال الصديق رضي الله عنه .

والنوع الثاني: من ليس له هذا الاستعداد والقبول، فإذا ورد عليه الهدى أصغى إليه بسمعه، وأحضر قلبه، وجمع فكرته عليه، وعلم صحته وحسنه بنظره واستدلاله، وهذه طريقة أكثر المستجيبين، ولهم نُوِّع ضرب الأمثال وإقامة الحجج، فالأولون يدعون بالحكمة، وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة، فهؤلاء نوعا المستجيبين المنتفعين.

أما القسم الثاني: فهم المعارضون المدعون للحق، وهم نوعان:

النوع الأول: نوع يدعون بالمجادلة بالتي هي أحسن، فإن استجابوا وإلا فهم النوع الثاني: وهم الذين لا بد لهم من جدال أو جلاد.

ومن تأمل دعوة القرآن وجدها تشمل هذه الأقسام، متناولة لها كلها، كما في قوله

---

[1] الصحاح باب الواو والياء فصل الراء ٢٣٥٨/٦، وتاج العروس فصل الراء من باب الواو والياء ١٥٣/١٠.

تعالى﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ..... ﴾[1]، فهؤلاء المدعوون بالكلام، وأما أهل الجلاد فهم الذين أمر الله بقتالهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله[2].

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل لموقف الناس من هدى الله والعلم الذي بعث به[3]، وفصلهم إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: ويمثلها الذي شرح الله صدره للإسلام، فأقبل على هديه، يعبُّ منه، حتى غدا الإسلام بمثابة دمه وروحه، حيثما حل ، تكلم بالإسلام، عمله مطابق لأمر الله، وأخلاقه تنطق بشرع الله، قد استفاد من هذا الهدى والعلم في نفسه، وانعكست عقيدته على خلق الله، فنفعهم بعلمه، فهذا عالِم عامِل معلِّم.

الفئة الثانية: ويمثلها الذي أقبل على هدى الله، يعب منه ما شاء له الله، فنال منه حظا وافراً، لكنه مع هذا العلم الجَّم، لم يحقق صفة العمل، فعلمه في واد، وعمله في واد آخر، ينفع الناس ويرشدهم، وهو في ذاته مفلس من العمل[4].

الفئة الثالثة: ويمثلها الذي سمع العلم فأعرض عنه، لم يحفظه لم يعمل به، ولم ينقله لغيره، فهذا بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء، التي لا تقبل الماء، أو تفسده على غيرها[5].

وأوضح ما يتعلق بمراعاة المدعوين، ضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسس تعين الدعاة على تحقيق مراعاة المدعوين.

المطلب الثاني: جوانب مراعاة أحوال المدعوين.

المطلب الثالث: ثمار هذه المراعاة في نفوس المدعوين.

---

[1] سورة النحل جزء من آية ١٢٥.

[2] بتصرف، مفتاح دار السعادة ١/١٧١.

[3] وذلك في الحديث المتفق عليه ((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير.. الخ)) سبق تخريجه ص ٤١٣.

[4] بتصرف، قطوف من رياض السنة، دراسة تحليلية أحاديث مختارة من كتاب رياض الصالحين: د. محمد صالح رضا ١/٢٠-٢١، مؤسسة مناهل العرفان بيروت ط: بدون.

[5] بتصرف، فتح الباري ١/١٧٧ ح ٩٧.

المطلب الأول: أسس تعين الدعاة على تحقيق مراعاة أحوال المدعوين.

الأساس الأول: العلم بحال من توجه إليهم الدعوة:

بمعرفة شئونهم واستعدادهم وطبائع بلادهم، وميولهم، أو ما يعبر عنه بـــ(أحوالهم الاجتماعية)[1]، وسوابق أفكارهم، والأسباب التي أدت أو أثرت على استجابتهم للحق، فأخرتها أو منعتها، والوسائل التي يؤتون من قبلها.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتمد اعتمادا كبيرا على هذا الأساس في اتصاله بالمدعوين، والتقرب منهم، والتأثير فيهم، فهو يعرف أسماءهم وبعض خصائصهم، كما يعرف بعض مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية، ومستوياتهم العقلية والإيمانية، وكذلك يعرف قدراتهم وحظوظهم في المجالات التربوية والقيادية، فيتحدث مع كل بما يناسبه، ويكلف كلا وفق قدراته وخصائصه[2].

ومن شواهد إطلاعه صلى الله عليه وسلم على أحوال أصحابه، معرفته أن أبا شاه رضي الله عنه من غير أهل مكة، كما في الحديث(فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه، فقال: أكتب لي يا سول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((اكتبوا لأبي شاه))[3]، فمعرفته له وذكره باسمه يدل على إطلاعه على حاله، فأمر بالكتابة له.

ويعرف هنداً بنت عتبة رضي الله عنها، لما جاءت تبايع منقبة متنكرة، فكشفت حالها مع زوجها، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : وأنك لهند بنت عتبة. قالت: أنا هند بنت عتبة، فاعف عما سلف عفا الله عنك[4].

---

[1] بتصرف، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ص ١٠٠، وانظر الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٤٣١، وانظر الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ص ٨٩.

[2] بتصرف، علم النفس الدعوي، دراسات نفسية تربوية للآباء والمعلمين والدعاة: د. عبد العزيز النغيمشي ص ٢٨٦، دار المسلم الرياض، ط:١، ١٤١٥هـــ.

[3] سبق تخريجه ص ١٤٥، واللفظ في صحيح البخاري كتاب الديات باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ٣٨/٨.

[4] بتصرف، تاريخ الأمم والملوك ٦٢/٣.

كما تظهر معرفته وصدق فراسته فيهم، في حسن اختياره قادة الجيش الإسلامي الفاتح، ثم في تعيينه قادة السرايا المحطمة للأوثان.

(ولا شك أن الفرد كلما كان أعرف بالطرف المقابل كان إليه أقرب، وببره وصلته أحرى، وكذلك الطرف المقابل يبادله الشعور ذاته، ويكون متقبلا متأقلما، بينما جهل الآخرين أو تجاهلهم يبعث الوحشة والنفرة فيهم)[1].

وهذه المعرفة من الداعية للمدعوين تبصره بكيفية التعامل معهم، فيستعد لذلك، وتجعله يسير هينا لينا مع المدعو، فلا يشدد عليه أو يجهده، بل يصبر عليه صبر العارف بطبيعته وأفكاره، الواثق ببلوغ الهدف السامي الذي يسعى إليه[2].

الأساس الثاني: مخالطة الداعية للمدعوين:

إن من أمثل الطرق لمعرفة الناس، هي مخالطتهم[3]، فالداعية الذي يخرج ويبحث عن الناس ويغشى مجالسهم ويتوجه إليهم بالدعوة، ليس كمن شأنه البقاء في مكتبه أو بيته منتظرا قدوم الناس عليه، فهذا الصنف -غالبا- أضعف أثرا في الدعوة، وقلما يستجيب له الناس، لما يرون من جهله بأحوالهم واهتماماتهم.

فمعاشرة الجماهير والتعرف على عوائد الناس وأوضاعهم ومشكلاتهم، لها أثر كبير في نجاح الدعوة الإسلامية، فمن أراد أن يصلح المتدينين، فعليه أن يعيش معهم في مساجدهم ومجالسهم، ومن أراد أن يصلح العمال والفلاحين، عليه أن يعيش معهم في قراهم ومصانعهم، ومن أراد أن يصلح التجار، فلا بد أن يخالطهم في أسواقهم ومتاجرهم.. الخ[4].

---

[1] علم النفس الدعوي: د. عبد العزيز النغيمشي ص ٢٨٧.

[2] ومن الأحاديث التي تدل على أهمية معرفة حال المدعو قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن:((إنك ستأتي قوما أهل كتاب... الخ)) كتاب المغازي باب بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ١٠٩/٥. وذلك ليعرف حالهم ويستعد لهم. انظر زاد الداعية إلى الله: الشيخ محمد العثيمين ص ٨، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن للنشر، ط:٣، ١٤١٣هـ ومشكلات الدعوة والداعية ص ١١٨.

[3] اختلف العلماء في أيهما أفضل الخلطة أم العزلة، وبينوا أن هناك أحوالا تشرع فيها العزلة بشكل كلي أو جزئي وأنواعها. انظر على سبيل المثال: إحياء علوم الدين ٢٢١/٢-٢٤٤، والآداب الشرعية والمنح المرعية ٤٧٦/٣ فصل في المفاضلة بين العزلة والخلطة.

[4] بتصرف، السيرة النبوية دروس وعبر ص ٣٧، وانظر الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ٢١٨.

ذلك أن الإسلام دين الجماعة، والأصل في المسلم أن يخالط الناس ليتمكن من أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وإرشادهم إلى الخير، وانتشالهم من الضلال.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أفضلية من يخالط الناس مخالطة يأمرهم فيها بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحسن معاملتهم، وأنه أفضل من الذي يعتزلهم، ولا يصبر على مخالطتهم، والأحوال تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والزمان، ولكل حال مقال[1]، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم :((المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم))[2].

الأساس الثالث: وضوح مفاهيم معاملة المدعوين عند الداعية:

وخاصة المفاهيم التي قد يشوبها خلط أو عدم وضوح عنده، خاصة فيما يتعلق بأحوال المدعوين المتغيرة أو المؤقتة، مما قد يحير الداعية ويضطره إلى مجانبة الحكمة في التعامل معهم، أو يوقعه في محاولة الجمع بين المتضادين، كالجمع بين الرفق والحزم، أو الثبات والمرونة، فلا بد للداعية من التمييز في مراعاته للمدعوين بين هذه الأمور، كذلك وضوح الفرق بين مداراة المدعوين ومداهنتهم، والفرق بين الصفح والعفو وبين الصبر، وتتضح الأمور السابقة كالآتي:

١ـ مراعاة المدعوين بين الرفق والشدة:

على الداعية إلى الله أن يعرف بوضوح أن رسالته التي يحملها إلى الناس، هي رسالة رحمة، كما أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3]، وحين يستوعب الداعية ذلك، يتعمق في نفسه الإحساس بالتيسير على الناس والرفق بهم، فالله تعالى لا يريد بعباده إلا اليسر، كما قال تعالى﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ... ﴾[4]، وهو تعالى رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما

---

[1] بتصرف، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٧/٢١٠.

[2] سبق تخريجه ص ٤٣٨.

[3] سورة الأنبياء آية ١٠٧.

[4] سورة البقرة جزء من آية ١٨٥.

لا يعطي على الشدة والعنف، كما قال صلى الله عليه وسلم :((إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه))[1]. [2]

ولكن هذا الرفق المأمور به الداعية، لا يعني التساهل مع المدعوين أو مسايرتهم دائما فيما يريدون، بل إن مراعاة المدعو أحيانا ومصلحته تتعلق بمنعه من الخطأ، والأخذ على يديه بالشدة، وقد قال صلى الله عليه وسلم :((انصر أخاك ظالما أو مظلوما)). قالوا : يا رسول الله، هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟ قال: ((تأخذ فوق يديه))[3].

كما بين النبي صلى الله عليه وسلم أن أقواما يجبرون على الدين، ويشدون إلى الجنة بالسلاسل، فقال:((عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل))[4].

فإذا علم الداعية أن عامة مصالح النفوس في مكروهاتها، كما أن عامة مضارها وأسباب هلكتها في محبوباتها كان للمدعوين مثل الأب الشفيق على ولده، العالم بمصلحته، إذا رأى مصلحته في إخراج الدم الفاسد عنه، شق جلده، وقطع عروقه، وأذاقه الألم الشديد، وإن رأى شفاءه في قطع عضو من أعضائه، أبانه عنه[5]، كل ذلك رحمة به، وشفقة عليه، كذلك يمنعه كثيرا من شهواته، حمية له ومصلحة لا بخلا عليه[6].

ومراعاة المدعوين بين اللين والشدة، من واقعية الدين الإسلامي، فهو يقر التفاوت النظري والعملي بين الناس، فليس كل المدعوين على درجة واحدة من قوة الإيمان والالتزام بما أمر الله تعالى من أوامر، والانتهاء عما نهى عنه من نواه[7]، فبعض الناس يفتح الرفق مصارع قلوبهم، ويمتلكها الإحسان، وفي الوقت ذاته فإن (الهجر لبعض الناس أنفع من التأليف،

---

[1] صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب فضل الرفق ٤/٢٠٠٣ ح ٢٥٩٣.

[2] انظر الدعوة قواعد وأصول ص ٥٦.

[3] صحيح البخاري كتاب المظالم باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما ٣/٩٨.

[4] سبق تخريجه ص ١٦٣.

[5] أي: قطعه .الفوائد ص ١٢٠.

[6] بتصرف، الفوائد ص ١٢٠- ١٢١.

[7] بتصرف، الخصائص العامة للإسلام ص ١٥٧.

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتألف قوما، ويهجر آخرين... كما أن المشروع في العدو، القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح)[1].

(والإتساء بالنبي صلى الله عليه وسلم في وعظ أهل الجهل والمعاصي والرذائل واجب، فمن وعظ بالجفاء والاكفهرار، فقد أخطأ وتعدى طريقته صلى الله عليه وسلم، .. ومن وعظ ببشر وتبسم ولين، وكأنه مشير برأي، ومخبر عن غير الموعوظ، بما يستفتح من الموعوظ، فذلك أبلغ وأنجع في الموعظة.. وأما الغلظة والشدة، فإنما تجب في حد من حدود الله تعالى، فلا لين في ذلك للقادر على إقامة الحد خاصة)[2].

والمواقف التي تحلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق أكثر من أن تحصى، فهي الأغلب في أحواله، مقارنة بالمواقف التي تحلى فيها صلى الله عليه وسلم بالشدة، ومن شواهد ذلك في غزوة الفتح: إعراضه عن قبول إسلام ابن عمه أبي سفيان بن الحارث وصهره عبد الله بن أمية بادئ الأمر، حتى إذا استوثق من صدق رغبتهما في الإسلام وأشفق عليهما ، قبل ذلك منهما[3]، وأمره بقتل ابن خطل وهو معلق بأستار الكعبة[4]، كذلك أمره بقتال من نقض الأمان من أهل مكة، حينما لم يرعوه وبادؤوا المسلمين بالقتال[5].

٢ـ مراعاة المدعوين بين الثبات والمرونة:

من إعجاز هذا الدين، ومن آيات عمومه وخلوده، وصلاحيته لكل زمان ومكان، أن الله تعالى أودع فيه عنصر الثبات والخلود، وعنصر التطور والمرونة معا، فهو ثبات على الغايات والأهداف، ومرونة في الوسائل والأساليب.

وثبات على الأصول والكليات، ومرونة في الفروع والجزئيات.

وثبات على القيم الدينية والأخلاقية، ومرونة في الشئون الدنيوية والعلمية[6].

---

[1] باختصار، الفتاوى: ابن تيمية ٢٠٦/٢٨.

[2] باختصار، الأخلاق والسير في مداواة النفوس ص ٦٢.

[3] انظر قصتهما ص ١١٣.

[4] الحديث سبق تخريجه ص ١٣١.

[5] الحديث سبق تخريجه ص ١٢٣.

[6] بتصرف، الخصائص العامة للإسلام ص ٢٠٤.

وبتدبر أحداث الفتح يظهر عدة مواقف برزت فيها هذه الخصيصة، وهي الجمع في التعامل مع المدعوين بين الثبات والمرونة، والتي إذا تأملها الداعية تبين له كذلك حدود مراعاته لأحوال المدعو، وتردد ذلك بين الثبات الذي لا مجال للتغيير فيه، وبين المرونة وسعة الأمر، ومن تلك المواقف التي تمثل الثبات:

– المبادرة إلى إزالة الأصنام المحيطة بالكعبة، وإزالة معالم الشرك، فعقيدة التوحيد هي الأساس الثابت الذي لا تردد فيه، وتمثلت المرونة في تركه صلى الله عليه وسلم حرية الدخول في الإسلام وعدم إكراه الناس عليه، كما سمح بذلك لصفون بن أمية رضي الله عنه مدة أربعة أشهر[1].

– موقفه من المرأة المخزومية، ورفضه تعطيل حدود الله وقد وجبت إقامتها، ببلوغها الإمام ، رغم علمه بحرص قريش على عدم القطع،(خوفا من لحوق العار وافتضاحهم بها بين القبائل)[2].

وتمثلت المرونة في حثه صلى الله عليه وسلم على العفو عن الحدود قبل بلوغها الإمام، ومحاولة درئها[3]، فقد روي: (أن صفوان بن أمية رضي الله عنه قيل له: إنه إن لم يهاجر هلك، فقدم صفوان بن أمية المدينة، فنام في المسجد، وتوسد رداءه، فجاء سارق فأخذ رداءه، فأخذ صفوان السارق، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقطع يده. فقال صفوان: إني لم أرد هذا يا رسول الله، هو عليه صدقة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((فهلا قبل أن تأتيني به))[4].

---

[1] سبق تخريجه ص ١٣٨.

[2] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٣١/١٤ ح ٦٧٨٨.

[3] كما في الحديث: ((تعافوا الحدود بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب) سنن أبي داود كتاب الحدود بـــاب العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان ١٣٣/٤ ح ٤٣٧٦، ومما أثر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قوله:(لو لم أجد للسارق، والزاني، وشارب الخمر، إلا ثوبي، أحببت أن أستره عليه) المصنف: عبد الرزاق الصنعاني ٢٢٧/١٠ ح ١٨٩٣١.

[4] سبق تخريجه ص ٣١٩.

وهذا يدل على جواز عفوه عنه، بل وأفضلية ذلك بشرط عدم وصولها للإمام، قال ابن عبد البر رحمه الله:(لا أعلم خلافا أن الشفاعة في ذوي الذنوب، حسنة جميلة، ما لم تبلغ السلطان، وأن على السلطان إذا بلغته أن يقيمها)[1].

إن المرونة في دعوة الناس لحملهم على الالتزام بمبادئ الإسلام، وترغيبهم في ذلك بشتى الوسائل، شيء مرغوب فيه، أما إذا تعلق الأمر بالمساومة على مبادئ الدعوة، وتغيير حقائقها، فينبغي حينئذ للداعية أن يقف وقفة صارمة صحيحة، وإفهام المدعوين أن الله غني عن العالمين، وأن دخولهم في الدعوة تكريم لهم، وتشريف لمقامهم، وليس تشريفا للدعوة، وقد قال تعالى﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ..... ﴾[2]،[3]والنبي صلى الله عليه وسلم لم يتنازل أمام المبادئ الثابتة، لكنه صلى الله عليه وسلم يبين الرخصة إذا كان في الأمر متسع لها.

٣- الفرق بين مراعاة المدعوين ومداهنتهم:

قال ابن بطال[4] رحمه الله: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة.

وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط، لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق يتضح من التفصيل: فالمداهنة من الدهان: وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه.

والمداراة هي: الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك[1].

---

[1] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٣٢/١٤ ح ٦٧٨٨.

[2] سورة الكهف جزء من آية ٢٩.

[3] بتصرف، مباحث في التفسير الموضوعي ص ٢٣٦.

[4] هو العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي، يعرف بابن اللجَّام، شارح صحيح البخاري، كان من كبار المالكية ومن أهل العلم والمعرفة، توفي رحمه الله سنة ٤٤٩هـ. بتصرف سير أعلام النبلاء ٤٧/١٨، ومعجم المؤلفين ٨٧/٧.

فالحد الذي لا يتجاوزه الداعية في مراعاته للمدعوين، هو معاصي الله، وما يكرهه تعالى، فيبذل للمدعو من الرفق والمعاملة الحسنة ما يجلبه إلى الهداية، ويميل قلبه إلى الحق دون الوقوع في مداهنته.

وقال ابن حِبان رحمه الله :(والمداراة التي تكون صدقة للمداري، هو تخلق الإنسان بالأشياء المستحسنة مع من يدفع إلى عشرته، ما لم يشبها معصية الله، والمداهنة هي استعمال المرء الخصال التي تستحسن منه في العشرة، وقد يشوبه ما يكره الله تعالى)[٢].

وإذا حرص الداعية على نجاح دعوته، دارى المدعوين وعاملهم بما يحبون، حتى لو كان مضطرا إلى قسر نفسه على ذلك ما دام يظن أن عاقبة الأمر إلى خير، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:(جاء مخرمة بن نوفل[٣]، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم به، قال:((بئس أخو العشيرة))، فلما دخل، بشَّ به. قالت: فلما خرج، كلمته في ذلك، فقال:((يا عائشة، أعهدتني فحاشا، إن شر الناس من يُتقى شره))[٤].

وقال أبو حاتم البُستي رحمه الله: (من التمس رضا جميع الناس، التمس ما لا يدرك، ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بد، وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من العادات كان يستقبحها، واستقباح أشياء كان يستحسنها، ما لم يكن إثما، فإن

---

[١] بتصرف، فتح الباري ٥٢٨/١٠ ح ٦١٣١. وقد عقد الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب بعنوان باب المداراة مع الناس، وروى فيه قول أبي الدرداء رضي الله عنه : إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم. ١٠٢/٧.

[٢] الآداب الشرعية والمنح المرعية ٤٧٨/٣.

[٣] هو مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، من مسلمة الفتح، كان له سن عالية وعلم بالنسب، كان عالما بأنصاب الحرم، وبعثه عمر رضي الله عنه ليجدد أنصاب الحرم وبعثه عثمان رضي الله عنه بعد ذلك، كان في خلقه شدة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتقي لسانه ويتألفه. مات رضي الله عنه سنة ٥٥هـ وعمره ١١٥ سنة. بتصرف، سير أعلام النبلاء / ٥٤٣، الإصابة ٣٩٠/٣.

[٤] صحيح البخاري كتاب الأدب باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفاحشا ٨١/٧، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة باب مداراة من يتقى فحشه ٢٠٠٢/٤ ح ٢٥٩١، بلفظ: أن رجلا استأذن. واللفظ المروي ذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥٤٣/٢، وقال المحقق: قال غير واحد من أهل العلم أنه عيينة بن حصن الفزاري، وقال بعضهم أنه مخرمة بن نوفل، واستدلوا بالرواية التي ذكرها الإمام الذهبي.

ذلك من المداراة، وما أكثر من دارى فلم يسلم، فكيف توجد السلامة لمن لم يدار)[1]،وما أكثر ما دارى الداعية المدعوين، فلم يستجيبوا له، فكيف تحصل الاستجابة لمن لم يدار!

والداعية إذا لم يدار المدعوين ملُّوه، وانفضوا من حوله، وقد قيل:

(دار من الناس ملالاتهم من لم يدار الناس ملوه

ومكرم الناس حبيب لهم من أكرم الناس أحبوه)[2]

ومن أمثلة مداراة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل مكة، تلطفه لهم بالقول في خطابه وعفوه عنهم، بلا منة، رغم ما لقيه منهم.

والتلطف بصفوان بن أمية، رغم فظاظة خطابه مع النبي صلى الله عليه وسلم.

وإلانة القول لمن حاول إلحاق الأذى به منهم مثل شيبة وفضالة[3] رضي الله عنهما.

وكذلك مداراته لهم بالفعل، وذلك كعفوه عمن طلب الأمان منهم، ثم تأليفهم بالهبات والعطايا بعد غزوة حنين.

٤ـ مراعاة المدعوين بين العفو والصفح وبين الصبر:

إن القائم بالدعوة إلى الله تعالى، والآمر بالمعروف الناهي عن المنكر، لا يسلم في غالب الأحيان من مس الناس له بالأذى، سواء بالقول أم بالفعل، ولهذا قال لقمان لابنه مبينا له هذه السنة﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[4]، كما أمر الله تعالى نبيه بالصبر في مواضع كثيرة، كما في قوله تعالى﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾[5]، وبين له الكلفة الناتجة عن نزول القرآن، وأنه سيتبع ذلك أذى وابتلاء، فقال تعالى﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾[6].

---

[1] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٧١.

[2] المرجع السابق ص ٧٠ والأبيات لعلي بن محمد البسامي رحمه الله.

[3] سبق تخريجه ص ١٣٧، و ص ١٨٠.

[4] سورة لقمان آية ١٧.

[5] سورة المزمل آية ١٠.

[6] سورة الإنسان الآيتان ٢٣- ٢٤.

وهنا يرد سؤال: ما هو تصرف الداعية حيال ما يمسه من أذى المدعوين؟ وكيف يمنع الأذى عن نفسه دون الإخلال بعلاقته مع المدعوين؟ وكيف يمنع التعارض بين مراعاة أحوالهم وبين كف الضرر عن نفسه؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن (للآمر الناهي أن يدفع عن نفسه ما يضره، كما يدفع الإنسان عن نفسه الصائل، فإذا أراد المأمور المنهي ضربه، أو أخذ ماله ونحو ذلك، وهو قادر على دفعه، فله دفعه عنه، بخلاف إذا ما وقع الأذى وتاب منه، فإن هذا مقام الصبر والحلم.

والكمال في هذا الباب حال نبينا صلى الله عليه وسلم، كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده، لا امرأة، ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل[1])[2].

ومن أعظم الأمثلة على ذلك عفوه عن أهل مكة جميعهم، فيما يتعلق بحقه صلى الله عليه وسلم وخاصة من مسه بأذى في نفسه كمن كان يهجوه من الشعراء، أو بأذى في أهله كوحشي بن حرب، وهند بنت عتبة، وقصتهما معروفة مع سيد الشهداء رضي الله عنه، وهبار بن الأسود الذي آذى ابنته فأسقطت جنينها بسببه[3].

أما إذا كان التعدي على حقوق الله تعالى، فهو أول من يغضب له، ويقيم حدوده، كما روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن المؤمنين عائشة رضي الله عنها:(والله، ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمات الله، فينتقم لله)[4].

---

[1] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته ١٨١٤/٤ ح ٢٣٢٨، ورواه أبو داود مختصرا في سننه كتاب الأدب باب في التجاوز في الأمر ٤/ ٢٥٠ ح ٤٧٨٥.

[2] الفتاوى: ابن تيمية ١٦٨/١٥-١٦٩، مع اختلاف يسير في لفظ الحديث، والمثبت هو اللفظ عند الإمام مسلم.

[3] راجع ص ١٣٢.

[4] كتاب الحدود باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله ١٦/٨، وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح أسهله.. الخ ١٨١٣/٤ ح ٢٣٢٧.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:(والآمر الناهي إذا أوذي وكان أذاه تعديا لحدود الله، وفيه حق لله، يجب على كل أحد النهي عنه، وصاحبه مستحق للعقوبة، لكن لما دخل فيه حق الآدمي، كان له العفو عنه، كما له أن يعفو عن القاذف والقاتل وغير ذلك، وعفوه عنه لا يسقط عن ذلك العقوبة التي وجبت لحق الله، لكن يكمل لهذا الآمر الناهي مقام الصبر والعفو الذي شرع الله لمثله، حتى يدخل في قوله تعالى ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[1])[2].

والفرق بين الصفح والعفو وبين الصبر، أن الداعية مأمور بالصبر دائما، قبل دعوته وأثناء قيامه بها، وبعد الدعوة يصبر لما يترتب عليها من نتائج، أما الصفح فالداعية يبلغ به أعلى درجة في الإحسان، كما أنه قد لا يرافق الداعية في جميع أحواله، فقد يصفح الداعية ويعفو في سبيل مصلحة أعلى محققة، وأحيانا تكون المصلحة ملازمة لإيقاع العقوبة، وذلك حين يكون صدور العفو أو تكراره مدعاة للاستهانة بجانب الداعية، والتقليل من شأنه، أو اجتراء الفساق عليه[3].

ويوضح شيخ الإسلام فرقا آخر فيقول: (ثم هنا فرق لطيف، أما الصبر، فإنه مأمور به مطلقا، فلا ينسخ، وأما العفو والصفح، فإنه جعل إلى غاية، وهو:(أن يأتي الله بأمره)، فلما أتى الله بأمره: بتمكين الرسول صلى الله عليه وسلم ونصره، صار قادرا على الجهاد لأولئك، وإلزامهم بالمعروف، ومنعهم من المنكر، صار يجب عليه العمل باليد في ذلك ما كان عاجزا عنه، وهو مأمور بالصبر في ذلك، كما كان مأمورا بالصبر أولا)[4].

وقد يشكل على الداعية قوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾[5]، فالآية تمدح المؤمنين بأن فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم، فهم ليسوا بعاجزين ولا أذلة، بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم[6]، والجمع بين هذه العزة وبين العفو

---

[1] سورة آل عمران جزء من آية ١٨٦.

[2] الفتاوى: ابن تيمية ١٥/١٦٩-١٧٠.

[3] كما في قصة قتله صلى الله عليه وسلم أبي عزة الجمحي بعد غزوة أحد. سبق تخريج القصة ص ٤٢٧.

[4] الفتاوى: ابن تيمية ١٥/١٧٠.

[5] سورة الشورى آية ٣٩.

[6] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٧/١٩٨.

والصفح، بأنهم كانوا يكرهون أن يُستذلوا، فإذا قدروا عفوا، فقوله تعالى: ﴿ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾[1] يمدحهم بأن فيهم همة الانتصار للحق والحمية له، ليسوا بمنزلة الذين يعفون عجزا وذلا، بل هذا مما يذم الرجل، والممدوح العفو مع القدرة والقيام لما يجب من نصر الحق، لا مع إهمال حق الله وحق العباد[2].

الأساس الرابع: التدرج في الدعوة:

(جاء النبي صلى الله عليه وسلم والعرب قد استحكمت فيهم عادات منها ما هو صالح للبقاء لا ضرر منه على تكوين الأمة، ومنها ما هو ضار يريد الشارع إبعادهم عنه، فاقتضت حكمته أن يتدرج معهم شيئا فشيئا، لبيان حكمه، وإكمال دينه)[3]، لأن من أصعب الأمور على نفوس المدعوين: مفارقة ما كانوا عليه من عادات واعتقادات وأفكار، بسرعة وفي مدة قصيرة، فينتقلون نقلة واحدة من واقعهم الذي ألفوه لمدة طويلة، إلى واقع جديد بشكل كامل.

فمن تيسير الإسلام على الناس أنه راعى سنة التدرج فيما يرفعه عنهم من الباطل رفعا تدريجيا، لتحل محله بالتدريج أيضا صورة الحق في السلوك، مراعاة لما ركب في واقع الطبيعة الفردية والاجتماعية من سنة التشبث بالموروث، ومشقة الانقلاب الفوري من طور في السلوك إلى طور آخر مناقض له.

وما ورد في التشريع الإسلامي من تنجيم في النزول ومن تدرج في بناء الأحكام، يعتبر إرشادا إلهيا في كيفية تحويل أهل الجاهلية، إلى واقع الحقيقة الإسلامية، ليكون مبدأ عاما في منهجية الصراع مع الواقع الباطل[4].

والتدرج ذو شقين: شق يتعلق بالكم، وشق يتعلق بالكيف:

---

[1] سورة الشورى جزء من آية ٣٩.

[2] بتصرف، الفتاوى: ابن تيمية ١٧٤/١٥. وانظر عددا من أمثلة عفوه صلى الله عليه وسلم مع قدرته على الانتقام أوردها الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ١٩٨/٧، وانظر شرح السنة ١٦٥/١٣ باب الصبر على أذى المسلمين والتجاوز عنهم.

[3] تاريخ التشريع الإسلامي ص ١٨.

[4] بتصرف، مقال بعنوان: دور الفكر الواقعي في النهضة الإسلامية: د. عبد المجيد نجار ص ٢٠٢-٢٠٣، بحث من ضمن فعاليات اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية عام ١٤٠٢هـ.

فالأول: يعني أن يعطي الداعية المدعو من العلم المقدار الملائم له، ولا يكثر عليه، ويحمله ما لا يطيق، فينوء به ويضيعه كله.

والثاني: ما يتعلق بالكيف والنوع، بمعنى أن يبدأ مع المدعو بالجلي من العلم قبل الخفي، وبالبسيط قبل المركب[1].

فإذا أراد الداعية أن يقيم مجتمعا إسلاميا يلتزم أفراده بشريعة الله، فلا يتوهم أن ذلك يتحقق له دفعة واحدة، بل لا بد أولا من التهيئة النفسية والفكرية للمدعوين، وذلك بتقديم الأهم من الأمور على المهم منها، والتدرج من المألوف الذي اعتادوا إلى الجديد الذي يهدف إلى إيصالهم إليه، ومن كليات الأمور إلى الجزئيات منها، ولا يباشرهم بالإصلاح دفعة واحدة، فإن ذلك يعتبر مصادمة لهم، وتنفيرا عن قبول أوامر الدين ونواهيه[2].

الأساس الخامس: إبقاء ما عندهم من الخير:

فعرب الجاهلية- في مجملهم-أصحاب فطرة سليمة، وأخلاق كريمة كالمروءة، والنجدة والجود وصلة الرحم ونصرة المظلوم وإكرام الضيف والشجاعة والغيرة على المحارم.. الخ، وقد كان فيهم بعض بقايا الحنيفية السمحة- وإن حرفت- .

والإسلام لم يأت لينقض واقع الناس بشكل كامل، يل يتمم ما فيه من المحاسن، ويمحو ما فيه من المساوئ، كما قال صلى الله عليه وسلم :((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))[3]، وليضع للناس شرعا ومنهاجا إلهيا يسيرون عليه، ويبقى إلى يوم القيامة.

ومما يدل على ذلك جواب الرسول صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام رضي الله عنه حين سأله فقال:(يا رسول الله، أرأيت أمورا كنت أتحنث[4]-أو أتحنت- بها في الجاهلية من صلة وعتاقة وصدقة، هل لي فيها من أجر؟ فقال صلى الله عليه وسلم :((أسلمت على ما سلف لك من خير))[5].

---

[1] بتصرف، الرسول والعلم: د. يوسف القرضاوي ص ١٣٣.

[2] بتصرف، الدعوة قواعد وأصول ص ١٧٩، وانظر خصائص الإسلام ص ١٧٠. وانظر أمثلة سابقة ص ٣٣٨.

[3] سبق تخريجه ص ٢٩٤.

[4] يقال: فلان يتحنث : أي يفعل فعلا يخرج به من الإثم والحرج، وقوله: أتحنث بها: أي أتقرب بها إلى الله. النهاية في غريب الحديث ٤٤٩/١.

[5] صحيح البخاري كتاب البيوع باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه ٣٩/٣.

وكذلك قوله للسائب رضي الله عنه :((يا سائب، قد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تتقبل منك[1]، وهي اليوم تتقبل منك)) وكان ذا سلف وصلة[2].

---

[1] أذكر للفائدة قول الشيخ بن عثيمين:(إن الله تعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم لقوم يتعبدون، لكنها عبادة باطلة، ما أنزل الله بها من سلطان، ويتصدقون ويفعلون كثيرا من أمور الخير، لكنها لا تنفعهم، لأنهم كفار، ومن شرط التقرب إلى الله، أن يكون المتقرب إلى الله مسلما، وهؤلاء غير مسلمين) شرح كشف الشبهات ص ٢٧- ٢٨ و انظر ص ٢٩.

[2] المصنف: ابن أبي شيبة ٥٠٥/١٤ ح ١٨٧٩٤، وسبق تخريجه ص ٣٥٨.

المطلب الثاني: جوانب مراعاة أحوال المدعوين:

تتميز الدعوة الإسلامية بمراعاتها أحوال المدعوين بشكل شامل، فتراعى فيهم النواحي النفسية والعقلية والاجتماعية والوجدانية، إضافة إلى رعاية ما ميزهم الله به من مواهب وقدرات، وهذه الجوانب وغيرها تلقى العناية والرعاية المثمرة، والتي تستنبط تفصيلاتها من أحداث الفتح كالآتي:

أولا: ما يتعلق بمراعاة الأحوال النفسية عند المدعوين:

١- الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم، وخصهم بمزيد من الرعاية والإكرام، شكرا وتقديراً لما سلف منهم من البر والأعمال الصالحة، وإرضاء لنفوسهم التي قدمت وبذلت، فلم يجحد حقها من التقدير والتكريم، وقد قال صلى الله عليه وسلم :((لا يشكرُ اللهَ من لا يشكر الناسَ))[١].

وذلك كاعترافه بفضل أهل بدر السابقين للإسلام ولنصرة الدين، وقوله عن حاطب رضي الله عنه :((أليس من أهل بدر، فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم))[٢].

وكذلك موقف التقدير ورعاية حق الصحبة، لصديقه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بتقديره لوالده، حين جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم -وقد كف بصره ووهن عظمه- جاء به لينقذه من الكفر، وليدخل ببركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام، فيكون أعظم بر يقوم به الصديق إزاء والده، فأكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام أبي قحافة، وقال كلمته المأثورة، التي ضرب بها المثل في التواضع وحلو الشمائل ورعاية الصحبة: ((هلا تركت الشيخ في بيته، حتى أكون أنا آتيه فيه))،

---

[١] سنن أبي داود كتاب الأدب باب في شكر المعروف ٤/٢٥٥ ح ٤٨١١، وسنن الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ٤/٣٣٩ ح ١٩٥٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والأدب المفرد: الإمام البخاري باب من لم يشكر الناس رقم ٢١٨.

[٢] سبق تخريجه ص ١٠٩، والرواية في صحيح البخاري كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرا ٥/١٠.

ثم أجلسه بين يديه، ومسح صدره، وقال: أسلم. فأسلم[1]، فكان يوم يمن على آل أبي بكر، يوم أسلم والده، ويوم فخار للصديق حيث توج الرسول صلى الله عليه وسلم هامته بالتقدير والرعاية في شخص والده[2].

ومثله اعترافه بفضل الأنصار ودورهم العظيم في نصرة الدين، حين ضنوا به أن يفارقهم ويرجع إلى مكة، فقال: كلا، إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم والممات مماتكم))[3].

وكذلك موقفه منهم حين قسم غنائم حنين واختص بها المؤلفة قلوبهم ومسلمة الفتح، ولم يعط الأنصار منها شيئا، فآلم ذلك نفوسهم، ولم تتضح لهم الحكمة من ذلك، فأرضاهم النبي صلى الله عليه وسلم وأزال كدرهم، حين وضح لهم حقيقة الأمر أنه يتألفهم بها، ثم قال لهم: ((لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار))[4].

٢- العمل على إكساب المدعوين الهدوء النفسي قبل أمرهم بالإسلام، وتهيئة نفوسهم لقبول الدين عن طواعية وطمأنينة، فالإسلام دين أمن وأمان، والقرآن الكريم نزل مؤكداً على هذا في قوله تعالى﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[5]، في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم إذا جاءه أحد من المشركين، لا عهد بينه وبين المسلمين ولا ميثاق، ليسمع ما يدعو إليه من التوحيد والقرآن، ويتبين ما بُعث له، أن يؤمنه﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ، ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر، ثم يبلغه بعد ذلك داره التي يأمن

---

[1] سبق تخريجه ص ١٣٩.

[2] بتصرف، حكم وأحكام من السيرة النبوية ص ١٦٨. وانظر القيم الخلقية في غزوات لنبي صلى الله عليه وسلم ص ١٧٩.

[3] سبق تخريجه ١٢٥.

[4] صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان ١٠٤/٥.

[5] سورة التوبة آية ٦.

فيها، وإن لم يسلم، ثم يقاتله إن شاء من غير غدر ولا خيانة، وهذا الحكم ثابت في كل وقت، وعن الحسن رضي الله عنه قال: هي محكمة إلى يوم القيامة.[1]

وقد يطلق على ذلك (التفريغ النفسي)، وذلك بأن تفرغ نفوس المخاطبين مما يثقلها فيما يتعلق بالموقف، وذلك بموافقة المدعوين في أهم ما يثير نفوسهم، فالداعية إذا اعتمد على تخطئة المدعوين أو تسفيه تصرفاتهم، لما وجد طريقا واحدا إلى قلوبهم، وإنما الحكمة أن يكسب عواطفهم، ثم يقودهم إلى الفكرة والاتجاه الذي يريد[2]، وذلك بإكسابهم الهدوء والطمأنينة النفسية، لأن شعور المدعو بالأمن يكسبه الطمأنينة والأمان، ويدفعه إلى النظر بعين القبول للدعوة الإسلامية.

ومن ذلك إعلان النبي صلى الله عليه وسلم الأمان لأهل مكة، رغم ما حصل منهم طوال سنوات الدعوة، إلى تلك الساعة، كما دعا المسلمين جميعا إلى نشر هذا الأمان، فيكفي أن ينادي به أحد أفراد المسلمين ليؤمن خائفا من أعداء الله، فيكف المسلمون عن قتله وإيذائه[3]، فقال صلى الله عليه وسلم : ((من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن))[4]،

وقال في خطبته: ((ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم))[5]، ثم قبل جوار أم هانئ رضي الله عنها لاثنين من المشركين، وقال: ((قد أجرنا من أجرت، وآمنَّا من آمنت))[6].

ولم يرفض أمانا طلبه أحد من الخائفين، بل بذله دون استثناء، كأمانه لعكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن أبي السرح، وسهيل بن عمرو رضي الله عنهم، كما أعطى

---

[1] بتصرف، تفسير الكشاف ١٧٥/٢.

[2] بتصرف، د. حسن جاد: (البلاغة النبوية وأثرها في النفوس)، ص ١٥٨ بحث ضم بحوث مجلة البحوث الإسلامية رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد العدد الأول ١٤٠٠هـ.

[3] بتصرف، الآثار التشريعية في فتح مكة ٥٤٧/٢.

[4] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢٢/٤.

[5] سبق تخريجه ص ١٤٣.

[6] سبق تخريجه ص ١٣٩.

عمامته التي دخل بها مكة لعمير بن وهب رضي الله عنه علامة على أمانه لصفوان بن أمية حين هرب من مكة[1].

ولا شك أن محاولة إحداث التوازن النفسي لدى المدعو، بمحاولة جعل نفسيته هادئة مطمئنة، والابتعاد به عما يمكن أن يثير قلقه أو خوفه، هو من عوامل الجذب والاستمالة، التي تدعوه إلى تكييف أفكاره ومنهجه مع ما يعرض عليه[2]، والنظر والتأمل بعين الإنصاف لما يلقى عليه بعيدا عن الخوف والقلق، فتكون نفسه كالأرض المهيأة لما يلقى فيها من خير.

٣– تغيير المسار النفسي: وذلك بتحويل المزاج الحالي للمدعو، إذا كان هذا المزاج يسير في اتجاه لا يخدم الدعوة، وينحرف بها عن الخط الذي رسمه الداعية، خاصة إذا كان هذا المزاج سيثير مشاكل معينة بين عدد من المدعوين، وخاف الداعي أن يحدث ذلك أثرا سيئا في نفسياتهم، فعليه حينها أن يعمل على تغيير هذا المسار الذي عليه المدعو إلى مسار آخر، سواء أكان ذلك التغيير باستحداث موضوع فكري يحتاج إلى تفكير وتأمل، أم إشغاله بعمل يصرفه عن التفكير بالموضوع المراد صرفهم عنه[3]، ومن أمثلة ذلك:

– احتواء مشاعر الغضب والرفض، التي قد تثير صاحبها وتمنعه من قبول الإسلام، وامتصاصها وإزالتها، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع صفوان بن أمية رضي الله عنه، حين قدم(وناداه على رؤوس الناس، فقال: يا محمد ، إن هذا عمير بن وهب، جاءني بردائك، وزعم أنك دعوتني إلى القدوم، فإن رضيت أمرا قبلته، وإلا سيرتني شهرين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((انزل أبا وهب)). فقال: لا والله لا أنزل حتى تبين لي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((بل لك تسير أربعة أشهر))[4]. فقطع بذلك عنه الحمية التي وقف عليه بها، ولم يدع له عذرا يحتج به لرفض الإسلام.

---

[1] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٨/٤.

[2] بتصرف، علم نفس الدعوة: د. محمد زين هادي ص ٢٧٥.

[3] بتصرف من المرجع السابق ص ٢٨٠.

[4] سبق تخريجه ص ١٣٨.

– إبدال شعور الغضب عند عمر رضي الله عنه ، والرغبة في إيقاع العقوبة حمية لله ولرسوله، وتوجيهه إلى تقدير حاطب بقوله صلى الله عليه وسلم :((وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر..)) فما كان منه إلا الرضا والتسليم وتبدل موقفه إلى أن تدمع عيناه فرحا بهذه البشارة وقال: الله ورسوله أعلم.

– السماح لهم بالتنفيس عن مشاعر الغضب المكبوت في صدورهم، والتشفي مما آذاهم، كما سمح لخزاعة أن ينالوا من قريش وبني بكر إلى العصر من يوم الفتح.

وقد قال تعالى﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡ .....﴾[1]، ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى المؤمنين بقتال المشركين الذين نكثوا أيمانهم ونقضوا عهودهم، وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم، ليعذبهم الله ويقتلهم بأيدي المؤمنين، ويذلهم بالقهر والأسر، ويظفر المؤمنين عليهم﴿ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾ ، فيبرئ صدورهم بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم، وإذلالهم وقهرهم لهم، وذلك الداء الذي يبرئهم منه، هو ما كان في قلوبهم عليهم من الموجدة بما كانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه.

وقيل: عنى بذلك صدور بني خزاعة[2]، قال الإمام أبي القاسم السهيلي[3] رحمه الله :(قال أهل التأويل هم خزاعة، شفوا صدورهم من بني بكر يوم الفتح)[4].

---

[1] سورة التوبة الآيتان ١٤-١٥.

[2] بتصرف، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩٠/١٠، وروى الحافظ ابن أبي شيبة في مصنفه أن نزول هذه الآية كان يوم الفتح ٤٨٥/١٤ ح ١٨٧٤٨.

[3] هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي، حافظ عالم باللغة والسير، ولد في مالقة سنة ٥٠٨هـ ، وعمي وعمره ١٧ سنة، ونبغ فاتصل به صاحب مراكش فطلبه وأكرمه، فأقام يصنف بها كتبه إلى أن توفي بها رحمه الله سنة ٥٨١هـ، وهو صاحب الروض الأنف في السيرة. بتصرف، تذكرة الحفاظ ١٣٤٨/٤، و الأعلام ٣١٣/٣.

[4] التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والعلام في القرآن الكريم: الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ص ٦٩، تحقيق: عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط:١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

وتعظيما لحرمة مكة، وتهذيبا للرغبة في الانتقام يأمر النبي صلى الله عليه وسلم خزاعة بالكف عن سفك الدماء، ويقول: ((يا معشر خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتل، فلقد كثر القتل أن يقع))[1]

– استلال الحقد والضغينة من نفوس المدعوين، بالتسامح والتعاطف معهم، فخصومة المدعوين وصدودهم عن الحق ينشأ أحيانا عن المبالغة في الاعتداد بالكرامة الشخصية، مع ضيق التصور والخطأ في الفهم.

لهذا كان من أساليب الدعوة في القضاء على أسباب هذه الخصومة، اعتماد التسامح وسعة الصدر، والتغاضي عن الأمور المزعجة السيئة التي تنشأ في الطريق أثناء المسيرة، فالداعية لا يضحي بالهدف السامي لأن بعض المدعوين انحرف عن الجادة، بل يلزم الصفح عن زلاتهم العارضة، رجاء هدايتهم للحق، ولذلك نجد النبي صلى الله عليه وسلم يعفو عن فضالة وشيبة وغيرهم ممن حاول قتله أو الإساءة إليه في الفتح وبعده في غزوة حنين.

٤– السمو بالروح المعنوية لدى المدعوين ، ورفعهم من هوة الماضي، كي لا يقيدهم بأغلاله، بل يطلق نفوسهم من عقال الشرك والضلال، وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل مكة:

– فهو ينهى عن التعيير بالماضي السيء لمن حارب الإسلام وضاده، فيقول للمسلمين: ((لا تسبوا عكرمة..))[2]، لأنه قدم تائبا راغبا في الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وجمهور قريش لم يكن منهم أحد إلا وله أقارب كفار قتلوا أو ماتوا كفارا، فهل كان في إسلامهم فضيحة؟ وقد أسلم عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية رضي الله عنهما وكانا من خيار المسلمين، وأبواهما قتلا ببدر، وكذلك الحارث بن هشام قتل أخوه يوم بدر.

وفي الجملة الطعن بهذا طعن في عامة أهل الإيمان، وهل يحل لأحد أن يطعن على علي رضي الله عنه أن عمه أبا لهب كان شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، أو

---

[1] سبق تخريجه ص ١٤٦.

[2] سبق تخريجه ص ٢١١، و ص ٥٤٧.

يعيره بكفر أبي طالب، أو يعير بذلك العباس؟ وهل مثل ذلك إلا كلام من ليس من المسلمين؟[1]

– الدعاء لهم بالثبات على الدين كدعائه للنضير بن الحرث العبدري: ((اللهم زده ثباتا))[2]، ودعائه لشيبة في غزوة حنين.

– جبر كسرهم، وذلك بإعطائهم من غنائم حنين.

– التلطف بصغارهم والمسح على رؤوسهم تطييبا لخاطرهم، فقد روى الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، (جعل أهل مكة يأتون بصبيانهم فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم)[3].

٥– ملاحظة غرائز المدعوين ودوافعهم، فالجبلة البشرية تنطوي على مجموعة من الصفات، التي لا يمكن إزالتها بالكلية، وقد لاحظ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الجبلة في الناس فلم يحاول هدمها، وإنما ترقى بها[4]، و لم يقف عاجزا مكتوف اليدين أمامها، لكنه بدلها أو وجهها للخير.

فيعرف غريزة الفخر عند أبي سفيان رضي الله عنه، فيقول: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)[5].

ويلاحظ غريزة حب المال، فيشبعها بالعطاء الجزيل، ثم يعمل على توجيهها فيقول لحكيم بن حزام رضي الله عنه لما أكثر سؤاله، وأعطاه مرة بعد المرة:((يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى))[6].

ويرى من عبد الرحمن بن سَمُرة رضي الله عنه – وهو من مسلمة الفتح– رغبة في تولي الإمارة، لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فبين له تكاليفها، وبين له السر في

---

[1] بتصرف، منهاج السنة النبوية ٢/٢٨٠.

[2] الإصابة ٣/٥٥٨.

[3] سبق تخريجه ص ٣١٢.

[4] بتصرف، الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٤٢٨.

[5] سبق تخريجه ص ١١٧.

[6] سبق تخريجه ص ٣٠٦، واللفظ عند الإمام مسلم كتاب الزكاة باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة ٢/٧١٧.

التوفيق والنجاح فيها فقال:((يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسئلة، وُكلت إليها، وإن أعطيت من غير مسئلة أعنت عليها))[1].

كما يقدر النبي صلى الله عليه وسلم أن أصحابه بشر تعتريهم أحوال ضعف، وتطوف بعقولهم أهواء، وتحوم حول نفوسهم شهوات، فيأخذهم بالرفق[2]، ويتفهم دوافعهم، التي أوقعتهم في المزالق والأخطاء، كموقفه من حاطب رضي الله عنه، وتجاوزه عن خالد بن الوليد رضي الله عنه مع التبرؤ من خطأه ودفع الدية.

والنبي صلى الله عليه وسلم في هذا التعامل يلاحظ الغرائز كلها، فلا يهمشها أو يهملها بل يرعاها، فلا يوصم من تلبس بشيء منها بالعيب والنقص والتجريح، بل يهذبها ويوجهها للخير، لأن نفوس الناس مفطورة على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، وهذا باب واسع من الأبواب التي يلج منها الدعاة إلى قلوب المدعوين.

٦- رعاية المشاعر والأحاسيس الإنسانية والابتعاد عن كل ما يؤدي إلى جرحها أو إثارتها، خاصة عند أصحاب النفوس الموتورة، فالداعية قد يترك أمرا لا ضرر في تركه ولا إثم، محافظة على سلامة مشاعر المدعوين، واتقاءً للفتنة، وذلك حين يجد قوما استقر مجتمعهم وعاداتهم على أمور لا تخالف الإسلام، ولكن فعل غير هذه الأمور أفضل، فيترك فعل الأفضل إذا علم أن ذلك قد يؤدي إلى فتنة.

وخير شاهد على ذلك إبقاء الكعبة على بنائها الذي كانت عليه، مع رغبته صلى الله عليه وسلم في إكمال ما نقص من بنائها، وذلك اجتنابا لفتنة قوم كانوا حديثي عهد بجاهلية[3]، فقد روي في الصحيحين، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:((لولا حداثة قومك بالكفر، لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإن قريشا استقصرت بناءه، وجعلت له خَلْفاً[4]))[5]، وفي رواية((

---

[1] سبق تخريجه ص ٣٨٦.

[2] بتصرف، الدعوة إلى الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة: حسن مسعود طوير، ص ١٤٥، دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت - دمشق، ط:١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

[3] بتصرف، مقومات الداعية الناجح ص ٧٨-٧٩.

[4] يعني: (باباً آخر من خلف يقابل الباب المقدم). فتح الباري ٤٤٤/٣ ح ١٥٨٥.

[5] صحيح البخاري كتاب الحج باب فضل الكعبة وبنيانها ١٥٦/٢ واللفظ له، وصحيح مسلم كتاب الحج باب

ولولا أن قومك حديث عهدهم في الجاهلية، فأخاف أن تنكر قلوبهم، لنظرت أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألزق بابه بالأرض)). وبزيادة عند الإمام مسلم((ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض، شرقيا وغربيا، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟)) قالت: لا. قال: ((تعززا أن لا يدخلها إلا من أرادوا، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها، يدعونه يرتقي، حتى إذا كان أن يدخل دفعوه فسقط)).

فمراعاته صلى الله عليه وسلم هذا الجانب المهم في نفوس القوم، كان حقيقا أن يؤدي إلى مصلحة عظيمة، لا تقارن بالمفسدة المرتقبة حال قيامه بتعديل بناء الكعبة[1].

ويظهر كذلك حرصه على مشاعر أهل مكة، بالإبقاء على كنز الكعبة مكانه رغم حاجته إلى إنفاقه[2]، فقد روى الإمام مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال:((لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية- أو قال بكفر- لأنفقت كنز الكعبة[3] في سبيل الله، ولجعلت بابها بالأرض))[4].

نقض الكعبة وبناءها ٢/٩٧٢- ٩٧٣ ح ١٣٣٣، وموطأ الإمام مالك باب ما جاء في بناء الكعبة- تنوير الحوالك- ١/٣٣٢.

[1] وقد ذكر الحافظ ابن حجر عددا من الفوائد في شرحه للحديث منها: ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر عنه فهم بعض الناس-وهذا من تراجم الإمام البخاري في كتاب العلم- ، وفيه اجتناب ولي الأمر ما يسرع الناس إلى إنكاره وما يخشى منه تولد الضرر عليهم في دين أو دنيا، وتألف قلوبهم بما لا يترك فيه أمر واجب، وفيه تقديم الأهم فالأهم من دفع مفسدة وجلب مصلحة، وأنهما إذا تعارضا بدئ بدفع المفسدة، وأن المفسدة إذا أمن وقوعها عاد استحباب عمل المصلحة، وغير ذلك. بتصرف، فتح الباري ٣/٤٤٨ ح ١٥٨٣.

[2] ويدل على ذلك الحديث الذي رواه أبو داود في سننه :أن شيبة قال لعمر رضي الله عنهما: (لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى مكانه وأبو بكر، وهما أحوج منك إلى المال ، فلم يحركاه) كتاب المناسك باب في مال الكعبة ٢/٢١٥ ح ٢٠٣١ ، قال ابن بطال: أراد عمر لكثرته إنفاقه في منافع المسلمين، ثم لما ذكر بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعرض له أمسك، وإنما تركا ذلك - والله أعلم- لأن ما جعل في الكعبة وسُبِّل لها يجري مجرى الأوقاف، فلا يجوز تغييره عن وجهه، وفي ذلك تعظيم الإسلام وترهيب العدو. وعقب على قول ابن بطال العلامة محمد العظيم آبادي: بأن هذا التعليل ليس بظاهر من الحديث، بل يحتمل أن يكون تركه صلى الله عليه وسلم لذلك رعاية لقلوب قريش، كما ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، ويؤيده ما وقع عند مسلم . انظر الحديث التالي. بتصرف، عون المعبود ٦/١٠.

[3] أراد الكنز الذي بها وليس حليتها، وكنزها هو ما كان يهدى إليها، فيدخر ما يزيد عن الحاجة. انظر فتح الباري ٣/٤٥٦ ح ١٥٩٤.

[4] سبق تخريجه ص ٢٨٥، واللفظ عند الإمام مسلم.

وهذا ما نصح به شيبة العبدري عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقد روى شيبة محدثا أحد الصحابة قال: جلس إلي عمر مجلسك هذا، فقال: هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء[1] إلا قسمتها بين المسلمين. قلت: ما أنت بفاعل. قال: لم؟ قلت: لم يفعله صاحباك. قال: هما المرآن يقتدى بهما)[2].

ثانيا: مراعاة أحوال المدعوين الاجتماعية:

لم يأت الإسلام ليفرق بين الجماعات، وإنما جاء ليجمع شتاتها، ويوحد بينها على طريق الخير والإيمان، وهذا النبي صلى الله عليه وسلم يعمل على تأليف القلوب ويدعو إلى المساواة، ويحبب الناس في الإيمان[3]، فيتلو في أول خطبة له بمكة قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[4].

وتتضح مراعاته للأحوال الاجتماعية للمدعوين بالأمور الآتية:

١) مراعاة الأعراف والعادات الاجتماعية الصحيحة:

وهي: ما تعارف الناس عليها وليس فيها مخالفة لنص أو تفويت لمصلحة أو جلب مفسدة[5]، وعدم اعتبار هذه الأعراف والعادات ورعايتها، فيه تكليف لما لا يطاق، لأن في نزع الناس من عاداتهم حرجا ومشقة عليهم[6]، وهذان الأمران مما يتعارض مع الشريعة الإسلامية المعروفة باليسر والسماحة.

وقد راعى النبي صلى الله عليه وسلم الأعراف الاجتماعية عند أهل مكة ولم يبطلها، ومن أمثلة ذلك:

- إبقاء بعض المناصب الاجتماعية التشريفية المتعلقة بالبيت وهي السدانة والسقاية، وإلغاء ما سوى ذلك وإبطاله.

---

[1] أي الذهب والفضة، فتح الباري ٤٥٦/٣ ح ١٥٩٤.

[2] صحيح البخاري كتاب الاعتصام باب الإقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٣٩/٨.

[3] بتصرف، الدعوة إلى الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة ص ١٤٣.

[4] سورة الحجرات آية ١٣.

[5] بتصرف، مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه ص ١٤٦ .

[6] بتصرف، أصول مذهب الإمام أحمد، دراسة أصولية مقارنة ص ٥٤٤.

– مسايرتهم في ما اعتادوه من استخدام نبات الإذخر لموتاهم وبيوتهم، واستثنائه مما حرم من نبات مكة.

– إقرار ما تعارف عليه الناس في أمور معاشهم، ولم يتعارض مع الإسلام، كالنفقة على الزوجة، فيوجب على الزوج(نفقة زوجته، وسكناها، وكسوتها بالمعروف، بقدر يساره وإعساره)[1]. إلى غير ذلك من العادات الاجتماعية.

ففي هذه المراعاة منه صلى الله عليه وسلم محافظة على مشاعر أهل مكة، وعدم مصادمتهم والمسلمون في ذروة نصرهم، وحيث لا يملك أحدهم أن يحول بينهم وبين ما يريدون، لكنهم مع هذا كله يستطيعون المحافظة على أعرافهم وتقاليدهم، التي كانت قبل الحكم الإسلامي، ما لم يتعارض ذلك مع الإسلام[2]، وكي لا يشعر هؤلاء المدعوون بأن الإسلام يطالبهم بالتنازل عن أعرافهم التي صارت جزءا من سلوكهم الإرادي والغير إرادي[3]، وذلك يوطئ نفوسهم لقبول الإسلام[4].

٢) إنزال الناس منازلهم:

والمقصود بذلك معاملة كل أحد بما يلائم منصبه في الدين والعلم والشرف، ومراعاة مقادير الناس ومراتبهم، وتفضيل بعضهم على بعض في المجالس وفي القيام، وغير ذلك من الحقوق[5]. فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:(أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم)[6]، قال الإمام البغوي رحمه الله :و(إكرام كريم القوم،

---

[1] الإرشاد إلى معرفة الأحكام ص ١٩٢.

[2] بتصرف، المنهج الحركي للسيرة النبوية ١٣٦/٣.

[3] بتصرف، الدعوة إلى الله على ضوء الكتاب والسنة ص ١٤٣.

[4] ذكر الشيخ محمد العثيمين أن التمسك بالعادات والتشدد في ذلك يوقع الإنسان في الغلو، وذلك بعد تعريفه للغلو بأنه: مجاوزة الحد في التعبد والعمل والثناء ، وقسمه إلى أربعة أقسام، (القسم الرابع : الغلو في العادات، وهو التشدد في التمسك بالعادات القديمة، وعدم التحول إلى ما هو خير منها، أما إذا كانت العادات متساوية في المصالح، فإن كون الإنسان يبقى على ما هو عليه خير من تلقي العادات الوافدة). شرح كشف الشبهات ص ٢٥.

[5] بتصرف، عون المعبود ١٩١/١٣ ح ٤٨٢١.

[6] مقدمة صحيح مسلم ٦/١، وسنن أبي داود كتاب الأدب باب في تنزيل الناس منازلهم ٢٦١/٤ ح ٤٨٤٢، وشرح السنة ١٢٨/١٣ وذكر قصة قولها رضي الله عنها، أنه مرَّ بها سائل فأعطته كسرة، ومرَّ بها رجل عليه ثياب وهيئة، فأقعدته فأكل، فقيل لها في ذلك، فقالت: قال صلى الله عليه وسلم :((أنزلوا الناس منازلهم))، وقال

وإنزال الناس منازلهم من السنة، وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم)[1].

والداعية الحكيم هو الذي يدرس أحوال الناس ومعتقداتهم، وينزل الناس منازلهم أثناء دعوته، فيدعوهم على قدر عقولهم وأفهامهم وطبائعهم وأخلاقهم ومستواهم العلمي والاجتماعي، وذلك بالوسائل التي يؤتون من جهتها[2]، ولهذا قال علي رضي الله عنه :((حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله))[3].

ومن أمثلة مراعاة ذلك ما يلي:

أ– رعاية منزلة القرابة، فدعوة المقربين نسبا وصهرا وجيرة مقدمة على دعوة الأباعد، نظرا لكونهم معروفين عند الداعية، وربما عتبوا عليه إذا أهملهم، وذهب إلى الأبعدين وأولاهم رعايته.

وفي ذلك تأس بالرسول صلى الله عليه وسلم وإقتداء بمنهجه في الدعوة، عندما أمره الله تعالى بأن يبدأ بدعوة أقربائه وعشيرته، بقوله تعالى﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[4].[5]

وبعد الفتح تراه يخص ابنة عمه أم هانئ رضي الله عنها بالصلاة في بيتها،(فإنها ذكرت أنه يوم فتح مكة اغتسل في بيتها ثم صلى ثمان ركعات)[6].

وكذلك موقفه من عتبة[7] ومعتب[1] رضي الله عنهما ابني أبي لهب بن عبد المطلب لما قدم مكة، فقد روي أنه قال لعمه العباس رضي الله عنه: ((يا عباس، أين ابنا أخيك

المحقق: صححه الحاكم وغيره. وقد ذكر الإمام النووي من فوائد الحديث:(تفاضل الناس في الحقوق على حسب منازلهم ومراتبهم، وهذا في بعض الأحكام، أو أكثرها، وقد سوى الشرع بينهم في الحدود وأشباهها مما هو معروف). صحيح مسلم بشرح النووي ١/٥٥.

[1] شرح السنة ١٣/١٢٨.

[2] بتصرف، الحكمة في الدعوة إلى الله ص ٣٣٥.

[3]صحيح البخاري كتاب العلم باب من خص قوما بالعلم دون قوم كراهية ألا يفهموا ١/٤١.

[4] سورة الشعراء آية ٢١٤.

[5] بتصرف، منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير ص ٦٢.

[6] سبق تخريجه ص ٢٥٩.

[7] هو عتبة بن أبي لهب ين عبد المطلب، شهد هو وأخوه حنينا، وكان فيمن ثبت، أقام بمكة ومات بها رضي الله عنه. بتصرف، الإصابة ٢/٤٥٥.

عتبة ومعتب لأراهما)) فقال العباس: تنحيا مع من تنحى من مشركي قريش. قال: ((اذهب فأتني بهما)). قال العباس: فركبت إلى عرفة فأتيتهما، فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوكما. فركبا معي سريعين، فدعاهما إلى الإسلام، فأسلما وبايعا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم :((إني استوهبت ابني عمي هذين من ربي فوهبهما لي))، ومن وجه آخر، أنه صلى الله عليه وسلم دخل يوم الفتح بين عتبة ومعتب يقول للناس: ((هذان أخواي وابنا عمي- فرحا بإسلامهما- استوهبتهما من الله فوهبهما لي))[٢].

ب- رعاية العناصر الاجتماعية المؤثرة في البيئة الاجتماعية واستقطابها، لما لها من تأثير صالح في الدعوة إذا انضم لها مثلهم، وذلك مثل الشعراء، فمكانة الشاعر مهمة في المجتمع العربي، لأنهم المنبر الإعلامي الذي يُؤثر وينقل الوقائع والمكارم بين الناس بل بين الأجيال.

ومن الشعراء الذين أسلموا بعد أن نالهم من النبي عفوه الخاص، وقد كانوا قبل ذلك حربا شعواء عليه صلى الله عليه وسلم بشعرهم وهجائهم:

١- ابن عمه أبو سفيان بن الحارث.

٢- عبد الله بن الزِّبَعْرَى[٣]، وكان من أشعر قريش، وكان شديدا على المسلمين، فلما فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة هرب إلى نجران، فرماه حسان بن ثابت ببيت واحد ما زاد عليه، فقال:

لا تَعدمنَّ رجلاً أحلَّكَ بُغضُه نجرانَ في عيشٍ أخذَّ[٤] لئيمِ

فبلغه، فخرج إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ومدحه فأمر له صلى الله عليه وسلم بحلة[٥].

---

[١] معتب بن أبي لهب بن عبد المطلب، كان ممن ثبت يوم حنين مع أخيه عتبة. بتصرف، الإصابة ٤٤٣/٣.

[٢] انظر الطبقات الكبرى ٦٠/٤-٦١، والإصابة ٤٤٣/٣ وجمع بين الروايتين بأنه دخل المسجد بينهما بعد أن أحضرهما العباس. وانظر الخصايص الكبرى ٣٦٥/١، والسيرة الحلبية ٤٨/٣.

[٣] هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدي القرشي السهمي، كان شديدا على المسلمين، ثم أسلم بعد الفتح. بتصرف، الإصابة ٣٠٨/٢.

[٤] أي منقطع ، حاشية سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٣٩/٤.

[٥] انظر قصته في الإصابة ٣٠٨/٢.

٣- كعب بن زهير، وكان في الطائف، فكتب إليه أخوه بجير[١] يخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه، وقال له: فإن كان لك في نفسك حاجة فطر إليه، فإنه لا يقتل أحدا جاء تائبا، فجاء إلى المدينة وأسلم[٢].

والاهتمام كذلك بالقادة العسكريين، وإبقاؤهم في مراكز القيادة لاستحقاقهم لها، كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما فقد جعلهما النبي صلى الله عليه وسلم قادة للسرايا المحطمة للأوثان.

ج- معاملتهم بما يليق بمستواهم الاجتماعي، وأحيانا قد يضطر الداعية إلى تفضيل بعضهم على بعض في أمور الدنيا، لئلا يشعر صاحب المكانة بالانتقاص أو الهوان إذا سُوي بغيره من الضعفاء.

وهذا مخرمة بن نوفل من الطلقاء، وهو كبير بني زهرة، كساه النبي صلى الله عليه وسلم حلة فاخرة، باعها بأربعين أوقية، وكان من المؤلفة قلوبهم[٣] - وهو من مسلمة الفتح، ممن أعطاهم دون المائة من الإبل من غنائم حنين- يروي ابنه المِسْوَر بن مخرمة[٤] رضي الله عنه إكرام الرسول صلى الله عليه وسلم لأبيه، فيقول:(قدمَت على النبي صلى الله عليه وسلم أقبية[٥]، فقال لي أبي مخرمة: انطلق بنا إليه عسى أن يعطينا منها شيئا، قال: فقام أبي على الباب فتكلم، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم صوته، فخرج ومعه قِباء وهو يريه محاسنه. وهو يقول: ((خبأت لك هذا ، خبأت لك هذا)) [٦]، وفي صحيح

---

[١] هو بجير بن زهير بن أبي سُلمى المزني، شاعر مشهور كأخيه كعب، أسلم قبل أخيه. الإصابة ١٣٨/١.

[٢] وله قصيدة معروفة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٥٠/٤- ١٦٩.

[٣] انظر سير أعلام النبلاء ٥٤٣/٢.

[٤] هو المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي الزهري، أمه عاتكة بنت عوف، أخت عبد الرحمن بن عوف، ولد بعد الهجرة بسنتين، وقدم المدينة بعد الفتح، كان ممن لزم عمر رضي الله عنه وحفظ عنه، كان مع ابن الزبير رضي الله عنهما، فلما كان الحصار الأول أصابه حجر من أحجار المنجنيق فمات رضي الله عنه، وذلك سنة ٦٤هـ. بتصرف، الإصابة ٤١٩/٣، وسير أعلام النبلاء ٣٩٠/٣.

[٥] مفردها قباء وهو ثوب ضيق الكمين والوسط، مشقوق من خلف، يلبس في السفر والحرب لأنه أعون على الحركة. بتصرف، فتح الباري ٢٦٩/١٠ ح ٥٨٠٠.

[٦] صحيح مسلم كتاب الزكاة باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ٧٣٢/٢ ح ١٣٠.

البخاري: (فذهبنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم في منزله، فقال لي: يا بني ادع لي النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعظمت ذلك، فقلت: أدعو لك رسول الله؟ فقال: يا بني إنه ليس بجبار! فدعوته فخرج وعليه قباء من ديباج[1] مزرر بالذهب. فقال: ((يا مخرمة هذا خبأته لك)) فأعطاه إياه)[2]. وزاد في رواية (وكان في خلقه شدة)[3].

٣) تعليم آداب الإسلام الاجتماعية:

خاصة فيما يتميز به الإسلام كالسلام- تحية المسلمين- إضافة إلى مراعاة أدب الاستئذان بإعلام المستأذن عن طريق السلام، والرفق بهم في التعليم، فعن كَلَدة بن حنبل رضي الله عنه قال: (أن صفوان بن أمية بعثه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبن وجداية وضغابيس، والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة. يقول: فدخلت ولم أسلم فقال:((ارجع فقل السلام عليكم أأدخل))[4].

٤) مراعاة كبراء القوم وأصحاب المكانة الاجتماعية العالية:

بأن يخصهم الداعية بمزيد اهتمام وتقدير، خاصة لمن كان واقعه الاجتماعي ومكانته عاملا في صده عن قبول دعوة الحق، فإن توجيه الرعاية المناسبة له والاحترام اللائق بمكانته، جدير بأن يقنعه باستمرار مكانته التي يخاف أن يسلبه إياها دخوله في الإسلام.

ولذلك طلب أبو سفيان رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤكد هذه المكانة، حين شعر باهتزازها أول إسلامه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا نبي الله، ثلاث أعطنيهن. قال: ((نعم)). قال: عندي أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة

---

[1] الديباج: نوع من الحرير. فتح الباري ٥٧٦/٦ ح ٣٥٦١، قال الحافظ ابن حجر عن قوله وعليه قباء من ديباج: يحتمل وقوع ذلك قبل تحريم الحرير، ويحتمل أن يكون بعد التحريم وأعطاه إياه لينتفع به، بأن يكسوه النساء أو ليبيعه، أو أن المقصود أنه نشره على أكتافه أو على يديه ليراه مخرمة كله ولم يقصد لبسه صلى الله عليه وسلم. بتصرف، فتح الباري ١٠/ ٣١٥ ح ٥٨٦٢، و ١٠/ ٢٧٠ ح ٥٨٠٠.

[2] كتاب اللباس باب المزرر بالذهب ٥٠/٧.

[3] صحيح البخاري كتاب الخمس باب قسمة الإمام ما يقدم عليه، ويخبأ لمن لم يحضره أو غاب عنه ١٥/٤.

[4] سبق تخريجه ص ٣٧٠.

بنت أبي سفيان، أزوجكها. قال: ((نعم)). قال: معاوية تجعله كاتبا بين يديك. قال: ((نعم)). قال: وتؤمِّرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال : ((نعم))[1].

وقد كان الكبراء- أو الملأ- هم من تولى كبر معارضة الإسلام ومحاربته، بما امتلأت به نفوسهم من الكبر وحب الرياسة والجاه، وخوفا على نفوذهم ومصالحهم، فكان من المهم رعايتهم، وقد كان المشركون ثلاثة أصناف: صنف يرجع بإقامة البرهان، وصنف بالقهر وصنف بالإحسان، وقد استعمل النبي الحكيم صلى الله عليه وسلم مع كل صنف ما كان سببا لتخليصه من الكفر ودخوله في الإسلام[2].

ومن مراعاته لهم وإحسانه إليهم ما يلي:

أ- بذل ما يمكنه لتأليف قلوبهم، ودفع عوارض الصدود عنها، ومن ذلك:

- تأليفهم بإظهار البشر والبشاشة معهم، حتى بعد أن ملك رقابهم ومنَّ عليهم بالعفو والأمان، وقد كان ذلك سببا في إسلام بعضهم، كالحارث بن هشام رضي الله عنه، الذي رُوي أنه كان أحد الرجلين الذين أمنتهما أم هانئ رضي الله عنها، فجعل يستحي أن يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويذكر رؤيته إياه في كل موطن مع المشركين، ثم يذكر بره ورحمته، فلقيه وهو داخل المسجد، فتلقاه صلى الله عليه وسلم

---

[1] صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه ١٩٤٥/٤ ح ٢٥٠١. وقال الإمام النووي: إن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال، ووجه الإشكال أن أبا سفيان أسلم يوم فتح مكة، وقد تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم أم حبيبة رضي الله عنها قبل ذلك بزمن، قيل أنها تزوجها وهي بأرض الحبشة سنة ست وقيل سنة سبع، وقال ابن حزم : أن هذا الحديث وهم من بعض الرواة، وروي عنه أنه قال أن الحديث موضوع، وأنكر عليه ذلك، ولكن يحتمل أنه سأله تجديد العقد تطييبا لقلبه، لأنه ربما كان يرى على ذلك غضاضة من رياسته ونسبه، أنه تزوج بنته بغير رضاه، أو أنه ظن أن إسلام الأب يقتضي تجديد العقد، وليس في الحديث ما يدل على تجديده، فلعله صلى الله عليه وسلم أراد بقوله: نعم، أن مقصودك يحصل وإن لم يكن بحقيقة. بتصرف، صحيح النووي بشرح مسلم ٦٣/١٦- ٦٤. وقال الحافظ ابن كثير: أنه أراد أن يزوجه ابنته الأخرى لما رأى في ذلك من الشرف، واستعان بأختها حبيبة كما في الصحيحين، وإنما وهم الراوي في تسميته أم حبيبة. بتصرف، البداية والنهاية ٤/ ١٤٥.

[2] بتصرف، الزكاة وأحكامها: وهبي سليمان غاوجي ص ٩٨، مؤسسة الرسالة بيروت، ط:١، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

بالبشر، ووقف حتى جاءه الحارث، فسلم عليه، وشهد شهادة الحق، فقال: الحمد لله الذي هداك، ما كان مثلك يجهل الإسلام[1].

– كما روى بديل بن الورقاء رضي الله عنه: قال(لما كان يوم الفتح قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم – ورأى بعارضيّ سوادا: ((كم سنوك؟)) قلت: سبع وتسعون. قال :((زادك الله جمالا وسوادا))[2].

– تأليفهم بالعفو مكان الانتقام، فلم يثر في نفسه صلى الله عليه وسلم باعث الترة والتشفي والانتقام، وإلا لكان أولى الناس بذلك هم زعماء قريش، لكن يوم الفتح كان يوم بر ورحمة وسلام، وإن تأليف المدعوين– خاصة الكبراء منهم– بالعفو مكان الانتقام، وبالإحسان مكان الإساءة، وباللين في موضع المؤاخذة، وبالصبر على الأذى ومقابلة الجهل والحمق بالرفق والحلم، إن هذه الأمور من أعظم ما يجذب المدعوين إلى الإسلام، ويحثهم على الثبات على دين الحق[3]، وهذا الخلق منه صلى الله عليه وسلم أجرى على لسان طلحة رضي الله عنه قوله: بلى أشهد أنك رسول الله[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في الفرق بين معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لقريش وغيرها من القبائل، كهوازن وثقيف: (والنبي صلى الله عليه وسلم منَّ على أهل مكة، فإن الأسير يجوز المنّ عليه للمصلحة، وأعطاهم مع ذلك أموالهم وذراريهم، كما من على هوازن، لما جاؤا مسلمين بإحدى الطائفتين: السبي أو المال... وقريش لم تحاربه كما حاربته هوازن، وهو إنما من على من لم يقاتله منهم، كما قال:((من أغلق بابه فهو آمن))، فلما كفَّ جمهورهم عن قتاله وعرف أنهم مسلمون أطلقهم، ولم يغنم أموالهم ولا حريمهم، ولم يضرب عليهم الرق، لا عليهم ولا على أولادهم، بل سماهم الطلقاء من قريش، بخلاف ثقيف فإنهم سموا العتقاء، فإنه أعتق أولادهم بعد الاسترقاق والقسمة... ولو فتح الإمام بلدا وغلب على ظنه أن أهله يسلمون ويجاهدون،

---

[1] انظر الحديث في المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ٢٧٨/٣، وسكت عنه، وسكت عنه الذهبي، وانظر السيرة الحلبية ٥٥/٣.

[2] الإصابة ١٤١/١.

[3] بتصرف، مقومات الداعية الناجح ص ٨١.

[4] سبق تخريجه ص ١٣٥.

جاز أن يمن عليهم بأنفسهم وأموالهم وأولادهم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مكة، فإنهم أسلموا كلهم بلا خلاف، والمقصود بالجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم ليتألفهم على الإسلام، فكيف لا يتألفهم بإبقاء ديارهم وأموالهم)[1].

– تأليف قلوبهم بالأموال: وذلك لدقة نظر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعمق معرفته بدخائل النفوس البشرية، وما يقوم اعوجاجها، فكان يعطي العطايا السخية أناسا يعادونه ولكفار لم يدخلوا في دين الله بعد، وآخرين يتألف بهم قومهم لعلهم يهتدون ويسلمون، فكانت تلك الأعطيات بردا وسلاما على قلوب أولئك النفر، وشفاء لما في صدورهم من مرض الضلال[2]، وإشباعا لرغبتهم في شهوات الدنيا ومتاعها، حتى إن الرجل لما يعطيه النبي صلى الله عليه وسلم العطاء الوفير، ينطلق إلى قومه فيدعوهم إلى دين الإسلام، فعن أنس رضي الله عنه قال:(أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين. فأعطاه إياه. فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا، فوالله إن محمدا يعطي عطاءً ما يخاف الفقر. فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها)[3].

وعند الإمام مسلم رحمه الله:(أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس،كل إنسان منهم مائة من الإبل)[4].

وروي أن أبا سفيان رضي الله عنه جاء النبي صلى الله عليه وسلم والأموال مجموعة عنده، (فقال: أنت اليوم أغنى قريش. فتبسم صلى الله عليه وسلم . فقال أبو سفيان:

---

[1] باختصار، الفتاوى: ابن تيمية ١٧/٤٩١-٤٩٣.

[2] بتصرف، مرويات غزوة حنين وحصار الطائف ١/٤٠١.

[3] صحيح مسلم كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال: لا وكثرة عطائه ٤/١٨٠٦ ح ٢٣١٢.

[4] كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام .. الخ ٤/٧٣٧ ح ١٠٦٠. وقال ابن اسحق: أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم وكانوا أشرافا من أشراف الناس، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير.. انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام ٤/١٣٩. وقد عد المؤرخون سبعا وخمسين نفسا من المؤلفة. انظر مرويات غزوة حنين د. إبراهيم القريبي ١/٤١١.

حظنا من هذه الأموال. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا، فأعطاه مائة من الإبل وأربعين أوقية من الفضة. فقال: حظ ابني يزيد[1]. فأعطاه أيضا مائة من الإبل وأربعين أوقية. فقال أبو سفيان: فأين حظ ابني معاوية. فأمر له بمائة من الإبل وأربعين أوقية. حتى أخذ أبو سفيان يومئذ ثلاثمائة من الإبل ومائة وعشرين أوقية من الفضة. فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لأنت كريم في الحرب والسلم، هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا)[2].

وقد خفيت حكمة هذه العطايا على بعض المسلمين، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن أناسا من الأنصار قالوا يوم حنين، حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا من قريش المائة من الإبل، فقالوا : يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم). فبين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم الحكمة التي أرادها من وراء ذلك فقال:((إن قريشا حديث عهد بجاهلية ومصيبة، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم))[3].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فمن حكمته تعالى أن غنائم الكفار قسمت على من لم يتمكن الإيمان من قلبه، لما بقي فيه من الطبع البشري في محبة المال، فقسمه فيهم لتطمئن قلوبهم، وتجتمع على محبته، لأنها جبلت على حب من أحسن إليها، وفي ذلك استجلاب لقلوب أتباعهم الذين كانوا يرضون إذا رضي رئيسهم، فكان ذلك العطاء سببا لدخولهم في الإسلام وتقوية لقلوب من دخل فيه[4].

وممن تألفه النبي صلى الله عليه وسلم بالعطاء بعد العفو أبا محذورة رضي الله عنه، فقد روي أنه بعد تعليمه الأذان، أعطاه صرة فيها شيء من فضة، ثم مسح على ناصيته

---

[1] هو يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي القرشي، أخو معاوية من أبيه، كان من أفضل أولاد أبي سفيان وكان يقال له: يزيد الخير، كان من العقلاء الشجعان، من فضلاء الصحابة من مسلمة الفتح، عقد له أبو بكر لغزو الروم، ولما فتحت دمشق أمَّره عمر عليها، توفي رضي الله عنه في طاعون عمواس سنة ١٨. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٣٢٨/١، والإصابة ٦٥٦/٣،

[2] مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣١٨.

[3] صحيح مسلم كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه ٧٣٤/٢ ح ١٠٥٩.

[4] بتصرف، فتح الباري ٤٩/٨ ح ٤٣٣٠، اختصارا من زاد المعاد ٤٨٥/٣ .

وصدره، ودعا له. فقال رضي الله عنه: (وذهب كل شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهية، وعاد ذلك محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم)[1].

إن هذا العطاء الجليل من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكبار القوم وغيرهم[2]، ليدل على علو نفسه، وعظم سخائه، ومعرفته الكاملة بالدواء الذي يحسم الداء من أصله، وإن من الحكمة والسياسة العادلة في هذا العطاء لأقوام دون آخرين، إنقاذ أناس من النار بحطام زائل من الدنيا، ووكل آخرين إلى ما جعله الله في قلوبهم من الغنى والخير والإيمان واليقين[3]، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :((إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار))[4].

كذلك فإن في إغداق العطاء لهم، يدل على حكمته صلى الله عليه وسلم، ومعرفته بطبائع قومه، فهؤلاء الذين حاربوه سنينا طويلة حتى فتحت مكة، بل وأظهر بعضهم الشماتة بهزيمة المسلمين في أول معركة حنين، لا بد من تأليف قلوبهم وإشعارهم بفضل دخولهم في الإسلام، من الناحية المادية، التي يحاربون من أجلها، وقد كان من الممكن بعد خضد الإسلام لشوكتهم، أن يظلوا منكسرين حاقدين في قرارة أنفسهم على هذا النصر، لكن الإسلام دين هداية وإصلاح، لا يكتفي بفرض سلطانه بالقهر والغلبة، بل لا بد من

---

[1] مسند الإمام الشافعي ص ٣١، وسبق تخريج الحديث ص ٣٦٧.

[2] وكون المرء ممن يؤلف على الإسلام، أمر غير قادح فيه، يبين ذلك جواب ابن تيمية على الشبهة التي يثيرها الشيعة ضد معاوية رضي الله عنه :(وأما قوله كان معاوية من المؤلفة قلوبهم، : فنعم، وكثير من الطلقاء، بل كلهم من المؤلفة قلوبهم، كالحارث بن هشام وابن أخيه عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وحكيم بن حزام، وهؤلاء من خيار المسلمين، والمؤلفة قلوبهم غالبهم حسن إسلامهم، وكان الرجل منهم يسلم أول النهار رغبة منه في الدنيا، فلا يجيء آخر النهار إلا والإسلام أحب إليه مما طلعت عليه الشمس) منهاج السنة النبوية ٢٦١/٢. قال ابن حزم في جوامع السيرة: وكان المؤلفة قلوبهم –مع حسن إسلامهم– متفاضلين في الإسلام، فمنهم الفاضل المجتهد، وفيهم خيار دونهم، وسائرهم لا نظن بهم إلا الخير. ص ٢٤٨.

[3] بتصرف، مرويات غزوة حنين والطائف ص ٣٩٣.

[4] صحيح البخاري كتاب الإيمان باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل ١٢/١، وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب إعطاء من يخاف على إيمانه ٧٣٢/٢ ح ١٥٠.

تفتح القلوب له، وما دام أن العطاء يفيد في استصلاح قلوب بعض الناس، وغسل عداوتهم، فالحكمة أن يعطوا حتى يرضوا، كما فعل صلى الله عليه وسلم [1].

ب- إظهار احترامهم وتقديرهم، وبشكل خاص أمام غيرهم، فإن ذلك مما يحفظ لهم ماء وجوههم، ويخفف من وطأة انتصار النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، ويهون من أثر الهزيمة، واضطرارهم إلى الخضوع و اتباع من كان بالأمس القريب من ألد أعدائهم، ومن طرق إظهار هذا التقدير:

١] تكليفهم بالأعمال المهمة، كالقيادة العسكرية لبعض السرايا المكلفة بتحطيم الأصنام، وقد كلف بذلك من قريش عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، وهما وإن لم يكونا من مسلمة الفتح، فإنهما كانا من رؤوس المناوئين والمحاربين للإسلام، وقد تأخر إسلامهما إلى ما بعد صلح الحديبية.

ومن ذلك إرساله صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان مع المغيرة بن شعبة رضي الله عنهما، لتحطيم وهدم اللات[2].

ومن ذلك تكليف أحد كبرائهم بإمارة مكة، وهو عتاب بن أسيد رضي الله عنه، وأمره أن يصلي بالناس، ثم تعيينه أميرا على الناس في حج تلك السنة[3]، أي بعد إسلامه بثلاثة أشهر تقريبا.

٢] الإبقاء على الدور الإيجابي والفعالية والتأثير في المجتمع الذي يعيش فيه المدعو، فإن هذا النوع من التقدير والمراعاة الاجتماعية، يكسب المدعو صاحب المكانة، شعورا بالأهمية، وأمنا وطمأنينة على دوره بين قومه، ومثال ذلك ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع صفوان بن أمية رضي الله عنه، حين أجمع السير إلى هوازن فذكر له أن عند صفوان أدراعا وأسلحة، فأرسل إليه- رغم شركه وقتها- فقال: ((يا أبا أمية، أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غدا)) فقال صفوان: أغصبا يا محمد؟ فقال له:((بل عارية

---

[1] بتصرف، السيرة النبوية دروس وعبر ص ١٥٥.

[2] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٩٩/٤.

[3] انظر المرجع السابق ١٤٨/٤، وانظر جوامع السيرة ص ٢٤٩ وقال عنه: وهو شاب ابن نيف وعشرين سنة، وكان في غاية الورع والزهد. وانظر السيرة الحلبية ٥٩/٣.

مضمونة، حتى نؤديها إليك))[1] فقال: ليس بهذا بأس. فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح. فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم حملها، ففعل[2].

ومن ذلك تكليفه صلى الله عليه وسلم بديل بن الورقاء بحراسة غنائم حنين ، حين (أمره أن يحبس السبايا والأموال بالجعرانة حتى يقدم عليه، ففعل)[3].

وكذلك استعماله عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه على صدقات هوازن عام وفاته[4]، كذلك استعماله يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما على صدقات بني فراس[5].

ولقي مسلمة الفتح ذات المراعاة بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهذا يزيد بن سعيد [6]رضي الله عنه – من مسلمة الفتح– يوليه عمر رضي الله عنه القضاء، فقد روي: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتخذ قاضيا، ولا أبو بكر ولا عمر، حتى كان في وسط خلافة عمر، قال ليزيد: اكفني بعض الأمر، يعني صغارها. وقيل: استعمله عمر على السوق[7].

وهذا يزيد بن أبي سفيان يؤمره أبو بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٢هـ أحد أمراء الأجناد، وأمره عمر رضي الله عنه على فلسطين ثم على دمشق[8].

٣] استشارتهم وتقدير رأيهم فيما يصلح من الأمور، ومن ذلك: استشارته صلى الله عليه وسلم لنوفل بن معاوية الدئلي– وقد كان على رأس الناقضين للحلف من بني

---

[1] بتصرف، المستدرك على الصحيحين كتاب المغازي ٤٩/٣ وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ومغازي عروة بن الزبير ص ٢١٣، وزاد المعاد ٤٦٨/٣ وقال المحقق: حديث صحيح.

[2] مسألة الاستعانة بالكفار في الحرب ضد أعداء المسلمين من المسائل الفقهية الطويلة، واكتفي بنقل كلام الإمام ابن القيم في هذا الموضع:(أن الإمام له أن يستعير سلاح المشركين وعدتهم لقتال عدوه، كما استعار رسول الله صلى الله عليه وسلم أدراع صفوان ، وهو يومئذ مشرك) زاد المعاد ٤٧٩/٣.

[3] الإصابة وقال الحافظ ابن حجر : إسناده حسن ١٤١/١.

[4] الإصابة ٤٩٦/٢.

[5] المرجع السابق ٦٥٦/٣.

[6] هو يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود الكندي حليف بني عبد شمس، أبو السائب، أسلم في الفتح، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم. بتصرف، الإصابة ٦٥٦/٣، وانظر أخبار القضاة: محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع ١٠٦/١، عالم الكتب بيروت ط: بدون.

[7] بتصرف، الإصابة ٦٥٦/٣.

[8] المرجع السابق ٦٥٦/٣.

بكر ومن مسلمة الفتح- في شأن حصار الطائف، وقد حاصرهم و لم يؤذن له في فتحها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما ترى؟ قال: ثعلب في جحر، إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك. فأمر صلى الله عليه وسلم وأذن بالرحيل[1].

كذلك لقي أهل مكة الرعاية ذاتها من عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو خليفة، حين خرج إلى الشام، ثم أُخبر عند اقترابه منها، أن وباء الطاعون وقع فيها، فأمر ابن عباس رضي الله عنهما أن يدعو له المهاجرين الأولين ليستشيرهم، فاستشارهم واختلفوا عنده، ثم دعا بعدهم الأنصار واستشارهم فاختلفوا، ثم أمره أن يدعو من هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح[2]، فاستشارهم، فأشاروا فلم يختلف عليه رجلان، وأشاروا عليه بالرجوع، فرجع رضي الله عنهم أجمعين[3].

٤] مراعاتهم حال وقوع الخطأ منهم، وعدم التشهير بهم، أو فضحهم ووصمهم بالعيب والجهل، فإن من أسوأ ما يكدر على نفس الكبير وصاحب المكانة، تعنيفه وزجره ومحاسبته، خاصة أمام غيره، قال الإمام ابن القيم رحمه الله :(من دقيق الفطنة أنك لا ترد على المطاع خطأه بين الملأ، فتحمله رتبته على نصرة الخطأ، وذلك خطأ ثان، ولكن تلطف في إعلامه به، حيث لا يشعر به غيره)[4]، ولكن هذا لا يمنع من توجيه أو بيان

---

[1] الطبقات الكبرى ١٥٩/٢، و زاد المعاد ٤٩٧/٣. وكانت فلول المشركين بعد حنين قد تحصنت بالطائف، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين ليلة وقيل ١٧ ليلة، وقاتلهم قتالا شديدا ورماهم بالمنجنيق، ثم علم أن الله لم يأذن له بفتحها فرجع بالمسلمين. انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٢٦/٤-١٣٠.

[2] قيل هم الذين أسلموا قبل الفتح فحصل لهم فضل بالهجرة قبل الفتح، إذ لا هجرة بعد الفتح، وقيل هم مسلمة الفتح الذين هاجروا، فحصل لهم اسم دون الفضيلة. وقال القاضي هذا أظهر لأنهم الذين يطلق عليهم مشيخة قريش، ولهم من السن والخبرة وكثرة التجارب وسداد الرأي ما رجح رأيهم مع كثرة القائلين به. بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٩/١٤.

[3] انظر الحديث بتمامه في صحيح مسلم كتاب السلام باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها ١٧٤٠/٤ ح ٢٢١٩.

[4] الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ٣٩، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون. وللاستفادة انظر تأملات دعوية في السنة النبوية من ص ٧٨- ٨٥.

وجه الاعتراض ضد ذلك الخطأ، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين تبرأ من فعل خالد رضي الله عنه مع بني جذيمة[1].

ثالثا: مراعاة أحوال المدعوين العقلية:

الدين الإسلامي يركز على إقناع الناس بالإسلام، لا على إجبارهم، ويعتمد في حملهم على الإيمان بالله ورسوله، اعتمادا أساسيا على استثارة تفكيرهم، وإيقاظ عقولهم، ويدعوهم بشتى الوسائل إلى التفكر في خلق السماوات والأرض، وخلق أنفسهم وما حولهم، ليصلوا من وراء ذلك إلى معرفة الخالق، وإلى تمييز الحق من الباطل، وقد تضافرت النصوص القرآنية التي تحض على استخدام العقل، وتحرير الفكر، كقوله تعالى﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى .....﴾[2]، وقوله تعالى﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ ...﴾[3].[4]

ومن مميزات الدعوة الإسلامية، أنها تتلاءم مع التفاوت الطبيعي بين عقول الناس وتفكيرهم، وتنسجم مع عقول الناس وتراعي الفروق الفردية بينهم، فتخاطب كل أناس بما يتناسب مع مستواهم العقلي، قال الإمام الغزالي: من وظائف المعلم أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله، فينفره، أو يخبط عليه عقله، فيبث إليه من الحقيقة ما يستقل بفهمها[5].

ومن الدروس المستنبطة في مراعاة أحوال المدعوين العقلية في هذه الغزوة ما يلي:

[١] الحرص على تنوع أساليب الخطاب تبعا لمستوى الثقافة عند المدعو، فالدعوة الإسلامية موجهة للناس جميعا، على اختلاف عصورهم وطبائعهم ومستوى تفكيرهم، وأنماط حياتهم مما يستلزم مراعاة نوعية خاصة من الخطاب تناسب كل جماعة[6].

---

[1] سبق تخريج الحديث ص ١٤٩.

[2] سورة الروم جزء من آية ٨.

[3] سورة يونس جزء من آية ١٠١.

[4] بتصرف، التشريع الجنائي الإسلامي ١/٢٩- ٣٠.

[5] بتصرف، الإحياء ١/٥٧.

[6] بتصرف، الدعوة إلى الله على ضوء الكتاب والسنة ص ١٣٣.

والداعية إذا تأمل من حوله وجد أن أمامه ساحتين: ساحة ترفرف عليها أعلام الهداية، ويؤمن أصحابها بالإسلام عقيدة وشريعة، ويلتزمون به سلوكا .

وساحة بعيدة كل البعد عن الإسلام، أو قد انطبع الإسلام في أذهانها بصورة مشوشة محرفة، كما هو الحال خارج المجتمعات الإسلامية.

وهذا الواقع يفرض على الداعية أن يصوغ خطابين متنوعين:

١- خطابا يتوجه به إلى المدعوين في الساحة الإسلامية، يركز فيه على ضرورة الالتزام والتمسك بتعاليم الإسلام، وضرورة المبادرة إلى الإحسان، والتحلي بالإيجابية، وإتقان الأعمال الدعوية.. الخ.

٢- وخطابا آخر يتوجه به إلى الساحة الغير مسلمة أو إلى المشوشة، يركز فيه على محاسن الإسلام، ويرد على الشبه المثارة حوله، وينبغي أن تكون العناصر العقلانية في الخطاب الثاني أقوى، أما في الخطاب الأول فيشتمل على كل العناصر، لكن يكون العنصر العاطفي فيه ظاهرا[1].

[٢] الوضوح في عرض الدعوة الإسلامية وبيان مضمونها لحديثي الإسلام، وتبيين أصوله. ورغم أن القرشيين قد يعلمون بعض مبادئ الإسلام بسبب اختلاطهم بالمسلمين، لكنه صلى الله عليه وسلم يوضحها ويبينها البيان الشافي لعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه حين قال له:(يا محمد، إن هذه أخبرتني- يعني زوجه أم حكيم- أنك أمنتني، فقال: ((صدقت، فأنت آمن))، قال عكرمة: فإلام تدعونا يا محمد؟ قال: ((أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتفعل وتفعل، حتى عد خصال الإسلام. فقال عكرمة: والله ما دعوت إلا إلى الحق، وأمر حسن جميل، وقد كنت والله فينا قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه، وأنت أصدقنا حديثا وأبرنا برا. ثم قال عكرمة: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. فسر بذلك رسول الله

---

[1] بتصرف، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ص ٣٦٠-٣٦١. وللاستفادة انظر الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ص ٨٨-٨٩.

صلى الله عليه وسلم. ثم قال: يا محمد، علمني خير شيء أقوله. فقال: ((تقول أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله.. الخ)).[1]

[٣] الاهتمام بتعليم المدعوين الحديثي الإسلام، وخصهم برعاية مميزة، لأنهم بعد إسلامهم كالأرض العطشى المهيأة للغيث، فالداعية لا يكتفي بدعوة الناس إلى الحق، بل لا بد من تربية وتعليم الذين استجابوا لهذا الحق، ومن ذلك:

– اختيار رجل من علماء الصحابة ومن أفاضلهم معلما لأهل مكة، وهو معاذ بن جبل رضي الله عنه فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خلف معاذ بن جبل في مكة ليفقه أهلها، ويعلمهم القرآن والسنة[2]، فاختار لهم رجلا قال فيه ذات يوم:((وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل))[3].

– الإعادة والتكرار لأحكام الشريعة التي ثبتت قبل الفتح، تعليما لأهل مكة، ومن ذلك تحريمه الخمر وبيعه، فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عام الفتح وهو بمكة:((إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام))[4]، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:(ويحتمل أن يكون التحريم وقع قبل ذلك، ثم أعاده صلى الله عليه وسلم، ليسمعه من لم يكن سمعه)[5].

– الإشفاق على المخطئ، وعدم مقابلة خطأه بالتعنيف والقهر، أو التشنيع عليه ، والسخرية منه، فإن هذا مما يؤدي إلى إذلال نفسيته، وتحطيم شخصيته، وقد يؤدي إلى إصراره على الخطأ، وتماديه في الباطل تسويغا لخطأه[6]، بل يتجاوز عما يحصل منه من قصور في الفهم، أو تأخر في التخلص من رواسب الجاهلية، التي كانت مستقرة في قلبه

---

[1] منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٢٤٣/٥.

[2] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١٤٨/٤، والسيرة الحلبية ٥٩/٣.

[3] سنن الترمذي كتاب المناقب باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم ٦٦٥/٥ ح ٣٧٩١، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[4] سبق تخريجه ص ٢٧٣.

[5] فتح الباري ٤٢٥/٤ ح ٢٢٣٦.

[6] بتصرف، الرسول والعلم ص ١٢١.

وعقله، مع التنبيه والإرشاد بالشكل المناسب لظروف المخطئ، والنظر لدوافعه إلى الخطأ، وقد حدث من الطلقاء ما أظهر بقايا الرواسب القديمة الجاهلية في نفوسهم.

ومثال ذلك حين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، ومروا بشجرة ذات أنواط، فطلبوا منه أن يجعل لهم مثلها، فلم يشدد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في التعنيف، بل بين لهم الحق برفق وحكمة، فقال لهم:((سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة. والذي نفسي بيده، لتركبن سنة من قبلكم))[1]، (ولا شك أن طلبهم يعبر عن عدم وضوح تصورهم للتوحيد الخالص رغم إسلامهم، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أوضح لهم ما في طلبهم من معاني الشرك، وحذرهم من ذلك، و لم يعاقبهم أو يعنفهم لعلمه بحداثة عهدهم بالإسلام)[2].

– الحرص على إقناع العقول بالحق قبل إلزام الناس به، وذلك بعدم إكراههم على الإسلام، بل متى اقتنعت عقولهم به وانشرحت صدورهم للدخول فيه، أقبلوا طائعين مختارين، فدعوة الإسلام ليست إرهاقا للعقول بالمفاهيم، ولا إثقالا على النفوس بالمشاعر، بل هي تقويم للعقل، للإبقاء على صالح رأيه، وإلغاء الفاسد من هواه، ودين الإسلام دين يفتح نوافذ الفكر الإنساني، فليس من حكمة الدعوة، إنكار عقل الإنسان، وملؤه بالتعاليم قبل اقتناعه بأساس الإسلام، أو شحنه بالواجبات والمحرمات، قبل تأسيس عقيدة الإيمان الدافعة لطاعة الله في عقله وقلبه[3].

[٤] مراعاة حالة المخاطب الذهنية، ومستوى الذكاء والفهم لديه، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب أحد حكماء قريش وأصحاب الرأي والعقل فيهم بأسلوب الإيحاء، كقوله عن سهيل بن عمرو رضي الله عنه :((من لقي سهيل بن عمرو، فلا يحد النظر إليه، فلعمري إن سهيلا له عقل وشرف، وما مثل سهيل يجهل الإسلام))[4].

---

[1] سبق تخريجه ص ١٧٩.

[2] السيرة النبوية الصحيحة ٤٩٧/٢.

[3] بتصرف، الدعوة إلى الله على ضوء الكتاب والسنة ص ١٤٠.

[4] سبق تخريجه ص ٤٣٧، وانظر السيرة الحلبية ٥٦/٣.

ويدعو لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بقوله: ((اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقهِ العذاب))[1]، وعند الإمام الترمذي أنه قال له:((اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به))[2].

كذلك يخاطب العامي الخائف بما يسهل عليه فهمه، وبشكل مباشر، فيقول لرجل أحضر إليه وقد أخذته الرعدة:((هون عليك، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد))[3].

رابعا: مراعاة أحوال المدعوين الوجدانية(أو الإيمانية):

١) فتح باب التوبة أمام المدعوين، والتغاضي عن زلاتهم السابقة وقد تاب الله عليهم، وإشعارهم بأن رحمة الله وسعت كل شيء، كما أمر الله تعالى رسوله أن يقول للمؤمنين، في قوله تعالى﴿ فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

والسيئات إذا تبعتها الحسنات فإنها تمحوها، لقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ..... ﴾[5]، وقد قيل: التائب عمله أعظم من عمل غيره، إلا أن يكون صاحب حسنات أرفع من حسناته، فأن لم يكن، فإن للتائب الذي اجتهد في التوبة والعمل ما ليس للآخر، وبهذا يتبين أن تقديم السيئات- ولو كانت كفرا- إذا تعقبها التوبة النصوح، التي يبدل الله فيها السيئات حسنات، لم تكن تلك السيئات نقصا، بل كمال[6]، وهذا مما يدل على رحمة الله بعباده، حين يفتح باب التوبة لأقصى حد، إذ أن العقاب ليس غاية في الإسلام، إنما هو أحد وسائل تهذيب المسلمين.

---

[1] مسند الإمام أحمد عن العرباض بن سارية ١٢٧/٤. والسيرة الحلبية ٤٤/٣.

[2] سنن الترمذي كتاب المناقب باب مناقب لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ٦٨٧/٥ ح ٣٨٤٢، وقال هذا حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢٣٦/٣ ح ٣٠١٨، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦١٥/٤ ح ١٩٦٩.

[3] سبق تخريجه ص ٣١٥.

[4] سورة الأنعام جزء من آية ٥٤.

[5] سورة هود جزء من آية ١١٤.

[6] بتصرف، الآداب الشرعية والمنح المرعية ١٣٩/١.

ولما كان الشعور بالذنب من أثقل ما تمنى به النفس الإنسانية، إذ يعطلها عن العمل، ويبعث فيها الريبة والشك، فتحجم وتخاف ولا تتقدم أو تتحمل المسئولية[1]، فقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرفع هذا الثقل عن نفوس الناس[2]، فيفتح باب التوبة أمام حاطب رضي الله عنه ليلج منه.

كما يجيب طلب عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه، لما أسلم وقال له: إني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو مسيرا أوضعت فيه، أو مقاما لقيتك فيه، أو كلاما قلته في وجهك، أو وأنت غائب. فهو يريد الخلاص من أوزار الجاهلية وثقل الذنوب التي اقترفها ضد الإسلام، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم، ودعا له:((اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها، وكل مسير سار فيه إلى موضع يريد بذلك المسير إطفاء نورك، واغفر له ما نال مني من عرض، في وجهي أو وأنا غائب عنه))[3].

وعلمت المرأة المخزومية التي أقيم عليها حد السرقة، أن باب التوبة مفتوح لا يمنعها منه إنسان، فقد روي أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم بعد إقامة الحد عليها:(هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال:((أنت اليوم من خطيئتك، كيوم ولدتك أمك))[4]، فتابت وحسنت توبتها، وتزوجت رجلا من بني سليم، وكانت تأتي إلى أم المؤمنين عائشة رضي

---

[1] ولذلك عرف بعض العلماء التوبة: أن تنسى ذنبك، وقال ابن دبيع الشيباني رحمه الله : (وهذا حق، لأن من شروط التوبة: العمل الصالح، وذكر الذنب ربما عطل عن العمل، إذا أصيب التائب بالكآبة من أجله، ويخطئ البعض فيذكرون ما كان منهم من الذنب على سبيل التسلية، وهذا خطأ فاحش، وحنين إلى تلك الذنوب في الحقيقة، والتوبة النصوح لا يبقى على صاحبها أثر من المعصية لا سرا ولا جهرا) مكفرات الذنوب وموجبات المغفرة ص ٣٢. ويرى بعض العلماء أن تذكر الذنب بعد التوبة منه دافع لاكتساب الحسنات وإبدالها بالسيئات، يقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله: إنما التبديل في حق من ندم على سيئاته وجعلها نصب عينيه، فكلما ذكرها ازداد خوفا وحياء من الله، ومسارعة إلى الأعمال الصالحة المكفرة، كقوله تعالى﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ ، ومن كانت هذه حاله فإنه يتجرع من مرارة الندم والأسف على ذنوبه أضعاف ما ذاق من حلاوتها عند فعلها، ويصير كل ذنب من ذنوبه سببا للأعمال الصالحة، ماحية له، فلا يستنكر بعد هذا تبديل هذه الذنوب حسنات. بتصرف، جامع العلوم والحكم ص ١٠٢.

[2] بتصرف، فلسفة التشريع الإسلامي ص ١٤٦.

[3] سبق تخريجه ص ٢١١، وص ٥٤٧.

[4] مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو وقال الشيخ الساعاتي: في إسناده ابن لهيعة، وقد صرح بالتحديث، فحديثه حسن. انظر الفتح الرباني ١٦/٦٤.

الله عنها، فترفع حاجتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، ومما ساعدها على ذلك تقبل المسلمين لها، وإعانتهم لها على الارتفاع من أثقال الخطيئة التي ارتكبتها.

بيد أن العفو من الله تعالى عن أعمال الجاهلية، مرهون بالتوبة الصادقة لله تعالى، والعزم على ثبات القلب على دين الإسلام، فقد روى الإمام البخاري أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال:(يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال:((من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام[2]، أُخذ بالأول والآخر))[3].

ومسلمة الفتح المجاهدين في سبيل الله: لم يقعد بهم أنهم كانوا في أول إسلامهم من المؤلفة، أو تأخر إسلامهم، فكثيرا ما يلحق المتأخر بالسابق، ويدرك الضعيف فضل القوي، وحسب المتأخرين أن الله تعالى وعدهم الحسنى، بقوله: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ..... ﴾[4].

٢) ألا ييأس الداعية من استجابتهم، ويصيبه الملل والفتور من دعوتهم، فالقلوب بين يدي الرحمن يقلبها كيف يشاء عز وجل، لأن وجوه صدودهم مختلفة، وطرق شبههم متباينة، فمن قلَّت شبهه، وتأمل حجة القرآن حق تأملها، ولم يستكبر، أسلم فورا، ومن كثرت شبهه، وأعرض عن تأمل الحجة، تطاول عليه الزمان إلى أن نظر واستبصر، وراعى واعتبر ، واحتاج إلى وقت أطول، فلو كانت صوارفهم عن الحق وأسباب صدهم عنه متفقة، لتوافوا إلى القبول جملة واحدة[5].

---

[1] سبق تخريج الحديث، وانظر فتح الباري ٩٥/١٢ ح ٦٧٨٨.

[2] قال أبو العباس القسطلاني: المقصود بقوله من أساء في الإسلام، بأن ارتد عن الإسلام ومات على كفره، فكأنه لم يسلم، فيعاقب على جميع ما أسلفه، في الأول الذي عمله في الجاهلية، وفي الآخر الذي عمله من الكفر. ونقل ابن بطال عن جماعة من العلماء: أن الإساءة هنا لا تكون إلا الكفر، للإجماع على أن المسلم لا يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، فإن أساء في الإسلام غاية الإساءة، وركب أشد المعاصي، وهو مستمر على الإسلام، فإنه إنما يؤاخذ بما جناه من المعصية في الإسلام. بتصرف، إرشاد الساري ٣٩٢/١٤ ح ٦٩٢١.

[3] صحيح البخاري كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة ٤٩/٨.

[4] بتصرف، السيرة النبوية دروس وعبر ص ١٥٦.والآية في سورة الحديد جزء من آية ١٠.

[5] بتصرف، إعجاز القرآن ص ٥٥.

وقد أوشك هذا اليأس من إسلام الكفار أن يصيب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روى الإمام البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو على بعض المشركين، فيقنت ويدعو ويقول: اللهم العن فلانا وفلانا، حتى أنزل الله تعالى﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ... ﴾[1][2].

وروى الإمام الترمذي رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد:((اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحرث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية)). قال: فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾. فتاب الله عليهم، فأسلموا فحسن إسلامهم)[3]، وعقب الإمام الذهبي رحمه الله : (أحسنهم إسلاما الحارث)[4].

ففي الآية الكريمة يبين الله تعالى، أن الأمر كله لله، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء، لأنه عبد من عبيد الله، والجميع تحت عبودية ربهم يُدَبرون ولا يُدبِرون، وهؤلاء الذين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، أو استبعد فلاحهم وهدايتهم، إن شاء الله تاب عليهم، ووفقهم للدخول في الإسلام، وقد فعل تعالى، فإن أكثر أولئك هداهم الله فأسلموا، وإن شاء عذبهم فإنهم ظالمون مستحقون لعقوبة الله وعذابه[5].

فعلى الداعية ألا ييأس من استجابة المدعوين، حتى بعد ضلالهم وردتهم، فهذا عبد الله بن أبي سرح رضي الله عنه، يرتد بعد إسلامه وهجرته، ثم أتى به عثمان رضي الله عنه مستأمنا له، وتأخر النبي صلى الله عليه وسلم في العفو عنه، رجاء أن يسبق إليه أحد الجالسين معه فيقتله، فلم يشأ الله تعالى له ذلك، لما أراده له من الخير، الذي ظهر منه بعد ذلك في الفتوح الإسلامية، فبايعه وكان ممن استثناهم الله تعالى في قوله﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ

---

[1] سورة آل عمران جزء من آية ١٢٨.

[2] صحيح البخاري كتاب التفسير باب ليس لك من الأمر شيء ١٧١/٥.

[3] سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة آل عمران ٢٢٧/٥ ح ٣٠٠٤. وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣٣/٣ ح ٢٤٠٢.

[4] سير أعلام النبلاء ٥٦٤/٢.

[5] بتصرف، تيسير كلام الرحمن في تفسير كلام المنان ٤١٧/١.

فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].[2]

٣) فعل وتقديم كل ما من شأنه أن يرفع ويزيد مستوى الإيمان في قلوبهم، فالإيمان يزيد وينقص، كذلك أخذهم باليسر حتى تثبت العقيدة في سويداء قلوبهم، لأن تكليفهم بالشرائع وإجبارهم على فروع الدين، والعقيدة لما ترسخ بعد، قد ينفرهم منه بالجملة، ومن ذلك ما يلي:

– إعطاء الإيمان الوقت الكافي كي ينمو ويثبت في قلوب أهل مكة، قبل فعل ما قد يشق على نفوسهم، خاصة وأنهم(دخلوا في الإسلام، وأكثرهم لذلك كاره)[3]. ومثال ذلك: أنه صلى الله عليه وسلم بايعهم(على الإيمان والإسلام فقط، لأنه لم يرد منهم سوى ذلك، .. بخلاف بيعة المهاجرين والأنصار، فإنهم جاءوا راغبين طائعين، رضي الله عنهم أجمعين)[4]، ومن ذلك ترك تعديل بناء الكعبة، وتركها على سابق عهدها قبل الفتح.

– عدم إثقال كواهلهم وهم حديثو عهد بالإسلام بأوامر ونواهي كثيرة، فينسي بعضها بعضا، بل التزام الحكمة في دعوته والاكتفاء بتعليمهم أصول الدين، خاصة للمقيمين خارج المدينة، كما فعل صلى الله عليه وسلم مع والد عمرو بن سلمة رضي الله عنهما حين علمه الصلاة، فعاد إلى قومه وقال لهم: (جئتكم والله من عند النبي صلى الله عليه وسلم حقا، فقال: صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا صلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا)[5].

– تخييرهم بين فعل عبادة ما، أو تركها، إذا كان في الأمر الخيار، حتى يقبل العابد على العبادة راغبا، وينصرف عنها المنصرف آملا في الرجوع إليها إذا نشطت همته، وفرغ

---

[1] سورة آل عمران الآيات ٨٦– ٨٩.

[2] انظر زاد المعاد ٣/٤٦٤– ٤٦٥.

[3] فتح الباري ٦/٢٨٥ ح ٣١٨٩.

[4] باختصار، الفتح الرباني ٢١/١٦٣.

[5] سبق تخريجه ص ١٦٥.

من مشغلته، فينادي عليهم منادي الرسول صلى الله عليه وسلم وهم في طريقهم إلى مكة:(من أحب أن يفطر فليفطر، ومن أحب أن يصوم فليصم)[1].[2]

خامسا: مراعاة قدرات وإمكانات المدعوين ومواهبهم:

(١) مراعاة الفروق الفردية التي تميز كل إنسان عن الآخر، من الفهم والذكاء، وإتقان العمل واتساع الأفق، وغير ذلك، مما يلزم الداعية أن يراعيه ويهتم به أثناء دعوته.

وذلك ابتداء بملاحظة تفاوت الناس في إدراك إعجاز القرآن، ومعرفة وجه دلالته، فالرسول صلى الله عليه وسلم دعا الآحاد إلى الإسلام، محتجا عليهم بالقرآن، ولم يلزمهم أن يصدقوه تقليدا، والسابقون الأولون إلى الإسلام لم يقلدوه، وإنما دخلوا فيه على بصيرة، فمن كانت بصيرته أقوى، كان إلى القبول منه أسبق، ومن اشتبه عليه وجه الإعجاز، أو اشتبه عليه بعض شروط المعجزات، كان إلى القبول أبطأ، حتى تكاملت له أسباب ذلك واجتمعت له بصيرته[3].

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:(الله تعالى جعل أهل الشريعة على مراتب، ليسوا فيها على وزن واحد، ورفع بعضهم فوق بعض، كما أنهم في الدنيا كذلك، فليس من له مزيد فهم في الشريعة كمن لا مزيد له، لكن الجميع جار على أمر مشترك.

والاختصاصات فيها هبات من الله، لا تخرج أهلها عن حكم الاشتراك، بل يدخلون مع غيرهم فيها، ويمتازون هم بزيادات في ذلك الأمر المشترك بعينه، فإن امتازوا بمزيد الفهم، لم يخرجهم ذلك عن حكم الاشتراك، فإن ذلك المزيد أصله الأمر المشترك)[4].

ولذلك كانت أمور الشريعة- التي لم يوضع لها حد معين يوقف عنده- موكولة إلى نظر المكلف- المدعو- بها وقدرته، فكل أحد مطلوب منه على قدر إدراكه، فمن أدرك أمرا قريبا، فهو المطلوب منه، ومن أدرك فيها أمرا هو فوق الأول فهو المطلوب منه.

---

[1] سبق تخريجه ص ١١٠ وص ٢٥٥.

[2] بتصرف، الدعوة إلى الكتاب والسنة على ضوء الكتاب والسنة ص ١٣٩.

[3] بتصرف، إعجاز القرآن ص ٤٩.

[4] الموافقات ٢/٩٢.

وقد يتفاوت الأمر في الالتزام بالشريعة، حسب قدرة المكلف على الدوام فيما دخل فيه وعدم قدرته: فمن لا يقدر على الوفاء بمرتبة من مراتبه، لا يؤمر بها بل بما هو دونها، ومن كان قادرا على ذلك كان مطلوبا، فالأمي الذي لم يزاول شيئا من الأمور الشرعية ولا العقلية، ربما اشمأز قلبه عما يخرجه عن معتاده، بخلاف من كان له بذلك عهد، ومن هنا كان نزول القرآن نجوما في عشرين سنة، ونزلت الأحكام التكليفية فيها شيئا فشيئا، لئلا تنفر منها النفوس دفعة واحدة[1].

ولذلك راعى النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة الذين لم يكن لهم سابق علم بتفصيل الإسلام وتكاليفه، بخلاف من قدم معه من المسلمين، فصب جل اهتمامه على توضيح أمور العقيدة، التي يجب إدراكها، ويشترك معظم الناس في فهمها، وأجَّل تفاصيل الشريعة التي قد لا يدرك بعضها إلا الخواص أو من له سابق علم وإطلاع على أحكام الإسلام.

(٢) ومن مراعاة قدرات المدعوين ومواهبهم، كان القيام ببعض الأمور الشرعية على وجه الكفاية، فمواهب الناس مختلفة ومتفاوتة، فهذا قد تهيأ للعلم، وهذا للإدارة والرئاسة، وذلك للصناعة أو للتجارة، وهذا للصراع والمجاهدة، والواجب أن يُربى كل امرئ على ما تهيأ له، حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه، ومالت نفسه إليه[2].

وفي كلام الإمام الشاطبي توضيح للأمر وتوجيه للدعاة، فيقول رحمه الله: (إن الله عز وجل خلق الخلق غير عالمين بوجوه مصالحهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة... ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ..... ﴾[3]، ثم وضع فيهم العلم بذلك على التدريج والتربية، تارة بالإلهام كما يلهم الطفل التقام الثدي ومصه، وتارة بالتعليم. فطلب الناس بالتعلم والتعليم لجميع ما يستجلب به المصالح، وكافة ما تدرأ به المفاسد...

وفي أثناء العناية بذلك يقوى في كل واحد من الخلق ما فطر عليه، وما ألهم له من تفاصيل الأحوال والأعمال فيظهر فيه وعليه، ويبرّز فيه على أقرانه ممن لم يهيأ تلك

---

[1] بتصرف، المرجع السابق ٢/٩٣، وانظر للاستفادة تفصيل الموضوع نفس الكتاب ٢/٨٨-٩٥.

[2] بتصرف، أصول الفقه: الشيخ محمد أبو زهرة ص ٣٠.

[3] سورة النحل جزء من آية ٧٨.

التهيئة، فلا يأتي زمان التعقل إلا وقد نجم على ظاهره ما فطر عليه في أوليته، فترى واحدا قد تهيأ لطلب العلم، وآخر لطلب الرياسة، وآخر للتصنع ببعض المهن المحتاج إليها... فعند ذلك ينتهض الطلب على كل مكلف في نفسه من تلك المطلوبات بما هو ناهض فيه، ويتعين على الناظرين- والمقصود بهم في هذا المبحث الدعاة إلى الله- فيهم الالتفات إلى تلك الجهات، فيراعونهم بحسبها، ويراعونها إلى إن تخرج في أيديهم على الصراط المستقيم، ويعينونهم على القيام بها، ويحرضونهم على الدوام فيها، حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال إليه من تلك الخطط، ثم يخلي بينهم وبين أهلها، فيعاملونهم بما يليق بهم، ليكونوا من أهلها، إذا صارت لهم كالأوصاف الفطرية... فعند ذاك يحصل الانتفاع، وتظهر نتيجة تلك التربية)[1].

فمجموع المدعوين كمجموعة من الناس، تسير في طريق مشترك، وقد يقف بعضهم عند المرحلة الأولى، ويعجز عن السير إلى المرحلة الثانية، فيقف عند فرض كفائي، ومن به قوة زاد في السير إلى أن يصل إلى المرحلة الثانية، وقد يقف عندها، ومن تسامت به مواهبه وقدراته حتى يقف عند المرحلة الثالثة، فقد وقف عند فرض كفائي آخر، فحيث وقف السائر وعجز عن السير، فقد وقف على مرتبة محتاج إليها في الجملة، وإن كان به قوة زاد في السير إلى أن يصل إلى أقصى الغايات في المفروضات الكفائية[2].

وهذا من عدل الإسلام حيث جعل سبحانه النتائج متكافئة مع الأعمال، وبمقدار جهود الشخص وإنتاجه يكون جزاؤه[3].

(٣) من مهمات الدعاة ملاحظة هذه الميول والقدرات، ورعايتها باعتدال والابتعاد عن تهميشها وإهمالها، فالموهبة التي يؤتاها الإنسان إذا لم تنمّ وتطور، فقد يصيبها الضمور والضعف، وذلك خسارة للمجتمع الإسلامي.

---

[1] باختصار الموافقات ي ١/١٧٩- ١٨٠ . وانظر للفائدة أمثلة تفصيلية نفس الكتاب ١/١٨٠-١٨١.

[2] بتصرف، الموافقات للشاطبي ١/١٨١.

[3] بتصرف، أصول الفقه: الشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٩٠.

وتظهر من أحداث الفتح رعاية أصحاب المواهب، كما لاحظ النبي صلى الله عليه وسلم أبا محذورة رضي الله عنه رغم صغر سنه ولكن قدرته على حفظ الأذان وترديده وجودة صوته وأدائه، دفعت النبي صلى الله عليه وسلم إلى تعليمه بنفسه، ثم تعيينه مؤذنا لأهل مكة.

كذلك ما حدث مع عمرو بن سلمة رضي الله عنهما، حين استغل قوة حفظه وذاكرته، فكان أحفظ قومه لكتاب الله، فلم يهمله قومه بل أقاموه إماما لهم رغم صغر سنه، فكان لا يحضر معهم الصلاة إلا قدموه لإقامتها[1].

ورعى النبي صلى الله عليه وسلم موهبة خالد بن الوليد رضي الله عنه العسكرية، والتي ابتدأت مع المسلمين في غزوة مؤتة، فعينه على أحد أجنحة الجيش الفاتح، ثم أرسله على رأس أحد السرايا المحطمة للأصنام، مع مراعاة أنها موهبة تحتاج إلى توجيه وتشذيب، كي لا تجنح وتميل، فصدر منه صلى الله عليه وسلم النهي عن قتل من لم يحارب كالنساء والأطفال، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:(وجدت امرأة مقتولة في بعض تلك المغازي، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان)[2].

---

[1] سبق تخريجه ص ١٦٥ و ص ٢٥٧.

[2]صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ١٣٦٤/٣ ح ١٧٤٤. وقد وردت رواية عند الإمام أحمد تبين هذه الغزوة المبهمة أنها غزوة الفتح انظر المسند ١٥/٢.

المطلب الثالث: ثمار هذه المراعاة في نفوس المدعوين:

أثمرت مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ولأهل مكة ثمارا مباركة دنيوية وأخروية، تركت أثرا عظيما في نفوسهم، والمتتبع لأخبار مسلمة الفتح، يلحظ تحقق قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم:((الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا))[1]، ومن أمثلة ذلك:

أولا: أثَّرَ عفوُ الرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس أهل مكة، فانقلبت عداوتهم له ولاء، وتحول بغضهم له حبا، لمقابلته أذاهم وخصومتهم بالعفو والمغفرة والتسامح، وذلك مصداق قوله تعالى﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[2].

فكأن الله تعالى يخص الدعاة بهذه الصفة الجليلة، وينبههم عليها، إذ سبقها بقوله﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[3]، فالنهوض بواجب الدعوة يلزم الداعية بالتحلي بهذه الأمور من القول الحسن والعمل الصالح ودفع السيئة بالتي هي أحسن.

ثانيا: نتج عن حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم، تأليف قلوب الناس، وتوحيد كلمتهم، وإقبالهم طائعين على الإسلام، فلم يكن من السهل أن ترضى قريش ولها مالها من مكانة بهذا التحول، وتقبل على الإسلام مختارة وتحمل رايات الجهاد في سبيله، لو لم تعامل هذه المعاملة السلمية ويراعى زعماؤها، فانقلب موقعها من أشد الناس عداوة للإسلام، إلى أحرص الناس على رفع رايته.

---

[1] سبق تخريجه ص ٢٩٧.

[2] سورة فصلت آية ٣٤.

[3] سورة فصلت آية ٣٣.

ثالثا: من ثمار فتح باب التوبة وقبول عودة الجامحين إلى حظيرة الإسلام، إخراج جيل حريص كل الحرص على التكفير عن محاربة الإسلام[1]، بأن يحارب ضمن صفوفه، مثل عبد الله بن أبي سرح رضي الله عنه، الذي ساهم مساهمة عظيمة في فتوح قارة أفريقيا، وكان قائدا لمعركة ذات الصواري، التي كانت حدا فاصلا في سياسة الروم إزاء المسلمين، فأدركوا بعدها فشلهم في استرداد هيبتهم، أو استرجاع مصر أو الشام من أيدي المسلمين[2]، وقد علم الجميع توبته رضي الله عنه وحفظ له التاريخ:(إن عبد الله أسلم يوم الفتح، ولم يتعد ولا فعل ما ينقم عليه بعدها، وكان أحد عقلاء الرجال وأجوادهم)[3].

وهذا الشعور كان منبعثا من معظم مسلمة الفتح، وقد شاركوا في الفتوحات الإسلامية، وسار كثير منهم إلى الشام، كحويطب بن عبد العزى[4]، وسهيل بن عمرو، وأبي سفيان بن حرب، وغيرهم رضي الله عنهم، وقد تولى بعضهم مناصب قيادية في الجيوش الإسلامية، كيزيد بن أبي سفيان، وعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهم، والمطلع على فتوحات بلاد الشام يدرك دور مسلمة الفتح الإيجابي في هذه الفتوح، ومن مواقفهم البطولية التي أظهرت تفانيهم في نصرة الدين ما يلي:

١) فقد أبو سفيان رضي الله عنه في حصار الطائف إحدى عينيه، ثم قُلعت الأخرى يوم اليرموك، وكان يحرض المسلمين على الجهاد وكان تحت راية ولده يزيد[5].

ومما يروى عن تلك الغزوة أن الأصوات هدأت قليلا، فسمع الناس صوتا يكاد يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين، فنظروا فإذا هو أبو سفيان رضي الله عنه ، وقال للمسلمين: يا معشر المسلمين، أنتم العرب، فقد أصبحتم في دار العجم، منقطعين عن الأهل، نائين عن أمير المؤمنين، وقد والله أصبحتم إزاء عدو

---

[1] انظر ما سبق من قول عكرمة رضي الله عنه.

[2] بتصرف، ذات الصواري وحصن بابليون: شوقي أبو خليل ص ٦٩، دار الفكر دمشق، ط:٣، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

[3] سير أعلام النبلاء ٣٤/٣، وانظر أسد الغابة ٢٦١/٣.

[4] انظر المرجع السابق ٥٤١/٢.

[5] بتصرف، المرجع السابق ١٠٦/٢.

كثير عدده، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم رضوان الله غدا، إلا بصدق اللقاء والصبر. ثم ذهب إلى النساء فوصاهن، وقال لهن: من رأيتنّه فارّا فاضربنه بهذه الأحجار والعصي حتى يرجع. ثم عاد فوصى المسلمين[1].

٢) ثبت يومئذ يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وقاتل قتالا شديدا، وكان في قلب الجيش، وقد مرَّ به أبوه، فقال له: يا بني عليك بتقوى الله والصبر، فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محقوقا بالقتال، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين، فاتق الله يا بني، ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب منك في الأجر والصبر، ولا أجرأ على عدو الإسلام منك. فقال: أفعل إن شاء الله[2].

٣) في تلك الغزوة حدث تراجع من الناس إلى مواقفهم، فقال عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه : قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن، وأفر منكم اليوم. ثم نادى: من يبايع على الموت. فبايعه عمه الحارث بن هشام، في أربعمائة من وجوه المسلمين[3]، وروي أنه ترجل عن فرسه (فقال له خالد بن الوليد رضي الله عنه: لا تفعل فإن قتلك على المسلمين شديد. قال: خلّ عني يا خالد، فإنه قد كان لك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقة، وإني وأبي كنا من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمشى حتى قتل)[4]، فوجد به بضعة وسبعين من طعنة ورمية وضربة[5].

٤) شارك عبد الرحمن بن سَمُرة رضي الله عنه في غزوة تبوك، وشهد فتوح العراق، وغزا سجستان أميرا.[6]

رابعا: أثرت هذه المراعاة في غرائز المدعوين وأخلاقهم، فهذبتها ونقتها من المفاسد، ومن ذلك تهذيب خلق الحسد الذي كان قائما في نفوس كثير من القرشيين، وصادا لهم

---

[1] بتصرف، البداية والنهاية ص ٩ و ١١و ١٤. وانظر المصنف: ابن أبي شيبة ١٣/ ٣٦ ح ١٥٦٨٢.

[2] بتصرف، البداية والنهاية ١٤/٧.

[3] بتصرف البداية النهاية ٧/ ١١.

[4] منتخب كنز العمال عن ابن عساكر ٢٤٢/٥.

[5] بتصرف، المصنف : ابن أبي شيبة ٣٧/١٣ ح ١٥٦٨٦، وسير أعلام النبلاء ٣٢٤/١.

[6] سير أعلام النبلاء ٥٧١/٢.

عن قبول دعوة الحق، فتحول إلى غبطة[1]، وقد عبر الحارث بن هشام رضي الله عنه عن ذلك حين خرج من مكة، فجزع أهلها وخرجوا يشيعونه، - وقد كان من السادة الفضلاء المُطعمِين- ووقفوا حوله يبكون، فقال: والله ما خرجت رغبة بنفسي عنكم، ولا اختيار بلد على بلدكم، ولكن هذا الأمر كان، فخرجت فيه رجال من قريش، ما كانوا من ذوي أسنانها ولا في بيوتها، وأصبحنا والله لو أن جبال مكة ذهبا، فأنفقناها في سبيل الله، ما أدركنا يوما من أيامهم، فنلتمس أن نشاركهم في الآخرة. ثم توجه إلى الشام غازيا، فلم يزل مجاهدا، حتى ختم الله له بخير، فأصيب شهيدا رضي الله عنه[2] .

كما عبر عنه سهيل بن عمرو رضي الله عنه بعد إسلامه، حين كان المهاجرون والأنصار على باب عمر رضي الله عنه- وهو أمير المؤمنين- فجعل يأذن لهم على قدر منازلهم- وثمَّ جماعة من الطلقاء- فنظر بعضهم إلى بعض، فقال لهم سهيل - لما رأى غضبهم مما فعله عمر-: وعلى أنفسكم فاغضبوا، دُعي القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دعيتم إلى أبواب الجنة، ثم خرج إلى الجهاد[3]، وفي المستدرك أنه قال: فانظروا هذا الجهاد ألزموه، عسى الله أن يرزقكم الجهاد والشهادة[4].

خامسا: أثمرت المعاملة الحسنة لأهل مكة تكيفا وانسجاما مع المجتمع المسلم، الذي يعيشون فيه، وأصبحوا قطعة منه، فلا يشعرون بوطأة نظمه، أو يضيقون ذرعا بأوضاعه، بل ترسبت هذه النظم والأوضاع في سلوكهم[5]، فغدو يمارسون شعائر الإسلام مع المسلمين دون اعتراض أو نفور، فهذا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يشارك رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرته، ثم يتولى تقصير شعر النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: (قصرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشقص)[6].

---

[1] الغبطة: هي أن يتمنى الإنسان أن يكون له مثل نعمة أخيه، ولا يتمنى زوالها عنه. النهاية في غريب الحديث ٣٨٣/١.

[2] انظر الحديث في المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ٢٧٨/٣، وسكت عنه وتابعه الذهبي، وانظر سير أعلام النبلاء ٤٢١/٤.

[3] بتصرف، الإصابة ٩٤/٢.

[4] المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ٢٨٢/٣. وسكت عنه وتابعه الذهبي.

[5] بتصرف، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع ص ٢٦٦.

[6] صحيح البخاري كتاب الحج باب الحلق والتقصير والإحلال ١٨٩/٢. والمشقص هو:(نصل السهم إذا كان

وتولى عدد من مسلمة الفتح تجديد أنصاب الحرم – علامات حدود الحرم–، كما فعل حويطب بن عبد العزى، ومخرمة بن نوفل، وسعيد بن يربوع القرشي[1]، وأزهر بن عبد عوف [2]حين أمرهم عمر بذلك، وبعثهم بذلك عثمان بن عفان رضي الله عنهم[3]،

سادسا: استبدال حمية الكفر والجاهلية بالحمية لدين الله والدفاع عنه، وقد عاب الله تعالى أهل الجاهلية بذلك يوم الحديبية في قوله تعالى﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ.... ﴾[4]، فصارت حمية للإسلام، ومن ذلك موقف سهيل بن عمرو من أحداث الردة التي وقعت بعد لحوق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، وقد ضج أهل مكة فخرج سهيل بن عمرو مع عتاب بن أسيد رضي الله عنهما، حتى أتيا المسجد الحرام، فقام سهيل خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، وخطب بمثل خطبة أبي بكر، لم يخرم منها شيئا. فكان في تصرفه تثبيتا لأهل مكة على الإسلام[5].

طويلا غير عريض). النهاية في غريب الحديث ٢/٤٩٠. وقد اختلف في زمن حدوث هذا التقصير، والذي رجحه الحافظ ابن حجر أنه بعد الفتح، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد حلق في حجته و لم يقصر، لأنه لم يكن متمتعا. انظر فتح الباري ٣/٥٦٥ ح ١٧٣٠. كما رجح ذلك ابن تيمية في منهاج السنة النبوية ٢/٢٨٠.

[1] هو سعيد بن يربوع القرشي ، شيخ بني مخزوم، أسلم بعد الفتح وشهد حنين، وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من الغنائم خمسين بعيرا، توفي رضي الله عنه سنة ٥٤هـ وعمره ١٢٠ سنة. بتصرف، المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ٣/٤٩٠، و سير أعلام النبلاء ٢/٥٤٢.

[2] هو أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث القرشي الزهري عم عبد الرحمن بن عوف، أسلم بعد الفتح. بتصرف، الإصابة ١/٢٩.

[3] انظر سير أعلام النبلاء ٢/٥٤١. والإصابة ٣/٣٩٠.

[4] سورة الفتح جزء من آية ٢٦.

[5]المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ٣/٢٨٢، وسكت عنه وتابعه الذهبي ، ومنتخب كنز العمال ٥/١٩٩، وهذا هو المقام المحمود الذي أنبأ به النبي صلى الله عليه وسلم عمر بعد غزوة أحد.

إن مداخل الشيطان الذي يصد به الناس عن اتباع الحق، يدور بين ثلاثة محاور:

الأول: ما يتعلق بالعوامل الاجتماعية والبيئية المحيطة بالناس، والتي تتعلق بهم بشكل مباشر، كتقدمهم في العمر، أو بشكل غير مباشر كتأثير أصحاب المكانة و الكبراء، وتأثير رفقاء السوء.

الثاني: ما يتعلق بالانحراف الفكري العقلي عند الناس، كالموازين الجاهلية، والتعصب القبلي، وشدة التمسك بتقاليد الآباء والأجداد، واغترار الناس بما حباهم الله به من ثروة وقوة وتمكين، وأساس ذلك كله الجهل.

الثالث: إتباعهم أهواءهم، سواء أكانت بالتعلق بشهوات الدنيا وملذاتها أم التنسك بالمكانة والجاه، أم كان ذلك انحرافا ومرضا خُلقيا، كالكبر والحسد والحق للحق وأهله.

والداعية الحصيف يستغل هذه المحاور، فيعمل على إغلاق أبوابها أمام الشيطان كي لا يلج منها، ثم يستفيد منها كمداخل لنفوس المدعوين، عن طريق مراعاة هذه الأسباب وغيرها، وهذا يستلزم من الداعية مراعاة المدعو مراعاة متكاملة للعديد من النواحي، سواء أكان من الناحية النفسية، أم العقلية، أم الاجتماعية، أم الوجدانية، مع مراعاة مواهب المدعو وقدراته.

ولتحقيق أفضل مراعاة للمدعوين، وأسمى عرض للدعوة الإسلامية، على الداعية أن يستخدم الأساليب الفعالة والوسائل الملائمة للتأثير فيهم، وهذا ما سيتضح بإذن الله في الفصل التالي.

الفصل الخامس: الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل وأساليب الدعوة.

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة.

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة.

تمهيد:

عُرفت الدعوة الإسلامية بأنها: (العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة، الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام، بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق) [1].

فهي دعوة هادفة، لها غاية تسعى إليها، وهذه الغاية تبليغ الناس الإسلام، على اختلاف مراتبهم، وتنوع أقسامهم، وتحقيق هذا الهدف يحتاج إلى كفاءة عالية في التبليغ، وقدرة فائقة في التأثير على المدعوين، مع سمو ووضوح في الهدف، وعلم بالطريقة السليمة أو بالوسائل والأساليب الموصلة إلى تلك الغاية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن الله(سبحانه يذكر أنه أمره بالدعوة إلى الله تارة، وتارة بالدعوة إلى سبيله، كما قال تعالى﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ .... ﴾[2]، وذلك أنه قد علم أن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر، لا بد فيما يدعو إليه من أمرين: أحدهما: المقصود المراد، والثاني: الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود، فلهذا يذكر الدعوة تارة إلى الله، وتارة إلى سبيله، فإنه سبحانه هو المعبود المراد المقصود بالدعوة)[3].

والداعية يتخير من الأساليب والوسائل الدعوية ما يتناسب مع الوضع القائم حال دعوته، وقد يستخدم أسلوبا منفردا معينا، وقد يأتي بها جميعا، تبعا لمقتضى الحال، فالداعية إلى الله طبيب القلوب والأرواح، فعليه أن يسلك في معالجتها نفس الأسلوب الذي يسلكه طبيب الأبدان الذي يشخص الداء أولا، ثم يعين العلاج المناسب ثانيا، وإذا لم ينجح دواء ما في علاج ذلك المرض، جرب عليه غيره، وهكذا حتى يصل إلى مقصوده[4].

---

[1] الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ص ١٠.

[2] سورة النحل جزء من آية ١٢٥.

[3] الفتاوى: ابن تيمية ١٦٢/١٥.

[4] بتصرف، أصول الدعوة ص ٤٢١، وانظر منهاج الدعاة: د. محي الدين الألوائي ص ٥٤، شركة عكاظ للنشر والتوزيع جدة، ط:١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

ولوسائل الدعوة وأساليبها معايير و مقومات تزيد من أثرها وفاعليتها، وملاءمتها للهدف المراد تحقيقه، وهي كالتالي:

أولا: اعتبار مشروعية الوسائل والأساليب الدعوية المستخدمة:

فالدعوة الإسلامية دعوة ربانية، ولا بد من انضباطها بأحكام الإسلام، في وسائلها وأساليبها، فالإسلام لا يعرف فصلا في الحكم بين المنهج أو الأساليب أو الوسائل، ولا يقر بأن الغاية تبرر الوسيلة، بل إن للوسائل حكم الغايات، وأن أي تجاهل لحكم الشريعة في جانب الوسائل والأساليب، يعد انحرافا بالدعوة عن مسارها[1].

ومن ضوابط مشروعية الوسائل والأساليب الدعوية ما يلي:

١- إذا نص الإسلام على مشروعية الوسيلة أو الأسلوب المعين في الكتاب أو في السنة، أو التصريح بالأمر بها وإباحتها، أو طلبها بأي وجه من وجوه الطلب، فهي وسيلة مشروعة.

٢- إذا نص الإسلام في الكتاب والسنة بالنهي عنها بوجه من وجوه النهي، فهي ممنوعة.

٣- إذا لم ينص الشارع على مشروعيتها، ولم يأت بالنهي عنها، وإنما سكت عنها، فتدخل في دائرة الإباحة- بناء على أن الأصل في الأشياء الإباحة- ويسع الداعية استخدامها ما لم يعرض له عارض يخرجها عن ذلك الأصل.

٤- خروجها عن كونها شعارا للكفار، لثبوت نهيه صلى الله عليه وسلم عن التشبه بهم.

٥- مراعاة المصالح والمفاسد، والحرص على تحقيق المصلحة المعتبرة شرعا[2].

ثانيا: أن تكون مستقاة من مصادر معتبرة موثقة:

فالاستمساك بالمنهج الصحيح المستنبط من هذه المصادر شرط القبول، لأن الداعي يبغي بعمله وجه الله تعالى، والقيام بالدعوة من أجلِّ العبادات، كما قال تعالى﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[3].

---

[1] بتصرف، المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٨٥، وانظر من صفات الداعية: مراعاة أحوال المدعوين ص ١٧٧- ١٧٨، وانظر مشكلات الدعوة فتحي يكن ص ١٣٤.

[2] بتصرف، المدخل إلى علم الدعوة من ص ٢٨٦ - ٣٠٠.

[3] سورة فصلت آية ٣٣.

وهي شرط للنجاح، لأن الخروج عن المنهج الصحيح في الأسلوب أو في الوسيلة يؤدي إلى الفشل في بلوغ الغاية، وضياع الجهود بلا طائل، وقد يؤدي أحيانا إلى لحوق الأذى بالدعاة، أو الوقوع في المعاصي عند مخالفة المنهج الصحيح.

والمصادر المعتبرة في الدعوة هي:

١- القرآن الكريم، ففيه أخبار دعوات الرسل السابقين، وفيه خطاب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم المتضمن لكثير من أحوال الدعوة.

٢- السنة النبوية وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فالدعوة إلى الإسلام عمل أساس من أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم، المنطلقة من كتاب الله، المنضبطة بأحكام الإسلام في وسائلها وأساليبها، كما أن تنوع أحوال الدعوة في العهد النبوي واختلاف الظروف التي مرت بها، تهيئ زادا عظيما للدعاة لتشابه الأحوال والمواقف.

٣- استنباطات الفقهاء، التي استنبطوها من الأدلة الشرعية، مثل الأحكام المتعلقة بالاحتساب والجهاد وغيره.

٣- سيرة السلف الصالح، من الصحابة الكرام، -الذين رباهم النبي صلى الله عليه وسلم-، وتابعيهم بإحسان، فقد كانوا أعلم من غيرهم بمراد الشارع وفقه الدعوة إلى الله، وأحرص الناس بعد نبيه صلى الله عليه وسلم على نشر الدين والجهاد في سبيله.

٤- تجارب الدعاة، والدعاة لهم تجارب كثيرة في مجال الدعوة، هي حصيلة عملهم المباشر مع الناس، ومباشرتهم للوسائل والأساليب، وتطبيقهم لها، فيستفيد الداعية من تجربته الخاصة بالإضافة إلى تجارب الآخرين[1].

وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((لا حكيم إلا ذو تجربة))[2]، فحسن الاستفادة من التجارب، هو من طرق اكتساب الحكمة، لأن كثرة التجارب تنمي عقل الداعية ، وتثري خبرته.

قال الإمام الماوردي رحمه الله: وأما العقل المكتسب، فهو نتيجة العقل الغريزي، وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة، وليس لهذا حده، لأنه ينمو إذا استعمل، وينقص إن

---

[1] بتصرف، أصول الدعوة من ص ٤١٣ -٤١٥، وانظر المدخل إلى علم الدعوة ص ٤١٤.

[2] سبق تخريجه ص ٤٣٨.

أهمل، ومن أوجه نمائه: كثرة الاستعمال، إذا لم يعارضه مانع من هوى، ولا صاد من شهوة، كالذي يحصل لذوي الأسنان من الحُنكة بكثرة التجارب وممارسة الأمور[1].

ثالثا: التجديد والابتكار والابتعاد عن الجمود:

فأساليب الداعية ووسائله ينبغي أن تكون متجددة- في حدود ما يسمح به الإسلام-، لأن مرونة الدين الإسلامي تقتضي الدعوة بأسلوب العصر ولغته، وبمختلف الوسائل المشروعة التي تضمن نقل الإسلام وعرضه على الناس في أبهى صورة وأحسن وجه[2].

والتجديد له مردود طيب على نفس الداعية والمدعو على حد سواء: فالداعية الذي يجمد على طريقة واحدة في الدعوة، قد يصيبه الملل ومن ثم الفتور، أما التجديد فإنه يبعث فيه روح النشاط، ويرفع من همته خاصة إذا لاحظ الأثر الحاصل من جراء ذلك عند المدعو، والذي غالبا ما يزيده ذلك قبولا وتفاعلا، لأن التكرار والرتابة يصيبه هو نفسه بالملل، أما التجديد في عرض الدعوة، فإنه يبعث في نفسه الترقب والحماس.

كما أن مفاجأة المدعوين باستخدام الوسيلة والأسلوب غير المنتظرين، يجعلهم أقل استعدادا لمواجهة ورفض الأفكار المطروحة، كذلك يحقق إفادة أكبر من تنوع أفكار المدعوين وأهوائهم، حيث يتمكن من مس أوتار قلوبهم، حين يجد كل واحد منهم ما يميل إليه، وتفضله نفسه.

ونشاط حامل الدعوة وتجدد أساليبه، يعمل على اجتذاب وتحدي الأفراد وذكائهم وثقافة كل منهم، والتحدي هنا لا يعني المناقشة والمعركة، وإنما يعني إثارة مكامن هذه القوى لدى الأفراد، حتى يجد في ارتباطه بالدعوة صورة من صور التفوق والأمان الاجتماعي، يتضمن الاعتراف بإمكانياته وقدراته الجديرة بالاحترام[3].

ومن المهم في قضية تجديد الوسائل والأساليب الدعوية، أن يتضح للداعية الفرق بينها وبين عقيدة الإسلام ومبادئه وغاياته الثابتة، فبقدر حرصه على تعدد الوسائل والأساليب، يجب عليه أن يحرص على ثبات المبدأ ووحدة الغاية ووضوحها[4]، إلى جانب

---

[1] بتصرف، أدب الدنيا والدين ص ٢٢.

[2] بتصرف، مشكلات الدعوة والداعية ص ١٢٢.

[3] بتصرف، المعرفة في منهج القرآن الكريم دراسة في الدعوة والدعاة: صابر طعيمة ص ٧٥.

[4] هناك أمور لها قابلية التطور في الإسلام، وأمور أخرى لا تتطور بل تتحلى بالثبات، مثل: العقائد لأنها تقوم على

تنمية القدرة على الابتكار في نفسه، والتنسيق بين وسائل الدعوة وبين متغيرات المواقف والظروف الاجتماعية[1].

رابعا: موافقتها ومناسبتها لفئات الناس المختلفة:

فعلى الداعية اختيار الأسلوب والوسيلة المناسبة الصالحة للناس على اختلاف فئاتهم وثقافتهم وأزمانهم، فليس من سبيل لشد الناس إلى قبول الدعوة طالما كان أسلوب الدعوة صالحا لفئة محدودة منهم دون الأخرى، وهذه سمة مهمة من مقومات المنهج الدعوي الذي يراد سلوكه مع جمهرة مختلطة من الناس، وعدم سيطرة طريقة من القول والبيان تأتي على قدر أفهام جميع السامعين يسبب الإخفاق.

وهذه الخصيصة تمثلت في أعظم مظهر من مظاهر إعجاز القرآن، وذلك حين جاء على قدر الطاقة الإدراكية لدى كل الناس، دون أن يتسبب عن ذلك أي خلل في الأفهام، أو تضارب في المفاهيم[2].

اعتبار الشيء حقا أو باطلا، وهذا لا تطور فيه، والأخلاق الأساسية للمجتمع، فالفضائل الأساسية لا يعيش مجتمع كريم بدونها، مهما تطورت الحياة وتقدم العلم، والآداب الاجتماعية المرتبطة بالنظام العام للشريعة، كلفظ السلام فهو أدب مبني على مبدأ إشاعة السلام في المجتمع، والنظريات الأساسية للتشريع، كنظام الأسرة ونظام الجنايات ونظام السلم والحرب وغيرها ، كلها لها مبادئ عامة ثابتة في الإسلام مهما تبدلت الأوضاع والعادات. بتصرف، هذا هو الإسلام، سلسلة رسائل تبحث عن الفكرة الإسلامية الحديثة: د. مصطفى السباعي ٢/٩- ١٢، المكتب الإسلامي بيروت، ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٧٩م، وللاستفادة انظر من ص ٧- ٢٣، نفس المرجع.

[1] بتصرف، بحث بعنوان: تجديد الدعوة: د. عبد الحميد أبو سليمان ، ضمن أبحاث اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ط: ٢. وقد عبر د. السيد محمد نوح عن التجديد في وسائل الدعوة وأساليبها ب(الجمع بين الأصالة والمعاصرة)، وذلك بأن يكون التركيز في تقديم الدعوة على الأصالة: يعني الالتزام بالقيم والمبادئ الإسلامية مع المعاصرة: يعني الإفادة مما ابتكرته المدنية الحديثة في كل مناحي الحياة، في الإعلام أو في التخطيط أو في الإدارة.. الخ، وهكذا بشرط ألا يتعارض ذلك مع القيم والمبادئ الإسلامية. بتصرف، منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير من ص ٨٨ - ٨٩. وقد ذكر عدة أمثلة من السيرة مثل حفر الخندق، ومثل اتخاذه صلى الله عليه وسلم خاتما لرسائله، وللاستزادة انظر الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي: د. صلاح الصاوي ص ٣١١ وما بعدها، دار الإعلام الدولي القاهرة، ط:٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م. وانظر مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ص ٢٨٧.

[2] بتصرف، منهج تربوي فريد في القرآن ص ٢٦- ٢٧.

وتحقق الوسائل والأساليب صلاحيتها بمراعاة جانب المدعوين، ومثال ذلك: تخير الأسلوب الأمثل المناسب لدعوة الأفراد أو الجماعات، فالدعوة الفردية لها من الوسائل والأساليب ما يختلف عن الدعوة الجماعية، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (واعلم أن طريق كل أمر ما يناسبه، قال تعالى﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾، فالدعوة إلى الله، وإلى سبيله، يشمل تعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين، ويشمل النصيحة الخاصة لآحاد الناس وأفرادهم، في الأمور الدينية والدنيوية، فإذا سلك الداعي فيها طريق الحكمة، كان أقرب وأرجى لحصول مقصوده، ولهذا ينبغي تعليم كل أحد ما هو أنفع له، وبعبارة أو دلالة أقرب إلى ذهنه وفهمه... ومن الحكمة تعليم العوام وإرشادهم أن يُعَلموا ما يحتاجونه بألفاظ وعبارات مناسبة لأذهانهم، قريبة من أفهامهم... وكذلك ينبغي لأهل العلم في مجالسهم مع الناس – العامة والخاصة– أن يبحثوا بما يناسب الحال عند المناسبات من المسائل العلمية... ومما يعين المعلم والمذكر معرفة طبائع الناس وأخلاقهم والوسائل التي يؤتون من جهتها)[1].

ومما يعين على تحقيق مناسبة الوسائل والأساليب للمدعوين:

١] مراعاة المستوى العقلي والإيماني عندهم، فقد يكون المدعو جاهلا بالإسلام كلا أو بعضا، لكنه في نفس الوقت غير مجادل ولا متكبر، إنما لديه استعداد تام للمعرفة والإيمان، وقد يكون عارفا بالإسلام لكنها معرفة مشوهة محرفة، وقد يكون عارفا بالإسلام لكنه يقتصر في التطبيق على بعضه إما خوفا أو جهلا[2]، إلى غير ذلك من أحوال المدعوين مما ينتج التفاوت بينهم في المستوى الإيماني والعقلي.

ويسلتزم في الوقت ذاته من الداعية اختيار الأسلوب الأمثل والأنسب لدعوة كل واحد منهم، فيعمد إلى الأساليب الفكرية المزيلة للشبهات، أو الأساليب العاطفية المثيرة للأحاسيس الموقظة للوجدان والشعور في نفوس المدعوين، إلى غير ذلك من الأساليب.

٢] مراعاة ميول المدعوين وأهوائهم، بأن يختار الداعية الأسلوب المناسب والوسيلة الملائمة لهم، لأن تأثر الناس يختلف باختلاف هذه الأمور، فمنهم من يميل إلى الأسلوب

---

[1] باختصار، الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة من ص ٨٨– ٨٩.

[2] بتصرف، فقه الدعوة الفردية في المنهج الإسلامي: د. السيد محمد نوح من ص ٧٩ – ٨٢، دار الوفاء للنشر والطباعة المنصورة، ط:٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

القصصي، ومنهم من لا يستجيب لأسلوب الترغيب، ولا يثمر معه إلا الترهيب، وبعض المدعوين يشتاق إلى الخطبة، وهناك من يرجح فائدة الدرس على غيره، فعلى الداعية أن يكون هدفه هو إيصال رسالة الإسلام إلى المخاطبين، بصورة مؤثرة، بأي أسلوب أو وسيلة كانت، ما دامت تلائم ميولهم، حتى يحدث أسرع أثر ممكن فيهم وأعمقه وأكبره[1].

خامسا: تنوع الوسائل والأساليب:

وذلك أمر ضروري لأن التماثل يفضي إلى الرتابة، في حين يؤدي التنوع إلى التبادل والثراء، وليس هذا في شأن الدعوة فقط، وإنما في كل شأن، وقد تميل نفوس أحد الدعاة أحيانا إلى رغبة في التخصص المفرط، فيندفعون في لون من ألوان الدعوة أو النشاط، ويغفل عن ميل الناس إلى التنويع، ومللهم وضيقهم بالتكرار والرتابة، إضافة إلى أن مجال الأعمال الدعوية يخضع في وجوده وتفاعلاته إلى عدد من الأنظمة المفتوحة والظروف المتغيرة، مما يجعل التنبؤ بمستقبل أي نشاط دعوي أمرا في غاية الصعوبة، ومن ثم فإن تلوين الأنشطة وتعميمها على كل جوانب الحياة، يعد أفضل صمام أمان لاستمرارها، واقتدارها على التكيف، واستفادتها من مختلف الفرص والظروف المتقلبة[2].

والنبي صلى الله عليه وسلم هو قدوة الدعاة في هذا الجانب، إذ كان ينوع كثيرا في وسائل دعوته وأساليبها، فتراه يعمد إلى الأسلوب المباشر فيوجه كلامه للناس مباشرة أمرا أو نهيا، ويعمد إلى الإيحاء غير المباشر، ولا يغفل الوسائل النفسية فيشن حرب أعصاب على قريش ليدفعهم إلى الاستسلام، كما يعمل على إشباع غرائز المدعوين عن طريق الهبات والعطايا العظيمة... الخ.

سادسا: مراعاة الواقع:

لتفادي صدام الدعوة مع الواقع المحيط بها، فالطريق إلى سيادة الحق في العهد النبوي لم يكن بإلغائه الواقع الجاهلي، وحذفه بصفة كلية لتنزيل المثال الإسلامي منزله، بل كان بالانطلاق من ذلك الواقع، إبقاء على ما فيه من قيم الخير، ورفعا لما فيه من

---

[1] بتصرف، من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين: د. فضل إلهي ص ١٧٦ – ١٧٧، إدارة ترجمان الإسلام باكستان ط:١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

[2] بتصرف، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ص ٢٨٩ – ٢٩٠.

الفساد رفعا تدريجيا، لتحل محله أيضا بالتدريج صورة الحق، مراعاة في ذلك لما ركب في دافع الطبيعة البشرية الفردية أو الاجتماعية من سنة التشبث بالموروث، ومشقة الانقلاب الفوري من طور السلوك إلى طور آخر مناقض له.

وقد كان تنجيم نزول القرآن والتدرج في بناء الأحكام، إرشاداً إلهياً إلى هذا الأسلوب في منهجية الصراع مع الواقع الباطل، يقوم على جعل ذلك الباطل- يتدبره واستيعاب ملابساته وعلله- عنصرا أساسيا في خطة رفعه، وإحلال الحق محله[1].

سابعا: التركيز على الكليات قبل الجزئيات، وعلى الأصول قبل الفروع:

فللوسائل والأساليب أولويات من حيث الأهمية والقيمة، وعلى الداعية أن يوجهها إلى التركيز على الأمور الكلية قبل الجزئية، وألا يبدد الجهود في الجزئيات لاستئصالها أو تهذيبها، إذا كان في ذلك تعويق عن غرس معاني العقيدة في النفوس، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يرى الأصنام المحيطة ببيت الله الحرام، لكنه لم يحطمها و لم يأمر بذلك، (رغم أن إزالتها من الأمور الكلية المهمة، لكن الأولى منها تطهير القلوب)، بل كان يدعو إلى توحيد الله، وفساد عبادة هذه الأصنام- وهو أمر كلي ومن أولى المهمات- وأخَّر تحطيمها، لأن عقيدة الإسلام لم تدخل قلوب عُبادها، فلما كان يوم الفتح خرت تلك الأصنام محطمة[2].

كما ينبغي على الداعية أن يركز على الأصول قبل الفروع، فينادي بادئ ذي بدء بالدعوة إلى الإيمان بالله والتصديق برسوله، ويركز الأساليب والوسائل على هذين العنصرين، لأنهما أساس العقيدة كلها، وما بعدهما تبع لهما[3].

ثامنا: الاهتمام بكونها مثيرة لانتباه المدعو واهتمامه:

وذلك عن طريق أمور، منها:

---

[1] بتصرف، بحث بعنوان: دور الفكر الواقعي في النهضة الإسلامية: د. عبد المجيد نجار، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ضمن أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية ١٤٠٢ هـ .

[2] بتصرف أصول الدعوة ص ٤٢٥.

[3] بتصرف، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

– طرح مفاهيم جديدة على الناس، فإن ذلك يحدث إيقاظا لفكرهم وشعورهم تجاه هذا الجديد، وبالتالي النظر إليه بجدية واهتمام، ومن ذلك مفهوم المساواة الذي أعلنه نبي الله صلى الله عليه وسلم على جموع القرشيين، سواء أكان بمساواتهم أمام الله تعالى، لا يرفعهم عنده إلا تقواهم، أم المساواة بينهم في أحكام الشريعة وإقامة الحدود.

– استعمال أكبر عدد ممكن من الحواس، فالحواس إذا أثيرت وارتبطت بالدعوة تفاعلت مع الوسيلة والأسلوب بشكل أكبر[1]، وكان ذلك داعيا أكثر للاستجابة، ويظهر اثر ذلك عند التأمل في وضعه صلى الله عليه وسلم يده على رأس المدعو أو على صدره عند مخاطبته له أو الدعاء له[2].

– عن طريق التخصيص، بأن ينال المُخصص من الرعاية والاهتمام والتشريف ما ليس لغيره، كاختصاص مكة بأنها لا تغزى بعد يوم فتحها، وأنه لن يقتل قرشي صبرا بعد الفتح[3].

تاسعا: تقديرها بقدرها المناسب:

فلا تتجاوز الوسيلة أو الأسلوب القدر الملائم لتحقيقها الهدف، فيحصل تعارض بينها وبين الغاية التي استعملت لأجل بلوغها، أو تسبب انشغال للداعية عن السعي لبلوغ هذه الغاية، فالوسائل والأساليب متعددة ومتباينة، بينما الغاية واحدة وهي نيل رضوان الله تعالى بنشر دينه الذي ارتضاه لعباده.

فالجهاد مثلا من أعظم وسائل نشر الدعوة، فإذا انتفت ضرورة استعمال هذه الوسيلة، توقف الداعية عن العمل بها وانتقل إلى غيرها، والداعية الذي اهتم بتعريف المدعوين بنواقض الإيمان، وكبائر الذنوب والبدع ليجتنبوها، لا يصلح أن يطغى ذلك على تعليمه للمدعوين أصول الاعتقاد الصحيح في الكتاب والسنة، والمنهج الشرعي لعبادة الله تعالى.

عاشرا: اعتبار التدرج والمرحلية في الوسائل والأساليب:

---

[1] انظر المعرفة في منهج القرآن الكريم ص ٧٥.

[2] كفعله صلى الله عليه وسلم مع فضالة وشيبة وأبي محذورة رضي الله عنهم.

[3] وذلك بقوله صلى الله عليه وسلم :((لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة)) وقوله:((لا يقتل قرشي صبرا بعد هذا اليوم)). سبق تخريجه ص ١٣٣.

وذلك من خلال تحقيقها للأهداف المخطط لها، والذي يحدد هذه المراحل هو درجة استجابة المدعوين، فبعضهم يحتاج إلى المرور بالمراحل كلها، بينما يكفي البعض الآخر مرحلة واحدة فقط، ولتوضيح هذه الجزئية أضرب المثال التالي:

تدرج أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم ووسائله في دعوة الناس إلى عقيدة الإسلام وترسيخها في قلوبهم، فقد سار النبي صلى الله عليه وسلم على المراحل التالية:

١- مرحلة التأسيس للعقيدة السليمة:

فيؤسس العلم الصحيح في مسائل الاعتقاد، فالكافر الذي لا يعرف الشهادتين ولا يعرف خبر الرسول صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى من يوضح له ذلك، والمؤمن الذي عنده أصل الإيمان لكنه لا يعرف عقيدة الولاء والبراء، يحتاج إلى من يؤسسها له اعتقادا وسلوكا، وتعاملا مع الكفار، ومن وسائل ذلك:

- توضيح فساد العقيدة الموجودة قبل الإسلام، ومن ذلك إقرار المشركين باتخاذهم الأصنام وسيلة يتقربون بها إلى الله تعالى، كما في قوله﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ.... ﴾[1]، رغم إقرارهم بربوبية الله تعالى، وادعائهم أنهم على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وذلك بتفنيد تلك الدعوى، بإزالة الشوائب عن هذه الملة، وإظهارها نقية صافية أمامهم، كمسحه صلى الله عليه وسلم صورته المرسومة في الكعبة، والدفاع عنه، وإنكار استقسامه بالأزلام.

- تهيئة قلوبهم لقبول الاعتقاد بوحدانية الله تعالى، بعد إفراغ ما فيها من الاعتقاد الباطل، وقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله:(قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده، وهذا كما أنه في الذوات والأعيان فكذلك هو في الاعتقادات والإرادات)[2]، كأمره تعالى باجتناب عمل الشيطان وكيده، وتعليق الفلاح على ذلك: كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[3]، فالأنصاب للشرك والعبادة، والأزلام للتكهن، وطلب علم ما استأثر الله

---

[1] سورة الزمر جزء من آية ٣.

[2] الفوائد ص ٤٣.

[3] سورة المائدة آية ٩٠.

به، هذه للعلم وتلك للعمل، ودين الله تعالى القائم على التوحيد، مضاد لهذا ولهذا، والذي حاء به رسوله صلى الله عليه وسلم إبطالهما وكسرهما[1].

– إعلان وحدانية الله عز وجل، ولفت النظر إلى قدرته تعالى، وآياته في الكون، والأمر بالإيمان به تعالى﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[2]، وكذلك الأمر بتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ساعة له في مكة بقوله:((لا إله إلا الله وحده نصر عبده وهزم الأحزاب وحده))[3].

٢– مرحلة التوكيد:

وهي مرحلة عرض شرائع الإيمان على المدعوين، من صلاة وزكاة وغيره، فهذا العرض والتوكيد يرسخ الإيمان الموجود في قلب المؤمن، ويؤكد ضرورته وأهميته لغير المؤمن، ومن ذلك:

– تأكيد تولي المسلمين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم بسيرهم إلى مكة ، وتبرؤهم من الكفر وأهله، حتى لو كانوا من قرابتهم.

– كشف تفاهة الأصنام وحقارتها عقليا وواقعيا[4]، وأنها أضعف من أن تملك لنفسها نفعا أو ضرا، بتحطيمها وإزالتها من البيت الحرام.

– ثم زيادة في توكيد العقيدة ، تحريم بيعها والاستفادة منها، كما جاء ذلك صريحا في سنته صلى الله عليه وسلم[5].

٣– مرحلة الحماية:

وهي منع وقوع نواقض الإيمان، أو ما يؤدي إلى نقصه كالمعاصي بأنواعها، ومن ذلك حماية المدعوين من العودة إلى اعتقادهم الفاسد، وابتعادهم عن المنهج السوي، ذلك (أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه، لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة)[6].

ومن الأساليب والوسائل المتبعة لحماية العقيدة من الانحراف والفساد:

---

[1] بتصرف، إغاثة اللهفان ٢٠٧/١، ٢٠٩.

[2] سورة البقرة آية ١٦٣. وانظر الإيمان والحياة: د. يوسف القرضاوي ص ٢٧.

[3] سبق تخريجه ص ١٤١.

[4] بتصرف، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص ٦٠.

[5] راجع الحديث ص ٢٧٣.

[6] انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ١٤٢.

١- المسارعة إلى إزالة الأوثان الموجودة خارج مكة، وذلك بإرساله صلى الله عليه وسلم السرايا الجهادية لتحطيمها.

٢- منع الغلو في تعظيم الأشخاص[١]، بالنهي عن التعاظم بالآباء والتفاخر بالأنساب، وغيرها من صور الحمية الجاهلية، وتبيين أن الكل ينتسبون إلى أب واحد وأم واحدة، كما قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ..... ﴾[٢]، فليس لفرد أن يُعطى ما لله من صفات العظمة، بل العظمة المطلقة لله وحده تعالى، وهو القاهر فوق عباده[٣].

٣- سد الذرائع التي قد تفضي إلى الوقوع في الشرك، وذلك بإزالة بقايا رواسب الجاهلية، ومنع مشابهة أهل الباطل في باطلهم، كما حدث حين طلب مسلمة الفتح من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، وتذكيرهم بحال الأمم السابقة، وتنفيرهم من أن يقعوا في الضلالة مثلهم[٤]، فقال صلى الله عليه وسلم :((الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم))[٥].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:(فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة، والعكوف حولها ، اتخاذ إله مع الله تعالى، مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به، ودعائه والدعاء عنده)[٦].

---

[١] وقد صنف الشيخ محمد بن عبد الوهاب باب في كتاب التوحيد تحت عنوان: باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك، وذكر فيه عددا من الأحاديث التي تنهى عن مواجهته بالمدح والتعظيم المفضي إلى الغلو، وذلك حماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده، أو يضعفه من الشرك وسائله. للاستفادة انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد من ص ٥٠٤- ٥٠٦.

[٢] سورة الحجرات جزء من آية ١٣.

[٣] انظر الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ص ٤٦.

[٤] بتصرف، مرويات غزوة حنين والطائف ١/١٣٣.

[٥] سبق تخريجه ص ١٧٩، والآية في سورة الأعراف جزء من آية ١٣٨.

[٦] إغاثة اللهفان ١/ ٢٠٥.

٤- التحذير من الوقوع فيه في المستقبل، وذلك بإشارته صلى الله عليه وسلم إلى إتباعهم سنن الأولين تحذيرا لهم من اتخاذهم قدوة والسير على طريقتهم. كذلك تنبؤه صلى الله عليه وسلم بأن الشرك سيقع في أمته حتى تعبد قبائل منهم الأوثان[١].

هذا مثال في المنهج النبوي في التدرج والمرحلية في استخدام وسائل الدعوة وأساليبها، إذا أحسن الداعية استغلاله ترك أثرا أعمق في نفوس المدعوين، وأعطى ثمارا مباركة بإذن الله.

الحادي عشر: يقين الداعية بأن اتخاذ الأساليب والوسائل لا يتعارض أو يتنافى مع التوكل على الله:

بل إنها من الأسباب التي ينبغي للمسلم الأخذ بها، فالاستعداد والتأهب عند مجاهدة الأعداء وإعداد العدة المادية بشكل متكامل، مما أمر به المسلم، وهو من الأسباب الجالبة للنصر بإذن الله تعالى، ولا منافاة بينها وبين التوكل، فالمجاهد في سبيل الله، مأمور بأن يعد ما استطاع من عُدَّة القتال وأسباب القوة، كما قال تعالى﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ .... ﴾[٢].

كما أنه مأمور بالتوكل على الله، واعتقاد أن النصر بيد الله تعالى لا بفضل حسن إعداده، كما قال تعالى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ .... ﴾[٣]، وقوله: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[٤]، فهو يجيء إذا شاء تعالى لعباده المؤمنين﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾[٥]، والداعية مأمور بسلوك الأساليب المتعددة، واستخدام الوسائل المتنوعة للدعوة إلى الله.

لأنه مأمور ابتداء بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٦]، وهو

---

[١] انظر فتح المجيد ص ٢٧٣.

[٢] سورة الأنفال جزء من آية ٦٠.

[٣] سورة الأنفال جزء من آية ١٧.

[٤] سورة آل عمران جزء من آية ١٢٦.

[٥] سورة النصر آية ١.

[٦] سورة الأحزاب آية ٢١.

صلى الله عليه وسلم المأمور بقوله تعالى﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ..... ﴾[1]، ولم يتعارض مع توكله أخذه بجميع السبل الموصلة إلى الحق، لأنه صلى الله عليه وسلم علم أن الهداية من عند الله رب العالمين﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[2].

هذه بعض المعايير والمقومات التي تزيد- إن شاء الله- من أهمية وفعالية الوسائل والأساليب الدعوية، التي يلتقي فيها الأسلوب بالوسيلة ويشتركان فيها.

وكما يحدث بين الوسائل والأساليب تقارب والتقاء، فإنه في الوقت ذاته يحدث اختلاف وافتراق بينهما، في الاصطلاح[3]، فالأسلوب هو: الطريق أو المذهب أو الكيفية التي يبلغ بها الداعية دين الله، أما الوسائل فهي: الأمور التي يستعين بها الداعي لسلوك هذا الطريق، ولتحقيق هذا التبليغ[4].

ومن خلال المبحثين التاليين يظهر استنباط الدروس الدعوية المتعلقة بكل منهما من خلال غزوة فتح مكة:

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة.

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة.

---

[1] سورة الشورى جزء من آية ١٥.

[2] سورة يونس آية ٩٩.

[3] بعد الإطلاع على ما أتيح لي من المؤلفات المتعلقة بموضوع الدعوة، ما يتعلق بالوسائل والأساليب الدعوية، لم أقف -حسب إمكاناتي- على صيغة موحدة اتفق عليها الجميع في تقسيم وتصنيف الوسائل والأساليب أو إيجاد حد فاصل بينهما، وذلك لاختلاف وجهات النظر، فعلى سبيل المثال: يرى بعض المؤلفين أن الدعوة بالسيرة الحسنة، وسيلة من وسائل الدعوة (أصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان و الدعوة إلى الله : د. توفيق الواعي)، بينما يصنفها البعض الآخر كأسلوب من أساليب الدعوة(المدخل إلى علم الدعوة: د. محمد البيانوني)، كذلك هناك من صنف القصة والشعر وضرب الأمثال ضمن أساليب الدعوة (الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب: محمد خير يوسف، وأصول التربية الإسلامية: عبد الرحمن النحلاوي) بينما صنفت في مؤلف آخر ضمن الوسائل(الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب: د. أحمد غلوش) .. الخ، ولكل وجهة نظر وكما يقال : لا مشاحة في الاصطلاح، فبعض الوسائل تصح أن تكون من الأساليب والعكس، كالجهاد فهو كيفية وطريقة من طرق نشر الإسلام، وفي ذات الوقت هو وسيلة توصل بها الداعية إلى نشر الدين وتبليغه للناس، وهذا وما رجحته في هذا البحث.

[4] بتصرف، فقه الدعوة إلى الله ٢١٥/١.

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة.

توطئة:

الوسائل: جمع وسيلة، وهي لغة: المنزلة والدرجة والقرابة[1]، والوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير[2]، وعن حديث الأذان: (اللهم آت محمدا الوسيلة).

وهي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء، ويتقرب به، والمراد في الحديث: القرب من الله. وقيل: هي الشفاعة، وقيل: هي منزلة من منازل الجنة[3].

والوسيلة في اصطلاح علم الدعوة: هي ما يستعين به الداعي من أشياء وأمور ، ويتوصل به إلى تطبيق أساليب الدعوة ومناهجها من أمور معنوية أو مادية[4].

وقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم العديد من الوسائل الدعوية، مباشرة مع أهل مكة كالخطبة، وإزالة الرموز الشركية، أو بشكل غير مباشر، كاستخدام وسيلة الكتابة، أو الجهاد أو شن الحرب النفسية عليهم، ومن التأمل في أحداث الفتح تستنبط وسائل عديدة متنوعة[5]، أذكرها تبعا للتصنيف الآتي:

المطلب الأول: الوسائل القولية: وهي الوسائل التي يستعين بها الداعية على دعوته، مما يستخدم فيه القول: الخطابة، والشعر، والاتصال الشخصي، والكتابة، والأذان.

المطلب الثاني: الوسائل الحسية: وهي الوسائل التي يستعين بها الداعية على دعوته من الأمور الحسية أو المشاهدة: كالجهاد، والإصلاح البيئي.

المطلب الثالث: الوسائل المعنوية: وهي الوسائل التي يستعين بها الداعية في دعوته من أمور معنوية كالحرب النفسية، والهجر، والإكراه[6].

---

[1] تاج العروس فصل الواو باب اللام ٨/ ١٥٤.

[2] الصحاح فصل الواو من باب اللام ١٨٤١/٥.

[3] بتصرف، النهاية في غريب الحديث ١٨٥/٥.

[4] بتصرف، أصول الدعوة ص ٤١١، وانظر المدخل إلى علم الدعوة ص ٤٩.

[5] هذا الفصل ليس حصرا لكل وسائل الدعوة وأساليبها التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم، لتعذر ذلك، بل هي ذكر نماذج مختارة منها، وتجاوزت الأساليب التي كانت ملازمة له في كل أموره، كالحكمة، فقد كان صلى الله عليه وسلم متحليا بها في كل أحواله التي وردت في هذه الغزوة- وغيرها-، وكذلك أسلوب الموعظة الحسنة، فقد كان صلى الله عليه وسلم محسنا وواعظا في كل ما ينطق به، وقد اقتصرت على أبرز ما استخدمه من الوسائل والأساليب في الفتح.

[6] للاستفادة انظر المدخل إلى علم الدعوة من ص ٢٨٢- ٢٨٤.

المطلب الأول: الوسائل القولية.

والدعوة إلى الله بهذه الوسائل هي الأصل في التبليغ، لأن القرآن هو قول الله تعالى، نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان تبليغه صلى الله عليه وسلم لرسالة ربه في غالبه قولا، وقد تعددت الآيات الكريمة التي تبدأ بكلمة: ﴿ قُلْ ﴾ ، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾[1][2]، فهو جهاد في سبيل الله باللسان وبالكلمة، وعليه قامت الدعوة الإسلامية، شأن الأديان السماوية السابقة، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ.... ﴾[3]، وقد استمر النبي صلى الله عليه وسلم يجاهد أهل مكة على مدى ثلاث عشرة سنة حتى هاجر إلى المدينة.

والدعوة إلى الله بالقول من أحسن ما يقدمه المسلم مع العمل الصالح، لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[4] [5].

ومن الوسائل الدعوية القولية:

١- الاتصال المباشر، أو الدعوة الفردية:

وذلك بأن يعرض الداعية دعوته على شخص واحد أو عدة أشخاص، من خلال اللقاء والاحتكاك المباشر بهم، سواء كان هذا اللقاء مقصودا أو غير مقصود[6].

ومن الملاحظ في الواقع، أنه على الرغم من تطور وسائل الاتصال في العصر الحديث التي تستخدم في بث الأفكار والدعوة لمبدأ ما، فإن الاتصال المباشر عن طريق

---

[1] سورة الأعراف جزء من آية ١٥٨.

[2] بتصرف، أصول الدعوة ص ٤٧٠.

[3] سورة آل عمران جزء من آية ١٨٧.

[4] سورة فصلت آية ٣٣.

[5] انظر فقه الدعوة إلى الله من ص ١٦٣- ١٦٥.

[6] وعرفها د.السيد محمد نوح بأنها: (التوجه بالدعوة أو بالخطاب إلى المدعو على انفراد، أو مع جمع قليل من الناس، لهم صفة الخصوص دون العموم)، فقه الدعوة الفردية في المنهج الإسلامي ص ٣٥، وانظر كيف ندعو الناس ص ٢٣.

اللغة والصلة الشخصية، لا تزال هي الوسيلة الأقوى، والأساس لتبليغ أي دعوة، لأن اللغة من أهم طرق التفاعل الاجتماعي بين الأفراد[1].

وقد كانت الدعوة الفردية أو الصلة الشخصية، هي الوسيلة الأساس التي دعا بها النبي صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية بشكل خاص، مع أفراد أسرته وأصحابه، و لم يتركها حتى توفاه الله تعالى[2].

والمتتبع للنصوص المروية في غزوة الفتح والتي ورد فيها لقاء النبي صلى الله عليه وسلم بشخص ما أو عدة أشخاص، يلحظ حسن استغلاله صلى الله عليه وسلم لهذه اللقاءات وذلك لمصلحة الدعوة، ومن أمثلة ذلك: دعوته لأبي سفيان رضي الله عنه، ودعوته لفضالة رضي الله عنه بعد عزمه على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعوته لأبي قحافة رضي الله عنه ثم توجيهه إلى سنة تغيير الشيب بالحناء،.. إلى غير ذلك من أشكال دعوته للناس الذين توسم فيهم الخير والرغبة في الإسلام.

وتعظم فائدة هذه الوسيلة، إذا توافر لدى الداعية الصفات الحميدة اللائقة، مثل أن يكون الداعية ذا شخصية محبوبة وذا خلق كريم فاضل، ورحابة صدر، وبشاشة وجه وسعة إطلاع، إلى غير ذلك من الصفات التي تستحوذ على المدعوين، وتعلق قلوبهم وأسماعهم بالداعية وتقوي علاقتهم به[3]، مع الاجتهاد في الإخلاص وصدق الله تعالى فيه.

مميزات وسيلة الدعوة الفردية أو الاتصال الشخصي المباشر:

١- سهولتها ويسرها، فيستطيع القيام بها كل من احتسب أجر أمانة التبليغ، واتباع قوله صلى الله عليه وسلم:((بلغوا عني ولو آية))[4]، فلا تحتاج إلى إعداد مسبق أو

---

[1] بتصرف، القيادة وديناميكية الجماعات: جوم بوهلن وآخرين، ترجمة: محمد علي العريان، وإبراهيم خليل شهاب ص ٧٨، المكتبة الأنجلو مصرية ط: بدون ١٩٦٩م.

[2] انظر الإعلام الإسلامي في المرحلة الشفهية د. إبراهيم إمام من ص ٥١- ٥٢ نقله محمد خير يوسف في كتابه الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، وانظر الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب: محمد خير رمضان يوسف ص ٧٠، دار طويق للنشر والتوزيع الرياض، ط:٢، ١٤١٤هـ.

[3] بتصرف، أسس الدعوة وآداب الدعاة ص ٢٤.

[4] صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٤٥/٤.

تهيئة خاصة، وذلك يحرر الداعية من قيود التوتر والتحفز الذهني الذي يرافق الوسائل القولية التي يسبقها الإعداد كالخطابة والمحاضرة[1].

٢- كثرة حدوثها مع دوام إمكانياتها، حتى أوقات الشدائد، وفي أحلك الظروف التي تمر بها الدعوة، لأن يد الكفر والظلم المضادة للحق، تعجز عن السيطرة عليها ومنعها[2].

٣- لها أثر قوي على المدعو، لأنها تتميز بالتركيز على المدعو واختصاصه بالتأثير فيه، مما يعطي فرصة أكبر للنجاح وقدرة على إيصال الدعوة للمدعو، فإذا كانت هناك رغبة من الداعية في تغيير اتجاهات أو سلوك المدعو، فإن الاتصال المتبادل بين الطرفين في المناقشات الرسمية وغير الرسمية أكثر فاعلية من إلقاء المحاضرات ، أو الأوامر المباشرة من سلطة عليا[3].

٤- أن هذا الاتصال بين الداعية والمدعو يمكن الداعية من الوقوف على مشاكل المدعو وأوضاعه، ويسهل عليه بالتالي عملية التشخيص والتوجيه والمعالجة، لأنه يلامس العلة ذاتها، ويعالج الداء نفسه[4]، وهذا من شأنه أن ينشئ الصداقة والمودة ويقوي الروابط الأخوية بين المدعو والداعية، لما في ذلك من مشاركة في المشاعر والأفكار.

٥-أنها تتيح للمدعو فرصة الاستفسار عن كل ما يخطر على ذهنه من تساؤلات أو شكوك[5].

وقد انتشرت الدعوة الإسلامية في أصقاع الأرض بفضل الله ثم بفضل هذه الوسيلة، حيث قام بها آحاد المسلمين وذلك بمخالطتهم أصحاب الديانات الباطلة وتألفهم، ودعوتهم بالبرهان والحجة، وبتخلقهم بأخلاق القرآن[6].

---

[1] بتصرف، كيف ندعو الناس: عبد البديع صقر ص ٢٣، دار الاعتصام القاهرة، ط:٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

[2] المرجع السابق ص ٢٤.

[3] بتصرف، القيادة وديناميكية الجماعات ص ٧٩.

[4] بتصرف، فقه الدعوة الفردية ص ٤٦.

[5] انظر فقه الدعوة الفردية ص ٤٢، وانظر كيف ندعو الناس ص ٢٤. ويقول د. إبراهيم إمام في هذا الصدد: وهو اتصال ناجح في الإقناع، لأنه يتسم بالحوار وتبادل الأفكار ودحض الحجج والبراهين، حتى يصل إلى ذروة الإقناع، كما أن قياس رجع الصدى يتيسر بطريقة مباشرة، كما أن الاتصال الشخصي يتسم بالألفة ورفع الكلفة، وتبادل المصلحة وتحقيق التعارف، فلم يكن غريبا أن تكون وسيلة النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة في المرحلة السرية وكذلك في لمرحلة العلنية. بتصرف، الإعلام الإسلامي والمرحلة الشفهية من ص ٥١- ٥٢ نقله مؤلف كتاب الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب ص ١٠.

[6] للاستفادة انظر الدعوة إلى الإسلام: الشيخ محمد أبو زهرة من ص ٨٩- ٩٦.

ثانيا: الخطابة:

وهي: فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية، لإقناعهم بهدف سام، ودفعهم واستمالتهم لتحقيق هذا الهدف[1].

وهي من الوسائل البارزة من وسائل الدعوة وبها بدأ النبي صلى الله عليه وسلم نذارته لأهل مكة، حين أمره الله تعالى أن يصدع بالدعوة فخطب على الصفا (فهتف: يا صباحاه. فقالوا : من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: ((أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟)) قالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال:((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد))[2].

وبها أعلن حكمه لمكة وانضواءها تحت لواء الإسلام، وأعلن وحدانية الله تعالى وتحكيم شرعه على الملأ.

وقد تعددت خطبه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، فكانت مشاعل هداية للناس، فقد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، كما أوتي الحكمة، ومن خلال خطبه صلى الله عليه وسلم يستنبط الدعاة مقومات وخصائص الخطب الناجحة، ومن ذلك:

١- مراعاة الكلام لمقتضى الحال: فيتوسم الداعية حال السامعين، ليعرف مبلغ طاقتهم وقدر استحقاقهم وإقبالهم على الانتفاع ليعطيهم ما يتحملون، ويمسك عما لا يطيقون، ويوجز إذا خشي الملالة والانصراف[3]، وقد روى جابر بن سمرة [4]رضي الله عنه قال: (كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت صلاته قصدا وخطبته

---

[1] بتصرف، الخطابة في موكب الدعوة: محمود محمد عمارة ص ٩، دار الخير بيروت- دمشق، ط:١، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، وانظر الدعوة والخطابة: علي عبد العظيم ص ١٠ دار الاعتصام القاهرة، ط: ١، ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩ م.

[2] صحيح البخاري كتاب التفسير باب سورة تبت يدا أبي لهب وتب ٩٤/٦ واللفظ له، وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب في قوله تعالى﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ١٩٤/١ ح ٢٠٧.

[3] بتصرف، هداية المرشدين ص ١٢١. وانظر الدعوة الخطابة علي عبد العظيم من ص ٤٢- ٥٢

[4] هو جابر بن سَمُرة بن جُنادة بن جُندب العامري السُّوائي، حليف بني زهرة، أمه خالدة بنت أبي وقاص أخت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، شهد فتح المدائن ونزل الكوفة، توفي رضي الله عنه في ولاية بشر على العراق سنة ٧٤. بتصرف، سير أعلام النبلاء ١٨٦/٣، و الإصابة ٢١٢/١.

قصدا)[1]، كما اعتبر صلى الله عليه وسلم قصر خطبة الرجل من علامات فقه الرجل، فقال:((إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته، مَئِنَّةٌ[2] من فقهه، فأطيلوا الصلاة، اقصروا الخطبة))[3]، وذلك بأن يوجز الخطبة مع الاستيعاب لجميع عناصرها.

كما كان صلى الله عليه وسلم يأمر في خطبته بمقتضى حال المدعوين، فتجده لما سأله عمه العباس رضي الله عنه أن يبيح لهم الإذخر، وبين له حاجة الناس واضطرارهم إليه، قال :((إلا الإذخر))، ولما سأله أبو شاه أن يكتب له الخطبة ليحملها معه إلى قومه، أمر الصحابة أن يكتبوا له، وقال: ((اكتبوا لأبي شاه))[4].

٢- التفاعل الصادق المخلص أثناء الخطابة[5] فإن هذا مما يثير المشاعر النفسية عند المدعوين، ويلفت أنظارهم، ويجذب انتباههم، إضافة إلى المشاركة الوجدانية من الداعية مع المدعوين، وبيان تأثره بكل ما يتحدث به إليهم[6]، وقد ورد عنه أنه كان إذا خطب وأنذر بيوم القيامة احمر وجهه وعلا صوته كأنه منذر جيش، كما روى الإمام مسلم رحمه الله: (كان إذا خطب، احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم مساكم)[7]، وهذه الهيئة الخطابية مما يدل على صدقه صلى الله عليه وسلم وابتعاده عن التصنع والتكلف.

---

[1] صحيح مسلم كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩١ ح ٨٦٦، وسنن النسائي في صلاة العيدين باب القصد في الخطبة ٣/١٩١ ح ١٥٨٢.

[2] أي علامة. صحيح مسلم بشرح النووي ٦/١٥٨.

[3] صحيح مسلم كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩٤ ح ٨٦٩.

[4] سبق تخريجه ص ١٤٥.

[5] انظر الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٤٢٠ و ص ٤٢١.

[6] بتصرف، المنهج الدعوي في أصول المحاضرة الدعوية، بحث تأصيلي بين التجربة الميدانية والدراسة النظرية: هشام يوسف محمد بنان ص ٢٦١، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة ط:١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

[7] كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩٢ ح ٨٦٧، رواه النسائي في سننه كتاب صلاة العيدين باب كيف الخطبة للعيدين ٣/ ١٨٨ ح ١٥٧٨ وقال: (كان إذا ذكر الساعة) وكذلك رواه الإمام احمد في مسنده عن ابن الزبير ١/١٦٧.

٣- الوضوح: وهذا يعني اختيار الألفاظ المفهومة والعبارات السهلة، مع مراعاة مستوى السامعين الثقافي والتيسير عليهم، وتفصيل المجمل من الكلام وتوضيحه[١]، فيكون حديثه واضحا بينا، يفهمه السامعون، ولا ينتقل من فكرة أو من عنصر إلى آخر، إلا وهو متأكد من استيعابهم له ما أمكن، مع مراعاة الفروق الفردية في القدرة على الاستيعاب، وذلك بأن ينوع في طرق العرض، وأساليب الكلام، لتوضيح مقصده كالتكرار والتأني في الكلام، ويراعي حسن النطق، وتجويد الكلمات والحروف[٢].

٤- تميزت خطبه صلى الله عليه وسلم باشتمالها على عناصر الخطبة الجيدة[٣]، مثل تقسيمها إلى عناصر وأفكار رئيسية، فيبتدئ بالبداية الملائمة ثم يذكر ما يريد ثم ينهي بالخاتمة الملائمة، لأن الخطبة تحتاج إلى مقدمة تهيئ أذهان المدعوين لسماعها، ومما كان يبدأ به صلى الله عليه وسلم حمد الله تعالى والثناء عليه والتشهد، ثم يعرض الموضوع ويفصله تفصيلا مناسبا.

وفي خطب الفتح اشتملت خطبه على العديد من التشريعات المهمة والتذكير بالله تعالى، والموعظة الحسنة وغير ذلك من العناصر، ثم ختمها بما يؤكد عرضه ومما ختم به خطبته يوم الفتح، تكليفه السامعين بحمل أمانة التبليغ لمن وراءهم بقوله: ((وليبلغ الشاهد الغائب))[٤].

٥- التنويع فيها تبعا لموضوعها، ومراعاة لحال المستمعين، فإذا كان المدعوون بحاجة إلى التخويف والترهيب، ذكرهم بعذاب الله، وإن رأى فيهم يأسا وقنوطا ووجلا شديدا، ذكرهم بعظيم رحمة الله وسعة رحمته وأشاع في قلوبهم ما يطمئنهم وينيب قلوبهم، كما فعل صلى الله عليه وسلم في أول خطبة له في مكة، حين أعطى الأمان لقريش، وقال:((اذهبوا فأنتم الطلقاء))[٥].

٦- استغلال هذه الوسيلة تربويا، فعند تأمل موقفه صلى الله عليه وسلم مع قضية المرأة المخزومية التي استشفع لها أسامة رضي الله عنه ، يتبين له دور الخطبة في التربية، فقد

---

[١] بتصرف، الدعوة والخطابة: علي عبد العظيم ص ٤٥.

[٢] انظر المنهج الدعوي في المحاضرة الدعوية ص ٢٥١- ٢٥٥.

[٣] للاستفادة انظر الدعوة والخطابة من ص ٥٦- ٦١.

[٤] سبق تخريجه ص ١٤٤.

[٥] سبق تخريجه ص ١٤٢.

أنكر صلى الله عليه وسلم على أسامة شفاعته قائلا: أتشفع في حد من حدود الله. ثم لم يكتف بهذا الاستفهام المشبع بالمرارة واللوم لكنه بادر في عشية ذلك اليوم دون تأجيل وجمع القوم ووقف فيهم خطيبا وقال: أما بعد، فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت ، لقطعت يدها))[1].

٧- استعمال العوامل الموقظة لعقول السامعين، والمثيرة لحماسهم واهتمامهم، ومن ذلك توجيه الأسئلة للمخاطبين، فذلك يهيئ أنفسهم للاستجابة والانقياد،- حيث أن المسئول غالبا في موقف أضعف من السائل- وهذا الشعور يحتاجه الخطيب ليعي الناس كلامه وما يهدف إليه[2]، وذلك كسؤال النبي صلى الله عليه وسلم لقريش: ((ما ترون أني فاعل بكم؟)).

٨- استخدام الأساليب البلاغية، مثل التوافق في تقسيم الجمل، كقوله صلى الله عليه وسلم :((تؤخذ صدقاتهم في ديارهم، ويجير على المسلمين أدناهم، ويرد على المسلمين أقصاهم))[3].

واستخدام أسلوب التأكيد، كقوله صلى الله عليه وسلم:((لقد قتلتم قتيلا لأدينَّه))[4].

وكذلك استخدامه القسم في قوله:((والذي نفس محمد بيده))[5] مع المبالغة إلى جانب التأكيد على إقامة الحدود، بأن ذلك لو وقع من فاطمة رضي الله عنها- وهي أبعد الناس عن ذلك- لأقام عليها الحد.

استخدام أسلوب المقابلة، فذكر في خطبته الشريف ثم ذكر الضعيف، وذكر البر التقي الكريم على الله ، ثم ذكر الفاجر الشقي الهين على الله.

---

[1] سبق تخريجه ص ١٦٠.

[2] بتصرف، بحث بعنوان: البلاغة والنبوية وأثرها في النفوس: د. حسن جاد ص ١٥٧، مجلة البحوث الإسلامية المجلد الثاني العدد الأول ١٤٠٠.

[3] سبق تخريجه ص ١٤٣.

[4] سبق تخريجه ص ١٤٦.

[5] سبق تخريجه ص ١٦٠.

إلى غير ذلك من المزايا التي ساعدت على إنجاح هذه الوسيلة، مما جعلها ذات آثار مباركة في تبليغ الدعوة.

وقد اتخذ أصحابه من بعده وسيلة الخطابة لإصلاح الناس ولقطع دابر الفتن[1]، فهذا سهيل بن عمرو رضي الله عنه، لما بلغته وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وساورت أهل مكة الشكوك، وفكروا في الارتداد عن الإسلام، قام رضي الله عنه خطيبا فيهم وقال: من كان يعبد محمدا، فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت[2]. فحفظ الله تعالى أهل مكة من الارتداد وثبتوا على دين الحق.

ثالثا: الشعر:

وهو من الوسائل الدعوية الإعلامية المشروعة لنصرة الحق والدفاع عن النفس ونصرة المظلوم، وهو جهاد بالكلمة، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما، يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :((إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم))[3].

وللشعر مكانة عظيمة ومنزلة كبيرة عند العرب، لأنه ديوان مآثرهم وسجل مفاخرهم، وما من حرب تقوم بينهم إلا هاجها الشعر وسجل أحداثها، ولما جاء الإسلام مخالفا للعرب في عقائدهم وعاداتهم الباطلة، اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر سلاحا يرد به كيد أعدائه ويناضل عنه، وسلط على الأعداء أشعر أصحابه[4]، مثل حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك وغيرهم -رضي الله عنهم أجمعين- ممن

---

[1] انظر أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان من ص ٤٧٤ - ٤٧٦. وللاستفادة انظر الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها من ص ٤١٩- ٤٢٢، وكيف ندعو الناس من ص ٤٤- ٦٠.

[2] سبق تخريجه ص ٥٦٢.

[3] رواه الترمذي في سننه كتاب الأدب باب ما جاء في إنشاد الشعر ٥/ ١٣٤ ح ٢٨٤٦. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب .

[4] انظر الحرية الإعلامية في ضوء الإسلام: د. سعيد بن علي ثابت من ص ١٢٥- ١٢٦، دار عالم الكتب للطباعة والنشر الرياض، ط:٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، وانظر الدعوة الإسلامية الوسائل الأساليب ص ٩٦.

استثناهم الله تعالى في قوله: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1].

وسليقة العرب الشعرية الفطرية وفصاحتهم جعلتهم كثيرا ما يصوغون كلامهم شعرا، فهذا عمرو بن سالم رضي الله عنه يقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتظلم ويشكو غدر بني بكر وقريش، ومما قاله:

يا رب إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا

فانصر رسول الله نصرا أبدا وادع عباد الله يأتوا مددا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا وجعلوا لي في كداء رصدا

هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا[2]

ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالتهيؤ والاستعداد للقتال، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه شعرا يحرض الناس فيه ويذكرهم بمصاب رجال خزاعة ومما قاله:

ألا ليتَ شعرِي هَلْ تَنَالنَّ نُصْرَتِي سُهَيل بن عمرٍو حَرُّها وعِقابها[3]

وهذا أبو سفيان بن الحارث رضي الله عنه من شعراء قريش وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يسل سيف شعره لهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لما أراد الله تعالى له الخير أسلم فأنشد شعرا يعتذر فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما بدر منه، ومنه قوله:

---

[1] سورة الشعراء الآيات ٢٢٤- ٢٢٧. وقد قيل في سبب نزولها: إنها نزلت في الصحابة المذكورين واعترض الحافظ ابن كثير لأن السورة مكية، فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الأنصار ، فهذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم، انظر تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٨٦.

[2] سبق تخريجه ص ١٠١.

[3] انظر القصيدة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/ ١٥. ورويت حربها وعقابها، أو وخزها وعقابها، والوخز : الطعن.

لعمرك إنـــي يوم أحمـــــــل رايـــــــة لتغلب خيل اللات خيل محمد

لكالمـــــــــــدلج الحيران أظـــــلم لـــــيله فهذا أوان الحق أهدي وأهتدي

هداني هاد من غير نفسي ودلني إلى الله من طرَّدت كل مطرَّد[1]

ومما سجله التاريخ من الشعر الذي قيل في الفتح، قول حسان رضي الله عنه :

عَدِمْنا خَيْلَنا إنْ لَمْ تَرَوْها تُثِيرُ النَّـــــقْعَ مَوْعِـــــــدها كَدَاءُ[2]

يُنازِعْنَ الأعِنَّة مُصْغِيـــاتٍ على أكتَافِها الأَسَلُ الظِّماءُ[3]

تَظلُّ جِيَادُنـــا مُتَمـــــطِّراتٍ يُلَطِّمـــُهنَّ بالخُمُرِ الـــنِّســـــــــاءُ[4]

فإمَّا تُعرِضوا عَنَّا اعْتمَرْنا وكانَ الفَتحُ وانْكشَف الغِطَاءُ[5]

وإلاَّ فاصْبرُوا لجِـــلادِ يومٍ يُعـــــينُ اللهُ فِيـــــــه مَـــن يشـــــــاءُ[6]

وقيل إنه قالها قبل الفتح، وروى الإمام الزهري أنه قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل، تبسم إلى أبي بكر لصدق وصف حسان[7].

مميزات وسيلة الشعر:

وتظهر ميزة الشعر أنه يمكن استخدامه في الجانبين الترغيب والتأليف، وفي والترهيب والتنفير، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أثر الشعر في تأليف القلوب وتنفيرها: إن ذلك الأثر يحصل بالحقائق كما قد يحصل بالمتوهمات، ولهذا يؤثر

---

[1] سبق تخريجه ص ١١٤.

[2] النقع: الغبار . حاشية سيرة النبي صلى الله عليه وسلم :ابن هشام ٤/٤٤.

[3] ينازعن : يروى في مكانه يبارين، والمراد الخيل تجاري الأعنة. الأسل: الرماح. والظماء: العطـــاش. المرجـــع السابق.

[4] متمطرات: ذاهبة مسرعة يسبق بعضها بعضا، والخمر: جمع خمار، وقد روي أن نساء مكة يوم الفتح ظللـــن يضربن بخمرهن وجوه الخيل ليرددنها. المرجع السابق.

[5] اعتمرنا: أدينا مناسك العمرة، وانكشف الغطاء: ظهر ما كان خافيا. المرجع السابق.

[6] الجلاد : المضاربة بالسيوف، وروي يعز الله. المرجع السابق.

[7] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤/٤٦، وانظر القصيدة من ص ٤٣- ٤٦.

قول الشعر في التأليف والتنفير، بحيث يحرك في النفوس شهوة ونفرة تحريكا عظيما، وإن لم يكن الكلام منطبقا على الحق لكن لأجل التخييل والتمثيل.

وإذا كان الناطق لم يعن إلا الحق، صار ذلك موهما للمستمع توهما يؤلفه تأليفا يحبه الله ورسوله، بمنزلة تأليفه وتنفيره بالأشعار التي فيها تخييل وتمثيل[1].

ويمكن استخدام الشعر كوسيلة من الوسائل المؤثرة في إثارة الغضب لله تعالى، وفي إشعال الحماسة للجهاد والدعوة في قلوب المؤمنين، وفي الدفاع عن الإسلام، والرد على كيد أعدائه.

واستخدم الشعر كذلك في حفظ المآثر الإسلامية، وفي تقييد العلوم الإسلامية على هيئة متون مختصرة شاملة، تعين على الحفظ مثل ألفية ابن مالك في اللغة العربية، والرحبية في علم الفرائض، والقصيدة النونية في العقيدة، والسبل السوية في السنن، وغيرها كثير.

رابعا: المناداة أو النداء:

وهي رفع الصوت بالأنباء المهمة، والمقصود منها إسماع الناس وإشعارهم بالأحداث المهمة، وهي نوعان:

١-مناداة عامة ٢- مناداة خاصة.

١ـ المناداة العامة:

وهي إشعار الناس بالأحداث المهمة المستجدة وهذه الوسيلة كانت معروفة من قديم الزمان، وتتميز هذه الوسيلة بقابليتها للتطور، فهي الآن تستخدم بمكبرات الصوت، وتكون كذلك بالصوت العادي، كما يرى من نداء رجال الحسبة بحلول وقت الصلاة، وأمر الناس والتوجه للصلاة، أو كما يحدث في بعض البلاد الإسلامية، حين يجوب بعض الناس الأحياء في شهر رمضان لتنبيه الناس إلى وقت السحور[2].

---

[1] بتصرف، الفتاوى: ابن تيمية ٢٨/ ٦٥٠ و ١٦٢.

[2] بتصرف، الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب ص ٢٢- ٢٣.

وفي غزوة الفتح استخدم النبي صلى الله عليه وسلم وسيلة المناداة وبعث مناديه يقول في الناس: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يتركن في بيته صنما إلا كسره أو حرقه، وثمنه حرام)[1].

٢ـ المناداة الخاصة: وهو الأذان:

وهو:(إعلام بدخول وقت الصلاة أو قربه بذكر مخصوص)[2]، وبه يحصل الدعاء إلى الجماعة وإظهار الشعائر الإسلامية.

وهو على قلة ألفاظه مشتمل على مسائل العقيدة، وإثبات الألوهية لله تعالى، وإثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وفيه دعاء للطاعة[3].

وقد عُرف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أربعة مؤذنين، اثنان بالمدينة بلال بن رباح، وهو أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن أم مكتوم القرشي[4]، وبقباء سعد القَرَظ[5] مولى عمار بن ياسر، وبمكة أبو محذورة[6] رضي الله عن الصحابة أجمعين.

---

[1] المغازي: الواقدي ٢/٨٧١. (يراجع تخريج الحديث ودرجة صحته)

[2] الروض المربع شرح زاد المستقنع ص ٣٩.

[3] بتصرف، فقه السنة سيد سابق ١/ ٩٤. قال ابن العربي: فائدة الأذان متعددة: منها الإعلام بالصلاة بذكر الله وتوحيده، وتصديق رسوله، وتجديد التوحيد، وطرد الشيطان. وقال القاضي عياض: اعلم أن الأذان كلمات جامعة لعقيدة الإيمان، فابتدأ بإثبات الذات بقوله الله وما يستحقه من الكمال ، والتنزيه عن أضدادها، المضمنة تحت قوله: الله أكبر، فإن هذه اللفظة على قلة كلمها، واختصار صيغتها، مشعرة بما قلناه لمتأمله، ثم صرح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا عليه الصلاة والسلام، ورسالته لهداية الخلق، ودعائهم إلى الله تعالى، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات فصرح بالصلاة ورتبها بعد إثبات النبوة، إذ معرفة وجوبها من جهته صلى الله عليه وسلم لا من جهة العقل، ثم دعا إلى الفلاح، وهو الفوز والبقاء في النعيم المقيم، وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء. بتصرف، حاشية الحافظ السيوطي على سنن النسائي ٢/٨.

[4] هو عمرو بن أم مكتوم –وقيل: اسمه عبد الله– بن قيس بن زائدة بن الأصم القرشي، أسلم قديما بمكة، وكان من المهاجرين الأولين، كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخلفه في عامة غزواته، خرج إلى القادسية فشهد القتال واستشهد هنا، وقيل بل رجع للمدينة رضي الله عنه . بتصرف، الإصابة ٢/٥٢٣.

[5] هو سعد بن عائذ المؤذن، قيل له سعد القَرَظ، لأنه كان كلما تاجر في شيء وضع فيه، فتاجر في القرظ(وهو ورق السَّلَم، انظر النهاية ٤/٤٣)، فربح، فلزم التجارة فيه، جعله النبي صلى الله عليه وسلم مؤذنا بقباء، ولما مات وترك بلال الأذان، نقله أبو بكر رضي الله عنه إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل يؤذن فيه إلى أن مات، وتوارث عنه بنوه الأذان فيه إلى زمن الإمام مالك وبعده. بتصرف، الاستيعاب ٢/٥٤.

[6] بتصرف، زاد المعاد ١/ ١٢٤.

ومن مميزات هذه الوسيلة:

١- أنها وسيلة تميز بها المسلمون عن غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، فالبلد الذي يرتفع فيه صوت الأذان، يكون إعلاما بوجود المسلمين فيه، وقد عدَّ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم علامة إذا أراد الغزو، فكان صلى الله عليه وسلم يمسك عن الإغارة على قوم في دار كفر إذا سمع فيهم الأذان، فعن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار)[١].

٢- أنها إعلان هيمنة الإسلام على بلد ما، فقد رُوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بلالا، فارتقى فوق الكعبة وأذن عليها[٢]، لما تم الفتح إعلاما لأهل مكة بسيطرة وهيمنة الإسلام على بلدهم.

٣- أنه يعتمد على عنصر التكرار لتثبيت معان معينة في أذهان المدعوين، حيث تتكرر كل عبارة مرتين أو أكثر، وذلك خمس مرات كل يوم، وفي هذا تأكيد لما يحمله الأذان من معاني في عقول وقلوب الجماهير المسلمة.

إضافة إلى لفت النظر واجتذاب انتباه الجماهير غير المسلمة، ممن يتعرضون له، إلى بعض المعاني التي يحملها الدين الإسلامي[٣].

٤-تتميز هذه الوسيلة بورود العديد من الأحاديث في فضل القائمين بها، كالحديث الذي رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه:((لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا[٤] عليه لاستهموا))[٥].

---

[١] رواه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب ما يحقن بالأذان من الدماء ١/ ١٥١، ومسلم في صحيحه واللفظ له كتاب الصلاة باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار كفر إذا سمع فيهم الأذان ١/ ٢٢٨ ح ٣٨٢.

[٢] سبق تخريجه ص ١٣٧.

[٣] بتصرف، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية: محيي الدين عبد الحليم ص ١٥٥- ١٥٦. نقلا من الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب ص ١٥.

[٤] أي لو علموا فضيلة الأذان وعظيم جزائه، ثم لم يجدوا طريقا يحصلونه به لكونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد، أو لتساويهم في وجوه الأولوية، للقيام بالأذان، كأن يستووا في معرفة الوقت وحسن الصوت ونحو ذلك من شرائط المؤذن، لاقترعوا لتحصيل ذلك، وأما في الصف الأول بأن يصلوا دفعة واحدة ويستووا في الفضل، فيقرع بينهم. بتصرف، فتح الباري ٢/٩٦ ح ٦١٥، وعمدة القاري ٥/١٢٤،

[٥]كتاب الأذان باب الاستهام في الأذان، ويذكر أن أقواما اختلفوا في الأذان فأقرع بينهم سعد ١/ ١٥٢.

وقوله:((المؤذنون أطول الناس أعناقا[1] يوم القيامة))[2].

٥- تخير الأكفاء لها والعناية بتعليمهم هذه الوسيلة، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي محذورة رضي الله عنه ، حين مرجعه صلى الله عليه وسلم من حنين فعلمه الأذان وأمره أن يؤذن لأهل مكة.

وكذلك روى الإمام أحمد رحمه الله أنه رضي الله عنه قال: (قلت يا رسول الله، علمني سنة الأذان، قال: فمسح مقدم رأسي، وقال: ((تقول الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ترفع بها صوتك، ثم تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله ألا الله، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله، تخفض بها صوتك، ثم ترفع صوتك بالشهادة، أشهد أن لا إله إلا الله، اشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة ، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، فإن كان صلاة الصبح قلت: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله))[3]، فعلمه سنة الترجيع[4] في الشهادتين، لأنهما أعظم ألفاظ الأذان، كما علمه التثويب لصلاة الصبح.

٦- أنها وسيلة تحث المدعو على الاستجابة الفورية فهي ذات مردود مباشر، وهو الترديد خلف المؤذن مثل قوله، ثم الاستجابة للنداء بأداء الصلاة فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن))[5]، وممن ظهرت استجابته لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فقد روي عنه أنه (أذن مؤذنه، فقال معاوية كما قال المؤذن،

---

[1] المراد أنهم أكثر الناس تطلعا إلى رحمة الله، وقيل تطول أعناقهم حتى لا ينالهم العرق، وقيل: إن طول أعناقهم يدل على شرفهم ومكانتهم ذلك اليوم. بتصرف، نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ٧٦٨/٢ باب فضل الأذان.

[2] صحيح مسلم كتاب الصلاة باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه ٢٩٠/١ ح ٣٨٦.

[3] سبق تخريجه ص ٣٦٧، واللفظ عند أبي داود سننه كتاب الصلاة باب كيف الأذان ١٣٥/١ ح ٤٩٩.

[4] الترجيع هو: العود إلى الشهادتين مرتين مرتين، برفع الصوت بعد قولها مرتين مرتين، بخفض الصوت. بتصرف، عون المعبود ٢/ ١٧٨ ح ٤٩٦.

[5] رواه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب إذا سمع المنادي ١/ ١٥٢.

حتى إذا قال : حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وقال بعد ذلك ما قاله المؤذن، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل ذلك)[1].

خامسا: الكتابة:

وهي من أنواع الوسائل القولية للدعوة إلى الله، باعتبارها أداة من أدوات التبليغ، وتؤدي ما يؤدي إليه القول، بالنسبة لمن يريد الداعية دعوته ولا يمكنه المشافهة معه، وتكون بتأليف الكتب والأبحاث العلمية والرسائل، والمقالات في الدوريات وغيرها[2].

وقد نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله استقرار الأمر وإجماع العلماء على جواز كتابة العلم، بل على استحبابه، وفي بعض الحالات وجوبه على من خشي النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم[3].

قال الخطيب البغدادي[4] رحمه الله مبينا أهمية الكتابة: إنما اتسع الناس في كتب العلم، وعولوا على تدوينه في الصحف بعد الكراهية لذلك، لأن الروايات انتشرت، والأسانيد طالت، والعبارات بالألفاظ اختلفت، فعجزت القلوب عن حفظ العلم، مع رخصة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتابة لمن احتاج إليه، وقد عمل السلف من الصحابة والتابعين بذلك، ومن ذلك أمره صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يكتبوا لأبي شاه خطبته التي سمعها منه بعد فتح مكة،[5] فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لما فتح

---

[1] سنن النسائي كتاب الأذان باب القول إذا قال المؤذن حي على الصلاة حي على الفلاح ٢/ ٢٥ ح ٦٧٧، وصحيح ابن خزيمة كتاب الصلاة باب الأمر بأن يقال ما يقوله المؤذن ٢١٧/١ ح ٤١٦ وقال المحقق: إسناده حسن، كما رواه الإمام البخاري مختصرا في صحيحه كتاب الأذان باب ما يقول إذا سمع المنادي ١/ ١٥٢ .

[2] بتصرف، أصول الدعوة ص ٤٧٤ و ٤٨١.

[3] انظر فتح البار ي ١/ ٢٠٤ ح ١١١.

[4] هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، أحد الحفاظ المؤرخين، ولد سنة ٣٩٢، ونشأ ببغداد، كان فصيح اللهجة عارفا بالأدب ولوعا بالتأليف والمطالعة، ذكر أن له ٥٦ مصنفا، لما مرض مرضه الأخير وقف كتبه وفرق جميع ماله في وجوه البر، على أهل العلم والحديث، توفي رحمه الله ٤٦٣هـ. بتصرف، طبقات الشافعية الكبرى ٢٩/٤، وسير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٨، والأعلام ١٧٢/١.

[5] بتصرف، تقييد العلم: الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ص ٦٤ و ٨٦، تحقيق: يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية ط:٢، ١٩٧٤م، وقد ساق المؤلف العديد من الأدلة، وانظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص ٧٠.

الله تعالى على رسوله مكة، قام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه... فقام أبو شاه- رجل من اليمن- فقال: اكتبوا لي يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اكتبوا لأبي شاه)) فسُئل الأوزاعي[1]: ما قوله اكتبوا لي يا رسول الله؟ قال: هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم [2].

مميزات هذه الوسيلة:

١- أنها تحفظ العلم، فلولا الكتابة لضاع الكثير من العلم، وقد بلغ السلف العلم لمن بعدهم إما شفاها أو كتابة، فسطروا سائر العلوم في كتبهم، فحملها الخلف من بعدهم وتوارثوها جيلا بعد جيل فكان ذلك سببا - بعد فضل الله- لحفظ العلم، لأن عدم كتابته، تعرضه لآفة العلم العظيمة: النسيان.

وقد أدب الله تعالى عباده بحفظ الدَّين عن طريق كتابته، فقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ**..... ﴾[3]، فلما أمر تعالى بكتابة الدَّيْن حفظا له واحتياطا عليه وإشفاقا من دخول الريب فيه، كان العلمُ الذي حِفظُهُ أصعب من حِفظِ الدَّين، أحرى أن يُكتب خوفا من دخول الشك والريب فيه، بل إن كتابة العلم في هذه الزمان أقوى حجة من الحفظ[4].

وقد أثر عن السلف حفظ العلم بالكتابة، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: (قيدوا العلم بالكتاب) وكان أنس رضي الله عنه يقول لبنيه: (يا بني قيدوا العلم بالكتاب) وقال الضحاك رحمه الله: (إذا سمعت شيئا فاكتبه ولو في حائط)[5].

٢- أن كتابة العلم تساعد الدعاة على نشره في آفاق الأرض، لسهولة نقله بين الناس، وبشكل خاص في العصر الحديث، وفي القديم زخرت المكتبة الإسلامية بألوف

---

[1] هو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمد، عالم أهل الشام، ولد في بعلبك عام ٨٨هـ وسكن بيروت وتوفي بها، كان فقيها زاهدا مجتهدا في العبادة، واسع العلم عظيم الشأن والمكانة، قيل خرجت في جنازته أربع أمم المسلمون واليهود والنصارى والقبط توفي رحمه الله عام ١٥٧هـ. بتصرف سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧، والأعلام ٣٢٠/٣.

[2] سبق تخريجه ص ١٤٥، واللفظ في كتاب اللقطة باب كيف تعرف لقطة أهل مكة ٣/ ٩٤..

[3] سورة البقرة جزء من آية ٢٨٢.

[4] بتصرف، تقيد العلم من ص ٧٠- ٧١.

[5] جامع بيان العلم وفضله ص ٧٢- ٧٣.

الكتب التي تعالج قضايا إسلامية عامة أو خاصة، وتلك التي تعرض الإسلام عرضا جيدا على القراء، والآن وبعد عصر الطباعة فقد أصبح الكتاب أوسع انتشارا وأيسر عملا، ولكن وظيفة الكتاب بناء على ذلك ازدادت صعوبة، وأصبحت مهمته تأليفا وطباعة ونشرا وتوزيعا، دلالة على التحضر ومواكبة المتغيرات[1].

٣- أن نشر العلم بالكتاب يتجاوز به حدود الزمان والمكان، فالعلم الذي كتبه عالم في منطقة ما، يقرؤه الناس في أقاصي الأرض، وقد قال أحد الحكماء: الكتاب قد يفضل صاحبه ويرجح على واضعه بأمور منها: أن الكتاب يقرأ في كل مكان، ويظهر ما فيه على كل لسان، وموجود في كل زمان مع تفاوت الأعصار، وبعد ما بين الأمصار، وذلك أمر مستحيل في واضع الكتاب، وقد يذهب العالم وتبقى كتبه، ويفنى العقل ويبقى أثره[2].

كما أنه يتجاوز حدود الزمان، حتى قيل لابن المبارك رحمه الله: (يا أبا عبد الرحمن، لو خرجت فجلست مع أصحابك. قال: إني إذا كنت في المنزل جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يعني النظر في الكتب)[3].

كما أنها تتجاوز حدود اللغة، مما يزيد من قيمتها وفائدتها في الدعوة، إذا ترجمت الكتب إلى لغات من يراد تعريفهم بالإسلام، ودعوتهم إليه، فيمكن بهذه الوسيلة تبليغ الإسلام إلى ملايين الناس الذين لا يعرفون اللغة العربية[4].

٤- توافر المطبوعات بأنواعها غالبا بين يدي الداعية والمدعو، وإتاحة فرصة استعمالها في أي وقت مع إمكانية تكرار النظر فيها حسب الحاجة.

٥- تنوعها بين كتب أمهات ومراجع أصلية، وكتب حديثة متخصصة وبحوث علمية وكتيبات صغيرة مختلفة ورسائل ومقالات دورية.. الخ،

---

[1] بتصرف، فقه الدعوة إلى الله ص ١٩٦.

[2] تقييد العلم ص ١١٨.

[3] تقييد العلم ص ١٢٦.

[4] بتصرف، فقه الدعوة إلى الله ١/ ١٨٩.

وطروحاتها أيضا تتميز بالتنوع بين المقالات الدينية والمواضيع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية .. الخ[1].

٦- إنها نعم المعين إذا فقد الجليس الصالح، فإذا استوحش الداعية أو المدعو وشعر بالغربة، جعل أنسه بالإطلاع على الكتب والقراءة فيها، وقد كثرت أقوال السلف والخلف في الاستئناس بالكتاب، ومما قيل في ذلك:(إنه ليس شيء أوعظ من قبر، ولا أسلم من وحدة، ولا آنس من كتاب)[2].ومما نظم في ذلك:

نعم المؤانس والجليس كتاب تخلو به إن ملَّك الأصحابُ

لا مفشيا ســـرا ولا متـــــكبرا وتفاد منه حكمة وصوابُ[3]

٧- أن العلم إذا كان مدونا في كتاب كان أقوى في الاحتجاج به عند الداعية، وأعم فائدة للناس، كما أنه يعد وسيلة قوية من وسائل إقناع المدعو.

وقد قال أبو الزناد[4] رحمه الله:(كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب- وهو الإمام الزهري- يكتب كل ما سمع، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس. وقال: كنت أطوف أنا والزهري، ومعه ألواح أو صحف، فكنا نضحك به)[5].

٨- أن كثرة إطلاع الداعية على الكتب، يؤدي إلى اتساع مداركه، لما يحتاج إليه إعمال الفكر، كما أن الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف من تمام الفضيلة وكمال الأهلية، فإنه يطلع على حقائق الفنون ودقائق العلوم، للاحتياج إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتنقيب والمراجعة، وذلك يثبت الحفظ ويذكي القلب ويكسب جميل الذكر وجزيل الأجر[6].

---

[1] انظر المرجع السابق ص ١٨٩.

[2] تقييد العلم ص ١٤٢، وقاله العمري عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكان رحمه الله لا يرى إلا ومعه كتاب يطالعه، سير أعلام النبلاء ٣٧٣/٨.

[3] جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٢٠٣.

[4] هو عبد الله بن ذكوان القرشي أبو عبد الرحمن المدني المعروف بأبي الزناد، قيل مولى آل عثمان وقيل: إن أباه كان أخا أبي لؤلؤة المجوسي قاتل عمر ، ولد في نحو سنة ٦٥هـ في حياة ابن عباس رضي الله عنهما، كان من كبار علماء الحديث بالمدينة توفي رحمه الله ١٣٠ وعمره ٦٦ سنة. بتصرف، تهذيب التهذيب ٢٠٣/٥، وسير أعلام النبلاء ٤٤٥/٥.

[5] سير أعلام النبلاء ٣٣٢/٥، وللاستفادة انظر تقييد العلم ص ٧١.

[6] بتصرف، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم: الإمام العالم ابن جماعه الكناني ص ٢٩- ٣٠، دار

الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: بدون.

المطلب الثاني: الوسائل الحسية:

هي الوسائل الدعوية التي يركز فيها الداعية على حواس المدعو، ويعتمد على المشاهدات والتجارب والحركة[1]، والوسائل الحسية التي يمكن أن توظف لخدمة الدعوة كثيرة، أذكر منها:

أولا: الجهاد :

والجهاد نوعان: جهاد يقصد به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وجميع شؤونهم الدينية والدنيوية.

والنوع الثاني: جهاد يقصد به دفع المعتدين على الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين والملحدين وجميع أعداء الدين ومقاومتهم. وهذا الجهاد نوعان: جهاد بالحجة والبرهان واللسان، وجهاد بالسلاح المناسب في كل وقت وزمان[2].

وهو من أهم مقتضيات الولاء والبراء، لأنه الفاصل بين الحق والباطل، وبين حزب الرحمن وحزب الشيطان، لأن العداوة بينهما متأصلة، لاختلاف منهج كل منهما، فحزب الله يريد إقامة كلمة الحق، وتحكيم شرع الله، وحزب الشيطان يسعى جاهدا لسحق ذلك والصد عنه ومنعه ما استطاع إلى ذلك سبيلا[3].

وهذا النوع هو المقصود هنا، فهو بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله بالنفس والمال، لتكون كلمة الله هي العليا، وهو من أعظم وسائل الدعوة وأعمها نفعا للدين، ومع ذلك فهو المجال الذي تحالفت كثير من القوى المعادية للإسلام والمسلمين أن يتخلى المسلمون عنه، فضيعوه أول ما ضيعوا، فذلوا وضعفوا وتحكم بهم أعداؤهم إلا من رحم الله[4].

---

[1] بتصرف، المدخل إلى علم الدعوة ص ٢١٤ و ٢٨٣.

[2] بتصرف، وجوب التعاون بين المسلمين الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ص ٧- ٨. ومما قاله الشيخ: إن شرح الدين الإسلامي وبيان عقائده وأحكامه وأخلاقه، من أعظم الجهاد، وهو الأصل وهو الذي به النبي صلى الله عليه وسلم الخلق، فإنه مكث مدة طويلة يدعو إلى الله، ويبين أنه هو دين الحق، بالبراهين العقلية الفطرية والنفسية، وأما قتال اليد والسلاح لكل معتد على الدين، فهو تبع لهذا الجهاد. بتصرف ص ٣٠- ٣١.

[3] بتصرف، الولاء والبراء محمد القحطاني ص ٢٨٩.

[4] بتصرف، فقه الدعوة إلى الله ص ١٥٤.

وقد تضافرت النصوص من الكتاب والسنة في تعظيم أمر الجهاد، وحث الناس عليه، كقوله تعالى: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

كما يعد الله تعالى المجاهدين في سبيله بالأجر العظيم في قوله﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ..... ﴾[2].

(والأمر بالجهاد وذكر فضائله في الكتاب والسنة، أكثر من أن يحصر، ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة، ومن الصلاة التطوع والصوم التطوع، كما دل عليه الكتاب والسنة، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((رأس الأمر الجهاد، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد))[3][4].

وفي غزوة الفتح انطلقت كتائب الجيش الإسلامي إلى مكة لكسر شوكة الطغيان والعدوان، ولتطهير البيت الحرام من الرجس والأوثان، لإعلاء كلمة الله، فحقن الله الدماء ولم ينشب قتال بين الفريقين إلا ما حدث مع خالد رضي الله عنه في الخندمة.

وقد حفظ لنا التاريخ بعد ذلك نماذج رفيعة من جهاد مسلمة الفتح الذين بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل نصرة دين الله[5].

ومن المصالح التي شرع لها الجهاد ما يأتي:

١- حماية أنفس المسلمين وأوطانهم وثغورهم، وأماكن العبادة وجميع مصالحهم، فيجب الدفاع عند حدوث الاعتداء على شيء من ذلك.

---

[1] سورة النساء آية ٧٤.

[2] سورة التوبة جزء من آية ١١١.

[3] سنن الترمذي كتاب الإيمان باب ما جاء في حُرمة الصلاة ٥/١٢ ح ٢٦١٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[4] السياسة الشرعية ص ١٢٩.

[5] انظر مثلا فعل أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه في حنين، وعكرمة بن أبي جهل وأبي سفيان رضي الله عنهما في اليرموك وأم حكيم وهند بنت عتبة رضي الله عنهما في اليرموك أيضا.

٢- تأمين الدعوة الإسلامية والدفاع عنها، وردع من يقف في سبيل نشرها، أو يصد من يريد اعتناقها، سواء أكان بمس المسلمين بالأذى والتعذيب ليعودوا إلى ملة الكفر، أو بمنع الداعي من التبليغ، أو بصد من يريد الإسلام عن الدخول فيه[١].

٣- العمل على إخضاع الكفار لدين الإسلام، خاصة الذين يعوقون انتشاره، عن طريق دعوتهم إلى الدخول في الدين أو دفع الجزية للمسلمين أو قتالهم[٢]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : العقوبات التي جاءت بها الشريعة، لمن عصى الله ورسوله نوعان:

أحدهما: عقوبة المقدور عليه، كإقامة الحدود والتعزيرات.

والثاني: عقاب الطائفة الممتنعة، كالتي لا يقدر عليها إلا بقتال فاصل، وهذا هو جهاد الكفار، أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فكل من بلغته الدعوة إلى دين الله الذي بعثه به، فلم يستجب له، فإنه يجب قتاله﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ.... ﴾[٣].[٤]

فقيام الدين بالكتاب والحديد، ونشر سلطان الإسلام والدعوة الإسلامية لا بد له من قوة وشدة بالإضافة إلى الحجة والبرهان، ويؤيد ذلك قول ابن تيمية رحمه الله :(يوضح ذلك أن السلطان نوعان: سلطان الحجة والعلم، وهو أكثر ما سمي في القرآن سلطانا، حتى روى ابن عباس رضي الله عنهما: أن كل سلطان في القرآن فهو الحجة.

والثاني: سلطان القدرة، والعمل الصالح لا يقوم إلا بالسلطانين، فإذا ضعف سلطان الحجة، كان الأمر بقدره، وإذا ضعف سلطان القدرة كان الأمر بحسبه، والأمر مشروط بالقدرة على السلطانين، فالإثم ينتفي عن الأمر بالعجز عن كل منهما)[٥]، وقد قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ

---

[١] بتصرف، هداية المرشدين ص ٣٠٤، ومن روائع حضارتنا ص ١٣٨، والآثار التشريعية في فتح مكة من ص ١٦٥- ١٦٦، والجهاد في الإسلام: توفيق علي وهبة ص ٢٥، دار اللواء الرياض، ط: بدون ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

[٢] للاستفادة انظر الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع: الشيخ صالح اللحيدان من ص ٩٩- ١٢٧، دار اللواء الرياض، ط:٣، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

[٣] سورة الأنفال جزء من آية ٣٩.

[٤] بتصرف، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص ١٢٥- ١٢٦.

[٥] الفتاوى: ابن تيمية ١٩/ ١٢٥، وانظر الفتاوى: ابن تيمية ١١/ ٥٥١.

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ....﴾[1]، ولن يقوم الدين إلا بالكتاب والميزان والحديد، فالكتاب به يقوم العلم والدين، والميزان به تقوم الحقوق المالية والعقود، والحديد به تقوم الحدود على الكافرين والمنافقين والعصاة[2].

مميزات وخصائص وسيلة الجهاد:

١- أنه باب واسع لكسب الأجر والثواب من عند الله تعالى، (ولم يرد في ثواب الأعمال وفضلها ما ورد فيه.. فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره، في الدين والدنيا، فإنه مشتمل من محبة الله تعالى والإخلاص له والتوكل عليه وتسليم النفس والمال له، والصبر والزهد، وذكر الله وسائر أنواع الأعمال الصالحة على ما لا يشتمل عليه عمل آخر، والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين دائما: إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة)[3].

٢- أنه ماض وباق حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فوسيلة الجهاد من الوسائل الدعوية الخالدة إلى يوم الدين لمواجهة الأعداء وكسر شوكتهم، وإخضاعهم للإسلام، وتخليص البشر من استعبادهم وإذلالهم لهم، وإفساح الطريق أمام الدعوة لتدخل القلوب، وتنير العقول والبصائر، وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ .....﴾[4][5]، فهو تحذير من الله عز وجل قائم إلى آخر الزمان، وتقرير من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث لدى الكفار على الشر، وعلى فتنة المسلمين عن دينهم، لأن وجود الإسلام بذاته، يؤذي أعداءه ويغيظهم ويخيفهم، لأنه حرب على الباطل والبغي والفساد[6].

وقد أوحى كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله بدوام الجهاد، وذلك عند امتناعه عن مبايعة مسلمة الفتح على الهجرة وعوضا عنه بايعهم على الجهاد والإيمان، وكذلك أمره لهم بإجابة النفير إذا دعا لإعلاء كلمة الله.

---

[1] سورة الحديد جزء من آية ٢٥.

[2] بتصرف، الفتاوى: ابن تيمية ٣٥/ ٣٦.

[3] باختصار، السياسة الشرعية من ص ١٣٠- ١٣١.

[4] سورة البقرة جزء من آية ٢١٧.

[5] بتصرف، الدعوة إلى الله، دراسة مستوحاة من سورة النمل ص ٣١٢.

[6] بتصرف، في ظلال القرآن ١/ ٢٢٧.

٣- قيامه على مبادئ أخلاقية كريمة، مقيدة بمبادئ الحق والعدل والرحمة مع المحاربين والمغلوبين،[١] ويُلزم المجاهدون في سبيل الله بالتحلي بها في قتالهم مع أعدائهم، منها:

أ- احترام العهود والمواثيق، إيمانا بقوله تعالى﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[٢].

وقد شدد الرسول صلى الله عليه وسلم على لزوم الوفاء العهود وحرم نقضها فقال: ((إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة))[٣] ، كما أنه يحرم على المسلمين اتخاذ أي إجراء يعد مقدمة للنقض أو سبيلا إليه.

وقد روى الإمام الترمذي رحمه الله: أنه (كان بين معاوية رضي الله عنه وبين أهل الروم عهد، وكان يسير في بلادهم، حتى إذا انقضى العهد أغار عليهم، فإذا رجل على دابة أو على فرس وهو يقول: الله أكبر وفاء لا غدر. وإذا هو عمرو بن عبسة[٤]. فسأله معاوية عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهدا ولا يشدنه، حتى يمضي أمده، أو ينبذ إليه على سواء .قال: فرجع معاوية بالناس)[٥].

كذلك يفي بعهد أي مسلم أعطاه رجلا أو امرأة حرا أو عبدا[٦]، لقوله صلى الله عليه وسلم في خطبته: (وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم))، وكذلك قبوله الأمان

---

[١] بتصرف، هذا هو الإسلام ص ٥١.

[٢] سورة النحل آية ٩١.

[٣] رواه الترمذي في سننه كتاب السير باب ما جاء أن لكل غادر لواء يوم القيامة ٤/ ١٤٤ ح ١٥٨١، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[٤] هو عمرو بن عبسة بن خالد بن عامر السلمي، أسلم قديما بمكة، وكان يقول: فلقد رأيتني ربع الإسلام، ثم أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع إلى بلاده، فأقام بها إلى أن هاجر بعد خيبر، فشهد الفتح، سكن الشام، ومات في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنهما. بتصرف، الإصابة ٥/٣، وحديث إسلامه رواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب إسلام عمرو بن عبسة ٥٦٩/١ ح ٨٣٢.

[٥] سنن الترمذي كتاب السير باب ما جاء في الغدر ٤/ ١٤٣ ح ١٥٨٠، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[٦] قال د. وهبة الزحيلي: ومع أن الأدلة ترجح رأي الجمهور، فإنا نمنع الأمان الفردي اليوم عموما، سواء أكان من الحر أم من العبد لأن الأمان يمس صميم السياسة وجوهر الحرب، بما فيها من دقة وخطورة تقدير، وذلك

الذي أعطته أم هانئ رضي الله عنها لاثنين من أحمائها، ووفاؤه بالأمان الذي أعطاه لصفوان بن أمية حتى يتخير ما شاء.

ب- احترام إنسانية الإنسان وتحريم الأساليب الهمجية التي لا يحتاج لها، والتزام الرحمة بالنفس والإنسانية، كتحريم التعذيب والمُثلة[1] أو التحريق بالنار، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: ((اغزوا على اسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا..))[2].

وقد كان هبَّار بن الأسود رضي الله عنه ممن أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح، وكان قد أهدر دمه من قبل بسبب أذيته لابنته زينب رضي الله عنها، وأمر صحابته بحرقه عند تمكنهم منه، ثم عدل عن ذلك، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: (بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث، فقال: ((إن وجدتم فلانا وفلانا فاحرقوهما بالنار)).

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أردنا الخروج:((إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا، وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما))[3]، وقد صرح ابن اسحق رحمه الله باسمه وصاحبه في السيرة[4].

ثم إن هبارا رضي الله عنه جاء بعد الفتح تائبا مسلما، فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم[5].

مختص بولاة الأمور وقواد الجيوش، وليس من السهل على الفرد إدراكه، لذلك لا يحق للفرد أن يتصرف تصرفا يسري أثره على جميع المواطنين في بلده، نظرا لتغير نظام الجيش واختصاص أناس معينين بالدفاع عن البلاد. بتصرف، آثار الحرب في الفقه الإسلامي ص ٢٣٧.

[1] يقال: مثلت بالحيوان: إذا قطعت أطرافه وشوهته، ومثلت بالقتيل: إذا جدعت أنفه أو أذنه أو شيئا من أطرافه. النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٩٤.

[2] سبق تخريجه ص ٨٣.

[3] رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد باب لا يعذب بعذاب الله ٤/ ٢١. وانظر اختلاف أهل العلم في ذلك ، في الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص ١٩٤- ١٩٦.

[4] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٢/ ٣٠٢. وانظر فتح الباري ٦/ ١٤٩-١٥٠ ح ٣٠١٦.

[5] انظر الإصابة ٣/ ٥٩٧ ،وذكر فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم إن أصبتم هبار بن الأسود فاجعلوه بين حزمتين واحرقوه. فلم تصبه السرية وأصابه الإسلام وهاجر إلى المدينة. وقال الإمام الخطابي: هذا إنما يكره إن كان الكافر أسيرا قد ظفر به، وقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم أن تضرم النار على الكفار في الحرب، ورخص النووي والشافعي أن يرمى أهل الحصون بالنيران، إلا أنه لا يستحب أن يرموا بالنار ما داموا يطاقون، إلا أن يخافوا من ناحيتهم الغلبة، فحينئذ يجوز ذلك. بتصرف، الاعتبار في الناسخ

بل يذهب الإسلام إلى أكثر من ذلك فيأمر المسلمين بالإحسان في الذبح وفي القتل، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبح))[1].

ج-عدم الإسراف في القتل إلا لمصلحة، ومن ذلك حقنه لدماء أهل مكة بعد التمكن منهم والعفو عنهم.

روى أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلا، ومن المهاجرين ستة فيهم حمزة، فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم. قال: فلما كان يوم فتح مكة، فأنزل الله﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[2]، فقال رجل: لا قريش بعد اليوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كفوا عن القوم إلا أربعة))[3].

وكذلك تحريم قتل النساء والصبيان، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: (وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان)[4][5].

٤- أن الجهاد الإسلامي يستوجب حسن التعبئة والتخطيط والتخزين، للمواجهة في المعركة، وكذلك حسن رعاية التعليم والصحة لإعداد الكفاية البشرية للقتال خير إعداد[6]، قال تعالى﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ .... ﴾[7].

والمنسوخ من الآثار ص ١٩٥- ١٩٦.

[1] صحيح مسلم كتاب الصيد والذبائح باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة ١٥٤٨/٣ ح ١٩٥٥.

[2] سورة النحل آية ١٢٦.

[3] سبق تخريجه ص ١٢٨، ورواه الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن باب ما ورد من سورة النحل ٣٠٠/٥ ح ٣١٢٩ وقال: هذا حديث حسن غريب، وللاستزادة انظر رواية أخرى في لباب النقول في أسباب النزول ص ١٣٥.

[4]صحيح البخاري كتاب الجهاد باب قتل النساء في الحرب ٤/ ٢١.

[5] للاستفادة انظر من روائع حضارتنا من ص ١٣٦- ١٥٨. وافتراءات حول غايات الجهاد من ص ٣٦- ٤٩.

[6] بتصرف، المعرفة في منهج القرآن ص ٨٥ .

[7] سورة الأنفال جزء من آية ٦٠.

والقوة في الجهاد قوتان متلازمتان في ميادين الحرب والسلام:

أولا: القوة المعنوية، وهي:

١) الإيمان بالله تعالى، فهو الذي ينصر عباده المؤمنين، ويؤيدهم ويخذل أعداءهم.

٢) إدراك الهدف الذي يسعى المجاهد في سبيل الله إليه، فإن ذلك مما يمضي عزيمته في قتال الأعداء.

٣) الإيمان بأن الآجال بيد الله تعالى، وأن أفضل منزلة يلقاها المؤمن عند ربه- بعد منزلة الأنبياء-، هي منزلة الشهادة.

ثانيا: القوة المادية، وهي:

١) توفير المال وبذله في سبيل الله.

٢) تدريب المجاهدين في سبيل الله، حتى يتمكنوا من خوض المعارك، وهم متقنين لجميع فنون الحرب.

٣) القيادة الحكيمة الواعية التي تعتبر عاملا مهما في النظام والاستقرار والنصر، إذا التزمت بما عليها من واجبات، وأدى المسلمون ما عليهم نحوها من حقوق، وما فُقدت القيادة الصالحة في أمة من الأمم، إلا كان طريقها التفكك[1].

٥- ويتميز الجهاد أيضا بغرس الحذر في قلوب المجاهدين، لئلا ينال منهم عدوهم على حين غفلة منهم، فيأمرهم الله تعالى بحمل السلاح حتى أثناء الصلاة: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ..... ﴾، ثم يكرر الأمر في الآية نفسها﴿ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾[2].

ومن كيد الأعداء الذي يلجئون إليه ضد المسلمين، محاولة جرهم إلى معارك جانبية محاولة منهم لتفريق شملهم واستنزاف طاقتهم، وصرفهم عن تحقيق هدفهم وتنفيذ

---

[1] انظر الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع من ص ٨٢- ٩٤، وللاستفادة انظر القيادة والجندية في الإسلام: القسم الأول: القيادة: د. محمد السيد الوكيل من ص ١٣٨- ١٦٣ ومن ص ٢١٠- ٢٤١ ومن ص ١٧٨- ٢٠٩، دار الأنصار القاهرة، ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

[2] سورة النساء جزء من آية ١٠٢.

خطتهم، كما فعل الأحابيش مع المسلمين حين ترصدوا للمسلمين في الخندمة، واعترضوا فرقة من الجيش فتلاحم المسلمون معهم، وأذاقوهم طعم السيف، ففروا لا يلوون على شيء.

٦- إن الفتوح الإسلامية تميزت بالاستقرار، وعدم تألب الشعوب المغلوبة في وجه الفاتحين، بسبب ما رأوه من تسامح المسلمين وكرم أخلاقهم، وسمو عقيدتهم، فكان الفتح خالدا تتفتح له القلوب والعقول، ولا يلبث أهل البلاد المفتوحة أن يندمجوا مع المسلمين، ويصبحوا جنودا في صفوف المجاهدين، فلم تكن غاية الفتح الإسلامي في يوم من الأيام من ضم البلدان إلى الوطن الإسلامي لامتصاص دماء أهلها، وسلب أموالهم، واستغلال خيراتهم، و لم يكن قصد المجاهدين حب الدنيا واستعباد الشعوب، أو إقامة حكومة عالمية علوا في الأرض واستكبارا، لكن غايتهم أسمى وأنبل، وهي إعلاء كلمة الله[١]، والتمكين لدينه عز وجل، ولدعوة الإسلام، وليكون الدين كله لله.

إن وضوح هذه الغاية يدفع المؤمنين عند انتصارهم لفعل ما يوطد أركان الحق في الأرض، و يمنع الغيّ والفساد بين الناس، امتثالا لقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[٢]، وفي هذا تحديد لأعمال الدولة المسلمة المنتصرة، فرسالتها بعد النصر سمو بالروح، وعدالة في المجتمع، وتعاون على الخير ونفع الناس، ومكافحة الشر والفساد في الأرض[٣]، وهذه هي آثار الفتح المباركة.

وحقيقة الأمر، أن الفتوحات الإسلامية لم تكن حروب استعمار وجباية، وإنما كانت حروب تحرير وهداية[٤].

٧- أنه مجال للتفاضل فهو يغرس في نفس المؤمن التنافس على تقديم النفس والمال وكل ما يملك في سبيل الله، كما في قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ..... ﴾

---

[١] بتصرف، آثار الحرب في الفقه الإسلامي من ص ٧٣٧- ٧٤١.

[٢] سورة الحج آية ٤١.

[٣] بتصرف، من روائع حضارتنا ص ١٤١، وانظر هذا هو الإسلام ٢/٣٠- ٣٤.

[٤] بتصرف، آثار الحرب في الفقه الإسلامي ص ٧٤١.

[1]، وظهر هذا التنافس في مواقف مسلمة الفتح بمسارعتهم إلى الجهاد ليلحقوا بمن سبقهم من المسلمين.

ثانيا : الإصلاح البيئي:

إن مصالح الناس الحقيقية هي في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، والشريعة الإسلامية تصل إلى مقصودها في حفظ هذه المصالح الضرورية للناس عن طريق إصلاح الفرد إصلاحا جذريا من داخل نفسه، على أساس العقيدة الإسلامية، القائمة على الإيمان بالله ومراقبته وخشيته ومحبته تعالى، الدافعة إلى المسارعة إلى طاعته.

بالإضافة إلى جانب إصلاح الفرد، فالشريعة الإسلامية تعنى عناية كبرى بصلاح المجتمع وإصلاحه، وطهارته وإزالة الفساد عنه، لأن المجتمع الطاهر النظيف يساعد كثيرا على إتمام عملية إصلاح الفرد، ويعمل كثيرا على منع وقوع الإجرام وما يترتب عليه من فوات مصالح المجتمع والأفراد[2].

ومما يدل على أهمية وسيلة الإصلاح البيئي، أثر البيئة الغير مباشر في توجيه الناس فهي تصوغ الإنسان في قالبها وتطبعه بطابعها، فكل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه[3]، لأن الإنسان مطبوع منذ أعطاه الله خلقه على أنه مخلوق اجتماعي يحب الاجتماع ويكره العزلة، لأنه يجد في ذلك سكن نفسه ومصالحها وشعورها بالأمن، فإذا وُجد- ضمن سلوكه الطبعي- في بيئة ما، أخذ بصفة تلقائية بتغيير نفسه ليستطيع العيش في بيئته بانسجام وتواؤم، هروبا من مشاعر العزلة النفسية التي يكرهها بطبعه- في حالة عدم انسجامه- ولئلا يكون أيضا مثار استغراب واستنكار من حوله من البشر في هذه البيئة[4].

---

[1] سورة الحديد جزء من آية ١٠.

[2] بتصرف، مجموعة بحوث فقهية: د. عبد الكريم زيدان، المبحث التاسع العقوبة في الشريعة الإسلامية من ص ٣٨٤- ٣٨٥، مؤسسة الرسالة بيروت، مكتبة القدس بغداد، ط: بدون، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

[3] بتصرف، الدعوة إلى الإسلام: سيد سابق ص ٧١.

[4] بتصرف، غزو في الصميم ص ١٥٤- ١٥٥، وقد أضاف الأستاذ: هذا ما لم يكن لدى الفرد مقدما إرادة خاصة مؤيدة بأفكار عقائد راسخة ضد البيئة التي وجد فيها وضد مفاهيمها وأنماط سلوكها.

لذلك عمل الإسلام جاهدا على أن تكون البيئة التي ينشأ فيها الفرد تقية نقية، تتحقق فيها الفضائل، ويحترم فيها المعروف، وتقرر فيها الآداب[1]، فشرع الله تعالى الهجرة من بلاد الكفر، وحرم الإقامة بين ظهراني الكفار بلا ضرورة، وذلك محافظة على تميز شخصية المسلم، ومنع ذوبانها وانسجامها في المجتمع الكافر، ولذلك بقيت الهجرة العامة إلى يوم القيامة، حتى وإن انقطعت الهجرة الخاصة من مكة إلى المدينة.

وقد عمل الإسلام جاهدا على أن تكون البيئة التي ينشأ فيها الفرد نقية تقية، تتحقق فيها الفضائل ويحترم فيها المعروف، ويستنكر فيها المنكر.

ومن وسائل الإصلاح البيئي المستنبطة من غزوة الفتح ما يلي:

١- استغلال فطرة التقليد والمحاكاة الموجودة في الإنسان، بتوجيهها إلى التأسي بأهل الصلاح والخير، وعرض القدوة الطيبة التي يراد محاكاتها أمام المدعوين، فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى للمسلمين، لاجتماع كل الصفات الخيرة فيه صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

وقد اعتمدت الدعوة الإسلامية في إعدادها للدعاة الأولين على طريقة الأسوة الحسنة وما تقوم به من ألوان تربوية عظيمة، ثم كان هذا المجتمع المثالي هو النواة، والبيئة الصالحة لصناعة الناس صناعة إسلامية، وتغييرهم بسرعة عن طريق التقليد والمحاكاة[3].

٢-تطهير البيئة الاجتماعية من المظاهر العقدية والسلوكية المنحرفة الفاسدة، ومن ذلك تحريم بيع الخمر والأصنام، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام))[4].

وكذلك تحريم نكاح المتعة لانتهاء الضرورة التي ألجأت إليه، فاستمراره حينئذ يعد بابا للمفسدة.

---

[1] بتصرف، الدعوة إلى الإسلام: سيد سابق ص ٧١.

[2] سورة الأحزاب آية ٢١.

[3] بتصرف، غزو في الصميم ص ١٥٥- ١٥٦. وانظر دعوة الإسلام سيد سابق ص ٦٩.

[4] سبق تخريجه ص ٢٧٣.

والنفوس السليمة إذا لامس الإيمان شغاف قلوبها، ارعوت وامتنعت عن اقتراف الرذائل، حتى لو عاشت فيها سنينا، ويساعدها على ذلك صلاح البيئة التي تعيش فيها، كما حدث لفضالة رضي الله عنه، حين دعته امرأة كان يزورها في الجاهلية، فقال: لا.[1] وامتنع عن تلويث نفسه بعد الإسلام.

٣- التشجيع على التحلي بفضائل الأخلاق، وذلك بالتأكيد عليها، وإبراز قيمتها، فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يقول مخاطبا السائب بن عبد الله حاثا له على الاستمرار على فعل الخير والإحسان إلى الناس: ((يا سائب، انظر أخلاقك التي كنت تصنعها في الجاهلية، فاجعلها في الإسلام، أقر الضيف وأكرم اليتيم، وأحسن إلى جارك))[2].

وفي الحث على الغنى عما في أيدي الناس والاستعفاف عن المسألة، والبعد عن الطمع والشره: يقول صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام رضي الله عنه: ((إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى))[3].

وفي رواية :((وأبدأ بمن تعول، ومن يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله))[4].

كما ينهى عن الرذائل الأخلاقية، ويظهر آثارها الضارة على المجتمع، كالتفاخر والتكبر، بقوله صلى الله عليه وسلم في خطبته:((إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب))[5].

وينهى عن العصبية الممقوتة بقوله: ((لا حلف في الإسلام))[6]. وينهى عن الخيانة بامتناعه أن تقع منه وقوله: ((ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين))[7].

---

[1] وقال في ذلك شعرا، سبق تخريجه ص ٢١٠.

[2] سبق تخريجه ص ٣٥٨، وص ٥٢١.

[3] سبق تخريجه ص ٣٠٦.

[4] رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٠٣ عن حكيم بن حزام رضي الله عنه .

[5] سبق تخريجه ص ١٤٢.

[6] سبق تخريجه ص ١٤٣.

[7] سبق تخريجه ١٣١.

٤- تحرص الشريعة الإسلامية على حمل الناس على طاعة أوامرها واجتناب نواهيها طاعة اختيارية، تنبعث من أعماق النفس، وذلك عن طريق إيقاظ الشعور الديني، وإثارة معاني الإيمان في القلوب، وتذكير الناس باليوم الآخر: ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ...** ﴾[1]، وكذلك ببيان ما في أوامرها ونواهيها من خير ومصلحة للأفراد والمجتمعات[2].

٥- إذا عمل الداعية على إيجاد القدوة الصالحة والبيئة النظيفة وحث على الأخلاق الفاضلة ونهى عن الرذائل، ورغم ذلك كله بقيت بعض النفوس ضعيفة منحرفة، لم ينفع معها الإصلاح والتقويم وتطلعت إلى الإجرام والاعتداء على الآخرين، فوسيلة الإصلاح لمنع هذا الفساد من الناس، ووقايتهم من أضراره، تتم بالعقوبات والحدود ولذلك شرعها الإسلام، وشرع أيضا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فإذا ارتكب الجاني الجريمة وعوقب بإقامة الحد أو التعزير عليه، فإن ذلك لمصلحة المجتمع، بقطع العضو الفاسد فيه، وهذه مصلحة للجميع، وأما المجرم ذاته، فإن إصلاحه بإيقاعه العقوبة عليه تظهر في تحسيسه بخطئه وإثمه وعصيانه، بعد أن لم ينفع ويجد معه وسائل الإصلاح الأخرى، وكثيرا ما يؤدي هذا الإحساس والشعور بالخطيئة إلى يقظة الإيمان في نفسه، فيتوب توبة نصوحا، وينزجر عن العودة إلى سابق ذنبه، كما حدث مع المخزومية التي سرقت، فتابت وحسنت توبتها.

وحتى إن لم يثمر ذلك توبة، فإن معاقبته تروع الآخرين وتجعله عبرة للمعتبرين، وتحقق مصلحة الإصلاح البيئي والاجتماعي[3]، فالعقاب مقرر لإصلاح الأفراد ولحماية الجماعة وصيانتها ضد العدوى الأخلاقية، حين لا يعاقب الشر بمثله، وتوخيا من تشجيع

---

[1] سورة آل عمران جزء من آية ٣٠.

[2] بتصرف، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: د. عبد الكريم زيدان ص ٤٠١، مكتبة القدس بغداد، مؤسسة الرسالة بيروت، ط:٦، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

[3] بتصرف، مجموعة بحوث فقهية د. عبد الكريم زيدان من ص ٣٨٦- ٣٨٧، وانظر المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية من ص ٤٠١- ٤٠٣، وانظر التشريع الجنائي الإسلامي ١/٦٠٩-٦١١.

الفساد، إذا بقي المذنب دون عقاب، لأنه لا توجد أي ضمانة- في حال عدم إيقاع العقوبة على المذنب- إقتداء غيره به، حتى لو تاب هو نفسه وحسنت توبته[1].

ووسيلة إيقاع العقوبات لا تستخدم منفردة في إصلاح المجتمع، بل مع غيرها من وسائل الإصلاح ككل، فالعقوبات جزء من هذه الوسائل، واستخدامها منفردة غير مجد، لأن الإسلام كيان متساند يعضد بعضه بعضا، فالدواء لا يعقل أن يؤخذ بعضه فقط ثم يأمل المريض في الشفاء[2].

وكذلك فإن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدرجاته الثلاث: (اليد واللسان والقلب)، يعد من أقوى وسائل الإصلاح البيئي للقضاء على تلوث بيئة الأخلاق والقيم، فأمراض الأخلاق تنتشر في الهواء في غفلة عن الناس كما تنتشر أمراض الأجسام، والقيام بالاحتساب إما أن يقضي على المنكر تماما، أو أنه يحصره في أضيق نطاق ممكن ، لأن مرتكب المعصية، إذا شعر أنه في بيئة صالحة تنكر عليه، لم يجاهر ويعلن بما يفعل أمام الناس، فيضُّر بذلك الخاصة والعامة، بل أنه غالبا ما يستتر به، ويغلق الأبواب عليه لذلك، بخلاف ما لو كان المجتمع موافقا له في ذلك والبيئة التي يعيش فيها فاسدة.

---

[1] بتصرف، دستور الأخلاق في القرآن ص ٣٣.

[2] بتصرف، العقوبات في الشريعة، أهدافها ومسالكها: د. نعمان عبد الرزاق السامرائي ص ٨ مكتبة المعارف الرياض ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

المطلب الثالث: الوسائل النفسية:

وهي الوسائل التي تعتمد على تحليل النفس البشرية وسلوكياتها، وإثارتها، مع حسن استغلال التأثير البيئي والمؤثرات الواقعة على المدعو، فهي تركز على الكشف على دواخل النفس وأسرارها الخفية التي لا يمكن أن تعرف إلا من خلال خالق النفس، حيث شرح أحوالها في القرآن، ووضع أسسا لكل أنواع النفوس البشرية، في تنوع عام لا تخرج عنه نفس أي فرد من الناس.[1]

والدعوة الإسلامية تسعى من خلال الوسائل النفسية، إلى ضبط السلوك بعد تعديله والتحكم فيه ورعايته، ثم محاولة التنبؤ وتخمين ما يؤدي إليه هذا السلوك الصادر من هذا الشخص، ما ضرره أو مصلحته، فعلى الداعية أن يتابع المدعوين حتى يستطيع معرفة السلوك وعوامل انحرافه، ثم يراقب نتيجة العلاج، ويتعهد الداء لكيلا ينبت مرة أخرى بسبب مؤثرات البيئة.

ومن المهمات النفسية المفيدة في الدعوة، مراعاة الفروق الفردية بين المدعوين، ودراستها ومعرفة تأثير ذلك في سلوكهم ونفسياتهم[2].

كذلك معرفة الدوافع النفسية التي تصد عن الحق، والعوامل التي غرست هذه الدوافع، في عقولهم وقلوبهم، سواء أكانت دوافع عقدية أم سلوكية أم فكرية،[3] يلي ذلك البحث عن أفضل سبل العلاج.

ومن الوسائل النفسية التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم في ضوء غزوة الفتح، ما يلي:

أولا: الهجر:

إذا أطلق الهجر الشرعي فإن المراد به نوعان، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

---

[1] بتصرف، علم نفس الدعوة: د. محمد زين الهادي من ص ٧٩- ٨٢.

[2] بتصرف، المرجع السابق من ص ٩٣- ٩٤. وقد سبق الحديث عن هذه الجزئية راجع مبحث مراعاة المدعوين.

[3] سبق الحديث عن ذلك في مبحث أسباب الصدود عن الحق.

الأول: ترك المنكرات وعدم شهودها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ .... ﴾[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم : ((المهاجر من هجر ما نهى الله عنه))[2].

والثاني: العقوبة عليها على وجه التأديب، وهو هجر من يظهر المنكرات، حتى يتوب منها، كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، حتى أنزل الله توبتهم[3].

وهو أيضا ضرب من ضروب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4]، فإن الهجر إعلان من المسلم عن سخطه وبغضه للمعصية، ولفعلها ولفاعلها على قدر هذه المعصية[5]، كما أن فيه تعليما وتبليغا لمن حوله من الناس بالمخالفات الشرعية، وإيحاء لهم بأهمية إنكارهم هم أنفسهم على صاحب المنكر.

وهجر من جهر بالمعاصي وأعلنها، سنة سواء أكانت معاصي قولية أم فعلية أم اعتقادية[6]، وقد هجر النبي صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أمية رضي الله عنهما، لما تلقياه في الطريق، قبل أن يدخل مكة، فانزعج النبي صلى الله عليه وسلم وأعرض عنهما، لأنه بدت منهما أمور في أذيته صلى الله عليه وسلم، فتذلل له أبو سفيان حتى رقَّ له صلى الله عليه وسلم ثم أسلما[7]، وكذلك إعراضه عن عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه وهو نوع من هجره لعظم ذنبه وردّته عن الإسلام، ثم عفا عنه أيضا صلى الله عليه وسلم .

مميزات أسلوب الهجر:

---

[1] سورة الأنعام جزء من آية ٦٨.

[2] صحيح البخاري كتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ١/ ٩.

[3] بتصرف، الفتاوى: ابن تيمية ٢٨/ ٢٠٣.

[4] انظر درجات تغيير المنكر ص ٣٦.

[5] بتصرف، حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة: سيد سعيد عبد الغني ص ٥٣٥.

[6] بتصرف، الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/٢٥٨.

[7] انظر سير أعلام النبلاء ١/ ٢٠٣.

١- أنه لا بد للداعية فيه من مراعاة المصلحة المترتبة عليه، وترجيح تحققه عنده، لأن المقصود إصلاح المدعو، وإلا تحول الداعية إلى غيرها من الوسائل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله عن ذلك: (وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة، بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته، كان مشروعا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته، لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر)[١].

٢- مراعاة اختلاف المدعوين ونفسياتهم، فوسيلة الهجر ليست نافعة مطلقا مع أي إنسان، بل إن بعض الناس قد ينفر منها أكثر، بينما ينتفع بالتأليف واللين والرفق أكثر من انتفاعه بالشدة والهجر، وهذا يستلزم البصيرة من الداعية والخبرة بنفوس البشر، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتألف قوما ويهجر آخرين، والثلاثة الذين خلفوا كانوا خيرا من كثير من المؤلفة قلوبهم، ولكن لما كان أولئك سادة مطاعون في عشائرهم، كانت المصلحة الدينية في تألفهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين والمؤمنون سواهم كثير، فكان في هجرهم عز الدين وتطهيرهم من ذنوبهم[٢].

٣- لا بد في الهجر من الإخلاص لله تعالى، لأنها من الأعمال التي أمر بها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن هجر لهوى نفسه، أو هجر هجرا غير مأمور به، كان خارجا عن هذا، وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه، ظانة أنها تفعله طاعة لله، وليس كذلك، فينبغي للداعية أن يفرق بين الهجر لحق الله، وبين الهجر لحق نفسه، فالأول مأمور به، والثاني منهي عنه، وذلك لأمرين:

الأمر الأول: أن الهجر لأجل حظ الإنسان لا يجوز لأكثر من ثلاثة أيام، كما جاء في الصحيحين : ((لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام))[٣].

---

[١] الفتاوى: ابن تيمية ٢٨/ ٢٠٦. وانظر حقيقة الولاء والبراء سيد عبد الغني ص ٥٤١.

[٢] بتصرف، الفتاوى: ابن تيمية ٢٨/ ٢٠٦.

[٣] صحيح البخاري كتاب الأدب باب الهجرة وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ٩١/٧، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي ١٩٨٤/٤ ح

الأمر الثاني: أن الهجر من العقوبات الشرعية، فهو من جنس الجهاد في سبيل الله، وهذا يفعل لتكون كلمة الله هي العليا، والمؤمن عليه أن يعادي في الله ويوالي في الله، فيوالي المؤمن وإن ظلمه لأن الظلم لا يقطع الموالاة، ويعادي الكافر وإن أعطاه وأحسن إليه، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: (إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطنتهم أعداء الشريعة)[1].

٤-وسيلة الهجر تقتضي أن يكون المنكر ظاهرا ومعلوما عند مرتكبه أنه منكر، وذلك يستلزم تعريفه بالمنكر، ونصحه قبل هجره، يقول الإمام أحمد رحمه الله :(إذا علم أنه مقيم على معصية وهو يعلم بذلك، لم يأثم- يعني الهاجر- إن هو جفاه حتى يرجع ، وإلا كيف يتبين للرجل ما هو عليه إذا لم ير منكِرا ولا جفوة من صديق)[2].

٥- إن هجر الداعية للكافر أو للفاسق، يبعده عن الوقوع في المداهنة المنهي عنها، فالداعي إذا لم يتمكن من تغيير المنكر، فإن هجره مرتبة من مراتب الإنكار المؤثرة، لأن صاحب المنكر قد يشعر بخطيئته، وعظم أمرها عند من ينكر عليه، فيدعوه ذلك إلى تركها.

وقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم من تمكن من هجر صاحب المنكر- بعد نصحه- ولم يفعل، ووعده بالعقاب، فقال:((إن من كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل فيهم العامل الخطيئة، فنهاه الناهي تعزيرا، فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه، كأنه لم يره بالأمس على خطيئة بالأمس، فلما رأى الله تعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)[3].

٢٥٦٠ واللفظ له.

[1] الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/ ٢٦٨.

[2] المرجع السابق ١/ ٢٥٨.

[3] أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه الطبراني ورجاله ورجال الصحيح ٧/ ٢٦٩ وروى نحوه أبو داود في سننه كتاب الفتن باب الأمر والنهي ٤/١٢٠ ح ٤٣٣٦، وذكر المنذري أن الرواية منقطعة، وقال: وأخرجه الترمذي وقال: حسن غريب، وابن ماجه مرسلا. انظر مختصر سنن أبي داود ٦/١٨٦ ح ٤١٦٩.

وفي سكوت الداعية ومداهنته خطر عظيم عليه هو ذاته، وعلى من حوله من المسلمين، إذ أن مخالطتهم لصاحب المنكر – دون إنكار عليه– يؤدي إلى اعتيادهم على رؤية المنكرات وإضعاف حس الإنكار لديهم ، مما يؤدي إلى ضعف إيمانهم وقلوبهم[1]، وقد يقع هو ذاته في المعصية، ففي هجرهم له حماية وصيانة من الوقوع في الإثم.

٦– أن الهجر أنواع: فمنه ما يكون كلية كهجر الكفار، ومنه ما هو هجر كلي لمدة مؤقتة حسب ما تقتضيه مصلحة صلاح المدعو، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع الثلاثة الذين خلفوا، وكما فعل مع أبي سفيان وعبد الله بن أبي أمية[2].

ومنه ما هو هجر جزئي كالهجر في بعض جوانب التعامل فقط، مثل هجر الزوجة في المنام لتأديبها[3].

ثانيا: الإرهاب النفسي :

الحرب النفسية هي: (كل ما يتخذه أحد طرفي نزاع من الإجراءات التي يجعل بمقتضاها الطرف الآخر في حالة انفعالية لا يستطيع معها استخدام كل إمكانياته، بالشكل والأسلوب والنتائج المعقولة المتعارف عليها)[4].

فالهدف الحيوي من أي حرب هو تحطيم الطاقات المادية والمعنوية للأعداء، فإذا انتصر عليهم في ميدان الحرب، واستطاع أن يحطم طاقاتهم المادية، فلا بد من جهود أخرى لتحطيم طاقاتهم المعنوية، قد تسبق الحرب أو تلحقها، ليكون النصر كاملا، مؤديا للاستسلام، والحرب النفسية هي التي تستهدف الطاقات المعنوية[5].

وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم أن معنويات المقاتل لها دور كبير في المعركة، يفوق أحيانا قوة الأسلحة المادية، فإذا كانت هذه المعنويات مهيأة لخوض غمار المعركة،

---

[1] وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم القلب الذي يقبل الفتن ويتشربها بأنه (أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا). سبق تخريجه ص ٢٩٨.

[2] وذلك عندما قدما عليه أثناء مسيره إلى مكة ، فأعرض عنهما.

[3] بتصرف، درجات تغيير المنكر ص ٤٢– ٤٣.

[4] المعرفة في منهج القرآن الكريم ص ١٠٠.

[5] الرسول القائد ص ٢٨.

منحت المجاهد القوة والعزم، والقدرة على الصمود والمقاومة، أما إذا كانت غير معدة للمواجهة، فقد يسرت للطرف الآخر سبل النصر، ومهدت أمامه طريق الفوز[1].

ووسائل الحرب النفسية-في الوقت الحاضر- متنوعة، منها: الإشاعات، والإذاعات، والدعاية، والنشرات، والصحف، ونشر الأخبار الكاذبة والأنباء المغرضة، ومحاولة إثارة الفتن الداخلية، والوقيعة بين أفراد الأعداء، وزعزعة الإيمان بالنصر، وإشاعة الانهزامية، والتخويف من الموت والقهر الخ[2].

و لم تكن معنويات المسلمين في معركة من المعارك أعلى وأقوى مما كانت عليه يوم فتح مكة، ويكفي تعبير سعد بن عبادة رضي الله عنه عن اليقين والثقة الحاصلة في قلوب المؤمنين بأن النصر لهم، حين قال: (اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشا)[3].

أما معنويات قريش، فقد كانت منهارة للغاية، فقد جُرد زعيمها من إرادة المقاومة والقتال، بدءا بالإعراض عنه حين قدم المدينة، ثم أخذه أسيرا والمنَّ عليه، ثم احتجازه عند مضيق الجبل لتمر عليه كتائب المسلمين.

كما جُردت قريش من روح المقاومة وحل محلها روح الاستسلام، بإعطائهم الأمان إن هم استسلموا و لم يقاتلوا، حتى إن حماس بن قيس من بني بكر، لما أعدَّ سلاحه لمقاومة المسلمين، وسألته امرأته: لماذا تعد ما أرى؟ فقال: لمحمد وأصحابه. قالت: والله ما أرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شيء. فقد كانت معنويات قريش متأثرة أعظم تأثر[4].

ومما اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم من ترتيبات لاستعمال هذه الوسيلة، ما ذكره ابن القيم رحمه الله، من ضمن الفوائد المستنبطة من غزوة الفتح:(جواز بل استحباب كثرة المسلمين وقوتهم، وشوكتهم وهيئتهم لرسل العدو إذا جاءوا إلى الإمام كما يفعل ملوك الإسلام، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإيقاد النيران ليلة الدخول إلى مكة، وأمر العباس أن يحبس أبا سفيان عند خطم الجبل، وهو ما تضايق منه حتى عندما عرضت

---

[1] بتصرف، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٥٦٤.

[2] بتصرف، الجهاد في الإسلام: توفيق على وهبة ص ٥١.

[3] زاد المعاد ٤٠٣/٣، و لم يقره النبي صلى الله عليه وسلم على قوله.

[4] بتصرف الرسول القائد ص ٣٥١- ٣٥٢.

عليه عساكر الإسلام، وعصابة التوحيد وجند الله، وعرضت عليه خاصِكية[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم في السلاح لا يرى منهم إلا الحدق، ثم أرسله، فأخبر قريشا بما رأى)[2] و لم يملك إلا أن يحذرهم من المقاومة، ويحرضهم على التسليم، قائلا لهم: لقد جاءكم محمد بما لا قبل لكم به.[3]

ومما تميزت به الحرب النفسية التي شنها صلى الله عليه وسلم على قريش:

١- أنه استخدمها ضد رأس قريش وقائدها العسكري، فالتأثير على نفسيته وإقناعه بعدم جدوى المقاومة هو إقناع لقريش من ورائه.

٢- التنظيم الفريد الذي نظم به الرسول صلى الله عليه وسلم القبائل، مستغلا الحماس للعنصر القبلي، في تقسيمه للجيش، فكانت كل قبيلة تسير منفردة ضمن صفوف المسلمين، وكان هناك ألف رجل من بني سليم، وألف كذلك من مزينة، وأربعمائة ومن غفار، وألف وأربعمائة من جهينة، وأربعمائة من أسلم وعدد من تميم وأسد وقيس وغيرها.

ورفعت كل قبيلة رايتها، ليلتف حولها أفرادها، وذلك من العوامل التي تثير الحماس والهمم عند العرب ، فيمثل كل فرد قبيلته ويأبى أن يكون نقطة الضعف والثغرة التي يخترقها العدو، هذا إلى جانب كونه فردا في الجيش المسلم، ولا شك أن هذا التنظيم المحكم مما فتَّ في عضد أبي سفيان رضي الله عنه، حيث رأى كأنه يواجه كل قبيلة بذاتها.

٣- تحقيق المبادئ المهمة في الحرب النفسية، ومن ذلك:

أ- المحافظة على الهدف وعدم إضاعته أو انحرافه، سواء أكان هدفا قريبا، كإجبار قريش على الاستسلام، أو بعيدا كإدخال أهل مكة في الإسلام.

ب- المبادأة والهجوم، للضغط على العدو أثناء المواجهة، والإمساك بزمام المبادرة والتحكم في الشروط وفرضها، وتحقق ذلك للمسلمين بتوجههم المباشر إلى مكة، قبل أن تتوقع قريش ذلك.

---

[1] هم الجند الخاص بحراسة الأمير. حاشية زاد المعاد ٣/٤٢٨.

[2] زاد المعاد ٣/ ٤٢٨.

[3] سبق تخريجه ص ١١٩.

ج- الحشد لكافة القوى والإمكانات، وفي الوقت ذاته بث الفرقة بين أفراد العدو، وقد تمثل في جيش الفتح قوة الحشود الإسلامية، وتوحد وجهتها، وفي الوقت ذاته تفرق قريش واختلاف كلمتهم، فهذه هند تعترض على زوجها لما أراد منهم الاستسلام للمسلمين، ثم انشق فريق من قريش لمقاومة المسلمين، مما يدل على أنهم لم يكونوا جبهة واحدة.

د- المفاجأة باستخدام الوسائل والأساليب غير المنتظرة، مما يجعل العدو أقل استعدادا للمواجهة، ويسبب الإرباك بين صفوفه[1].

٣- الإكراه: (أو الغلبة)

وهو :(حمل الغير على ما يكرهه بالوعيد)[2]، وهو إلزام على سبيل القهر والغلبة، بالقيام بعمل من الأعمال المادية الظاهرة، تحت تأثير قوة ملجئة، أو تحت تهديد بانتقام أشد ضررا وشرا، من الضرر والشر اللذين قد يفضي إليهما العمل المكره عليه[3].

إن الإسلام جاء لإصلاح النفس البشرية، ولتحقيق الغاية من إيجادها، وحرص على أن يتقبل الناس ذلك عن طواعية ورغبة، وأن يتقبل دين الحق عن قناعة وإرادة- وهذه من خصائص الدعوة الإسلامية[4]-، و لم يعتمد إكراه الناس على الدخول في الإسلام عن طريق الجهاد، ليرغمهم على ذلك، لأن الإنسان مفطور على الإيمان ، والكفر حالة طارئة، والدين واضح بين، وإذا تعرف الكافر على حقيقة الدين، فلا شك أن فطرته – حال سلامتها- ستدفعه إلى الإيمان والتصديق بإذن الله، لأن الإكراه مخالف للفطرة، ومخالف للحكمة التي أوجد الله الناس من أجلها[5].

ولكن هذا لا يعني متابعة الناس لرغباتهم وأهوائهم، بل أن هناك بعض الظروف التي تفرض استخدام القوة والإجبار والإكراه، لفرض شرع الله ودينه.

---

[1] انظر المعرفة في منهج القرآن العظيم من ص ١٠٧- ١٠٩.

[2] التعريفات ص ٥٦.

[3] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/١٣٥.

[4] راجع ص ١٩٦.

[5] انظر مقاصد المكلفين ص ٣٤٨، والإسلام والوعي الحضاري ص ١٥٠، وافتراءات حول غايات الجهاد ص ٣٢-٣٣.

كما أن هناك حالات لا يمكن المصالحة فيها، ولا يمكن التعايش بين الطرفين، كما كانت الحال بين المسلمين والمشركين، فلا بد انتصار أحد الطرفين، إما بالقضاء على الطرف الآخر، أو باقتناع المهزوم بمبادئ المنتصر، والإيمان بها واعتناقها عن قناعة[1].

وهذه القناعة أحيانا تحتاج إلى شيء من الإكراه والإرضاخ للقوة، وذلك من حكمة مشروعية الجهاد، فالجهاد ليس دفاعيا فقط عند حالات التعرض للهجوم الظالم، أو عند استرداد الحقوق المغصوبة، بل شرعه تعالى لمصلحة الناس - حتى الكافر منهم- فشرعه لتأمين تبليغ دعوة الحق للناس، لأن التبليغ وظيفة المسلمين الأولى، ولا يجوز لهم أن يتخلوا عنها بحال من الأحوال، يدل على ذلك قوله تعالى﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ.... ﴾[2].

وحين تمنع دولة ما هذا التبليغ فإن من حق المسلمين أن يقاتلوها إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا، لأنه لا بد من إزاحة قوى الظلم الطاغية، التي لا تقيم العدل في شعوبها، وتفتنهم في دينهم﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ... ﴾[3][4]، فهذه حالة جهادية فيها إكراه وإرغام للأعداء على اتباع أوامر الدين وإخضاعهم لحكمه.

وحالة أخرى، يقاتل الناس فيها ويكرهون على الخضوع لحكم الإسلام، وذلك إذا كانوا من غير أهل الكتاب، - فهؤلاء قد جاء إقرارهم على دينهم مع دفع الجزية-، وهؤلاء يقاتلون وجوبا، لا للإكراه على الدخول في الدين، وإنما للخضوع لحكم الإسلام، وقد قال صلى الله عليه وسلم :((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا

---

[1] بتصرف، قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية والعسكرية: أحمد راتب عرموش ص ١٢٦، دار النفائس ط:٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

[2] سورة الحج جزء من آية ٧٨.

[3] سورة الأنفال جزء من آية ٣٩.

[4] بتصرف، بصائر للمسلم المعاصر ص ١١٣- ١١٤، وانظر في ظلال القرآن ٣/١٥٠٨- ١٥٠٩.

مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله))[1]، وحق الإسلام هو التزام أحكامه الظاهرة[2].

فإن قيل: كيف يجوز الإكراه على الحق، والظاهر من حال المكره أنه لا يعتقد ما أظهر؟ يجاب عن ذلك بعدة أجوبة:

أولا: أن الله بعث رسوله صلى الله عليه وسلم يدعو الخلق إليه، فوضح لهم السبيل، وبصرهم بالدليل، واحتمل الأذى والهوان في سبيل ذلك، حتى قامت حجة الله، وانتقل حاله من الأذى إلى العصمة، وعن الهوان إلى العزة، وجعل الله له أنصارا بالقوة، فمضى من المدة ما قامت به الحجة وكان به الإنذار، وحصل به الإعذار.

ثانيا: إن كانوا يؤخذون كرها أولا، فإذا ظهر الدين، وحصل في جملة المسلمين، وعمت الدعوة قوي اعتقادهم وحسن إسلامهم.

ثالثا: يزول الإشكال إذا عرف أن المطلوب في الدنيا من الكافر أن يستسلم ويخضع للإسلام، وأن يظهر ذلك، وليس المطلوب استقراره كاملا في فؤاده، في اللحظة التي يراد منه فيها الدخول في الإسلام، وإنما المطلوب منه أن يستسلم كيانه ولسانه لدين الله تعالى، ويذعن لنبوة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكل ما جاء به من عند الله عز وجل، أما الإيمان فيربو بعد ذلك في قلبه، مع استمرار تمسكه بالإسلام وخضوعه له، ولذلك يقول تعالى﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ.... ﴾[3].

لذلك لا يجوز للمسلم أن يقتل من تظاهر بالإسلام أثناء القتال، مهما كانت دوافعه إلى ذلك من خوف من القتل أو رغبة في الغنيمة[4].

رابعا: للجمع بين ما سبق، وبين ما هو معروف من خصائص الدعوة، أذكر ما يلي مما يتعلق بغزوة الفتح:

---

[1] سبق تخريجه ص ٣٣٤.

[2] بتصرف، صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم ٣/٤٦٥- ٤٦٦.

[3] سورة الحجرات جزء من آية ١٤.

[4] بتصرف، فقه السيرة: د. محمد سعيد البوطي ص ٣٧١.

١- أن الأمر لا يكون إكراها أبدا أو مسالمة أبدا، فالنبي صلى الله عليه وسلم قدوة الدعاة- قد جرى منه الأمران في هذه الغزوة، فأبو سفيان رضي الله عنه قائد قريش، وإسلامه عن رغبة أو رهبة ، هو مكسب كبير للمسلمين، فأسلم تحت التهديد بالقتل، وتحت الشعور بذل الأسر، وتحت شعور الانهزام النفسي من كثرة المسلمين وهول المفاجأة، وقد قيل له: أسلم قبل أن تضرب عنقك. فأسلم رغم شكوكه التي ذكرها حول نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم إسلامه[١].

وفي ذات الوقت، لم يكره أحدا من أهل مكة على الإسلام- رغم قدرته على ذلك- بل ترك لهم الحرية التي حددها لبعضهم بمدة أربعة أشهر، مما يُشعر بأنها مهلة محددة ثم يسلك أحد السبيلين بعد ذلك، فهي ليست حرية مطلقة، بل مقيدة بوقت معين.

٢-أنه صلى الله عليه وسلم علم قوة الإسلام وظهوره وغلبته، كما علم أن أهل مكة صاروا بعد العز والقوة، في غاية الوهن، إلى أن دخلوا في الإسلام وأكثرهم لذلك كاره[٢]،[٣] لكنه صلى الله عليه وسلم قبل علانيتهم وبايعهم على الإسلام، رغم عدم إجبارهم عليه لكنهم آثروا السلامة في انضمامهم إليه.

ومما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بحالهم وضعف الإسلام في قلوبهم، أنه لا يزال يتألفهم بالمال والعطايا والترفق بهم وتقديرهم ، ويبذل لهم كل ما من شأنه أن يقوي إيمانهم، ولو شاء إكراههم فقط ، وإجبارهم على الإسلام، لما فعل ذلك، ولما حرم الأنصار من غنائم حنين وتألفهم بها، فإكراههم كان وسيلة وسببا في إدخالهم في

---

[١] ومما يدل كذلك على قبول النبي صلى الله عليه وسلم إسلام الكاره ما رواه الإمام أحمد في المسند، عن أنس رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل:((أسلم)) قال: إني أجدني كارها. قال:((وإن كنت كارها))، ١٨١/٣، وصححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٣٩/٣ ح ١٤٥٤.

[٢] بتصرف، فتح الباري ٢٨٥/٦ ح ٣١٨٩.

[٣] ومما يؤكد إسلامهم كارهين قوله صلى الله عليه وسلم :((أسلم الناس وأمن عمرو بن العاص))(سنن الترمذي كتاب المناقب باب مناقب عمرو بن العاص، وقال: هذا حديث حسن غريب ليس إسناده بالقوي)، فالمقصود بالناس مسلمة الفتح من أهل مكة، فقد أسلم عمرو بن العاص رضي الله عنه، قبل الفتح بسنة أو سنتين طائعا راغبا مهاجرا إلى المدينة، وقوله صلى الله عليه وسلم هذا تنبيه على أنهم أسلموا رهبة، وآمن عمرو رضي الله عنه، فإن الإسلام يحتمل أن يشوبه كراهية أما الإيمان فلا يكون إلا عن طواعية ورغبة. بتصرف، تحفة الأحوذي ١٠/ ٣٤٢- ٣٤٣.

الإسلام، فكان مثلهم كمن يجر إلى الجنة بالسلاسل، وحالهم كما قال أبو هريرة رضي الله عنه عن قوله تعالى﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.... ﴾[1] قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام)[2].

٣- ومما يثبت فعالية هذه الوسيلة، ملاحظة النتائج التي أسفرت عن استخدامها فمسلمة الفتح الذين أسلموا تحت الشعور بغلبة المسلمين عليهم وأبو سفيان الذي أسلم بعد التهديد بالقتل، لم تحمل كتب التاريخ عنهم ما يشين إسلامهم، بل العكس من ذلك، كان الثناء عليهم بحسن إسلامهم، وكانوا من أوائل المتحمسين للجهاد في سبيل الله، حتى كان منهم قادة لجيوش الفتح الإسلامي.

---

[1] سورة آل عمران جزء من آية ١١٠.

[2] صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ٥/١٧٠.

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة.

توطئة:

تشكل الأساليب الدعوية – مع الوسائل– الركن الرابع من أركان الدعوة، والأساليب لغة: جمع أسلوب: وهو الوجه والمذهب. يقال: هم في أسلوب سوء، ويقال: قد سلك أسلوبه: أي –طريقه وكلامه– على أساليب حسنة.

والأسلوب : الفن والطريقة. ويقال: أخذ فلان في أساليب من القول: أي أفانين منه[1]، ويكون في القول والعمل[2].

والأسلوب في مصطلح علم الدعوة: هو العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ، وإزالة العوائق عنه[3]، فأسلوب الدعوة هو المفتاح الذي يفتح به الداعية مغاليق القلوب والعقول، وبغيره يكون عاجزا عن حمل الدعوة وتبليغها، وإن توفرت لدى الداعية صفة العلم والمعرفة، ولم يملك الأسلوب الذي به يقدر على مخاطبة الناس وتجميعهم حول الدعوة، فإن ذلك نقص في تبليغه لها، فعرض الدعوة علم وفن عظيم يجب على الداعية أن يتقنه ليتمكن من القيام بأعبائها، وذلك لما لحسن العرض من أثر قوي في اجتذاب المدعوين، يفوق أحيانا تأثرهم بمبادئ الدعوة وشرائعها[4].

ومن أهم الأساليب الدعوية التي ظهرت في غزوة الفتح ما يلي:

أولا: أسلوب القدوة:

وهو من الأساليب الدعوية الناجحة، حيث يتمثل الداعية أمام ناظري المدعو صورة حية، ونموذجا صادقا، وتطبيقا واقعيا، للأفكار والمبادئ التي يدعو لها الداعية، فإنه مهما عمل الداعية على توضيح منهج الإسلام المتكامل، أو رسم صورة مثالية للمسلم، فإن ذلك لن يحقق ذات النتائج ، ولن يغني عن وجود واقع حقيقي يمثله إنسان صادق، يحقق بعمله وسلوكه هذه الصورة.

---

[1] الصحاح فصل السين باب لباء ١٤٩/١. وتاج العروس فصل السين من باب الباء ٣٠٢/١.

[2] بتصرف، المنجد ص ٣٤٣.

[3] بتصرف، أصول الدعوة ص ٤١١.

[4] بتصرف، ركائز الدعوة في القرآن: محمد إبراهيم شقرة من ص ٣١ – ٣٢ ، ط : ١ المكتبة الإسلامية عمان الأردن، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

ومعنى القدوة أن يكون الداعية صورة صحيحة وصادقة لكل ما يدعو إليه، ويريد غرسه في المدعو، بل أن يكون فعله وسلوكه صادقا قبل كلامه[1]، ولا ريب أن الدعوة بالفعل والعمل، أقوى وأوقع في النفس، وأعون على الحفظ والفهم، وأدعى إلى الإقتداء والتأسي، من الدعوة بالقول والبيان، فالدعوة بأسلوب القدوة هو الأسلوب الملائم للفطرة، وقد كان من أعظم وأبرز أساليب النبي صلى الله عليه وسلم[2].

والقدوة الحسنة لها أثر بعيد المدى في نفوس المدعوين، لأنها عرض للنماذج البشرية الصالحة التي يراد محاكاتها والإقتداء بها، وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقتدي برسله الذين تقدموه فقال تعالى﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ .... ﴾[3]، كما جعله مثلا أعلى للمسلمين، وهو رسول الله الذي جمع ما تفرق في غيره من خصال الخير كلها، فقال تعالى﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[4].[5]

وقد تكون القدوة مثالا حسيا مشاهدا ملموسا يقتدى به، كما أنه قد تكون مثالا حاضرا في الذهن بأخباره وسيرته ، وصورة مرتسمة في النفس بما أثر عنه من أقوال وأفعال[6].

مقتضيات نجاح أسلوب القدوة:

١-حسن الخلق، تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ونتيجة لتطلعه إلى مرتبة الكمال التي بلغها عليه الصلاة ولسلام من الكمال الأخلاقي، فيكون الداعية قدوة أخلاقية متجسدة، صالحة للإقتداء بها.

---

[1] بتصرف، فقه الدعوة الفردية ص ٥٥.

[2] بتصرف، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم: عبد الفتاح أبو غدة ص ٦٥، مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب، ط:١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

[3] سورة الأنعام جزء من آية ٩٠.

[4] سورة الأحزاب آية ٢١.

[5] بتصرف، دعوة الإسلام: سيد سابق ص ٦٩.

[6] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢١٤/١.

وأصول السيرة الحسنة التي بها يكون الداعي المسلم قدوة طيبة لغيره ، ترجع إلى أصلين كبيرين: حسن الخلق، وموافقة القول العمل، فإذا تحقق هذان الأصلان، حسنت سيرة الداعي، وكانت سيرته الطيبة دعوة صامتة للإسلام، وإن فاته هذان الأصلان أو أحدهما، ساءت سيرته، وصارت دعوة صامتة منفرة عن الإسلام[1].

٢-موافقة قول الداعية عمله: بأن تكون الدعوة بلسان حال الداعية ، وممن يقتدى بهم في ذلك، نبي الله شعيب عليه السلام القائل فيما يحكيه عنه تعالى: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[2].

وتطبيق الداعية لهذا الشرط من دواعي قبول ما يدعو إليه، وتصديق أقواله، وترسيخها في قلوب المدعوين، فإن من خالف فعله قوله، فإن ذلك تكذيب لقوله، وعائد إليه بالإبطال، كما أنه منفر للناس من دعوته والانتفاع بكلامه[3].

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:(إن المفتي إذا أمر بالصمت -مثلا - عما لا يعني، فإن كان صامتا عما لا يعني، ففتواه صادقة، وإن كان من الخائضين فيما لا يعني، فهي غير صادقة... وإن دلك على المحافظة على الصلاة وكان محافظا عليها، صدقت فتواه... ومثلها النواهي، فإذا نهى عن النظر إلى الأجنبيات والنساء، وكان في نفسه منتهيا عنها، فهو الصادق الفتيا، والذي يقتدى بقوله ويقتدى بفعله، وإلا فلا، لأن علامة صدق القول مطابقة العمل، بل هو الصدق في الحقيقة عند العلماء، ولذلك قال تعالى﴿ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ..... ﴾[4]، وحسب الناظر في ذلك سيد البشر صلى الله عليه وسلم ... حيث كانت أفعاله مع أقواله على الوفاء والتمام)[5].

---

[1] بتصرف، أصول الدعوة ص ٤٨٦.

[2] سورة هود جزء من آية ٨٨.

[3] بتصرف، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية ١/٦٤.

[4] سورة الأحزاب جزء من آية ٢٣.

[5] باختصار: الموافقات ٤/ ٢٥٢- ٢٥٣.

وتهاون الداعية بهذا الأمر مما ينفر المدعوين ويصدهم عن الإتباع، أو على أقل افتراض استهانتهم بما يدعو إليه، أو التقليل من شأنه، وعدم أخذه بالجدية المناسبة.

٣- الابتعاد عما يخدش القدوة أو يجرحها: بأن يبتعد الداعية ما استطاع عن مواطن الزلل بالقول أو بالفعل، لأن أعين الناس معقودة عليه، وخطواته محسوبة ومراقبة ممن يدعوهم، فمرتبة الدعوة إلى الله تقتضي من صاحبها أن يلاحظ أفعاله من حيث أنه قدوة منظور إليها، ومتأس بها، فلا يسترسل كما قد يسترسل غيره ممن لا يقتدى بهم، بل يزن أفعاله دائما بميزان الشرع، ويحاسب نفسه على كل كلمة وتصرف، حتى يكون على مستوى القدوة[١].

وهذا ما كان يلحظه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كان يتجنب مواضع التهم، ولا يفعل شيئا يتضمن نقص مروءة، أو ما يستنكر ظاهرا، وإن كان جائزا باطنا، فإنه يعرض نفسه للتهمة، ويعرض عرضه للوقيعة، ويوقع الناس في الظنون المكروهة[٢].

ومن ذلك كراهيته صلى الله عليه وسلم للإشارة بالخفاء إلى قتل ابن أبي السرح رضي الله عنه ثم تعليل فعله للصحابة بقوله :((ما كان لنبي أن يكون له خائنة الأعين))[٣].

٤- الحرص على يسر الفعل المُظهر، إذا كان الداعية في مقام تعليم، لئلا يكون فيه مشقة وعسر، ولئلا يأخذ الأتباع أنفسهم بالشدة كما يأخذ نفسه بها، ومن ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندي وهو قرير العين طيب النفس، فرجع إلي وهو حزين، فقلت له، فقال:((إني دخلت الكعبة ، وددت أني لم أكن فعلت، إني أخاف أن أكون أتعبت أمتي من بعدي))[٤][٥]، فكان صلى الله عليه وسلم يعلم حرص أصحابه على اتباعه، فخشي أن

---

[١] بتصرف، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية ص ٦٦ - ٦٧. وانظر المصفى من صفات الدعاة: عبد الحميد البلالي ص ٢٨، دار الدعوة الكويت، ط:٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.

[٢] بتصرف، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ص ٢٠.

[٣] سبق تخريجه ص ١٣١.

[٤] سبق تخريجه ص ٢٥٩، وقد أورده الشيخ الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه ص ٢٤١ ح ٦٥٦.

[٥] بتصرف، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية ٦٨/١.

ينشأ عن دخوله الكعبة، إقتداؤهم به، فينتج عن ذلك مشقة وأذى وضرر خاصة عند تزاحمهم.

وكذلك لما صام صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى مكة، وصام الناس معه، فلما عرف ما أصابهم من الجهد بسبب إقتدائهم به أفطر، فقد روي أن(النبي صلى الله عليه وسلم أمر الناس في سفره عام الفتح بالفطر وقال: ((تقووا لعدوكم)). فصام النبي صلى الله عليه وسلم .. فقيل: يا رسول الله، إن طائفة من الناس صاموا حين صمت، فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكَديد، دعا بقدح فشرب، فأفطر الناس)[1].

٥- الحرص على إعلان تطبيق شرائع الإسلام أمام الناس ليقتدوا به ويتعلموا منه، وكثيرا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل العمل في الأماكن البارزة ليسترعي التفات الناس إليه[2]، كما فعل حين أفطر وهو في طريقه إلى مكة، كما روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنهم لما خرجوا إلى مكة، قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الناس قد شق عليهم الصيام، وإنما ينظرون فيما فعلت. فدعا بقدح من ماء بعد العصر)[3].

وكذلك طوافه حول البيت على بعيره، واستلامه الركن بمحجن، فعن صفية بنت شيبة رضي الله عنهما، قالت:(لما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح، طاف على بعيره يستلم الركن بمحجن في يده. قالت: وأنا أنظر إليه)[4].

قال الإمام الخطابي رحمه الله:(معنى طوافه على بعير أن يكون بحيث يراه الناس، وأن يشاهدوه فيسألوه عن أمر دينهم، ويأخذوا عنه مناسكهم، فاحتاج إلى أن يشرف عليهم)[5].

٦- الحرص على إتقان العمل وتجويده، خاصة إذا كان في مقام التعليم، فلا يرضى لنفسه من الأفعال الظاهرة والباطنة، بالجائز منها، بل يأخذ نفسه بأحسنها وأكملها، فإن

---

[1] سبق تخريجه ص ٢٤٨.

[2] بتصرف، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية ص ٧٠.

[3] صحيح مسلم كتاب الصيام باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان من غير معصية .. الخ ٧٨٦/٢ ح ١١١٤.

[4] سبق تخريجه ص ١٢٧ و ص ٤١٤.

[5] معالم السنن ٣٧٦/٢.

العلماء هم القدوة وإليهم المرجع في الأحكام، وقد يراقبهم للأخذ عنهم من حيث لا ينظرون، كما قد يقتدي بهم من لا يعلمون، وإذا لم ينتفع العالم بعلمه، فغيره أبعد عن الانتفاع به[1].

ومن ذلك صلاته صلاة الضحى أمام أم هانئ رضي الله عنها، (فإنها ذكرت أنه يوم فتح مكة اغتسل في بيتها، ثم صلى ثماني ركعات. قالت: لم أره صلى صلاة أخف منها، غير أنه يتم لركوع والسجود)[2].

٧- الامتثال لأوامر الله تعالى ونواهيه، فهذا هو أساس ما يدعو إليه الداعية، خاصة حين تظهر منه المسارعة إلى الالتزام بالحق بعد معرفته، ومن ذلك ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من الامتثال لأمر الله تعالى بعد نزوله عليه مباشرة، وخاصة إذا كان سبب النزول متعلقا بذلك[3]، كقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ... ﴾[4]، نزلت في عثمان بن طلحة رضي الله عنه ، حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم منه مفتاح الكعبة ودخلها، ثم خرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان، فدفع إليه المفتاح وقال: ((خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم إلا ظالم))[5].

وكذلك امتناعه عن النزول في دور المشركين ممن ظن المسلمون أنه له حق الإرث، فقال: ((لا يرث المؤمن الكافر، ولا الكافر المؤمن))[6].

آثار أسلوب القدوة وأهميته:

١- أن حاجة الناس إلى قدوة نابعة من غريزة تكمن في نفوس البشر، وهي التقليد والمحاكاة، فالإنسان يندفع برغبة ملحة قد لا يشعر بها نحو محاكاة من يعجب به في لهجته وأسلوبه ومعظم عادات سلوكه.

---

[1] بتصرف، تذكرة السامع والمتكلم ص ٢١.

[2] سبق تخريجه ص ٢٥٩.

[3] بتصرف، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية ص ٣٠٩.

[4] سورة النساء جزء من آية ٥٨.

[5] بتصرف، أسباب النزول: أبو الحسن النيسابوري ص ١٠٥.

[6] سبق تخريجه ص ١٢١ و ص ٢٢٠.

ويقوى الميل إلى المحاكاة والتقليد إذا كان من اتجهت إليه الأنظار قد فرض احترامه وتقديره وحبه، ولذلك اتخذ الإسلام القدوة الحسنة وسيلة لترقية المجتمعات المسلمة في سلم الكمال السلوكي[1].

٢- إن تأثيرها ينتقل من الداعية إلى المدعو دائما، سواء أكان هذا التأثير عفويا غير مقصود، كاتصاف الداعية القدوة بصفات تدفع الآخرين إلى تقليده كإخلاصه وحسن خلقه، أو كان التأثير مقصودا، كما يحدث في مقام التعليم، وإظهار الشجاعة والتضحية بتقدم الصفوف والإقدام، وهذه الخاصية تعطي لهذا الأسلوب استمرارية في التأثير، مما يلزم الداعية بمراقبة سلوكه دائما[2].

٣- أنها دعوة غير مباشرة ، مما يجعلها أقرب لموافقة طباع المدعوين الذين يأنفون من اتباع التوجيه، والأمر المباشر، والذين لا تجدي معهم عشرات النصائح والمواعظ والمحاضرات، بينما يقتنعون بالإتباع عند رؤيتهم قدوة مثالية صادقة، وينطلقون من قناعات ذاتية إلى العمل، دون شعور بالإكراه أو بالضغط الخارجي، مما يساعد على التزامهم بالحق وثباتهم عليه وتفانيهم في ذلك.

٤- تجاوزها لحدود اللغة، وتقبل غالبية مستويات الفهم والإدراك لها، ذلك أن مستويات الفهم للكلام المباشر تتفاوت عند الناس، بينما الغالبية يتساوون أو يشتركون في قدر كبير أمام الرؤية بالعين المجردة لمثال حي متحرك، فإن ذلك أيسر في إيصال المفاهيم التي يريدها الداعية للمقتدي، كما أنها تعطي قناعة للمدعو بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة، وليست مستحيلة الوقوع، فشاهد الحال أقوى من شاهد المقال[3].

٥- أن القدوة الصادقة الملتزمة بما تدعو إليه، تقع غالبا موقع الرضا في قلوب الناس، وتلك مزية لها أثرها البين في قبول الدعوة، فهو دلالة على صدق الداعي، ومدى إيمانه بالفكرة التي يدعو لها، وعدا أن التزامه من إمارات صدقه، ومن بواعث الاستجابة

---

[1] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/٢١٥، وانظر أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص ٢٣١.

[2] بتصرف، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص ٢٣٤.

[3] بتصرف، المصفى من صفات الدعاة ص ٢٠، وانظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/ ٢١٥.

فهو كذلك من دواعي توقيره وتبجيله، والناس مذ كانوا مفطورين على احترام الصادقين الجادين الذين تطابق أقوالهم أفعالهم، وهو أسلوب لا يقل أهمية عن الدعوة بالقول، والناس في هذا العصر أحوج ما يكونون إلى الدعوة العملية، رغم كثرة وسائل الإعلام وانتشار المعارف والعلوم.

وقد كان لإقتداء الأمة الإسلامية بنبيها صلى الله عليه وسلم، في عصر الصحابة ومن بعدهم، وتأثرها بشخصيته وأخلاقه الكريمة، دافعا كبيرا لها على الاستقامة على أمر الدين، و لم تزل سيرته تمثل للناس أنبل الصفات والأعمال والأخلاق، ولا تزال تجسم المثل والمبادئ الإسلامية أمام أنظارها، فهي قدوة متجددة مع مرور الأجيال، وكلما قرأ المسلم سيرته ازداد حبا له وإقتداء به[1]، ولكنه صلى الله عليه وسلم يظل مثلا أعلى فوق الإنسان، يسعى إليه بكل طموح، رغم أنه سيبقى دونه، ليظل يتوجه بطاقته نحو أهداف خيرة متجددة[2]، ويبقى باعث حب الإقتداء به دافعا إلى الاستقامة على هديه وسنته صلى الله عليه وسلم .

ثانيا: أسلوب الإقناع:

الإقناع هو: (عمليات فكرية وشكلية، يحاول فيها أحد الطرفين التأثير على الآخر وإخضاعه لفكرة ما)[3]، وهو غرس الرضا والقبول في نفس المدعو وعقله، بما يعرض عليه الداعية من أفكار، ليثمر هذا الاقتناع تأثرا وإتباعا والتزاما من قبل المدعو.

ومن أسس منهج القرآن مطالبة الناس بالإيمان به على أساس الاقتناع الذاتي، ومن خلال ما يقدمه لهم من أدلة وبراهين على الحق، معتبرا ذلك هو السبيل الصحيح للعقيدة الحقة، فاعتناق الدين الإسلامي يقوم على الاقتناع، لا على مجرد الإيمان القسري[4]، وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بإعطاء الأمان والجوار لمن طلبه من المشركين، لإعطائه فرصة سماع القرآن ومعرفة هذا الدين، لعل قلوبهم أن تتفتح وتتلقى وتستجيب،

---

[1] بتصرف، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية ص ٧٥، وانظر أصول التربية الإسلامية ص ٢٣١.

[2] بتصرف، الوعي الحضاري ص ٨٨.

[3] كيف تقنع الآخرين: عبد الله محمد العوشن ص ١٥، ط: ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م دار العاصمة الرياض.

[4] المرجع السابق ص ٨٧ - ٨٨.

وحتى إذا لم تستجب، فقد أوجب الله لهم على أهل دار الإسلام أن يحرسوهم حتى يصلوا إلى مأمنهم[1]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ..... ﴾[2].

فمن مميزات العقيدة الإسلامية، أنها عقيدة مبرهنة مقنعة، لا تكتفي من تقرير قضاياها بالإلزام المجرد والتكليف الصارم، ولا تقول كما تقول بعض العقائد الأخرى: (اعتقد وأنت أعمى)، أو:(آمن ثم أعلم).

بل يقول كتابها بصراحة: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3]، ولا تكتفي بمخاطبة القلب والوجدان، بل تتبع قضاياها بالحجج الدامغة، والبرهان الناصع، والتعليل الواضح الذي يملك أزمَّة العقول، ويأخذ الطريق إلى القلوب[4].

والداعية في دعوته لا بد له من الوقوف مليا للتفريق بين نقطتين:

النقطة الأولى: الفكرة والمبدأ الذي يجب أن يعرض.

النقطة الثانية: أسلوب عرض المبدأ أو الفكرة.

وفي بعض الأحيان يختلط الأمر لدى بعض الدعاة فيطيحون بالأسلوب جانبا، ويقدمون ما يحفظون من نصوص مهما كان أسلوب العرض، فيخفقون، كما أنهم قد يسببون تنفيرا للناس، بأسلوبهم البعيد كل البعد عن الإقناع[5].

فلا بد للداعية من التلطف في القول، والرفق في المعاملة مع تحري الإقناع، فهو أسلوب له شأنه في نجاح الداعية، وفي مقام الدعوة إلى الخير، والسر في ذلك أن النفوس جبلت على الميل إلى العظمة وحب الكرامة، وشبت في الغالب على الأنفة والرعونة، ونشأت على التقيد بالإلف، فمن أراد صرفها عن غيها إلى رشادها، لا بد له أن يتحرى إقناعهم بذلك[6]، لأن الإقناع والرضا الداخلي، يحقق مسئولية التزام وانضباط داخلية، لا

---

[1] بتصرف، في ظلال القرآن ٣/ ١٦٠٢.

[2] سورة التوبة جزء من آية ٦.

[3] سورة البقرة جزء من آية ١١١.

[4] بتصرف، الإيمان والحياة ص ٤٨- ٤٩.

[5] بتصرف، فقه السيرة: منير الغضبان ص ٢٣٨.

[6] بتصرف، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ص ١١٨- ١١٩.

تقتصر على المراقبة الخارجية، بل يقوم المدعو بمراقبة نفسه ومحاسبتها على سلوكها، وفق المعايير السلوكية التي تم الاقتناع بها[1].

كما أن الأخذ بهذا الأسلوب يحقق -بإذن الله- عند المدعو تصديقا باطنا مقترنا بالعمل الظاهر، حيث تتم ممارسة السلوك والأخلاق برغبة صادقة، وإحساس عميق، يُكسبان العمل قيمة وأهمية في الشعور الباطني، ودقة وإخلاصا في العمل الظاهري[2].

ولأسلوب الإقناع تطبيقات مرحلية ، يوضحها ما يأتي:

أولا: مرحلة الإقناع الأولي(أو مرحلة بذل الأسباب الإقناعية العامة):

تمهيدا لعملية الإقناع، وذلك عن طريق ما يلي:

(١) وضوح عرض الدعوة:

إن إقناع الناس بالدعوة يتناسب تناسبا طرديا مع وضوحها، فكلما زادت نصاعة الدعوة ووضوحها، زاد اقتناع الناس بها، وكلما اتصفت بالغموض والتشويش، انفض الناس من حولها، ورفضتها قلوبهم وعقولهم.

وليس هناك دين أو عقيدة أوضح من الدين والعقيدة الإسلامية، وكتابه القرآن الذي قال تعالى عنه: ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ﴾[3]، وقال﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾[4].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك))[5].

ومما يؤدي إلى الوضوح في الدعوة، انتهاج طريقة الشرح والتفسير لأصول الدعوة، التي هي أصول الدين، وذلك من خلال إثبات الحقائق الدينية، مما يتعلق بالعقيدة والعبادة والمعاملات والفضائل وغيرها، مع ذكر حججها وبراهينها، ودفع الشبه عنها، فعرض

---

[1] بتصرف، علم النفس الدعوي ٥٢، ٢٣٤، ومن ص ٢٣٨ - ٢٤٢.

[2] بتصرف، علم النفس الدعوي ٤٩.

[3] سورة النمل آية ١.

[4] سورة الكهف آية ١.

[5] مسند الإمام أحمد ١٢٦/٤ عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، وسنن ابن ماجة في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١٥/١ ح ٤٢، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١٣/١ ح ٤١.

أصول الدين وقيمه هو في الحقيقة عرض لأصول الدعوة وقيمها[1]، والتعريف بالفضائل تعريفا صحيحا، بإبراز ما فيها من كمال وجمال، يورث يقينا وقناعة بفوائدها وثمراتها الدينية والدنيوية.

كما أن التعريف بالرذائل والنقائص بإبراز ما فيها من نقص وقبح، يورث يقينا بمضارها ونتائجها السيئة، مما يولد نفورا منها ورغبة صادقة في اجتنابها[2].

(٢) إزالة العوائق والشبه التي قد تطرأ كعقبات في الطريق:

والتي تحول دون اقتناع المدعو قناعة حقيقية، ومن هذه العوائق: عدم الرغبة في اعتقاد الحق، فإن انتفاء هذه الرغبة عند المدعو، تصده عن الحق ولو عرضت عليه جميع الأدلة العقلية والدينية، وحاله يصدق عليه قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[3].

فهذا تستخدم له الأدلة والبراهين التي تقنعه بأن في اعتقاد الحق مصلحة للبشرية تفوق أي مصلحة أخرى، وأن الإنسانية بحاجة إلى هذا الدين، وتنمية الإحساس بأنه ضروري للحياة، ولا يمكن أن يحقق مراده في هذه الحياة إلا عن طريقه.

كذلك إزالة العوائق التي تحول بينه وبين الإقناع: كالعوائق الأخلاقية، من تعصب وكبر وغيره، أو العوائق المادية كالتعلق بمتاع الدنيا ومصالحها الزائلة[4].

ثانيا: مرحلة بذل الأسباب الإقناعية الخاصة (أو مرحلة الإقناع الخاصة):

وتتميز بما يلي:

(١) الابتعاد عن المواجهة المباشرة[5]:

---

[1] بتصرف، فقه الدعوة إلى الله ٢١٧/١

[2] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢٠٤/٢- ٢٠٥.

[3] سورة الجاثية آية ٢٣.

[4] بتصرف، جوانب التربية الإسلامية الأساسية من ص ١٥٢ - ١٥٧.

[5] يوضح د. عصام سليمان موسى دور الأسلوب الإقناعي الغير مباشر في العلاقات العامة، فيقول: ينبغي على مسئول العلاقات العامة تجنب اللجوء للإقناع المباشر قدر الإمكان، وهذا لا يعني أنه يجب ألا يكون ماهرا في الإقناع، متمرسا به وبأساليبه، لكن ما يخشى منه لجوء هذا المسئول إلى الإقناع المباشر، الذي يستثير دفاعات المتلقي، فيبدي مقاومة نفسية متزايدة، ينتج عنها عدم قبول وجهة النظر الجديدة، لذلك فإن اللجوء للإقناع غير

لأن اعتراض أفكار وآراء المدعو مباشرة بالحجة، أمر منفر، وغالبا ما تكون المجادلات الخصامية مشاحنات ومواجهات، يحتد فيها المزاج ويظهر العناد، ويتشكل معها موقف صلب ومقاومة لا تجدي معها عمليات الإقناع أيا كانت، فمن المناسب قبل الوصول إلى هذه المرحلة، الدخول في عملية إقناع المدعو بمدخل لين سهل، لا يتصادم مع ما يحمله المدعو من آراء وأفكار خاصة، بل إن من عوامل قوة الإقناع، أن يوجه الداعية عملية الإقناع نحو الجانب الإيجابي المؤيد الذي يوافق اتجاه المدعوين، مثل النقاط المتوافق عليها، والمشتركة بين الطرفين، لتجنب إحداث موقف معارض لاتجاه دعوته[1].

ولهذا كان من الحكمة، ما بدأ به صلى الله عليه وسلم خطبته من إعلان حرمة مكة وقدسيتها أمام أهل مكة، في قوله:((إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة))[2].

(٢) استخدام الحوار الإقناعي:

فقد كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يستخدم الحوار في سبيل الإقناع وإقامة الحجة[3]، فالمحاورة تكشف أمام الداعية موانع الاقتناع عند المدعو، فيعمل عند انكشافها له على إزالتها بالحجة والبرهان، أو بغير ذلك من وسائل الإقناع.

(٣) مراعاة المستوى العقلي في الأسلوب الإقناعي:

فمن المهم مراعاة الفروق الفردية بين المدعوين، كمستوى الذكاء، ودرجة التأثر ونوعه، فصغار السن قد يزيد تأثرهم بالترغيب والترهيب عن غيرهم، والنساء كذلك يختلفن عن الرجال في تأثرهن وطريقة إقناعهن وذكائهن، وكذلك يختلف المدعوون رجالا ونساء في القدرة على الإنصات والتحليل وردود الفعل، فمراعاة هذه الأمور مما يساعد على نجاح أسلوب الإقناع.

المباشر الذكي، سيدفع بالمتلقي إلى استنتاج الأمور بنفسه، فيشعر بالراحة النفسية، لأنه توصل إلى القرارات من تلقاء ذاته . بتصرف، المدخل في الاتصال الجماهيري ص ١٩٤، مكتبة الكتاني أربد الأردن، ط: ١، ١٩٨٦م.

[1] بتصرف، كيف تقنع الآخرين من ص ٢٨ - ٢٩.

[2] سبق تخريجه ص ١٤٤.

[3] ولنا في سيرته صلى الله عليه وسلم شواهد كثيرة كقصة الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا (مسند الإمام أحمد ٢٥٦/٥) أو قصة إسلام عدي بن حاتم رضي الله عنه (سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ٢٤٨/٤)

فالداعية قد يستخدم أسلوبا معينا في الدعوة ويوجهه إلى الجميع، فيتأثر به البعض، وتتولد قناعة في نفسه مما يؤدي إلى استجابتهم، بينما يحول تفاوت مستوى الفهم والذكاء دون تأثر الباقي من المدعوين.

إضافة إلى مراعاة المستوى الثقافي والتعليمي، فذلك له دور هام في القبول والاقتناع، وقد ظهر ذلك في موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الرجل الذي أصابه الخوف والوجل وأخذته الرعدة، وهو واقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاطبه صلى الله عليه وسلم بما يتناسب مع حاله ويسهل عليه فهمه وإدراكه فقال: هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد))[1] .

(٤) استعمال البدائل المساهمة في الإقناع:

وهو تقديم البدائل التعويضية من النماذج والقدوات والقيم، على أساس العقيدة والمبادئ الإسلامية، بهدف إعادة صياغة الحياة الفردية والاجتماعية، وفقا لتلك العقيدة والمبادئ وغاياتها[2].

فإن تقديم البديل المناسب للمدعو، لتعويضه عما سيتركه من شعائر الجاهلية ومبادئها، دافع مقنع للاستجابة، لأن طبيعة البشر التمسك والتعلق بما ألفوه، ورفضهم الانتقال إلى غيره، إلا عند توافر البديل، مع مراعاة تحقق أفضليته و قناعتهم به.

إضافة إلى أن تفريط الداعية في تقديم البدائل المناسبة للمدعو، قد يوقعه – أي المدعو– في البلبلة، والانصراف إلى غير الحق ، مما يشبه ما كان عليه من الباطل.

(٥) الإقناع الحسي:

فقد لا تجدي محاولات الإقناع القولية مع بعض المدعوين، إذا كانت الحجب الحائلة بين قلوبهم وبين الحق كثيفة وقوية، لكنهم سرعان ما يتأثرون وتزول الغشاوة عن أبصارهم، إذا لمسوا بأيديهم وحسهم ضعف الباطل، وبطلان الأوهام التي يعيشون فيها، فهذا سادن الصنم (سواع) لما وصل إليه عمرو بن العاص رضي الله عنه ليهدمه، يعترضه السادن ويقول له: لا تقدر على ذلك، وتعجب عمرو من إصراره واقتناعه بالباطل، فقال

---

[1] سبق تخريجه ص ٣١٥.

[2] بتصرف، بحث بعنوان: تجديد الدعوة: د. عبد الحميد أبو سليمان ص ١٠٩، من ضمن أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد بكينيا ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

له: حتى الآن أنت في الباطل، ويحك هل يسمع أو يبصر، ثم دنا منه فكسره، حينئذ اقتنع السادن ببطلان إلهه المزعوم، وقال: أسلمت لله[1].

ثالثا: مرحلة الإمهال والترك، والتأني بالمدعوين:

وطبيعة هذه المرحلة، انتظار ثمرات المحاولات الإقناعية المبذولة من قبل الداعية، وتتضمن الآتي:

(١) التأني وعدم الاستعجال:

فعملية الإقناع قد تحدث بشكل بطيء، كما قد تحدث أحيانا بشكل سريع، ومما يصعب على المدعو التخلي عن قناعته واعتقاداته التي درج عليها هو وآباؤه سنين طويلة، والدخول في دين جديد ومعتقد مختلف، فذلك يحتاج إلى مرور زمن ليس بالقليل يتلقى خلاله إجابات كثيرة مقنعة لما يدور في نفسه وخلده، وبعد حصوله على قناعات تامة تبعث إليه الاطمئنان والراحة النفسية لما تلقاه من الداعية[2].

ومثال ذلك تأنيه بأهل مكة وإعطائهم الأمان ، وعدم الاستعجال عليهم ليدخلوا الإسلام، هذا رغم ما بذله من وسائل إقناعية خلال عشرين سنة مضت[3].

(٢)- إتاحة الفرصة للاختيار:

لأن شعور المدعو بأن الفرصة متاحة أمامه للقبول أو للرفض، يدفعه ذلك إلى تقليب النظر، والتفكير بإنصاف وموضوعية فيما طرح عليه، بعيدا عن الشعور بالإجبار والإكراه، ولا يكاد الإنسان العاقل ينظر بعين الإنصاف والعدل للإسلام ، إلا ويقدم عليه بقناعة ورضى تامين، ومن ذلك إتاحة هذه الفرصة لصفوان بن أمية رضي الله عنه مدة أطول من التي سألها النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمهله صلى الله عليه وسلم أربعة أشهر، فأسلم رضي الله عنه.

(٣) محاولة عزل المدعو فكريا، وإبعاده عن الأجواء الجماعية الغوغائية، لأنها من العوامل التي تغطي الحق، أو تشوه وجهه، فالجماهير الجاهلية غالبا ما تتصف بالغوغائية والتقليد الأعمى، واتباع كل ناعق من رؤوس الضلال، وقد تغطي الحق أو تضيع معالمه،

---

[1] سبق تخريجه ص ١٤٨.

[2] بتصرف، كيف تقنع الآخرين ص ١٤٠، وللاستفادة أنظر نفس الكتاب من ص ١٤١- ١٤٤.

[3] ومن الأمثلة الواضحة لعملية الإقناع بإظهار ضعف المعبودات، والتأني بالمدعو، قصة إسلام عمرو بن الجموح رضي الله عنه انظر سير أعلام النبلاء ٢٥٢/١، والإصابة ٥٢٩/٢.

وتخلطه بغيره خاصة عند من قلت بصيرته، ونصيبه من هدى الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم، فيتبع المدعو الأكثرية من الناس، ظانا أن الحق معهم.

وقد وعظ الله تعالى أهل مكة، وأمرهم أن يقوموا لله، ويرجعوا لأنفسهم بعيدا عن هذه الأجواء، ويفكروا بعمق وتدبر بحال الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن ذلك حري بأن يوصلهم إلى الحق والهدى[1]، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾[2]، أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه، وينظران فيه نظر الإنصاف، ولا يميل بهما اتباع هوى حتى يهجم بهما الفكر الصالح، والنظر الصحيح على جادة الحق.

كذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة، من غير أن يكابرها، ويعرض فكره على عقله، وما استقر عنده من عادات العقلاء وأحوالهم.

والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى، أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصاير، ويمنع من الروية، ويخلط القول، ومع ذلك يقل الإنصاف، ويكثر الاعتساف، ولا يسمع إلا نصرة المذهب والتعصب له[3].

وقد أفاد النبي صلى الله عليه وسلم من انفراده بأبي سفيان، عن بقية قريش، ليعرض عليه الإسلام مرة أخيرة قبل الفتح، كما أمر العباس أن يستبقيه ليلته تلك عنده ثم يأتيه به إذا أصبح، فكانت فترة هادئة للتفكير بعيدا عن المشوشات أو المؤثرات القرشية، فالداعية إذا قصد إقناع المدعو في أي مرحلة من المراحل الثلاث، عليه أن يتجنب الجو الجماعي، لأنه يكون أقرب إلى ترك رأيه، إذا تبين له أن الحق في خلافه، إذا كان التفكير من شخص واحد ، بخلاف حال الجماعة فقد يعز عليه الاعتراف بالخطأ أمام مؤيديه أو مخالفيه[4].

---

[1] بتصرف، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم ص ٥٩ – ٦٠.

[2] سورة سبأ آية ٤٦.

[3] بتصرف، الكشاف ٢٩٤/٣.

[4] بتصرف، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم ص ٥٩ – ٦٠. وانظر الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٢٥٣.

ثالثا: أسلوب التخطيط:

التخطيط هو: وضع خطة يسير عليها القائمون بالعمل، وفقا لأهداف محدودة، مع مراعاة استخدام الموارد البشرية والمادية على أفضل وجه ممكن[1].

والمقصود بأسلوب التخطيط في الدعوة: تفهم الداعية لشمول أهداف دعوته ومقاصدها، وإدراكه الوسائل التي ينبغي أن يسلكها لتحقيق هذه الأهداف، ثم وضع خطة محددة المعالم، ينظم جهوده على ضوئها، مراعيا الإمكانيات المتاحة له، والظروف المؤثرة في الواقع، بحيث تكون هذه الخطة مؤدية إلى تحقيق الأهداف المقصودة، سواء أكانت أهدافا قريبة أم بعيدة، وأن لا يترك العملية الدعوية تسير خبط عشواء، مستندة إلى محدودية النظر، والتصرفات الوقتية الصادرة عن ارتجالية لا عن تفكير عميق وتنظيم، أو أن تسيرها الظروف والأحوال، دون أخذ الأهبة والاستعداد للمتغيرات حولها، بل محاولة التنبؤ بما قد يعترضه من عوائق ومشكلات[2].

وتكمن أهمية التخطيط للدعوة الإسلامية، في أنه مبدأ رباني، وإن غفل عن أهميتها الكثير من الدعاة اليوم، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ .... ﴾[3].

إضافة إلى أن التطور العلمي والتقدم المادي في العصر الحاضر، يفرض على المسلم التخطيط والتنظيم، في كل مناحي حياته، والمتأمل في الواقع الحالي، يشهد لأعداء الدين بحسن التخطيط في أمور دنياهم، وينعى على المسلمين اعتذارهم عندما تصيبهم المحن والفتن، أو تأخذ بخناقهم الأزمات والشدائد، بأن هذا من مخططات أعداء الإسلام، الذين يسعون إلى ضرب الإسلام وتعويق انتشاره، فلا بد للمسلم من التخطيط والتنظيم لاستخدام ما لديه من طاقات وإمكانات- قد لا تتوافر كلها لديهم- للوقوف في وجوههم، بل والتفوق عليهم إذا صدق مع الله، ومنطلقه في ذلك-لا التقليد لهم- أن التنظيم والتخطيط هو من سمات الدين الإسلامي.

---

[1] بتصرف، فقه الأخوة في الإسلام ص ١٥٨.

[2] انظر مقال بعنوان: التخطيط في خدمة الدعوة إلى الله :خالد صقير الصقير من ص ٢٢ – ٢٥، مجلة البيان عدد ١٢٤ ذو الحجة ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.

[3] سورة الأنفال جزء من آية ٦٠، وبتصرف، الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ص ١١٢.

ومن يتأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، يرى أن مراحلها وخطواتها، لم تحدث ارتجالا أو تتم اعتباطا، بل تمت بعد تفكير وتدبير، يسدده الوحي عند الاقتضاء[1].

مجالات استخدام أسلوب التخطيط في الدعوة الإسلامية:

إن أسلوب التخطيط ليس أسلوبا قائما بذاته، فلا يقال إن الداعية قد سلك في دعوته أسلوب التخطيط، لكنه أسلوب تكميلي، وطريقة من طرق تنظيم استخدام الأساليب الدعوية الأخرى.

ومن المجالات التي تتطلب جهود الدعاة عند التزامهم بهذا الأسلوب، ما يلي:

١- الجهاد في سبيل الله:

فحسن التخطيط فيه[2] يؤدي- بإذن الله إلى التقليل من الخسائر البشرية والمادية إلى اقل حد ممكن، وقد كان فتح مكة نموذجا رائعا للتخطيط الجهادي، سواء في توقيت خروج المسلمين من المدينة بعد الاعتداء الآثم مباشرة، لمهاجمة قريش في عقر دارها، والإمساك بزمام المبادرة، أو تنظيم كتائب الجيش الإسلامي، وتوزيع الرايات والألوية، بحيث تستوعب القبائل المشاركة في الجيش ثم يظهر الجزء الأقوى في الخطة، وهو تقسيم الجيش إلى خمسة أجنحة، واستغلال الأثر النفسي لمباغتة قريش بأن طوقت مكة وشلت حركة أهلها، ثم تحديد موقع الالتقاء .. إلى غير ذلك من التدابير التي خطط لها النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة، مما يثبت أهمية التخطيط في الجهاد في سبيل الله.

٢- في توزيع المسئوليات والتكليفات:

---

[1] بتصرف، الحل الإسلامي فريضة وضرورة: د.يوسف القرضاوي ص ٢٣١ - ٢٣٢، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: بدون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، وأضاف المؤلف: أن الله تعالى قص علينا قصة يوسف عليه السلام، وفيه تخطيط اقتصادي تمويني لمدة ١٥ سنة، قام عليه يوسف عليه السلام تفكيرا وتنفيذا، فهذا يدل على شرعية التخطيط للمستقبل، وقد ذكره القرآن في معرض التمدح والامتنان. ص ٢٣٢. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخر لأهله قوت سنة كما روى الإمام البخاري في صحيحه(أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم). كتاب النفقات باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله وكيف نفقات العيال ١٩٠/٦. ومن شواهد استخدامه صلى الله عليه وسلم التخطيط والتنظيم في الدعوة اتخاذه دار الأرقم مركزا للدعوة قبل الجهر بها، والعمل على إيجاد مناخ صالح يتآخى فيه الدعاة.

[2] وذلك كاختيار القيادة الصالحة، والعناية بإعداد أفراد الجيش وانضباطهم واستقامتهم، وقوة التسلح والإعداد، واختيار التوقيت المناسب للقتال، ودراسة أرضية القتال والظروف المحيطة به، ودراسة أحوال العدو.. الخ.

وذلك يتم بداية بجودة اختيار الكفاءات وملاءمتها للمهمة، وتحديد الأهداف التي ينشدها القائم بالخطة، سواء أكانت أهدافا مرحلية مؤقتة، أم أهدافا عامة، ومن ذلك سرايا تحطيم الأوثان، والسرايا التعليمية الدعوية، كسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جذيمة، وتكليف معاذ بن جبل رضي الله عنه بتعليم أهل مكة، وأبي محذورة رضي الله عنه بالقيام بالأذان في المسجد الحرام[1].

٣- في إعداد الدعاة وتربيتهم:

وذلك بغرس أهمية النظام في سلوكهم وإعدادهم، بشكل متكامل، لتحقيق الداعية المثالي أو النموذجي، فالداعية يحتاج إلى تنظيم وقته وتنظيم جهوده، لأن العشوائية تؤدي إلى بعثرتها وهدرها[2].

والتخطيط لإعداد الدعاة يساهم في معرفة مواضع الضعف فيهم، فتحدد البرامج اللازمة للنهوض بمستواهم، كذلك في معرفة أصحاب القدرات القيادية أو الإدارية أو غير ذلك من الصفات البارزة في الدعاة الناجحين، مما يساعد على وضع الخطط التي تزيد من فاعليتها وإنتاجيتهم.

٤- في استيعاب المسلمين الجدد:

فإن تركهم هملا دون العناية بهم، والتخطيط لذلك من قبل الدعاة، قد يؤدي إلى انتكاسهم، وتراجعهم، وعلى أقل الأحوال جهلهم وعبادتهم الله دون بصيرة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يوزع هذه المسئوليات على أصحابه فما أن يسلم أحد الناس حتى يكلف به أحد الصحابة ليعلمه، أو ينظم لهم مسكنا إلى جواره ليتعلم قبل أن يرجع إلى قومه، كذلك يُلزم صلى الله عليه وسلم المسلمين السير في خطة تعليمية لتعليم عدد كبير من الناس، حيث سلك بهم مسلك التعليم الجماعي المستنفر، ودفعهم إلى محو العامية دفعا، وحضهم على ذلك[3]، فقال:((ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون))[4].

---

[1] راجع ص ١٤٩، و ص ١٧٢، و ص ٣٦٧.

[2] انظر منهاج الدعاة: د. محي الدين الألوائي ص ٦٣.

[3] بتصرف، الرسول المعلم، وأساليبه في التعليم ص ١٤.

[4] جزء من حديث طويل أورده الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب العلم باب في تعليم من لا يعلم ١٦٤/١،

مقتضيات أو متطلبات نجاح أسلوب التخطيط:

١- الوضوح في عرض الخطة وتحديد جزئياتها، والابتعاد بها عن الغموض، ومن ذلك:

– تحديد الأهداف التي تسعى الدعوة لتحقيقها، مرتبة حسب الأولويات، مع التمييز بين الأهداف الأساسية والثانوية، وبين الأهداف القريبة والبعيدة[١]، فإن ذلك مما يساعد على اختيار الأهم منها عند حدوث تضارب أو تداخل بينها، أو عند الحاجة لتقديم برنامج على آخر، أو إلغاء أحدهما أو غير ذلك[٢].

– تحديد الإمكانيات والموارد البشرية المتاحة، لتحقيق أقصى استفادة ممكنة.

– تحديد الوسائل والطرق الدعوية المناسبة والملائمة لكل داعية، بحسب قدراته وإمكاناته، والمتوافقة مع طبيعة البرنامج والأهداف المرسومة له[٣].

٢- التعاون بين الدعاة في سبيل نجاح التخطيط المرسوم:

وتحقيق التعاون بين الدعاة ينبع من شعور كل منهم بالمسئولية تجاه الجزء المناط به، وإحساسه بأهمية ما أعطي من صلاحيات تنفيذية، والمقصود أن يكون تنفيذ الخطة جماعيا، بعيدا عن التفردات الشخصية أو الجماعية[٤].

و كذلك كان الجيش الإسلامي الفاتح يسير فيه الجميع لهدف واحد، دون أن يحيد أحد منهم عن الخطة المرسومة، ولذلك سارع بعض الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، حين لمسوا أن هناك رأيا مخالفا قد يسبب خللا في خطة الرسول صلى الله عليه وسلم السلمية لفتح مكة، لما قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة. فخاف الصحابة أن تكون له في قريش صولة، وتقع مقتلة

وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه بكير بن معروف، قال البخاري: أرم به، ووثقه أحمد في روايـــة وضـــعفه في أخرى، وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به. ورواه الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب باب الترهيب من كتم العلم ١٢٢/١ ح ٧، وقال الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة : الحديث حسن أو ما يقاربه عند المنذري، انظر الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ص ١٧.

[١] بتصرف، الحل الإسلامي فريضة وضرورة ص ٢٣٢، وانظر فقه الأخوة في الإسلام ص ١٦٠.

[٢] بتصرف، التخطيط في خدمة الدعوة إلى الله: خالد الصقير، مجلة البيان ص ٢٥.

[٣] انظر فقه الأخوة في الإسلام ص ١٦١، و التخطيط في خدمة الدعوة: خالد الصقير ص ٢٤.

[٤] بتصرف، المدخل إلى علم الدعوة ص ٣٠٨.

عظيمة، وأخبروا الرسول بما جال في خاطرهم، فأمر غيره من الصحابة بحملها، فقيل أنه أعطاها لابنه قيس، وقيل لعلي وقيل للزبير رضي الله عنهم أجمعين[1]، فجرى هذا التغيير في الوقت الملائم المحقق لمصلحة الفتح والمسلمين.

٣- قيام الأكفاء المتأهلين به:

وذلك أن يتولى القيام بالتخطيط أهله: وهم أهل الاختصاص والكفاءات العلمية والعملية، في مختلف جوانب الحياة[2].

٤- المرونة في إعداد الخطط وتنفيذها:

فالمقصود من أسلوب التخطيط التنظيم والتوجيه، لا التقييد والإيجاب، وذلك بأن تحدد الثوابت، ويعطى المجال للاجتهاد والتصرف عند الأمور المفاجئة، ومن مميزات الخطة الجيدة، أنها تفسح جانبا خاصا لبند الطوارئ والمفاجآت، حتى إذا تصدت أي عقبة أمام تنفيذها، لا يكون ذلك عن غفلة من الدعاة بل عن استعداد وتأهب.

٥- المتابعة والمحاسبة:

وهو الميزان الذي يوزن به نجاح الخطة وتحقيقها لنتائجها وأهدافها المرجوة، وشعور المكلف بأنه محاسب ومسئول، يغرس في نفسه حرصا على الإتقان وحسن القيام بما كلف به، ومن ذلك متابعة النبي صلى الله عليه وسلم لقواده حين أمرهم بترك القتال وعدم التعرض لأهل مكة، وسؤاله خالد بن الوليد رضي الله عنه عن القتال الذي جرى بينه وبين أهل مكة في الخندمة.

وكذلك متابعته صلى الله عليه وسلم لنتائج السرايا التي بعثها لتحطم الأوثان، وإشارته لخالد رضي الله عنه إلى عدم إنجاز عمله كاملا لما هدم العزى، فعاد رضي الله عنه وهدمها، فسأله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت شيئا؟ قال: لا. قال: ((فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها)). فرجع إليها فخرجت إليه امرأة سوداء ناشرة الرأس،

---

[1] راجع ص ١١٩.

[2] بتصرف، المدخل إلى علم الدعوة ص ٣٠٨.

فقتلها، ورجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأخبره، فقال:((نعم تلك العزى، وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا))[1].

وتتميز المتابعة بأنها تكشف نقاط الضعف سواء أكانت في الخطة ذاتها، أم في المكلفين بتنفيذها، فيجرى التعديل الملائم ويستدرك الخطأ.

آثار استخدام أسلوب التخطيط في الدعوة إلى الله:

١- حسن التخطيط يؤدي بإذن الله إلى الاستمرارية والدوام وعدم الانقطاع، فالداعية إذا وضع خطة ما ،ثم أنجز مرحلة من مراحلها، أو حقق بعض أهدافها، فإن ذلك باعث كبير على الاستمرار، وقطع لطريق الفتور والتكاسل أن يتسرب إلى نفس الداعية، كما أنه يعين على الاستمرارية والدوام، بما يتهيأ له الداعية للتعامل مع الطوارئ والمفاجآت التي قد تعيقه.

٢- حسن التخطيط يؤدي إلى حسن الأداء، وبالمقابل: سوء التخطيط يؤدي إلى سوء الأداء، ومن الواقع المشاهد أن التخطيط الجيد المحكم لاستثمار القدرات والإمكانات والموارد المحدودة، ينتج أفضل من التخطيط السيء الضعيف أو الارتجالية في استثمار الإمكانات والموارد الكثيرة، بل أن غالبها يضيع هباء منثورا.

٣- الاستفادة من الخبرات الدعوية المتنوعة، فتعدد الأحوال الاجتماعية، وتفاوت أحوال المدعوين، يؤدي إلى تنوع المناهج والخطط الدعوية التي يسير عليها الدعاة، وهذا بدوره يؤدي إلى إثراء خبرات الدعاة، بسبب تعدد الفرص والخطط المجربة، خاصة عند القدرة على تقويم الخطط الأخرى والاستفادة من نتائجها، والعمل على تلافي نقاط التقصير والضعف في المستقبل.

٤- للتخطيط أثر غير مباشر على المدعوين، إذ أن المدعوين تعظم استفادتهم وقبولهم للنشاطات الدعوية المنظمة التي تنتهج خطة واضحة محكمة، فذلك يكسبهم شعورا بالاستقرار، والبعد عن الفوضوية ، ويزيد من ثقتهم في الدعاة.

---

[1] سبق تخريجه ص ١٤٨.

٥- للتخطيط أثر محمود في تقوية إيمان الداعية، لأن التخطيط استفراغ ما في الجهد البشري، وبذل لأسباب، مع التوكل على الله تعالى، ثم الرضا بقضاء الله وقدره بعد ذلك، فهو - مع صدق التوكل- عبادة يثاب عليها.

رابعا: أسلوب الإيحاء:

الإيحاء لغة: مشتق من كلمة أوحى، والوحي: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك.

يقال: أوحى إلى فلان إيحاء: أي أشار وأومأ، وأوحيت إليه الكلام ووحيت: هو أن تكلمه بكلام تخفيه[١].

والمقصود بأسلوب الإيحاء إيصال القناعة بفكرة ما إلى ذهن السامع، عن غير التلقين المباشر، فقد يكون عن طريق قصة مثلا أو تعريضا[٢]، وتكون إما بلسان المقال، كأن يتحدث بكلام عن غيرها، وينبه ضمنا في الوقت ذاته عنها، أو بلسان الحال، بأن يفعل ما يدل عليها، أو يترك فعل ما يأمر بها.

وهو من الأساليب النفسية الغير مباشرة، وقد يكون أحيانا أشد تأثيرا من الدعوة الصريحة المباشرة، فمن حكمة الداعية أن يصرف المدعو عن الرذيلة إلى الفضيلة، بتلويح في المقال، وتعريض في الخطاب -ما أمكن-، فإن المدعو إذا فهم المقصود منه، كان أوقع في نفسه، وأعظم تأثيرا في قلبه، مع مراعاة حرمته بترك المجاهرة والتوبيخ[٣].

وشاهد هذا الأسلوب من القرآن الكريم، سورة العصر، التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم تبشره بالفتح، ودخول الناس في الإسلام، وتأمره بالتوجه لله بالحمد والعبادة والتسبيح، فكان صلى الله عليه وسلم، كما روت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:(يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده:((سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي)) [٤].

---

[١] الصحاح فصل الواو من باب الواو والياء ٦/٢٥٢٠، و المنجد ص ٨٩١.

[٢] بتصرف، أصول التربية الإسلامية ص ١٩٦.

[٣] بتصرف، هداية المرشدين ص ١١٧.

[٤] سبق تخريجه ص ١٨٦.

قال الحافظ ابن حجر رضي الله عنه: (معنى قوله: يتأول القرآن: يجعل ما أمر به من التسبيح والتحميد والاستغفار في أشرف الأوقات والأحوال)[1].

وهذا الفهم للآيات صحيح لا غبار عليه، وقد فهمه كثير من الصحابة ، كما في الحديث الذي رواه الإمام البخاري رحمه الله، عن سؤال عمر رضي الله عنه عن معنى هذه السورة[2]، لكن الآيات الكريمة أوحت للنبي صلى الله عليه وسلم بقرب أجله، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما: (لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح، نعيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه، فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادا في أمر الآخرة)[3].

وهذا الإيحاء لم يقتصر فهمه على النبي صلى الله عليه وسلم، بل فهمه كذلك عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين، فقال ابن عباس لما سأله الفاروق:(هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له، قال إذا جاء نصر الله والفتح- وذلك علامة أجلك- فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا. قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم).

مجالات استخدام أسلوب الإيحاء:

١- في الحث على القيام بالأعمال الصالحة، إما بتبيين أجرها وثوابها، أو بالتعريض في التوجيه إليها كالمدح والثناء للفت الانتباه، كقوله صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: ((نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل)). فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا)[4]، وفي رواية:((إن عبد الله رجل صالح، لو كان يكثر الصلاة من الليل))[5].

أو بالمقارنة بين فضيلة القيام بالأعمال الصالحة، ومراتبها واختلاف أجرها، ليدفع بالمؤمنين إلى الوصول إلى المرتبة الأعلى كقوله تعالى: ﴿ **لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ....** ﴾[6]، فالآية الكريمة توحي

---

[1] فتح الباري ٨/٧٣٤ ح ٤٩٦٨.

[2] سبق تخريجه ص ١٨٦.

[3] انظر فتح الباري ٨/٧٣٤ ح ٤٩٦٨ وعزاه إلى الطبراني، وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس:(أجل أو مثل ضرب لمحمد، نعيت له نفسه) كتاب التفسير باب قوله﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ ٦/٩٤.

[4] صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ٤/١٩٢٨ ح ٢٤٧٩.

[5] صحيح البخاري كتاب التعبير باب الأخذ على اليمين في النوم ٨/٨٠ .

[6] سورة الحديد جزء من آية ١٠.

للمسلم بذل نفسه وما يملك في سبيل الله، خاصة عند الضرورة والأزمات التي يتراجع فيها الكثير من إخوانه عنها.

٢- في المواطن التي تستلزم مراعاة نفسيات المدعوين ومشاعرهم، إما لشدة الحساسية عند هؤلاء، أو لإرادة الستر عليهم، في مواقف تصحيح الخطأ مثلا، وذلك باستخدام الأسلوب النبوي: (ما بال أقوام)، إشارة إلى أناس وقعوا في أخطاء، وللداعية عليهم ملحوظات، فينبه إلى ما يريد دون جرح لمشاعر أحد منهم[١].

ومن ذلك قيام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا، وقوله: ((أما بعد فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد..))[٢]، وعدم تخصيصه أسامة بن زيد رضي الله عنهما أو من دفعه إلى طلب الشفاعة بالعتاب أمام الناس.

٣- إذا لم تجد الأساليب الدعوية المباشرة، أو عند توقع عدم جدواها، إما لوجود موانع في نفس المدعو كالكبر والعجب، أو لعوامل أخرى تصده عن القبول لشرفه ومكانته، فاستعمال الداعية لأسلوب الإيحاء، يتجاوز به هذه العقبة، وينفذ بالدعوة إلى قلب المدعو، دون أن يشعر بالمساس لكرامته أو الإهانة لشرفه، لأن التصريح قد يورث الجرأة على الإعراض، كما أنه قد يحرض على الإصرار على الباطل.

ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم مادحا سهيل بن عمرو رضي الله عنه – قبل إسلامه– بعد أن أمَّنه: ((من لقي سهيل بن عمرو، فلا يشد النظر إليه! فلعمري إن سهيلا له عقل وشرف، وما مثل سهيل جهل الإسلام، ولقد رأى ما كان يوضع فيه أنه لم يكن له بنافع))، فلما بلغت هذه المقولة سهيلا، لم تأخذه الأنفة والعزة بالإثم، بل قال: كان والله برا صغيرا وبرا كبيرا، فخرج وشهد حنين ،ثم أسلم بالجُعرانة[٣].

---

[١] بتصرف، علم النفس الدعوي ص ٢٩٠.

[٢] سبق تخريجه ص ١٦٠.

[٣] سبق تخريجه ص ٤٣٧. وانظر السيرة الحلبية ٥٦/٣، ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ٢١٥. وكذلك ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم عن خالد بن الوليد: ((ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين، لكان خيرا له، ولقدمناه على غيره))، وكتب إليه أخوه الوليد بذلك وحثه على الإسلام، فقال: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام، وسرني مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . بتصرف، مغازي الواقدي ٧٤٧/٢، والبداية والنهاية ٤/ ٢٣٩.

٤- إذا كان في التصريح خوف حدوث فتنة أو أذى أو غرور وتعاظم، وذلك كامتناعه عن إخبار قريش بما لهم عند الله من المكانة العظيمة، خوفا من طغيانهم، فقد روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فقال: ((لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله عز وجل))[1][2]، وفي رواية أخرى: (أن معاوية رضي الله عنه ارتقى المنبر، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لخيارها عند الله عز وجل))[3].

فكلامه عليه الصلاة والسلام يتضمن الإيحاء لقريش بالثبات على الدين، خاصة إذا أضيف له قوله صلى الله عليه وسلم :((لا يقتل قرشي صبرا بعد اليوم))[4]، فعلى الاحتمالين: أن الجملة خبرية أو إنشائية، فإنها توحي إلى قريش بالثبات على الإسلام والمضي على الحق.

ثم بأسلوب يجمع بين الإيحاء والتصريح يقول صلى الله عليه وسلم في مناسبة أخرى:((إن هذا الأمر في قريش ما داموا إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا وإذا قسموا أقسطوا، فمن لم يفعل ذلك منهم، فإن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين))[5].

٥- عند الاعتراف لصاحب الفضل ومراعاة مشاعره، وعدم الرغبة في مواجهته بما يؤذيه أو يحزنه، فهذا عثمان رضي الله عنه ذو النورين وأحد المبشرين بالجنة، وصاحب فضل وسبق في الإسلام، يأتي بعبد الله بن أبي سرح، ويشفع له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأله أن يعفو عنه ويبايعه، فيمسك النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ثلاثا،

---

[1] مسند الإمام أحمد ١٥٨/٦، وقال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني وفيه أبو معشر وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد ٢٥/١٠.

[2] بتصرف، من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين ص ٦٦

[3] كتاب السنة: أبو بكر عمر بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني ٦٣٨/٢ ح ٢٢٧، تخريج: الشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي دمشق، ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، ورواه الإمام أحمد في المسند ١٥٨/٦ عن عائشة رضي الله عنها، وقال الشيخ الساعاتي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير جعفر بن عبد الله بن أسلم في مسند أحمد وهو ثقة ٢٢٥/٢٣.

[4] سبق تخريجه ص ١٣٣.

[5] رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٩٦ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والبزار والطبراني ورجال أحمد ثقات ١٩٣/٥.

ليشعر من حوله من المسلمين بعدم رضاه عن مبايعته، فلما لم يتنبه المسلمون لمقصده بايعه صلى الله عليه وسلم ، ثم توجه إلى الصحابة معاتبا، لعدم فهمهم مراده وأسلوبه الإيحائي، وقال لهم:((أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله))[1].

وفهم غير المراد من أحواله وإشاراته، إنما يكون لتقصير المطلع الحاضر، إذ لو تمعن في مجريات الأحوال وسياقها، ولاحظ القرائن لأدرك المراد، فتكرار النظر منه صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن سعد بن أبي سرح على غير عادة منه، وكف يده الشريفة، أحوال ظاهرها كراهيته للمبايعة وحب قتله، لكنه كره أن يصرح بالأمر بذلك في تلك الحال[2].

متطلبات نجاح هذا الأسلوب:

١- مراعاة الفروق الفردية، والاستعدادات الذهنية والنفسية عند المدعوين، فلا يخاطبهم الداعية بما هو فوق مستوى عقولهم، فإذا كان الداعية المسلم مطالبا في توجيه خطابه المباشر، بأن يحدث الناس على قدر عقولهم، كما قال علي رضي الله عنه :(حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله)[3].

وكذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :(ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)[4]، فمن باب أولى، مراعاة ذلك إذا أريد من المدعوين التلقي السليم لما يوحي به محدثهم، و قراءة ما وراء السطور -إذ غالبا ما يبادر إلى فهم ذلك أصحاب الأذهان المنفتحة، اللماحة سريعو الفهم، بينما يتأخر من هو دونهم في المستوى الذهني- وذلك لضمان صحة الفهم، لئلا يطلب منهم ما هو فوق مستواهم العقلي.

٢- التنويع في هذا الأسلوب، فيكون الإيحاء قوليا أحيانا، كقوله عن سهيل بن عمرو رضي الله عنه.

وأحيانا بالدلالة الفعلية- الإيحاء الفعلي-، وقد يكون الإيحاء إيجابيا بالفعل، كإيحائه لأبي سفيان بعدم مقاومة المسلمين، عن طريق عرض الجيش الإسلامي أمامه،

---

[1] سبق تخريجه ص ١٣١.

[2] بتصرف، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام: د. محمد العروسي عبد القادر ص ٥٩، دار المجتمع للنشر والتوزيع جدة، ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

[3] صحيح البخاري كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا ٤١/١.

[4] مقدمة صحيح الإمام مسلم ١١/١

وأحيانا سلبيا بالترك، كتنفيره من خائنة الأعين، ومخالفة الظاهر الباطن عن طريق تركه لذلك الفعل وعدم رضاه أن يصدر منه، والإيحاء العملي يكون أحيانا أقوى أثرا، وأنفذ مدخلا من الإيحاء النظري[1].

وتارة يكون الإيحاء بما يظهر على الوجه من تعابير وانفعالات، يوحي بها الداعية إلى من حوله بما يريد، فقد روى الإمام البخاري رحمه الله في قصة المخزومية التي استشفع لها أسامة ابن زيد (فلما كلمه أسامة فيها، تلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2].

وقد كان الصحابة يقرءون تعابير وجه النبي صلى الله عليه وسلم، ويدركون المقصود منها غالبا، مثل قول كعب بن مالك[3] رضي الله عنه يصف النبي صلى الله عليه وسلم: (وكان إذا استبشر استنار وجهه كأنه قطعة من القمر)[4]، وكذلك تعبيره صلى الله عليه وسلم عن الغضب المعتمل في نفسه وعدم الرضا، كقوله رضي الله عنه في شأن تخلفه عن غزوة تبوك:(فجئته، فلما سلمت عليه ، تبسَّم تبسُّم المغضب)[5].

٣- أن يسبق هذا الأسلوب إثارة لمكامن الإحساس في نفس المدعو، كذكره بخير ووصفه بالوصف الجميل، كأن يبين ما له من حسب ، وما فيه من فضل، وما عليه من نعمة، لينجذب قلبه إليه، فيعده لفهم ما يريد، لأن الذي يرى لنفسه شرفا ورفعة وفضلا، فإنه يترفع عن الدنايا والخسائس التي تدنس شرفه، وتذهب بفضله، أما الذي يرى نفسه رذلا ساقطا فإنه لا يبالي ما يفعل.

---

[1] بتصرف، الطريقة المثلى للدعاة: د. عبد الرحمن بلّه ص ١٤، وزارة الشئون الدينية والأوقاف في السودان ط: بدون ، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

[2] سبق تخريجه ص ١٦٠.

[3] هو كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين الأنصاري الخزرجي العقبي الأحدي، وكان ممن ثبت في ذلك اليوم، شاعر رسول الله، وأحد الثلاثة الذين خلفوا، فتاب الله عليهم وقصته في الصحيحين، قيل أنه رمى قبيلة دوس ببيتين من الشعر كانا سببا في إسلامهم، مات رضي الله عنه سنة ٤٠ وقيل ٥٠ هـ. بتصرف، سير أعلام النبلاء ٥٢٣/٢، والإصابة ٣٠٢/٣.

[4] رواه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ... ﴾ ٢٠٩/٥.

[5] جزء من حديث طويل رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب غزوة تبوك ١٣١/٥.

فمن حكمة الداعي ذكر ما في المخاطب من فضل وما له من شرف ومنزلة، ليكون ذلك أدعى لتخليه عما هو فيه من ضلال وإقباله على الهدى والخير[1].

ويحسن بعد استخدام هذا الأسلوب، التحاور مع المدعوين، للتأكد من متابعتهم وتأملهم وتفكيرهم في ما أوحاه إليهم ليختبر مدى إدراكهم لقصده، واستجابة عواطفهم وأحاسيسهم وانفعالاتهم له.

آثار استخدام هذا الأسلوب:

١- هذا الأسلوب له أثر مجدي- بإذن الله- مع أصحاب النفوس المتصلبة، الرافضة للحق المعاندة، وفيه تجاوز لهذه العقبات الصادة عن الحق، في ذات الوقت إشعار بحفظ كرامة المدعو وحفظ ماء وجهه من الهوان.

٢- اقتناع المدعو بالفكرة المطروحة عليه، يكون بشكل أكبر مما لو عرضت عليه مباشرة، إذ يشعر المرء أنه هو مُنطلق الفكرة وصاحبها.

٣- هذا الأسلوب يراعي التفاوت العقلي عند البشر، لتفاوت إنطباعات الناس وإدراكهم لما وراء الحدث، أو التوجيه، فيفهم كل منهم بحسبه، وهذا يؤدي إلى تأثر شريحة أكبر خاصة إذا كان الإيحاء واضحا وعمليا.

خامسا: أسلوب الكتمان:

الأصل في الدعوة إلى الله الوضوح والظهور والإعلان، لأن التبليغ والنذارة يقتضيان هذه الأمور، وقد قال تعالى آمرا نبيه صلى الله عليه وسلم بإبلاغ ما أوحاه إليه من العقائد والشرائع والأحكام، وناهيا له عن التقصير في التبليغ لأي اعتبار من الاعتبارات﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ .... ﴾[2]، وقد أمره أن يصدع بالدعوة ويجاهر بها في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[3].

ولكن قد تقتضي الحكمة أحيانا الإخفاء والكتمان لبعض أحوال الدعوة، وأمورها، وعدم إظهارها أمام الناس، وذلك من باب الحذر وأخذ الحيطة، فالداعية الحذر يعرف مدى ضرر

---

[1] بتصرف، هداية المرشدين ص ١٢٠- ١٢١.

[2] سورة المائدة جزء من آية ٦٧.

[3] سورة الحجر جزء من آية ٩٤.

المكروه المتوقع حصوله، فيخاف من وقوعه خوفا يدفعه إلى التحرز ومباشرة الأسباب لمنع وقوعه، أو لدفعه إذا وقع أو التقليل من أذاه وأضراره، ويلجأ في سبيل ذلك إلى الكتمان[1].

والكتمان والحذر من الأسباب المهمة للحفاظ على الدعوة ورجالها، وهناك الكثير من الأدلة على مشروعية مثل هذا الأمر، ووجوبه عند الحاجة إليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَتٌ ..... ﴾[2]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عن هؤلاء المؤمنين: أي بين أظهر المشركين، ممن يكتم إيمانه، ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم[3].

وكذلك قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾[4]، (أي تيقظوا واحترزوا من العدو، لا تمكنوه من أنفسكم، ويقال : أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف، كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه)[5].

ومما يدل على مشروعية الكتمان، ما رافق السنوات الأولى من الدعوة الإسلامية من السرية الشديدة، والتكتم الذي تغير حسب الظروف والأحوال حتى قوي أمر الإسلام[6].

وفي غزوة الفتح اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم على عامل مباغتة قريش ومفاجأتهم، وتكتم تكتما شديدا، وحرص أشد الحرص على أن لا تنكشف نيته لأحد عندما اعتزم المسير إلى مكة، ولم يبح بالأمر لأقرب أصحابه إلى نفسه ، أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولم يبح بسره إلى أحب نسائه إليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ثم أعلم الجميع وبقي السر في طي الكتمان داخل حدود المدينة، حتى أنجز الجميع استعداداتهم، وفوق ذلك بث عيونه وأرصاده ودورياته، لتحول دون تسرب الخبر إلى

---

[1] بتصرف، أصول الدعوة ص ٤٤٨.

[2] سورة الفتح جزء من آية ٢٥.

[3] بتصرف، تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٢٥.

[4] سورة النساء آية ٧١.

[5] تفسير أبي السعود ٢/٢٠٠.

[6] بتصرف، غلام الدعوة، دروس في حديث الساحر والغلام والراهب: هشام صقر ص ٧١- ٧٢، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، ط:١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

مكة، وأطلعه الله حفاظا له وللمؤمنين بما يتعلق بشأن حاطب رضي الله عنه ورسالته، فاستطاع أن يحجز على تلك الرسالة قبل أن تصل لمكة[1].

مجالات استخدام أسلوب الكتمان:

١- في حالة غلبة الباطل، وصولته على الحق، كالتكتم على بيعة العقبة الثانية، حين استخفى بها الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من الكفار[2].

وكما ذكر الله تعالى عن مؤمن آل فرعون﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ .... ﴾[3]،فمن حكمة كتمه لإيمانه، أنه إن أظهر موافقتهم وكتم إيمانه، فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر، ويسلم من أذاهم له[4].

٢- عند رجحان تحقق مصلحة تقتضي الكتمان، كما حدث في غزوة الأحزاب، حين كتم نعيم بن مسعود[5] رضي الله عنه إسلامه، ليتمكن من تغيير مجرى المعركة، بالوقيعة بين الأحزاب وبين بني قريظة، وقد وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاستفادة من ذلك، بقوله:((إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خَدْعة))[6][7].

وقد ظهرت مصلحة الكتمان في غزوة الفتح، إذ أنها كانت لتحقيق عامل مفاجأة قريش وإرضاخهم للاستسلام للمسلمين دون إراقة دماء.

٣- إذا كان التصريح والإعلان يؤدي إلى مفسدة ، كالفتّ في عضد المسلمين، أو يسبب لهم البلبلة والاضطراب، ومثال ذلك: أمر النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ

---

[1] بتصرف، الرسول القائد ص ٣٤٧. وانظر الآثار التشريعية في فتح مكة من ص ٣٥- ٣٥٧، وانظر العبقرية العسكرية في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم من ص ٥٥٨- ٥٦٠.

[2] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ٤٧/٢.

[3] سورة غافر جزء من آية ٢٨.

[4] بتصرف، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦/ ٥٢٢. وانظر أصول الدعوة ص ٤٥٦.

[5] هو نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف الأشجعي، أبو سلمة، صحابي مشهور أسلم ليالي الخندق، وأوقع الخلاف بين الأحزاب، قتل في وقعة الجمل، وقيل مات رضي الله عنه في خلافة عثمان. بتصرف، الإصابة ٥٦٨/٣.

[6] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : ابن هشام ٢٤٧/٣، وعيون الأثر ٨٩/٢، وقد روى الإمام البخاري في صحيحه قوله صلى الله عليه وسلم :((الحرب خَدْعة))، كتاب الجهاد والسير باب الحرب خدعة ٢٤/٤.

[7] انظر غلام الدعوة ص ٧٣.

وسعد بن عبادة رضي الله عنهما، بكتمان غدر بني قريظة عن المسلمين ، في غزوة الأحزاب، وأن يلحنا له لحنا يعرف منه حقيقة الخبر[1]، وذلك محافظة على روح المسلمين المعنوية، فالكتمان يكون فيما يضر إظهاره، أما ما لا يضر إظهاره فلا يصلح كتمانه، خاصة إذا كان متعلقا بتنظيم أمور الدعوة وترتيبها، كتصريح المرء بإسلامه أو كونه داعية إلى الله.

متطلبات نجاح هذا الأسلوب:

١- اتفاق رأي الدعاة على ضرورة الكتمان في الأمر المعين، حتى تظهر مصلحة إظهاره، ومما يعين على ذلك إدراك الحكمة من الكتمان والفائدة المرجوة من إعلانه، لأن مخالفة أحدهم وإفشاءه لسر الجماعة قد يؤدي إلى إيذاء إخوانه[2].

ولعل الفرق بين موقف حاطب رضي الله عنه، وإفشائه لخبر مسير المسلمين إليهم، وموقف العباس رضي الله عنه، وحرصه على إعلام قريش قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم مكة ظاهر، فإفشاء حاطب للسر عدها بعض الصحابة جريمة وخيانة للمسلمين، ولم ينجه من العقوبة إلا شهوده بدرا، أما العباس رضي الله عنه فقد أظهر الأمر عندما اختفت مصلحة الكتمان، بل إن المصلحة كانت في ذلك الوقت في الإعلان، وذلك حتى يستأمن أهل مكة لأنفسهم.

٢- طاعة القائد أو المسئول ممن هم دونه، إذا أمر بكتمان أمر ما رأى المصلحة في كتمانه، حتى لو لم ترسخ القناعة في أنفس الأفراد بضرورة ذلك، فاجتماع كلمة المسلمين أمام أعدائهم، وظهور اتفاق الدعاة أمام المدعوين خير من تخذيلهم لبعضهم، ومخالفة كل منهم الآخر، وقد ضرب الصحابة مثلا رائعا في اجتماع كلمتهم ، وطاعتهم لرسول صلى الله عليه وسلم حين وقفوا عند أمره ولم يفتاتوا عليه، ولم يعط أحدهم الأمان لأبي سفيان لما قدم المدينة لتجديد العهد، وفي ذات الوقت لم تظهر بادرة من أحدهم تشير إلى عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على غزوهم[3].

---

[1] انظر عيون الأثر ٨٣/٢. وكذلك ما حدث في سرية عبد الله بن جحش، حين كتب له كتاب وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ثم يمضي، ولا يستكره أحدا من أصحابه، وذلك محافظة على معنويات المسلمين لأن الأوامر كانت بأن يترصد قريشا قرب مكة. انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : ابن هشام ٢٣٨/٢.

[2] بتصرف، غلام الدعوة ص ٧٥.

[3] ولعل سياق القصة في كتب السيرة يوحي بأن أبا سفيان قدم بعد نقض العهد مباشرة، ولم يكن النبي صلى الله

٣- أن يقدر الكتمان بقدره، فلا يبالغ فيه، أو يستكثر منه، لأن الأصل في الدعوة الوضوح والبيان، كما أن الإكثار منه بغير ضرورة قد يؤدي إلى ضعف الثقة، وكثرة الشكوك بين المسلمين، وتأخر الدعوة، وسيطرة الخوف والتوجس في نفوس الدعاة والمدعوين، فمسألة السرية والعلنية أثناء السير في طريق الدعوة، والتنقل بين مراحلها، مسألة نسبية، وليست مطلقة: أي سرية فقط أو علنية فقط، فالمراحل والظروف التي تحيط بالدعوة، وقوة الدعوة وقدرتها على الرد على أعدائها، هي التي تحدد تفاصيل العمل الدعوي وتوزع الأدوار المختلفة بين الدعاة.

فينبغي للدعاة ألا يجنحوا للسرية دائما خوفا من المواجهة ، أو إلى العلنية دائما اندفاعا وتهورا، وإنما تنتقل الدعوة من طور إلى طور، دون طفرة واستعجال، وكذلك دون تفويت للفرص، أو خوف من الأذى[١]، مع مراعاة تطبيق قاعدة المصلحة والمفسدة، فدعاة الإسلام الذين كانوا يستخفون بصلاتهم من قومهم ويصلون في شعاب مكة[٢]، عند بدء الدعوة وضعفها، هم أنفسهم الذين طهروا مكة وما حولها من الأصنام، وقاموا يصلون في بيت الله الحرام بعد أذان بلال رضي الله عنه فيه.

آثار أسلوب الكتمان على الدعوة الإسلامية:

١- إذا وضعت خطة، وكان الكتمان أحد دعائمها، فإن المحافظة على هذا الجزء من أسباب إنجاح الخطة بإذن الله، وتنفيذها حتى نهايتها، وقد أفلحت ترتيبات الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتمان لحرمان قريش من معرفة خبر غزوهم، وتمت مباغتة متميزة للغاية، أجبرت قريشاً على الاستسلام دون قتال[٣].

٢- المحافظة على الأرواح أن تزهق، فالدعاة هم رأس مال الدعوة ووقودها، وقد تلجئهم بعض الظروف القاهرة إلى السرية والتكتم حذرا من أن تستأصلهم يد الباطل،

عليه وسلم حينئذ قد أعلن نية الغزو.

[١] بتصرف، غلام الدعوة ص ٧٦ - ٧٧.

[٢] انظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام ١/ ٢٧٥.

[٣] بتصرف، الرسول القائد ص ٣٤٨.

والمغامرة في تلك الحال بكشف رجال الدعوة دون فائدة حقيقية، أو بخطوات غير مدروسة بعناية[1]، أمر بعيد كل البعد عن الحكمة التي يجب أن ينتهجها الداعية في دعوته.

سادسا: أسلوب الحوار:

الحوار هو: أن يتناول الحديث فيه طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب بشرط مؤكد لازم هو وحدة الموضوع، وشرط محتمل هو وحدة الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين وقد يصلان فيه إلى نتيجة ، وقد لا يقنع أحدهما الآخر[2]، وهو أسلوب مهم من أساليب تبليغ دعوة الحق ونصرته ودفع الباطل، لأنها تهدف إلى الوصول إلى الحقيقة، ولأنها أداة وعي مشترك[3].

والحوار من الأساليب التي تسير ضمن المنهج العقلي الذي يرتكز على العقل، ويدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار[4]، وهو من الأساليب التي وردت كثيرا في القرآن الكريم[5]، واستخدمها الأنبياء مع أقوامهم[6]، وكذلك استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا، فسيرته زاخرة بالمواقف الحكيمة التي حاور فيها قومه[7] وحاجهم.[8]

مجالات استخدام أسلوب الحوار:

مجالات الحوار وأشكاله متعددة، ومما يحدد نوعه ومجاله ، الهدف الذي يراد الوصول إليه، أو الموقف العام للمجال المحيط به، ومن ضمن هذه المجالات:

١- حوار الخطاب:

---

[1] بتصرف، غلام الدعوة ص ٧١.

[2] بتصرف، أصول التربية الإسلامية ص ١٨٥، وانظر الدعوة إلى الله: د. توفيق الواعي ص ٢٨٩.

[3] بتصرف، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية: أحمد الصويان ص ٢٨، دار الوطن الرياض، ط: ١، ١٤١٣هـ.

[4] بتصرف، المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٠٨.

[5] كحوار الله تعالى مع الملائكة في سورة البقرة من آية ٣٠ - ٣٣.

[6] كحوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود في سورة البقرة آية ٢٥٨.

[7] كحواره مع عتبة بن ربيعة أنظر قصته في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام ٣١٣/١.

[8] للاستفادة انظر الحوار أصوله المنهجية أحمد الصويان من ص ١٨- ٢٧.

وهو الخطاب الموجه الذي لا يستلزم بالضرورة جوابا معلنا، مثل خطاب الله تعالى للمؤمنين، وتصدير خطابه لهم بنداء﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ، فإذا قرأها المؤمن ، لهج قلبه بالجواب: لبيك يا رب.

وقد يجري العكس، بأن يخاطب المؤمن ربه بالقرآن، والدعاء، فيجيبه الله تعالى، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه قال: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل. فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي.. الحديث[1].

وقد يستلزم الحوار الخطابي جوابا قوليا أو عمليا في بعض الأحيان، كأن تظهر الموافقة أو الاستجابة على الطرف المخاطَب، وذاك مثل الحوار الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وهند بنت عتبة أثناء البيعة، لما قال: ((تبايعنني على ألا تشركن بالله شيئا))، قالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما تأخذه على الرجال وسنؤتيكه. قال:((ولا تسرقن))! قالت: والله إن كنت لأصيب من أبي سفيان الهنَّة والهنَّة. قال: ((ولا تزنين))! قالت: يا رسول الله، وهل تزني الحرة! .. الخ[2].

٢- حوار الاستجواب:

وعادة يكون على شكل سؤال وجواب يوجه من جانب واحد، وهو للاستفهام عن شيء ما وطلب توضيحه، كالحوار الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين حاطب رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم :((ما حملك على ما صنعت؟ قال حاطب: والله ما بي أن أكون مؤمنا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله، بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله ..)[3].

٣-حوار الإقناع:

---

[1] بتصرف، أصول التربية الإسلامية ص ١٨٦- ١٩٦، والحديث في صحيح مسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها، قرأ ما تيسر له من غيرها ٢٩٦/١ ح ٣٩٥.

[2] سبق تخريجه ص ١٣٥.

[3] سبق تخريجه ص ١٠٩، ولفظه عند الإمام البخاري كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرا ٨/٥.

وخاصة الحوار الشخصي ، فهو أسهل السبل الإقناعية[1]، لبعده عن تشويش الجماهير المحيطين، ولتمكينه الداعية من تفنيد الشبهات الموجودة عند المدعو شبهة شبهة[2]، ومثال الحوار الإقناعي، الحوار بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أبي سفيان، والذي ناقش فيه واقعه العقائدي، حيث تبين له فساده عن قناعة، فقد قال له صلى الله عليه وسلم : ((ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟)) قال بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره، لقد أغنى عني شيئا بعد. قال: ((ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله))؟ .. الخ.[3]

٣- الحوار التقريري:

وذلك عند بداية تكون القناعة في ذهن المدعو، فيعمل الداعية على تثبيتها وإقرار صحتها، كالحوار الذي دار بين الزبير رضي الله عنه وبين أبي سفيان، حين قال له وقد تحطم هبل أمام الجميع يا أبا سفيان، قد كسر هبل، أما إنك قد كنت منه في غرور يوم أحد حين تزعم أنه قد أنعم. فقال : دع عنك هذا يا بن العوام، فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره، لكان غير ما كان[4].

٤- حوار التوضيح:

وذلك عند اختلاف وجهات النظر، فيسعى كلا الطرفين المتحاورين إلى إقناع الآخر بوجهة نظره، فيعرضها ويقدم لها من الدلائل ما يؤكد رجحانها، وهذا ما يقع غالبا بين الناس، وصاحب الكلمة الأخيرة هو الأقوى حجة والأحسن تعبيرا.

وقد يستخدم الحوار التوضيحي من طرف واحد عند إرادة شرح وتوضيح الغامض على الطرف الآخر، كحوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأنصار على الصفا، لما جاءه الوحي بقولهم، فقال: ((يا معشر الأنصار، قالوا: لبيك يا رسول الله. قال:((قلتم أما

---

[1] بتصرف، كيف تقنع الآخرين ص ١١١.

[2] كحوار ابن عباس رضي الله عنه مع الروافض، انظر للاستفادة المصنف لعبد الرزاق ١٠/ ١٥٧، ومسند الإمام أحمد ٣٤٢/١، والمستدرك على الصحيحين ١٥٠/٢.

[3] سبق تخريجه ص ١١٧، ومن أمثلة ذلك قصة الرجل الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن امرأتي ولدت غلاما أسود، انظر صحيح البخاري ٦/ ١٨٧ وصحيح مسلم ٢/ ١١٣٧، انظر كيف تقنع الآخرين ١٢٩.

[4] انظر أخبار مكة ١٢٢/١ ، وانظر إمتاع الأسماع ١ /٣٨٤.

الرجل فأدركته رغبة في قريته)). قالوا قد كان ذاك. قال:((كلا إني عبد الله ورسوله. هاجرت إلى الله وإليكم. والمحيا محياكم. والممات مماتكم)). فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله وبرسوله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله ورسوله يصدِّقانكم ويعذرانكم))[1]. فبين لهم أنه هاجر إلى الله وإلى ديارهم لاستيطانها، فلا يرجع عن هجرته التي وقعت منه لله تعالى، بل إنه ملازم لهم لا يحيى إلا عندهم، ولا يموت إلا عندهم.[2]

٥- حوار التعليم والتوجيه:

وكثيرا ما استخدم النبي صلى الله عليه وسلم الطريقة الاستنباطية لاستخراج الحقيقة العلمية المنشودة من أفواه المدعوين، حيث يلقنهم الدين على شكل سؤال وجواب، بعيدا عن الإلقاء والسرد، فتتفتح أذهانهم لتلقي هذه الحقائق بعد تشوق النفوس لها[3]، وفائدة ذلك، سوق المتعلم في الطريق العلمي المطلوب بنفس السرعة التي يسير بها المعلم، إذ أن من أخطر آفات السرد والإلقاء المجرد، أن يسير المعلم في إلقاءه شوطا أو أشواطا إلى النتيجة العلمية المطلوبة، بينما لا يزال السامع واقفا حيث هو، أو متعثرا لم يستفد علما أو يكسب فهما[4]، ومثال ذلك حديث جبريل عليه السلام المشهور لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض أصول الدين على شكل حوار قائم على السؤال والجواب.

ومما يدخل ضمن هذا الأسلوب: سؤال الصحابة واستفهامهم عن أحكام الإسلام، فيجيب صلى الله عليه وسلم إجابة وافية تفيد المتعلم ومن وراءه من الناس، وتكون قاعدة يسير عليها الجميع ، مثل سؤال هند بنت عتبة عن حقها في النفقة، وحكم ما أخذته من مال زوجها دون علمه، عندما سألت فقالت: (يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني، إلا ما أخذت من ماله بغير علمه،

---

[1] سبق تخريجه ص ١٢٥.

[2] بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٩/١٢.

[3] بتصرف، الرسول والعلم ص ١٥٠.

[4] بتصرف، منهج تربوي فريد في القرآن ص ٣٨- ٣٩.

فهل علي في ذلك من جناح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((خذي من ماله بالمعروف، ما يكفيك ويكفي بنيك)). [1]

ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن منزله في مكة، أجاب بقوله : وهل ترك لنا عقيل من منزل)) ثم يبين القاعدة الشرعية: ((لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن)).[2]

متطلبات نجاح أسلوب الحوار:

١- الإخلاص فيه وطلب الحق:

بأن تكون نية الداعية خالصة لوجه الله تعالى، لا الانتصار لنفسه، أو العلو على غيره، أو من أجل إفحام الخصم، أو إظهار ثقافته أو براعته في الحوار ، فعلى الداعية أن يبتعد عن حظوظ نفسه، بمساءلتها ومحاسبتها، وإرادته الحق ولو ظهر على لسان الطرف الآخر.

٢- مراعاة آداب الحوار السلوكية:

سواء أكانت آدابا قولية أم آدابا عملية، ومن الآداب القولية: صون اللسان عن الكذب حتى لو شعر بضعف الحجة، وتجنب الغضب ما أمكن، واستخدام الرفق واللين، والأمانة في الحوار سواء في العرض أو النقل للأقوال، لأن بلوغ الحق هو المقصود، والعدل والإنصاف مع الطرف الآخر.. الخ.

ومن الآداب العملية: التبسم في وجه المحاور، فهذا يضفي على الحوار جو الألفة والأنس، وغض الصوت مع حسن الاستماع والإنصات، وتجنب المقاطعة ولإظهار الخطأ علنا، إلى غير ذلك .

٣- مراعاة آداب الحوار العلمية:

ومن ذلك حسن التوضيح والبيان، واستخدام الأساليب العلمية للتوضيح ، مثل عقد المقارنات، أو التشبيه وضرب الأمثال المساعدة على الفهم.

كذلك التدرج في الحوار، والتكلم انطلاقا من دليل ثابت، والتوثيق من الناحية العلمية والإسنادية، ومراعاة الفروق الفردية بين الناس، ومما يعين على ذلك المعرفة المناسبة بالطرف الآخر ومستوى حصيلته العلمية.

---

[1] سبق تخريجه ص ٢٧٨.

[2] سبق تخريجه ص ٢٢٠.

٤- مراعاة آداب الحوار النفسية: مثل:

- التدرج في الحوار بدءا بنقاط الاتفاق وتجنب نقاط الاختلاف، كي لا يتوقف الحوار عند أول نقطة خلاف، فتضغن النفوس ويقع التحدي ويسبب الخسارة للمدعو والداعية.

- التحبب وخفض الجناح للمدعو اكتسابا لتقديره واحترامه، كمناداته بأحب الأسماء إليه، وتوقيره خاصة أمام الناس.

- مراعاة الظرف النفسي والاجتماعي للمدعو، فلا يكون أحد الطرفين في حالة غضب شديد أو حزن أو إرهاق نفسي.[١]

٥- الحذر من تحول الحوار إلى جدال[٢]:

فاللدد والخصومة من الآفات القاتلة التي قد تنتج عن الحوار، وذلك حين يصطبغ الحوار بصبغة التعنت والعناد، ولا يصبح الحق هو الهدف الذي يرجى الوصول إليه.

وحد الجدال أو المراء أن ينكر الحق الذي ظهرت دلالته ظهورا لا خفاء فيه، ومما يؤدي إلى ذلك التعصب لمذهب أو شيخ[٣].

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على ترك المراء والجدال في جميع الأحوال فقال: ((أنا زعيم[٤] ببيت في ربض الجنة[٥] لمن ترك المراء [٦]ولو كان محقا))[٧]، فالجدال بين الإخوان يغير قلوب بعضهم على بعض، ويورث الفرقة بعد الألفة، ويوقع الوحشة بعد الأنس.

---

[١] بتصرف، الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر ص ١٦٩، وانظر كيف تحاور، دليل عملي للحوار: د. طارق بن علي الحبيب ص ١١ دار لمسلم للنشر والتوزيع الرياض ط: ١، ١٤١٤ هـ -١٩٩٤ م ، ووقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم من ص ٦٧ - ٧٠. والحوار: أحمد الصويان ص ٩٢.

[٢] والمقصود بالجدل : أي المذموم منه وهو الذي يكون بلا حجة ويراد به الشغب ونصرة الباطل، لأن المجادلة بالحسنى من أساليب الدعوة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ بتصرف، الحوار: أحمد الصويان ص ٩٩. وانظر الدعوة إلى الله: د. توفيق الواعي من ص ٢٨٩- ٢٩٧.

[٣] بتصرف، الحوار: أحمد الصويان ص ٩٥.

[٤] أي ضامن وكفيل. عون المعبود ١٥٦/١٢.

[٥] أي ما حولها خارجا عنها، تشبيها بالأبنية التي تكون حول المدينة. المرجع السابق.

[٦] المراء: الجدال ، كسرا لنفسه كيلا يرفع نفسه على خصمه بظهور فضله. المرجع السابق.

[٧] سنن أبي داود كتاب الأدب باب في حسن الخلق ٢٥٣/٤ ح ٤٨٠٠، وتتمة الحديث: وبيت في وسط الجنة لمن

وبين الخطيب البغدادي رحمه الله أقسام الجدل بقوله: الجدال المذموم وجهان: أحدهما: الجدال بغير علم، والثاني الجدال بالشغب والتمويه، نصرة للباطل بعد ظهور الحق وبيانه. أما جدال المحقين، فهو من النصيحة في الدين[1]. وقد قال تعالى﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ .... ﴾[2].

آثار أسلوب الحوار:

١- شعور الإنسان بخطاب الله تعالى له، يربي في نفسه تجاوبا مع أوامره، واستحضارا للجواب في القلب، وذلك يؤثر في توجيه سلوكه واستجابته.

٢- يربي أسلوب الحوار الحماسة للحق، وتحري الصواب، والرغبة في الحجة المقنعة، وهذه من العواطف الطيبة التي يجب الحرص على تنميتها في المدعوين.

٣- أنه يربي العقل على التفكير السليم والوصول إلى الحقائق بأسلوب صحيح[3].

٤- يعتبر الحوار التوضيحي والإقناعي من الوسائل الناجحة لإقناع من يرجى إسلامه من المفكرين العقلاء، خاصة إذا اعتمد الطريقة العلمية في التفكير والعرض.

سابعا: أسلوب التربية مع التعليم:

التربية الإسلامية تعني: تنشئة وتكوين إنسان مسلم متكامل من جميع نواحيه ما أمكن ذلك، وهي عملية متدرجة ومقصودة لأفراد المجتمع المسلم، غايتها توجيه الإنسان نحو خالقه من خلال مجموعة من المبادئ والقيم المستمدة من الكتاب والسنة[4].

أما المقصود بالتعليم: فهو تعليم المسلمين أو من يدخل في الإسلام معالم الدين الإسلامي وشرائعه ومعانيه[5].

ترك الكذب وإن كان مازحا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه))، وقال محقق جامع الأصول: إسناده صحيح انظر ١١/ ٧٣٤.

[1] بتصرف، الفقيه والمتفقه ص ٢٣٣.

[2] سورة النحل جزء من آية ١٢٥.

[3] بتصرف، أصول التربية الإسلامية ص ٢٠٣.

[4] بتصرف، الأسلوب التربوي للدعوة في العصر الحاضر ص ٢٤، وانظر أهداف التربية الإسلامية وغايتها، وانظر منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير ص ٢٧.

[5] بتصرف، أصول الدعوة ص ٤٤٢.

والمقصود بأسلوب التربية مع التعليم: عدم اكتفاء الداعية بتعليم المدعوين معاني الإسلام وأحكامه، وتعريفهم بحدوده وأنظمته، بل تعهد المستجيبين منهم للدعوة بما يكفل لهم المناعة ضد الداء القديم، وتثبيتهم على الحق، وحملهم على العمل بما تعلموا، وصياغة سلوكهم بموجبه وتطبيقه[1].

مجالات استخدام أسلوب التربية والتعليم:

١- عند تجدد الأحداث، فالقرآن الكريم أنزله الله منجما حسب الظروف والحوادث، لأنه كتاب تعليم وبناء وتربية ، لا كتاب ثقافة أو إمتاع، جاء منهجا للحياة ولصياغة نفوس أبناء الأمة، وجاءت السنة النبوية تبيينا وتوضيحا لهذا الكتاب، ولا شيء يؤثر في النفوس كما يؤثر فيها التربية والتعليم في ظل التجارب والأحداث، حيث تكون القلوب منفتحة للتوحيد، والنفوس مهيأة للانطباع، لتأخذ من كل هزيمة عبرة ومع كل نصر درسا، ولكل موقف تحليلا[2].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يربي الناس على ضوء القرآن، ولا يدع الأحداث تمر على غفلة من الناس، ولما وقع الخطأ من حاطب رضي الله عنه جاء القرآن بالتوجيه الصحيح لعقيدة الولاء والبراء، كما بين فضل السابقين المجاهدين، ولما بذلت الشفاعة للمخزومية انطلق الرسول صلى الله عليه وسلم يربي أمته على العدل والمساواة وخوف الله تعالى وإقامة حدوده.

٢- عند حصول الاستجابة والدخول في الإسلام، فحديثو الإسلام من أشد الناس حاجة إلى من يتعهدهم بالعلم والتربية، ولا يحق للدعاة ترك المستجدين في الإسلام وشأنهم، لأنهم بمجرد قبولهم للإسلام ودخولهم فيه، صاروا في عداد المسلمين، وقد تبقى في المسلمين الجدد بقايا كثيرة أو قليلة من دائهم القديم -الشرك بأنواعه- مما يعرضهم إلى الانتكاس والرجوع عن دين الإسلام، وعلى أقل الأحوال السير على غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحسبون أنهم مهتدون[3].

---

[1] بتصرف، منهاج الدعاة ص ٥٦. وانظر أصول الدعوة ص ٤٤٤.

[2] بتصرف، منهج القرآن في التربية ص ٢٧٧.

[3] بتصرف، أصول الدعوة ص ٤٤٢.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يباشر بنفسه تعليم شعائر الإسلام لمن يسلم، كما أخرج الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه: ((كان الرجل إذا أسلم علمه النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات:((اللهم أغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني))[1].

وقد كان هذا منهج النبي صلى الله عليه وسلم في شأن من يسلم، أن يعلمه أو يوكل ذلك إلى غيره من المسلمين، فعندما أسلم عمير بن وهب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: ((فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن))[2]، كما أرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى أهل المدينة بعد دخولهم في الإسلام وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين، فكان يُسمى المُقرئ[3].

وبعد فتح مكة، باشر بنفسه صلى الله عليه وسلم تعليم أهلها، عبر خطبه ، وببقائه بين أظهرهم تسعة عشر يوما[4]، نوع فيها تعليمهم وتربيتهم بين التلقين وبين التطبيق والممارسة العملية أمام أعينهم، ومن أمثلة التربية والتعليم بالمشاهدة، صلاته صلاة الضحى أمام أم هانئ رضي الله عنها، حتى روتها لمن وراءها من الناس، وصلاته في المسجد الحرام ليشاهده أهل مكة فعن عبد الله بن السائب رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم افتتح الصلاة يوم الفتح في الفجر، فقرأ بسورة المؤمنين، فلما بلغ ذكر موسى وهارون أصابته سعلة فركع)[5]، فتعلموا منه صلى الله عليه وسلم حتى دقائق الأمور ومن ذلك ما يرويه رضي الله عنه :(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح، فوضع نعليه عن يساره)[6].

---

[1] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٢٠٧٢/٤ ح ٢٦٩٧.

[2] انظر البداية والنهاية عن ابن اسحق بسنده ٣١٣/٣، ونحوه عن موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب انظر الإصابة ٣٦/٣.

[3] بتصرف، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم :ابن هشام ٤٢/٢.

[4] كما روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال:(أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة تسعة عشر يوما يصلي ركعتين). سبق تخريجه ص ١٥٠.

[5] سبق تخريجه ص ٢٥٣.

[6] مسند الإمام أحمد ٤١١/٣ عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه .

ومن أمثلة التعليم بالتلقين ما رواه أبو محذورة رضي الله عنه : (فقمت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألقى إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم التأذين هو بنفسه، فقال: ((قل الله أكبر الله أكبر...))[1]، وكذلك ما رواه كَلَدة بن حنبل، حين أرسله صفوان بن أمية رضي الله عنه بعد إسلامه بلبن وجداية وضغابيس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فدخل ولم يسلم، فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أدب الاستئذان والسلام ولقنه كيفية ذلك، بأن يقول: السلام عليكم أأدخل[2].

٣- عند إعداد نوعية خاصة متميزة من المؤمنين:

كالدعاة إلى الله، فيلزم القائم بالتربية والإعداد لهؤلاء الدعاة أن يتعهد كلا منهم بما يصلحه، ويرتبط بهم ارتباطا وثيقا، ويعدهم إعدادا يستوعب كل جوانب شخصياتهم، وفق المنهج الإسلامي.

وهذا الأسلوب في التربية والتعليم والإعداد، أسلوب قرآني ، فالله تعالى قد هيأ جميع رسله بالإعداد والعناية قبل أن ينبئهم ويكلفهم بالرسالة، كما قال تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3][4]، وظهرت منته ورعايته تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾[5].

وكذلك هو أسلوب طبقه النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه حين أعدهم لحمل أعباء الدعوة وتبليغ الرسالة، وتعهدوا هم كذلك من جاء بعدهم من المسلمين.

٤- عند انتشار الجهل بين أفراد طبقة معينة، أو في مجتمعات خاصة رغم مجاورتهم لغيرهم ممن منَّ الله عليهم بالعلم، فهؤلاء يعظم حقهم على جيرانهم العارفين العالمين، وذلك لحق أخوة الإسلام بينهم، ولحق الجوار معها أيضا، فقد روي أنه :(خطب رسول

---

[1] سبق تخريجه ص ٣٦٧.

[2] سبق تخريجه ص ٣٧٠.

[3] سورة القصص آية ١٤.

[4] بتصرف، فقه الدعوة إلى الله ١/ ٢٢٥- ٢٢٦.

[5] سورة الضحى الآيات ٦- ٨.

الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر طوائف من المسلمين، فأثنى عليهم خيرا، ثم قال: ((ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم؟! ولا يعلمونهم؟! ولا يأمرونهم؟! ولا ينهونهم؟!....والله ليُعلمَن قوم جيرانهم ويفقهونهم، ويفطنونهم، ويأمرونهم، وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم، ويتفقهون، ويتفطنون، أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا)) ثم نزل فدخل بيته. فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟ قالوا: نراه عنى الأشعريين، هم قوم فقهاء، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب. فبلغ ذلك الأشعريين، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: يا رسول الله، ذكرت قوما بخير، وذكرتنا بشرّ، فما بالنا؟

فقال:((ليفقهن قوم جيرانهم، وليفطننهم، وليأمرنهم، ولينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم، ويتفطنون، ويتفقهون، أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا)).

فقالوا: يا رسول الله أنفطن غيرنا؟ فأعاد قوله عليهم. فأعادوا قولهم: أنفطن غيرنا؟ فقال ذلك أيضا. فقالوا: أمهلنا سنة. فأمهلهم سنة ليفقهوهم، ويعلموهم ويفطنوهم.

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[1])[2].

فبين عليه الصلاة والسلام أهمية تفقيه المسلم لأخيه المسلم عند جهله وحاجته لذلك، كذلك أهمية مبادرة الجاهل إلى تعلم أمر دينه ممن يحمل هذا العلم، لأن التقصير في التعلم أو التعليم يؤدي إلى انتشار الجهل بالدين، وذلك مدعاة للوقوع في الذنب والإثم، واستحقاق العقوبة من الله.

متطلبات نجاح أسلوب التربية والتعليم:

١- التنويع في وسائل التعليم:

وأهمية ذلك تنبع من تنوع المداخل النفسية للمدعوين وتفاوت أفهامهم، فمنهم من يتأثر بالوعظ، ومنهم من يميل إلى القراءة، وبعضهم يتعلم عن طريق المحاكاة والتقليد للقدوة، والبعض الآخر يفضل التوجيه المباشر أو التلقين.

---

[1] سورة المائدة الآيتان ٧٨-٧٩.

[2] سبق تخريجه ص ٦٤٥.

ومما يؤكد أهمية التنويع في الوسائل التربوية، ما يظهر من مراقبة الواقع البشري، فالناس متفاوتون في الطاقات والاستعداد، فمنهم من لديه استعداد للموت ما دام في سبيل الله، ومنهم من لديه الاستعداد لامتثال أوامر الله في نفسه، ولا شأن له بالآخرين، ومنهم من اثاقل وأخلد إلى الأرض.. ومنهم .. ومنهم، والمنهج القويم في التعامل مع هؤلاء الأنواع والأصناف أن يكون عن طريق تربية كل بما يناسبه ويتفق مع حاله[1].

٢-الحرص على تحقيق التوازن بين التربية والتعليم:

وذلك بأن يأخذ كل جانب من الجانبين حظه، دون بخس أو شطط، فالتعليم علم نظري، والتربية تطبيق ذلك العلم، وتحويله إلى سلوك عملي ، تحت إشراف الداعية وتوجيهه[2].

ومما يحقق هذا التوازن، إدراك الفرق بينهما فمثلا هناك فرق بين تعليم العقيدة الإسلامية، وبين التربية على العقيدة الإسلامية، فالتعليم جزء من التربية والتربية أعم وأشمل من التعليم.

ومن الخطأ أن يكتفى في بعض الظروف بالتلقين الصوري، كأن تدرس مبادئ العقيدة أو أصولها، ثم توضح الآراء المختلفة فيها، فإن ذلك لا يثمر إيمانا في قلب المدعو، وقد لا يؤدي إلى رسوخ العقيدة، بينما يؤدي إلى ذلك غرس العلم اليقيني بصدق القرآن والوحي، ثم إثارة إحساس القلب ليحس بوجود الله دائما، إلى جانب العمل على تكوين عاطفة قوية دافعة إلى السلوك المرغوب، وعدم إهمال الأدلة الإقناعية ما أمكن، والتركيز على جوانب العقيدة المؤثرة كالإيمان باليوم الآخر، وغرس الإحساس بدوام مراقبة الله تعالى في القلب.

كذلك توضيح أن التشريع الإلهي صادر عن إرادة إلهية حكيمة تثمر التنظيم لحياة الإنسان على أكمل وجه، وبعث الطمأنينة في القلب تجاه القضاء والقدر[3]، إلى غير ذلك من المفاهيم التربوية التي يتمكن الدعاة من تعليمها للمدعوين ثم تربيتهم عليها .

٣- المتابعة والمراقبة لسير العملية التعليمية والتربوية، مع تقويم نتائجها:

---

[1] بتصرف، منهج الإسلام في قضية التغيير ص ١٠٠- ١٠١.

[2] بتصرف المرجع السابق ص ١٠٠.

[3] بتصرف انظر جوانب التربية الإسلامية الأساسية من ص ١٤٩- ١٩٠، وانظر فقه الدعوة إلى الله ١/ ٤٦٥- ٤٦٦.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم دائم المراقبة للمسلمين، لتقويم ما يظهر عليهم من انحرافات في التصور أو في السلوك، و لم يدع ذلك حتى في أخطر ظروف المواجهة مع خصومهم، كما حدث والمسلمون في طريقهم لملاقاة هوازن، حين طلب منه حديثو الإسلام أن يجعل لهم شجرة يعلقون عليها سلاحهم ويتبركون بها.

٤- الاهتمام بإثارة المدعو ولفت انتباهه:

فإن هذا مما يزيل الخمول وكسل الذهن في التعليم والتربية، ومن وسائل ذلك: طرح مفاهيم جديدة تثير التفكير، وتشحذ الهمم لبلوغ مستوى أعلى من الفضل، وذلك مثل مفهوم المساواة الذي أعلنه النبي صلى الله عليه وسلم في أول خطبة له فقال: ((الناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب، قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[١]))[٢].

ومثل عطاياه العظيمة التي لم يألف العرب مثلها من قبل، حتى أن الرجل يرجع إلى قومه ويقول: يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر[٣].

٥- التعامل مع أكبر عدد ممكن من الحواس أثناء التعليم أو التربية:

إن كل حاسة يثيرها الداعية ترتبط بدعوته، أو تنفعل بها، إنما هي رباط يربط الناس به[٤]، واختلاف مستويات الناس يحتم على الداعية الحرص على إثارة ما استطاع من الحواس، لأن الناس أحيانا يفكرون عن طريق التصور، بصور عقلية لخبرات حسية فعلية، ومعظم الناس تكون صورهم البصرية أقوى من سواها، وبعضهم تكون الصور السمعية لديهم هي الأقوى، وأقل منهم من تكون الصور اللمسية أو الحركية، أو الشمَّية، أو الذوقية أقوى لديهم مما سواها[٥].

---

[١] سورة الحجرات آية ١٣.

[٢] سبق تخريجه ص ١٤٢.

[٣] سبق تخريجه ص ٣١٣.

[٤] بتصرف، المعرفة في منهج القرآن الكريم ص ٧٥.

[٥] بتصرف، علم النفس: د. فاخر عاقل، ص ٦٦٢، دار العلم للملايين ط:٣، ١٩٧٢م.

لذلك ترى النبي وهو يحطم الأصنام جذاذا، لا يفعل ذلك وهو صامت، بل ينبه على بطلانها بتلاوة آيات من القرآن الكريم، فيجتمع للمشاهد استعمال حاسة البصر مع السمع، فيثمر ذلك يقينا أقوى في قلبه، كما رُوي عنه أنه دخل(مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصُب، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: ((جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد))[1].

وكذلك ما ورد عما فعله مع بعض الناس من مسح على رؤوسهم وصدورهم أثناء الدعاء لهم بصوت يسمعه المدعو، كما فعل مع فضالة وأبي محذورة وشيبة رضي الله عنهم[2].

٦- تخصيص بعض الناس دون غيرهم بأخبار معينة:

ومن ذلك تخصيص قريشٍ بإخبارهم بما يتعلق بهم[3]، وتخصيص الأنصار بخطبته على الصفا، حين أمر أبا هريرة رضي الله عنه أن يناديهم له وقال:((لا يأتيني إلا أنصاري ثم قال حتى توافوني بالصفا))، وفي رواية عند الإمام أحمد رحمه الله: ((اهتف لي بالأنصار، ولا يأتيني إلا أنصاري))[4].

قال الإمام النووي رحمه الله مبينا حكمة تخصيصه صلى الله عليه وسلم الأنصار دون غيرهم: (إنما خصهم لثقته بهم، ورفعا لمراتبهم، وإظهارا لجلالتهم وخصوصيتهم).[5][6]

٧- إزالة العوائق التي تعيق تعليم المدعو وتربيته:

ومن هذه العوائق: التعلق بأعراض الدنيا الزائلة، وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم عدة طرق في إزالتها، ومن ذلك:

– إشباعها وذلك بإعطائها بكثرة أو بحيث تُشبع، فيتلاشى تأثيرها كعقبة في طريق التربية، ومن ذلك: إعطاء العطايا العظيمة لمسلمة الفتح خاصة لمن سأله أو استزاده منهم

---

[1] سبق تخريجه ص ١٢٧.

[2] سبق تخريجه ص ١٣٧ و ص ١٨٠ و ص ٣٦٧.

[3] بأنه لن يقتل قرشي صبرا ولن تغزى مكة بعد يوم الفتح انظر ص ١٣٣، وص ٦٥١.

[4] المسند ٢/ ٥٣٨.

[5] صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٢٧.

[6] انظر من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين من ص ٦٥- ٦٨.

كأبي سفيان وحكيم رضي الله عنهما، أو لمن لحظ صلى الله عليه وسلم تعلقه بها وتمنيه لها، كصفوان بن أمية رضي الله عنه .

ومنها: إشباع الرغبة في المكانة والصدارة، كتولية بني شيبة سدانة الكعبة، وتولية عتاب بن أسيد إمارة مكة، وإعطاء أبي سفيان ما طلبه من النبي صلى الله عليه وسلم من المال والمكانة له ولأبنائه[1] رضي الله عنهم أجمعين.

– تعديلها وتوجيهها ، كما فعل صلى الله عليه وسلم مع حكيم بن حزام رضي الله عنه ، حين أعطاه ثلاثا من غنائم حنين ثم قال: ((يا حكيم إن هذا المال خَضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى))[2]، فحثه على التعفف والقناعة والرضا بما تيسر في عفاف وإن كان قليلا، وذلك بتشبيهه المال في الرغبة والميل وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة، من أخذه من غير حرص عليه بورك له فيه، ومن طلبه وحرص عليه وتطلع إليه، لم يبارك له فيه، وكان حاله كمن به داء لا يشبع بسببه، ثم يحثه على الإنفاق في وجوه الطاعات، ليكتسب ليده فضل علو ومجد ونيل الثواب[3].

– إزالة هذا العائق ومنعه ، فالنبي صلى الله عليه وسلم يعلم طبيعة المجتمع الجاهلي وعصبيته، وما لها من شأن كبير في توجيه سلوك المدعو، مما قد يعرقل عملية التربية، فقد كان الرجل يشايع قبيلته ويناصرها على الحق وعلى الباطل، فحرم صلى الله عليه وسلم المشايعة والنصرة على الباطل وجعلها منافية للإسلام، فقال: ((كل حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة، ولا حلف في الإسلام))[4].

آثار استخدام أسلوب التربية والتعليم:

---

[1] سبق تخريج الحديث ص ٥٣٧ و ص ٥٤٠ .

[2] رواه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة ٢/ ١٢٩. ومسلم في كتاب الزكاة باب بين أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح ٢/٧١٧ ح ١٠٣٥.

[3] بتصرف، صحيح مسلم بشرح النووي ٧/١٢٥ – ١٢٦.

[4] سبق تخريجه ص ١٤٣.

١- يربي في النفس أخلاقا تجعل حياة الفرد أكثر استقامة وسعادة، وتجعل المجتمع أشد تماسكا، حين تعوده الإتقان العملي والدقة وتوخي صحة النتائج.

٢- يبعث على العمل وترك الكسل والتواكل، وينمي شعور الإنسان بمسئوليته عن صحة عمله، وهذا يجعل منهجية التربية الإسلامية منهجية حركية فكرية عاطفية مبنية على الوعي والدقة وصحة الأداء.

٣- شدة الاقتناع وبلوغه أعماق النفس[١]، ومما يدل على ذلك موقف حكيم بن حزام رضي الله عنه بعد توجيه النبي صلى الله عليه وسلم له، فقد قال:(يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، لا أرزأ أحدا بعدك شيئا، حتى أفارق الدنيا) وقد أوفى بيمينه رضي الله عنه فقد(كان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيما إلى العطاء، فيأبى أن يقبله منه، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه، فأبى أن يقبل منه شيئا، فقال: إني أشهدكم معشر المسلمين على حكيم، إني أعرض عليه حقه من هذا الفيء، فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي)[٢].

٤- التربية مع التعليم توثق صلة الإنسان بربه، وتوجهه نحو الخير والتقرب له تعالى، وتحببه في إخوانه المسلمين، وتقوي المؤمن على الاستعلاء على شهواته، والاستعلاء على القوة المادية، واستمداد القوة من الله وحده[٣].

٥- كما أن التعليم يعود العقل على إدراك حقيقة هذا الكون، ويقدره على التأمل والنظر في حكمة الله تعالى في خلقه وشرعه، وتنقيه من الوهم والخرافات، ومن الوقوع في المتاهات، وذلك عن طريق التعرف على الحق عن قرب، وعن يقين[٤]، وذلك يكون باتصاله الدائم بكتاب الله تعالى وسيرة نبيه صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام.

٦- إن الانسجام بين النظرية والتطبيق (أو بين القول والعمل)، أثناء تعليم المدعو وتربيته، يولد نفوسا منسجمة، مستقرة ، بعيدة عن التردد والارتجالية.

---

[١] بتصرف، أصول التربية الإسلامية ص ٢٤٢- ٢٤٣.

[٢] سبق تخريجه ص ٣٠٦.

[٣] بتصرف، فقه الدعوة إلى الله ١/ ٤٧١- ٤٧٢.

[٤] بتصرف، فقه الدعوة إلى الله ١/ ٤٧٥- ٤٧٦.

٧- التربية إذا رافقت التعليم تركت -بإذن الله- آثارا قوية في شخصية المدعو، لا تنمحي بسهولة مع الزمن ، أو تتقلب مع المتغيرات.

ثامنا: أسلوبا الترغيب والترهيب:

الترغيب من الرغبة، ويقال: رغب يرغب رغبة: إذا حرص على الشيء وطمع فيه[١].

وأسلوب الترغيب هو: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، وهو وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو متعة آجلة مؤكدة خيرة خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة ابتغاء مرضاة الله[٢].

والترهيب من الرهبة، وهي : الخوف والفزع[٣].

وأسلوب الترهيب هو : كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، وهو وعيد وتهديد بعقوبة مترتبة على اقتراف إثم أو ذنب، مما نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فرائض الله[٤].

وهذا الوعد يشمل نعيم الدنيا والآخرة وسعادتهما، والوعيد كذلك يشمل نقمة الدنيا والآخرة وشقاءهما، فقد وعد الله المؤمنين الصادقين بالاستخلاف في الأرض، والعزة والحياة الطيبة والجنة في الآخرة، وتوعد العاصين بالخزي والذل وضنك المعيشة في الدنيا والآخرة وبنار الجحيم في الآخرة[٥].

وجمعت بين الأسلوبين لأمور:

١- لجمع القرآن غالبا بينهما، كقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾[٦].

---

[١] النهاية في غريب الحديث ٢/٢٣٧.

[٢] بتصرف، ، أصول الدعوة ص ٤٣٧. وانظر أصول التربية ص ٢٥٧.

[٣] النهاية في غريب الحديث ٢/٢٨٠.

[٤] بتصرف، أصول الدعوة ص ٤٣٧. وانظر أصول التربية ص ٢٥٧.

[٥] بتصرف، هداية المرشدين ص ١٩٢.

[٦] سورة محمد آية ١٢.

٢-لأن الترغيب بالقيام بأمر معين، هو ترهيب عن القيام بضده، قال ابن قدامة المقدسي[١] رحمه الله: (الأمر بالشيء نهي عن ضده من حيث المعنى، فأما الصيغة فلا)[٢]،

فنهي الله تعالى عن اتخاذ أعدائه أولياء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ .... ﴾ ، والترهيب من فعل ذلك بقوله: ﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ، هو ترغيب للمؤمنين في إعلان التبرؤ منهم، وتولي الله ورسوله والمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ..... ﴾ [٣].وقد بين الحافظ ابن كثير رحمه الله أن في الآية الكريمة ترغيبا في إعلان معاداة الكافرين، بقوله: (إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي، باغين لمرضاتي عنكم، فلا توالوا أعدائي وأعداءكم، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقا عليكم وسخطا لدينكم)[٤].

٣- لتوافق الترغيب والترهيب في مجالات استخدامهما ومتطلبات إنجاحهما وآثارهما، كما سيأتي.

مجالات استخدام أسلوبي الترغيب والترهيب:

١- الترغيب في قبول الحق والاستجابة له، والترهيب من الإعراض وصد الناس عنه، ومن ذلك الترغيب باستئلاف القلوب وتحبيبها في دين الإسلام، وتثبيتها عليه، وقد يكون ذلك بشكل معنوي: كالتألف بالجاه ولطف الكلام، كقوله صلى الله عليه وسلم للأنصار لما خافوا بقاءه في مكة: ((هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم، والممات مماتكم)).

---

[١] هو محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الفقيه المحدث الحنبلي أبو عمر، ولد سنة ٥٢٨هـ وسكن دمشق كان زاهدا قدوة صالحا قاضيا لحوائج الناس كثير العبادة حريصا على إزالة المنكرات، توفي رحمه الله عام ٦٠٧هـ. بتصرف سير أعلام النبلاء ٥/٢٢، والأعلام ٣١٩/٥.

[٢] روضة الناظر وجنة المناظر: الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ص ٤٧، راجعه وأعد فهارسه: سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي بيروت ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

[٣] سورة الممتحنة جزء من آية ١.

[٤] تفسير القرآن لعظيم ١١٢/٨.

أو تألفه بالعفو مكان الانتقام وبالإحسان مكان الإساءة كعفوه عن أهل مكة[1]، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[2].

كما قد يكون الترغيب بشكل حسي: كتأليفه القلوب بالمال والعطاء، فقد كان صلى الله عليه وسلم يؤثر حديثي الإسلام بالعطايا لتثبيت قلوبهم على الإسلام، وهذا إذا ظهر أن الإيمان لما يرسخ في قلوبهم رسوخا لا تزلزله الفتن، ويكل المؤمنين إلى إيمانهم، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله في النار على وجهه))[3].

ومما حفظت سيرته من تأليفه لقلوب حديثي الإسلام، ما رواه المِسْوَر بن مخرمة بن نوفل رضي الله عنهما، بشأن إكرام الرسول صلى الله عليه وسلم لأبيه- وهو من مسلمة الفتح، ممن أعطاهم دون المائة من الإبل من غنائم حنين- قال:(قدمَت على النبي صلى الله عليه وسلم أقبية، فقال لي أبي مخرمة: انطلق بنا إليه عسى أن يعطينا منها شيئا، قال: فقام أبي على الباب فتكلم، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم صوته، فخرج ومعه قِباء وهو يريه محاسنه. وهو يقول: ((خبأت لك هذا ، خبأت لك هذا)) [4].

ومن ترغيبه كذلك تألفه لبعض أشراف قريش قبل إسلامهم ترغيبا لهم في الإسلام كعطائه لصفوان بن أمية رضي الله عنه[5]، وحكمة هذه العطايا كانت لتلافي ما في قلوبهم من حقد، لأن الهدايا تذهب الأحقاد وتجعل النفوس متهيئة للنظر في صدق الدعوة وصحة العقيدة[1].

---

[1] بتصرف، الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها ص ٤٥٢.

[2] سورة فصلت آية ٣٤.

[3] رواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب إعطاء من يخاف على إيمانه ٢/ ٧٣ ح ١٥٠

[4] سبق تخريجه ص ٥٣٦.

[5] قال الإمام أبو بكر الجصاص رحمه الله : وقد اُختلف في المؤلفة قلوبهم، فقيل: إنما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أول الإسلام، في حالة قلة عدد المسلمين، وكثرة عددهم، وقد أعز الله الإسلام وأهله، واستغنى بهم عن تألف الكفار، فإن احتاجوا إلى ذلك فإنما ذلك لتركهم الجهاد، ومتى اجتمعوا وتعاضدوا، لم يحتاجوا إلى تألف غيرهم بمال يعطونه من أموال المسلمين،- ثم ذكر قصة عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مع عمر رضي الله عنهم، لما منعهم مكانا يؤلفان به_ وقال لهما: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل، والله قد أغنى الإسلام، اذهبا فاجهدا جهدكما، لا يرعى الله عليكما إن رعيتما. بتصرف،

ومن الترهيب عن الصدود والإعراض قول العباس لأبي سفيان رضي الله عنهما وهو يقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك)، فشهد شهادة الحق فأسلم[٢].

٢- الترغيب بهدف التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى، والترهيب من معصية أوامره ومخالفة شرعه، وذلك إما أن يكون ترغيبا في جنس الطاعات بشكل عام كالترغيب في الأعمال الصالحة، كقوله تعالى﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٣] فوعدهم بالعيش الهنيء والحياة الطيبة.

وقد يكون الترغيب في أنواع مخصوصة منها كالصلاة والصدقة والحج والجهاد[٤]، أو ترغيب الناس في الإنفاق في سبيل الله كقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ..... ﴾[١].

أحكام القرآن ٣/١٢٤.

وقال د. يوسف القرضاوي في مقال بعنوان: (الفقه اجتهاد إنساني يتغير تبعا للزمان والمكان والحال): إن عمر رضي الله عنه حين أبى أن يعطي الزكاة قوما كانوا من المؤلفة قلوبهم في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يغير بذلك حكما شرعي، و لم يعطل نصا قرآنيا- كما قد يفهم بعض الناس- ولكنه غير الفتوى بتغير الحال، فلم يعد عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وأضرابهما من الطامعين، ممن يحتاج الإسلام ودولته إلى تأليف قلوبهم بعد أن انتصر على أكبر دولتين في الأرض: فارس والروم. والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكتب صكًّا لهؤلاء يبقيهم مؤلفة إلى الأبد، فالمؤلَف هو من يرى الإمام تأليفه، فإذا لم ير تأليف شخص أو ناس بأعينهم، فإن ذلك لا يكون إسقاطا لسهم المؤلفة كما فهم بعض الحنفية، ولا تعطيلا للنص كما فهم بعض المعاصرين.

فعمر رضي الله عنه رأى مصلحة المسلمين في عصره، أن يسد الطريق على الطامعين في أموال الزكاة، باسم التأليف، و لم يرد عنه ما يمنع من التأليف وإعطاء المؤلفة عند الحاجة واقتضاء المصلحة. بتصرف، مجلة الاتحاد عدد ٧٨٣٢ تاريخ ١٧/ ٣/ ١٤١٧هـ، وانظر الزكاة وأحكامها: وهبي غاوجي ص ٩٩- ١٠٠، وانظر مصارف الزكاة في الشريعة الإسلامية : عبد الله جار الله بن إبراهيم الجار الله من ص ٥٤- ٥٩، المكتب الإسلامي بيروت و مكتبة الحرمين الرياض ط:١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

[١] بتصرف، هداية المرشدين ص ٣٥- ٣٦، وانظر أصول الدعوة ص ٤٨٤.

[٢] عيون الأثر ٢/٢٢٠.

[٣] سورة النحل آية ٩٧.

[٤] انظر هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة من ص ١٩٢ -١٩٩.

٣- الترهيب بالتهديد بالعقوبة للمنحرفين عن منهج الله والعصاة، وهي نوعان:

١- العقوبة الأخروية التي يتولاها الله عز وجل في الآخرة، والتي يتم لهم فيها إحصاء أعمالهم كما قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ..... ﴾[٢].

٢- العقوبة الدنيوية: وهي قسمان:

١- عقوبة جرت بها سنة الله الكونية، وتقوم على قانون السبب والمسبب، وتصيب الجماعات حال انحرافهم عن شرع الله، وهذا النوع له أشكال متنوعة، فقد يكون الهلاك بتعجيل العقوبة في الدنيا، أو تسليط الأعداء أو غير ذلك من أشكال العقاب، وقد بين صلى الله عليه وسلم من هذه السنن، ما يصيب المتهاون في إقامة حدود الله وشرعه، ومن يظلم الناس ولا يساوي بينهم، وأن ذلك سبب إهلاك الجماعة كما قال صلى الله عليه وسلم : ((إنما أهلك من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد))[٣]، وقد قال تعالى مؤكدا على مثل هذا المعنى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[٤].

كذلك ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام من ضياع بركة المال عند تعلق النفس به، وطمعها في الاستزادة منه.

النوع الثاني: الذي يشمل العقوبات التي نصت عليها الشريعة الإسلامية وأمرت الولاة بتنفيذها بحق المخالفين، وقد تكون عقوبات مالية كدفع دية القتيل، كما قال صلى الله عليه وسلم في خطبته:((فمن قتل له قتيل، فهو بخير النظرين، إما أن يعقل ، وإما أن يقاد أهل القتيل))[٥] ، أو عقوبات جسدية كقطع يد السارق، أو عقوبة معنوية كإهدار

---

[١] سورة الحديد جزء من آية ١٠.

[٢] سورة الكهف جزء من آية ٤٩.

[٣] سبق تخريجه ص ١٦٠.

[٤] سورة الشورى آية ٣٠.

[٥] سبق تخريجه ١٤٥.

شهادة القاذف، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا .... ﴾[1].[2]

والغاية من الترهيب في العقوبات أمران:

أحدهما: حماية الفضيلة وحماية المجتمع من أن تتحكم الرذيلة فيه.

الثاني: المنفعة العامة أو المصلحة، لأنه ما من حكم في الإسلام إلا كان فيه مصلحة للناس[3].

٤- الترهيب من مخالفة هديه وسنته، وتشديد الإنكار على من خالف ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان، فصام حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه، حتى نظر الناس إليه ثم شرب، فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام. فقال:((أولئك العصاة. أولئك العصاة))[4].

متطلبات نجاح أسلوبي الترغيب والترهيب:

١- الموازنة والاعتدال بينهما، فلا يجعل الداعية كل حديثه ترغيبا ولا كله ترهيبا، بل يتناوب بين الاثنين، حتى لا يطغى جانب على جانب، فيفرط المستمع في التمني للثواب دون عمل، أو يقنط من رحمة الله وعفوه، والمتأمل في آيات القرآن يجد أن الله تعالى كثيرا ما يورد آية نعيم ثم يردفها بآية عذاب، وكذلك يورد آية عذاب ثم يتلوها بآية نعيم، كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[5].

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن رباهم في القرآن بنوعي التربية كليهما الترغيب والترهيب، فالأصل أن أسلوب الترغيب يكون موازيا لأسلوب الترهيب، والرجاء يوازي

---

[1] سورة النور آية ٤.

[2] انظر هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة من ص ٢١٠- ٢١٩، وانظر مجموعة بحوث فقهية: د. عبد الكريم زيدان من ص ٣٧٨- ٣٨٢.

[3] بتصرف، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي: محمد أبو زهرة من ص ٢٨- ٢٩ دار الفكر العربي ط: بدون.

[4] صحيح مسلم كتاب الصيام باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، إذا كان سفره مرحلتين فأكثر ٢/٧٨٥ ح ١١١٤.

[5] سورة النازعات الآيات ٣٧- ٤١.

الخوف، لئلا يتمادى المدعوون في المعاصي مغترين برحمة الله ومغفرته، ولا ييأسوا ويقنطوا من رحمته خوفا من عذابه وقوته، بل يكون حالهم كما يقول تعالى عن المؤمنين﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ..... ﴾[1][2].

٢- يعتمد الترغيب والترهيب القرآن والحديث النبوي لإثارة الانفعالات وتربية العواطف الوجدانية، فهي المحرك والدافع الأقوى للسلوك، والمغذية لطاقات الإنسان، وعن طريق إثارة هذه الدوافع يبلغ الداعية هدفه[3].

وهذه العواطف متنوعة: منها الرجاء والحب، فترى النبي صلى الله عليه وسلم يثير دافع الحب لله ولرسوله حين سأل الأنصار عما قالوه، فقالوا: والله ما قلنا الذي قلنا، إلا الضن بالله ورسوله. فأراد أن يثبت قلوبهم على الإيمان ويرغبهم في عظيم الثواب من عند الله تعالى فقال لهم: ((إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم))[4].

و يثير دافع حب الخير والمال في نفوس مسلمة الفتح بإعطائهم من الغنائم، لترغيبهم في الإسلام.

ويثير في أنفس أهل مكة عاطفة الرجاء، حين سألهم: ما تظنون أني فاعل بكم، فقالوا قد امتلأت قلوبهم رجاء ورغبة: أخ كريم وابن أخ كريم فقال محققا أمنيتهم ومتفضلا عليهم: أذهبوا فأنتم الطلقاء.

كذلك يثير في النفس الإنسانية مجموعة أخرى من العواطف ، كالخوف، والله تعالى يثير عاطفة الخوف من إحباط العمل عند موالاة الأعداء، كما في قوله تعال﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ

---

[1] سورة الإسراء جزء من آية ٥٧.

[2] بتصرف، الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب ص ١٠٢- ١٠٣، وانظر أصول التربية الإسلامية من ص ٢٦٣- ٢٦٤، وانظر منهج تربوي فريد في القرآن من ص ٨٢- ٩٣.

[3] بتصرف، أصول التربية الإسلامية من ص ٢٥٩- ٢٦١.

[4] سبق تخريجه ص ١٢٥.

ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1].

ويثير في قلوبهم الخوف من أذى الكفار الحسي الذي قد يقع بهم من جراء موالاتهم لقراباتهم المشركين بقوله تعالى: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾[2] .

كما يثير النبي صلى الله عليه وسلم هذه العاطفة، بإخافتهم من إصابتهم بسنن الأولين، وأن يصيبهم الهلاك كما أصاب من قبلهم، لما طلبوا ذات أنواط فقال: ((سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم))[3]، كما يعزز بواسطة أسلوب الترهيب كراهية الإقتداء بسيرة أهل الباطل في نفوس المؤمنين، بقوله:((قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم عليهم شحومها، أجملوه ثم باعوه، فأكلوا ثمنه))[4].

٣- أن يكون الترغيب والترهيب مصحوبا بتصوير يجسد مظاهر الجنة والنار والثواب والعقاب، ليستطيع المدعو من هذا التصوير أن يتخيل ويشعر مباشرة بالمرغبات والمرهبات[5]، وهذه الطريقة مجدية بشكل خاص مع أصحاب الخيال وأصحاب العواطف الجياشة.

أثر استخدام أسلوبي الترغيب والترهيب:

١- غالبا ما يكون هذان الأسلوبان ذا أثر فعال ناجح، لأنه يتوافق مع الفطرة والنفس البشرية التي تحب الخير وتحرص عليه وتستكثر منه، وهي ذاتها النفس التي تحب الأمن والسلامة، والبعد عن الخطر والخوف والتهديد، فهما يولدان حافزا ذاتيا داخل

---

[1] سورة الممتحنة آية ١.

[2] سورة الممتحنة آية ٢.

[3] سبق تخريجه ص ١٧٩.

[4] سبق تخريجه ص ٢٧٣.

[5] للاستفادة انظر منهج تربوي فريد في القرآن من ص ٧٢- ٨٢.

النفس الإنسانية، يحرك عواطفها ويوجه إرادتها ويدفعها، حتى تلتزم سلوكا معينا[1]، يحقق لها الخير ويبعد عنها العقاب.

٢- أنهما يجعلان المدعو يقبل التكاليف الشرعية بكل رضا،ويحرص عليها، لأن قيامه بها قد جرى بمحض اختياره وخاصة إذا كان الترغيب والترهيب بالأجر الذي عند الله.

٣- أنه مع مرور الوقت ينمي حواجز وقائية تنمو في قلب المدعو، وتحول بينه وبين الوقوع تحت ما يتركه تحت طائلة العقاب الدنيوي والأخروي.

٤- نتج عن استخدام الترغيب بالمال، دخول بعض المشركين في الإسلام وتثبيت قلوب الآخرين عليه، ثم تحولهم جميعا جنودا مجاهدين تحت راية الإسلام.

٥- كما نتج عن استخدام الترهيب مع أبي سفيان إسلامه، وذلك بعد حواره مع النبي صلى الله عليه وسلم، وحسُن إسلامه رضي الله عنه، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم لتحطيم اللات ثم انخرط في الجهاد في سبيل الله مع المسلمين، خرج إلى حنين، ثم شهد قتال الطائف، فقلعت عينه حينئذ، ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك، وكان يومئذ يحرض على الجهاد، وكان تحت راية ولده يزيد، فكان يصيح: يا نصر الله اقترب، وكان يقف على كتائب الخيل يذكر، ويقول: الله الله، إنكم أنصار الإسلام وذادة العرب، وهؤلاء أنصار الشرك، وذادة الروم، اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك[2].

٦- أنه يزيد في إيمان المؤمن حين يستشعر الأجر والثواب، ويخشى العذاب والعقاب، فيثمر ذلك قلوبا حية مرهفة الحس وضمائر مستيقظة. وقد كان إيقاع الحد على المرأة السارقة رادعا لها عن العودة إلى سابق فعلها، وتابت وحسنت توبتها.

إن أمثل الوسائل والأساليب الدعوية هي الأساليب والوسائل التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم ، فكل ما أثر عنه من أقوال وأفعال وتقريرات، هي مجالات استنباط

---

[1] بتصرف، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢/٢٠٢ و ص ٢٠٥.

[2] بتصرف سير أعلام النبلاء ٢/١٠٦.

أساليب ووسائل دعوية، أثبت استخدامه صلى الله عليه وسلم لها نجاحها وفاعليتها في صدر الإسلام.

والداعية الحريص على الاقتباس من سيرته صلى الله عليه وسلم يقف أمام الكثير من الوسائل والأساليب التي ظهرت في غزوة الفتح، والتي ذُكر منها في مبحث الوسائل: الاتصال المباشر، والخطبة، والشعر، والمناداة والأذان، والكتابة، والجهاد، والإصلاح البيئي، والهجر، والإرهاب النفسي والإكراه.

ومما ذكر في مبحث الأساليب: القدوة، والإقناع، والتخطيط، والإيحاء، والكتمان، والحوار، والتربية والتعليم، والترغيب والترهيب.

وهذه الوسائل والأساليب التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم، هي ذاتها التي يستخدمها الدعاة الآن، مع مراعاة تغير أحوال الزمان وتطور الأحوال، ومراعاة ضوابطها وشرعيتها، فهي تحقق -بإذن الله- الهدف المنشود عند تخير أفضلها وأنسبها إلى عقل المدعو، وأقواها أثرا في حياته، وأساس ذلك أن يكون متبصرا بسبيل المؤمنين، الذي قال عنه تعالى﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

[1] سورة يوسف آية ١٠٨.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

الحمد لله، أحمده تعالى على ما منَّ به عليَّ من نعم ظاهرة وباطنة، وأحمده عز وجل على توفيقي إلى كتابة هذا البحث، كما أسأله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين.

في خاتمة هذا البحث، الذي تناول غزوة فتح مكة أحداثا ونتائجا وعبرا ودروسا دعوية، ألخص أبرز ما جاء فيه:

بينت في هذه الدراسة بعض الأحداث المهمة التي سبقت غزوة الفتح: فذكرت أولا: موقف قريش العدائي من المسلمين، سواء في العهد المكي أم في العهد المدني، والوسائل التي اتخذتها في محاربتهم، والآثار السلبية والإيجابية الناتجة عن هذا الموقف العدواني.

ثم تحدثت عن صلح الحديبية، الذي كان توطئة وتمهيدا لفتح مكة، والذي كان فتحا مباركا على المسلمين، بما ظهر بعده من نتائج.

ثم بينت ضمن تسلسل مغازي النبي صلى الله عليه وسلم، غزوة خيبر، وأثرها القوي في دعم المسلمين معنويا واقتصاديا وأمنيا، وكذلك أثرها في الانهزام النفسي الحاصل عند كفار مكة.

ثم تلى ذلك معركة مؤتة، وبينت ما تركته من آثار على المسلمين، وعلى من حولهم في جزيرة العرب وخارجها.

أما الفصل الأول: فقد تناولت فيه الأسباب التي أدت إلى غزو مكة شرفها الله، وهو نقض أهلها لصلح الحديبية، ثم ترتيب النبي صلى الله عليه وسلم للغزو، وبينت تسلسل الأحداث حتى فتحت مكة، وتحطيم الأصنام المقامة حول الكعبة، وما تلا ذلك من حملات تطهيرية للأوثان المنصوبة حول مكة.

وقد أثمر الفتح آثارا مباركا: حيث قضي على الوثنية في مهدها، وطهرت قبلة المسلمين من معالم الشرك، ورافق ذلك تثبيت وإرساء قواعد الحكم الإسلامي بمكة، ووقوع وعد الله تعالى، بدخول الناس في دين الله أفواجا، ومبادرتهم إلى الانضمام إلى كتائب المسلمين، وتنظيم الأمور الإدارية بمكة.

وكانت مرحلة جديدة في سير الدعوة الإسلامية، فقد ظهر تفاضل بعض أعمال البر قبل الفتح وبعده، كانقطاع لهجرة الفاضلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وسبق من أنفق في سبيل الله قبل الفتح، لمن أنفق بعده.

كما كانت مرحلة فاصلة في الجهاد الإسلامي، إذ تحول ثقل معسكر الشرك وقيادة المشركين إلى هوازن وثقيف، وتمت هزيمتهم عندما اصطدموا بالمسلمين في آخر غزوة مع المشركين العرب: غزوة حنين، ونتج عن ذلك تفرغ النبي صلى الله عليه وسلم لجهاد النصارى، مثبتا عالمية الدعوة الإسلامية.

أما الفصل الثاني: فقد ذكرت فيه أهم الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة الإسلامية: الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق، مع ذكر بعض خصائص الدعوة الإسلامية.

فمن دروس العقيدة: تقرير وحدانية الله تعالى، وتقرير رسالة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وتوضيح أن العقيدة الإسلامية هي أساس ومنطلق تصرفات الناس وتوجهاتهم، وأبرزت أهمية عقيدة الولاء والبراء عند المسلم، ثم ذكرت بعض السنن الإلهية النافذة في المجتمعات، وحرص الإسلام على إلغاء شعائر الجاهلية وآثارها.

ومن دروس الشريعة: بينت بعض خصائص الشريعة الإسلامية، وضربت أمثلة لبعض الأحكام التي شرعت في غزوة الفتح أو التي أكد على مشروعيتها، وذلك في الأحكام التشريعية المتعلقة بالعبادات، أو الدماء، أو النكاح والأنساب، أو المتعلقة بالأموال، أو ما يتعلق بالاحتساب.

ومن دروس الأخلاق: ذكرت بعض أسس البناء الأخلاقي عند المسلم، ثم ذكرت نماذج من الأخلاق الحميدة البارزة في هذه الغزوة: كالعدل، والرحمة، والكرم، والتواضع، والوفاء، والعفو عند المقدرة.

وفي الفصل الثالث المتعلق بالدعاة: وضحت بعض المفاهيم المهمة التي يجب أن يعيها الدعاة: فالقرآن والسنة هما مصدر التلقي الذي يصدر عنه الدعاة، وأهمية وضوح الغاية من الدعوة إلى الله، وضرورة البدء بالأولويات والمهمات أثناء عرض الدعوة، وأهمية التمييز بين

التدرج في الدعوة، والتدرج في الشريعة، وأن العبرة في إعداد الدعاة بالكيف لا بالكم، وفائدة العلم بالسنن الإلهية المتعلقة بالدعاة.

كما بينت بعض القواعد المنهجية المستنبطة من إعداد النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته الدعاة من بعده: كاهتمامه بأن يكون إعداده لهم شاملا متوازنا، وتعاهده فئات معينة منهم بزيادة في الإعداد والتربية، وحسن استغلاله للطاقات والمواهب الطبيعية التي منحهم الله إياها، وتحينه الفرص الملائمة واستغلاله الأحداث في إعدادهم، والتركيز على الإعداد المعنوي للجهاد في سبيل الله، وعدم إغفال دور المرأة المسلمة في الدعوة، مع الحرص على القضاء على العقبات والمعوقات التي تعترض طريق الدعاة، ثم المعالجة النبوية الحكيمة لبعض أخطاء الصحابة رضي الله عنهم.

وذكرت بعض صفات الدعاة المؤثرة في الناس، سواء منها ما كان متعلقا بذات الداعية وتعامله مع نفسه: كقوة الإيمان بالله تعالى، والرغبة الصادقة في الدعوة إلى سبيله، والاعتدال في عقيدة الولاء والبراء بين الإفراط والتفريط، وعلو الهمة وقوة العزيمة، وحرص الداعية على طلب العلم والتفقه في دين الله، وتحليه بفضائل الأخلاق واجتنابه رذائلها، ومطابقة قوله عمله، ثم تحليه بالصفات المحمودة كالحكمة، والحيطة والحذر، والحلم، والرفق واللين.

ومنها ما هو متعلق بتعامله مع المدعوين: كحرصه على هداية الناس وإتباعهم الحق، ومعرفته للطبيعة البشرية، وخبرته بكيفية التعامل معها، وذلك لا يتأتى إلا بمخالطته للناس وعدم الانعزال عنهم، وكذلك وضوحه وتجنب الغموض والتلبيس على الناس، وأخيرا بعد النظر وحسن التنظيم والتخطيط.

وفي الفصل الرابع: وهو المتعلق بالمدعوين: فقد ذكرت أسباب صدودهم عن الحق: وأدرجتها ضمن ثلاثة أقسام:

الأول: أسباب الصدود المتعلقة بالظروف البيئية الفاسدة المحيطة بالمدعو.

ثانيا: أسباب الصدود المتعلقة بالرؤية العقلية المنحرفة وسوابق الأفكار.

الثالث: الأسباب المتعلقة بالمؤثرات في الأهواء.

ثم بينت وجه استفادة الدعاة من دراسة أسباب الصدود عند المدعوين.

كما وضحت بعض أسس مراعاة أحوال المدعوين، وأهمية ذلك، في النواحي: النفسية، والاجتماعية، والعقلية، والوجدانية، مع أهمية مراعاة قدرات المدعوين وإمكاناتهم ومواهبهم، وبينت الثمار الزكية التي نتجت من مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل مكة.

وفي الفصل الخامس والأخير: ذكرت بعض المعايير والمقومات والضوابط التي تزيد من فاعلية وسائل الدعوة وأساليبها، وملاءمتها للهدف المراد تحقيقه.

وذكرت أهم الوسائل الدعوية القولية المستنبطة من الغزوة: كالدعوة الفردية، والخطابة، والشعر، والمناداة، والكتابة.

ومن الوسائل الدعوية الحسية: الجهاد، والإصلاح البيئي.

ومن الوسائل النفسية: الهجر، والحرب النفسية، والإكراه.

كما ذكرت أهم الأساليب الدعوية التي ظهرت في غزوة الفتح: كأسلوب القدوة، والإقناع، والتخطيط، والإيحاء، والكتمان، والحوار، والتربية مع التعليم، وأخيرا أسلوب الترغيب الترهيب.

أما بشأن التوصيات، فأوصي بالأمور التالية:

١- على الدعاة إلى الله الاستفادة من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وسيرة صحابته الكرام، في كل مناحي الدعوة وأمورها، فهي السراج المنير الذي يستضيء به من أراد سلوك طريق الدعوة، كما أن من أنفع وسائل التذكير، تنبيه المدعوين إلى ماضي أسلافهم الصالحين، الذين رفعوا لواء الجهاد، ونشروا الإسلام، وكانوا خير قدوة لمن رآهم وتابعهم عليه، مع الحرص على توسيع دائرة دراسة السيرة النبوية دراسة دعوية، وجمع ما سبقت دراسته منها وإكمال ما تبقى، ثم إخراجها وعرضها للدعاة بأسلوب ملائم لتعم الفائدة.

٢- تجاوز مرحلة الدراسة النظرية، وعدم الاكتفاء بها في مجال السيرة، وذلك بمحاولة إيجاد صيغ تطبيقية عملية معاصرة، تُستقرأ من خلالها، خاصة في مجال إعداد الدعاة، كأن تتولى الهيئات الإسلامية المختصة بتخريجهم (ككلية الدعوة وغيرها)، تبني مشاريع تدريبية عملية جماعية، يطبق فيها الدعاة ما درسوه من مناهج وأساليب ووسائل دعوية.

٣- العناية بالإعداد المتكامل للدعاة، خاصة الجانب الإيماني، فكثير من الناس يتصور أن قوة التسلح هو السبيل للفوز والانتصار على الأعداء، ويغفل جانب العقيدة والإيمان،

رغم أنها تمثل الركن الأقوى في بناء المسلم المجاهد، وقد ظهرت عناية لنبي صلى الله عليه وسلم بإعداد صحابته من خلال البحث.

والاهتمام بالجانب الفكري والثقافي عند الدعاة، والعمل على رفع مستواه، مع مراعاة تطور الزمان، والابتعاد عما يسبب الجمود في التفكير، وذلك بإعداد الدراسات الشرعية الملائمة، التي تتناول كل ما يحتاج إليه الداعية في دعوته.

٤- العمل على تطوير وتجديد وسائل الدعوة وأساليبها، وفق إطار الشرع، ومن ذلك الاستفادة من التقدم التقني في الدعوة إلى الله، وأذكر مثلا: استخدام الحاسب الآلي، كذلك الشبكة الدولية للاتصالات(الإنترنت)، عن طريق البريد الإلكتروني، وتدريب الدعاة المؤهلين لذلك.

هذا وأسال الله العلي القدير أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يرزقنا القبول والإخلاص في القول والعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ثم الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس

٢- فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث[1]

الصفحة

- أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا، ولا تسرقن..... ٣٧٥
- أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم..... ٢٩٢
- أبغض الناس إلى الله ثلاثة..... ٢٣٨
- أبو سفيان بن الحارث خير أهل بيتي..... ٢١٩
- احبس أبا سفيان عند خَطْم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين.....١١٧، ٣٩١، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٣٦
- أحسنتم وأجملتم، كذلك فافعلوا ١٧١
- أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة..... ٨٦
- أدركه فخذ الراية منه، فكن أنت الذي تدخل بها..... ١١٨
- إذا أسلم العبد فحسن إسلامه، يكفر الله عنه كل سيئة..... ٢٢٤
- إذا تبايعتم بالعِينَة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد..... ٧٧
- إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن..... ٥٩٦
- أذن مؤذنه، فقال معاوية كما قال المؤذن، حتى إذا قال : حي على الفلاح..... ٥٩٦
- أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي ٥٨٦
- ارجع، فقل: السلام عليكم..... ٥٣٦، ٣٧٠
- استخلف معاذ بن جبل رضي الله عنه على أهل مكة..... ١٧٢
- أسلمت على ما سلف لك من خير ٥٢١
- أشيروا أيها الناس علي، أترون أن أميل إلى عيالهم ٣٠، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٦،٤٥، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٦١، ٩٩
- أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يحجون، ثم يرجعون ٣٨٢
- أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية ٥٤٠
- أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية ..... ١٨٢، ٣١٤
- أعطيكم ما هو خير لكم منها، السقاية، ترزؤكم ولا ترزءونها ٣٨٥
- أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة تسعة عشر يوما..... ١٥٠، ٢٤٨، ٢٥٣
- اغزوا على اسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا.....٨٣، ٦٠٦
- إقامة حد من حدود الله، خير من مطر أربعين ليلة في بلاد الله عز وجل..... ٣٢٠
- اقتله..... ١٣١
- أقيموا حدود الله في القريب والبعيد. لا تأخذكم في الله لومة لائم..... ١٦٠
- ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا في الجنة خيرا منها..... ٣٨٣
- أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده..... ٣٢٩
- أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم..... ٥٣٣
- أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمتعة عام الفتح ٢٥٠
- أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..... ٣٣٤، ٦٢٣
- أما أنت يا أبا سفيان، فما لله ورسوله غضبت، ولكنك حميت للأصل..... ٤٧١

[1] فهرسة الأحاديث جرت على النحو التالي: إن تضمن الحديث قولا للنبي صلى الله عليه وسلم، فبه تكون الفهرسة، وإلا كان ذلك بأول ألفاظ الحديث الواردة في البحث، كما جمعت أجزاء الحديث المتفرقة في البحث تحت حديث واحد، حتى لو اختلفت الروايات.

- أما بعد فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم١٦٠، ١٩٥، ٥٥١، ٥٨٩، ٦٥١، ٦٥٤، ٦٧٩
- أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقا..... ٦٦٥
- أنا محمد بن عبد الله، وأنا عبد الله ورسوله..... ٢٩٤
- الأنبياء أخوة لعَلاَّتٍ أمهاتهم شتى ودينهم واحد..... ١٩١
- أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر..... ٢٠٦
- أنت طردتني كل مطرد..... ١١٤
- أنت اليوم أغنى قريش. فتبسم صلى الله عليه وسلم . فقال أبو سفيان: حظنا من هذه الأموال٥٤٠
- انزل أبا وهب..... ١٣٨، ١٩٧، ٥٢٥
- انصر أخاك ظالما أو مظلوما..... ٥١١
- انصرفا، نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم..... ٢٠
- إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة..... ٨٣
- إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة..... ٣٨٥
- إن وجدتم فلانا وفلانا فاحرقوهما بالنار..... ٦٠٦
- إن الأمر لله يضعه حيث يشاء..... ٤٩١
- إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه..... ٣٨٦
- إن بمكة أربعة نفر من قريش، أربأهم عن الشرك..... ٤٣٤
- أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين. فأعطاه إياه..... ٣١٣، ٢١٠، ٥٣٩
- أن رجلا قام يوم الفتح، فقال: يا رسول الله، إني نذرت..... ٢٤٨
- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة..... ١٣٤، ٢٥٨، ٤٢٤
- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار..... ٢٦٧
- إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب..... ١٥٨
- إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام..... ٤٥٣
- إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة..... ٦٠٥
- إن قريشا حديث عهد بجاهلية ومصيبة، وإني أردت أن أجبرهم..... ١٨١، ٥٤٠
- إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة..... ٣٨٤
- إنكم قادمون على إخوانكم فاصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم..... ٣٥٩
- إنكم قد دنوتم من عدوكم، والفطر أقوى لكم..... ٢٥٥، ٦٣١
- إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم..... ٦٩
- إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه..... ٤٢١
- إن الله جميل يحب الجمال..... ٣٥٨
- إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف..... ٥١١
- إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة..... ٦٠٧
- إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها..... ١٤
- إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام..... ٢٧٣، ٥٤٧، ٦١١
- إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم..... ٥٩١
- إنما أُنزل أول ما نزل منه- أي القرآن- سورة من المفصل..... ٣٤٠
- إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق..... ٢٩٤، ٥٢٠
- إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خَدْعة..... ٦٥٧
- إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس.... ١٤٤، ١٤٥، ١٦٦، ٢٣٨، ٢٥٠، ٢٤٦، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٥٦، ٣٦٥، ٤١٥
- إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقا..... ٣٠٠
- إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا..... ٣٠٠
- إن من كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل فيهم العامل الخطيئة..... ٦١٨
- أن النبي صلى الله عليه وسلم افتتح الصلاة يوم الفتح في الفجر..... ٢٥٣، ٦٦٨

- أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الناس في سفره عام الفتح بالفطر ٢٤٨
- أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في رمضان من المدينة ..... ١١٠، ٢٥٤
- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو على بعض المشركين، فيقنت ويدعو ٥٥٢
- إن نبي الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي ٥٨
- أنه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها ٧٣
- إن هذا الأمر في قريش ما داموا إذا استرحموا رحموا ٦٥٢
- إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطَّلع على من شهد بدراً ١٠٩، ٥٢٢، ٢٨٩، ٣٨٩، ٥٢٦، ٦٦١
- أنه يوم فتح مكة اغتسل في بيتها، ثم صلى ثماني ركعات ..... ٢٠٢، ٢٥٩، ٣٥٨، ٦٣٢
- إني دخلت الكعبة، وودت أني لم أكن فعلت ..... ٢٥٩، ٦٣١
- إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم ٣٥٩
- إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار ..... ٥٤١، ٦٧٧
- أوثق عرى الإيمان: الموالاة والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله ٢١٣
- أولئك العصاة. أولئك العصاة ..... ٢٤٨، ٣١٣، ٦٨٠، ٦٣٢
- أي عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله ..... ٢٧، ٤٦١، ٤٦٢
- أين أيها الناس ١٨٠
- بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين، بعثهم يوم النحر، يؤذنون بمنى ٣٤١
- بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ٤٣٤
- بلغوا عني ولو آية ٥٨٤
- بل قيدها وتوكل ٢٣٤
- تبايعنني على ألا تشركن بالله شيئا ..... ٥٠٨، ٦٦١
- تَسمعون ويُسمع منكم، ويُسمع ممن يسمع منكم ٣٢٣
- تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحا ٥٤
- تفقهوا قبل أن تسودوا ٣٣١
- تقول الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ترفع بها صوتك ٥٩٦
- جلس إلي عمر مجلسك هذا، فقال: هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء ٥٣١
- جهزينا واخفي أمرك ٣٧٥
- حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ..... ٥٣٣، ٦٥٣
- حديث هرقل مع أبي سفيان رضي الله عنه ..... ٢٣٢، ٤٤٣، ٤٧٦، ٤٧٩، ٤٨٢، ٤٩٤
- خبأت لك هذا ، خبأت لك هذا ..... ٥٣٦، ٦٧٧
- خذوا الصبيان فاحملوهم، وأعطوني ابن جعفر ٨٨
- خذي من ماله بالمعروف، ما يكفيك ويكفي بنيك ..... ٢٧٨، ٦٦٣
- خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم ٦٢٦
- دخل مكة وعليه عمامة سوداء ١٢٦
- دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نُصُباً، ..... ١٢٧، ٦٧٢
- رأس الأمر الجهاد، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد ٦٠٣
- سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ١٧٩، ٢٣٩، ٤٨٠، ٥٤٨، ٥٧٨، ٦٨٢
- سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فصام حتى بلغ عُسْفان، ثم دعا بإناء ١١١
- سددوا وقاربوا، واعلموا أن لن يُدخل أحدكم عملُه الجنة ٤٤٥
- عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل ..... ١٦٣، ٥١١
- عُرضت علي الأمم فرأيت النبي معه الرُهيط ٣٤٦
- عمال النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصدقون الناس على مياههم ٢٧٢
-عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ٩
- غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود ٣٥٩

- غيروا هذا الشيء واجتنبوا السواد ٣٥٩
- فإذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم ٢٨٧
- فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ٧٤
- فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها ..... ١٤٨، ٣٦٦، ٦٤٧
- فجئته، فلما سلمت عليه ، تبسَّم تبسُّم المغضب ٦٥٤
- فرآه أبو جهل وقال له: تطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه، ١٩
- فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن ٦٦٧
- فهلا قبل أن تأتيني به ..... ٣١٩، ٥١٣
- قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط ..... ١٢٧، ١٩٣
- قاضاهم على أن يعتمر العام المقبل، ولا يحمل سلاحا عليهم ٥٥
- قال له قائل : أصبوت؟ قال: لا ولكني أسلمت مع رسول الله ٣٣
- قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ ..... ١٣٩، ٥٢٤
- قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ٦٣٧
- قد مسح وجهه عام الفتح ٣١٢
- قُتل مصعب بن عمير وكان خيرا مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه ٣٥٢
- قصرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشقص ٥٦٢
- كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة ١٠٢
- كأني انظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه .. ٤٢٨
- كان أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٠
- كان إذا خطب، احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول ... ٥٨٧
- كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا ٥٨٧
- كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا حيَّا ابن جعفر رضي الله عنهما قال: السلام عليك ٩٣
- كانت العرب تَلوَّم بإسلامهم الفتح فيقولون : اتركوه وقومه ..... ١٦٥، ٢٥٦، ٣٣٨، ٣٦٣، ٥٥٤
- كان الرجل إذا أسلم علمه النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات ٦٦٧
-كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان ٥٩٤
-كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما ٥٩٠
-كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى، وإلى رسوله، مخافة أن يفتن ١٢
-كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : .. ٥٣٧
- كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى قوماً بليل، لم يُغِر بهم حتى يصبح ٧٠
- كان النبي صلى الله عليه وسلم يحُرس، حتى نزلت هذه الآية ١٦
- الكبر بطر الحق وغمط الناس ٤٩٢
- كذب سعد ولكن هذا يوم يُعظم الله فيه الكعبة ويوم تُكسَى فيه الكعبة ..... ١١٨، ٣٩١
-كم سنوك ٥٣٨
- كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام ٢٧٤
- كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان، فمنا الصائم ومنا المفطر ٢٥٥
- كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء، فقلنا ألا نستخصي ٢٦٨
- الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز ٤٨٦
- الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم ..... ٢٣، ٣٨
- لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع إلا مسلماً ٧٩
- لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ..... ٧١، ٤٣٢
- لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، ٢٣
- لا إله إلا الله وحده نصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثرة ١٢٨، ١٤١، ١٤٢، ١٦٩، ١٩٤، ١٩٥، ١٧
- لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدا لو أنفق مثل أحد ذهبا ..... ١٧٦، ٣٤٤

- لا تعلموني به قد كان صاحبي في الجاهلية ٢٩٣
- لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة..... ١٣٣، ١٦١
- لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ٧٧
- لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها..... ١٧٥
- لا حاجة لي فيهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، أما ابن عمتي وصهري..... ١١٣
- لا حليم إلا ذو عثرة ، ولا حكيم إلا ذو تجربة..... ٤٣٨، ٥٦٩
- لا نبرح حتى ننـاجز القوم..... ٤٦
- لا نصرت إن لم أنصر بني كعب مما أنصر منه نفسي..... ١٠١، ١٠٥، ٣٨٠
- لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا١٧٣، ١٧٤، ٢٠١، ٣١٧، ٣٧٢، ٤٠٠
- لا هجرة اليوم، كان المؤمن يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى الرسول..... ١٧٣
- اللهم آت محمدا الوسيلة ٥٨٢
- اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به..... ٥٤٩
- اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحرث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية..... ٥٥٢
- اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم..... ١٧٤، ٣٨١
- اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم كذّبوا رسولك ٣٢
- اللهم، إني أبرأ إليك مما صنع خالد..... ١٥٠، ٤٠٨
- للهم إني أعوذ بك من العجز والكسل..... ٤١٠
- اللهم أهد ثقيفا وائت بهم ١٨١
- اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش، حتى نبغتها في بلادها..... ١٠٦، ٤٠٢
- اللهم رب السماوات وما أظلَلْن، ورب الأرَضين وما أقلَلْن..... ٧٠
- اللهم زده ثباتا..... ٥٢٨
- اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقهِ العذاب..... ٥٤٩
- لا يأتيني إلا أنصاري..... ١٢٤، ١٢٥، ٣١٦، ٣٥٧، ٤٣٧، ٥٢٣، ٦٦٢، ٦٧٢، ٦٧٧، ٦٨١
- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه..... ٤٣٢
- لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، ٦١٧
- لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ٤٩٣
- لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل..... ٧٨

- لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، ما يضرهم من كذبهم، ولا من خالفهم..... ٢٠١
- لا يشكرُ الله من لا يشكر الناس..... ٥٢٢
- لا يُقتل قرشي صبراً بعد هذا اليوم، إلى يوم القيامة..... ١٣٣، ١٦٤، ٦٥٢
- لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين..... ٤٢٧
- لست بدار مكث ولا إقامة..... ٣٨٢
- لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً ٥٣
- لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ٨٦
- لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ..... ١٨
- للمهاجر إقامة ثلاث بعد الصدور بمكة..... ٣٨١
- لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال..... ١٢٤
- لما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح طاف على بعيره يستلم الركن٤١٤، ٦٣٢
- لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر..... ٧٦
- لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، جعل أهل مكة يأتون بصبيانهم..... ٣١٢، ٥٢٨
- لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح، نعيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه..... ٦٥٠
- لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله عز وجل..... ٦٥١

-لولا حداثة قومك بالكفر، لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم ..... ٢٨٥، ٥٢٩، ٥٣٠
- لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ..... ٥٢٣، ٢٢٣
- لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ٥٩٥
- ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة ١٥
- ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه ٣١٣
- ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى ٨٨
- المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة ٥٩٥
- المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ٤٠٩
- المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ٢٢١
- ما أدري بأيهما أنا أفرح، بفتح خيبر أو بقدوم جعفر ٧٣
- ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة ٦٥٣
- ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ..... ٦٤٥، ٦٦٩
- ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب ٣٧٢
- ما تقولون إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ..... ١٨٦، ٦٥٠
- ما خير بين أمرين إلا أختار أيسرهما ما لم يكن إثما ٢٤٧
- ما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه(إذا جاء نصر الله ..١٨٦، ٤٢٣، ٦٤٩
- ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده، لا امرأة، ولا خادما ٥١٧
- ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين ..... ٤٤٢، ٦١٣، ٦٣١، ٦٥٢
- ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ٢٩٦
- ما يسرنا أنهم عندنا ٩٢
- مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، من حيث أتتها الريح كفأتها ٣٥١
- مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير ..... ٤١٣، ٥٠٧
- مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله ١٩٢
- مثلي ومثلكم كما قال يوسف لأخوته: ١٩٣
- مَثلي ومَثلكم، كمثل رجل أوقد نارا، فجعل الجَنادب والفَراش يقعن فيها ٤٣٣
- المسلم إذا كان مخالطا الناس ويصبر على أذاهم ..... ٤٣٨، ٥١٠
- المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله ٢٢١
- مضت الهجرة لأهلها، أبايعه على الإسلام والجهاد ..... ١٣٦، ١٧٤، ٢٢٣، ٣٣٨
- المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ٦١٦
- المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض ١٧٧
- من أحب أن يفطر فليفطر، ومن أحب أن يصوم فليصم ٥٥٤
- من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام ٥٥١
- من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله ١٧٢
- من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ..... ١١٦، ٤٣٧، ٥٢٤، ٥٢٨
- من دل على خير فله مثل أجر فاعله ٤٣٢
- من رأى منكرا فغيره بيده فقد برئ، ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برئ ... ٢٨٧
- من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ٢٨٥
- من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها حُرمها في الآخرة ٢٧٤
- من علم الرمي ثم تركه، فليس منا، أو قد عصى ٣٨٠
- من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهدا ولا يشدنه، حتى يمضي أمده ٦٠٥
- من لقي سهيل بن عمرو، فلا يشد النظر إليه ..... ٤٣٧، ٥٤٩، ٦٥١
- من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ٣٣١
- نصبر ولا نعاقب ..... ١٢٨، ٤٢٤، ٣٠٩، ٦٠٨

- نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها عني، فرب حامل فقه غير فقيه..... ٤١٥
- نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل..... ٦٥٠
- نعم هذا الذي سمعت صوته، اذهب فأذن لأهل مكة..... ٣٦٥، ٣٦٧، ٦٦٨
- الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم لمسلمهم،..... ٤٥٩
- الناس كالإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة..... ٣٦٣
- الناس معادن، كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ... ٢٩٧، ٥٥٨
- هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم..... ١٩٠
- هذا خير مما أردت يوم حنين..... ٤٨٤
- هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله..... ٣٤٨
- هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء..... ١٣٥، ١٧٠، ٣٠٧، ٣١٦، ٣٦٣، ٤٢٤، ٦٣٣
- هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه..... ٣١٢، ١٣٩، ٥٢٢
- هو لك، هو أخوك يا عبد بن زمعة..... ٢٧٠
- هون عليك، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد..... ٣١٥، ٥٤٩، ٦٤٠
- وأجمعوا الغدر، فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً..... ٢١
- وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل..... ٥٤٧
- والله، إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلي..... ٣٨٢
- والله، ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمات الله..... ٥١٧
- وأما المهلكات، فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه..... ٤٨٦
- وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم..... ٣٣٢، ٣٥٠
- وأيضا والذي نفسي بيده..... ٢١٠، ٥٠٠
- وذهب كل شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهية..... ٥٤١
- وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي صلى الله عليه وسلم..... ٦٠٨
-وكان إذا استبشر استنار وجهه كأنه قطعة من القمر..... ٦٥٤
- ولذلك قدمت، هل كان من حدث قبلكم..... ١٠٢
- وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله..... ٣١٤
- وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا..... ٣١٨
- وهل ترك لنا عقيل من منزل..... ١٢١، ٢٢٠، ٤٣٦، ٦٣٣، ٦٦٣
- ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله..... ٦٦١، ٢٠٧، ٤٦٥
- يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا مهاجرا، فلا تسبوا أباه، فإن سب٢١١، ٢١٩، ٥٢٧، ٥٤٧، ٥٥٠
- يا أبا أمية، أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غدا..... ٥٤٣
- يا أيها الناس كل حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة١٤٣، ١٩٥، ١٩٦، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٢، ٣١٠، ٣٨٧، ٤٢٣، ٤٧٢، ٥٢٤، ٥٥٧، ٥٨٩، ٦٠٦، ٦١٢، ٦٧٣
- ياأيها الناس، إن الله تعالى يعرض بالخمر، ولعل الله سينزل فيها أمرا..... ٢٧٤
- يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله حرم ذلك..... ٢٦٩
- يا حكيم، إن هذا المال خَضِرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس..... ٣٠٦، ٥٢٨، ٦١٢، ٦٧٣
- ياسائب، انظر أخلاقك التي كنت تصنعها في الجاهلية..... ٣٥٨، ٦١٣
- يا سائب، قد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تتقبل منك..... ٥٢١
- يا عائشة، أعهدتني فحاشا، إن شر الناس من يُتقى شره..... ٥١٥
- يا عباس، أين ابنا أخيك عتبة ومعتب لأراهما..... ٥٣٤
- يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها..... ٣٨٦، ٥٢٨
- يا معشر خزاعة، ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر أن يقع..... ١٤٦، ٢٦٣، ٣١١، ٥٢٦، ٥٨٩
- يا معشر قريش اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا..... ٤٧٢
- يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيُلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار..... ٤٢٣

٣- فهرس الأعلام.

العلم	الصفحة	العلم	الصفحة
إبراهيم عليه السلام	١٢٧، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٤، ١٩٣، ٢٨٥، ٣٥٢، ٥٢٩، ٥٧٦	أبي بن كعب	٣٠٩، ٦٠٧.
أحمد بن حنبل	٤٨، ٥٦، ٢٣٨، ٣٠٩، ٣٥٩، ٥٢٨،٥٩٦، ٦١٨، ٦٥١، ٦٧٢.	أبو أحمد بن جحش	٣٨٣.
الأخنس بن شريق	٣١، ٤٧٠.	أرنب مولاة بن خطل	١٣٠.
أرقم بن الأرقم	٣٥٤.	أزهر بن عبد عوف	٥٦٢.
أسامة بن زيد	١٣٤، ١٦٠، ١٧١، ١٨٤، ٢١٩، ٢٥٨، ٣١٥، ٣٦٢، ٣٩٢، ٤٠٧، ٥٨٩، ٦٥١، ٦٥٣.	إسماعيل عليه السلام ابن اسحق	١٢٧، ١٦٤. ٥،٢٢ ، ٧١، ٩٩، ١٠٦، ١١٨، ١٤١، ٤٧١، ٦٠٦،
أكثم بن صيفي	٢٩٤.	أبو أمامة الباهلي	٧٧.
أمية بن خلف	١٩، ٢٣، ٤٦٣.	أنس بن مالك	٥٣، ٥٨، ٣١٣، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٦٢، ٥٩٢، ٥٩٤، ٥٩٨.
الأوزاعي	٥٩٧.	الباقلاني	٤٦٥.
البخاري	٩، ٤١، ٤٧،٤٩، ٥٢، ٦١، ٧١، ١٠٨، ١١٠، ١١٧، ١٣٠، ١٤٤، ١٤٩، ١٦٠، ١٨٦،	تابع:-البخاري	٢٣٨، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٨٩، ٣٣١، ٤٢٣، ٤٣٣، ٤٦١، ٥١٧، ٥٥١، ٥٥٢.
بجير بن زهير	٥٣٥.	البراء بن عازب	٥٤.
أبو بصير	٦١.	ابن بطال	٥١٤.
البغوي	٢٦١، ٥٣٣..	أبو بكر الجصاص	٢٥٤.
أبو بكر الصديق	١٠، ١١، ٢٥، ٢٩، ٤١، ٥١، ٧٨، ١٠٣، ١٠٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٨٤، ٣١٢، ٣٤١، ٣٤٥،	تابع-أبو بكر الصديق	٤٣٥، ٤٥٨، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٤٣، ٥٤٤، ٦٥٦، ٦٧٤.
بلال بن رباح	١١، ١٣٤، ١٣٦، ٢٠٩، ٢١١، ٢٥٨، ٣٦٢، ٤٢٤، ٤٥٨، ٥٤٠، ٥٩٤، ٥٩٥، ٦٥٩	بديل بن ورقاء	٤٢، ٤٣، ٤٤، ١٠٠، ١٠١، ١١٥، ١١٧، ٥٣٨، ٥٤٣.

بيجي روديك	٢٩٦.	الإمام الترمذي	١٤٢، ٥٥٢.
الترمذي تميم الخزاعي	١٤٢، ٥٤٩، ٥٥٢، ٦٠٥. ١٦٧.	ابن تيمية	١٩٠، ٢٣٨، ٢٥٢،٢٤٤، ٢٨٠، ٢٩٨،٢٩٢، ٣١٩، ٣٣٣، ٣٥٩، ٤١٧، ٤٥٢، ٤٨٠، ٤٩٣، ٥١٧، ٥٢٧، ٥٣٨، ٥٦٧، ٦٠٣، ٦١٧.
ثابت بن أقرم	٨٥.	ثمامة بن أثال	٣٣.
جابر بن سمرة	٥٨٦.	جابر بن عبد الله	٢٧٣، ٦٣٢، ٦٨٠.
جبلة بن الحنبل= كلدة بن الحنبل	١٨٠، ٣٧٠، ٤٧٢، ٥٠٠، ٥٣٦، ٦٦٨.	جبير بن مطعم	٤٣٤.
جعفر بن أبي طالب	٣٤، ٧٣، ٧٤، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٩٢.	أبو جعفر الطبري	٢٦٣، ٤٩٦، ٤٩٩.
أبو جندل بن سهيل بن عمرو	٥٠، ٦١.	أبو جهل	١٣، ١٤، ١٩، ٢٣، ٢٩، ٤٦١، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٩٥، ٤٩٦.
جويرية بنت أبي جهل	٢١٠.	ابن حبان= أبو حاتم البستي	٤١٨، ٥١٥.
الحارث بن طلاطل الخزاعي	١٣٠، ١٣٢.	الحارث بن عمير الأزدي	٨٢.
الحارث بن هشام	١٣٦، ٢٩٧، ٥٢٧، ٥٣٨، ٥٥٢، ٥٦٠، ٥٦١.	حاطب بن أبي بلتعة	١٠٨، ١٠٩، ٢١٦، ٢٦٤، ٢٨٩، ٣١٠، ٣١٨، ٣٦٩، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٠٦، ٤٢٠، ٥٢٢، ٥٢٥، ٥٢٩، ٥٥٠، ٦٥٦، ٦٥٨، ٦٦١، ٦٦٧.
أم حبيبة أم المؤمنين	١٠٣، ٢١٥، ٣٧٥، ٤٠٧، ٥٣٧.	الحجاج بن علاط	٧٩، ٨٠.
الحافظ ابن حجر	٧٨، ٨٧، ١١٩، ١٢٩، ٢٦٣، ٢٧٣، ٢٧٦،٤٠١، ٥٤٧، ٥٩٧، ٦٤٩.	حذيفة بن اليمان الإمام ابن حزم	١٩ ٤٢١، ٤٦٣.
حسان بن ثابت	٥٣٤،٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢.	الحسن بن علي	١٠٣.
الحسن البصري	٤١٣.	حسيل بن جابر(اليمان)	٢٠.
أم حكيم بنت الحارث	١٣١، ٣٥٧، ٣٧٦، ٣٧٨، ٥٤٧.	حكيم بن حزام	٣١، ١١٥، ١١٧، ٢٠٨، ٢٩٧، ٣٠٦، ٤٣٤، ٥٢٠، ٥٢٨، ٦١٢، ٦٧٣، ٦٧٤.

الحليس بن علقمة	٣٠، ٤٥.	حماس بن قيس	١٢٣، ٦٢٠.
حمزة بن عبد المطلب	٢٩، ١٢٨، ١٣٣، ٤٥٨، ٦٠٧.	الحويرث بن نقيذ	١٢٩، ١٣١.
حويطب بن عبد العزى	٢٠٨، ٤٦١، ٤٦٢، ٥٥٩، ٥٦٢.	خالد بن الوليد	٢٨، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٥٧، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤، ١٧٤، ١٤٩، ١٥٠، ٢٠١، ٢٦٠، ٣٤٤، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٨١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٤٠٨، ٥٢٩، ٥٤٢، ٥٥٧، ٦٤٧، ٥٦٠..
خباب بن الأرت	٣٤٨.		
خراش الخزاعي	٤٥.	الخطابي	٤٢٧، ٤٤٢، ٦٣٢.
الخطيب البغدادي	٥٩٧.	خنيس بن خالد	١٢٣.
ابن الدغنة	٢٥، ٢٩.	دحية الكلبي	٦٦.
أبو ذر الغفاري	٢٩٤.	رافع الخزاعي	١٠٠.
أبو رافع	٦٧.	ابن رجب	٤٠١، ٤٨٦.
أبو رهم كلثوم الغفاري	١١١.	الزبير بن العوام	١٠٨، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٤، ٣٦٣، ٦٦٢.
أبو الزناد	٦٠٠.	الزهري= بن شهاب	١٣، ٥٥، ٥٦، ٦٠٠.
زيد بن حارثة	٦٥، ٦٦، ٨٣، ٨٥، ٨٦.	زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم	١٣٢، ٦٠٦.
السائب المخزومي	٢٩٣، ٣٥٨، ٥٢١، ٦١١، ٦١٢.	سارة مولاة بني المطلب	١٣٠، ١٣٢.
سبرة الجهني	٢٦٨.	أم سعد	١٣٠.
سعد بن خولة	٣٨٢.	سعد بن زيد الأشهلي	١٨٤.
سعد بن عبادة	١١٨، ١٦٢، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٩٠، ٣٩١، ٤٣١، ٦٢٠، ٦٤٦، ٦٥٧،	سعد القرظ	٥٩٤.
سعد بن معاذ	١٩، ٣٢، ٦٥٧.	سعد بن أبي وقاص	١٥، ٢٧٠، ٦٧٧.
سعيد بن جبير	٤٠٢.	أبو سعيد الخدري	٢٥٥، ٢٧٤، ٥٩٦.

سعيد بن المسيب	٣٨٩.	سعيد بن يربوع	٥٦٢.
أبو سفيان بن حرب	٢٢، ٢٣، ٤٦، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٦٢، ١٨٠، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٥، ٢١٨، ٢٧٨، ٢٩٧، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٩٠، ٣٩١، ٤٠٧، ٤٣٦، ٤٤٢،	تابع: أبو سفيان بن حرب	٤٤٣، ٤٤٤، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٢، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥٠٠، ٥٢٤، ٥٢٨، ٥٤٠، ٥٥٢، ٥٥٩، ٥٨٤، ٦٢٠، ٦٢٤، ٦٢٦، ٦٤٢، ٦٤٦، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٧٣، ٦٧٨، ٦٨٣.
أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب	١١٢، ١١٤، ٢١٨، ٢١٩، ٣٠٤، ٣٦٢، ٤٦٩، ٥١٢، ٥٣٤، ٥٩١، ٦١٦، ٦١٩.	سلام بن الحقيق سلام بن مشكم	٦٧, ٢٢.
أم سلمة أم المؤمنين سمية بيت خياط	٣٠، ٥٢، ١١٣. ١١.	سهيل بن عمرو	٤٧،٤٩،٥٤،٦١،١٢٣،١٨٠،٢٩٧ ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٦١، ٥٢٤، ٥٤٩، ٥٥٩، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٩٠، ٦٥١.
سودة أم المؤمنين	٢٧٠.	السيوطي	٢٥١.
الشاطبي	٢٥١، ٢٨٣، ٤٢٢، ٥٥٤، ٥٥٥، ٦٣٠.	الشافعي	٣٥٢.
أبو شاه	٣٥٦، ٤١٥، ٥٠٨، ٥٨٧، ٥٩٧.	شيبة بن عثمان بن أبي طلحة	١٨٠، ٥١٦، ٥٣١.
شرحبيل بن عمرو الغساني	٨٢.	صالح عليه السلام	٤٨٠.
صفوان بن أمية	١٢٣، ١٣٨، ١٨١، ١٩٧، ٢١٩، ٣١٩، ٣٥٧، ٣٧٠، ٤٢٠، ٤٣٤، ٤٦٣، ٤٧٢، ٥١٣، ٥١٦، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٣٦، ٥٤٣، ٦٦٨، ٦٧٣،٦٧٨.	صفية بنت حيي أم المؤمنين	٧٣.
صفية بنت شيبة	٤١٤، ٦٣٢.	صفية بنت عبد المطلب	٤٧٢.
صهيب الرومي	١١.	ضماد بن ثعلبة	٧.
الضحاك	٥٩٨.	طالب بن أبي طالب	٣١.
أبو طالب بن عبد	٩، ١١، ١٣، ٢٦، ٤٦١، ٥٢٧.	الطفيل بن عمرو	٧.

المطلب		الدوسي	
عائشة بنت أبي بكر	١٢، ١٥، ٧٦، ١٠٦، ١٧٣، ١٨٦، ٢٥٩، ٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٣٩، ٣٧٥، ٤٢٣، ٥١٥، ٥١٧، ٥٢٩، ٥٣٢، ٥٥١، ٥٩٠، ٦٠٦، ٦٣١، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٦.	العباس بن عبد المطلب	٢٤، ٨٠، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١٧١، ٢٠٨، ٢١٧، ٢٧٥، ٣٥٧، ٣٨٤، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٣٤، ٤٤٢، ٤٧٢، ٥٢٧، ٥٣٤، ٥٨٧، ٦٢٠، ٦٤٢، ٦٥٨.
عامر بن الأكوع	٦٩.	عائشة بنت قدامة بن مظعون	٣٧٤.
عبد الله بن أبي	١٨.	عبد الله بن أبي أمية	١١٣، ١١٤، ٢١٨، ٣٠٤، ٤٦١، ٤٦٩، ٥١٢، ٦١٦، ٦١٩.
عبد الله بن ثعلبة بن صعير	٣١٢.	عبد الله بن جعفر	٨٨، ٩٣.
عبد الله بن أبي ربيعة	١٦،.	عبد الله بن رواحه	٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩٣، ٣٦٢، ٥٩٠.
عبد الله بن السائب	٦٦٨.	عبد الله بن سعد بن أبي سرح	١٢٩، ١٣١، ٤٤٢، ٥٢٤، ٥٥٣، ٥٥٩، ٦١٦، ٦٣١، ٦٥٢.
عبد الله بن عباس	١١٠، ١٥٠، ١٨٦، ٢٤٧، ٢٥٣، ٣٣١، ٣٦٧، ٤١٦، ٤٨٥، ٥٩٨، ٦٠٣، ٦٤٩، ٦٥٠	عبد الله بن عمر	٨٣، ٩٣، ١٤٩، ٢٥٨، ٢٦٧، ٣٩٣، ٤٠٨، ٤٢٤، ٥٥٧، ٦٠٧، ٦٥٠.
عبد الله بن جحش	٨.	ابن عبد البر	٥١٤.
عبد الدار	١٧٠.	عبد الرحمن السعدي	١٥٥، ٢٥٠، ٤٨٧.
عبد الرحمن بن سمرة	٣٨٦، ٥٢٨، ٥٦٠.	عبد الرحمن بن عوف	٦٦، ٣٤٤، ٣٥٢، ٣٩٠، ٣٩٣، ٤٥٨.
عبد بن زمعة	٢٧٠.	عبد العزى بن خطل	١٢٩، ١٣٠، ٣٦٢، ٥١٢.
عبد العزيز بن باز	٤٠٠.	عبد الملك بن عمر	٣٤٠
عبد مناف	١٤، ١٧٠، ٤٧١، ٤٧٢.	عبد ياليل	٤٨١، ٤٨٢.

أبو عبيدة بن الجراح	٩١، ١٢٠، ١٢٤، ٣٦٣.	عتاب بن أسيد	١٣٦، ١٥٠، ١٧١، ٣٥٨، ٣٦١، ٤٣٤، ٥٤٢، ٥٦٢، ٦٧٣.
عتبة بن ربيعة	٣١، ٣٢.	عتبة بن أبي لهب	٤٣٤، ٥٣٤.
عتبة بن أبي وقاص	٢٧٠.	عثمان بن مظعون	٢٥.
عثمان بن عفان	٤٦، ١٣١، ٣٥٧، ٣٩٠، ٤٥٨، ٥٥٣، ٥٦٢، ٦٥٢.	عثمان بن طلحة	٢٨،٣٠،٥٧،١٣٤،١٧٠،٢٥٨،٣٧ ٣١٦، ٣٦٣، ٣٨٤، ٤٢٠، ٦٣٣.
ابن العربي	٢٧٩.	عروة بن مسعود الثقفي	٤٤، ٥٧، ٤٦٨.
عقبة بن أبي معيط	٩، ٤٦٣.	عقيل بن أبي طالب	١٢١،٢٢٠، ٦٦٣.
عكرمة بن أبي جهل	١٢٣، ١٢٩، ١٣١، ١٨٠، ٢١١، ٢١٩، ٢٩٧، ٣٥٧، ٣٧٦، ٤٢٠، ٤٣٤، ٥٢٤، ٥٢٧، ٥٤٣، ٥٤٧، ٥٥٠، ٥٥٢، ٥٥٩، ٥٦٠.	علي بن أبي طالب	٤٩، ٧١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٨، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٨، ٣٥٨، ٣٨٤، ٤١٣، ٥٢٧، ٥٣٣.
عمار بن ياسر	١٠، ٤٥٨.	عمر بن عبد العزيز	٣٤٠، ٣٤١.
عمر بن الخطاب	٤٥، ٥١، ٧٨، ٧٩، ١٠٣، ١٠٩، ١١٥، ١١٨، ١٣٥، ١٨٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٦٢، ٢٦٤، ٣٠٤، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٨٢، ٤١٦، ٤٢٧، ٤٥٨، ٥٢٥، ٥٣١، ٥٤٣، ٥٦١، ٦٤٩، ٦٧٤	عمرو بن العاص	١٦، ٢٨، ٥٧، ٩٠، ١٨٤، ٥٤٢، ٦٤٠.
عمرو بن أمية الضمري	٢٣٤.	عمرو بن سالم الخزاعي	١٠٠، ١٠١، ٣٨٠، ٥٩١.
عمرو بن عبسة	٦٠٥.	عمرو بن لحي	١٥٧.
عمرو بن سلمة	١٦٥، ٢٥٦، ٣٣٨، ٣٦٧، ٤١٥، ٥٥٣، ٥٥٧.	عمرو بن أم مكتوم	٣٦٢، ٥٩٤.
عمير بن وهب	١٥، ١٣٨، ١٩٧، ٣٥٧، ٤٦٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٦٦٧.	القاضي عياض	٢٨٥، ٣٤٥.
عياش بن أبي	١٧.	أبو حامد الغزالي	٢٨١، ٣٩٦.

ربيعة			
محمد الغزالي	٣٤٩.	فاطمة بنت عتبة	٢٩٧.
فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم	١٠٣، ١٣١، ١٣٨، ١٦٠، ٣٥٨، ٤٧٢، ٥٨٩.	فضالة بن عمير	١٣٧، ٢٠٩، ٤٢٨، ٥١٦، ٥٨٤، ٦١١.
عيسى عليه السلام	٣٥٢.	الفضيل بن عياض	٣١٤، ٤١٩.
أبو القاسم السهيلي	٥٢٦.	أبو قتادة الأنصاري	٩١، ١٠٧.
أبو قحافة	١٣٩، ٣١٢، ٣٥٩، ٤٣٥، ٥٢٢.	ابن قدامة المقدسي	٦٧٦.
القرطبي	٦٨، ١٦٤، ٣٢٣، ٣٤٢.	قصي بن كلاب	١٦٩.
قيس بن سعد بن عبادة	١١٩، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٩١.	قيصر	٤٤، ٥٧، ٥٨، ٦٦.
ابن قيم الجوزية	٦١، ٢٣٥، ٢٤٣، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩١، ٣٣٢، ٣٤٣، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٢، ٤٥٧، ٤٨٥، ٤٩٠، ٤٩٧، ٥٤١، ٥٤٥، ٥٧٨، ٦٢٠.	الحافظ ابن كثير كسرى	٦٠، ٩٩، ١٨٣، ١٩٨، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٩٧، ٦٥٥. ٤٤، ٥٧، ٥٨.
كعب بن زهير	١٣٠، ١٣٢، ٣٦٢، ٥٣٥.	كعب بن عمير	٨١.
كعب بن مالك	٥٩٠، ٦٥٤.	كرز بن جابر	١٢٣.
أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم	١٣١.	أبو لهب	٦، ٢٣، ٥٢٧.
مالك بن عوف النصري	١٧٨.	الماوردي	٢٨٠، ٤٢٠، ٥٦٩.
ابن المبارك	٥٩٩،٤١٧.	مجاشع السلمي	١٣٦، ١٧٤، ٢٢٣، ٤٣٥.
مجالد =أبو معبد	١٣٦، ٤٣٥.	مجاهد بن جبر	٥٩.
أبو محذورة	٣٦٥، ٣٦٧، ٤١٥، ٥٤١، ٥٩٤، ٥٩٥، ٦٦٨.	محمد بن صالح العثيمين	٣٧٠.
مخرمة بن نوفل	٥١٥، ٥٣٦، ٥٦٢، ٦٧٧.	مروان بن الحكم	٤٦٢.

ابن مسعود	١٠، ٢٦٨، ٤٢٨، ٤٧٥، ٦٥٣.	مسلم	١٩،٤٧،٤٨،٤٩،٥١،٧٣،١١٠، ١٢٤، ١٢٧، ١٤٤، ٣١٣، ٤٠٩، ٤٦٢، ٥٣٠، ٥٤٠، ٥٨٧، ٦٦٧
المسور بن مخرمة	٥٣٥، ٦٧٧.		
مصعب بن عمير	٣٥٢، ٦٦٧.	المطعم بن عدي	٢٥.
معاذ بن جبل	١٧٢، ٤١٤، ٥٤٧.	معاوية بن أبي سفيان	٣٣١، ٤٨٢، ٥٣٧، ٥٤٠، ٥٤٩، ٥٦١، ٥٩٦، ٦٠٥، ٦٥٢.
معبد بن خالد الجهني	٣٦١.	معتب بن أبي لهب	٥٣٤.
معقل بن سنان	٣٦١.	المقداد بن عمرو	١١، ١٠٨.
موسى عليه السلام	١٧٩، ٤٨٠، ٤٥٨، ٥٤٨، ٦٦٨، ٦٨٢.	أبو موسى الأشعري	٧٤.
موسى بن عقبة	١٣.	مقيس بن صبابة	١٢٩، ١٣٢.
النجاشي	١٦، ١٧، ٣٤، ٥٧، ٥٨.	ابن النحاس	٢٨٦.
النضير بن الحرث	٤٨٣، ٤٨٤، ٥٢٧.	نعيم بن مسعود	٦٥٧.
نوفل بن معاوية الديلي	١٠٠، ٢٠٨، ٥٤٤.	النووي	٢٠، ٢١٠، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٦٧، ٤١٠، ٤٥٩، ٦٧٣.
نوح عليه السلام	٤٨٠.	هرقل	٢٣٢، ٤٤٣، ٤٧٥، ٤٧٩، ٤٨٢، ٤٩٠، ٤٩٤.
هبار بن الأسود	١٢٩، ١٣٢، ٥١٧، ٦٠٦.	هبيرة المخزومي	٣٧٦.
أبو هريرة	١٢٤، ١٤٤، ٣٤١، ٥٩٧، ٦٠٦، ٦٢٥.	ابن هشام	٥٦، ١١٨.
أم هانئ بنت أبي طالب	١٣٨، ٢٠٢، ٢٥٣، ٢٥٩، ٣٥٨، ٣٧٦، ٤١٤، ٤٢٣، ٥٢٤، ٥٣٣، ٥٣٨، ٦٠٦، ٦٣٢، ٦٦٨.	هند بنت عتبة	١٣٠، ١٣٣، ١٣٥، ١٥٠، ٢١٠، ٢٧٨، ٢٩٨، ٣٧٧، ٤٨٢، ٤٨٣، ٥٠٠، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٧، ٦٦١، ٦٦٣.
هوذة بن علي الحنفي	٤٩١.	وحشي بن حرب	١٣٠، ١٣٣، ٥١٧.
الوليد بن عقبة	٣١٢.	الوليد بن المغيرة	٢٥، ٤٦٨.
يزيد بن سعيد	٥٤٣.	يزيد بن أبي سفيان	٥٤٠، ٥٤٤، ٥٥٩، ٥٦٠، ٦٨٣.
اليسير بن رزام	٦٧.	يعلى بن أمية	١٧٤.

٤- فهرس الأماكن

المكان	الصفحة	المكان	الصفحة
١-أبو قبيس	١٣٩,	٢-بطن أضم	١٠٧.
٣-بطن نمرة	١٦٧,	٤-البلقاء	٨١، ١٨٤.
٥-بيوت غفار	١٦٧,	٦-بصرى	٨٢.
٧-التنعيم	١٦٧,	٨-ثنية البيضاء	٨٠.
٩-ثنية العقاب	١١٢,	١٠-ثنية خل الصفاح	١٦٩.
١١-جدة	١٦٧,	١٢-الجحفة	١١٢.
١٣-الحبشة	١٦,	١٤-الحديبية	٣٠، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٥٣، ٥٦، ٥٩، ٦٦، ١٨٥، ٣١٦، ٣٨٠ .
١٥-الحزورة	٣٨٢,	١٦- حسمي	٦٦.
١٧-حنين	١١٤، ١٣٨، ١٥٤، ١٦٥، ١٧١، ١٧٢، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠	تابع: حنين	٣٦٧، ٣٦٨، ٣٨٤، ٥٤٠ ٥٩٥، ٦٥١، ٦٧٣، ٦٧٧، ٦٨٣.
١٨-الخندمة	١٢٣,	١٩-خيبر	٦٣، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠،٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٧٨.
٢٠-الخيف	١٢١، ٤٣٦,	٢١-دومة الجندل	٦٥، ٦٦.
٢٢-ذات أطلاح	٨١,	٢٣- ذات السلاسل	٩٠.
٢٤-الرجيع	٦٩,	٢٥-روضة خاخ	١٠٨.
٢٦-السقيا	١٠٧,	٢٧-سواع	١٤٨.
٢٨-الطائف	٢٥، ١١٤، ١٣٣، ١٦٧، ٤٨١، ٥٣٥، ٥٤٤، ٥٥٩، ٦٨٣، ٦٢٥,	٢٩-العراق	١٦٩، ١٨٤.
٣٠-العرج	٢٤٨,	٣١-عرنة	١٦٧.
٣٢-عكاظ	٦,	٣٣- العزى	١٤٧، ١٥٧.
٣٤-عسفان	١١٠، ١١١، ٢٥٤,	٣٥-غدير الأشطاط	٤٠.
٣٦-فدك	٧٢,	٣٧-قرن مسفلة	١٣٥.
٣٨-قُديد	١١٠، ١٥٧، ٢٥٤,	٣٩-كراع الغميم	٤٠، ٤١، ٢٤٨.
٤٠-كَداء	١٢٠، ٥٩١، ٥٩٢,	٤١-الكَديد	١١٠، ٢٤٨، ٢٥٤.
٤٢-الليط	١٢٠,	٤٣-مؤتة	٦٣، ٨١، ٨٤.
٤٤-مر الظهران	١١٥,	٤٥-مزدلفة	١٤٥.

٤٦-معان	٨٤,	٤٧-المقطع	.١٦٩
٤٨-المشلل مناة	١٤٨,	٤٩-مناة	١٤٨، ١٥٧.
٥٠-منقطع الأعشاش	١٦٧,	٥١-نجران	٥٣٤، ٥٣٥.
٥٢-نخلة	١٤٧,	٥٣-الوتير	.٩٩

٥- فهرس المراجع[1].

-القرآن الكريم

أولا : المراجع القديمة[2]

-أ-

-الآداب الشرعية والمنح المرعية: الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (٧٦٣هـ)، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض ط: بدون. ١٩٧٧م.

-الإتقان في علوم القرآن: الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(٩١١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط:٤، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

-الأحكام السلطانية والولايات الدينية: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون.

-الأحكام السلطانية: القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي(٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

-الإحكام في أصول الأحكام: الإمام سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، (٦٣١هـ)دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

- أحكام القرآن: الإمام أبي بكر الجصاص(٣٧٠هـ)، دار ا لكتاب العربي بيروت ط: بدون.

-أحكام القرآن: الإمام عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بإلكيا الهراس(٥٠٤هـ)، تحقيق: موسى محمد علي و د. عزت علي عيد عيطة دار الكتب الحديثة، ط: بدون.

- أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي،(٥٤٣هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي دار المعرفة بيروت لبنان ط:٣، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

-أحكام القرآن: الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي،(٢٠٤هـ)، جمعه: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري صاحب السنن الكبرى(٤٥٨هـ)، كتب هوامشه: الشيخ: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

-إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي(٥٠٥هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ، ط: بدون.

-أخبار القضاة: محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع، (٣٠٦هـ) عالم الكتب بيروت، ط: بدون.

- أخبار مكة وما جاء فيها من آثار: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، (٢٢٣هـ) تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة مكة المكرمة، ط: ٥، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

---

[1] في هذا الفهرس قسمت المراجع إلى قسمين: المراجع القديمة وهي التي كتبت قبل ١٢٠٠هـ، والمراجع الحديثة، وهي التي كتبت بعد ذلك.

[2] أنبه على أن عدم كتابة سنة الطباعة في بعض المراجع، بسبب عدم ذكره في المرجع.

-**الأخلاق والسير في مداواة النفوس: الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم** (٤٥٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: بدون.

-**أخلاق العلماء: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري**(٣٦٠هـ)، تحقيق: الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط: بدون، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

- **أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي**، (٤٥٠هـ)تحقيق: مصطفى السقا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: ٤، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

-**الأدب المفرد: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري**(٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،المكتبة العربية باكستان ط: بدون.

-**إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أبو عباس شهاب الدين أحمد القسطلاني**(٩٢٣هـ)، دار الفكر بيروت لبنان، ط: ١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

-**أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري** (٤٦٨هـ)،دار الكتب العلمية بيروت ط: بدون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

-**الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر النمري القرطبي** (٤٦٣هـ)وهو بهامش كتاب الإصابة للحافظ ابن حجر.

- **أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين ابن الأثير علي بن محمد الجزري**(٦٠٦هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط:١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

-**الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية: الإمام جلال الدين السيوطي**(٩١١هـ)، دار الكتب العلمية بيروت ط:١ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

- **الإصابة في تمييز الصحابة: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني**،(٨٥٢هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ط:١، ١٣٢٨ هـ.

- **الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار: أبو بكر محمد بن موسى الهمذاني**(٥٧٤هـ) ، نشره وعلق عليه: راتب حاكمي مطبعة الأندلس حمص ط:١، ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

-**الاعتصام: الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي**(٧٩٠هـ)، تعريف: الشيخ محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت لبنان، ط: بدون.

-**إعجاز القرآن: الإمام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني**(٤٠٣هـ)، قدم له وشرحه وعلق عليه: الشيخ محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم والتراث ط:١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

-**أعلام موقعين الموقعين عن رب العالمين: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية** (٧٥١هـ)، تحقيق ومراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل بيروت لبنان، ط:بدون ١٩٧٣م.

-**أعلام النبوة: الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي**(٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية لبنان ط:٢، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

-**إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: الإمام ابن قيم الجوزية**(٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، ط:٢ ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

-**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: شيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق : د. ناصر عبد الكريم العقل، ط:١، ١٤٠٤هـ.

-**إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والحفدة والمتاع: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي**(٨٤٥هـ)، تصحيح وشرح: محمود محمد شاكر، طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر، ط:٢.

-**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال**، تحقيق ودراسة: عبد القادر أحمد عطا، ط: بدون، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

-**إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد: أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني**(القرن الثامن)، دار الكتب العلمية بيروت ط: بدون.

-**الإيمان : شيخ الإسلام ابن تيمية**(٧٢٨هـ)، المكتب الإسلامي بيروت، ط:٢ ١٣٩٢هـ.

ـــب

-**البداية والنهاية: الحافظ ابن كثير**(٧٧٤هـ)، دار الفكر بيروت ط: بدون، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢ م.

-**بلوغ المرام من أدلة الأحكام: الحافظ ابن حجر العسقلاني**(٨٥٢هـ)، تحقيق وتعليق : رضوان محمد رضوان، الناشر دار الكتاب العربي بيروت، ط: بدون ١٣٧٣هـ.

ـــت

-**تاريخ بغداد أو مدينة السلام: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي**(٤٦٣هـ)، دار الكتاب العربي بيروت ط: بدون.

-**تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري** (٣١٠هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار سويدان بيروت لبنان ،١٣٨٢هـ ١٩٦٢م.

-**التاريخ الصغير: الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري** (٢٥٦هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي بحلب ودار التراث القاهرة، ط :١، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

-**تذكرة الحفاظ: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي**(٧٤٨هـ)، تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط: بدون، ١٣٧٤هـ.

- **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم: الإمام العالم بدر الدين ابن جماعه الكناني**(٧٣٣هـ)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: بدون.

-**الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري**(٦٥٦هـ)، ضبط وتعليق: مصطفى محمد عمارة ،دار الفكر ط: بدون، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

-**التعريفات: السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي**٨١٦هـ)، تحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، ط:١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.، ٢٢

-**التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والعلام في القرآن الكريم: الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي**(٥٨١هـ)، تحقيق: عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط:١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

-**تفسير أبي سعود السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: الإمام أبو السعود محمد بن محمد العمادي** (٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط: بدون.

-تفسير سفيان الثوري: الإمام أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي(١٦١هـ)، مراجعة وضبط: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط:١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

-تفسير غريب الحديث: الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ط: بدون.

-تفسير فخر الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين عمر(٦٠٤هـ)، دار الفكر بيروت ط: ١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

- تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير(٧٧٤هـ)، كتاب الشعب مصر ، تحقيق: عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، ط: بدون ١٣٩٠هـ ١٩٧١م.

- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (٥٣٨هـ) دار المعرفة بيروت لبنان، ط: بدون.

- تقييد العلم: الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي(٤٦٣هـ)، تحقيق: يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية، ط:٢، ١٩٧٤م.

-تلبيس ابليس : الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي (٥٩٧هـ)، دار الكتب العلمية بيروت لينان ط: ٢ ، ١٣٦٨هـ.

-تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين: وتحذير السالكين من أفعال الهالكين: الإمام محي الدين أبو زكريا أحمد بن إبراهيم ابن النحاس الدمشقي(٨١٤هـ)، تحقيق: عماد الدين عباس سعيد، دار الكتب العلمية بيروت، ط:١، ١٤٠٧هـ.

-تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار: محمد بن يزيد أبو جعفر الطبري(٣١٠هـ) خرج أحاديثه: محمود محمد شاكر مطبعة المدني مصر ط: بدون.

-تهذيب التهذيب: الحافظ أحمد بن علي بن حجر،(٨٥٢هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، ط: ١، ١٣٢٦ هـ.

ـــج

-الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط: ٢، ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد رأفت سعيد، مكتبة الفلاح الكويت ط: ١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

-جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله: الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي(٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري(٣١٠هـ). مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ٣، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م.

-جامع الرسائل: شيخ الإسلام ابن تيمية(٧٢٨هـ)، تحقيق د. محمد رشاد سالم دار المدني جدة، ط:١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

– **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة**،(٢٩٧هـ) تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده مصر ط:٢، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

–**جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي**(٧٩٥هـ)، دار الفكر ط: بدون.

–**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: شيخ الإسلام ابن تيمية** (٧٢٨هـ)، مطابع المجد التجارية ط: بدون.

–**جوامع السيرة: الإمام الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم** (٤٥٦هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس و د. ناصر الدين الأسد، المطبعة العربية، لاهور باكستان ط: بدون، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

—ح—

–**الحسبة في الإسلام: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية**(٧٢٨هـ)، تحقيق: سيد بن محمد بن أبي سعدة، مكتبة دار الأرقم الكويت ط:١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

–**الحسنة والسيئة: شيخ الإسلام ابن تيمية**(٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون.

–**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصفهاني**(٤٣٠هـ)، دار الفكر بيروت، ط: بدون.

—د—

–**دلائل النبوة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي** (٤٥٨هـ)، تخريج وتحقيق : د. عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط:١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

–**دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي** (١٠٥٧هـ)، دار الفكر بيروت ط: بدون ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

—ذ—

–**ذم الهوى: الإمام أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي**(٥٩٧هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ومراجعة محمد الغزالي، ط:١، ١٣٨١هـ ١٩٦٢م.

—ر—

–**الرد على من أخلد إلى الأرض، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض: الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي**(٩١١هـ)، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل المَيس، دار الكتب العلمية بيروت ط:١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

–**رسالة تحريم نكاح المتعة: أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي**(٤٩٠هـ)، تحقيق: الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢.

–**الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي** (٨١هـ)، علق عليه: طه عبد الرؤوف سعد ، شركة الطباعة الفنية المتحدة بمصر طبعة جديدة ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م.

–**الروض المربع شرح زاد المستقنع: العلامة منصور بن يونس بن إدريس البهوتي** (١٠٥١هـ)، مكتبة الرياض الحديثة الرياض ط: بدون.

-**روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: أبو حاتم البستي** (٣٥٤هـ)، شرح وتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد عبد الرزاق حمزة، ومحمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: بدون، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

-**روضة المحبين ونزهة المشتاقين: الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية**، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: بدون، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

-**روضة الناظر وجنة المناظر: الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي**(٦٢٠هـ)، راجعه وأعد فهارسه: سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي بيروت ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

ـــز

-**زاد معاد في المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية**،(٧٥١هـ) تحقيق :شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية الكويت، ط: ١، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.

ـــس

-**سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام: الإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني**(١١٨٢هـ)، راجعه وعلق عليه: الشيخ محمد عبد العزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي ط:٤، ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م.

- **سنن الدار قطني: الإمام علي بن عمر الدارقطن**ي (٣٨٥هـ) تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المحاسن للطباعة القاهرة، ط:١ ، ١٣٨٦هـ.

-**سنن أبي داود: الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي** (٢٧٥هـ)، بيروت لبنان مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد دار التراث العربي، بيروت لبنان،ط: بدون.

-**السنن الكبرى: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي**(٤٥٨هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط:١، ١٣٥٦، ودار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

-**سنن ابن ماجه: الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه** (٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: بدون.

-**سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي**(٣٠٣هـ)، ترقيم وفهرسة: د. عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ودار البشائر الإسلامية بيروت لبنان، ط:١ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

-**السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: شيخ الإسلام ابن تيمية**(٧٢٨هـ)، دار الكاتب العربي ط: بدون.

-**سير أعلام النبلاء: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي** (٧٤٨هـ) مؤسسة الرسالة بيروت ط: ٩، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣ م.

-**السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، إنسان العيون: علي بن برهان الدين الحلبي**(١٠٤٤هـ)، بيروت لبنان، ط: بدون، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠ م.

-**سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: أبو محمد عبد الملك بن هشام** (٢١٣هـ) راجع أصولها: الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض، ط: بدون.

ـــش

-**شرح حديث: ما ذئبان جائعان: الحافظ ابن رجب الحنبلي**(٧٩٥هـ)، تخريج وتعليق: بدر البدر، الدار السلفية الكويت ط: بدون.

-**شرح السنة: الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي** (٥١٦هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط المكتب الإسلامي بيروت دمشق، ط:١، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

-**شرح العقيدة الطحاوية: العلامة ابن أبو العز الحنفي** (٧٩٢هـ) ، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: الشيخ ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي ط:٤، ١٣٩١هـ.

-**شرح معاني الآثار: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي**(٣٢١هـ)، حققه وعلق عليه: محمد سيد جاد الحق، ط: بدون.

- **شرح المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني**(٩٢٣هـ): **الإمام الشيخ محمد ابن عبد الباقي الزرقاني** (١١٢٢هـ)،وهو بحاشية المواهب اللدنية: العلامة القسطلاني الشافعي، تحقيق: صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي بيروت، دمشق ، عمان، ط:١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

ـــص

-**الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري** (٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط:٢، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

-**صحيح البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي** (٢٥٦هـ)، المكتبة الإسلامية استانبول تركيا ط: ١، ١٩٧٩م.

- **صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري**(٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي المكتب الإسلامي، ط: بدون، ١٣٩٠هـ.

-**صحيح مسلم بشرح النووي**(٦٧٦هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها ط: بدون.

-**صحيح مسلم: الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري** (٢٦١هـ)، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠ م.

ـــط

-**طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي**(٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط:١، ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م.

-**الطبقات الكبرى: ابن سعد**(٢٣٠هـ)، دار صادر بيروت ط: بدون.

-**الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: الإمام ابن القيم**(٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون.

-**طريق هجرتين الهجرتين وباب السعادتين: الإمام ابن قيم الجوزية**(٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي لبنان، ط: بدون.

ـــع

-**العبودية: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية** (٧٢٨هـ)، المكتب الإسلامي بيروت دمشق ط:٥، ١٣٩٩هـ.

-**عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: الإمام ابن قيم الجوزية**(٧٥١هـ)، تصحيح: زكريا علي يوسف دار الكتب العلمية لبنان ط: بدون.

- **العمدة في غريب القرآن: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي**(٤٣٧)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة بيروت ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١.

-**عمدة القاري شرح صحيح البخاري: الشيخ العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني**(٧٥٥هـ). دار الفكر، ط: بدون.

- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ابن سيد الناس**، (٧٣٤هـ) دار الآفاق الجديدة بيروت، ط:١، ١٩٧٧م.

ـــغ

-**غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري**(٧٢٨هـ) تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط: بدون.

ـــف

-**فتاوى شيخ الإسلام: أحمد ابن تيمية**(٧٢٨هـ)، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، ط: ١، ١٣٩٨ هـ.

-**فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني** (٨٥٢هـ)، تصحيح وتحقيق وإشراف ومقابلة: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط: بدون.

- **فتوح البلدان: أحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذري**(٢٧٩هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية ط: بدون ١٩٥٦م.

-**الفقيه والمتفقه: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي** (٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط:٢، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

-**الفوائد: الإمام ابن قيم الجوزية**(٧٥١هـ)، تخريج: أحمد راتب عرموش، دار النفائس بيروت، ط:٧، ١٤٠٦هـ.

ـــك

- **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**(**القصيدة النونية**) : **ابن قيم الجوزية**، إدارة ترجمان السنة باكستان ط: بدون.

-**الكامل في التاريخ: العلامة أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الأثير**(٦٣٠هـ) ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط:٤، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

-**كتاب التوكل على الله: الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا** (٢٨١هـ)، تحقيق: جاسم الفهيد الدوسري ، دار الأرقم الكويت، ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

– **كتاب السنة: أبو بكر عمر بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني** (٢٨٧هـ)، تخريج: الشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي دمشق، ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

–**الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: الحافظ أبي بكر بن أبي شيبة** (٢٣٥هـ)، الدار السلفية بومباي الهند، حققه وصححه: الأستاذ عامر العامري الأعظمي ط:٢، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

–**كتاب المغازي: الواقدي**(٢٠٧هـ)، تحقيق: د. ماردسن جونس، عالم الكتب لبنان، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

–**كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب المعروف بالخصائص الكبرى: الإمام أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي**(٩١١هـ)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: بدون.

–**الكفاية في علم الرواية: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي** (٤٦٣هـ)، المكتبة العلمية ط: بدون.

ـــل

–**اللباب في الجمع بين السنة والكتاب: الإمام أبو محمد علي بن زكريا المنبجي**، تحقيق: محمد فضل عبد العزيز المراد، دار الشروق للنشر والتوزيع جدة ط:١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م.

–**لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي**(٩١١هـ)، دار إحياء العلوم بيروت، ط:٤، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م.

–**لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري**(٧١١هـ)، دار صادر ط: بدون.

ـــم

–**المبسوط: شمس الدين السرخسي**(٤٩٠هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ط:٣، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

–**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي** (٨٠٧هـ)، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط: ٢، ١٩٦٧ م.

–**المجموع شرح المهذب: الإمام أبو زكريا يحي الدين بن شرف النووي**(٦٧٦هـ)، **والإمام تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي**، دار الفكر ط:بدون.

–**المحلى: الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم**(٤٥٦هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، من منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت، ط: بدون.

–**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: الحافظ ابن قيم الجوزية**(٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط: بدون ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

–**مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل: ابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد** مكتبة الصحابة بطنطا ط:١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

–**المدونة الكبرى: الإمام مالك بن أنس** (١٧٩هـ)، دار صادر بيروت، ط: ١، بدون تاريخ.

–**المستدرك على الصحيحين:الإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري** (٤٠٥هـ) وبحاشيته التلخيص للأمام الذهبي، دار الكتاب العربي بيروت،ط: بدون.

–**المسند: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل**(٢٤١هـ)، فهرسة وشرح: أحمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.

-**مسند الإمام الشافعي: الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي** (٢٠٤هـ)، نسخة مطابقة للنسخة المطبوعة في مطبعة بولاق الأميرية، والنسخة المطبوعة في بلاد الهند، دار الكتب العلمية لبنان بيروت ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

-**مسند الإمام أحمد ابن حنبل** (٢٤١هـ)، المكتب الإسلامي، فهرس الشيخ الألباني، ط:٤، ١٤٠٣ هـ ٩٨٣ م.

-**المسند: الإمام الحافظ أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي**(٢١٩هـ) ، تحقيق وتعليق: الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية بيروت، ط: بدون ١٣٨١هـ.

-**المصنف: الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني**(٢١١هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، نشر المجلس العلمي جنوب أفريقيا وباكستان والهند، ط: ١ ١٣٩٠هـ ١٩٧٠ م.

-**المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: الحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني** (٨٥٢هـ)، تحقيق: الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي، طبعته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ط:بدون.

-**معالم السنن: أبو سليمان الخطابي**(٣٨٨هـ)، في **حاشية مختصر سنن أبي داود: الحافظ المنذري**(٦٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ط: بدون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

-**معالم القربة في أحكام الحسبة: محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة** (٧٢٩هـ)، تحقيق: د. محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: بدون ١٩٧٦م.

-**معجم البلدان: الشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي**(٦٢٦هـ)، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ط: بدون، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.

-**مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم : عروة بن الزبير**(٩٣هـ). جمع وتحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي من منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

-**المغني: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة** (٦٢٠هـ)، مكتبة الرياض الحديثة ط: بدون.

-**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: الإمام ابن قيم الجوزية** (٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون.

-**مقدمة ابن خلدون: العلامة عبد الرحمن ابن خلدون**(٨٠٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط:١، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

-**مكارم الأخلاق: الإمام الطبراني**(٣٦٠هـ)، تحقيق: د. فاروق حمادة، الكتب التعليمي السعودي بالمغرب ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

-**مكفرات الذنوب وموجبات الجنة: ابن الديبع الشيباني**(٩٠٤هـ) ، هذبه: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام للطبع والنشر ط: بدون، ١٣٩٦هـ ١٨٧٦م.

-**منتخب كنز العمال: الشيخ العلامة علي المتقي الهندي**(٩٧٥هـ) . وهو بحاشية مسند الإمام أحمد (فهرس الألباني) المكتب الإسلامي بيروت دمشق ط:٤، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

- **المنتقى من منهاج الاعتدال مختصر منهاج السنة: الحافظ أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي**، تحقيق: محب الدين الخطيب، مكتبة دار البيان دمشق، ط: بدون ١٣٧٤هـ.

– **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية: الإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي الحنبلي ابن تيمية**، مكتبة الرياض الحديثة الرياض، ط: بدون.

–**موارد الظمآن إلى زوائد أبي حبان: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي**(٨٠٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون.

–**الموافقات في أصول الشريعة: أبو اسحق الشاطبي**(٧٩٠هـ)، تحقيق وتخريج: الشيخ عبد الله دراز المكتبة التجارية الكبرى مصر ط: بدون.

–**موطأ الإمام مالك** (١٧٩هـ)- مع شرحه- **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي**(٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون.

ـــنـــ

–**نصاب الاحتساب: عمر بن محمد بن عوض السنامي** (القرن الثامن)، مكتبة الطالب الجامعي مكة المكرمة، تحقيق: د. مريزن سعيد مريزن عسيري ط:١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

–**النهاية في غريب الحديث والأثر: الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير** (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، ط: بدون ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م.

ثانيا: المراجع الحديثة

-**الآثار التشريعية في فتح مكة: محمد بن ناصر الجعوان**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية، ١٤٠٧هـ، لم تطبع بعد.

-**آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة: د. وهبه الزحيلي**، دار الفكر ط:٣ ، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

- **آثار عقد الزواج في الشريعة الإسلامية: د. أحمد عثمان**، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ، ط: بدون، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

-**آفات على الطريق: د. السيد محمد نوح**، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة ط:١١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

-**أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة: د. محمد نعيم ياسين**، دار الأرقم للنشر والتوزيع حولي ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

-**الأخلاق الإسلامية وأسسها: الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني**، دار القلم دمشق، ط:٣، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

-**الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها: د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي**، مطبعة سفير الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

-**الإرشاد إلى معرفة الأحكام: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي**، مكتبة المعارف الرياض، ط: بدون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

-**إرشاد فحول الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول : محمد بن علي بن محمد الشوكاني**، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط: بدون ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

- **أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي: د. علي جريشة ومحمد شريف الزيبق**، دار الاعتصام ط: بدون.

-**الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس: محمد صالح المنجد**، دار الوطن للنشر ط:١، ١٤١٧هـ.

-**أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم : د. وهبة الزحيلي**، دار القلم دمشق ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

-**أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد المدني: عبد الله محمد آل موسى**، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع الرياض ط: ١، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.

-**الاستيعاب في حياة الداعية: فتحي يكن**، مؤسسة الرسالة بيروت ط:٦، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

-**الإسلام دعوة الحق: د. السيد رزق الطويل**، إدارة النشر رابطة العالم الإسلامي مكة، ضمن سلسلة دعوة الحق السنة الخامسة العدد ٤٦ ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.

-**الإسلام عقيدة وشريعة: الشيخ محمود شلتوت**، دار الشروق، ط:١٧، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

-**الإسلام والوعي الحضاري: د. أكرم ضياء العمري**، دار المنارة للنشر والتوزيع جدة، ط:١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

-**الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر: خالد عبد الكريم الخياط**، دار المجتمع للنشر والتوزيع جدة، ط:١، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

-**الأشربة وأحكامها في الشريعة الإسلامية: د. ماجد أبو رخية**، مكتبة الأقصى عمان الأردن ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

- **أصول الدعوة: د.عبد الكريم زيدان**، مؤسسة الرسالة بيروت ومكتبة القدس بغداد، ط:٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

- **أصول الشرعية الإسلامية مضمونها وخصائصها: د. علي جريشة**، مكتبة وهبة مصر ط:١، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

-**أصول الفقه: الشيخ محمد أبو زهرة**، دار الفكر العربي القاهرة، ط: بدون ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م.

-**أصول مذهب الإمام أحمد دراسة أصولية مقارنة: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي**، مكتبة الرياض الحديثة، ط:٢، ١٣٩٧هـ.

-**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي**، ط:٢، ١٤٠٠هـ ١٩٧٩م.

-**الأعلام: خير الدين الزِركلي**، دار العلم للملايين ط: ٥، ١٩٨٠ م.

-**الإعداد المعنوي للقتال في الإسلام: العميد فيصل بن جعفر بالي**، مطابع القوات المسلحة السعودية ط: بدون.

-**افتراءات حول غايات الجهاد: د. محمد نعيم ياسين**، دار الأرقم ط: ١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

- **أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام: د. محمد العروسي عبد القادر**، دار المجتمع للنشر والتوزيع جدة، ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

-**أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية: محمد سليمان الأشقر**، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط:١، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

-**الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي**، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ط:٢، ١٤٠٩هـ.

-**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه): خالد بن عثمان السبت**، المنتدى الإسلامي لندن ط:١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

-**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: السيد جلال الدين العمري**، نقله إلى العربية: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، شركة الشعاع للنشر الكويت، ط:بدون، ١٤٠٠هـ.

-**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: د. محمد عبد القادر أبو فارس**، دار الفرقان عمان الأردن ط:٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

- **أهداف التربية الإسلامية وغايتها: د. مقداد يالجن**، مطابع القصيم الرياض، ط:١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

- **أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى: محمد عبد الهادي المصري**، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ط:٤، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

-**أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: الشيخ أبو بكر جابر الجزائري**، راسم للدعاية والإعلان جدة، ط:٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

-**الإيمان ،أركانه حقيقته نواقضه: د. محمد نعيم ياسين**، جمعية عمال المطابع التعاونية الأردن، ط: ٣، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

-**الإيمان والحياة د. يوسف القرضاوي**، مؤسسة الرسالة بيروت ط:٣، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

ـــب ـــ

-**باطن الإثم، الخطر الأكبر في حياة المسلمين: د. محمد سعيد رمضان البوطي**، مكتبة الفارابي دمشق، ط:٣، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

-**بذل المجهود في حل أبي داود: الشيخ خليل أحمد السهارنفوري**، دار الكتب العلمية بيروت ط: بدون.

-**بصائر للمسلم المعاصر: الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني**، دار القلم دمشق ط:١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

- **بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل، ودحض الشبهات التي أثيرت حوله: د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان**، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط: بدون ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

-**بين العقيدة والقيادة: اللواء محمود شيت خطاب**، دار الفكر بيروت، ط: ١ ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

ـــت ـــ

-**تاج العروس من جوهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي**، دار مكتبة الحياة بيروت، ط:١، ١٣٠٦هـ.

- **تأملات دعوية في السنة النبوية، د: عبد الله بن وكيل الشيخ**، دار أشبيليا للنشر والتوزيع الرياض، ط:١ ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

-**تأملات في دروب الحق والباطل: عبد الله عبد الغني خياط**، تهامة للنشر جدة ط:١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

-**تأملات في سورة الإسراء: د. حسن محمد باجودة**، دار الاعتصام القاهرة، ط: بدون ١٣٩٥هـ.

-**التاريخ الإسلامي: محمود شاكر**، المكتب الإسلامي، ط:٤، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

-**تاريخ التشريع الإسلامي الشيخ محمد الخضري بك**، دار الكتب العلمية بيروت ط: بدون ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

-**تاريخ الفقه الإسلامي: د. عمر سليمان الأشقر**، دار النفائس الأردن، ومكتبة الفلاح الكويت، ط:٣، ١٤١٣هـ ١٩٩١م.

-**تاريخ الكعبة المعظمة: عمارتها وكسوتها وسدانتها: حسين عبد الله با سلامة**، تهامة للنشر جدة ط: ٢ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

-**تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: الإمام الحافظ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري**، الناشر محمد عبد المحسن الكتبي، ط: بدون.

-**تحقيق المرام في تاريخ البيت الحرام: طلحة حسن الشيبي**، ط:١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

-**تذكرة دعاة الإسلام: أبو الأعلى المودودي**، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط:٢، ١٣٩٥هـ.

-**التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي: عبد القادر عودة**، دار القلم الكويت، ط:بدون ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

-**تفسير التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور**، الدار التونسية للنشر ط:بدون.
-**تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: العلامة محمد جمال الدين القاسمي** ، رقمه وخرج نصوصه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت، ط: ٢، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
-**التفسير القيم لابن القيم، جمع: محمد أويس الندوي** ،تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط: بدون ١٩٤٨م.
-**تقريب التدمرية: الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، دار الوطن للنشر الرياض، ط:١، ١٤١٢هـ
-**توجيهات نبوية على الطريق: د. السيد محمد نوح**، دار اليقين للنشر والتوزيع مصر، ط:١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
-**تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب**، المكتب الإسلامي دمشق بيروت ط: ٤، ١٤٠٠هـ.
-**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي**، حققه وضبطه: محمد زهري النجار المؤسسة السعيدية بالرياض ط: بدون.

ـــث ـــ

-**ثقافة الداعية: د. يوسف القرضاوي**، مؤسسة الرسالة بيروت ط:١، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
-**ثوابت ضرورية في فقه الصحوة الإسلامية: د. عبد الحليم عويس**، دار الصحوة للنشر القاهرة، ط:١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
-**الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي: د. صلاح الصاوي**، دار الإعلام الدولي القاهرة ط:٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

ـــج ـــ

-**جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث: جمال سلطان**، مركز الدراسات الإسلامية بريطانيا، ط:١، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.
-**الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي محمد أبو زهرة**، دار الفكر العربي ط: بدون.
- **جند الله ثقافة وأخلاقا: سعيد حوى**، دار الكتب العلمية بيروت ط:٢.
-**الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع: الشيخ صالح اللحيدان**، دار اللواء الرياض، ط:٣، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
-**الجهاد في الإسلام: توفيق علي وهبة**، دار اللواء الرياض، ط: بدون ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.
-**الجهاد ميادينه وأساليبه: د. محمد نعيم ياسين**، مكتبة الأقصى عمان الأردن، ط:١ ، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
-**جوانب التربية الإسلامية الأساسية: د. مقداد يالجن**، مؤسسة دار الريحاني للطباعة بيروت، ط:١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

ـــح ـــ

-**حديث القرآن عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم: محمد بكر آل عابد**، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط: ١ ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

-**الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين: د. فضل إلهي**، إدارة ترجمان الإسلام باكستان، ط:٢، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

-**الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش**، ط: بدون ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

-**الحرية الإعلامية في ضوء الإسلام: د. سعيد بن علي ثابت**، دار عالم الكتب للطباعة والنشر الرياض، ط:٢، ١٤١٤هـ١٩٩٣م.

-**حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية: عبد الله ناصح علوان**، دار السلام للطباعة والنشر ط:١، ١٤٠٠-١٩٨٠م.

-**الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادئها: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر: أبو الأعلى المودودي**، دار الخلافة للطباعة والنشر، ط: بدون.

-**حقوق النساء في الإسلام: محمد رشيد رضا**، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط: بدون.، ١٦

-**حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة: سيد سعيد عبد الغني**، دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط:١، ١٤١٩هـ ١٩٨٨م.

-**حكم وأحكام من السيرة النبوية: الشيخ عبد الله عبد الغني خياط**، دار الرفاعي للنشر والطباعة ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

-**حكمة الدعوة: رفاعي سرور**، مكتبة وهبة القاهرة ط: بدون.

-**الحكمة في الدعوة إلى الله: سعيد بن علي بن وهف القحطاني**، مطبعة سفير الرياض ط:١، ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م.

-**الحل الإسلامي فريضة وضرورة: د. يوسف القرضاوي**، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: بدون، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

- **الحلال والحرام: د. يوسف القرضاوي**، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط:١٢، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

-**الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية: أحمد الصويان**، دار الوطن الرياض، ضمن سلسلة نحو ترشيد الصحوة، ط: ١، ١٤١٣ هـ.

-**الحور بعد الكور: محمد بن عبد الله الدويش**، دار الوطن الرياض ط:١، ١٤١٦هـ.

-خ-

-**خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم: الشيخ محمد أبو زهرة**، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت، ط: بدون ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

-**خالد بن الوليد: صادق إبراهيم عرجون**، الدار السعودية، ط:٣، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

-**خصائص الشريعة الإسلامية: د. عمر سليمان الأشقر**، دار النفائس الأردن ومكتبة الفلاح الكويت، ط:٣، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

-**الخصائص العامة للإسلام: د. يوسف القرضاوي**، مكتبة وهبة القاهرة ط:١، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.
-**الخطابة في موكب الدعوة: محمود محمد عمارة**، دار الخير بيروت- دمشق، ط:١، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
-**خطبة الفتح الأعظم فتح مكة المكرمة: د. فاروق حمادة**، دار الثقافة الدار البيضاء المغرب، ط: ١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.
- **خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي: عبد الوهاب خلاف**، دار القلم للطباعة والنشر الكويت، ط: بدون.
-**خلق المسلم: الشيخ محمد الغزالي**، دار الكتب الحديثة، مصر ط:٨، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
-**خواطر في الدعوة: محمد العبدة**، المنتدى الإسلامي بريطانيا ط:١، ١٤١٣هـ.

د

-**درجات تغيير المنكر: د. عبد العزيز بن أحمد المسعود**، دار الوطن للنشر، ط:١، ١٤١٤هـ.
-**دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن: د. محمد عبد الله درَّاز**، تعريب وتحقيق: د. عبد الصبور شاهين مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية ط:٤، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
-**دعوة الإسلام: سيد سابق**، دار الفكر بيروت لبنان ط: بدون، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
-**الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها: د. أحمد أحمد غلوش**، دار الكتاب المصري القاهرة، ط:٢ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
-**الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مناهجها وغاياتها: د. رؤوف شلبي**، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: بدون ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
-**الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب: محمد خير رمضان يوسف**، دار طويق للنشر والتوزيع الرياض، ط:٢، ١٤١٤هـ.
-**دراسة في السيرة: د. عماد الدين خليل**، مؤسسة الرسالة بيروت، ط:٦، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
-**الدعوة إلى الإسلام، تاريخها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة: الإمام محمد أبو زهرة**، دار الفكر العربي ط: بدون.
-**الدعوة إلى الإسلام: سير توماس . و . آرنولد**، ترجمه إلى العربية وعلق عليه: د. حسن إبراهيم حسن، ود. عبد المجيد عابدين، وإسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية ط:٣، ١٩٧٠م.
-**الدعوة إلى الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة: حسن مسعود طوير**، دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت - دمشق، ط:١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
-**الدعوة إلى الله، دراسة مستوحاة من سورة النمل: د.عبد الرب نواب الدين آل نواب**، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت ط:١ ، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
-**الدعوة إلى الله، الرسالة الوسيلة الهدف: د. توفيق الواعي**، دار اليقين ط: ٢، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
-**الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز**، الدار السلفية الكويت، ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
-**الدعوة قواعد وأصول: جمعة أمين عبد العزيز**، دار الدعوة للطباعة والنشر الإسكندرية ط:٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

-**الدعوة المؤثرة: جمال ماضي**، المدائن للنشر والتوزيع العجمي ط:١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
-**الدعوة والخطابة: علي عبد العظيم**، دار الاعتصام القاهرة، ط: ١، ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩ م.
- **دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية: د. محمد السيد الجليند**، مؤسسة علوم القرآن دمشق بيروت ط: ٢، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
-**دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي، وسبل علاجها: عبد الرحمن بن يوسف بن عيسى الملاحي**، دار عالم الكتب للطباعة والنشر الرياض، ط:١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
-**دور المرأة في المجتمع الإسلامي: توفيق على وهبة**، دار اللواء للنشر والتوزيع ط:٢، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
-**دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية: عدنان النحوي**، دار الإصلاح الدمام ط: بدون.

ـذـ

-**ذات الصواري وحصن بابليون: شوقي أبو خليل**، دار الفكر دمشق، ط:٣، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
- **الذبائح في الشريعة الإسلامية: عبد الله بن عبد الرحيم العبادي**، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط:١، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
-**الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك: عبد القادر حبيب الله السندي**، مكتبة المعلا الكويت ط: بدون ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

ـرـ

-**رجال ونساء أسلموا: عرفات كامل العشي**، دار القلم الكويت، ط:٣، ١٣٨٩هـ ١٩٧٨م.
-**الرحيق المختوم: الشيخ صفي الرحمن المباركفوري** ، مكتبة دار السلام الرياض ط: بدون ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
-**الرسالة المحمدية: السيد سلمان الندوي**، مكتبة دار الفتح دمشق ط:٣، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
-**الرسل والرسالات: د. عمر سليمان الأشقر**، مكتبة الفلاح الكويت ط:٢ ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
-**الرسول صلى الله عليه وسلم: سعيد حوى**، دار الكتب العلمية بيروت، ط:٢، ١٣٩١هـ ١٩٧١م.
-**الرسول القائد: اللواء الركن محمود شيت خطاب**، دار الفكر، ط: ٥، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م.
-**الرسول المعلم وأساليبه في التعليم: عبد الفتاح أبو غدة**، مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب، ط:١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
-**الرسول والعلم: د. يوسف القرضاوي**، مؤسسة الرسالة بيروت، ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
-**رفع الحرج في الشريعة الإسلامية: عدنان محمد جمعة**، دار الإمام البخاري للطباعة والنشر دمشق، ط:١ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
-**ركائز الدعوة في القرآن: محمد إبراهيم شقرة**، المكتبة الإسلامية عمان الأردن، ط:١، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي**، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط: بدون.
-**الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي**، مكتبة المعارف الرياض، ط:٣، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

ـزـ

-**زاد الداعية إلى الله: الشيخ محمد العثيمين**، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن للنشر، ط:٣، ١٤١٣هـ.

-**الزكاة وأحكامها: وهبي سليمان غاوجي**، مؤسسة الرسالة بيروت، ط:١، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

ـــس

-**السبل السوية لفقه السنن المروية: الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي**، من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ط:٣، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

-**السبيل إلى دعوة الحق والقائم بأمرها: د. محمد البهي**، من ضمن سلسلة البحوث الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، السنة الثانية الكتاب السابع عشر، وهو كتاب مطبوع.

-**السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، دراسة نقدية تحليلية: د. بريك محمد العمري**، دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني**، المكتبة الإسلامية عمان، الدار السلفية الكويت، ط:١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

-**السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية: د.عبد الكريم زيدان**، مؤسسة الرسالة بيروت ط:٢، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.

-**السياسة الشرعية: د. عبد الله النفيسي**، دار الدعوة الكويت، ط:١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

-**سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم صور مقتبسة من القرآن الكريم:الأستاذ محمد عزت دروزة**، المكتبة العصرية بيروت، ط: بدون ١٤٠٠ هـ.

-**السيرة نبوية حسن أبو السيرة النبوية: أبو الحسن الندوي**، دار الشروق جدة، ط: ٨، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩ م.

-**السيرة النبوية دروس وعبر: د. مصطفى السباعي**، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط: ٤، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

-**السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، د. أكرم ضياء العمري**. مكتبة العبيكان الرياض ط: ١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥ م.

-**السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية: د. مهدي رزق الله**، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ط:١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

-**السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: د. محمد بن محمد أبو شهبة**، دار القلم دمشق ط:٢، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.

-**السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة: محمد الصوياني**، مطابع شركة الصفحات الذهبية الرياض، ط:١، ١٤١٢هـ.

-**السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: الشيخ محمد بن علي الشوكاني**(١٢٥٠هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط:١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

ـــش

-**شباب الصحابة رضوان الله عليهم، مواقف وعبر: محمد بن عبد الله الدويش**، دار الوطن للنشر الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

-**شرح كشف الشبهات(للشيخ محمد بن عبد الوهاب): الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، إعداد فهد بن ناصر السليمان دار الثريا للنشر الرياض ط:٢، ١٤١٧هـ ١٩٩٦.

ـــص ـــ

-**الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف: د. يوسف القرضاوي**، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية قطر، ط:١، ١٤٠٢هـ.

-**صحيح الترغيب والترهيب: الشيخ ناصر الدين الألباني**، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط:١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

-**صحيح الجامع الصغير وزيادته: الشيخ ناصر الدين الألباني**، من منشورات المكتب الإسلامي ط:١، ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م.

-**صحيح سنن ابن ماجه: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني**، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط:٣، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.

-**صحيح سنن الترمذي: الشيخ ناصر الدين الألباني**، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط:١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

-**صفات الداعية: د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار**، دار أشبيليا الرياض ط:١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

-**صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر: د.عبد العزيز المسعود**، دار الوطن للنشر الرياض ط:١، ١٤١٤هـ

-**صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم: الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري**، دار الأرقم الكويت ط:١ ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

-**صلح الحديبية: محمد أحمد باشميل**، دار الفكر بيروت ط:٣، ١٩٧٣هـ ١٣٩٣م.

-**صلح الحديبية وأثره في نشر الدعوة الإسلامية: الأستاذ سِلْمِي بن سلمان الحسيني**، وهو بحث ماجستير مقدم للمعهد العالي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة، عام ١٤٠٥ هـ-١٤٠٥، غير مطبوع.

-ض -

- **ضعيف سنن ابن ماجه: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني**، المكتب الإسلامي بيروت، ط: ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

- **ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية:د. محمد سعيد رمضان البوطي**، مؤسسة الرسالة بيروت، ط:٢، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

ـــط ـــ

-**الطبيعة البشرية في القرآن الكريم: د. لطفي بركات أحمد**، دار المريخ الرياض، ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

-**طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف: د. مصطفى مشهور**، دار الفرقان الأردن ط:٢ ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

-**طريق الدعوة في ظلال القرآن: أحمد فايز**، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: بدون ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

-**طريق الدعوة: مصطفى مشهور**، دار الطباعة والنشر الإسلامية القاهرة ط: بدون ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
-**الطريقة المثلى للدعاة: د. عبد الرحمن بلّه**، وزارة الشئون الدينية والأوقاف في السودان ط: بدون ، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

—ع—

-**العبادة في الإسلام : د: يوسف القرضاوي**، مؤسسة الرسالة ط:٢، ١٣٩١هـ ١٩٧١م.
-**العبقرية العسكرية في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم: محمد فرج**، دار الفكر العربي ط: ٣، ١٩٧٧م
-**العقوبات في الشريعة، أهدافها ومسالكها: د. نعمان عبد الرزاق السامرائي**، مكتبة المعارف الرياض ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
-**العقيدة الإسلامية وأسسها: الأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني**، دار القلم دمشق ط:٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- **عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام: د. ناصر بن علي عائض حسن الشيخ**، مكتبة الرشد الرياض ط:١، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
-**العقيدة في الله: د. عمر سليمان الأشقر**، مكتبة الفلاح الكويت، ط: ٤، ١٩٨٣هـ.
-**علم أصول الفقه: عبد الوهاب خلاف**، دار القلم الكويت ط:١٢، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
-**علم نفس الدعوة: د.محمد زين الهادي**، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ط: بدون ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
-**علم النفس الدعوي، دراسات نفسية تربوية للآباء والمعلمين والدعاة: د. عبد العزيز النغيمشي**، دار المسلم الرياض، ط:١، ١٤١٥هـ.
-**علم النفس: د. فاخر عاقل**، دار العلم للملايين ط:٣، ١٩٧٢م.
-**علو الهمة: محمد أحمد إسماعيل المقدم**، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع الرياض، ط:١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
-**عون المعبود شرح سنن أبي داود: العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي**، ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، نشر محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط:٢، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

—غ—

-**غزو في الصميم، دراسة واعية للغزو الفكري والنفسي والخلقي والسلوكي: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني**، دار القلم، دمشق- بيروت، ط:١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
-**غزوة خيبر: محمد أحمد باشميل**، دار الفكر ط:٤، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م.
-**غزوة مؤتة: محمد أحمد باشميل**، دار الفكر ط:٢ ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م.
-**غلام الدعوة، دروس في حديث الساحر والغلام والراهب: هشام صقر**، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، ط:١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

—ف—

-**الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني: الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي**، دار إحياء التراث العربي بيروت ط: بدون.
-**الفتح المبين : أمين دويدار** ،من سلسلة صور من حياة الرسول، دار المعارف القاهرة ط: بدون.

-**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط:٧، ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م.

-**فصول في الدعوة والثقافة الإسلامية: د. حسن عيسى عبد الظاهر**، دار القلم الكويت، ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

-**فضل الدعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين بها: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز**، من بحوث المؤتمر الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، من مطبوعات الجامعة الإسلامية ط:٤، ١٤١١هـ.

-**فقه الأخوة في الإسلام:د. علي عبد الحليم محمود**،دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، ط:بدون.

-**فقه الدعوة إلى الله: د. علي عبد الحليم محمود**، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة ط:٣، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

-**فقه الدعوة الفردية في المنهج الإسلامي: د. السيد محمد نوح**، دار الوفاء للنشر والطباعة المنصورة، ط:٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

-**فقه السنة : سيد سابق**، مكتبة التراث القاهرة، ط: بدون

-**فقه السيرة: د. محمد سعيد رمضان البوطي**، دار الفكر للطباعة والنشر ط:٨، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

-**فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي**، دار الكتب الحديثة مصر، ط: ٧، ١٩٧٦ م.

-**فقه السيرة النبوية: منير محمد غضبان**، جامعة أم القرى ط:٤، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م.

-**فلسفة البلاء في ضوء الكتاب والسنة غزوة أحد: د. الحسيني أبو فرحة**، مكتبة وهبة مصر ط:١، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

-**في الطريق إلى الله التوكل: د. يوسف القرضاوي**، مكتبة وهبة القاهرة ط:١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

-**في الطريق إلى الله، النية والإخلاص: د. يوسف القرضاوي**، مكتبة وهبة القاهرة ط:١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

-**في ظلال القرآن: سيد قطب**، دار الشروق بيروت والقاهرة، ط: بدون، ١٣٩٦ هـ -١٩٧٦ م .

ـــق

-**قالوا عن الإسلام: د. عماد الدين خليل**، من إصدارات الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض ط:١ ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

- **قراءة جديدة للسيرة النبوية: د. محمد رواس قلعه جي**، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع ط:٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤ م.

- **قطوف من رياض السنة، دراسة تحليلية أحاديث مختارة من كتاب رياض الصالحين: د. محمد صالح رضا**، مؤسسة مناهل العرفان بيروت ط: بدون.

-**قل هو من عند أنفسكم: محمد سرور بن نايف زين العابدين**، دار الأرقم بريطانيا ط:١، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

-**القواعد الفقهية، مفهومها، نشأتها، تطورها: علي أحمد الندْوي**، دار القلم دمشق، ط:٢، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

-**قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية والعسكرية: أحمد راتب عرموش**، دارالنفائس ط:٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

-**القيادة والجندية في الإسلام: القسم الأول: القيادة: د. محمد السيد الوكيل**، دار الأنصار القاهرة، ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

-**القيادة وديناميكية الجماعات: جوم بوهلن، جورج . م. بيل، ج. نيل دوراباور**، ترجمة: محمد علي العريان، إبراهيم خليل شهاب، المكتبة الأنجلو مصرية ط: بدون ١٩٦٩م.

- **القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات: الأستاذ حسن فتح الباب**، مطبعة الأزهر ط: بدون.

ـــك

-**كتاب العلم: الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، دار الثريا للنشر الرياض، ط:٢، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

-**كيف تحاور، دليل عملي للحوار: د. طارق بن علي الحبيب**، دار لمسلم للنشر والتوزيع الرياض ط: ١، ١٤١٤ هـ -١٩٩٤ م .

-**كيف تقنع الآخرين: عبد الله محمد العوشن**، ط: ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م دار العاصمة الرياض.

- **كيف نبلغ الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأجنبية: جمعه علي الخولي**، المطبعة العالمية القاهرة ط:١، ١٣٨١هـ ١٩٧١م.

-**كيف ندعو الناس: عبد البديع صقر**، دار الاعتصام القاهرة، ط:٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

ـــم

-**ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن علي الحسني الندوي**، دار القلم الكويت، ط:١٣، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

-**مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم** ،دار العلم دمشق، ط:١، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

-**المتساقطون على طريق الدعوة، كيف ولماذا: فتحي يكن**، مؤسسة الرسالة بيروت ط:٦، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

-**مجموعة بحوث فقهية: د. عبد الكريم زيدان**، مؤسسة الرسالة بيروت، مكتبة القدس بغداد، ط: بدون، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

-**مجموعة التوحيد، الرسالة السابعة: شرح ستة مواضع من السيرة: الشيخ محمد بن عبد الوهاب** ، نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض، ط: بدون.

-**المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي**، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة ط: بدون ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

-**محاضرات في عقد الزواج وآثاره: الشيخ محمد أبو زهرة**، دار الفكر العربي ط: بدون ١٣٩١هـ ١٩٧١م.

-**مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم: الشيخ محمد بن عبد الوهاب**، دار العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط: بدون ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م.

-**المدخل إلى علم الدعوة: د.محمد أبو الفتح البيانوني**، مؤسسة الرسالة، ط:٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

-**المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: د. عبد الكريم زيدان**، مكتبة القدس بغداد، مؤسسة الرسالة بيروت، ط:٦، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

-**المدخل في الاتصال الجماهيري: د. عصام سليمان موسى**، مكتبة الكتاني أربد الأردن، ط: ١، ١٩٨٦م.

-**مرآة الحرمين، أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية: اللواء إبراهيم رفعت باشا**، دار المعرفة بيروت لبنان ط: بدون.

-**المرأة المسلمة: وهبي سليمان غاوجي**، دار القلم للطباعة والنشر بيروت ودمشق، ط:١، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

-**المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسئوليتها في الدعوة: د. أحمد بن محمد بن عبد الله أبا بطين**، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع الرياض ط:١، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

-**مرشد الدعاة: الشيخ محمد نمر الخطيب**، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

-**مرويات غزوة بدر: أحمد محمد العلمي با وزير جمع ودراسة وتحقيق**، مكتبة طيبة المدينة المنورة ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

-**مرويات غزوة الحديبية: الشيخ حافظ بن محمد عبد الله الحكمي**، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: بدون.

-**مرويات غزوة حنين وحصار الطائف: د. إبراهيم بن إبراهيم قريبي**، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط: بدون.

-**مرويات غزوة فتح مكة، جمع ودراسة وتحقيق: محسن أحمد الدوم**، وهي رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية قسم الدراسات العليا شعبة السنة عام ١٤٠٠هـ(ليست مطبوعة).

-**المسئولية في الإسلام: محمد زكي الدين حجازي**، الدار السعودية للنشر والتوزيع ط: بدون.

-**مسئولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء النصوص وسير الصالحات: د. فضل إلهي**، مطبعة سفير الرياض ط:١، ١٤١٥هـ.

- **مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية: الشيخ محمد بن عبد الوهاب**، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، ط: بدون، ١٣٩٦.

-**مشكلات الدعوة والداعية: فتحي يكن**، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط:٣، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

-**مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه: عبد الوهاب خلاف**، دار القلم الكويت ط:٤، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

-**مصارف الزكاة في الشريعة الإسلامية : عبد الله جار الله بن إبراهيم الجار الله**، المكتب الإسلامي بيروت و مكتبة الحرمين الرياض ط:١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

- **المصفى في صفات الدعاة: عبد الحميد البلالي**، دار الدعوة الكويت، ط:٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.

-**المصيبة وقانون السببية: عبد الحكيم بحلاق**، دار الإرشاد حمص ط:١ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

-**مع الله دراسات في الدعوة والدعاة: الشيخ محمد الغزالي**، نشر المكتبة الإسلامية ومطبعة حسان القاهرة ط:٥، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

-**معالم الشخصية الإسلامية: د. عمر سليمان الأشقر**، مكتبة الفلاح الكويت ط:٣، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

-**معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة**. مكتبة المثنى بيروت ودار إحياء التراث العربي بيروت ط: بدون، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

-**معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: المقدم: عاتق بن غيث البلادي**، دار مكة للنشر والتوزيع مكة المكرمة، ط:١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

-**المعرفة في منهج القرآن الكريم، دراسة في الدعوة والدعاة: صابر طعيمة**، دار الجيل بيروت ط: بدون.

-**المعوقون للدعوة الإسلامية: د. سميرة محمد جمجوم**، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م.

-**مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة: أبو الأعلى المودودي**، دار القلم الكويت ط: بدون ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م

-**مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين(النيات في العبادات): د. عمر سليمان الأشقر**، مكتبة الفلاح الكويت، ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

-**مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، المسلمون بين التحدي والمواجهة: د. عبد الكريم بكار**، دار المسلم الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

-**مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم: محمد العبدة وطارق عبد الحكيم**، دار الأرقم الكويت ط: بدون ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

-**مقدمة في علم الأخلاق: د. محمود حمدي زقزوق**، دار الفكر العربي ط:٤، بدون تاريخ.

-**مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، مفهوم ونظر وتطبيق: سعيد بن علي بن وهف القحطاني**، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان الرياض، ط:١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

-**مكايد يهودية عبر التاريخ: الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني**، دار القلم بيروت ط:٤، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

-**من أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: عبد المحسن بن حمد العباد**، من مطبوعات الجامعة الإسلامية مركز شئون الدعوة ط:٦ ، ١٤١٤هـ.

-**من روائع حضارتنا: د. مصطفى السباعي**، دار القرآن الكريم بيروت لبنان ط: بدون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

-**من صفات الداعية اللين والرفق: د. فضل إلهي**، الناشر إدارة ترجمان الإسلام باكستان ط:١، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

-**من صفات الداعية: محمد الصباغ**، الكتب الإسلامي بيروت ط:٢، ١٣٩١هـ.

- **من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين: د. فضل إلهي**، إدارة ترجمان الإسلام باكستان ط:١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

-**المنجد في اللغة والأعلام** ، دار المشرق بيروت ط:٢٦.

-**من فلسفة التشريع الإسلامي: فتحي رضوان**، دار الكتاب اللبناني بيروت ط:٢، ١٩٧٥م.

-**منهاج الدعاة: د. محي الدين الألوائي**، شركة عكاظ للنشر والتوزيع جدة، ط:١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

-**المنهاج النبوي في دعوة الشباب: سليمان بن قاسم العيد**، دار العاصمة لنشر والتوزيع، الرياض، ط:١، ١٤١٥هـ.

-**منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير بجانبيه التربوي والدعوي: د. السيد محمد نوح**، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة مصر ط:١، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

-**المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع، دراسة في علم الاجتماع الإسلامي: د. نبيل محمد توفيق السمالوطي**، دار الشروق جدة، ط:١ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

-**منهج تربوي فريد في القرآن: د. محمد سعيد رمضان البوطي**. مكتبة الفارابي دمشق سوريا ط: ٢ .

-**المنهج الحركي للسيرة النبوية: منير محمد غضبان** ،مكتبة المنار الأردن ط: ٧ ،١٤١٢ هـ-١٩٩٢م.

-**المنهج الدعوي في أصول المحاضرة الدعوية، بحث تأصيلي بين التجربة الميدانية والدراسة النظرية: هشام يوسف محمد بنان**، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة ط:١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

-**منهج القرآن في التربية: محمد شديد**، مؤسسة الرسالة بيروت ط: بدون ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

ـــن

-**نزهة المتقين شرح رياض الصالحين: د. مصطفى سعيد الخِن، د. مصطفى البغا، محيي الدين مستو، علي الشربجي، محمد أمين لطفي**، مؤسسة الرسالة بيروت ط:١، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

-**نور اليقين في سيرة خير المرسلين: الشيخ محمد الخضري بك**، دار الكتب العلمية لبنان ط:٥.

-**نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: الإمام محمد علي بن محمد الشوكاني**(١٢٥٠هـ)، دار الجيل لبنان ط: بدون ١٩٧٣م.

ـــهـ

- **هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة: الشيخ علي محفوظ**، دار المعرفة للنشر بيروت لبنان ط: بدون.

-**هذا هو الإسلام، سلسلة رسائل تبحث عن الفكرة الإسلامية الحديثة: د. مصطفى السباعي**، المكتب الإسلامي بيروت، ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٧٩م.

-**هكذا علمتني الحياة: د. مصطفى السباعي**، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط:١، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

ـــو

-**وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق: جمال بن أحمد بن بشير بادي**، دار الوطن للنشر الرياض ط:١، ١٤١٢هـ

-**الوحدة الإسلامية: الشيخ محمد أبو زهرة**، دار الرائد العربي بيروت لبنان ط: بدون ١٩٧٨م.

-**الوصايا في الكتاب والسنة: د. علي بن محمد ناصر الفقيهي**، المجموعة الخامسة مطبعة الجامعة الإسلامية مركز شئون الدعوة ط:١.

-**وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم: عبد العزيز بن ناصر الجليل**، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ط:٢، ١٤١٢هـ.

-**وقفات تربوية من السيرة النبوية: عبد الحميد جاسم البلالي**، مكتبة المنار الإسلامية الكويت ط:٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

- **الولاء والبراء في الإسلام: الشيخ صالح بن فوزان الفوزان**، دار الوطن للنشر، ط:١، ١٤١٠هـ.

-**الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني**، دار طيبة الرياض ط:١ ١٤٠٢هـ.

-ولاية الله والطريق إليها، وهو تحقيق كتاب قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني: إبراهيم إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة مصر ط: بدون.

ثالثا: الدوريات

١-بحوث ودراسات في الدعوة والإعلام، إصدار كلية الدعوة والإعلام بالرياض العدد الأول ١٤١٢ هـ.
٢- مجلة الأزهر ج١ سنة ٤٥ ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
٣-مجلة التضامن الإسلامي السنة الثامنة والأربعون الجزء الثالث رمضان ١٤١٣ هـ.
٤-مجلة الدارة ،العدد الثالث السنة الثامنة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٥-مجلة المنهل شهر محرم وصفر ١٣٧٤هـ.
٦- مجلة البيان عدد ١١٥ ربيع الأول ١٤١٨هـ.
٧-مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الثاني عشر ١٤١٥هـ.
٨- أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، تحت عنوان: الدعوة الإسلامية ، الوسائل، والخطط، والمداخل.

٦-فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الفصل التمهيدي: الأحداث البارزة في مكة والمدينة قبل الفتح.

المبحث الأول: موقف قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين.

المطلب الأول: وسائل قريش في محاربة الدعوة الإسلامية: ٤

١- إنكار نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ثَمَّ إنكار دعوة الإسلام: ٤

٢- إثارة الشبهات حول الدعوة الإسلامية: ٦

٣- الاعتداء على المسلمين وخروجهم من مكة: ٩

٤- محاولتهم قتل النبي صلى الله عليه وسلم : ١٢

٥- ملاحقة المسلمين خارج مكة: ١٦

٦- الصد عن سبيل الله : ١٨

٧- إعلان الحرب على الرسول صلى الله عليه وسلم، والتحالف مع كل من له مصلحة في القضاء على المسلمين: ٢٠

المطلب الثاني: أثر موقف قريش من النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين على الدعوة الإسلامية: ٢٦

الآثار السلبية: ٢٦

أولاً: إعراض القبائل العربية عن الإسلام، وتأخر دخولها فيه: ٢٦

ثانياً: امتناع بعض الناس من الدخول في الإسلام خوفاً من ألسنة قريش: ٢٦

ثالثاً: افتتان بعض المسلمين عن دينه تحت ضغوط المحنة والأذى: ٢٧

الآثار الإيجابية: ٢٨

أولاً: ظهور دين الحق على الرغم من معارضة قريش ومحاربتها له: ٢٨

ثانياً: اكتساب الدعوة لمدافعين ومناصرين من المشركين: ٢٩

ثالثاً: ظهور التخلخل في صفوف المشركين: ٣١

رابعاً: إعداد قادة ودعاة مؤهلين لحمل الدعوة الإسلامية، يبذلون في سبيلها النفس والنفيس: ٣٢

خامساً: إيجاد قواعد للدعوة خارج مكة: ٣٤

سادساً: تنوع أساليب الدعوة ووسائلها تبعاً لمراحل الدعوة: ٣٥

المبحث الثاني: صلح الحديبية وأثره في انتشار الدعوة الإسلامية:

المطلب الأول: أحداث صلح الحديبية. ٣٩

موقف قريش من المسلمين: ٤٠

المفاوضات بين المسلمين والمشركين: ٤٣

شروط الصلح: ٤٧
موقف الصحابة رضوان الله عليهم من الصلح وشروطه: ٤٩
المطلب الثاني: أثر الصلح على الدعوة الإسلامية وانتشارها ٥٤
ومن آثار الصلح الميمونة على الدعوة الإسلامية وانتشارها: ٥٤
١- تعزيز كيان الدعوة الإسلامية، واعتراف المشركين بها: ٥٤
٢- تفرغ المسلمين لنشر الدعوة الإسلامية: ٥٥
٣- كسب الدعوة الإسلامية أنصارا جددا للدعوة: ٥٦
٤- تأثر المشركين بواقع الإسلام والمسلمين: ٥٦
٥-انشقاق معسكر الشرك وتوهنه: ٥٧
٦- الاتجاه بالدعوة إلى ميادين جديدة : ٥٨
٧- القضاء على أعداء الدولة الإسلامية: ٥٩
٨-حفظ المسلمين بمكة والتفريج عن المستضعفين منهم: ٦٠
٩-التوطئة والتمهيد للفتح الأعظم ، فتح مكة: ٦١
المبحث الثالث: غزوة خيبر، و معركة مؤتة، وأثرهما على المسلمين:
المطلب الأول: غزوة خيبر وأثرها على المسلمين ٦٧
خروج المسلمين إلى خيبر: ٦٧
بدء المعركة وفتح خيبر: ٧٠
أثر فتح خيبر على المسلمين: ٧٥
١- خضْدُ شوكة اليهود في الحجاز، وتَصفيةِ الموقف معهم، وأمْنُ جانبهم نهائياً: ٧٥
٢-حصول المسلمين على الغنائم وتوسع أحوالهم المادية: ٧٦
٣-حصول المسلمين على الكثير من العتاد والأسلحة: ٧٦
٤- زيادة إيمان المسلمين وقوتهم: ٧٦
٥- تفرغ المسلمين لنشر الإسلام وعدم انشغالهم بالزرع، واستفادتهم من خبرة اليهود الزراعية: ٧٧
أثر الخبر على أهل مكة: ٧٩
المطلب الثاني: معركة مؤتة وأثرها على المسلمين: ٨١
سبب المعركة: ٨١
السير إلى المعركة، وأحداثها: ٨٢
نتيجة المعركة: ٨٧
أثر معركة مؤته على المسلمين: ٨٩
١- ارتفاع معنويات المسلمين واستبشارهم بالفتح والنصر: ٨٩

٢- ازدياد الإسلام عزة وقوة ومنعة، واحترام وهيبة القبائل العربية للمسلمين: ٨٩
٣-اكتساب المسلمين خبرات قتالية جديدة: ٩٠
٤- تفرغ المسلمين للقبائل العربية المعادية في جزيرة العرب: ٩٠
٥- إثبات عالمية الرسالة: ٩١
٦- انتصار العقيدة في نفوس المسلمين، وازدياد الإيمان في قلوبهم: ٩١
٧- تفاني المسلمين في نصرة دينهم، وبذلهم أرواحهم رخيصة لإعلاء كلمة الله: ٩٢

الفصل الأول: فتح مكة وآثاره.

المبحث الأول: أسباب فتح مكة وأحداثه.

المطلب الأول: أسباب الفتح ٩٩

قدوم وفد خزاعة على النبي صلى الله عليه وسلم واستنجادهم به: ١٠٠
إرسال قريش أبا سفيان للمدينة: ١٠٢

المطلب الثاني: أحداث فتح مكة ١٠٦

أولا: أحداث ما قبل الفتح: ١٠٦
١- الاستعداد للغزو واستنفار المسلمين لذلك: ١٠٦
٢-إرسال سرية تمويهية للإخفاء والتعمية: ١٠٧
٣- محاولة تسريب خبر الغزو لقريش: ١٠٨
٤- خروج الجيش من المدينة: ١٠٩
٥- السير نحو مكة: ١١١
٦- قدوم العباس رضي الله عنه : ١١٢
٧-إسلام بعض زعماء قريش: ١١٢
٨-إسلام أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه، وأخذه الأمان لأهل مكة: ١١٥
٩-استقبال أهل مكة لخبر غزو الرسول صلى الله عليه وسلم : ١١٩
١٠-الزحف إلى مكة: ١٢٠
ثانياً: مرحلة ما بعد الفتح: ١٢٦
١- صفة دخوله صلى الله عليه وسلم مكة: ١٢٦
٢-تطهير البيت الحرام من الأوثان: ١٢٧
٣-العفو عن قريش: ١٢٨
٤- الذين أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمهم يوم الفتح: ١٢٩
٥-تسليم مفتاح الكعبة: ١٣٤
٦- مبايعة أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم : ١٣٥
٧-من مواقف النبي صلى الله عليه وسلم مع مسلمة الفتح: ١٣٦

أ- موقف قريش من أذان بلال رضي الله عنه على الكعبة: _____ ١٣٦
ب_ إسلام فَضَالة بن عمير رضي الله عنه : _____ ١٣٧
ج- حديث أبي سفيان رضي الله عنه نفسه بمعاودة قتال النبي صلى الله عليه وسلم : _____ ١٣٧
د- تأمينه صلى الله عليه وسلم لصفوان بن أمية رضي الله عنه : _____ ١٣٨
هـ -قبوله صلى الله عليه وسلم لجوار أم هانئ رضي الله عنها: _____ ١٣٨
و- إسلام أبي قحافة -والد أبي بكر الصديق- رضي الله عنهما: _____ ١٣٩
٨-خُطب النبي صلى الله عليه وسلم أثناء إقامته بمكة: _____ ١٤١
الخطبة الأولى: _____ ١٤١
الخطبة الثانية: _____ ١٤٢
الخطبة الثالثة: _____ ١٤٤
٩-بعث البعوث لهدم الأوثان الموجودة خارج مكة: _____ ١٤٧
أ-هدم العُزى: _____ ١٤٧
ب- هدم سُواع: _____ ١٤٨
ج- هدم مناة: _____ ١٤٨
١٠- مبعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جذيمة: _____ ١٤٩

المبحث الثاني: آثار فتح مكة

١-القضاء على الوثنية في مهدها، وتطهير قبلة المسلمين من معالم الشرك: _____ ١٥٧
٢- تثبيت وإرساء قواعد الحكم الإسلامي بمكة: _____ ١٥٩
٣-إسلام أهل مكة: _____ ١٦١
٤- مبادرة القبائل العربية إلى الإسلام وانضواء العرب تحت راية الإسلام: _____ ١٦٤
٥- تنظيم الأمور الإدارية بمكة: _____ ١٦٦
أ- تجديد أنصاب الحرم (أعلام حدود الحرم): _____ ١٦٦
ب- إلغاء مآثر الجاهلية عدا السدانة والسقاية: _____ ١٦٩
ج-تأمير عتاب بن أسيد على أهل مكة: _____ ١٧١
د- تعيين معاذ بن جبل معلما لأهل مكة: _____ ١٧٢
٦- تفاضل بعض أعمال البر قبل الفتح وبعده: _____ ١٧٢
أ-الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم : _____ ١٧٢
٢- التفاضل في الجهاد الإنفاق قبل الفتح وبعده: _____ ١٧٦
٧- تحول ثقل معسكر الشرك وقيادة المشركين في حرب الإسلام إلى قبيلتي هوازن وثقيف والصدام مع المسلمين في غزوة حنين: _____ ١٧٧
٨- تفرغ الرسول صلى الله عليه وسلم لجهاد النصارى: _____ ١٨٢

الفصل الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة

تمهيد: _____ ١٩٠

خصائص الدعوة الإسلامية: _____ ١٩١

١)ارتباطها بدعوات الأنبياء السابقين، ووحدة العقيدة المدعو إليها: _____ ١٩١

٢) أنها دعوة تقرر كرامة المؤمن، والمساواة بين الناس: _____ ١٩٤

٣) أنها دعوة لا تعتمد على الإكراه لاعتناقها بل تعتمد على الإقناع: _____ ١٩٦

٤) أن الدعوة الإسلامية دعوة مستمرة لا تنقطع: _____ ١٩٩

المبحث الأول : الدروس الدعوية المتعلقة بالعقيدة:

١- تقرير وحدانية الله تعالى: _____ ٢٠٧

٢- تقرير رسالة النبي صلى الله عليه وسلم : _____ ٢٠٨

٣- أن العقيدة الإسلامية هي أساس ومنطلق تصرفات الناس وتوجهاتهم: _____ ٢٠٩

٤- من أسس العقيدة الإسلامية موالاة المؤمنين، ومعاداة الكافرين: _____ ٢١١

٥-إقرار ميزان التفاضل بين المسلمين بالسبق بالإيمان والأعمال الصالحة: _____ ٢٢٢

٦- نفاذ سنن الله تعالى في المجتمعات: _____ ٢٢٤

أ- حتمية التدافع بين الحق والباطل: _____ ٢٢٥

ب- سنة الله في نصر المؤمنين لا تتخلف أبدا: _____ ٢٢٦

ج - من سنن الله في رسله وأتباعهم، أن الحرب والنصر بينهم وبين أعدائهم مداولة: _____ ٢٣٢

د - سنة الأخذ بالأسباب، والتأهب والاستعداد: _____ ٢٣٣

٧- رفض العادات والأخلاق الجاهلية بعد الإسلام: _____ ٢٣٧

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بالشريعة والأخلاق:

المطلب الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بالشريعة. □□□□□□□□□□□□□□ ٢٤٤

أولا: الأحكام المتعلقة بالعبادات: _____ ٢٥٢

١) مشروعية الفطر في رمضان في السفر: _____ ٢٥٤

٢) حكم إمامة الصبي: _____ ٢٥٦

٣)مشروعية الصلاة في جوف الكعبة: _____ ٢٥٧

٤)مشروعية صلاة الضحى: _____ ٢٥٩

ثانيا: الأحكام التشريعية المتعلقة بالدماء: _____ ٢٦٠

١) تشريع مقدار الدية في القتل شبه العمد: _____ ٢٦٠

٢) التسوية في القصاص بين المسلمين: _____ ٢٦٢

٣) حكم قتل الجاسوس المسلم: _____ ٢٦٤

ثالثا: الأحكام التشريعية المتعلقة بالنكاح والأنساب: ٢٦٥
١) تحريم نكاح الشغار: ٢٦٦
٢)تحريم نكاح المتعة: ٢٦٧
٣) إلحاق ولد الزنا: ٢٦٩
رابعا: الأحكام التشريعية المتعلقة بالأموال: ٢٧١
(١) تحريم الجَلَب والجَنَب: ٢٧١
(٢) تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام: ٢٧٢
٣) تطبيق حد القطع في السرقة: ٢٧٧
٤) إيجاب النفقة للزوجة على زوجها: ٢٧٧
خامسا: الأحكام التشريعية المتعلقة بالاحتساب: ٢٨٠

المطلب الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بالأخلاق. ٢٩٢

أسس الأخلاق في الإسلام: ٢٩٦
١-أن الأخلاق الإسلامية تتلاءم مع الفطرة الإنسانية السليمة التي فطر الله الناس عليها: ٢٩٦
٢-ارتباط الأخلاق بالعقيدة والشريعة الإسلامية: ٢٩٩
٣- اتساع دائرة الأخلاق في الإسلام: ٣٠١
٤- أهمية وجود قدوة أخلاقية متميزة: ٣٠٣
نماذج من الأخلاق الحميدة البارزة في هذه الغزوة: ٣٠٨
١- العدل: ٣٠٨
٢- الرحمة: ٣١١
٣- الكرم: ٣١٣
٤- التواضع: ٣١٤
٥-الوفاء: ٣١٥
٦- العفو عند المقدرة: ٣١٧

الفصل الثالث: الدروس الدعوية المتعلقة بالدعاة.

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بإعداد الدعاة:

المطلب الأول: أمور مهمة يجب أن يعيها الدعاة: ٣٢٨

الأمر الأول: القرآن والسنة هما مصدر التلقي الذي يصدر عنه الدعاة: ٣٢٨
الأمر الثاني: إدراك الغاية من الدعوة إلى الله: ٣٣١
الأمر الثالث: البدء بالأولويات والمهمات في عرض الدعوة: ٣٣٧
الأمر الرابع: التمييز بين التدرج في الدعوة والتدرج في التشريع: ٣٣٩

الأمر الخامس: الاهتمام في إعداد الدعاة بالكيف لا بالكم: ٣٤٢
الأمر السادس: الاعتبار بالسنن الإلهية: ٣٤٦
المطلب الثاني: قواعد منهجية في إعداد الدعاة ٣٥٤
القاعدة الأولى: يجب أن يكون إعداد الدعاة شاملا متوازنا: ٣٥٥
القاعدة الثانية: تعاهد فئات معينة من الدعاة بزيادة في الإعداد والتربية: ٣٦٠
أولا: باهتمامه ببعض الشرائح التي يغفل عنها المجتمع: ٣٦٠
ثانيا: بمراعاة ملامح وصفات من يصلح لتقديمه في تولي شئون المسلمين: ٣٦٢
ثالثا: التربية على الشعور بالمسئولية: ٣٦٤
القاعدة الثالثة: استغلال الطاقات والقدرات والمواهب الطبيعية: ٣٦٦
القاعدة الرابعة: تحيُّن الفرص واستغلال الأحداث في إعداد الدعاة: ٣٦٨
القاعدة الخامسة: الاهتمام بالإعداد المعنوي للجهاد في سبيل الله: ٣٧٠
القاعدة السادسة: الاهتمام بدور المرأة المسلمة في الدعوة: ٣٧٣
القاعدة السابعة: القضاء على العقبات والمعوقات المعترضة طريق الدعاة: ٣٧٩
القاعدة الثامنة: حسن التعامل مع أخطاء الدعاة: ٣٨٧
الموقف الأول: ٣٨٨
الموقف الثاني: ٣٩٠
الموقف الثالث: ٣٩١
المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بصفات الدعاة:
المطلب الأول: الصفات المتعلقة بذات الداعية وتعامله مع نفسه ٣٩٨
أولا: الصفات الروحية: ٣٩٨
١-قوة الإيمان بالله تعالى، والرغبة الصادقة في الدعوة إلى سبيله: ٣٩٨
أ- الإخلاص لله تعالى: ٣٩٩
ب- التوكل على الله: ٤٠١
ج- حسن الظن بالله تعالى والثقة بنصره: ٤٠٤
٢-الاعتدال في عقيدة الولاء والبراء، بلا غلو ولا تقصير: ٤٠٥
٣-علو الهمة وقوة العزيمة: ٤٠٩
ثانيا : الصفات العلمية والمعرفية: ٤١٢
١- الحرص على طلب العلم والتفقه في دين الله: ٤١٢
ثالثا: الصفات الأخلاقية: ٤١٧
١- التحلي بفضائل الأخلاق واجتناب رذائلها: ٤١٧

٢- عمل الداعية بما يدعو إليه (مطابقة قوله فعله): _____ ٤٢١
رابعا: الصفات النفسية: _____ ٤٢٥
١-الحكمة: _____ ٤٢٥
٢-الحلم: _____ ٤٢٨
٣-الرفق بالمدعوين: _____ ٤٢٩
المطلب الثاني: الصفات المتعلقة بتعامل الداعية مع المدعوين: □□□□□□ ٤٣٢
الصفة الأولى : الحرص على هداية الناس وإتباعهم للحق: _____ ٤٣٢
الصفة الثانية: معرفة الداعية للطبيعة البشرية، وخبرته بكيفية التعامل معها: _____ ٤٣٥
الصفة الثالثة: مخالطة الناس وعدم الانعزال عنهم: _____ ٤٣٨
الصفة الرابعة: الوضوح وتجنب الغموض والتلبيس: _____ ٤٤١
الصفة الخامسة: بعد النظر، وحسن التنظيم والتخطيط: _____ ٤٤٣
الفصل الرابع: الدروس الدعوية المتعلقة بالمدعوين.
المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بأسباب الصدود عن الحق:
المطلب الأول: الأسباب المتعلقة بالظروف القائمة المحيطة المؤثرة □□□□ ٤٥٦
١- التقدم في السن: _____ ٤٥٦
٢- صد الكبراء وأصحاب المكانة وامتداد تأثيرهم على غيرهم من الناس: _____ ٤٥٨
٣- رفقاء السوء وأثرهم في الصد عن سبيل الله: _____ ٤٦١
٤- إنفاق الأموال في سبيل الصد عن دين الله: _____ ٤٦٣
المطلب الثاني: الأسباب المتعلقة بالرؤية العقلية المنحرفة: □□□□□□□□□ ٤٦٥
١- جاهلية المقاييس: _____ ٤٦٦
٢- العصبية القبلية : _____ ٤٧٠
٣- تقليدهم الآباء والأجداد: _____ ٤٧٢
٤- الاغترار بمظاهر القوة والثروة والتمكين: _____ ٤٧٦
٥- الجهل والغفلة عن الحق رغم وضوحه والافتتان بالباطل: _____ ٤٨٠
المطلب الثالث: الأسباب المتعلقة بالمؤثرات في الأهواء. □□□□□□□□□ ٤٨٥
١) حب الدنيا والتعلق بشهواتها: _____ ٤٨٨
٢) الحرص على المكانة والرئاسة والجاه: _____ ٤٩٠
٣) الانحرافات الخُلُقية: _____ ٤٩٢
أ- الكبر: _____ ٤٩٢

ب- الحسد: _____ ٤٩٥
ج- الحقد والبغض: _____ ٤٩٨
ما يستفيده الدعاة إلى الله من دراسة أسباب الصدود، ومعرفتها والوقوف عليها: _____ ٥٠١

المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بمراعاة أحوال المدعوين.

المطلب الأول: أسس تعين الدعاة على تحقيق مراعاة أحوال المدعوين □□□ ٥٠٨
الأساس الأول: العلم بحال من توجه إليهم الدعوة: _____ ٥٠٨
الأساس الثاني: مخالطة الداعية للمدعوين: _____ ٥٠٩
الأساس الثالث: وضوح مفاهيم معاملة المدعوين عند الداعية: _____ ٥١٠
١- مراعاة المدعوين بين الرفق والشدة: _____ ٥١٠
٢- مراعاة المدعوين بين الثبات والمرونة: _____ ٥١٢
٣- الفرق بين مراعاة المدعوين ومداهنتهم: _____ ٥١٤
٤- مراعاة المدعوين بين العفو والصفح وبين الصبر: _____ ٥١٦
الأساس الرابع: التدرج في الدعوة: _____ ٥١٩
الأساس الخامس: إبقاء ما عندهم من الخير: _____ ٥٢٠
المطلب الثاني: جوانب مراعاة أحوال المدعوين: □□□□□□□□□□□□ ٥٢٢
أولا: ما يتعلق بمراعاة الأحوال النفسية عند المدعوين: _____ ٥٢٢
ثانيا: مراعاة أحوال المدعوين الاجتماعية: _____ ٥٣١
ثالثا: مراعاة أحوال المدعوين العقلية: _____ ٥٤٥
رابعا: مراعاة أحوال المدعوين الوجدانية(أو الإيمانية): _____ ٥٤٩
خامسا: مراعاة قدرات وإمكانات المدعوين ومواهبهم: _____ ٥٥٤
المطلب الثالث: ثمار هذه المراعاة في نفوس المدعوين: □□□□□□□□□ ٥٥٨

الفصل الخامس: الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل وأساليب الدعوة.

تمهيد: _____ ٥٦٧

المبحث الأول: الدروس الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة:

المطلب الأول: الوسائل القولية. □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ ٥٨٤
١- الاتصال المباشر، أو الدعوة الفردية: _____ ٥٨٤

ثانيا: الخطابة: _____ ٥٨٧
ثالثا: الشعر: _____ ٥٩١
رابعا: المناداة أو النداء: _____ ٥٩٤
١- المناداة العامة: _____ ٥٩٤
٢- المناداة الخاصة: وهو الأذان: _____ ٥٩٤
خامسا: الكتابة: _____ ٥٩٧
المطلب الثاني: الوسائل الحسية: □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ **٦٠٢**
أولا: الجهاد : _____ ٦٠٢
ثانيا : الإصلاح البيئي: _____ ٦١٠
المطلب الثالث: الوسائل النفسية: □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ **٦١٦**
أولا: الهجر: _____ ٦١٧
ثانيا: الإرهاب النفسي : _____ ٦٢٠
٣- الإكراه(الغلبة): _____ ٦٢٣
المبحث الثاني: الدروس الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة.
أولا: أسلوب القدوة: _____ ٦٢٨
ثانيا: أسلوب الإقناع: _____ ٦٣٥
ثالثا: أسلوب التخطيط: _____ ٦٤٢
رابعا: أسلوب الإيحاء: _____ ٦٤٨
خامسا: أسلوب الكتمان: _____ ٦٥٥
سادسا: أسلوب الحوار: _____ ٦٥٩
سابعا: أسلوب التربية مع التعليم: _____ ٦٦٦
ثامنا: أسلوب الترغيب والترهيب: _____ ٦٧٥
الخاتمة _____ ٦٨٥
١-فهرس الآيات القرآنية _____ ٦٩٠
٢-فهرس الأحاديث _____ ٧٠٣
٣-فهرس الأعلام _____ ٧١٣
٤-فهرس الأماكن _____ ٧٢١
٥-فهرس المراجع _____ ٧٢٣
٦-فهرس المحتويات _____ ٧٤٨